

شرح

ثلاثيات سند الإمام أحمد

تأليف

العلامة الشيخ محمد السفاريني الحنبلي

المجلد الأول

زهرية الشاويش

المكتب الإسلامي

جميع الحقوق محفوظة

المكتب الإسلامي

المكتب الإسلامي

بيروت: ص.ب ٣٧٧١ - هاتف ٤٥.٦٣٨ - برقية: اسلاميادمية.
دمشق: ص.ب ٨٠٠ - هاتف ١١١٦٣٧ - برقية: اسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه تقي وعليه توكل

الحمد لله الذي شرح صدور أهل الحديث لحفظه ، وجعلهم أوعية لادراك دقائق معانيه وتحديد حقائق لفظه ، فهم مصاييح الهدى ، وقدوة لمن اقتدى ، فمن بهديهم اهتدى فقد أخذ بحظه ، فسبحان من ذلل لهم سبل الحفظ والفهم ، وسهل عليهم استنباط الفقه والعلم ، ولم يصعب عليهم بفنظه (١) وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله . فمن زعم شيئاً من ذلك أب بهظه (٢) وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وحييه وخليه الذي شج رأس الشرك وقمعه بدلظه (٣) ، نبي أرسله الله على حين فترة من الرسل ، وقد طبق الشرك السيل ، وأظلمت الأرض بكظله ومظه (٤) ، فلم من الجهالة وهدى من الضلالة ، وبذل المجهود في تجريد توحيد المعبود ، بحاله وقاله وردعه ووعظه ، فبسم الدين بعد عبوسه ، وتلاؤلاً بعد طموسه ، وظهر بعد دروسه ، ورقص بعد حزنه بقظه وبظه (٥) صلى الله عليه وسلم صلاة وسلاماً دائماً ما نافس حافظ بحفظه ، وعلى آله وأصحابه وأصهاره وأحبابه وأنصاره وأحزابه الذين انكشف بهم الشرك بمكظله (٦) ، وانتشر التوحيد وابتهج بهم بمد اندراسه ولظه (٧) ، واكتحل بهم جفن الدين بعد عموشه وجحظه .

(١) النفض : الكرب والمهم اللازم . (٢) بهظه الأمر : غلبه .

(٣) الدلف : القرب والدفع في الصدر .

(٤) الكظ : الكرب والجهد . والمظ والمظاظة : شدة الخلق ومظاظته .

(٥) النفض : القطع . والبظ : يقال : بظ الشيء : حرك أوتاره .

(٦) المكظ : الحبس والقهر . (٧) اللظ : الطرد .

أما بعد فإن أولى ما يصرف في تحصيله الزمان ، وأجدر ما يدأب في إدراك تأويله العاقل في كل عصر وآن ، وأحرى ما ينافس في نبيله ذو اللب والجنات ، وأحق ما ينفق فيه العمر عند ذوي العرفان ، العلم النافع والعمل الصالح ؛ إذ بهما فوز كل فائز وإفلاح كل فالح ، ولا شك أن العمل ثمرة العلم ، كما أن التصوير ثمرة الفهم ، فرجعت السعادة والسيادة الى تحصيل العلوم التي هي من مشكاة الرسالة مستفادة .

وقد مكثت برهة من الدهر وحيناً طويلاً انقضى فيه معظم العمر وأنا أم وأعزم وأتردد وأحزم وأقدم رجلاً وأؤخر أخرى لعدم علمي بالأحق والأحرى وذلك هم والترديد والجمع والتفنيد لأشرح ثلاثيات « المسند » الواقعة فيه لحضرة سيدنا وإمامنا الإمام أحمد رضوان الله عليه . فمضى على ذلك الحقب وصنفت في زمن ترديدي عدة من الكتب . وأنا متردد بين الاقدام والاحجام لقصور شأوي عن إدراك مثل هذا المقام ، ثم إنني قلت : قصارى أمري أن أعلق فوائد من الكتب المتداولة ، وليس لي من ذلك إلا أجر المناولة ، فاستخرت الله وعزمت على شرحها ، ووقفت على أبواب كرمه تعالى ، فمن سبجانه بفتحها ، هذا مع فقدي جل المواد وتمذّر وجود الخلل المواد ، واشتغال البال بالبلابل والهموم وتشويش الخاطر بالقلق والغموم ، كيف لا ، والوقت قد اكفر وجهه بالوقت ، واشمخر أنفه بالجبه والبهت ، ولم يبق من آثار هذا البيان إلا حكايات تزين بها الطروس ككان وكان ، والعلم قد أفلت شمسه وتقوضت محافله ودروسه ، وربعه المأهول أمسى خالياً ، وواديه المأنوس أضجى موحشاً داوياً ، وغصنه الرطيب غدا ذاوياً ، وورده القشيب صار بالياً ، فالعالم الآن قلت مضاربه ، وضائق مطالبه ، وعالت معاطيه وسددت مذاهبه ، فليس له في هذا الزمان ومنذ أزمان إلا الالتجاء الى عالم السر والاعلان ، فهو الذي يعطي ويمنع ويخفض ويرفع ، ويرزق الجنين في ظلمة الحشا سبجانه وتعالى يفعل ما يشاء .

جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون
جمنون منك أن تسمى لوزق ويرزق في غشاوته الجنين

فلا جرم ذهبت الراحة والسرور والبهجة والحبور ، مع الرعيل الأول
والسرب الذي عليه المول ، ولم يبق لأبناء هذا العصر إلا الشدة والحصر ،
والندم والتأسف والتأوه والتلهف ، والاشتغال بالقليل والقال ، وإساعة العمر في
الاهو والهمال ، وإذا كان الزمان قد فسدت ملوكه وتهتك صلوكه ، وضل طاله
وجار حاكمه ، وبخل مياسيره وانكشف مشاهيره ، ولم يبق من الكرم إلا اسمه
ومن العلم إلا رسمه ، ومن المدل إلا ذكره ، ومن البذل إلا حكره ، ومن
المساواة إلا حكاياتها ، ومن المواخاة إلا نكاتها ، وكلع في وجوه أهل العلم وعيس
وأعرض عن إنصافهم ونكس ، ومال لأهل المال ، وذهب مع أهل الذهب والحال
فلا لوم على العالم إن خمدت ناره ، وانطمست آثاره ، وخفيت شارته ، وبردت
شرارته ، وصار بعد أن كان متبوعاً تابعاً ، وصار جلس بيته واقفاً ، وذوي غصن
عزمه بعد أن كان يانما ، وفل فرند حزمه بعد كونه قاطما . ولكن لا بد في كل
عصر ومصر للدين من حملة ، وللملم من نقلة ، لقوله ﷺ : « لا يزال طائفة من
أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك »
متفق عليه من حديث المفيرة بن شعبة رضي الله عنه . ويبدل عليه ما رواه
الترمذي من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وحسنه أن رسول الله ﷺ قال :
« مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أو آخره » ، قال الامام الحق ابن القيم في
كتابه « مفتاح السعادة » : فلو لم يكن في أواخر الأمة قائم بمحجج الله مجتهد ، لم
يكونوا موصوفين بهذه الخيرية . قال : وأيضاً فإن هذه الأمة أكل الأمم وخيرامة
أخرجت للناس ، ونبيها خاتم النبيين لا نبي بعده ، فجعل الله العلماء فيها كلاً
مات عالم خلفه عالم ، لثلا تطمس معالم الدين وتحفى أعلامه ، وكان بنو اسرائيل

كما هلك نبي خلفه نبي ، فكانت تسوسهم الأنبياء ، والعلماء لهذه الامة كالانبياء .
 في بني اسرائيل . وفي الحديث الآخر : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ،
 ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » . وهذا يدل على
 أنه لا يزال محمولاً في القرون قرناً بعد قرن . وفي صحيح أبي حاتم بن حبان
 من حديث الخولاني قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يزال الله يفرس في هذا
 الدين غرساً يستفهم في طاعته » ، وغرس الله هم أهل العلم والعمل ، فلو خلت
 الارض من عالم خلت من غرس الله . ولهذا القول حجج كثيرة جداً والله أعلم .

فلا جرم بعد ، عزمنا بعد التردد ، وجزمنا بمسد التقييد ، على شرح
 ثلاثيات مسند مولانا وقدوتنا وإمامنا وعمدتنا الامام أحمد بن محمد بن حنبل إمام
 كل حنبلي ، بما أخرجه الامام العالم المحقق مجد الدين إسماعيل بن عمر المقدسي
 والامام الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمهما الله تعالى . وإنما كثر ترددي وتقاعبي
 عن ذلك لعدم من تقدمني لشرحها مع قصور همتي وقلة موادي ، وتمذر موادي
 وخمود فكري واشتغال خلدي ، وعزة المواد بـلدي ، غير أنني اعتمدت فيما
 نحيته من الدليل والتعليل ، على الجواد الفتح فاته حسي ونعم الوكيل ،
 وسميته :

نفحات صدر المكمد ، وقوة عين الارمد لشرح

ثلاثيات مسند الامام احمد

رضي الله عنه

ولأقدم أمام المقصود مقدمة تشتمل على ثلاثة مقاصد وخاتمة .

المقصود الاول : في ترجمة سيدنا ومولانا وإمامنا وقدوتنا ومتبوعنا وعمدتنا
 الامام أحمد رضي الله عنه .

هو الامام المحدث المجتهد البارح الحافظ الضابط المتقن الورع الزاهد
الناسك المأبد عالم الاسلام وكهف الدين ، ناصر السنة وإمام المتقين ، قامع
البدعة وشجاء المبتدعين ، داحض الحجج الباطلة ، ومزيف المذاهب الماطلة ،
العالم الرباني ، والصدوق الثاني ، الامام المبجل ، والحبر المفضل ، أبو عبد الله
الامام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ابريس بن عبد الله بن حيان
ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن
عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعوى
ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان يجتمع نسبه مع نسب
النبي ﷺ في نزار تاسع عشر أجداده ﷺ .

وأبناء نزار أربعة : مضر وربيعة وإداد وأنمار ، ومنهم تشعبت بطون
العرب كلها ، فالنبي ﷺ من ولد مضر بن نزار ، والامام أحمد رضي الله عنه
من ولد ربيعة بن نزار . قال ابن قتيبة في المعارف : وأما مضر وربيعة فاليها
ينسب ولد نزار ، وهما الصريح من ولد اسماعيل . انتهى .

فالامام أحمد من صميم العرب ومن صريح ولد اسماعيل ، فإن المشهور أن
عدنان بن أد بن أدد الهميسع بن حمل بن النيت بن قيدار بن اسماعيل بن ابراهيم
خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام .

وكان أبو إمامنا محمد بن حنبل والي سرخس من أبناء الدعوة المباسية ،
توفي وله ثلاثون سنة . وأم الامام أحمد رضي الله عنه شيبانية أيضاً ، واسمها صفية
بنت ميمون بن عبد الله الشيباني من بني عامر ، كان نزل محمد بن خليل بهم
فتزوجها ، وجدها عبد الملك بن سواده بن هند الشيباني من وجوه بني شيبان
تنزل به قبائل العرب للضيافة ، فحاز الامام أحمد رضي الله عنه شرف النسب ،

وكل له بأصله أتم الشرفين ، فهو الامام أبو عبد الله القاهلي ثم الشيباني المروزي
ثم البغدادي .

خرج من مرو وهي من أعمال خراسان وهو حمل ، فولد ببغداد سنة أربع
وستين ومائة في شهر ربيع الأول ، وكان ربعة حسن الوجه ، وخضب رأسه
ولحيته وهو ابن ثلاث وستين سنة ، وكان يخضب بالحناء خضاباً ليس بالقاني ،
وكان في لحيته شمرات سود : وكانت ثيابه بيضاء ، يلبس الهامة والازار ويلبس
التليظ الأبيض من الثياب ، وربما لبس قميصاً وفرواً ، وربما لبس القرو فوق
الجبة في البرد الشديد ولبس الهامة فوق القلنسوة ، وربما لبس القلنسوة بنير
عمامة ، ولبس السراويل والرداء ، وكثيراً ما كان يتوشح فوق القميص ، ولم
يلبس طيلساناً قط . قال الراوي : ولم أره أرخى كفاً في مشيته قط ، وكانت
سراويله فوق كعبيه ، وكان لا يخوض في شيء من أمور الناس ، وكان ذا وقار
وسكينة ، من أحيا الناس وأكرمهم نفساً وأحسنهم عشرة وأدباً ، كثير
الاطراق والنض ، معرضاً عن القبيح والفحش لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث
وذكر الصالحين . قال أبو داود : كانت مجالسة الامام أحمد مجالسة آخرة
لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا ، وما رأيته ذكر الدنيا قط . وقال ثعلب في
صفته : رأيت رجلاً كأن النار توقد بين عينيه . وكان رضي الله عنه يحب
الفقراء ويعرض عن أهل الدنيا ، ويجلس للفقهاء فلا يتكلم حتى يسأل ، يجلس
حيث انتهى به المجلس ، ولا يتصدر ولا يمد رجله لإكراماً لجليسه ، وكان حسن
الخلق دائم البشر لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ، يحب في الله ويبغض في الله ،
لا تأخذه في الله لومة لائم ، حسن الجوار يؤذى فيتحمل ، وكان أصبر
الناس على الوحدة فما كان يرى إلا في مسجد أو حضور جنازة أو
عيادة مريض ، وكان يكره المثني في الأسواق ، وكان يقول : أشتهي ما لا يكون

أشتهى مكاناً ليس فيه أحد . وكان يقول : الخلوة أروح لقلي . وكان متمسكاً
في دينه بالحديث والآثار ، قامعاً لذوي البدع والأشرار ، وهو الذاب عن السنة
الصابر في الهنة .

وقد روى الامام أحمد رضي الله عنه عن أئمة أخيار ، وروى عن أئمة
أبرار ، ابتداءً في طلب العلم سنة تسع وسبعين ، فكان يتأسف على عدم اجتماعه
بالامام مالك ، وكان يقول : فاتني مالك فأخلف الله عليّ سفيان بن عيينه ، وفاتني
حماد فأخلف الله عليّ اسماعيل بن علية .

فروى عن سفيان بن عيينه ، ومحمد بن إدريس الشافعي . ويزيد بن هارون
ويحيى القطان ، وإبراهيم بن سعد ، وهيثم ، ووكيع ، وابن علية ، وعبد الرحمن
ابن مهدي ، وعبد الرزاق الصنعاني ، وجريز بن عبد الحميد ، ومعتز بن سليمان
وأبي عاصم النبيل ، وعبد المؤمن بن عبد الله ، وخلائق لا يحصون ، ذكرهم ابن
الجوزي وغيره على حروف المعجم ، سمع منهم بحكة والمدينة والبصرة والكوفة
وبغداد واليمن والجزيرة ، وخرج إلى اليمن وإلى طرسوس ماشياً ، وشارك الامام
الشافعي في أكثر شيوخه .

وروى عنه من الأئمة ما يبرر استقصاؤهم إن لم يتمذر ، حتى روى عنه
كبار مشايخه ، منهم الامام الشافعي وعبد الرزاق الصنعاني وعبد الرحمن بن
مهدي ويزيد بن هارون ويحيى بن آدم وأبو الوليد وقتيبة بن سعيد ومعرف
الكرخي وعلي بن المديني ، وروى عنه أيضاً البخاري ومسلم وأبو داود وإبراهيم
الحري وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وأبو بكر الأثرم وأبو
بكر بن أبي الدنيا وأبو القاسم البغوي ومحمد بن إسحق الصاغاني
وأبو حاتم الرازي وأحمد بن أبي الحواري وموسى بن هارون وحنبل بن

إسحاق وعثمان بن سعيد الدارمي وولده صالح وعبد الله ، والمروزي^(١) وخلائق
كثيرون ذكروهم الحافظ ابن الجوزي على حروف المعجم . وهو النهاية
في الحفظ . فكانت كتبه رضي الله عنه اثني عشر حملاً . وكان يحفظها كلها
عن ظهر قلب .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : سمعت أبا زرعة يقول : كان أبوك يحفظ
ألف ألف حديث . وقيل لأبي زرعة : من أحفظ مشايخ الحديث ؟ قال : أحمد .
وقال عبد الوهاب الوراق : ما رأيت مثل أحمد بن حنبل . قالوا له : وأي شيء
بان لك من فضله وعلمه على سائر من رأيت ؟ قال : رجل سئل عن ستين ألف
مسألة فأجاب فيها بدد حدثنا ، ود أخبرنا .

وقد أكثر أئمة الاسلام وعلماء الانام من الثناء عليه وبالوا في تظيمه
بما هو أهله ولا سيما الإمام الشافعي رضي الله عنه فانه قال : خرجت من بغداد
وما خلفت بها أحداً أروع ولا أتقى ولا أفقه ولا أعلم من أحمد بن حنبل .
وقال أيضاً : ما خلفت في العراق أحداً يشبه أحمد .

وقال الربيع : قال لنا الشافعي : أحمد إمام في ثمان خصال ؛ إمام في
الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ، إمام في القرآن ، إمام في الفقر ، إمام
في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة .

وقال أيضاً : عجبت لصغير لا يقول شيئاً إلا صدقه الكتاب وهو أحمد .

وحدث الشافعي عن الإمام أحمد فقال : أنبأنا الثقة من أصحابنا

- يعني أحمد - .

(١) من كان من مَرَوِ الشُّرُوز يقال له : المروزي أو المروزي . وهي
أشهر مدن خراسان . وأما من كان من مرو الشاهجان فيقال له : مروزي ،
وأصحاب أحمد كلا البلدين .

وقال الشافعي لأحمد : يا أبا عبد الله إذا رأيت الحديث الصحيح فأخبرني حتى أذهب إليه . وفي رواية قال الشافعي لأحمد : أنت أعلم بالاخبار الصحاح منا ، فإذا كان خبر صحيح فأعلمني به حتى أذهب إليه كوفياً كان أو مصرياً أو شامياً . نقل ذلك البيهقي وابن الجوزي وغيرها .

وقد قال علي بن المديني : اتخذت أحمد إماماً فيما بيني وبين الله تعالى . وقال : إذا أفتاني أحمد بن حنبل لم أبال إذا لقيت ربي كيف كان . ومثال أيضاً : أحمد سيدنا . وقال : حفظ الله أحمد هو اليوم حجة الله على خلقه . وقال أيضاً : أعز الله هذا الدين برجلين لا ثالث لهما ، أبو بكر الصديق يوم الردة ، وأحمد بن حنبل يوم الحنة . وقال أيضاً ما قام أحمد بالاسلام بعد رسول الله ﷺ ما قام أحمد . فقيل له : ولا أبو بكر ، فقال : ولا أبو بكر ، فانه كان له أعوان ولم يكن لأحمد أعوان وأثنى عليه ابن معين ثناء حسناً وكذا الأئمة من أشياخه وأقرانه وغيرهم . وعلى كل حال ، مها قلنا في حقه من الثناء فهو بمض ما قال فيه أئمة الدين من فحول الرجال . فكان يحبي الليل وهو غلام ، وكان يصوم النهار ويمجس الفطر ، ويصلي الى الصباح ويوتر بركمة ، وكان يصلي كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضف صلي مائة وخمسين . قال عبد الله ابن الامام أحمد : لما كبر أبي زاد في الاجتهاد^(١) .

وكان له كرامات ظاهرة منها ما رواه أبو يعلى الحنبلي أن الخليفة المتوكل أرسل الى الامام أحمد صاحباً له يعلمه أن له جارية بها صرع ، ويسأله أن يدعو الله لها بالعافية ، فأخرج الامام أحمد له نمل خشب بشراك من خوص وقال له : تمضي الى دار أمير المؤمنين وتجلس عند رأس الجارية وتقول له :

(١) يريد الاجتهاد في العبادة .

- يعني الجني - قال لك أحمد : أيها أحب اليك أن تخرج من هذه الجارية أو تصفع بهذا النمل سبعين ، ففضى اليه وقال مثل ذلك ، فقال له المارد على لسان الجارية : السمع والطاعة ، ولو أمرنا أحمد ألا نقيم بالمراق ما أقفنا ، لأنه أطاع الله ورسوله ، ومن أطاع الله تعالى أطاعه كل شيء ، وخرج من الجارية ورزقت أولاداً ، فلما مات أحمد عاودها المارد ، فأرسل المتوكل الى أبي بكر المروزي صاحب الامام أحمد وعرفه بالحال ، فأخذ المروزي النمل ومضى الى الجارية . فكلمه المفريت على لسانها : لا أخرج من هذه الجارية ولا أطيعك ولا أقبل منك ، أحمد أطاع الله فأمرنا بطاعته . انتهى . وقد أشار في « الفروع » في صلاة الجماعة الى هذه الحكاية ، ونقلها شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وذكرها في « الفروع » و« الهدى » عن شيخها ابن تيمية روح الله روحه : من مثل ما يقضي المحب . والله أعلم .

ومن منثور كلام الامام أحمد رضي الله عنه ومنظومه :

بادر كل خير هممت به قبل أن يمرض لك عائق . وقال : أشبه الشباب بشيء كان في الكم فسقط . لكل شيء كرم وكرم القلوب الرضى عن الله تعالى . عزيز علي أن تذيب الدنيا أكباد رجال وعت صدورهم القرآن . انور الخير فانك لا تزال بخير ما نويته . وسئل عن الحب في الله فقال : هو أن لا تحبه لدنيا ، وسئل لم لا تصحب الناس ؟ قال : خشية القراق . وسئل بم تلين القلوب ؟ قال : بأكل الحلال . وسئل عن الفتوة فقال : ترك ما يهوى لما يخشى . وسئل بم بلغ القوم المدح ؟ قال : بالصدق .

ومن شعره ما روي أنه دخل عليه أحمد بن يحيى المعروف بشطب - وهو

من أصحابه .. فقال له : فيم تنظر ؟ فقال : في النحر والعمية . فالتفت إليه الإمام
أحمد رضي الله عنه :

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ؛ ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يفتل ساعة	ولا أن ما يخفى عليه يشيب
لهونا عن الأيام حتى تناهت	ذنوب على آثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى	وبأذن في توبتنا فتوب

وفي رواية أخرى أنه قال : ما الذي تطلبه من العلم ؟ فقال : القوافي
والشعر . قال : وددت أني قلت له غير ذلك ، ثم ذكر الأبيات وزاد :

إذا ما مضى القرن الذي أنت فيهم	وخلقت في قرن فأنت غريب
وسمع يوماً يقول :	

تبقى الذاذاة مئّنة نال صفوها	من الحرام ويبقى الإثم والمار
تبقى عواقب سوء من مغبتها	لا خير في لذة من بعدها النار

وقال رضي الله تعالى عنه للإمام علي بن المديني لما أجاب في الهنة وكان
مكرها رحمه الله تعالى :

يا ابن المديني الذي عرضت له	دنيا فجاد بدينه لينالها
ماذا دعاك الى انتحال مقالة	قد كنت تزعم كافرأ من قالها
أمر بدا لك رشده فقبضته	أم زهرة الدنيا أردت نوالها
ولقد عهدتكم مرة متشددا	صعب المقادة التي تدعى لها
إن المرزءاً من يصاب بدينه	لا من يرزءاً ناقة وفصالها

ويروى أن الامام الشافعي كتب للإمام أحمد :

قالوا يزورك أحمد وتزوره	قلت الفضائل لا تفارق منزله
إن زارني بفضله أو زرته	فلفضله فالفضل في الحالين له

عاجبه الامام أحمد ع: ذلك رضي الله عنها :

إن زبرتنا بفضل منك تمنحنا أو نحن زرنا فالفضل الذي فيكما
فلا عهدنا كلا الحالين منك ولا فاك الذي يتمنى فيك شانيكما
ويروى أن الامام أحمد كتب للامام الشافعي رضي الله عنها وهما من أبلغ
اشمروها (١)

إن نختلف نسباً يؤلف بيننا أدب أئمناء مقام للوالد
أو يفترق منا الوصال فوردنا عذب تحدر من إناء واحد

واعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه إنما تزوج بعد الأربعين ، وأول زواجه
عباسة بنت الفضل أم صالح ولم تلد له غيره ، ثم توفيت فتزوج ربحانة أم عبد الله
فأقامت معه سبع سنين فقالت له : كيف رأيت يا ابن عم ؟ قال : ما أنكر عليك
شيئاً إلا نطك تصر ، فباعته واشترت نملا مقطوعا فلبسته . واشترى جارية اسمها
حُسن لما توفيت أم عبد الله فتسرى بها فولدت له زينب والحسن والحسين ومحمداً
وسميذاً .

وكان ابنه صالح يكنى أبا الفضل وهو أكبر أولاده ولد سنة ثلاث
ومائتين ، وكان الامام أحمد يحبه ويكرمه ، وأبلى بالعيال على حداثة سنه فقلّت
روايته عنه على أنه قد روى عنه كثيراً ، وهو أحد نقلة مذهبه ، وقد روى
عن أبي داود الطيالسي وإبراهيم بن الفضل وغيرهما ، روى عنه ابنه زهير
والبنوي وولي قضاء أصبهان ومات بها ، وكان سخيّاً جواداً . ولا ولي أصبهان
وقرىء عهد الخليفة إليه بمحضرة المشايخ جمل يسكي وم يقولون : ما يلدنا إلا
من يحب أبا عبد الله ويميل اليك . فقال : إنما أبكاني أني ذكرت أبي وأنه لا يريد

(١) الصحيح ان البيتين لابي تمام يهولها بن الجهم

أن يراني بهذه الحالة - وكان عليه السواد - ولكن الله يعلم أنني مداخلت في هذا الأمر إلا لـدين غلبي ، وكثرة عيال أحمد . وكان إذا خلا نزع سواده ويقول : تراني أموت وأنا هكذا ؟ . وتوفي في شهر رمضان سنة خمسين ومائتين بأصبهان .

وأما عبد الله بن الامام أحمد - وبه كان يكنى وكنيته أبو عبد الرحمن - فهو أروى الناس عن أبيه وسمع معظم تصانيفه وحديثه ، وسمع من عبد الأعلى ابن حماد وكامل بن طلحة وغيرهم ، وكان إماماً حافظاً وشهد له بذلك أبوه ، ولما دنت وفاته قيل له : أين تحب أن تدفن ؟ فقال : صح عندي أن بالقطيعة نبياً مدفوناً ، ولأن أكون في جوار نبي أحب إلي من أن أكون في جوار أبي . توفي عبد الله رضي الله عنه يوم الأحد لتسع بقيت من جمادى الآخرة سنة تسعين ومائتين ، ودفن آخر النهار وصلى عليه زهير ابن أخيه صالح ، وكان له جمع عظيم .

وأما سعيد بن الامام أحمد ؛ فقال حنبل بن اسحق : ولد سعيد قبل موت الامام أحمد بنحو من خمسين يوماً . ويروى أنه ولي قضاء الكوفة .
وأما بقية أولاده فلا يعرف من أخبارهم شيء . نعم لابنته زينب حديث في باب ورعه . وروي أن الامام أحمد كان يضربها على الحن وينهرها .

واعلم أن الامام أحمد رضي الله عنه ولد ببغداد ونشأ بها وطلب العلم والحديث من شيوخها ثم أخذ في الرحلة ، وقال أبو عفيف : كان أحمد بن حنبل معنا في الكتاب وهو غلّيم يُعرف فضله وكان الخليفة بالبرقة فيكتب الناس إلى منازلهم فبثت نساؤهم إلى المعلم : ابنت الينا بأحمد ليكتب اليهم جواب كتبهم فيعته فيجيب . إلين مطأطأ الرأس فيكتب الجواب فرجما أمليين عليه شيئاً من

المنكر فلا يكتبه لمن . ولما ابتداء في طلب العلم كان عمره ست عشرة سنة و كان ابتداء طلبه من شيوخ بغداد سنة تسع وسبعين ومائة ، ثم رحل الى البلاد النائية والدانية فكتب عن علماء كل بلد . وقال الامام أحمد : أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف ، ومات هشيم وأنا ابن عشرين سنة ، وأول سماعي منه سنة تسع وسبعين ومائة ، فجاء رجل فقال : مات حماد ابن زيد ، ومات مالك بن أنس تلك السنة . وكنا عند عبد الرزاق باليمن فجاءنا موت سفيان بن عيينة وعبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن سعيد سنة ثمان وتسعين ومائة . وقال : أتيت ابن المبارك فقالوا : خرج الى طرسوس وتوفي بها سنة إحدى وثمانين . وقال : خرجت الى سفيان ابن عيينة سنة سبع وثمانين فقدمنا عليه وقد مات الفضيل بن عياض وهي أول سنة حججت ، وكتبت عن إبراهيم بن سعد وصليت خلفه غير مرة ، وخرج بعض أصحابنا الى الري الى جرير بن عبد الحميد ولم أخرج ، وخرجت الى الكوفة ثم رجعت الى أمي ولم أكن استأذنها قال : وكنت ربما أردت البكور الى الحديث فتأخذ أمي بشيبي وتقول : حتى يؤذن الناس أو حتى يصبحوا ، وكنت ربما بكرت الى مجلس أبي بكر بن عياش وغيره . وقال : دخلت عبادان سنة ست وثمانين ، ورحلت الى المعتمر تلك السنة - قال - وكنت مقبلاً على يحيى بن سعيد القطان ثم خرجت الى واسط فسأل يحيى عني فقالوا : خرج الى واسط فقال : وما يصنع بها ؟ قالوا : مقيم على يزيد بن هارون ، قال : وما يصنع به يزيد ؟ إنه أعلم منه ، وقال : دخلت البصرة خمساً ، أول رجب سنة ست وثمانين ومائة سمعت من المعتمر بن سليمان ، ثم دخلتها سنة تسعين ، وأربع وتسعين وقد مات غندر ، فأقمت على يحيى بن سعيد ستة أشهر ، ودخلت سنة مائتين .

ثم إن الامام أحمد رضي الله عنه أخذ في التحديث . القوي واقصيه .

وكان قد أفتى وهو شاب وحدث ، وروى سنة وتسعين ومائة ثمان بمسجد الخيف يعلم أصحاب الحديث الفقه ، ويقفي الناس في المناسك وابن عيينة حي . قال الامام الحافظ ابن الجوزي : إلا أنه لم يتصدر لذلك إلا وهو ابن أربعين . واستدل بقول حجاج ابن الشاعر : سألت أحمد أن يحدثني سنة ثلاث ومائتين فأبى ، ثم رجعت سنة أربع فوجدته يحدث وكان له أربعون سنة ، وكان يجتمع في مجلسه زهاء خمسة آلاف أو يزيدون ؛ أقل من خمسمائة يكتبون عنه والباقي يطمعون منه حسن الأدب وحسن السمعت .

وشرع رضي الله عنه في التصنيف في الحديث . قال الاثمة : مصنفات الامام أحمد كلها في المتقول . فصنف « المسند » ثلاثون ألف حديث سوى المكرر والمكرر عشرة آلاف حديث ، ولابنه عبد الله فيه زوائد نحو عشرة آلاف ، وقال لابنه عبد الله : احتفظ به فسيكون للناس إماماً . وقال : جمعت هذا الكتاب وانتقيته من سبعمائة ألف وخمسمائة ، فما اختلف المسلمون فيه من حديث فارجعوا اليه : فإن وجدتموه فيه وإلا فليس بحجة وقد تلقته الاثمة بالقبول . قال علماء الحديث منهم المراقي . أما وجود الضعيف فيه فمحقق ، بل قيل : إن فيه أحاديث موضوعة . ولابنه فيه زيادات فيها الضعيف وغير الثابت . انتهى .

وقد ألف الحافظ ابن حجر المسقلاني كتابه « القول المسدد في الذب عن مسند الامام أحمد » وقال عنه : ذابا عن هذا التصنيف العظيم الذي تلقته الامة بالقبول والتكريم وجعله إمامهم حجة يرجع اليه ويمول عند الاختلاف عليه ، ثم سرد الاحاديث التي ذكرها المراقي وهي تسعة ، وأضاف اليها خمسة عشر حديثاً أوردها ابن الجوزي في الموضوعات ، وأجاب عنها حديثاً حديثاً وقال : ليس في « المسند » حديث واحد لا أصل له إلا ثلاثة أو أربعة ، حديث ابن عوف

أنه يدخل الجنة زحفاً ، والاعتذار عنه أنه أمر بالضرب عليه فترك سهواً ، أو ضرب عليه وكتب من تحت الضرب . انتهى .

ومن تصانيفه « التفسير » وهو مائة ألف حديث وعشرون ألفاً و « الزهد » وقد انتقيت منه أجزاء . ومن تصانيفه « الناسخ والمنسوخ » ومنها « التاريخ » و « حديث شعبية » و « المقدم والمؤخر في القرآن » و « جوابات القرآن » و « المناسك الكبير والصغير » وأشياء أخر .

ومناقب الامام أحمد ومحتته وما قاسى من المأمون والمنصم والوائق معلومة مفردة بالتأليف ، ومناقبه كثيرة ومزاياه شهيرة ، فنها أنه أحاط بالسنة ، ومنها أنه انتهى إليه الحفظ ، وكل محفوظ حافظ من بعض محفوظاته ، ومنها أنه أجاب على ستين ألف قضية بـ (حدثنا) و (أخبرنا) عن ظهر قلبه الى غير ذلك مما امتاز به واخص دون سائر الأمة والأئمة بوصفه به .

. . .

ولما استكملت له سبع وسبعون سنة ودخل في الثامنة حُمِّ . فان الامام أحمد رضي الله عنه ولد في شهر ربيع الاول سنة أربع وستين ومائة ، ثم حُمِّ في أول يوم من شهر ربيع الاول سنة إحدى وأربعين ومائتين . قال ابنه صالح : فدخلت عليه وهو محموم فتنفس تنفساً شديداً فقلت : علام أفطرت البارحة ؟ فقال : على باقلاء . ثم أراد القيام فقال : خذ يدي . فأخذت يده فلما صار إلى الخلاء ضعفت رجلاه حتى توكأ عليّ ، وكان يختلف عليه غير متعطب فبال دماً عيطاً ، فقال الطبيب : هذا رجل فت الحزن كبده والغم جوفه . واستأذنه ابنه في إدخال الناس عليه للميادة فأذن ، فجعل الناس يدخلون عليه أفواجا ، ثم أمر ولده فكفر عنه كفارة يمين ، وعرض ابنه عليه وصيته وفيها :

هذا ما أوصى أحمد بن محمد بن حنبل ؛ أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأوصى من أطاعه من أهله وأقاربه أن يعبدوا الله في العابدین ، وأن يحمّدوه في الحامدين ، وأن ينصحبوا الجماعة المسلمين ، وأوصى أني رضى بالله عزّ وجل رباً وبالاسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً .. الى آخر الوصية .

فلما اشتد به المرض كثر الناس عليه حتى ملؤوا السكك والشوارع ، فمِن السلاطان من يمنع عنه خشية الاضرار به ، وزاد الناس كثرة في الأسواق والطرقات حتى تعطل على كثير من الناس بيهم وشراؤهم ، وجاءه رسول الأمير بأنه يريد أن يراك فقال : إن أمير المؤمنين قد أعفاني ما أكره .

فلما كان قبيل وفاته جمع الصبيان وجعل يسبهم ويمسح برؤوسهم وعينه تدمع . وكان يصلي وهو قاعد وربما صلى وهو مضطجع ، ولا يكاد يفتّر ، فلما كانت ليلة الجمعة ثقل مرضه ، ثم إن الناس ملأوا السكك .

فلما كان صدر نهار الجمعة قبض رضى الله عنه ، فصاح الناس وعلت أصواتهم بالبكاء حتى كأن الدنيا قد ارتجت ، وقعد الناس حتى خشي فوت الجمعة ، فصاح أهله بالناس إنما نخرجه بعد الجمعة .

وكان عنده ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ فأوصى أن تجعل شعرتان في عينيه وشعرة فوق لسانه ، ففعل به ذلك .

فكان تاريخ موته يوم الجمعة في شهر ربيع الاول لاثني عشرة ليلة خلت منه ، سنة احدى وأربعين ومائتين ، وأخرجت جنازته بعد انصراف الناس من الجمعة ، وكان أمير المؤمنين المتوكل غائباً عن البلد ، فوجه الأمير ابن طاهر بمناديل فيها ثياب وطيب ، فقال رسوله : الأمير يقرئكم السلام ويقول : قد

فلط ما لو كان أمير المؤمنين حاضره لكان يفعله ، فأرسل اليه والده : إن أمير المؤمنين قد كان أعفاه ما يكره وهذا ما يكره ، فماد اليه الرسول فأخبره . وكفن الامام في ثلاث لغائف وغسله المروزي ، ولما أراد تكفينه دخل عليه بنو هاشم وأخذوا في البكاء ، وجعل أولادهم يشكبون عليه ويقبلونه ، وحضره نحو من مائة من بني هاشم .

وصلى عليه جمع لم تعد كثرت في الاسلام ، فقد حزر بمائة ألف ألف ، وعلى السور نحو ستين ألفاً ، وقيل : إن المتوكل أمر أن يمسح الموقف الذي وقف الناس فيه للصلاة على الامام أحمد ، فبلغ مقام النبي ألف وخمسمائة ألف سوى ما كان في السفن . وكان الامام أحمد يقول : قولوا لأهل البدع بيتنا وبينكم يوم الجنائز . ووقع المآتم يوم موته عند أربعة أصناف : المسلمين واليهود والنصارى والمجوس ، وأسلم منهم في ذلك اليوم عشرون ألفاً ، وناحت الجن عليه وهتفت المواتف بموته . قال أبو زرعة : كان يقال عندنا بخراسان : الجن نمت أحمد بن حنبل قبل موته بأربعين يوماً ، وسموا قائلاً يقول : مات رجل بالمرأق ، فذهبت الجن كلها تصلي عليه إلا المردة .



وقد رثاه جماعة من الأئمة الأعلام بقصائد كثيرة جداً ، منها ما قاله أبو محمد جعفر بن أحمد بن حسين السراج البغدادي رحمه الله تعالى .

سقى الله قبراً حل فيه ابن حنبلٍ	من الغيث وسما على إثره ولي
على أن دمي فيه ريّ عظامه	إذا فاض ما لم يبيل منه وما بلي
فله رب الناس مذهب أحمد	فان عليه ما حيت معولي
دعوه إلى خلق القرآن كما دعوا	سواء فلم يسمع ولم يتأول

ولا رده ضرب السياط وسجنه
ولما يزدحم والسياط تنوشه
على قوله : القرآن وليشهد الورى
فمن مبلغ أصحابه أني به
وألقى به الزهاد كل مطلق
لقد عاش في الدنيا حيداً موقفاً
وإني لأرجو أن يكون شفيع من
ومن حدث قد نور الله قلبه
وقال اسماعيل الترمذي في قصيدة له في حياة الامام أحمد وأنشده
ياها . وهي :

إذا ميز الأشياء يوماً وحصلوا
رقيق أديم الوجه حلو مذهب
أبي إذا ما خاف ضميم مؤمر
لمرك ما يهوى لأحمد نكبة
هو الحنة اليوم الذي يتلى به
شجى في حلوق الملحين وقرة
جرى سابقاً في حلبة الصدق والتقى
إذا افتخر الأقوام يوماً بسيد
فقل للآلى يشنونه لصالحه
جلبتم فداء أجمعين لنمله
أريحانة القراء تبثون عسره
فيا أيها الساعي لبترك شأوه

وأحمر من بين المشايخ جوهر
إلى كل ذي تقوى وقور موقر
ومر إذا ما خاشنوه مذكر
من الناس إلا ناقص العقل مغرور
فيعتبر السنيّ فينا ويُسبر
لأعين أهل النسك عف مشمر
كما سبق الطرف الجواد المضمر
ففيه لنا - والحمد لله - مفخر
وصحته : والله بالمدرك يذر
فانكم منها أذل وأحقر
وكلكم من جيفة الكلب أقدر
رويدك عن إدراكه ستقصير

تمسك بالعلم الذي كان قد وعى ولم يله عنه الخبيص المزعفر
ولا بغلة هملاجة مغربية ولا حلة تطوى سراراً وتنشر
ولا منزل بالساج والكلس متقن ينقش فيه حصه ويصور
ولا أمة براقعة الجيد بضة بمنطقها تصمي الحليم وتسحر
حمى نفسه الدنيا وقد سنحت له فمنزله إلا من القوت مقفر
فان يك في الدنيا مقللاً فانه من الأدب الحمود والعلم مكثر

وقال أبو مزاحم الخاقاني رحمه الله تعالى :

لقد صار في الآفاق أجمد محنة وأمر الورى فيها فليس بمشكل
ترى ذا الهوى جهلاً لأحمد مبغضاً ويُعرف ذو التقوى بحب ابن حنبل
ومما ينسب للإمام الشافعي - والمشهور انها لابن أعين - موبخاً لأهل
البدع :

أضحى ابن حنبل حجة مبرورة وبحب أحمد يعرف المتنسك
وإذا رأيت لأحمد متنعصاً فاعلم بأن ستوره ستينك
وقد قيل فيه من الشر ما لا يسعني ذكره وبالله التوفيق

★ ★ ★

المقصد الثاني

في ترجمة غرر أكثر الثلاثيات من المسند

وهو الامام العلامة المحدث الحافظ المتقن محب الدين اسماعيل بن عمر بن
أبي بكر المقدسي ، أبو اسحق وأبو القاسم وأبو الفضل ، سمع بدمشق من أبي
اليمن الكندي وغيره ، وبمصر من البوصيري ومن الحافظ عبد الغني ، ويغداد من

ابن (١) الأخرى وطبقته ، وبأصحابه من أبي عبد الله محمد بن مكي وأبي بكر أحمد بن عبد الله الحافى وطبقتهما من أصحاب الرستمي ومسعود الثقفي ، وكانت رحلته مع الضياء بعد الستمائة ، وعني بالحديث وقرأ .

قال الحافظ ابن رجب في الطبقات : ووصفه جماعة بالحافظ ، وتفقه وحدث وتوفي ثامن عشر شوال سنة ثلاث عشرة وستمائة .

قال الحافظ ابن رجب : وأظنه كان شاباً ، والله تعالى الموفق .



المقصد الثالث

في ترجمة الامام الحافظ الضياء رضي الله عنه :

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن بن اسماعيل ابن منصور السعدي المقدسي الصالح الحافظ الكبير ضياء الدين ابن أبي أحمد محدث عصره ووحيد دهره ، وشهرته تفني عن الاطناب في ذكره والاسهاب في أمره .

ولد رضي الله عنه في خامس جمادى الآخرة سنة تسع وستين وخمسمائة . قال الحافظ ابن رجب في طبقاته : كذا وجدته بخطه . وقال ابن النجار : سألته عن مولده فقال : في جمادى الاولى من السنة . وسمع بدمشق من أبي المجد البانياسي والخضر بن هبة الله بن طاووس وأحمد بن الموازيني وغيرهم ، وسمع بمصر من البوصيري وفاطمة بنت سعد الخير وجماعة ، وسمع ببغداد الكثير من ابن الجوزي وابن المعطوس وابن سكينه وابن الأخرى وطبقتهم ، وسمع من أبي

(١) في الاصل « ومن بغداد ابن » وهو خطأ من النسخ .

جعفر الصيدلاني وطبقته بأصبهان ، ومن عبد الباقي بن عثمان همدان ، ومن المؤيد الطوسي وطبقته بنيسابور ، ومن أبي روح بهراة ، ومن أبي المظفر بن السمعاني بمرورحل مرتين الى أصفهان وسمع بها ما لا يوصف كثرة ، وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وغيرها ، ويقال : إنه كتب عن أزيد من خمسمائة شيخ ، وحصل أصولاً كثيرة وأقام بهراة ومرو مسدة ، وله إجازة من السلفي وشهده .

قال ابن النجار : كتب عنه بيفداد ونيسابور ودمشق ، وهو حافظ متقن ثبت ثقة صدوق نبيل حجة عالم بالحديث وأحوال الرجال له مجموعات وتخریجات .

وهو ورع تقى زاهد عابد محتاط في أكل الحلال مجاهد في سبيل الله ، ثم قال ابن النجار : ولعمري ما رأيت عينا في مثله في نزاهته وعفته وحسن طريقته في طلب العلم .

وقال عمر بن الحاجب : شيخنا أبو عبد الله شيخ وقته ونسبج وحده علماً وحفظاً وثقة وديناً ، من العلماء الربانيين — قال — وهو أكبر من أن يدل عليه مثلي ، كان شديد التحرير في الرواية مجتهداً في العبادة كثير الذكر منقطعاً عن الناس متواضعاً في ذات الله سهل المريكة ؛ رأيت جماعة من المحدثين ذكروه فأطنبوا في حقه ومدحوه بالحفظ والزهد ، سألت الزكي البرزالي عنه فقال : ثقة جليل حافظ دين ، وقال ابن النجار ، وذكر بعض كلامه المتقدم .

وقال الشرف ابن النابلسي : ما رأيت مثل شيخنا الضياء .

وقتل الذهبي عن الحافظ المزي أنه كان يقول : الضياء أعلم بالحديث والرجال من الحافظ عبد النبي ولم يكن في وقته مثله .

وقال الذهبي في ترجمته : الامام المالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ

السنة ضياء الدين ، سنن وصحيح ولين وجرح وعدل ، وكان الرجوع اليه في هذا الشأن .

وقال الشريف أبو العباس الحسيني : ^{محدث} بالكثير مدة وخرج تحاريف كثيرة مفيدة وصنف تصانيف حسنة ، وكان أحد أئمة هذا الشأن ، عارفاً بالرجال وأحوالهم والحديث وسقيمه وصحيحه ، ورعاً متديناً طارحاً للتكليف .

وقال الذهبي : الضياء بن مدرسته على باب الجامع المظفري بسفح قاسيون وأعانه عليها بمض أهل الخير ووقف عليها كتبه وأجزائه . وقال غيره : بناها لمحدثين والفرباء الواردين مع الفقر والقلّة ، وكان يبيّن فيها جانباً ويصبر إلى أن يجتمع معه ما يبيّن به ، ويعمل فيها بنفسه ولم يقبل من أحد فيها شيئاً تورعاً ، وكان ملازماً لجبل الصالحية قبل أن يدخل البلد أو يحدث به ، ومناقبه أكثر من أن تحصر ، قاله الحافظ ابن رجب ، وقال : إنما أشرت إلى نبذة منها ، ثم ذكر من تصانيفه :

كتاب « الأحاديث المختارة » ، وهي الأحاديث التي يصلح أن يحتج بها سوى ما في « الصحيحين » ، خرجها من مسموعاته ، كتب منها تسعين جزءاً ولم تكمل . قال بمض الأئمة : هي خير من « صحيح الحاكم » . قلت : رأيت لشيخ الاسلام ابن تيمية كلاماً في الثناء عليها وأنها خير من « صحيح الحاكم » ، و « ابن حبان » .

كتاب « فضائل الأعمال » ، مجلد . كتاب « فضائل الشام » ، مجلد . كتاب « مناقب أصحاب الحديث » ، أربعة أجزاء . « صفة الجنة » ، ثلاثة أجزاء . « صفة النار » ، جزءان . « أفراد الصحيح وغرائب » ، تسعة أجزاء . « دم المسكر » ، جزء . « فضائل القرآن » ، جزء . « الرواة عن البخاري » ، جزء . « دلائل النبوة والالهيات » ، ثلاثة أجزاء . « فضائل الجهاد » ، جزء . « النهي عن سب الأصحاب » ، جزء . « الحكايات المستطرفات » ، أجزاء كثيرة فيها أحاديث مخرجة . كتاب « سبب هجرة المقدسة

الى دمشق وكرامات مشايخهم ، نحو عشرة أجزاء ، وأفرد لأكابرهم من العلماء لكل واحد سيرة في أجزاء كثيرة « أطراف الموضوعات لابن الجوزي ، في جزئين » تحرير الفيسة ، جزء « الموقف والاقتصاص » جزء « الاستدراك على الحافظ عبد الغني في عزوه أحاديث في دور الأثر » جزء « الاستدراك على المشايخ النبيل لابن عساكر » جزء ، كتاب « الارشاد الى بيان ما أشكل من المرسل في الاسناد » جزء كبير ، فيه فوائد جلية . « الموافقات » جزء . « طرق حديث الخوض النبوي » جزء . « أحاديث الحرف والصوت » جزء « الأمر باتباع السنن واجتناب البدع » جزء « مسند فضالة بن عبيد » جزء . كتاب « الأمراض والكفارات والطب والرقيات » وغير ذلك .

قال الحافظ ابن رجب : روى عنه ابن نقطة في استدراكه فقال : حدثنا محمد عبد الواحد الحنبلي بالجيل ظاهر دمشق ، وابن النجار في تاريخه ، والبرزالي وعمر بن الحاجب ، وعمر بن الفخر البخاري ، والقاضي تقي الدين سليمان بن الفراء ، والنجم الشقراوي ، وإسماعيل بن الحجاز ، والحسن ابن الخلال ، والدشتي ، وأبو بكر بن عبد الدائم ، وعيسى المطعم وخلق كثير غير من ذكر . قال الحافظ ابن رجب ، توفي الحافظ الضياء يوم الاثنين ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وستمائة بسفح قاسيون ودفن به . انتهى .

وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في « طبقات الحفاظ » فقال : الامام العالم الحافظ الحجة محدث الشام شيخ السنة ضياء الدين ، ثم قال : رحل وصنف وصحح ولين وجرح وعدل وكان المرجوع اليه في هذا الشأن جبلاً ثقة دينا زاهدا ورعا ، ثم ذكر تاريخ وفاته كمولده على النحو الذي ذكرناه رحمه الله ورضي عنه آمين .

اخلافة

في ذكر أشياء مناسبة لما نحن بصدده ، منها :

الحديث الثلاثي : ما كان بين المخرج للحديث وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة ؛ صحابي وتابعي وتابع تابعي ، وحينئذ تجتمع في الاسناد من أفراد الثلاثة قرون المفضلة في الأخبار الواردة عن النبي ﷺ .

ومنها : ذكر فضل هذه الثلاثة قرون ، وأفضلها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، وكان ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصاً صافياً ، فكان سندهم عن نبيهم ﷺ عن جبريل عن رب العالمين سنداً صحيحاً عالياً ، فآلقوا ذلك الى التابعين وقالوا : هذا عهد نبينا الينا وقد عهدناه إليكم ، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا ، وهي وصيته وفرضه عليكم . فجرى التابعون لهم باحسان على منهاجهم القويم واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم . ثم سلك تابعوا التابعين هذا المسلك الرشيد ، وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد . ثم القرن الرابع وم الأئمة المعبرون ، فقد روى الشيخان في « صحيحهما » وغيرها من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة - ثم إن بعدهم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن) رواه الترمذي ولفظه : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ، ثم يأتي من بعدهم قوم يتسمنون ويحبون السمن يعطون الشهادة قبل أن يسألوها) ورواه أبو داود ولفظه قال ﷺ : (خير أمتي القرن الذي يموت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - والله أعلم أذكر الثالث أم لا -) الحديث . ورواه النسائي ولفظه :

(خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - فلا أدري أذكر قرنين بعده أو ثلاثة - ...) وذكر نحو ما تقدم . وأخرج البخاري ومسلم أيضاً من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيي قوم أسبق شهادة أحدهم بيمينه ويمينه شهادته) ورواه الترمذي أيضاً وقال : حسن صحيح ، وأخرج مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (خير امتي القرن الذي بعث فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم والله أعلم أذكر الثالث أم لا ، قال : ثم يخلف قوم يحبون السهانة يشهدون قبل أن يستشهدوا) وأخرج مسلم أيضاً من حديث عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها قالت سألت رسول الله ﷺ أي الناس خير ؟ قال : (القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث) قال الامام الحق ابن القيم في صدر كتابه (أعلام الموقعين) : ثم جاء الأئمة من القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين كما ثبت من حديث أبي سعيد وابن مسعود وأبي هريرة وغيرهم رضي الله عنهم . ولفظ حديث أبي سعيد في «الصحيحين» قال : قال رسول الله ﷺ : (يأتي على الناس زمان فيغزو فيثام^(١) من الناس فيقولون : هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون : نعم ، فيفتح ، ثم ذكر من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ثم من صاحب من أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي رواية لمسلم وذكر الحديث وفيه : « ثم يكون بث رابع ، فكان سيدنا الامام أحمد كالشافعي والبخاري ، وكذا مسلم من القرن الرابع المفضل . وفيه وجد أكثر الأئمة وسراة الأمة وهم الذين نهجوا المذاهب وتقبوا عن المناقب والمثالب ، فمن بدم عيلة عليهم ومنتسبون في العلم والعمل إليهم .

قال أهل العلم : قرن النبي ﷺ هم أصحابه وكانت مدتهم من المبعث الى

(١) الغنام : الجماعة من الناس .

آخر من مات من أصحابه مائة وعشرين سنة ، وقرن التابعين من نحو مائة إلى سبعين سنة ، وقرن أتباع التابعين من ثم إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ، ورفعت الفلاسفة (١) رؤوسها ، وامتنع أهل العلم ايقولوا بخلق القرآن . وكان إمام أهل السنة ومن عليه النظر واليه الإشارة من بين جماعاتهم سيدنا الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، فقام بأمر الاسلام أتم قيام ، ونصر سنة سيد الأنام ، وقمع البدع وعيب أهلها ووقف شجراً في حلقهم ومنصاً في قلوبهم وسدورهم فردم بنيظهم خاسئين لم ينالوا ما طلبوا واقتلبوا على أعقابهم صاغرين .

ومنها أن الصحابة رضي الله عنهم أفضل من التابعين ، والتابعين أفضل من أتباع التابعين ، لكن هذه الافضلية بالنسبة الى المجموع أو الأفراد ، محل بحث ، والى الثاني نحا الجمهور والاثول قول ابن عبد البر ، والذي يظهر أن من قاتل مع النبي ﷺ أو في زمانه أو أفق شيئاً من ماله بسببه لا يعدله أحد في الفضل بمده كائناً من كان ، وأما من لم يقع له ذلك فهو محل البحث . والذي استقر عليه كلام العلماء فضل كل فرد من الصحابة على من سواه لأن الصحابة لا يبادلها شيء ، وأما غير الصحابة فمن حيث الجملة والله أعلم .

ومنها أن الصحابة رضوان الله عليهم جميعهم عدول بتعديل الله عز وجل ورسوله ﷺ فلا يحتاجون الى بحث عن عدالتهم ، وعلى هذا القول معظم المسلمين من الأئمة والعلماء من السلف والخلف ، ولا يلتفت الى قول المعتزلة وسلف القدريّة وغلاة الرافضة وشبههم ممن له جرأة على السلف ، وهذا من قلة الدين وعدم المبالاة بالسلف رضوان الله عليهم . قال أئمة السنة : وما جرى بينهم كان مبنياً على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب ، أو المصيب واحد مثاب والمخطيء معذور لا ترد شهادته . ولا ريب أن الصحابة من حيث الوضع تنطلق على من صحب

(١) في الاصل الفلاسفة ، تصحيف .

النبي ﷺ ولو ساعة وإن كان العرف يخص الاسم بمن كثرت صحبته ، ولا حد لتلك الكثرة بتقدير بل بتقريب ، والذي استقر عليه كلام العلماء أن كل من حصل له اجتماع بالنبي ﷺ وهو مؤمن به ومات على ذلك ولو تخلل إيمانه ردة . وأما من جاء بعد الصحابة فالكلام فيهم يطول ، ولا يخلو قوم من عدالة أو فسق ، والعدالة قليلة ، وأسباب الفسق كثيرة ، فكل من عري من شرط من شروط الرواية أو الشهادة فهو مجروح لا تقبل روايته . وطبقات المجروحين كثيرة ، أخبرنا الكذب . والجرح وصف متى التحق بالراوي والشاهد سقط الاعتبار بقوله وبطل العمل به ، والتعديل وصف متى التحق بها اعتبر قولها وأخذ به ، ثم التزكية والجرح هل يشترط فيها عدد المزكي والجرح أم لا ؟ فيه خلاف .

قال قوم : يشترط في الشهادة دون الرواية ، وهذا الصحيح ؛ لأن الرواية نفسها تثبت بالواحد ؛ فكان جرحها وتزكيتهما أولى ، لكن يجب ذكر سبب الجرح دون التعديل للراوي ؛ لأن الامام قد يجرح بما لا يراه غيره جارحاً لاختلاف المذاهب فيه .

وأما المدالة ، فليس لها سبب واحد فيفتقر الى ذكره . وإذا تعارض جرح وتعديل ؛ قدم الجرح ، لأن مع الجرح زيادة وصف ما اطلع عليها المعدل ولا نقاها ، فإن نقاها بطلت عدالة المزكي ، وهذا علم واسع ، وبالله التوفيق .

ومنها : الفرق بين الشهادة والرواية ، فالشهادة يستبر لها المدد والذكورية ، والرواية تصح من الواحد والمرأة .

فإن الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الفرق أن الرواية يعم حكمها الراوي وغيره على عمر الأزمان ، والشهادة تخص المشهود عليه وله ، ولا تتمدها إلا بطريق التبعية المحضة ، فالزام الميعن بتوقع منه المداوة والتهمة الموجبة

للرد ؛ فاحتيط لها بالعدد والذكورية ، وردت بالقراءة والمدواة وبطرق التهم ،
ويبعد مثل هذا في الرواية التي يعم حكمها ولا يخص ؛ فلم يشترط فيها عدد
ولا ذكورية ، بل اشترط فيها ما يكون متنبأ على الظن صدق الخبر ، وهو
المدالة المانعة من الكذب ، واليقظة المانعة من غلبة السهو والتخليط . ولما كان
النساء ناقصات عقل ودين ؛ لم يكن من أهل الشهادة ، فاذا دعت الحاجة الى
ذلك ؛ قويت المرأة بمثلها ، لانه يبعد سهوها (١) وغلطها ، لتذكير صاحبها .
وأما اشتراط الحرية في الشهادة ؛ ففي غاية البعد ، ولا دليل عليه من
كتاب ولا سنة ولا إجماع .

وقد حكى الامام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال :
ما علمت أحداً رد شهادة المبد ، والله تعالى يقبل شهادته على الامم يوم القيامة ؛
فكيف لا تقبل شهادته على نظيره من المكافين ! وتقبل شهادته على الرسول ﷺ
في الرواية ؛ فكيف لا تقبل على رجل في رزم ؛ ولا ينتقض هذا بالمرأة ؛ لأنها
تقبل شهادتها مع مثلها لما ذكرناه ، والمانع من قبول شهادتها وحدها منتف في
المبد ، والله تعالى أعلم .

ومنها : الخبر إن كان عن حكم عام يتعلق بالامة ؛ فلما أن يكون مستنده
السامع فهو الرواية ، وإن كان مستنده الفهم من المسموع فهو الفتوى ، وإن كان
خبراً جزئياً يتعلق بمعين مستنده المشاهدة أو العلم فهو الشهادة ، وإن كان خبراً
عن حق يتعلق بالخبر عنه والخبر به ، هو يستحقه أو نائبه فهو الدعوى ، وإن كان خبراً
عن تصديق هذا الخبر فهو الاقرار ، وإن كان خبراً عن كذبه فهو الانكار ، وإن
كان خبراً أنشأ عن دليل ؛ فهو النتيجة ، ويسمى قبل أن يحسم عليه الدليل مطالباً ،
وإن كان خبراً عن شيء تقصد منه نتيجه فهو دليل ، وجزؤه مقدمة كما في البدائع .

(١) في الاصل : لسوها .

ومنها : اعلم أن الامام احمد رضي الله عنه ، أسس مذهبه وبناءه على خمسة أصول :

أحدها : النصوص ، فإذا وجد النص قال بموجبه ، ولم يلتفت الى ماخالفه كائناً من كان ، ولهذا لم يلتفت الى خلاف عمر في المبتوتة ؛ لصحة حديث فاطمة بنت قيس ، ولا الى خلافه في التيمم للجنب ؛ لحديث عمار بن ياسر ، ولا الى خلافه في استدامة الحرم الطيب الذي تطيب به قبل إحرامه ؛ لصحة حديث عائشة في ذلك ، ولا الى خلافه في منع المفرد والقارن من الفسخ الى التمتع ؛ لصحة أحاديث الفسخ ، وكذلك لم يلتفت الى قول علي وعثمان وطلحة وأبي أيوب وأبي بن كعب رضي الله عنهم في ترك الفصل من الاكسال^(١) ؛ لصحة حديث عائشة ، وأنها فملته هي ورسول الله ﷺ فاغتسلا ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس واحدى الروايتين عن علي رضي الله عنهم أن عدة المتوفى عنها الحامل أقصى الأجلين ؛ لصحة حديث سبيعة الأسلمية ، ولا الى قول معاذ ومعاوية رضي الله عنها في توريث المسلم من الكافر ؛ لصحة الحديث المانع من التوارث بينها ، ولم يلتفت الى قول ابن عباس رضي الله عنها في الصرف ، لصحة الحديث بخلافه ، ولا الى قوله بإباحة لحوم الجمر لذلك ، وهذا كثير جداً . فلم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملاً ولا رأياً ولا قياساً ، ولا قول صاحب ، ولا عدم علمه بالخالفه الذي يسميه كثير من الناس إجماعاً ، ويقدمونه على الحديث الصحيح . وقد كذب الامام أحمد من ادعى هذا الاجماع ، ولم يسوغ تقديمه على الحديث الثابت . وكذلك الامام الشافعي أيضاً نص في « رسالته » الجديدة على ما لا يعلم فيه خلاف : لا يقال له إجماع ، ولفظه : ما لا يعلم فيه خلاف فليس إجماعاً . وقال عبد الله بن الامام أحمد عن مثل هذا : سمعت أبي يقول :

(١) الاكسال : من أكسل في الجماع اذا خالطها ولم ينزل ، او عزل .

ما يدعي فيه الرجل الاجماع فهو كذب ، ومن ادعى الاجماع فهو كاذب ، لعل الناس اختلفوا ، ما يدريه ولم ينته إليه ؟ ^{فيمقل} : لا نعلم الناس اختلفوا ، هذه دعوى بشر المريسي والأسم ، ولكن يقول : لا نعلم الناس اختلفوا ، ولم ييلقي ذلك ، هذا لفظه . ونصوص رسول الله ﷺ أجل عند الامام أحمد ، وسائر أئمة الحديث من أن يقدموا عليها توم إجماع مضمونه عدم العلم بالخلاف ، ولو ساغ هذا لتمطلت النصوص ، وساغ لكل من لم يعلم مخالفاً في حكم المسألة أن يقدم جهله بالخلاف على النصوص . فهذا هو الذي أنكره الامام أحمد والشافعي من دعوى الاجماع ، لا ما يظنه بعض الناس أنه استبعاد لوجود إجماع ، كما في صدر « أعلام الموقعين » للامام ابن القيم .

الثاني : ما أتفق به الصحابة رضي الله عنهم ، فإنه إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف له مخالف منهم فيها ، لم يمدّها الى غيرها ، ولم يقل : إن ذلك إجماع ، بل من ورعه في العبارة يقول : لا أعلم شيئاً يدفعه أو نحو هذا ، كما في رواية أبي طالب : لا أعلم شيئاً يدفع قول ابن عباس وابن عمر وأحد عشر من التابعين : عطاء ومجاهد وأهل المدينة على تسري العبد . وهكذا قال أنس رضي الله عنه : لا أعلم أحداً رد شهادة العبد ، كما حكاه عنه الامام أحمد ، وإذا وجد الامام أحمد هذا النوع عن الصحابة ؛ لم يقدم عليه عملاً ولا رأياً ولا قياساً .

الثالث : إذا اختلف الصحابة رضي الله عنهم في مسألة تخير من أقوالهم ما كان أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فإن لم يتبين له موافقة أحد الأقوال ، حكى الخلاف فيها ، ولم يحزم بقول .

قال إسحق بن إبراهيم بن هاني ، أحد أصحاب الامام أحمد في مسائله : قيل لأبي عبد الله : يكون الرجل في قرية فيسأل عن الشيء فيه اختلاف ؟ قال :

يفتي بما وافق الكتاب والسنة ، وما لم يوافق الكتاب والسنة أمسك عنه . قيل له :
أفتخاف عليه ؟ قال : لا .

الرابع : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس ، وإيس المراد بالحديث الضعيف عنده الباطل ولا المنكر ، ولا من في رواه منهم بحيث لا يسوغ الذهاب إليه والعمل به بل الحديث الضعيف عنده قسم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف ، بل إلى صحيح وضعيف ، وللضعيف عنده مراتب ، قاله في « أعلام الموقعين » .

وقال ابن القيم أيضاً في كتاب « القروسة الحميدة » : قال الامام أحمد لابنه عبد الله : يا بني أنت تعرف طريقة في الحديث ، لست أخاف ما فيه من ضعف إذا لم يكن في الباب شيء يدفعه .

قال ابن القيم : إذا لم يكن في المسألة حديث صحيح ، وكان فيها حديث ضعيف وليس في الباب شيء يردّه ؛ عمل به ، فإن عارضه ما هو أقوى منه تركه للمعارض القوي . وإذا كان في المسألة حديث ضعيف وقياس ؛ قدم الحديث الضعيف على القياس .

قال : وليس الضعيف في اصطلاحه هو الضعيف في اصطلاح المتأخرين ؛ بل كان هو والمتقدمون يقسمون الحديث إلى صحيح وضعيف ، والحسن عندم داخل في الضعيف بحسب مراتبه .

قال : وأول من عرف عنه أنه قسمه ثلاثة أقسام ، أبو عيسى الترمذي ، ثم الناس تبع له بعد .

فالامام أحمد يقدم الضعيف الذي هو الحسن عنده على القياس ، ولا يلتفت

الى الضعيف الواهي الذي لا تقوم به حجة . بل ينكر على من يحتج به وذهب اليه ، فالامام أحمد رضي الله عنه أتبع خلق الله للسنن مرفوعها وموقوفها .

قال الامام ابن القيم في أول « أعلام الموقعين » : وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافقه على هذا الأصل في الجملة ، فإن ما منهم أحد إلا وقد قدم الحديث الضعيف على القياس من حيث الجملة .

وأما الامام مالك فانه يقدم الحديث المرسل والمنقطع والبلاغات وقول الصحابي على القياس .

الخامس : القياس . فإن الامام أحمد رضي الله عنه ، إذا لم يكن عنده في المسألة نص ، ولا قول صحابي ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ؛ عدل اليه فاستعمله للضرورة .

وقد قال الخلال : سئل الشافعي عن القياس فقال : إنما يصار اليه عن الضرورة ، أو ما هذا معناه ، وقد توقف في الفتوى لتعارض الأدلة عنده ، أو لاختلاف الصحابة فيها ، أو لعدم اطلاعه فيها على أثر أو قول أحد من الصحابة والتابعين ، وكان كثير الكراهة للاقتفاء بمسألة ليس فيها أثر عن السلف ، كما قال لبعض أصحابه : إياك تتكلم في مسأله ليس لك فيه إمام :

والمقصود تعريف الوقوف على أصول الامام ، وأن الحديث الضعيف الذي يقدم على القياس كما يوجد في كلامه وكلام أصحابه ؛ المراد به الحسن بقسميه ، كما استقر عليه كلام المحدثين المتأخرين ، وبالله التوفيق .

ومنها : أنا في شرحنا للاثلاث أول ما تقدم ترجمة رواية الحديث :

الاول في الاول . أول ما يذكر من مشايخ الامام والتابعي والصحابي ، ثم إن طال الكلام وبعُد الهد وذكر ثانياً ؛ أخلصا ترجمته على الحل الذي

ذكرناها فيه ، ثم ذكرنا شرح الفاظ الحديث كلمة كلمة ، وذكرنا معناه ومدلوله وحكم ما فيه من الاحكام ، وبيننا اختلاف الائمة في ذلك حسب الامكان ، وسقنا من الأدلة النبوية ما يؤيد الصحيح المعتمد من ذلك ، وإن كان الحديث الذي ساقه الامام يشير الى قصة ذكرناها معزوة لناقلها ، أو الى غزوة ذكرنا اسم الغزوة ، ومتى كانت ، أو الى منقبة ؛ ذكرناها وقربناها بما في ذلك من الاحاديث وال اخبار والمراسيل والآثار ، وإن كان في الحديث رجل مبهم أو امرأة ؛ نهنا عليه حسب الامكان معزواً لمن سماه ، فإن لم نقف على من سماه ؛ قلنا : لم أقف على من سماه ، وكذا إذا سبقنا أحد من المحدثين الى نفي الوقوف على تسميته ؛ عزونا ذلك له ، وغالب ما نذكره من دقائق العلوم ، من الفقه والاصطلاح والثرائب ؛ نمزوه لنقلته لنخرج من تبعته ، وربما لم نقف على ترجمة الرواة ، ولا ما قيل فيه من مدح ولا قدح ولا تعديل ولا جرح ؛ فأبيض له ، لملي أقف على ذلك فيما بعد ، فاني أعلم أنه منقول ، ولكن لقلة موادي لم أجده عندي منقولاً ، ولملي أجده فيما بعد .

ومادتي في التراجم والجرح والتعديل « طبقات الحفاظ » ، « لحافظ السيوطي » و « نظم طبقات الحفاظ للذهبي » ، لابن مرداس الحنبلي و « شرح الزهر البسام » للهريماوي ، و « بعض شروح البخاري » ، و « بعض التواريخ » ك « الوافي بالوفيات » ، « لصلاح الصفدي » و « وفيات الاعيان » ، لابن خلكان و « مختصر الصفوة » و « زبدة الاعمال » ، و « منتخب المنتخب » ، لابن الجوزي ، وربما نقلت من موضوعاته في بعض المحال و « الترغيب » ، « لحافظ المنذري » ، ووقفت على قطعة لبعض متأخري علمائنا في الجرح والتعديل ، نقلت منها في بعض المحال .

واستعنت في شرحي لهذا الكتاب من كتب السير بسيرتي (مارج الأنوار) شرح التوفيق و (تجديد الوفا) و (السيرة الشامية) و (سيرة ابن سيد الناس

اليمري) و (سيرة الحلبي) و (سيرة عبد الملك ابن هشام) وغيرها و (تاريخ الخلفاء) للحافظ جلال الدين السيوطي و (مثير العزم الساكن) لابن الجوزي و (آداب النساء) له و (التبصرة) و (صيد الخاطر) وغيرها من تصانيفه ، و بعض شراح البخاري و (شرح الأربعين) للحافظ ابن رجب و (ذيل الطبقات) له و (القواعد الفقهية) له و (شرح حديث اختصام الملا الأعلى) و (البشارة العظمى في أن حظ المؤمن من النار الحمى) و (اللطائف) و (استنشاق نسيم الأُنس من نفحات رياض القدس) و (الذل والانكسار) وغير ذلك من تصانيفه .

وجملت جعل عمدي وجل مقتصدي وما عليه ممولي كتب شيخ الاسلام أبي العباس الامام الحافظ الحجة تقي الدين ابن تيمية ، وكتب تلميذه إمام المحققين وقدة المدققين الامام الحافظ المتقن شمس الدين ابن القيم من (الهدى النبوي) و (أعلام الموقعين) و (الفروسية الحمديه) و (الجوش الاسلامية) و (حادي الارواح إلى منازل الافراح) و (مفتاح دار السعادة) و (شرح منازل السائرین) و (بدائع الفوائد) وغيرها من كتبه التي هي مرهم الجروح ورياق القلب المجروح ، وكذا كتب الامام العلامة ابن مفلح ، وابن عبد الهادي ، ومن كتب الحديث ما لا نحصى عدداً إلا بكلفة .

وقد عزوت كلام كل أحد لصاحبه غالباً ، خروجا من تبعته ، واذا تأملت شرحي للامانيات تأملاً تاماً ، وأنعمت^(١) النظر فيه بانصاف . رأيت من الفوائد الغريبة ، والحقائق العجيبة ، والدقائق النفيسة . والتنبيهات الأنيسة ، والتحقيقات الفقهية ، والتدقيقات الأثرية ، ما لعل لا تكاد تظفر به في غيره من الكتب ، وستقف على أشياء في مصنفنا أكثر مما وصفنا . ولنشرع في المقصود فنقول :

(١) لله وامنت

قال مخرج « الثلاثيات » ، حب الدين إسماعيل بن عمر المقدسي في أولها :
(بسم الله الرحمن الرحيم) على ما يوجد في بعض النسخ ، وقد سقطت
البسمة من أكثرها ، والكلام عن البسمة مشهور .
وابتدأ بها تأسيساً بالكتاب ، اقتداء به ﷺ في كتاباته للملوك وغيرهم ،
وعملاً بقوله ﷺ : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
فهو أبت » .



من هند

سيدنا أبي عبد الرحمن عبد الله ابن عمر

رضي الله عنها

قال الامام احمد رضي الله عنه :

الحديث الاول

١ - حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، سمع

ابن عمر يقول : نهى رسول الله ﷺ عن بيع الولاء ،

وعن هبته .

(حدثنا) هذه الصيغة من أرفع العبارات ، وهي لما سمعه من لفظ الشيخ .

قال الخطيب : أرفع العبارات : سمعت ، ثم حدثنا وحدثني ، ثم أخبرنا ، وهو

كثير في الاستعمال . وقال ابن الصلاح : حدثنا وأخبرنا أرفع من سمعت من جهة ؛ أنى وصير

لأفليس في سمعت دلالة أن الشيخ رواء إياه ، بخلافها . وقال الامام أحمد رضي الله

عنه : أخبرنا أسهل من حدثنا ، قال : حدثنا شديد . (سفيان) هو أبو محمد

سفيان بن عيينة بن أبي عمران ، ميمون الهلالي الكوفي . قال البرماوي : كان

مولى لمحمد بن مزاحم أخيه الضحاك . وقال ابن خلكان : كان مولى امرأة من

بني هلال بن عامر ، وم رهط ميمونة أم المؤمنين ، رضي الله عنها . وقيل :
 مولى لبني هاشم . وقيل : مولى الضحاك بن مزاحم . وقيل : مولى مسمر بن
 كدام . ولد بالكوفة للنصف من شعبان سنة سبع ومائة ، ونقله أبوه الى مكة ،
 ذكره ابن سعد في « الطبقات » وعده في الطبقة الخامسة من أهل مكة .

قال سفيان : جالست الزهري وأنا ابن ست عشرة سنة وشهرين ونصف
 شهر ، وقال : قدم علينا الزهري سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وكان بنو عيينة
 عشرة : سفيان ، وآدم ، ومحمد ، وإبراهيم ، وعمران ، فهؤلاء حدثوا ، وما عداهم
 لم يحدث . وكان سفيان إماماً عالماً ثبتاً ثقة حجة زاهداً ورعاً ، مجتهداً على صحة
 حديثه وروايته ، سمع الزهري ، وعمرو بن دينار ، وعبد الله بن دينار ،
 وأبا إسحق السبيعي ، وزيد بن أسلم ، وإسماعيل بن أبي خالد ، وسهيل بن أبي
 صالح ، وأيوب السخيتي ، وخلقاً كثيراً . قال الحافظ ابن ناصر الدين : إن
 سفيان بن عيينة أدرك ستة وثمانين من التابعين ، وتفرد مرة عن الزهري ،
 وعمرو بن دينار في آخرين . قال : وكان أعور العين ، ولما مات الزهري سنة أربع
 وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة من العمر سبع عشرة سنة ، وحين مات عمرو بن
 دينار في سنة ست وعشرين ومائة ؛ كان لابن عيينة تسع عشرة سنة . قال : وكان
 قد رأى في حياة شيوخه في المنام كأن أسنانه كلها سقطت ، فقص رؤياه على شيخه
 الزهري . قال : يموت أسنانك ، يعني أقرانك ، وتبقى أنت . قال سفيان : فمات
 أسناني وبقيت . وروي أنه لا تفرد تمثل :

خلت الليل فسدت غير مسودة ومن الشقاء تفردني بالسودة

وروى عنه الأعمش ، والثوري ، وشعبة ، وهام بن يحيى ، ويحيى بن سعيد
 القطان ، ووكيع ، والامام أحمد ، والامام الشافعي ، وابن مهدي ، وابن المبارك ،
 وخلق سواهم كثير . مات سفيان بن عيينة رضي الله عنه بمكة أول يوم من رجب ،

سنة ثمان وتسعين ومائة ، ودفن بالحجون . وكان حج سبعين حجة ، ولما حج آخر حجة حجها ، فكان بجمع - يعني منى - استلقى على فراشه ثم قال : رأيت هذا الموضع سبعين عاماً ، أقول في كل سنة : اللهم لا تجعله آخر العهد من هذا المكان ، وإني قد استحييت من الله من كثرة ما أسأله ذلك ، خرجت فتوفي في السنة الداخلة . وقال سفيان : لما بلغت خمس عشرة سنة ، دعاني أبي فقال : يا سفيان ! قد انقطعت عنك شرائع الصبا ، فاحفظ الخير تكن من أهله ، ولا يفرنك من اغتر بالله فدحك بما يعلم الله خلافه منك ؛ فإنه ما من أحد يقول في أحد من الخير إذا رضي ، إلا وهو يقول فيه من الشر مثل ذلك إذا سخط ، فاستأنس بالوحدة من جلساء السوء ، وإن يسمد بالعلماء إلا من أطاعهم . ومن كلام سفيان رضي الله عنه : من زين للناس بشيء يعلم الله منه غير ذلك شانه الله . إذا كان نهاري نهار سفيه ، وليلي ليل جاهل ؛ فما أصنع بالعلم الذي كتبت ؟

ومن كلامه أيضاً : من زيد في عقله نقص من رزقه . أرفع الناس منزلة من كان بين الله وبين عبادته ، وهم الانبياء والعلماء . ليس يضر المدح من عرف نفسه . العلم إن لم يتفكك ضرك . إن من توفير الصلاة أن تأتي إليها قبل الإقامة . وذكر ابن خلكان في تاريخه : أن سفيان بن عيينه رضي الله عنه خرج يوماً إلى من جاءه يسمع منه وهو ضجر ، فقال : أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سميد ، وجالس هو أبا سميد الخدري ، وجالست عبيد بن دينار ، وجالس هو ابن عمر رضي الله عنهما ، وجالست الزهري ، وجالس أنس ابن مالك ، حتى عد جماعة ، ثم أنا أجالسكم ؟ فقال له حدث في المجلس : أنصف يا أبا محمد ؟ قال : إن شاء الله تعالى ، فقال : والله لشقاء أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا ، فأطرق وأنشد قول أبي نواس وهو هذا :

حصل جنيتك لرام وامض عنه بسلام
مت بداء الصمت خير لك من داء الكلام

فتفرق الناس وهم يتخذون برجاجة الحدث، وكان ذلك الحدث يحيى بن أكرم التميمي ، فقال سفيان : هذا الغلام يصلح لصنعة هؤلاء يعني السلاطين .

وقال الشافعي : ما رأيت أحداً فيه من آلة الفتيا ما في سفيان ، وما رأيت أكف عن الفتيا منه .

قال ابن خلكان : وكان أبو عمران جد سفيان المذكور من عمال خالد ابن عبد الله القسري ، فلما عزل خالد عن العراق ، وولي يوسف بن عمر الثقفي ؛ طلب عمال خالد ، فهرب أبو عمران منه الى مكة ، فزملها وهو من أهل الكوفة ، فقال سفيان : دخلت الكوفة ولم يتم لي عشرون سنة ، فقال أبو حنيفة لاصحابه ولاهل الكوفة : جاءكم حافظ علم عمرو بن دينار . قال : فجاء الناس يسألوني عن عمرو بن دينار ، فأول من صيرني محدثاً أبو حنيفة ، فذاكرته ، فقال لي : يا بني ! ما سمعت من عمرو إلا ثلاثة أحاديث يضطرب في حفظ تلك الاحاديث . انتهى .

وفي « الآداب الكبرى » للعلامة ابن مفلح قال : لما حج سالم الخواص ، لقي ابن عيينة في السوق ، فانكر عليه كونه في السوق ، فأنشد ابن عيينة :
خذ بعلمي وإن قصرت في عملي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري
ومثله قول بعض المتأخرين :

خذ من علمي ولا تنظر الى عملي واقصد بذلك وجه الواحد الباري
وإن مررت بأشجار لها ثمر فاجن الثار واخل المود للنار
ومناقب سفيان بن عيينة وآثره كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه .

(قال) سفيان : (حدثني) كذا بالافراد (عبد الله) هو أبو عبد الرحمن (ابن دينار) القرشي المدوي المدني ، مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنها ، روى عن موله ، وأنس بن مالك ، وعنه شعبة ، ومالك والسفيانان . قال ابن سعد : ثقة ، كثير الحديث ، وقال ابن مرداس الحنبلي في « طبقات الحفاظ » : إمام ثقة ، وحديثه في الصحاح - يعني هو من رجال « الصحيحين » وغيرها من الكتب الستة - فهو إمام ثقة ثبت ، توفي سنة سبع وعشرين ومائة من الهجرة النبوية - على صاحبها الصلاة والسلام - ورمز له ابن مرداس في « طبقات الحفاظ » بقوله : « قكز » ، وعده في الطبقة الرابعة من صفار التابعين رحمة الله عليه وعليهم أجمعين .

(سمع) عبد الله بن دينار (ابن عمر يقول) : هو أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بن نفيل - بضم النون وفتح الفاء - بن عبد العزيز بن رباح - بكسر الراء ، وباللثناة تحت الراء ، وآخره حاء مهملة - بن عبد الله بن قرط - بضم القاف وسكون الراء ، وآخره طاء مهملة - ابن رزاح ، بفتح الراء وبمدها زاي وآخره حاء ، كذا قيده ابن الأثير والنووي ، لكن في « الروض » للسيهلي : أن الشيخ أبا بحر قيده بكسر الراء - قال - وزعم الدارقطني أنه بالفتح ، وأن رزاح - بالكسر - إنما هو رزاح بن ربيعة أخو قصي لأمه . انتهى . ورزاح هو ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المدوي ، يجتمع مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي . أسلم مع أبيه بمكة وهو صغير ، وقيل : أسلم قبل أبيه - ولا يصح هذا القول - وهاجر قبل أبيه ، وأول مشاهده الخندق ، وشهد ما بعدها ، وقيل : إنه أول من بايع بيعة الرضوان ، والصحيح سنان بن أبي سنان الأسدي . وفي « الصحيحين » عن ابن عمر رضي الله عنها : « عرضت على النبي ﷺ عام أحد وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني ،

وعرضت عليه يوم الخندق وأنا ابن خمس عشرة سنة فأجازني . فكان عبد الله ابن عمر رضي الله عنها ممن استصغر يوم أحد ، ومن الذين استصغروا يومئذ فردوا : البراء بن عازب ، وأبو سميد الخدري ، وزيد بن أرقم ، ورافع بن خديج وغيرهم ، كما بينته في « شرح العمدة » .

وكان عبد الله بن عمر ، من أهل العلم والورع والزهد ، شديد التحري والاحتياط في فتواه ، وهو أحد المبادلة الأربع ؛ هو ، وابن عباس ، وابن الزبير ، وابن عمرو بن العاص رضي الله عنهم ، وليس منهم ابن مسعود رضي الله عنه ، لأنه توفي قبل إطلاق هذا الاسم عليهم ؛ كما قاله الامام أحمد رضي الله عنه . وهو أحد المفتين من الصحابة أصحاب المذاهب الذين انتشر علمهم .

قال في « أعلام الموقعين » : الدين والفقه والعلم انتشر في الأمة عن أصحاب ابن مسعود ، وأصحاب زيد بن ثابت ، وأصحاب عبد الله بن عباس ، وأصحاب عبد الله بن عمر رضي الله عنهم ، فلمل الناس عامته من أصحاب هؤلاء الأربعة ؛ فلمل أهل المدينة عن زيد بن ثابت ، وعبد الله بن عمر ، وعلم أهل مكة عن أصحاب ابن عباس ، وعلم أهل المراق عن أصحاب ابن مسعود . وابن عمر أحد المكثرين ، والمكثر هو من روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث فصاعداً ، وم سبعة : أبو هريرة ، وابن عمر ، وأنس ، وعائشة الصديقة ، وابن عباس ، وجابر بن عبد الله ، وأبو سميد الخدري رضي الله عنهم . وأكثرهم أبو هريرة كما قال الامام أحمد ، فروي له عن رسول الله ﷺ خمسة آلاف حديث وثمانمائة وأربعة وسبعون حديثاً ، ثم ابن عمر ، فروي له ألفا حديث وثمانمائة وثلاثون حديثاً ، ثم أنس ، فروي له ألفان ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، ثم عائشة ، روي لها عن رسول الله ﷺ ألفان ومائتان وعشرة ، ثم ابن عباس ،

روي له ألف وستمائة وستون حديثاً ، ثم جابر ، روي له ألف وخمسمائة وأربعون حديثاً ، ثم أبو سعيد الخدري ، فروي له ألف ومائة وسبعون حديثاً .

ولد عبد الله بن عمر رضي الله عنها قبل الوحي بسنة ، ومات بمكة سنة ثلاث وسبعين بعد قتل ابن الزبير بثلاثة أشهر ، ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وله أربع وثمانون سنة ، وقيل : ستة وثمانون ، وهذا يـمـكـر على قولهم : إنه ولد قبل البعثة بسنة ؛ إلا أن يريدوا إسقاط ثلاث سنين مدة فترة الوحي ، لأن الصحيح المتمد أنه ﷺ أقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ، فيكون ابن عمر رضي الله عنها ، ولد في الثالثة من البعثة ، هذا يثبت لا غبار عليه .

روى عن ابن عمر رضي الله عنها خلق كثير ، منهم ابنه : سالم ، وحمة ، وكذا عبد الله ، وبلال ، ومولاه نافع ، والقاسم بن محمد ، وعروة بن الزبير وخلق كثير سوام . وانكف عن الفتن ؛ فلم يقاتل في شيء من الحروب التي جرت بين المسلمين . قال طاووس : ما رأيت رجلاً أروع من ابن عمر ، ولا رأيت رجلاً أعلم من ابن عباس ، رضي الله عنهم . وقالت عائشة رضي الله عنها : ما رأيت أحداً أزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر . وقال ابن المسيب : وكانت شاهداً لأحد من أهل العلم أنه من أهل الجنة لشهدت لعبد الله بن عمر . وقال نافع : كان ابن عمر إذا اشتد عجزه بشيء من ماله قربه لربه ، وكان رفيقه قد عرفوا ذلك منه ، فربما شمر أحدهم ولزم المسجد ، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحال الحسنة أعتقه ، فيقول أصحابه : والله ما بهم إلا أن يخذعوك ، فيقول : من خدعنا بالله انخدعنا له . وقال ميمون بن مهران : أنت ابن عمر اثنتان وعشرون ألف دينار في مجلس ، فلم يقم حتى فرقا . وقال نافع : ربما تصدق ابن عمر في المجلس الواحد بثلاثين ألفاً ، وأعطى بنافع عشرة آلاف

دينار ، فقيل له : ما تنتظر أن تبيع ؟ قال : فهلا ما هو خير من ذلك ! هو حرّ
لوجه الله تعالى ، ومات حتى أعتق ألف إنسان ، أو زاد . واشتكي
فاشتري له عنقود عنب بدرم ، فجاء مسكين يسأل ، فقال : أعطوه إياه ، ثم
خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرم ، ثم جاء به إليه ، فجاءه المسكين يسأل ،
فأعطاه إياه ، ثم خالف إليه إنسان ، فاشتراه منه بدرم أيضاً ، فأراد المسكين أن
يرجع لفتح ، ولو علم ابن عمر بذلك المنقود ما ذاقه . وقال رضي الله عنه : لو
علمت أن الله تعالى يقبل مني سجدة واحدة ، أو صدقة درم ، لم يكن غائب أحب
إلي من الموت ، إنما يتقبل الله من المتقين . وكان يحبي الليل صلاة ، ثم يقول :
أسحرنا ؟ فيقال : لا ، فيعاود الصلاة ، ثم يقول : أسحرنا ؟ فيقال : نعم ، فيقعد
فيستغفر ويدعو حتى يصبح . وكان يحبي ما بين الظهر والمصر ، وكان إذا أصبح
قال : اللهم اجعلني من أعظم عبادك نصيباً في كل خير تقسمه الغداة ، ونور تهدي
به : ورحمة تنشرها ورزق تبسطه ، وضرر تكشفه ، وبلاء ترفعه ، وفتنة تصرفها .
وقال جابر رضي الله عنه : ما أدركنا أحداً إلا وقد مالت به الدنيا ومال بها
إلا عبد الله بن عمر . وقال ابن عمر رضي الله عنهما : لا يصيب عبد شيئاً من
الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عليه كبرياً . وقال له رجل :
يا خير الناس ، وابن خير الناس ! فقال : ما أنا بخير الناس ، ولا بأبن خير الناس ،
ولكني عبد من عباد الله ، أرجو الله وأخافه ، والله لن تزالوا بالرجل حتى تهلكوه .
وقال : أحب في الله وأبغض في الله ، ووال في الله وعاد في الله ؛ فانك لن تنال
ولاية الله إلا بذلك . ولا يمد رجل طمطم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتى
يكون كذلك . ومناقب عبد الله بن عمر رضي الله عنها كثيرة ، وما أثره شهيرة ،
وفيا ذكرناه كفاية ، والله الموفق .

(نهى رسول الله ﷺ) النهي مقابل للأمر ، وصيغته لا تفعل ، من

الأعلى للأدنى . قال العلامة ابن اللحام في قواعد الأصولية : اشترط جمهور المعتزلة في حد الأمر الملو دون الاستملاء - قال - وهو ظاهر قول أصحابنا موتاهم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، ونقله القاضي عبد الوهاب في المختصر عن أهل السنة وجمهور أهل العلم ، واختاره . وشرط أبو حسين من المعتزلة الاستملاء دون الملو ، وصححه الآمدي ، وابن الحاجب . والمتكلمون لا يشترطون علواً ولا استملاء ، فلا استملاء : الطلب بنظرة ، ورفع الصوت ، والمو : أن يكون الطالب أعلى مرتبة ، ومع التساوي فهو التماس ، ومع دنو الطالب فهو سؤال . والنهي في ذلك كله مثل الأمر صحة وخلافاً . والنهي : حقيقة في التحريم ، نحو قوله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم . ولا تقربوا الزنا . ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل . ولا تفكحوا ما نكح آبائكم من النساء) . قال في « شرح مختصر التحرير » : إن تجرد صيغة النهي عن القرائن والمآني الصارفة لها عن حقيقتها ؛ فهي للتحريم عند الأئمة الأربعة ، وبالحق الشافعي في إنكار قول من قال : إنها للكرهية . فتمتد المذهب أن إطلاق النهي يدل على الفساد . قال الإمام محمد الدين بن تيمية : نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه في مواضع - قال - وهذا قول جماعة الفقهاء ، وحكام القاضي أبو يعلى . قال الخطابي : ظاهر النهي يوجب فساد المنهي عنه ؛ إلا أن تقوم دلالة على خلافه - قال - وهذا مذهب العلماء في قديم الدهر وحديثه . ذكره في « الاعلام » في النهي عن بيع الكلب . وقيل : لا يدل على فساد المنهي عنه مطلقاً ، ونقله في « المحصول » عن أكثر الفقهاء ، والآمدي عن المحققين . وقيل : يدل على الفساد في العبادات دون المعاملات ، والأصح الأول ، وأنه يدل على الفساد من جهة الشرع .

فائدة : نقل علي بن سعيد عن الإمام أحمد رضي الله عنه أنه قال : ما أمر به النبي ﷺ عندي أسهل ما نهى عنه ، وكذلك نقل عنه الميموني : الأمر

أسهل من النهي . انتهى . والنهي يقتضي الفور والدوام ، فقول الناهي عن شيء :
لا تفعله ! مرة ، يقتضي تكرار الترك .

(عن بيع الولاء) - وهو بفتح الواو ممدوداً - والمراد بولاء المتق ثبوت
حكم شرعي بالمتق ، أو تعاظمي سببه ، ومعناه : أنه إذا أعتق عبداً أو أمة صار له
عصبة في جميع أحكام التعصيب عند عدم العصبة من النسب ؛ كالإيراث ، وولاية
النكاح ، والعقل ، وغير ذلك . قال في «النهاية» : كانت العرب تباع هذا الولاء
وتهبه ، فهى النبي ﷺ عن ذلك ، لأن الولاء كالنسب ، فلا يزول بالازالة .
(و) نهى ﷺ (عن هبته) - أي الولاء - يعني أنه لا يزول ، لا بمعاوضة
ولا بغيرها . وروى الطبراني من حديث عبدالله بن أبي أوفى ، والحاكم ، والبيهقي
من حديث ابن عمر رضي الله عنهم مرفوعاً : (الولاء لجمعة كلجمعة النسب لا يباع
ولا يوهب) . صححه الحاكم ، ورده الذهبي ، وشنع عليه . وأما الحديث الذي
نحن بصدد شرحه ، فرواه الجماعة . قال النووي : في الحديث دليل على تحريم بيع
الولاء وهبته ، وأنها لا يصحان ، وأنه لا ينتقل الولاء ، يعني ، لا يبيع ولا هبة
- قال - واختار بعض السلف نقله - قال - ولعله لم يبلغه الحديث . وانكر
ابن وضاح ان يكون (وهبته) من كلام النبي ﷺ . انتهى .

والاصل في الولاء قوله تعالى : (فان لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين
ومواليكم) - يعني الادعاء - مع قوله ﷺ : (الولاء لمن أعتق)
متفق عليه .

(فروع) :

الاول : الولاء لا يباع ولا يوهب ولا يورث ، ولكن يورث به ،
ومعنى لا يورث وإنما يورث به ، لانه ﷺ شبهه بالنسب ، والنسب لا يورث ،

وإنما يورث به ، ولأنه إنما يحصل بانعام السيد على رقيقه بالعتق ، وهذا المعنى لا ينتقل ، وإنما يرث به أقرب عصبة المعتق مع عدم عصبة النسب ، مع بقاء الولاء للمعتق ، وهذا قول عمر ، وعلي رضي الله عنها وغيرها .

الثاني : لو أعتق عبده بسائبة أو قال : أعتقتك ولا ولاء لي عليك ، أو اعتقه من زكاته أو كفارته أو نذره ، فله ولاؤه على معتمد المذهب ، قدمه في « الفروع » ، وهو قول الشافعي وأهل المراق . قال الامام الموفق : وهو أصح في النظر لمعوم الاخبار ، وعن هزيل بن شرحبيل قال : « جاء رجل الى عبد الله فقال : إني أعتقت عبداً وجعلته سائبة ، فمات وترك مالاً ولم يدع وارثاً ، فقال عبد الله : إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإنما كان أهل الجاهلية يسيبون ، وأنت ولي نعمته ولك ميراثه ، وإن تأثمت وتخرجت في شيء ؛ فنحن قبله ونجمله في بيت المال ، رواه مسلم ، والبخاري منه : « إن أهل الاسلام لا يسيبون ، وإن أهل الجاهلية كانوا يسيبون » . وقال سميد : حدثنا هشيم عن منصور ، أن عمر ، وابن مسعود رضي الله عنها قالا في ميراث السائبة : هو للذي أعتقه ؟ وقال الامام مالك : يحمل ولاؤه لجماعة المسلمين .

الثالث : اتفق الاثمة على أن المعتق يرث عتيقه حيث لا وارث له من النسب إذا اتفقا في الدين ، واختلفوا فيما إذا اختلف الدينان بينها ؛ فكان أحدهما مسلماً ، والآخر نصرانياً أو يهودياً ، فقال أبو حنيفة ومالك والشافعي : لا يستحق الارث بالولاء مع اختلاف الدين ، بل يكون موقوفاً ، فإن أسلم السيد ورثه ، وإن مات قبل أن يسلم ؛ كان ميراثه للمسلمين . وقال الامام احمد : يرثه وإن اختلف الدينان ، كما في رواية المروزي ، والعقل بن زياد ، وهو معتمد المذهب ، والله أعلم .

الحديث الثاني

٢ — حدثنا سفيان ، قال : حدثني عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، قال : لا تدخلوا على هؤلاء القوم الذين عذبوا إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين ، فلا تدخلوا عليهم ، فاني أخاف أن يصيبكم ما أصابهم .

قال : (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة (قال : حدثني عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها (عن النبي ﷺ) أنه (قال) لأصحابه ، يعني لما وصلوا الحجر ، ديار ثمود في حال توجههم الى تبوك (لا تدخلوا على هؤلاء القوم) - يعني ثمود - أي لا تدخلوا ديارهم ومساكنهم (الذين عذبوا) أي عذبهم الله تعالى بسبب كفرهم ومعاصيهم ، يعني أنزل عليهم العذاب في ديارهم ومساكنهم (إلا أن تكونوا) في حال دخولكم لها (باكين) من خوف عقاب الله وعذابه الذي حل بأعدائه في مساكنهم ومنازلهم ، فربما يكون أثر ذلك لم يزل بتلك المنازل ، وايس المراد الاختصار في ذلك على ابتداء الدخول ؛ بل دائماً عند كل جزء من الدخول ؛ بل البكاء مطلوب في حال الاستقرار في تلك الديار بالأولى . ومن ثم لم ينزل رسول الله ﷺ فيها البتة ، ولم يصل هناك . قاله ابن بطال وغيره . (فإن لم تكونوا باكين) للاعتبار بما نزل بهم (فلا تدخلوا عليهم) ديارهم التي حل بهم العذاب فيها ، ونزل عليهم العقاب ومستوطنوها . وفي لفظ : لا تدخلوا على هؤلاء المذنبين إلا أن تكونوا باكين ، (فاني) الفاء تعليلية (أخاف) إن دخلتم مساكنهم على غير هيئة الاعتبار والبكاء والادّكار (أن يصيبكم) بسبب حلولكم في ديارهم

(ما أصابهم) من البلاء والمذاب ؛ لبقاء أثر الغضب على تلك البقاع . وفي رواية عن ابن عمر رضي الله عنها قال : « لما مرّ النبي ﷺ بالحجر قال : لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم ، إلا أن تكونوا باكين ، ثم قنع رأسه ﷺ وأسرع السير حتى أجاز الوادي ، وهذا الحديث بروايته صحيح ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما . وروى الحاكم في « الاكليل » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : رأيت رجلاً جاء بخاتم جده في الحجر في بيوت المذنبين ، فأعرض عنه ﷺ ، واستتر يده أن ينظر إليه وقال : ألقه ، فآلقاه ، لكن إسناده ضعيف .

وتمود : هم قوم صالح نبي الله سبحانه ، ابن عبيد بن عامر بن إرم بن سام ابن نوح ، وتمود من عامر بن إرم بن سام بن نوح ، وكانت منازلهم بالحجر ، وبين الحجر وبين قرح ثمانية عشر ميلاً . قرح : هي وادي القرى . ولما قال له قومه : اثنتا بآية ، أتى بهم هضبة ، فلما رآته تمخضت كما تمخض الحامل ، وانشقت عن الناقة . وعافر الناقة ، هو أحمر تمود ، واسمه قدار بن سالف ، وكان أحمر أشقر أزرق قصيراً ، ويضرب به المثل في الشؤم ، والمافر الآخر ، مصمد بن مخرج ، وكان نحيفاً طويلاً ، أهوج مضطرباً . ولما عقرت الناقة ، صعد فصيلها جبلاً عالياً ، يقال له : صنو ، فطلبوه فلم يقدروا ، فلما رأى صالح ذلك أحزنه وبكى ، ثم رعى الفصيل ثلاثاً ، فانفجرت الصخرة ، فدخلها ، فوعدم بالمذاب ، فقال : تمتوا في داركم ثلاثة أيام ، لكل دعوة يوم . فأصابهم في اليوم الاول — وكان نهار الخميس — صفرة ، فأصبحوا مصفرين ، وفي اليوم الثاني أصبحت وجوههم حمرة ، كأنها قد خضبت بالدماء ، وأصبحوا في اليوم الثالث وقد اسودت وجوههم ، كأنها طليت بالقار ، وصبحهم المذاب يوم الاحد ، فأنتهم صبيحة من

السما ارتجت لها الدنيا ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم ، فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا هلك ، ولحق صالح ومن معه ممن كان قد آمن من قومه بمكة ، وتوفي بمكة ، ودفن بالحجر ، وله من العمر مائتان وثمانون سنة . وقيل : إنه خرج ومن معه من المؤمنين ليلة الاحد من بين أظهرهم ، فنزل في الرملة من بلاد فلسطين فمات بها ، ودفن في جامعها المعروف الآن بالابيض . واقتصر ابن قتيبة في « المعارف » على أنهم ماتوا بمكة هو ومن معه ، وأن قبورهم غربى الكعبة بين دار الندوة والحجر ، وأن الله تعالى أهلك ثمود قوم صالح . قال صالح عليه السلام لمن آمن معه : يا قوم إن هذه دار قد سخط الله على أهلها فاطمنوا عنها ، والحقوا بحرم الله وأمنه ، فأهلوا من ساعتهم بالحج ، وأحرموا في البقاء ، ورحلوا قلائص حمرأ مخطمة بجبال من ليف ، ثم انطلقوا يلبون حتى وردوا مكة ، فلم يزالوا بها حتى ماتوا ، والله أعلم .

(فروعان) :

الاول : جزم علماؤنا بأنه لا يباح من ماء آبار ثمود غير بشر الناقة . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : هي البئر الكبيرة التي يردّها الحجاج في هذه الأزمنة - يعني أزمنته - قلت : هي الآن مجهولة ، فقد سألت عنها لما مررنا بها في ذهابنا وإيابنا سنة حجنا ، وهي سنة الف ومائة وثمانية وأربعين ، فلم يخبرني بها أحد . قال في « الاقتناع » : فظاهره لاتصح الطهارة به ، كماء مفصوب ، أو ثمنه الميعن حرام ؛ فيتيمم معه لدم . قال في « الفروع » : احتج الامام أحمد بقصة عجن الصحابة بماء آبار ثمود ، وأمرهم بأن لا يأكلوه ، وأن يطعموه لدوابهم ، على أنه يجوز علف نجاسة لحيوان لا يذبح ، أو يحلب قريباً . قال في « الفروع » : فدل على تحريم آبار ثمود . قال : وسأله مهنا عن نزل الحجر ؛ أيشرب من مائها أو يسجن به ؟ قال : لا ؛ إلا من ضرورة - قال - ولا يقيم بها . وعن ابن عمر رضي

الله عنها : « أن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ على الحجر أرض نمود - فاستقوا من آبارها ، وعجنوا به العجين ، فأمرهم ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من آبارها ، ويملفوا الابل المعجين ، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة » ، رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم . قال في « الفروع » : ولا وجه لظاهر كلام الاصحاب رحمهم الله على إباحته مع الخبز ، ونص الامام أحمد . انتهى .

الثاني : قال في « الاقناع » : مسا كن نمود لا تملك بالاحياء لعدم دوام البكاء مع السكنى والانتفاع ؛ قاله الحارثي ، قال في « الاقناع » : ويكره دخول ديارهم إلا لباك معتبر ؛ لا يصيبه ما أصابهم . انتهى . قلت : كراهة الدخول والاقامة لا تمنع الملك . وقد صرح جل علمائنا كغيرهم بأنها تملك ، والله الموفق وفي الحديث الحث على مجانبة محال غضب الله وسخطه ، والمباعدة عن قبور الظلمة وديارهم ومصارعهم ، مع الفعلة عما أصابهم من عقاب الله وعذابه ، وإن أثر غضبه له تأثير في الحال كالحال . فان قيل : كيف يصيب عذاب الظالمين من ليس بظالم ؟ فالجواب أن الشارع ﷺ أرشد أمته إلى التفكير والاعتبار الباعث للخشية ، فكانه أمرهم بالتفكير في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أوائك بالكفر ، مع تمكنهم في الارض وإمهاهم مدة طويلة ، ثم ايقاع نقمته بهم وشدة عذابه عليهم وهو سبحانه مقلب القلوب ، فلا يأمن المؤمن أن تكون عاقبته الى مثل ذلك ، والتفكير أيضاً في مقابلة أولئك نعمة الله بالكفر ، وإمهاهم أعمال عقولهم فيما يوجب الايمان به ، والطاعة لنيبه ، فمن مر عليهم ولم يتفكر فيما يوجب البكاء اعتباراً بأحوالهم ؛ فقد شابهم في الاعمال ، ودل على قساوة قلبه ، وعدم خشوعه ، فلا يأمن أن يحمله الى العمل بمثل أعمالهم ، فيصيبه ما أصابهم ، فهذا التقرير لا يأمن أن يصير ظالماً ، فيعذبه بظلمه ، والله الموفق .

الحديث الثالث

٣ — حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر ،

قال : سئل النبي ﷺ عن الضب ، فقال : لا آكله ولا أحرمه .

قال (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن عبد الله بن دينار عن)
 أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (قال : سئل) — بضم السين
 المهملة على صيغة مالم يسم فاعله — (النبي) — بالرفع نائب فاعل — (ﷺ) عن
 الضب (أي حكم أكل لحمه . قال الحافظ ابن حجر في كتابه « فتح الباري لشرح
 البخاري » : يحتمل أن يكون السائل جذيمة بن جزء ، فقد أخرج ابن ماجه من حديثه
 « قلت : يا رسول الله ! ما تقول في الضب ؟ فقال : لا آكله ولا أحرمه — قال — قلت :
 فإني آكل مالم تحرم » ، وسنده ضعيف . وعند مسلم والنسائي من حديث أبي سعيد
 « قال رجل : يا رسول الله ! إنا بأرض مضبة ، فما تأمرنا ؟ قال : ذكر لي أن أمة
 من بني إسرائيل مسخت . فلم يأمر ، ولم ينه » . وقوله : مضبة . بضم أوله
 وكسر الصاد المعجمة ، أي كثيرة الضباب — قال — وهذا يمكن أن
 يفسر بثابت بن وديعة ؛ فقد أخرج أبو داود والنسائي من حديثه ؛ قال :
 « أصبت ضباباً ، فشويت منها ضباً ، فأتيت به رسول الله ﷺ ، فأخذ عوداً ،
 فعد به أصابعه ، ثم قال : إن أمة من بني إسرائيل مسخت دواب في الأرض ،
 وإني لا أدري أي الدواب هي ؛ فلم يأكل ، ولم ينه ، وسنده صحيح . والضب
 بفتح الصاد المعجمة وتشديد الواحدة — حيوان صغير ذو ذنب ، يشبه بالخرودون

بكسر الحاء المهملة - وقيل : الحردون ، ذكر الضب ، حكاه الجوهري ، ذكره في « المطلع » ، وفي « الفتح » : الضب دويبة تشبه الحردون ، لكنه أكبر منه ، ويكنى أبا حسل - بمهملتين مكسورة فساكنة - ويقال للأنثى : ضبة ، وبه سميت القبيلة ، وبالحيف من منى جبل يقال له : ضب ، والضب أيضاً : داء في خف البعير ، ويقال : إن لأصل ذكر الضب فرعين ، ولهذا يقال : له ذكران . وذكر ابن خالويه أن الضب يعيش سبعمائة سنة ، وأنه لا يشرب الماء ، ويبول كل أربعين يوماً قطرة ، ولا يسقط له سن ، ويقال : بل أسنانه قطعة واحدة . وحكى غيره أن أكل لحمه يذهب العطش . ومن الأمثال : لا أفعل كذا حتى يرد الضب ، يقوله من أراد أن لا يفعل الشيء ، لأن الضب لا يرد ؛ بل يكتفي بالغيم وبرد الهواء ، ولا يخرج من جحره في الشتاء (فقال) عليه السلام : (لا آكله) - أي الضب - (ولا أحرمه) . وفي لفظ « الصحيحين » وغيرهما : « لست آكله ولا أحرمه » ، وفي مسلم من طريق نافع عن ابن عمر « سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر ، وفي « مسند » الإمام أحمد ، وفي البخاري ، ومسلم ، والموطأ ، والترمذي ، والنسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان معه ناس فيهم سم ، وأنوا بلحم ضب ، فنادت امرأة من نساء النبي صلى الله عليه وسلم : إنه لحم ضب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلوه فإنه حلال ، ولكنه ليس من طعامي » ، وفي رواية لمسلم : « أتني بضب فلم يأكله ولم يحرمه » ، وفي أخرى أنه سئل عن الضب فقال : لا آكله ولا أنهى عنه ، وفي رواية الموطأ : « أن رجلاً نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! ما ترى في الضب ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لست بأكله ولا بحرمه » ، وفي « المسند » ، والبخاري ، ومسلم ، وأبي داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما : « أن

خالد بن الوليد سيف الله أخبره أنه دخل مع رسول الله ﷺ على ميمونة زوج
 النبي ﷺ - وهي خالته ، وخالة ابن عباس - فوجد ضباً محنوداً بحساء مهمل
 ساكنة ، فنون مضمومة ، وآخره ذال معجمة ، أي مشوي بالحجاري الهامة
 - قدمت به أختها حفيذة بنت الحارث من نجد ، فقدمت الضب لرسول الله ﷺ
 وكان قل ما يقدم يديه لطعام حتى يحدث عنه ، ويسمى له ، فأهوى رسول الله
 ﷺ يده إلى الضب ، فقالت امرأة من النسوة الحضور : أخبرن رسول الله
 ﷺ بما قدمتن له . قلن : هو الضب يا رسول الله ، فرفع رسول الله ﷺ يده ،
 فقال خالد بن الوليد : أحرام الضب يا رسول الله ؟ قال : لا ! ولكنه لم يكن
 بأرض قومي ، فأجدي أعافه . - قال خالد : فاجتزته بحميم وزاي ، هذا هو
 المعروف في كتب الحديث ، أي فأكلته - ورسول الله ﷺ ينظر ، فلم ينهني ،
 فني هذين الحديثين وغيرهما جواز أكل الضب . وحكى عياض عن قوم تحريره ،
 وعن الحنفية كراهته ، وأنكر ذلك النووي وقال : لا أظنه يصح عن أحد ، وإن
 صح فهو محجوج بالنصوص ، وبإجماع من قبله . قال في « الفتح » وقد نقله ابن
 المنذر عن علي ، فأبي إجماع يكون مع مخالفته . ونقل الترمذي
 كراهته عن بعض أهل العلم ، وقال الطحاوي في « معاني الآثار » :
 كره قوم أكل الضب ، منهم أبو حنيفة ، وأبو يوسف ، ومحمد بن الحسن
 - قال - واحتج محمد بن حديث عائشة : « أن النبي ﷺ أهدى له ضب فلم يأكله ،
 فقام عليهم سائل ، فأرادت عائشة أن تعطيه : فقال لها ﷺ : أتعطينه مالا
 تأكلين ! » قال الطحاوي : ما في هذا دليل على الكراهة ، لاحتمال أن تكون
 عافته ، فأراد النبي ﷺ أن لا يكون ما يتقرب به إلى الله إلا من خير الطعام ؛
 كما نهى أن يتصدق بالتمر الردي . انتهى . وقد جاء عن النبي ﷺ « أنه
 نهى عن الضب » أخرجه أبو داود بإسناد حسن . ولا التفات لقول الخطابي :

ليس اسناده بذلك ، ولا يقوم ابن حزم : فيه ضعفاء ومجهولون ، وقول البيهقي :
تفرد به اسماعيل بن عياش ، وليس بحجة ، وقول ابن الجوزي : لا يصح ؛ لأن
في ذلك كله تساهلاً لا يخفى ؛ لانه من رواية اسماعيل بن عياش عن ضمضم بن
زرعة عن شريح بن عتبة ، عن أبي راشد الجبراني ، عن عبد الرحمن بن شبل
رضي الله عنه ، وحديث ابن عياش عن الشاميين قوي ، وهؤلاء شاميون ثقات ،
وقد صحح البخاري بعض رواية ابن عياش عن الشاميين . وقد أخرج الامام
أحمد وأبو داود وابن حبان وصححه من حديث عبد الرحمن بن حسنة رضي الله
عنه : « نزلنا أرضاً كثيرة الضباب ، الحديث ، وفيه : « أنهم طبعوا منها ، فقال
ﷺ : إن أمة بني اسرائيل مسخت دواب في الارض ، فأخشى أن تكون هذه
فأ كفؤوها ، وأخرجه الطحاوي ، وسند هذا الحديث على شرط الشيخين إلا
الضحاك ، فلم يخرج جاله .

فإن قلت : ما وجه هذا مع ما تقدم من الاحاديث الدالة على إباحة الضب
نصريحاً وتلويحاً ونصاً وتقريراً ؟ فالجواب : حمل النهي فيه على أول الحال
عند تجوز أن يكون مما مسخ ، وحينئذ أمر بكفاء القدور ، ثم توقف فلم يأمر
ولم ينه عنه ، وأما الاذن فيه فمحمول على ثاني الحال ، لما علم ﷺ أن المسوخ
لا نسل له . ثم إنه عليه الصلاة والسلام بعد ذلك كان يستفدرة ، فلا يأكله ولا
يحرمه ، وأكل على مائدته ، فدل على الإباحة . ومن كرهه ؛ فكراهته للتنزيه
في حق من يتقذره . وتحمل أحاديث الإباحة على من لا يتقذره ، ولا يلزم من
ذلك أنه يكره مطلقاً . وقد أفهم كلام ابن العربي عدم حله لمن يتقذره ؛ لما
يتوقع في أكله من الضرر .

تنبيه : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » متمجباً من ابن العربي حيث

قال : قولهم : إن المسوخ لا ينسل . هذا أمر لا يعرف بالعقل ، وإنما طريقه النقل ، وليس فيه أمر يعول عليه . كذا قال ، وكأنه لم يستحضره من صحيح مسلم ، ثم قال : وعلى تقدير ثبوت كون الضب ممسوخاً ؛ فذلك لا يقتضي تحريم أكله ، لأن كونه آدمياً قد زال حكمه ، ولم يبق له أثر أصلاً ، وإنما كره ﷺ الأكل منه لما وقع عليه من سخط الله ، كما كره الشرب من مياه نمود . انتهى . قال في « الفتح » : ومسألة جواز أكل الآدمي إذا مسخ حيواناً ما كولا ؛ لم أرها في كتب فقهاءنا .

قلت : ظاهر كلام علمائنا عدم إباحة جميع المسوخ . قال الامام أحمد في القنفذ : إنه بلغه أنه مسخ . قال في « الفروع » : أي لا مسخ على صورته دل على خبثه ، قاله شيخنا - يعني شيخ الاسلام ابن تيمية - . انتهى . والحديث ظاهره يقتضي التحريم ، والله أعلم .

الحديث الرابع

٤ - حدثنا سفيان ، قال سمعته من ابن دينار ، عن ابن عمر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فإنما يقول : السام عليك ، فقل : وعليك . وقال مرة : إذا سلم عليكم اليهودي ؛ فقولوا : وعليكم ، فإنهم يقولون : السام عليكم .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (قال) أي سفيان (سمعته) أي الحديث الآتي (من) عبد الله (بن دينار ، عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن

عمر (رضي الله عنها) عن النبي صلى الله عليه وسلم) أنه قال : (إذا سلم عليكم معشر المسلمين (اليهودي) واحد اليهود ، حذفت ياء النسبة من جمعهم ، كزنجي ، وزنج ، وفي تسميتهم بذلك خمسة أقوال : أحدها قولهم : إنا هدنا اليك ، والثاني : أنهم هادوا من عبادة المجل ، أي - تابوا - والثالث : أنهم مالوا عن دين الاسلام ، ودين موسى . والرابع : أنهم يهودون عند قراءة التوراة ، أي يتحركون ويقولون : السموات والأرض تحركت حين آتى الله موسى التوراة ؛ قاله أبو عمرو بن العلاء . والخامس : نسبتهم الى يهوذا بن يعقوب ، فقيل لهم : يهود بالذال المعجمة ، ثم عرب بالمهلة ، نقله غير واحد . والمراد باليهود ، ما يشمل سائر فرقهم من السامرة والفرائين وغيرها . (فأنما يقول) : وفي لفظ عند البخاري : (إنما يقول أحدهم بتسليمه عليكم : (السام) بالسين المهلة ، بنير همز وهو الموت ، وقيل : الموت العاجل (عليك) بالافراد ، كذا لعامتهم (فقل) : أمر منه صلى الله عليه وسلم بالرد عليهم على وفق ابتدائهم (و عليك) هكذا هو في « المسند » وجميع نسخ « صحيح البخاري » ، والذي عند جميع رواة الموطأ بلفظ ، فقل : عليك ، ليس فيه الواو . وأخرجه أبو نعيم في المستخرج من طريق يحيى بن بكير ، ومن طريق عبد الله بن نافع ، كلاهما عن مالك بإثبات الواو . (وقال) سفيان عن ابن دينار عن ابن عمر (مرة : إذا سلم عليكم اليهودي ، فقولوا :) في الرد عليه (و عليكم ، فانهم) الفاء تعليلية ، أي اليهود (يقولون : السام) أي الموت (عليكم) وأخرجه النسائي من طريق ابن عيينه ، عن ابن دينار بلفظ : « إذا سلم عليكم اليهودي والنصراني ، فأنما يقول : السام عليكم ، فقل : عليكم ، بنير واو وبصفة الجمع ، وأخرجه أبو داود من رواية عبد العزيز بن مسلم ، عن عبد الله بن دينار ، وقال : وكذا رواه مالك والثوري عن عبد الله بن دينار ، قال فيه : و عليكم . ويأتي من حديث أنس : « إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : و عليكم ، وقد ورد هذا

الحديث بألفاظ مختلفة ، أخرجه البخاري ، ومسلم ، وأبو داود وغيرهم . والجمع بين رواياته أن بعض الرواة حفظ ما لم يحفظ الآخر ، وأنها سياقاً رواية هشام بن زيد بن أنس : سمعت أنس بن مالك يقول : « مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال : السام عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وعليك ، ثم قال : أتدرون ماذا يقول ؟ قال : السام عليك ، قالوا : يا رسول الله ! ألا تقتله ؟ قال : إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : « وعليكم » ، وفي رواية الطيالسي أن القائل ألا تقتله : عمر بن الخطاب رضي الله عنه . وكان بعض الصحابة لما أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن اليهود تقول ذلك ؟ سألوهم حينئذ عن كيفية الرد عليهم .

وقد اختلف العلماء في إثبات الواو وإسقاطها في الرد على أهل الكتاب ، لاختلافهم في أي الروايتين أرجح ، فذكر ابن عبد البر عن ابن حبيب : لا يقولها بالواو ؛ لأن فيها تشريكاً ، وبسط ذلك أن الواو في مثل هذا التركيب تقتضي تقرير الجملة الأولى وزيادة الثانية عليها ، كمن قال : زيد كاتب ، فقلت : وشاعر ؛ فإنه يقتضي ثبوت الوصفين لزيد - قال - وخالفه جمهور المالكية ، وقال بعض شيوخهم : يقول : عليكم السلام - بكسر السين - يعني الحجارة ، ووهاه ابن عبد البر ، بأنه لم يشرع لناسب أهل القمة ، ويؤيده إنكار النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة لما قالت لهم : عليكم السلام والمنة يا إخوان القردة . وذكر ابن عبد البر عن طاووس قال : يقول علامكم السلام بالألف - أي ارتفع .

وذهب جماعة من السلف إلى أنه يجوز أن يقال في الرد عليهم : عليكم السلام ، كما يرد على المسلم ، واحتج بعضهم بقوله تعالى : (فاصفح عنهم وقل سلام) . قلت : حكاه العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » ، عن عمر بن عبد العزيز ، ولفظه : قال ابن عبد البر : قيل ل محمد بن كعب القرظي : إن

غمر بن عبد العزيز سئل عن ابتداء أهل الذمة بالسلام . قال : يرد عليهم ولا يبدؤهم بالسلام ، فقال له : لم ؟ فقال : لقوله عز وجل : (فأعرض عنهم وقل سلام) . كذا قال ، وهو غريب . انتهى . وفي « الفتح » أنه حكاه الماوردي وجها عن بعض الشافعية ؛ لكن لا يقول : ورحمة الله ، وقيل : يجوز مطلقاً . وعن ابن عباس ، وعلقمة : يجوز ذلك عند الضرورة . وعن الأوزاعي : إن سئلت فقد سلم الصالحون ، وإن تركت فقد تركوا . وعن طائفة من العلماء : لا يرد عليهم السلام أصلاً ، وعن بعضهم التفرقة بين أهل الذمة وأهل الحرب . والراجح من هذه الأقوال ما دل عليه الحديث ؛ ولكنه مختص بأهل الكتاب . قلت : الذي اعتمدناه علماؤنا عدم بداءة أهل الذمة بالسلام . قال في « الآداب الكبرى » . هذا هو الذي عليه عامة العلماء سلفاً وخلفاً ، لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن بداءتهم بالسلام ، وذلك في « الصحيحين » وغيرها .

قال الامام احمد في رواية أبي داود ، وسئل عمن يبتدىء الذمي بالسلام إذا كانت حاجته اليه - قال - لا يمجبي ، وقال في رواية أبي الخارث ، وسأله قال : مررت بقوم جلوس وفيهم نصراني أسلم عليهم ؟ قال : سلم عليهم ولا تنوه ، وروى الامام احمد ، والشيخان ، والترمذي من حديث أسامة بن زيد : « أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بمجلس فيه أخلاط من اليهود فسلم عليهم » . وسئل الامام أحمد عن رجل له قرابات مجوس من أهل الذمة يدخل عليهم ، أسلم عليهم ؟ قال : لا ، قيل له : كيف يقول ؟ قال : يقول : أبرداتم^(١) ولا يبدأ بالسلام . قال الشيخ تقي الدين : فقد نهى عن الابتداء مطلقاً ، ورخص عند قوم المسلم أن يجبي بمثل أبرداتم . قال في « الآداب » : وذهب بعض العلماء أنه لا يحرم وهو وجه لبعض الشافعية ، وذهب بعض العلماء إلى جوازه للحاجة .

(١) وكذا في الآداب الشرعية ١ ، ١٢٤

قال ابن مفلح في « الآداب » : وذكر بعض أصحابنا المتأخرين احتمالاً رأيته بخط القاضي قتي الدين الزريراني البغدادي ، قال : وتناول ابن عبد البر النهي عن بداهتهم على أن معناه ليس عليكم أن تبدؤوهم - قال بدليل ما روى الوليد ابن مسلم عن عروة بن رويم ، قال : كان أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه ، يسلم على كل من لقي من مسلم وذمي ، ويقول : هي تحية لأهل ملتنا ، واسم من أسماء الله نفسه بيننا - قال - ومحال أن يخالف أبو أمامة السنة في ذلك ، كذا قال .

قال ابن مفلح : وأبو أمامة إن صح ذلك عنه ؛ فقد خالفه غيره بلا شك . والنهي ظاهر في التحريم ، والأصل عدم الإضمار ، وقد خالف ابن عبد البر مالكا في هذه المسألة . قال ابن مفلح : وكلام الامام أحمد فيه متردد بين التحريم والكراهة ، وظاهر كلام الاصحاب التحريم . انتهى . هذا كله في ابتدائهم في السلام .

وإن سلم أحدم ؛ فنجزم علماؤنا بوجوب الرد .

قال في « الآداب الكبرى » : فإن سلم أحدم ، أي أهل الذمة ، وجب الرد عليه عندنا وعند عامة العلماء ، لصحة الأحاديث عنه عليه الصلاة والسلام بالأمر بالرد - قال - : وذهب بمضمم إلى أنه لا يجيب ؛ ورواه ابن وهب وأشهب عن مالك .

وصفته : عليك أو عليكم ، بحذف الواو وبإثباتها ، صحت هذه الألفاظ عن النبي ﷺ قال واختار أصحابنا الواو ، وذكر ابن موسى في « الارشاد » حذفها ، وقطع به .

قال القاضي عياض من المالكية : اختار بعض العلماء ، منهم ابن حبيب المالكي حذف الواو ، لئلا يقتضي التشريك . وقال غيره بإثباتها ، كما هو في أكثر الروايات . وقال الخطابي : عامة المحدثين يروونه : وعليكم بالواو - قال - وكان ابن عيينة يرويه : عليكم بحذف الواو - قال - وهو الصواب ؛ لأنه إذا حذف

الواو صار قولهم الذي قالوه بعينه مردوداً عليهم ، فادخال الواو توجب الاشتراك معهم والدخول فيما قالوه ، لأن الواو للعطف والجمع بين الشبثين ، وقال غيره : الواو أجود كما في أكثر الروايات ولا مفسدة فيه ، لأن السام الموت وهو علينا وعليهم ، وقيل : إن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك ، فقوله : وعليكم أي ما تستحقونه من الذم ، ولا تجوز الزيادة على ذلك ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . وتقدم أن للشافعية وجهاً تجوز أن يقال : وعليكم السلام ، وإن بعض العلماء كسر السين . وذكر ابن حمدان من علمائنا في آخره الرعاية ، أن الذمي إذا كسر السين من السلام وهي الحجارة رد عليه مثله ، وذكره ابن موسى ، والأول - يعني الاقتصار على وعليكم - أولى عملاً بالأحاديث الواردة فيه ، وقال الشيخ تقي الدين بن تيمية : إذا سلم الذمي على المسلم فانه يرد عليه مثل تحيته ، وإن قال : أهلاً وسهلاً فلا بأس ، كذا قال ، وجزم في موضع آخر بمثل قول الأصحاب . والله الموفق .

الحديث الخامس

٥ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر عن النبي ﷺ : إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث .

وقال مرة : إن النبي ﷺ نهى أن يتناجى الرجلان دون الثالث إذا كانوا ثلاثة .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي

عبد الرحمن (عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (عن النبي ﷺ) أنه قال: (إذا كنتم ثلاثة) هكذا الاكثر، ينصب ثلاثة على أنها الخبر، ووقع في رواية لمسلم: إذا كان ثلاثة بالرفع على أن كان تامة، كذا في «الفتح» (فلا يتناجى اثنان دون الثالث) أي لا يتحدثان سرّاً، من المناجاة وهي المسارعة، يقال: ناجاه مناجاة، سارعه، واتنجاه خصه بمناجاته، كما في «القاموس»، وفي «النهاية» المناجى هو المخاطب للإنسان والمحدث له، يقال: ناجاه يناجيه مناجاة فهو مناج، والنجى فعيل منه، وفي رواية: لا يتناجى اثنان دون صاحبها، أي لا يتساران منفردين عنه، لأن ذلك يسوؤه. وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى يختلطوا بالإناس» من أجل ذلك يحزنه. قال الخطابي: وإنما يحزنه لأجل ممتنين؛ أحدهما: أنه ربما يتوم أن نجواهما للتبیت رأي أو تدسيس غائلة له، والثاني: من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه، وعند الأكثر فلا يتناجى بآيات الألف المقصورة في الخط بصورة الياء، وإنما سقطت الألف في اللفظ لالتقاء الساكنين، بلفظ الخبر ومعناه النهي، وفي بعض نسخ البخاري بحجم فقط، بلفظ النهي ومعناه.

(وقال) ابن عمر رضي الله عنها (مرة: إن النبي ﷺ نهى) نهى كراهة أو تحريم، كما سند ذكر الخلاف فيه (أن يتناجى) أي يتسار (الرجلان)، ولعل المراد بالرجلين الشخصان (دون الثالث إذا كانوا ثلاثة)، بخلاف ما إذا كانوا أربعة فإنه لا يمتنع تناجى اثنين، لا مكان أن يتناجى الاثنان الآخران، وقد ورد ذلك صريحاً فيما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود وصححه ابن حبان من طريق أبي صالح عن ابن عمر رفته قلت: فإن كانوا أربعة قال: لا يضره، وفي رواية مالك عند عبد الله بن دينار «كان ابن عمر رضي الله

عنها إذا أراد أن يسارر رجلاً وكانوا ثلاثة دعى رابعاً ، ثم قال للاثنين : استرخيا شيئاً ، فاني سمعت . . . ، فذكر الحديث ، وفي رواية سفيان في جامعه عن عبد الله بن دينار نحوه ، ولفظه « فكان ابن عمر إذا أراد أن يتناجى رجلاً دعا آخر ، ثم ناجى الذي أراد ، وله من طريق نافع » إذا أراد أن يتناجى وم ثلاثة دعا رابعاً ، وهذا يؤخذ من حديث ابن مسعود من قوله : « حتى يختلطوا بالناس ، فانه يفيد أنه متى ما اختلط بأحد ، سواء جاء اتفاقاً ، أم عن طلب ، كما فعل ابن عمر زال المانع . قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : ويكره أن يتناجى اثنان دون ثالثها ، قاله في « الرعاية » ، وقال في « المجرى » : ولا يتناجى اثنان دون واحد ، قال في « الآداب » : وقد يؤخذ منه أي من كلام « المجرى » ، التحريم ، وجزم به النووي ، قال في « الفتح » : قال النووي : النهي في الحديث للتحريم إذا كان بغير رضا ، وقال في موضع آخر : إلا باذنه ؛ أي صريحاً كان أو غير صريح ، والاذن أخص من الرضى ؛ لأن الرضى قد يعلم بالقرينة فيكتفى بها عن التصريح ، والرضى أخص من الاذن من وجه آخر ؛ لأن الاذن قد يقع مع الإكراه ونحوه ، والرضى لا يطلع على حقيقته ؛ لكن الحكم لا يناط إلا بالاذن الدال على الرضى .

وظاهر الإطلاق أنه لا فرق في ذلك بين الحضر والسفر . قال في « الآداب الكبرى » : النهي عام وفقاً للمالكية والشافعية ، وفي « الفتح » : عدم الفرق قول الجمهور ، وقال في « الآداب » : وخصه بمض العلماء بالسفر ، قال في « الفتح » : حكى عن أبي عبيد بن جربونة أنه قال : هو مختص بالسفر في الموضع الذي لا يأمن فيه الرجل على نفسه ، فأما في الحضر وفي المارة فلا بأس ، وحكى عياض نحوه ، ولفظه : قيل : إن المراد بهذا الحديث السفر ، والمواضع التي لا يأمن فيها الرجل رفيقه ، أو لا يعرفه ، أو لا يثق به ويخشى منه . قال —

وقد روي في ذلك أثر ، وأشار بذلك الى ما أخرجه الامام أحمد من طريق أبي سالم الخشاني عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : « ولا يحل ثلاثة يكونون بأرض فلاة أن يتناجى اثنان دون صاحبا ، وفي سنده ابن لهيعة ، وعلى تقدير ثبوته فتقيده بأرض فلاة يتعلق بأحد علي النهي اللتين ذكرناهما في كلام الخطابي .

تنبيهات

الأول : استثنى في « الفتح » سورة مما تقدم عن ابن عمر من إطلاق الجواز إذا كانوا أربعة ، وهي ما لو كان بين الواحد الباقي وبين الآتي مقاطعة بسبب يمدران أو أحدهما به ، فانه يصير في معنى المنفرد .

الثاني : أفهم التعليل المار امتناع المناجى من المناجاة إذا كان بمن إذا خص أحداً بمناجاته أحزن الباقيين ؛ إلا أن يكون في أمر مهم لا يقدر في الدين . وقد نقل ابن بطلال عن أشهب عن مالك قال : لا يتناجى ثلاثة دون واحد ، ولا عشرة ؛ لأنه قد نهى أن يترك واحد ، وهذا مشتبط من الحديث ؛ لأن المعنى في ترك الجماعة للواحد كترك الاثنين له ، وهذا من حسن الأدب ، لئلا يتباغضوا ويتقاطموا . وقال المازري ومن تبعه : لا فرق في المعنى بين الاثنين والجماعة ؛ لوجود المعنى في حق الواحد ، زاد القرطبي : بل وجوده في العدد الكبير أمكن وأشد ، فليكن المنع أولى ، وإنما خص الثلاثة بالذكر لأنه أول عدد يتصور فيه ذلك المعنى . فمما وجد المعنى فيه الحق به في الحكم . قال ابن بطلال : وكل ما كثر الجماعة مع الذي لا يناجى كان أبعد لحصول الحزن . قلت : وقد صرح علماؤنا بمثل هذا كما في « آداب ابن مفلح » ، وفي « منظومة الآداب » لابن عبد القوي ، ولفظه في المنظومة : وان يتناجى الجمع مادون مفرد .

الثالث : اختلف فيها اذا انفرد جماعة بالتناجي دون جماعة . قال ابن التين : وحديث عائشة في قصة فاطمة دال على الجواز ، وفي «الصحيح» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه : « فأتيته وهو في ملا فساررتة » ، ففي ذلك دلالة على ارتفاع الامتناع ، وهو ظاهر كلام علمائنا وغيرهم ، وقصة ابن عمر صريحة في ذلك .

الرابع : أرشد الحديث الى امتناع دخول أحد في حديث المتناجين بلا إذنها . قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يدخل على المتناجين في حال تناجيها . قال في «الآداب الكبرى» : ويكره أن يدخل في سر قوم لم يدخلوه فيه ، والجلوس والاصفاء الى من يتحدث سرا بدون إذنه ، وقيل : يحرم - قال - وإن كان إذنه استحياء ، فذكر صاحب النظم : يكره ، وقد أخرج البخاري في «الآداب المفرد» من رواية سميد المقرئ قال : « مررت على ابن عمر ومعه رجل يتحدث ، فقامت اليها ، فلطم صدري وقال : إذا وجدت اثنين يتحدثان ، فلا تقم معها حتى تستأذنها » ورواه الامام أحمد ، وزاد في روايته من وجبه آخر عن سميد وقال : أما سمعت أن النبي ﷺ قال : إذا تناجى اثنان فلا تدخل معها غيرهما حتى يستأذنها » قال في «الفتح» : لا ينبغي للدخول القعود عند المتناجين ، ولو تباعد عنها إلا بإذنها ؛ لأنها لما افتتحت حديثها سرا وليس عندها أحد ، دل على أن مرادها أن لا يطلع أحد على كلامها ، ويتأكد ذلك إذا كان صوت أحدهما جهورياً لا يتأتى له إخفاء كلامه عن حضره ، وقد يكون لبعض الناس قوة فهم ، بحيث إذا سمع بعض الكلام استدل به على باقيه ، فالحفاظة على ترك ما يؤذي المؤمن مطلوبة وإن تفاوتت المراتب . وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « من تعلم بحلم لم يره كلف أن يمقد بين شعيرتين وإن يفعل ، ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك » ، ومن صور صورة

عذب وكلف أن ينفخ فيه الروح وإيس بنافع ، رواه البخاري وغيره . والآثك
بمد الهمزة وضم النون - هو الرصاص المذاب . والمستمع لحديث من يتناجون
أحد الثمانية المستحقين للصفع ، كما في كلام بعض الأدباء :

قد خص بالصفع في الدنيا ثمانية	لا لوم في واحد منهم اذا صفوا
المستخف بسلطان له خطر	وداخل في حديث اثنين قد هما
وآمر غيره في غير منزله	وجالس مجلساً عن قدره ارتفعا
ومتحف بحديث غير حافظه	وداخل بيت تطفيل بغير دُعا
وقارئ العلم مع من لا خلاق له	وطالب النصر من أعدائه طمعا

الخامس : يستفاد من الحديث وجوب كتم السر ، وتحريم افشائه . وقد
أخرج أبو داود من حديث جابر رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« المجلس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس ؛ سفك دم حرام ، أو فرج حرام ، أو اقتطاع
مال بغير حق » ، وأخرج عنه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « اذا
حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة » ، ورواه الترمذي وقال : حديث
حسن ، وأخرج الامام أحمد عن أبي الدرداء : « من سمع من رجل حديثاً
لا يشتهي أن يذكر عنه فهو أمانة وإن لم يستكتمه » ، وأخرج الامام أحمد أيضاً
عن أنس رضي الله عنه قال : « ما خطب نبي الله ﷺ إلا قال : لا إيمان لمن لا
أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له » ، قال الملامة ابن مفلح في « الفروع » : حرم
في « أسباب الهداية » ، افشاء السر ، وفي « الرعاية » ، يحرم افشاء السر المضر .
انتهى . والأحاديث في ذلك كثيرة ، وقد ذكرت من ذلك طرفاً صالحاً - مع
فوائد ظريفة في كتابي « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » ، والله
تعالى الموفق .

الحديث السادس

٦ — حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : كان رسول الله ﷺ يبايع على السمع والطاعة ، ثم يقول : فيما استطعت .

وقال : مرة : فيلقن أحدنا : فيما استطعت

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن دينار عن) أبي عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها (قال : كان رسول الله ﷺ يبايع) الناس (على السمع) أي لإجابة قوله وقول الأمراء ، الذين كان ﷺ يؤمّيرهم ؛ إذ طاعة أوامرهم واجبة ما لم يأمرُوا بمعصية ، وإلا فلا طاعة للخلق في معصية الخالق . وفي حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : « لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف » ، (والطاعة) لله ولرسوله ﷺ ولولاة الأمور . قال القاضي عياض : أجمع العلماء على وجوب طاعة الامام في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، وقال ابن بطال : احتج الخوارج بحديث : لا طاعة للخلق في معصية الخالق ، ونحوه ، فأروا الخروج على أئمة الجور والقيام عليهم عند ظهور جورهم . والذي عليه الجمهور أنه لا يجب القيام عليهم عند ظهور جورهم ، ولا خلهم إلا بكفرهم بعد إيمانهم ، أو تركهم إقامة الصلوات ، وأما ما دون ذلك من الجور ، فلا يجوز الخروج عليهم إذا استوطن أمرهم وأمر الناس معهم ؛ لأن في ترك الخروج عليهم تحصين القروج والأموال وحقن الدماء ، وفي القيام عليهم تفرق الكلمة — قال — ولا يجوز القتال معهم لمن

خرج عليهم عن ظلم ظهر منهم . فقوله : كان ﷺ يبيع ، أي يماهد ، فالمبايعة هنا عبارة عن المماهدة ، سميت بذلك تشبيهاً بالمعاوضة المالية ؛ كما في قوله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » ، وقد وقعت المبايعة منه ﷺ لأصحابه مرات متعددة ، وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث عبادة ابن الصامت رضي الله عنه قال : « كنا مع رسول الله ﷺ في مجلس فقال : تباعوني على أن لا أشركوا بالله شيئاً ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وفي رواية « ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا بهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوني في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فعوقب - زاد الامام أحمد - به - أي بسببه - فهو كفارة - زاد الامام أحمد - له - وكذا البخاري من وجه ، وزاد - وطهور - ، ومن أصاب شيئاً من ذلك فستره الله عليه ، فأمره الى الله ؛ إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه ، فبايعناه على ذلك ، وفي «الصحيحين» وغيرهما من حديث عبادة بن الصامت أيضاً رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة ، والسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى آفة علينا ، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم ، زاد في رواية « ولا ننازع الأمر أهله ؛ إلا أن تروا كفراً بواحاً » (١) عندكم فيه من الله برهان ، وفي مسلم وأبي داود والنسائي من حديث أبي إدريس الخولاني - وأبو إدريس هذا صحابي من جهة الرؤية ، تابعي من جهة الرواية ، تابعي كبير ، وقد ذكر في الصحابة لأن له رؤية ، وكان مولده عام حنين ، وحنين كانت في الثامنة - قال : حدثني الحبيب الأمين ، أما هو فحبيب إلى وأما هو فأمين ؛ عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال : « كنا عند رسول الله

(١) بواحاً : ظاهراً مكشوفاً .

ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة ، فقال : ألا تبايعون رسول الله ﷺ ؛ وكنا حديثي^(١) عهد ببيعة ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله - قال - فبسطنا أيدينا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : أن تعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً ، وتصلوا الصلوات الخمس ، وتسمعوا وتطيعوا ، وأسر كلمة خفية قال : ولا تسألوا الناس شيئاً - قال - فلقد رأيت بعض أوثاك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحداً يناوله إياه ، وبيعة النساء مشهورة ، وكذا مبايعة ﷺ الأنصار في العقبة الاولى والثانية والثالثة ، وأشهر الجميع بيعة الرضوان ، وكانت في الحديبية في السادسة . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (ثم) بعد المبايعة (يقول) عليه الصلاة والسلام (فيما استطعت) أي يقول ذلك لكل واحد من المبايعين له ، أي في الشيء الذي تستطيعه ، لأن الله جل شأنه ، لا يكلف نفساً إلا وسعها ، وفي لفظ أو قال ﷺ : استطعتم بصيغة الجمع . وهذا الحديث رواه مالك وأصحاب الكتب الستة .

(وقال) ابن عمر رضي الله عنهما (مرة) أخرى (فيلقن) ﷺ (أحداً) معشر المبايعين له أن يقول (فيما) أي في الشيء الذي (استطعتم) له من فعل وترك أي يعلمه ويفهمه أن يقول ذلك ، واللقن سرعة الفهم ، يقال : لقن كفرح فهو لقين وألقن ، حفظ بالمجلة ، والتلقين كانتفهم كما في « القاموس » . والاستطاعة القدرة على الشيء . قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : استطاع استفعل من طاع بطوع ، ولم ينطق به ، وإنما نطقوا بالرباعي منه ، فقالوا : أطاعه ، وقالوا : طوع له كذا ، أي حسنه وزينه ، فكانه جعل نفسه مطيعة لدايعه ، فالهمزة في أطاعه همزة التمدية والنقل من الازوم الى التمدي ، والتضعيف في طوع لكونه في معنى حسن وزين ، فأما السين والتاء في استطاع ؛ فاما أن تكون للوجود ، أي وجدته طوعاً ، كاستجدته أي وجدته جيداً ، واستصوبت كلامه ، أي

(١) في الاصل : حديث .

وجدته صواباً ، واستعملته ، أي وجدته عظيماً ؛ وإما ان يكون للطلب ، أي طلبته أن يطيعني إذا أمرته ولا يستعصي علي ، بل يكون طوع قدرتي ، وقد يأتي هذا اللفظ بمعنى فعل ، كفرّ واستقر ومرّ واستمر ، وقد يأتي بمعنى الضرورة ؛ كاستنوق البعير واستحجر الطين ، وأما استعنب فللطلب ، أي طلب الاعتبار ، أي طلب إزالة عتبه ؛ فقوله تعالى : « وإن يستعنبوا فما هم من المعتبين » أي وإن يطلبوا إعتابنا وإزالة عتبتنا عنهم ، يقال : عتب عليه إذا عرض عنه وغضب عليه ، ثم يقال : استعنب السيد عبده ، أي طلب منه أن يزيل عتب نفسه عنه بموده الى رضاء ، فأعتبه عبده أي أزال عتبه بطاعته . ويقال : استعنب المبد سيدة ، أي طلب منه أن يزيل غضبه وعتبه عنه ، فأعتبه سيدة ، أي أزال عتب نفسه عنه ، وإنما قال تعالى : « وإن يستعنبوا فما هم من المعتبين » أي وإن يطلبوا إزالة عتبتنا عنهم فما هم من المزال عنهم ؛ لأن الآخرة لا تقال فيها العثرات ، ولا تقبل فيها التوبة .

فائدة : في اسطاع أربع لغات ؛ أحدها : هذه . الثانية : اسطاع بحذف تاء الافتعال تخفيفاً ، ومنه قوله تعالى : « فما اسطاعوا أن يظهروه » الثالثة : اسطاع بالصاد ، وفيه أمران : حذف التاء وإبدال السين صاداً لأجل مجاورتها الطاء . الرابعة : اسطاع بادغام السين في الطاء ، وهو إدغام على خلاف القياس . وقد روي فيه أيضاً : أسطاع بفتح المهمزة وقطعها ، وهي مشكلة والله أعلم .

والحاصل أنه كان عَلَيْهِ السَّلَام يلحق ، أي يفهم أصحابه أن يقولوا في الشروط التي تؤخذ عليهم عند المبايعة : فيما استطعنا ، لأن الطاعة تكون بحسب الاستطاعة ، وقد قال الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » أي اطيعتم ، وهذه الآية ناسخة لآية « اتقوا الله حق تقاته » والله تعالى أعلم .

الحديث السابع

٧ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، قال : سمعت عبد الله بن عمر قال : سمعت النبي ﷺ يقول : البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو يكون بيع خيار .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (عن عبد الله بن دينار قال : سمعت) أبا عبد الرحمن (عبد الله بن عمر) رضي الله عنها (قال : سمعت النبي ﷺ يقول : البيعان) يعني البائع والمشتري ، وإطلاق البائع على المشتري في هذا الحديث ، إما على سبيل التخليب ، أو لأن كلا منهما بائع (بالخيار) بكسر الخاء المعجمة - اسم من الخيار أو التخيير ، وهو طلب خير الأمرين من إمضاء البيع أو فسخه ، وفي «المطلع» : الخيار اسم مصدر من اختار يختار اختياراً ، وهو طلب خير الأمرين ، والمراد به خيار المجلس ، فيستمر لكل واحد منهما الخيار من انتهاء العقد ، فله أن يعضيه وله أن يفسخه (ما لم يتفرقا) من مجلس العقد بأبدانها التفرق المسقط للخيار ، وهو تفرقها بحيث لو كلم أحدهما صاحبه الكلام المعتاد لم يسمعه ، كذا في «المطلع» ، ومعتمد المذهب إناطة التفرق بالعرف ، وهو معتمد مذاهب العلماء ، ولا بد أن يكون التفرق بأبدانها عرفاً من مجلس العقد اختياراً ، ولو بهرب أحدهما من صاحبه ، لامع الاكراه ، أو فزع من خوف ، أو إجماء بسبيل أو حمل ، وهما على خيارهما حتى يتفرقا من مجلس زال فيه ذلك . وفي رواية عند النسائي : «ما لم يتفرقا» بتقديم الفاء . ونقل ثعلب عن الفضل بن مسلمة : افترقا بالكلام ، وتفرقا بالأبدان ، ورد ابن العربي لقوله تعالى : « وما تفرق الذين أوتوا

الكتاب ، فإنه ظاهر في التفوق بالكلام ، إلا أنه بالاعتقاد ، وأجيب بأنه من لازمه غالباً ، لأن من خالف آخر في عقيدته كان مستدعياً لمفارقة إياه يدينه ، ولا يخفى ضعف هذا الجواب . والحق حمل كلام المفضل على الاستعمال بالحقيقة ، وإنما استعمل أحدهما في موضع الآخر اتساعاً . فإذا تفرق المتبايعان التفرق الشرعي فقد وجب البيع وسقط خيار المجلس . (أو) أي إلا أن (يكون) البيع (بيع خيار) شرط ، بأن يشترط أو أحدهما الخيار إلى مدة معلومة ، فها على خيارها حتى يسقط الخيار إن كان لهما ، أو يسقطه من له الخيار ، أو أن يتصرفا أو أحدهما في المبيع ، كما سننبه عليه قريباً .

تنبيهات

الأول : اختلف الفقهاء رحمهم الله ورضي عنهم فيما دل عليه هذا الحديث من ثبوت خيار المجلس ، وكذا حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه عند الشيخين وغيرهما ، ولفظه : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبيئنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » . وفي بعض ألفاظ حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا ، أو يقول أحدهما لصاحبه : اختر » . وفي لفظ : « إذا تباع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا وكانا جميعاً ، أو تخير أحدهما الآخر ، فإن خير أحدهما الآخر فتابيا على ذلك فقد وجب البيع ، وإن تفرقا بعد أن تابيا ولم يترك واحد منهما البيع ، فقد وجب البيع » . متفق على ذلك كله . وفي لفظ : « كل يمين لا يبيع بينهما حتى يتفرقا ؛ إلا يبيع الخيار ، متفق عليه أيضاً .

قال نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما : « فكان ابن عمر إذا باع رجلاً فأراد أن لا يقبله ، قام فثنى هنيئة ثم رجع ، أخرجه أيضاً . فذهب الامام أحمد

والامام الشافعي رضي الله عنها الى القول بضمون هذه الاحاديث ، من ثبوت خيار المجلس في عقود المفاوضات اللازمة التي يقصد منها المال، كالبيع، والصلح والحوالة ، والاجارة ونحوها ، الا في العقود اللازمة التي لا يقصد فيها الموض ، كالكساح ، والخلع ، والكتابة ، وكذا قال بذلك فقهاء أصحاب الحديث ، ونفاه الامام أبو حنيفة ، والامام مالك رضي الله عنهم أجمعين . ولا يخفى ان الاحاديث دلت دلالة ظاهرة على ثبوت خيار المجلس .

وروى الامام احمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال : « البيع والمبتاع بالخيار حتى يتفرقا ، إلا أن تكون صفقة خيار ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقيله » ، ورواه الدارقطني أيضاً . وفي لفظ « حتى يتفرقا من مكانها » ، وعن ابن عمر رضي الله عنها قال : « بت من أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه مالا بالوادي بمال له بخير ، فلما تبايعنا رجعت على عقبي حتى خرجت من بيته ، خشية أن يرادني البيع ، وكانت السنة أن المتبايعين بالخيار حتى يتفرقا » ، رواه البخاري ، ووافق ابن حبيب من أصحاب مالك من أثبتته ، والذين نفوه اختلفوا في وجه المذخر عن الاحاديث الدالة عليه .

ف قيل : لكونه حديثاً خالفه راويه وهو مالك ؛ فانه رواه ولم يقل به . قالوا : وكل ما كان كذلك لم يعمل به ؛ لأن الراوي إذا خالف ، فلما أتى يكون مع علمه بالصحة فيكون فاسقاً ، فلا تقبل روايته ، وإما أن يكون لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بطل ما روى فيتبع في ذلك . والجواب منع المقدمة الثانية ، وهو أن الراوي إذا خالف ما رواه لم يعمل بروايته . وقولهم : إن كان مع علمه بالصحة كان فاسقاً ؛ ممنوع ، لجواز أن يعلم بالصحة ، ويخالف لمعارض راجح عنده ، ولا يلزم تقليده فيه ، وقولهم : إن كان لا مع علمه بالصحة وهو أعلم بروايته فيتبع

في ذلك ، ممنوع أيضاً ، لأنه إذا ثبت الحديث وجب العمل به ظاهراً ، فلا يترك مجرد الوهم والاحتمال . وأيضاً هذا الحديث مروى من عدة طرق ، فإن تمسذر الاستدلال به من جهة رواية مالك ، لم يمتذر من جهة أخرى ، كما في رواية الامام أحمد هذه ، فإنه لا مدخل لماك فيها ، وإنما ربما يستأنس لما زعموا عند التفرد ، والواقع هنا خلافه .

وقيل : في العذر عن العمل بمضمون الاحاديث ، انها آحاد فيما تتم به البلوى ، وخبر الواحد في ذلك غير مقبول ، فإن البياعات مما تكرر مرات لا تحصى ، ومثل هذا تتم البلوى بمعرفة حكمه ، وما عمت به البلوى يكون معلوماً عند الكافة عادة ، فانفراد واحد به خلاف المادة . والجواب عن ذلك بمنع المتقدمين مما ؛ أما الاولى : فالذي تتم به البلوى البيع دون الفسخ الذي دل عليه الحديث ، فإن الظاهر من الاقدام على البيع ، الرغبة من المتعاقدين فيما صار اليه ، فالحاجة الى معرفة حكم الفسخ لا تكون عامة ، وأما الثانية : فالممول عليه في الرواية عدالة الراوي وجزمه بالرواية ، وقد وجد ذلك ، وعدم نقل غيره لا يصلح معارضاً لجواز عدم سماعه للحكم ، فإن الرسول ﷺ كان يبلغ الأحكام للآحاد والجماعة ، ولا يلزم تبليغ كل حكم لجميع المكلفين ، وعلى تقدير السماع فمن الجائز أن يمرض مانع من النقل ، أعني نقل غير هذا الراوي ، وإنما يكون ما ذكرنا إذا اقتضت المادة أن لا يخفى الشيء عن أهل التواتر ، وليست الأحكام الجزئية من هذا القبيل ، وقد علمت أن الحديث صح عن عبد الله بن ، عمر وحكيم بن حزام ، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم .

وقيل في العذر : إن هذا مخالف للقياس الحلي ، والأصول القياسية المقطوع بها ، وما كان كذلك فلا يعمل به . والجواب أولاً : عدم التسليم في مخالفة القياس الحلي ، والأصول القياسية ، وثانياً : لا نسلم أن الحديث المخالف للأصول

القياسية يرد ، فان الأصول تثبت بالنصوص ، والنصوص ثابتة في القروع المينة ،
وغاية ما في الباب أن يكون الشرع أخرج بعض الجزئيات عن الكليات لمصلحة
تحصها أو تمبداً ، فيجب اتباعه .

وقيل في العذر : إن هذا حديث ممرض لإجماع أهل المدينة وعلمهم ،
وما كان كذلك يقدم عليه العمل ، وقد قال مالك رضي الله عنه عقب روايته :
وليس لهذا عندنا حد معلوم ، ولا أمر معمول به فيه . انتهى . وإنما كان إجماع
أهل المدينة مقدماً على مثل هذا ، لما اختصوا به من سكناهم في مهبط الوحي ،
و وفاة الرسول ﷺ بين أظهرهم ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، فمخالفتهم
لبعض الأخبار تقتضي عليهم بما أوجب ترك العمل به ، من ناسخ أو دليل راجح ،
ولا تهممة تلحقهم ؛ فتمين اتباعهم ، فكان ذلك أرجح من خبر الآحاد المخالف
لعلمهم . والجواب أولاً : منع كون ذلك من إجماع أهل المدينة ؛ فان الامام
مالك لم يصرح بأن المسألة من إجماع أهل المدينة ، وعلى فرض كون ذلك من
إجماعهم ، فاما أن يراد به إجماع سابق أو لاحق ، والأول باطل ؛ لأن ابن عمر
رأس المفتين بالمدينة في وقته ، وقد كان يرى خيار المجلس ، وكذا مولاة نافع
من التابعين ، وكذا اللاحق ، فان ابن أبي ذئب من أقران مالك ومناصريه ،
وقد أغلظ على مالك لما بلغه مخالفته للحديث . وثانياً : منع كون إجماع أهل
المدينة وعلمهم مقدماً على خبر الواحد مطلقاً ، فان الحق الذي لا شك فيه ، أن
علمهم وإجماعهم لا يكون حجة فيما طريقه الاجتهاد والنظر ؛ لأن الدليل الناصم
للأمة من الخطأ في الاجتهاد ، لا يتناول بعضهم ، ولا مستند للعصمة سواء . قال
شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : الذي عليه أئمة الناس أن إجماع أهل
المدينة ليس بحجة شرعية . هذا مذهب احمد والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم ،
وهو قول المحققين من أصحاب مالك ، كما ذكره القاضي عبد الوهاب في كتابه

في الملخص في أصول الفقه ، وغيره ، فذكر أنه ليس باجماع ولا حجة عند المحققين من أصحاب مالك ، وإنما يحمله حجة بعض أهل المغرب من أصحابه - قال - وليس هؤلاء من أئمة النظر والدليل ، وإنما هم أهل تقليد . انتهى . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : ولم أر في كلام مالك ما يوجب حمل هذا حجة وهو في الموطأ : إنما ذكر الامر المجمع عليه عندهم ، فهو يحكي مذهبهم ، وتارة يقول : الذي لم يزل عليه أهل العلم ببلدنا ، يشير الى الاجماع القديم ، وأطال الكلام في ذلك ، وحاصله عدم اعتبار كونه حجة ، والله أعلم .

وقيل في العذر : ما في بعض الروايات ، ولا يحل له أن يفارقه خشية أن يستقبله . فاستدلوا بهذه الزيادة على عدم ثبوت خيار المجلس ، لأنه لولا أن المقد لازم لما احتاج الى الاستقالة ، ولا طلب الفرار من الاستقالة . والجواب : بأن المراد من الاستقالة هنا فسخ البيع بحكم الخيار ، ولا يخفى ما في هذا العذر من العذر ، والله الموفق .

وقيل في العذر : بحمل المتبايعين على المساومين . قلت : ورد هذا يعلم من جوهر الحديث ، ومن فعل ابن عمر مع عثمان رضي الله عنهم كما ذكرناه . وكل هذه الاعذار واهية ساقطة مصادمة للنص ؛ فوجب طرحها وعدم الالتفات اليها ، والله الموفق .

الثاني : اتفق الأئمة وعلماء الأمة على جواز خيار الشرط ، وصحته للمتأقدين مآ ، ولأحدهما بانفراده إذا شرطه ، ثم اختلفوا في مدته ، فقال أبو حنيفة والشافعي : لا يجوز أن تكون مدته أكثر من ثلاثة أيام ، وقال مالك : يجوز بقدر الحاجة ، وقال أحمد : يجوز الى مدة معلومة وإن طال ، قال العلامة الشيخ مرعي الكرمي في غايته : لا كألف سنة ومائة سنة ، لافضائه للنفع من التفرق المتأني للمقد ، ولا بد أن يشترطه أو أحدهما في المقد ، أو في زمن الخيار

لا بمد لزمه ، فلو كان المبيع لا يبقى الى مضي المدة ، كطعام رطب ؛ يبيع وحفظ ثمنه ، وإن شرط الخيار بائع ايرج فيما أقرضه ؛ حرم — نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه — ولم يصح البيع .

الثالث : خيار المجلس يثبت عند الحنابلة والشافعية ، ولو فيما قبضه شرط لصحته ؛ كصرف وسلم ، وبيع مال ربوي بجنسه ، ولم يثبت عند الحنفية والمالكية ولا في عقد من العقود ، وأما خيار الشرط ؛ فيثبت في كل ما يثبت فيه خيار المجلس ، سوى ما قبضه شرط لصحته ؛ فانه يثبت فيه خيار المجلس دون خيار الشرط ، والله أعلم .

الرابع : لو تلف المبيع في مدة الخيار ؛ فعمد مذهبنا أنه يبطل الخيار بتلف المبيع ، ولو قبل قبضه ، خلافاً لـ «المتن» ، أو احتاج لحق توفية ، كما لو تلفه مشتر . وقال مالك والشافعي : إذا تلفت السلعة المبينة بالخيار في مدة الخيار ؛ فضمانها من بائعها دون مشتريها ؛ إذا كانت في يده أو لم تكن في يد واحد منها ، وإن قبضها المشتاع ثم تلفت في يده وكانت مما يغاب عنه ؛ فضمانها منه ؛ إلا أن تقوم له يينة على تلفها ، فيسقط عنه ضمانها ، وإن كانت مما لا يغاب عنه ؛ فضمانها على كل حال من بائعها ، وقال أبو حنيفة : إذا تلف المبيع في مدة الخيار ؛ إن كان قبل القبض ؛ انتقض المبيع ، سواء كان الخيار لها أو لأحدهما ، وصار كأن لم يتعد ، فأما إن كان تلفه في يد المشتري وكان له الخيار ؛ فقد تم البيع ولزم ، وإن كان الخيار للبائع ، انتقض البيع ، ولزم المشتري قيمة المبيع ، لا الثمن المسمى في العقد ، والله الموفق .

الحديث الثامن

٨ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، سمع ابن عمر
ابن ابنه عبد الله بن واقد : يابني : سمعت رسول الله ﷺ
يقول :

لا ينظرُ الله الى من جرَّ إزارهُ خيلاً .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن)
أبي أسامة (زيد بن أسلم) مولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ،
وزيد هذا مدني من أكابر التابعين ، سمع ابن عمر وجماعة من الصحابة رضي
الله عنهم ، وسمع أباه أسلم ، وروى عنه الثوري وأيوب السختياني والامام مالك
وابن عيينة وغيرهم ، وتوفي سنة ستة وثلاثين ومائة ، وأبوه هو أبو خالد أسلم
مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان حبشياً بجاويأ من بجاة ، وقيل : كان
من سبي اليمن ، ابتاعه عمر رضي الله عنه بمكة سنة إحدى عشرة لمسلمته
أبو بكر الصديق رضي الله عنها ليقيم الحج للناس . وكان أسامة بن زيد بن أسلم
يقول : نحن قوم من الأشعرين ؛ ولكننا لا ننكر منة عمر . سمع أسلم عمر
ابن الخطاب ، روى عنه ابنه زيد والقاسم بن محمد ، مات في ولاية مروان وله
مائة وأربعة عشرة سنة ، وقيل : مات زمن عبد الملك بالمدينة ، وفي « طبقات
الحفاظ ، للحافظ جلال الدين السيوطي ما نصه : زيد بن أسلم المدني الفقيه أبو
أسامة ، ويقال : أبو عبد الله مولى عمر بن الخطاب ، روى عن أنس وجابر بن

عبد الله ، وسلمة بن الأكوع وابن عمر وأبي هريرة وعائشة ، وعن ابنه أسامة
 وابن جريج والسفيان وغيرهم ، أجمع على جلالته . وكانت له حلقة في المسجد
 النبوي . قال أبو حاتم : لقد رأينا في مجلس زيد بن أسلم أربعين حبراً فقيهاً ، فما
 رأينا فيهم متارين ولا متنازعين في حديث لا ينفعها قط . وكان علي بن الحسين
 يجلس إلى زيد ، ف قيل له تتخطى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب ، فقال :
 إنما يجلس المرء إلى من ينفعه في دينه . قال يعقوب بن أبي شيبة عن زيد بن أسلم :
 هو ثقة كثير الحديث ، من أهل الفقه والعلم ، عالم بتفسير القرآن ، له كتاب في
 التفسير ، وكان يقول : ابن آدم ! إتق الله يحبك الناس وإن كرهوا . وكان
 أبو حاتم يقول : لا يرني الله يوم زيد ؛ أنه لم يبق أحد من أهل العلم أرضى
 لنفسه ودينه غيره ، فأتاه نمي زيد فمقر ، فما قام بعده ، كما في شرح البخاري .
 قال زيد بن أسلم (سمع) — بفتح السين المهملة وكشدائد الميم مفتوحة — (ابن
 عمر) رضي الله عنها بالرفع ، فاعل سمع (ابن ابنه) بنصب ابن ، مفعول أول لسمع
 (عبد الله) بالنصب ، بدل منه ، أو عطف بيان (ابن واقد) قال ابن قتيبة في
 « المعارف » : أما واقد بن عبد الله بن عمر فوقع من بعيره وهو محرم فوات
 — قال — وكان عبد الله بن واقد من رجال قریش ، وفيه يقول الشاعر :

أحب من النسوان كل خريدة لها حسن عباد وجسم ابن واقد

يعني عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير . وقد روى داود بن قيس
 رواية زيد بن أسلم عنه بزيادة قصة . قال : « أرسلني أبي إلى ابن عمر رضي الله
 عنها . فقلت : أدخل ؟ فعرف صوتي فقال : أي بني ! إذا جئت إلى قوم فقل :
 السلام عليكم ، فإن ردوا عليك فقل : أدخل ؟ — قال — ثم رأى ابنه وقد
 انجبر ردأوه فقال : ارفع إزارك ؛ فقد سمعت . . . » فذكر الحديث ، أخرجه
 الامام أحمد ، وأخرج الامام أحمد والحيدري وسعيا الابن عبد الله بن واقد بن

عبد الله بن عمر كما هنا ، وأخرجه الامام أحمد أيضاً من طريق معمر عن زيد ابن أسلم « سمعت ابن عمر ... » فذكره بدون القصة . قال عبد الله بن عمر رضي الله عنها لأن ابنه عبد الله بن واقد (يا بني) — بضم الباء الموحدة وفتح النون وتشديد المثناة تحت مكسورة — (سمعت رسول الله ﷺ يقول : لا ينظر الله) سبحانه وتعالى ، أي نظر رحمة ورضى ، أو لا يرحمه ، فالنظر اذا أضيف الى الله كان مجازاً ، وإذا أضيف الى الخلق كان كناية ؛ لأن من نظر الى متواضع رحمه ، ومن نظر الى متكبر مقتته ، فالرحمة والمقت متسببان عن النظر ، من حيث هو ، يقع على الاجسام والمعاني ، فما كان بالأبصار فهو الاجسام ، وما كان بالبصار كان للمعاني . قال الكرماني في « شرح البخاري » : نسبة النظر لمن يجوز عليه النظر كناية ؛ لأن من اعتد بالشخص التفت اليه ، ثم كثر حتى صار عبارة عن الاحسان ، وإن لم يكن هناك نظر ، ولمن لا يجوز عليه حقيقة النظر — وهو تقلب الحدة ، والله منزّه عن ذلك — فهو بمعنى الاحسان مجاز عما وقع ، في حق غيره كناية ، وهذا على مذهب الخلف . وأما مذهب السلف فكل ماورد يؤمنون به بالمعنى الذي أراده الله تعالى ، مع اعتقاد التنزيه للباري بأنه (ليس كمثل شيء وهو السميع البصير) زاد البخاري ومسلم وغيرهما : « يوم القيامة » إشارة الى أنه محل الرحمة المستمرة ، بخلاف رحمة الدنيا ؛ فانها قد تنقطع بما يتجدد من الحوادث ، (الى من) أي الى شخص ، فيتناول الرجال والنساء في الوعيد (جره) أي سحب وجذب (إزاره) وهو الثوب الذي يشد على الحقوين فما تحتهما ، وجمعه أزر ، ويجمع جمع قلة على إزره ، ويذكر ويؤنث فيقال : إزار لبسته ولبستها ، والمأزر — بكسر الميم مثله ، والجمع مأزر ، واثترت لبست الازار ، قال في القاموس : اثتر به وتأزر ، ولا تقل : ازر ، وقد جاء في بعض الاحاديث ، ولعله من تحريف الرواة . انتهى . (خيلاء) — بضم

الحاء المعجمة وقد تكسر ، وفتح المثناة تحت ، وبالمد منصوباً - مفعول لا جله أي لا أجل الخلاء . قال الراغب : الخلاء : التكبر ، ينشأ عن فضيلة يتراءاها الانسان من نفسه ، والتخييل : تصوير خيال الشيء في النفس ، وبقيد الخلاء يخص ظواهر الاحاديث المطلقة في الزجر عن الاسبال .

والحاصل أن الاسبال تارة يكون خيلاء ، وتارة لا . الاول : حرام من الكبائر . على الأصح ، والثاني : تارة يكون لحاجة ، وأخرى لا . الأول : غير مكروه مالم يقصد تدليساً فيحرم ، والثاني : مكروه ، وهو الاسبال بلا حاجة ولا خيلاء ولا تدليس ، لقول النبي ﷺ : « مات تحت الكمين في النار » ، فقد أخرج أبو داود والنسائي وغيرهما ، وصححه الحاكم من حديث أبي جري - بالجيم والراء مصفراً - واسمه : جابر بن سليم ، رفعه ، قال في أثناء حديث مرفوع : « وارفع إزارك الى نصف الساق ، فان أبيت فالى الكمين ، وإياك وإسبال الازار ، فانها من الخيلة ، وإن الله لا يحب الخيلة . وأخرج النسائي ، وصححه الحاكم أيضاً من حديث حذيفة بلفظ : « الازار الى أنصاف الساقين ، فان أبيت فأسفل » ، فان أبيت فمن وراء الساقين ، ولا حق للكمين في الازار » . وأخرج مالك ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وصححه أبو عوانة وابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، ورجاله رجال مسلم ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إزرة المؤمن الى نصف الساق ، ولا حرج - أو قال ولا جناح عليه - فيما بينه وبين الكمين ، وما كان أسفل من ذلك فهو في النار » ، ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله اليه يوم القيامة . وأخرج البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « ما أسفل من الكمين من الازار في النار » . وفي رواية النسائي قال : « إزرة المؤمن الى عضلة ساقه » ، ثم الى نصف ساقه ، ثم الى كعبه ، ومات تحت الكمين من الازار في النار » . قال ابن عمر رضي الله عنهما :

« ما قال رسول الله ﷺ في الإزار فهو في القميص » رواه أبو داود . وروى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم وهم عذاب أليم . — قال — فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يا رسول الله ؟ قال : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . قال الحافظ المنذري : المسبل هو الذي يطول ثوبه ويرسله الى الأرض ، كأنه يفعل ذلك تحبيراً واختيالاً . وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله : إن إزارى يسترخي إلا أن أتاهده ، فقال رسول الله ﷺ : إنك لست بمن يفعله خيلاء . . ولفظ مسلم : « قال ابن عمر : سمعت رسول الله ﷺ بأذني هاتين يقول : من جر إزاره لا يريد بذلك إلا الخيلة ، فإن الله لا ينظر اليه يوم القيامة » . الخيلة : — بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة — من الاختيال ، وهو الكبر واستحقار الناس .

وفي حديث ابن عمر ، وقصة الصديق رضي الله عنهم دليل على أنه لا حرج على من انجر إزاره بغير قصد مطلقاً . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يكره جر الإزار على كل حال ، فقال ابن بطلال : هو من تشديداته رضي الله عنه . قال في « الفتح » : بل كراهة ابن عمر محمولة على من قصد ذلك ، سواء كان عن غيلة أم لا ، وهو المطابق لروايته ، ولا يظن بابن عمر أنه يؤخذ من لم يقصد شيئاً ، وإنما يريد بالكراهة من انجر إزاره بغير اختياره ثم تمادى على ذلك ولم يتداركه — قال — وهذا متفق عليه ، وإن اختلفوا : هل الكراهة فيه للتحريم أو للتنزيه ؟ فإن كان الثوب على قدر لابس ، لكنه يسدله ، فهذا لا يظهر فيه تحريم ، ولا سيما إن كان عن غير قصد ، كالذي وقع للصديق

الاعظم . وأما إن كان الثوب زائداً على قدر لابسـه ، فهذا قد يتجه فيه المنع من جهة الاسراف ، ومن جهة التشبه بالنساء . وقد صحح الحاكم من حديث أبي هريرة : « أن رسول الله ﷺ لمن الرجل يلبس لبسة المرأة » ، وقد يتجه فيه المنع أيضاً من جهة أن لابسـه لا يأمن من تعلق النجاسة به ، وإلى ذلك يشير الحديث الذي أخرجه الترمذي في « الشائل » والنسائي من طريق أشعث بن أبي الشعثاء - واسم أبيه سليم الحازلي - عن عمته واسمها رم - بضم الراء وسكون الهاء - وهي بنت الأسود بن حنظلة عن عمها ، واسمها عبيد بن خالد قال : « كنت أمني وعليّ برد أجره » ، فقال لي رجل : ارفع ثوبك؛ فإنه أتقى وأبقى ، فنظرت فإذا هو النبي ﷺ ، فقلت : إنما هي بردة ملحاء ، فقال : أما لك في أسوة ؟ - قال - : فنظرت فإذا إزاره تكون ممدودة إلى أنصاف ساقيه . وسنده قبلها جيد . وقوله : ملحاء - بفتح الميم وبمحملة قبلها لام ساكنة ممدودة - أي فيها خطوط سود وبيض . وفي قصة قتل عمر رضي الله عنه أنه قال للشاب الذي دخل عليه : ارفع ثوبك فإنه أبقى أثوبك وأتقى لدينك . ويتجه المنع أيضاً في الأسباب من جهة أخرى ، وهي كونه مظنة الخيلاء ، ولهذا قال ابن العربي : لا يجوز لرجل أن يجاوز بثوبه كعبه ، ويقول : لا أجره خيلاء ، لأن النبي قد تناوله لفظاً ، ولا يجوز لمن تناوله اللفظ حكماً أن يقول : لا أمثله ، لأن تلك اللمة ليست في ، فإنها دعوى غير مسلمة ، بل إطلالته ذيله دال على تكبره . انتهى .

قال في « الفتح » : وحاصله ان الأسباب يستلزم جر الثوب ، وجر الثوب يستلزم الخيلاء ، ولو لم يقصد اللابس الخيلاء ، ويؤيده ما أخرجه أحمد بن منيع من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في أثناء حديث رفعه « وإياك وجر الازار فان جر الازار من الخيلة » .

وأخرج الطبراني من حديث أبي أمامة رضي الله عنها قال : « بينما نحن مع

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ لحقنا عمرو بن زرارة الانصاري في حلة ازار ورداء قد أسبل ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ بناحية ثوبه : تواضع لله ، ويقول : عبدك وابن عبدك وأمتك ، حتى سمعها عمرو ، فقال : يا رسول الله ! إني حشش الساقين ^(١) ، فقال : يا عمرو ! إن الله قد أحسن كل شيء خلقه ، يا عمرو ! إن الله لا يحب المسبل ، الحديث . وأخرجه الامام أحمد من حديث عمرو نفسه ؛ لكن قال في روايته : عن عمرو بن فلان ، وأخرجه الطبراني أيضاً ، فقال عن عمرو بن زرارة ، وفيه : « وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع أصابع تحت ركبة عمرو ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، ثم ضرب بأربع أصابع تحت الاربع ، فقال : يا عمرو ! هذا موضع الازار ، الحديث ، ورجاله ثقة ، وظاهره أن عمرأ المذكور لم يقصد بأسبالة الخلاء ، وقد منعه من ذلك لكونه مظنتها . وأما ما أخرجه ابن أبي شيبة عن ابن مسعود رضي الله عنه بسند جيد أنه كان يسبل إزاره ، فقيل له في ذلك ، فقال : إني حشش الساقين ؛ فهو محمول على أنه أسبله زيادة على المستحب ، وهو أن يكون الى نصف الساق ، ولا يظن به أنه جاوز به الكمين ، والتعليل يرشد اليه ، ومع ذلك فلمله لم تبلغه قصة عمرو بن زرارة . وأخرج النسائي وابن ماجه وصححه ابن حبان من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : « رأيت رسول الله ﷺ أخذ برداء سفيان بن سهيل وهو يقول : يا سفيان ! لا تسبل فان الله لا يحب المسبلين .

تنبية : يستثنى من عموم ذلك ثوب المرأة ؛ فان لها أن تسبل ذيله من شبر الى ذراع ، فقد أخرج النسائي والترمذي وصححه من طريق أيوب ، عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنها متصلاً بالحديث المار « فقالت أم سلمة : فكيف يصنع النساء بذيولهن ؟ فقال : يرخين شبراً ، فقالت : إذا تنكشف اقدامهن فقال :

(١) دقيق الساقين

يرخينه ذراعاً ، لا يزيدن عليه ، قال ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » :
وأطول ذيل المرأة للعكب والنساء بني الازر شبراً أو ذراعاً تزود
قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : ويزيد ذيل المرأة على ذيل
الرجل ما بين الشبر إلى القراع . وقال صاحب « المستوعب » : هذا في حق من
تمشي بين الرجال كنساء العرب ، فأما نساء المدن في البيوت ؛ فكذيل الرجال .
قال في « الرعاية الكبرى » : وترخيه البرزة ونساء البر على الأرض دون القراع ،
وقيل : من شبر إلى ذراع ، وقيل : يكره ما نزل عنه أو ارتفع ، نص عليه .
انتهى . والمتمدن عدم الفرق بين نساء المدن وغيرهن لعموم الحديث ، وكذا
يستثنى من عموم النهي عن الخلاء والتبختر عن قتال الكفار ، فإن أبا دجاجة رضي
الله عنه لما تبختر بين الصفيين يوم أحد . قال ﷺ : « إنها لمشية ينفضها الله إلا
في مثل هذا الوطن » . والله الموفق .

الحديث التاسع

٩ - حدثنا سفيان ، عن زيد بن اسلم ، عن عبد الله ابن
عمر : دخل رسول الله ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف ، مسجد
قباء يصلي فيه ، فدخلت عليه رجال الأنصار يسلمون عليه ،
ودخل معه صهيب ، فسألت صهيباً : كيف كان رسول الله
ﷺ يصنع إذا سلم عليه ؟ قال : يشير بيده

قال سفيانُ : قلت لرجلٍ : سل زيداً : أسمعته من عبد
الله ؟ وهبت أنا أن أسأله ، فقال يا أبا أسامة أسمعته من عبد
الله بن عمر ؟ قال زيد : أما أنا فقد رأيته وكتبته .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي
أسامة (زيد بن أسلم عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما
قال : (دخل رسول الله ﷺ مسجد بني عمرو بن عوف) يعني بعد ما بناه ،
فانه ﷺ دخل قباء يوم الاثنين لئلا ربيع الاول ، أي لأول يوم منه ، قاله
ابن عتبة ، وفي رواية جرير بن حازم عن ابن اسحق ، قدمها لاثنتي عشرة ليلة
خلت من ربيع الأول ، وعند أبي سعد في شرف المصطفى من طريق أبي بكر بن
حزم قال : قدم المدينة لثلاث عشرة ليلة من ربيع الاول ، وهذا يجمع بينه وبين
الذي قبله بالحل على الاختلاف في رؤية الهلال ، فأقام صلى الله عليه وسلم في بني
عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة ، وفي «الصحيح» عن أنس رضي الله عنه «أنه أقام
فيهم أربع عشرة ليلة» ، وقال ابن اسحق : خمس ليال . وعن قوم من بني عمرو
ابن عوف أنه أقام فيهم اثنين وعشرين يوماً ، (مسجد قباء) بالنصب بدل من
مسجد بني عمرو بن عوف أو عطف بيان ، وقباء - بالضم ، ويذكر ويقصر -
اسم الموضع المعروف قرب المدينة المنورة ، وفي «الصحيح» عن عروة «أقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف ، وأسس المسجد الذي أسس على
التقوى» ، وفي رواية عند عبد الرزاق عنه قال : « الذي بنى فيه المسجد الذي
أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف » وكذا عند ابن عائذ ، وروى يونس
ابن بكير في زياداته عن المسعودي عن الحكم بن عتبة - بضم العين المهملة وفتح
الفوقية وسكون التحتية وبالموحدة - قال : « لما قدم رسول الله صلى الله عليه

وسلم المدينة فنزل قباء ، قال عمار بن ياسر : ما لرسول الله صلى الله عليه وسلم بد من أن يجعل له مكاناً يستظل به إذا استيقظ ويصلي فيه ، فجمع حجارة فبنى مسجد قباء ، فهو أول من بنى مسجداً . قال ابن حجر وغيره : يعني لمامة المسلمين ، أو للنبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وهو في التحقيق أول مسجد صلى فيه بأصحابه جماعة ظاهراً ، وإن كان قد بنى غيره من المساجد ، فقد روى ابن أبي شيبه عن جابر رضي الله عنه قال : لقد لبثنا بالمدينة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم سنتين نمر المساجد ، ونقيم الصلاة . وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ يزور قباء - أو يأتي قباء - راكباً ومشياً » . زاد في رواية « فيصلي فيه ركعتين » ، ورواه البخاري والنسائي بلفظ : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكباً ومشياً ، وكان ابن عمر يفعله » وأخرجه مسلم بلفظ : « ان ابن عمر كان يأتي قباء كل سبت » ، وكان يقول : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت ، وفي رواية : « كان يأتيه راكباً ومشياً » قال ابن ائثار : وكان ابن عمر يفعله . وروى النسائي من حديث سهل بن حنيف رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من خرج حتى يأتي هذا المسجد مسجد قباء فيصلي فيه فإن له كمدل عمرة » وأخرج الترمذي من حديث أسيد بن ظهير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الصلاة في مسجد قباء كعمرة » قال الترمذي : هذا هذا حديث حسن صحيح - قال - ولا نعرف لأسيد بن ظهير شيئاً صحيحاً غير هذا الحديث . (يصلي) أي دخله ليصلي (فيه) صلى الله عليه وسلم (فدخلت عليه رجال الأنصار) أنت الفعل في دخلت باعتبار الجماعة ، والأنصار هم الأوس والخزرج من بني قيلة وحلفاؤهم . وفي البخاري عن غيلان بن جرير قال : « قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه : رأيت اسم الأنصار ، أكنتم تسمون به أم

سماكم الله تعالى وتبارك به ، قال : بلى سمانا الله عز وجل . . وروى البخاري
 ومسلم والترمذي وغيرهم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال : « سمعت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الأنصار : لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا
 يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحب الله ، ومن أبغضهم أبغض الله ، وفي
 « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه « آية الإيمان حب الانصار ،
 وآية النفاق بغض الانصار » وأخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنها
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يبغض الأنصار أحد يؤمن بالله
 واليوم الآخر . (يسلمون عليه) صلى الله عليه وسلم (ودخل) المسجد (معه)
 عليه الصلاة والسلام (صهيب) وهو أبو يحيى صهيب بن سنان ، مولى عبد الله
 ابن جدعان التيمي ، وفي نسبه خلاف كثير ، إلا أنه من النمر بن قاسط ، كانت
 منازلهم بأرض الموصل فيما بين دجلة والفرات ، فأغار الروم على تلك الناحية ،
 فسبته وهو غلام صغير ، فنشأ بالروم ، فابتاعته منهم كلب ، ثم قدمت به مكة ،
 فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمي فأعتقه ، فأقام معه الى أن هلك وبعث النبي
 ﷺ ، ويقال : إنه لما كبر في الروم وعقل هرب منهم ، وقدم مكة ، فخاف
 عبد الله بن جدعان ، وأسلم قديماً بمكة . يقال : إنه أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم
 واحد ، ورسول الله بدار الأرقم بعد بضعة وملائين رجلاً ، وكان من المستضعفين
 المذبذبين في الله عز وجل بمكة ، ثم هاجر الى المدينة بعد هجرة النبي ﷺ ،
 وهو من السابقين الأولين ، وفيه نزل قوله تعالى : « ومن الناس من يشتري
 نفسه ابتغاء مرضاة الله » وشهد بدرأ والمشاهد كلها . روى عنه ابن عمر وجابر
 وابن المسيب . روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثون حديثاً ، انفرد
 بالخراج عنه مسلم ، فأخرج له ثلاثة أحاديث ، ومات رضي الله عنه سنة ثمان
 وملائين بالمدينة ، وهو ابن سبعين سنة ، ودفن بالبقيع ، وقيل : مات سنة تسع

وثلاثين ، وهو ابن ثلاث وسبعين ، والله أعلم . قال ابن عمر رضي الله عنها :
(فسألت صهيياً) فقلت له : (كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع)
أي ما كان يفعل (إذا سلم) بضم السين المهيمة وكسر اللام مشددة مبنياً لما لم
يسم فاعله ، أي ما يكون منه من الفعل إذا سلم رجال الأنصار (عليه) في حال
دخولهم عليه صلى الله عليه وسلم (قال) صهيبي رضي الله عنه : كانت (يشير
بيده) الشريفة أي مع اتيانه بالرد المشروع ، وأقل ما يحصل به وجوب الرد أن
يسمع المبتدئ ، وحينئذ يحصل الجواب ، ولا يكفي الرد بالإشارة ؛ بل ورد
الزجر عنه ، وذلك فيما أخرجه الترمذي من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه
عن جده ، رفعه : « لا تشبهوا باليهود والنصارى ؛ فإن تسليم اليهود الإشارة
بالأصبع ، وتسليم النصارى بالأكف ، قال الترمذي : حديث غريب ، قال في
« الفتح » : وفي سنده ضعف ، لكن أخرج النسائي بسند جيد عن جابر رضي
الله عنه ، رفعه : « لا تسلموا تسليم اليهود ؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكف
والإشارة ، قال النووي : ولا يرد على هذا حديث أسماء بنت يزيد : « مرّ النبي
صلى الله عليه وسلم في المسجد وعصبة من النساء قعود ، فألوى بيده بالتسليم ،
رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه ؛ فإنه محمول على أنه جمع بين
اللفظ والإشارة ، وقد أخرجه أبو داود من حديثها بلفظ : فسلم علينا . انتهى .
والنهي عن السلام بالإشارة مخصوص بمن قدر على اللفظ حساً وشرعاً ، وإلا فهي
مشروعة لمن يكون في شغل يمنعه من التلفظ بجواب السلام ، كالمصلي والبعيد
والآخرس ، وكذا السلام على الأصم ، ولو سلم بغير اللفظ العربي ، هل يستحق
الجواب ؟ فيه ثلاثة أقوال للملأء ، ثالثها : يجب لمن يحسن بالعربية ، واستظهر ابن
دقيق العيد أن الترجية بغير لفظ السلام من باب ترك المستحب وليس بمكروه ؛

إلا إن قصد به المدول عن السلام الى ما هو أظهر في التعميم من أجل أكابر أهل الدنيا .

ورد السلام يجب على الفور ، فلو أخر ثم استدرك فرد ؛ لم يعد جواباً ، قاله القاضي حسين وجماعة ، وكان محله إذا لم يكن عذر . وفي «الآداب الكبرى» لابن مفلح : وهل يكره أن يسلم على المصلي ، وأن يرد إشارة ؟ على روايتين : أحدهما : يكره ، وهو الذي قدمه في «الرعاية» ، والثانية : لا يكره ، للعموم ولأنه صلى الله عليه وسلم لم ينكر على أصحابه حين سلموا عليه ، وذلك في البخاري ومسلم ، ولأنه صلى الله عليه وسلم رد إشارة على ابن عمر وصهيب ، روى ذلك جماعة ، منهم الامام أحمد وأبو داود والترمذي وصححه ، وعن الامام أحمد رضي الله عنه : لا يكره ذلك في النفل فقط ، وقيل : إن علم المصلي كيفية الرد جاز وإلا كره ، وعنه : يجب رده إشارة ، وقال في «المحرر» : له رد السلام إشارة ، وفي «الشرح» : يرد السلام إشارة ، وهو قول مالك والشافعي ، وإن رد عليه بعد فراغه من الصلاة فحسن ؛ لأن ذلك جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، فإن رد في صلاته لفظاً بطلت ، وبه قال الثلاثة ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم لم يرد على ابن مسعود ، قال ابن مسعود : «فسأله فقال : إن الله عز وجل يحدث من أمره ما يشاء ، وإنه قد أحدث من أمره أن لا يتكلم في الصلاة» ، رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وقال : رواه جماعة من الأئمة عن عاصم بن أبي النجود ، وتداوله الفقهاء بينهم ، وكان الحسن وابن المسيب وقتادة لا يرون به بأساً ، وروى النسائي عن عمار رضي الله عنه : «أنه سلم على النبي ﷺ وهو يصلي ، فرد عليه ، وهذا محمول على ما قبل تحريم الكلام في الصلاة ، وروى الماهر بن قنفذ : «أنه سلم على النبي ﷺ وهو بتوضاً ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه ، فرد عليه وقال : إنه لم يمنني أن

أرد عليك إلا أنني كرهت أن أذكر الله عز وجل إلا على طهارة ، إسناده جيد ،
 رواه الامام أحمد وابن ماجة وابن حبان في «صحيحه» وغيرهم ، وقال ابن حبان :
 أراد به الفضل ؛ لأن الذكر على الطهارة أفضل ، لا أنه مكروه . ولم يرد النبي
 ﷺ وهو يقول ، رواه مسلم وغيره . وفي البخاري عن جابر رضي الله عنه :
 « أن النبي ﷺ بعثه في حاجة قال : فأثبته فسلمت عليه فلم يرد علي » ، فوقع في
 قلبي ما به الله أعلم ، فقلت في نفسي : لعله وجد علي أن أبطأت عليه ، ثم سلمت
 عليه فلم يرد علي » ، فوقع في قلبي أشد من المرة الأولى ، ثم سلمت عليه ، فرد علي
 وقال : إنما منعي أن أرد عليك أنني كنت أصلي ، وكان على راحلته متوجهاً الى
 غير القبلة . ولمسلم أنه أوماً بيده ، وفي هذا الخبر وغيره أنه يستحب لمن منعه
 من رد السلام مانع أن يعتذر الى المسلم ويذكر المانع له .

(فروع) :

الاول : لو سلم على أصم ؛ جمع بين اللفظ والاشارة ، فإن لم يجمع لم يجب
 الجواب ، فإن سلم عليه أصم ؛ جمع في الرد بين اللفظ والاشارة أيضاً . فأما
 الآخر فسلامه بالاشارة ، وكذلك جواب الآخرس . قال في «الآداب الكبرى» :
 ويؤخذ من المسألة قبلها أن من سلم على أخرس أو رد سلامه ، جمع بين اللفظ
 والاشارة ، وهو متوجه — قال — وذكر المروذي أن أبا عبد الله يعني الامام
 أحمد رضي الله عنه لما اشتد به المرض كان ربما أذن للناس فيدخلون عليه أفواجا
 أفواجا ، فيسلمون عليه فيرد عليهم بيده .

الثاني : ابتداء السلام سنة ، ومن جماعة سنة كفاية ، والأفضل السلام
 من جميعهم ، ولا يجب إجماعاً ، تفصله ابن عبد البر وغيره ، قال ابن مفلح في

« الآداب الكبرى » : وظاهر ما نقل عن الظاهرية وجوبه . - قال - وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية أن ابتداء السلام واجب في أحد القولين في مذهب أحمد وغيره . ورفع الصوت بابتداء السلام سنة ليسمعه المسلم عليهم سماعاً محققاً ، وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام ، أو على من لا يعلم هل هم أيقاظ أو نيام ؛ خفض سوته بحيث يسمع الأيقاظ ولا يوقظ النيام ؛ فقد روى مسلم من حديث المقداد رضي الله عنه : « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحیی من الليل فيسلم تسليماً لا يوقظ نائماً ، ويسمع اليقظان » ، ويسن أن يبدأ بالسلام قبل كل كلام .

الثالث : رد السلام المستنون فرض عين على المنفرد ، وكفاية على الجماعة فوراً ، ورفع الصوت به قدر الإبلاغ واجب ، ومن سلم في حالة لا يستحب فيها السلام ، لم يستحق جواباً ، فيكره أن يسلم على أجنبية إلا أن تكون عجزاً ، وفي الحمام ، وعلى من يأكل أو يقاتل ، وعلى نالٍ وذا كبرٍ وملبٍ ومحدثٍ وخطيبٍ وواعظٍ ، وعلى من يستمع لهم ، وعلى من يكرر فقهاً ، ومدرسٍ ومؤذنٍ ومقيمٍ ، ومن هو على حاجته ، أو يتمتع بأهله ، ومشتغل بالقضاء ونحوهم .

الرابع : ابتداء السلام أفضل من رده ، مع أن ابتداء سنة ، ورده واجب ، وهذا أحد المواضع التي السنة أفضل فيها من الواجب ، الثاني : إنظار المسر واجب وإبراءه سنة ، وهو أفضل ، الثالث : التطهر قبل الوقت سنة وبه يجب . الرابع : الختان قبل البلوغ سنة وبه يجب . ونظموا ذلك (١)

الفرض أفضل من تطوع عابد	حق ولو قد جاء منه بأكثر
إلا التطهر قبل وقت وابتدا	للسلام كذاك لإرا المسر
وكذا ختان المرء قبل بلوغه	تم به عقد الامام المكثر

(١) البيتان الاولان للحافظ السيوطي ، والثالث للشيخ محمد الحلوتي الحنبلي .

وقد أنهيت الكلام على فصول السلام في كتابي «غذاء الألباب» اشرح منظومة الآداب ، والله تعالى الموفق .

(قال سفيان) ابن عيينة رحمه الله ورضي عنه : (قلت لرجل) من الحاضرين (سئل زيدا) يعني ابن أسلم ، (أسمعت) ، أي الحديث من (عبد الله) بن عمر رضي الله عنه ؟ وخاف سفيان أن يكون بينه وبين ابن عمر واسطة في الحديث ، لأنه رواه عنه بالمنعنة . قال سفيان رحمه الله تعالى (وهبت أنا أن أسأله) ، أي أسأل زيد بن أسلم عن ذلك ، (فقال) له الرجل : (يا أبا أسامة) ! هذه كنية زيد كما تقدم في ترجمته ، (سمعته) ، أي هذا الحديث (من عبد الله بن عمر) رضي الله عنها ، (قال زيد) بن أسلم : (أما أنا فقد رأيته) ، أي عبد الله بن عمر (وكنيته) ، يعني فلا أسأل بعد ذلك عن مثل ذلك ولا أتهم في شيء من ذلك ، لأن أضيقت الشروط ثبوت اللقب والأخذ عن الشيخ وملازمته له ، وكل هذه موجودة في زيد بن أسلم مع ابن عمر رضي الله عنها ، والحديث صحيح والله أعلم .

الحديث العاشر

١٠ - حدثنا سفيان ، قال : سمع صدقة بن عمرو يقول

- يعني عن النبي ﷺ - يَهْلُ أَهْلُ نَجْدٍ مِنْ قَرْنٍ ، وَأَهْلُ الشَّامِ مِنَ الْجُحْفَةِ . وَأَهْلُ الْيَمَنِ مِنْ يَلَمْلَمٍ ، وَلَمْ يَسْمَعْهُ ابْنُ عُمَرَ .
وسمع النبي ﷺ : مُهَلُّ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ذُو الْحُلَيْفَةِ قَالُوا لَهُ :
فَأَيْنَ أَهْلُ الْعِرَاقِ ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (قال) سفيان : (سمع) أبو الهذيل (صدقة) بن يسار الجوزي المكي ، سكن مكة ، يعد في التابعين ، روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، وسمع أبا جعفر والقاسم ، روى عنه شعبة والسفيان رضي الله عنها ، والامام مالك وغيرهم ، هكذا ذكره في « جامع الأصول » ولم يؤرخ وقته ، وقوله : (ابن عمر) هو بالنصب مفعول أول لسمع ، وصدقة فاعل ، وجلة (يقول) مفعول ثان ، أو حال من المفعول الذي هو ابن عمر (يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم يهل) بضم المثناة التحتية ، أي يرفع صوته بالتلبية ، يقال : أهل الحرم بالحج يهل إهلالاً : إذا لبى ورفع صوته ، والمراد يحرم ، (أهل نجد) بفتح النون وسكون الجيم ، قال في « المطالع » عن صاحب « المطالع » : هو ما بين جرش إلى سواد الكوفة ، وحده مما يلي المغرب الحجاز على يسار الكعبة ، ونجد كلها من عمل اليمامة ، وقال الجوهري : نجد من بلاد العرب ، وهو خلاف الفور ، والفور هو تهامة كلها ، وكل ما ارتفع من تهامة إلى أرض العراق فهو نجد ، وهو مذكور ، (من قرن) متعلق بهل ، وقرن بسكون الراء بلا خلاف ، قال صاحب « المطالع » : هو ميقات نجد على يوم وليلة من مكة ، ويقال له : قرن المنازل وقرن الثعالب ، ورواه بعضهم بفتح الراء وهو غلط ، وإنما قرن بفتح الراء قبيلة من اليمن ، وهي قبيلة أويس بن عامر القرني ، وقد غلط غير صاحب « المطالع » من العلماء من ذكره بفتح الراء ، وزعم أن أويساً القرني منه ، وإنما هو من قرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

(ويهل) أي يحرم (أهل الشام) ، زاد النسائي في حديث عائشة رضي الله عنها ومصر ، زاد الشافعي في روايته : والمغرب ، والشام : إقليم معروف يقال مسهلاً ومهموزاً ، وشأم بهمزة وبعدها مدة ، نقلها في « المطالع » ، قال الجوهري : الشام وتؤنث ، وفي « القاموس » : الشام بلاد على سمت القبلة ، وسميت كذلك لأن

قوماً من بني كنعان تشاءوا إليها ، أي تياسروا ، أو سمي بشام من نوح ؛ فانه
 بالشين المعجمة بالسريانية ، أو لأن أرضها شامات بيض وحر وسود ، وعلى هذا
 لا يهزم ، وقد تذكر ، وهو شامي وشام وشامي . انتهى . وفي «المطلع» في تسميتها
 بذلك ثلاثة أقوال : أحدها : أنها سميت بشام بن نوح ؛ لأنه أول من نزلها ، فجعلت
 السين شيناً تغييراً للفظ الأعجمي . الثاني : أنها سميت بذلك لكثرة قراها وتداني
 بعضها من بعض ، فشبهت بالشامات . والثالث : أنها سميت بذلك لأن باب الكعبة
 مستقبل المطلع ، فمن قابل طلوع الشمس كانت اليمن عن يمينه والشام عن يده
 التومي ، أي اليسرى . وحد الشام ما بين العريش والفرات طولاً ، وما بين البحر
 المالح ودومة الجندل عرضاً . (من الجحفة) - بضم الجيم وإسكان الحاء المهملة وفتح
 الفاء - قرية على ستة أميال من البحر وثمان مراحل من المدينة ، ومن مكة خمسة
 مراحل أو ستة أو ثلاثة ، كذا في القسطلاني ، وفي «المطلع» لابن قرقول :
 الجحفة : قرية جامعة على طريق المدينة من مكة ، وهي مبيعة ، وسميت الجحفة لأن
 السيل اجتحفها وحمل أهلها ، وهي على ستة أميال من البحر وثمان مراحل ،
 وقيل : نحو سبع مراحل من المدينة وثلاثة من مكة ، وفي «الاقناع» وغيره من
 كتب علماءنا : هي قرية كبيرة خربة بقرب رابغ الذي يحرم منه الناس على يسار
 الذهاب إلى مكة ، ومن أحرم من رابغ فقد أحرم قبل محاذاة الجحفة بيسير ، بينها
 وبين مكة ثلاث مراحل ، وقيل : أكثر . انتهى . قلت : الذي شاهدناه عياناً أن
 ما بين رابغ والمدينة خمس مراحل ، وما بينها وبين مكة كذلك ، نعم مراحل
 ما بين رابغ ومكة قصيرة بالنسبة للأولى ، والله أعلم . قال ابن الكلبي : كان
 العالقي يسكنون يثرب ، فأخرجهم من يثرب ، فزلوا مبيعة في السيل فاجتحفهم ،
 أي استأصلهم ، فسميت الجحفة ، والآن هي خربة لا يصل إليها أحد لوخمها ،

ولمّا يحرم الناس في هذه الأزمان من رابع لكونها محاذية لها .

تنبية : يلزم أهل الشام في هذه الأزمنة الاحرام من ذي الحليفة ، لأنهم
يأتون المدينة المنورة أولاً ، فيجب عليهم الاحرام من ميقات أهل المدينة ؛ لقوله
ﷺ : « هن - أي المواقيت - هن ، ولمن أتى عليهن من غيرهن » كما يأتي الكلام
على ذلك إن شاء الله تعالى . فليس للشامي ونحوه ، فمن أتى المدينة مجاوزة ذي
الحليفة بإلحرام إلى الجحفة التي هي ميقاته ، فإن فعل أساء ولم يمه دم عند الجمهور . وأطلق
النووي الاتفاق ، ونفى الخلاف في شرحه « لمسلم » و « المذهب » في هذه المسألة ، فإن أراد نفي
خلاف مذهبه ، فمسلم ، وإلا فلا ؛ لأن مذهب مالك له مجاوزة ذي الحليفة إلى الجحفة إن
كان من أهل الشام أو مصر ، وإن كان الأفضل خلافه ، وبه قال الحنفية وابن
المنذر من الشافعية . قال العلامة ابن مفلح في « فروعه » : « وهن مواقيت من مر عليها
من غير أهلها كالشامي يمر بذي الحليفة يحرم منها ، نص عليه يعني الإمام أحمد .
قال النووي : بلا خلاف ، كذا قال ، ومذهب عطاء والمالكية وأبي ثور ، له أن
يحرم من الجحفة - قال - ويتوجه لنا مثله ، وعند داود لا حج له ، وعند الحنفية
يحرم أهل المدينة ومن مر بها من شامي وغيره من ذي الحليفة ، ولهم أن يحرموا
من الجحفة ، ولا شيء عليهم ، وعن أبي حنيفة عليه دم ، وللشافعي : أنبا ابن
عينة عن يحيى بن سعيد عن ابن المسيب ؛ أن عائشة رضي الله عنها اعتمرت في
سنة مرتين ؛ من ذي الحليفة ، ومرة من الجحفة . وذكر بعض الحنفية ما ذكره
ابن المنذر وغيره عن عائشة رضي الله عنها : كانت إذا أرادت الحج أحرمت من
ذي الحليفة ، وإذا أرادت العمرة من الجحفة ، قال : ولو لم تكن الجحفة ميقاتاً
لذلك لما جاز تأخير إحرام العمرة ؛ لأنه لا فرق للائقي ، وأما إذا مر الشامي
أو المدني من غير طريق ذي الحليفة ، فميقاته الجحفة لا خبر ، ومن خرج عن

المبقات أحرم اذا علم أنه حاذى أقربها منه ، ويستحب الاحتياط ، فان تساوى في القرب اليه ؛ فمن أبعدهما من مكة ، والله الموفق .

(و) يهل أي يحرم (أهل اليمن) وهو ما كان عن يمين الكعبة من بلاد النور ، قال الجوهري : اليمن بلاد العرب ، قال في « القاموس » : اليمن محرّكة ما عن يمين القبلة من بلاد النور ، والنسبة اليها يعني ويمان مخففة ، والالف عوض من ياء النسبة ؛ فلا يجتمعان ، قال سيبويه : وبعضهم يقول : « يمان » بالتشديد ، قال أمية بن خلف :

يمانياً يظل يشد كبيراً وينفخ دائماً لهب الشواظ

(من يللم) - بفتح الياء المثناة تحت واللامين ، وسكون الميم الأولى بين اللامين - غير منصرف ، جبل من جبال تهامة ، ويقال فيه : ألملم - بهمزة بدل الياء - وهو على مرحلتين من مكة ، وفي « المطالع » ألملم ، ويقال يللم : من جبال تهامة ، على ليلتين من مكة ، والياء فيه بدل من الهمزة ، وليست بمزيدة ، وحكى اللغتين فيه الجوهري وغيره . (ولم يسمعه) أي يسمع قوله : يهل أهل اليمن من يللم عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها ، قال ابن عمر رضي الله عنها : « وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : وفي رواية سالم ابنه عنه : زعموا أن رسول الله ﷺ قال - ولم أسمعه : مهل أهل اليمن يللم » ولا خلاف بين العلماء أن مرسل الصحابي صحيح حجة . نعم خالف في ذلك الاستاذ أبو اسحق الأسفرايني فذهب الى أنه ليس بحجة . وقد ورد مبقات أهل اليمن مرفوعاً من غير إرسال من حديث ابن عباس في « الصحيحين » ، ومن حديث جابر في مسلم إلا أنه قال : أحسبه رفعه ، ومن حديث عائشة عند النسائي ، ومن حديث الحارث بن عمر وعند أبي داود والنسائي . (وسمع) ابن عمر رضي الله عنها (النبي) بالنصب مفعول سمع (صلى الله

عليه وسلم) يقول : (مهل) - بضم الميم وفتح الهاء - أي موضع إهلال (أهل المدينة) النبوية ، على ساكنها الصلاة والسلام ، و آل فيها للعهد الذهني ، والنسبة اليها مدني ، والى مدينة المنصور وأصفهان مديني ، والى مدائن كسرى مدائي ، وقال الحافظ أبو الفضل المقدسي في « كتاب الانساب » : قال البخاري : المدني هو الذي أقام بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يفارقها ، والمدني هو الذي تحول عنها وكان منها . انتهى . والمنسوب الى مدين قرية شبيب عليه السلام مدّيني . قال في النهاية : المهل - بضم الميم - موضع الاهلال ، وهو الميقات الذي يحرمون منه ، ويقع على الزمان والمصدر ، ومنه إهلال الهلال واستهلاله إذا رفع الصوت بالتكبير عند رؤيته (ذو الحليفة) - بضم الحاء المهملة وفتح اللام مصغراً - موضع عن المدينة ستة أميال ، وقيل سبعة ، نقله في « المطلع » عن القاضي عياض وغيره ، وذكر الرافعي من الشافعية ، أن بينه وبين المدينة ميل ، قال القسطلاني في « شرح البخاري » : وقول من قال كان الصباغ في « التأمل » و « الروياني » في أنه على ميل من المدينة وهم يردّه الحس . انتهى . والذي في « القاموس » ستة أميال ، وفي « المهابت » الصواب المعروف بالمشاهدة ، أنها على ثلاثة أميال أو تزيد قليلاً ، كذا قال ، وجزم فقهاؤنا أن بين ذي الحليفة والمدينة ستة أميال ، وتعرف الآن بآبار علي ؛ لأنهم يزعمون أن الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتل الجن فيها ، وهذا كذب لا أصل له ، والموضع مال لبني جشم ، والحلف - محرّكة - نبت معروف ، الواحدة حلقة كفرحة وخشبة وصحراء ، كما في « القاموس » وهي قرية خربة ، وبها مسجد يعرف بمسجد الشجرة ، (قالوا) أي الحاضرون عند ابن عمر المستمعون لحديثه (له) أي لعبد الله بن عمر رضي الله عنها (فأين) ميقات (أهل العراق ؟) البلاد المعروفة ، وهي من عبادان الى الموصل طولاً ، ومن القادسية الى حلوان عرضاً ، قيل : سمي بذلك لتواشع عراق

النخل والشجر فيها ، أو لأنه استلف أرض العرب ، أو لأن العراق بين الريف والبر ، أو لأنه على عراق دجلة والفرات ، أي شاطئها ، أو معربة : إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر ، والمراقان الكوفة والبصرة .

(قال) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها مجيباً لمن سأله : (لم يكن) المراق (يومئذ) أي لم يكن أهله أسدوا بعد ، وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنها قال : « لا فتح هذان المصران ، يعني البصرة والكوفة ، أتوا عمر بن الخطاب فقالوا : إن رسول الله ﷺ حد لأهل نجد قرناً ، وأنه جور عن طريقنا - وهو بفتح الجيم وسكون الواو فراء ، أي مائل عنها ، فإذا أردنا أن نأتي قرناً شق علينا ، قال : فانظروا حذوها من طريقكم - قال - فحد لهم ذات عرق ، وهو الجبل الصغير ، وقيل : الرق من الأرض السبخة تنبت الطرفاء ، وبينه وبين مكة اثنان وأربعون ميلاً ، فكان تحديده لهم باجتهاده ، ويؤيد هذا رواية الشافعي من طريق أبي الشناء قال : لم يوقت رسول الله ﷺ لأهل المشرق شيئاً ، فامخذ بحيال قرن ذات عرق . انتهى . وقدم العلامة ابن مفلح في «فروعه» أنه ثبت بالنص - قال - وعند بعض العلماء واختاره بعض الشافعية ، وقاله الشافعي في الأم ، وأوماً إليه الامام أحمد أن ذات عرق إنما ثبت بالاجتهاد من أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه . قال ابن الجوزي بعدما ذكر خبر ابن عمر عند البخاري : وكلام الشافعي هذا يدل على أن عمر هو الذي حد ذات عرق ، وإنما حدوها لهم لأنها حذو قرن ، أي محاذيتها - قال - فإن قيل : فقد روى أبو داود والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ وقت لأهل العراق ذات عرق ؛ فالجواب : اسناده ضعيف ، وقد روي عن أبي داود أنه قال : الصحيح أن عمر وقت لأهل العراق بعد أن فتحت ، ويدل على صحة هذا ما روى البخاري ومسلم من حديث ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم عن

رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه ذكر المواقيت الاربعة ولم يذكر ذات عرق انتهى . قال في « الفروع » والظاهر أنه خفي النص ، يعني على سيدنا عمر رضي الله عنه فواقفه ، فانه موفق للصواب انتهى .

قال ابن عبد البر : ذات عرق ميقاتهم ، أي أهل العراق باجماع . وفي صحيح مسلم عن أبي الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يسأل عن المهل فقال : « سمعت — أحسبه رفع الحديث الى رسول الله ﷺ — وذكر الحديث ، وفيه : ومهل أهل العراق ذات عرق » . لكن قال النووي في شرح مسلم : إنه غير ثابت لعدم جزمه برفعه ، وأجيب بأن قوله : أحسبه ، معناه أظنه ، والظن في باب الرواية ينزل منزلة اليقين ، وليس ذلك قادحا في رفته ، وأيضاً لو لم يصرح برفعه لا يقيناً ولا ظناً؛ فهو منزل منزلة المرفوع ، لأنه لا يقال من قبل الرأي ، وإنما يؤخذ توقيفاً من الشارع ، ولا سيما وقد ضمه جابر الى المواقيت المنصوص عليها يقيناً باتفاق ، وقد أخرجه الامام أحمد من رواية ابن لهيعة ، وابن ماجة من رواية ابراهيم بن يزيد ، كلاهما عن أبي الزبير ، فلم يشكنا في رفته ، وقد صحح النووي حديث عائشة الذي رواه أبو داود والنسائي ، نعم كان الامام أحمد ينكر على أفلح بن حميد هذا الحديث ، وقال ابن عدي : قد حدث عنه ثقة الناس ، وهو عندي صالح ، وأحاديثه مستقيمة كلها ، وصححه الذهبي ، وقال العراقي : إن إسناده جيد ، وروى الامام أحمد والدارقطني من حديث الحجاج ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : « وقت رسول ﷺ ... فذكر الحديث وفيه : وقال : لأهل العراق « ذات عرق » . فمجموع هذه الاحاديث لا يقصر عن درجة الاحتجاج بها ، وفي « اتقان »^(١) المجد ابن تيمية : والنص بتوقيت « ذات عرق » ليس في القوة كغيره ، فان ثبت فليس يبدع ، ووقوع اجتهاد عمر على وفقه ، فانه كان موفقاً للصواب ، وأما ما أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن

(١) كذا في الاصل ، ولعله تحريف من الناسخ وليس للمجد كتاب يسمى « الاتقان »

فيا نعم ، وكتابه المشهور : « المتقى »

عباس رضي الله عنها: « أن النبي ﷺ وقت لأهل المشرق «المعيق» ، فقد تفرد به يزيد بن أبي زياد ، وهو ضعيف باتفاق المحدثين ، وكذا حديث الطبراني في «الكبير» عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت لأهل المدائن «المعيق» ، ولأهل البصرة «ذات عرق» ، الحديث فيه أبو ظلال بن يزيد ، وثقه ابن حبان ، وضعفه الجمهور ، والمعيق : واد فوق ذات عرق ، بينه وبين مكة مرحلتان ، فمن أحرم منه فقد أحرم قبل أن يصل إلى ذات عرق ، فعلى تقدير ثبوته يكون ميقات جواز واستحباب ، وميقات ذات عرق ميقات لزوم وإيجاب ، والله أعلم .

تنبيهات

الأول : حديث ابن عمر رضي الله عنها رواه البخاري ومسلم ، لكن من حديث نافع عن ابن عمر وعن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه ، ورواه مسلم من حديث عبد الله بن دينار أنه سمع ابن عمر رضي الله عنها قال : « أمر رسول ﷺ أهل المدينة أن يهلوا من ذي الحليفة ... الحديث » . قلت : روي حديث المواقيت عن ابن عباس رضي الله عنها ، وهو في «الصحيحين» وغيرهما ، وحديث جابر عند مسلم ، والاحاديث في هذا كثيرة شهيرة ، وفي آخر حديث ابن عباس أنه قال صلى الله عليه وسلم : « هن لمن ولمن أتى عليهن من غيرهن » ممن أراد الحج والعمرة ، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ ، حتى أهل مكة من مكة ، وهذا متفق عليه ، والله الموفق .

الثاني : إذا أراد دخول مكة أو نسكاً حر مسلم مكلف لزمه إحرام من ميقاته ، وفقاً لأبي حنيفة ومالك ؛ إلا أن أبا حنيفة يجوز لمن منزله دون الميقات أو داخله من ألقى وغيره دخول الحرم ومكة بلا

إحرام ، فإذا أراد مكاناً داخل الميقات ومون مكة كخبيص ، فله أن يدخله بلا إحرام ، فإذا وصل خبيص مثلاً ، فله دخول مكة بلا إحرام ، وهو الحيلة عندم لمجاوزة الميقات بلا إحرام . وعندم إنما يلزم الإحرام من أدنى الميقاتين من مكة كذي الحليفة ورايح ، لكن من الأبسط أفضل ، إلا أن يريد نسكاً . قال في « الفروع » : ولا وجه للفرقة ، وظاهر مذهب الشافعي : يجوز مطلقاً ؛ إلا أن يريد نسكاً . وعن الإمام أحمد رواية ثانية مثله ، ذكرها القاضي وجماعة ، وصحها ابن عقيل . قال في « الفروع » : وهي أظهر ؛ للخبر ، يعني مفهوم حديث ابن عباس — قال — وبينني على عموم المفهوم ، والأصل عدم الوجوب ، ووجه الأول : ما روى حرب وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما : « لا يدخل إنسان مكة إلا محرماً ، إلا الجمالين والحطائين وأصحاب منافعها » ، احتج به الإمام أحمد ، قال : وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : يدخل بغير إحرام . وعن ابن عباس مرفوعاً : « لا يدخل مكة أحد إلا بإحرام من أهلها وغيرهم » ، وذكره في « الفروع » ، وقال : فيه حجاج ، ضعيف مدلس ، ومحمد بن خالد بن عبد الله ضعفه الإمام أحمد وابن معين وابن عدي وغيرهم ، وقال : لا أعرفه مستنداً إلا من هذا الوجه ، واحتج القاضي وابن العربي المالكي وغيرهما بتحريم الله ورسوله مكة وذا في القتال . قال في « الانتصار » : ومعناه في الخلاف : الإحرام شرط لإباحة دخوله ، ولا توجه لدخوله لئلا يقال : لا ينوب عنه إحرام بحجة أو عمرة ، كالمولم ينب عن مندورة ، ومتمم المذهب : لا يجوز لمن أراد دخول مكة أو الحرم أو نسكاً تجاوز الميقات بغير إحرام ان كان حراً مسلماً مكلفاً ؛ إلا لقتال مباح ، أو خوف ، أو حاجة متكررة ؛ كحطاب وفيج^(١) وناقل ميرة ونحو حشاش ، وتردد المكي الى قريته بالحل ، ثم إن بدله النسك أو لمن لم يرد الحرم أحرم من موضعه ، ومن تجاوز الميقات

(١) الفيح أو الفيوج : الذين يدخلون الجن ويخرجون ويمرسون .

بلا إحرام ، لم يلزمه قضاء الأحرام ، ذكره القاضي في «المجرد» ، وجزم به الموفق وغيره وفقاً للمالك والشافعي ، كتحية المسجد ، وحيث لزم الأحرام لدخول مكة لا لنسك ، طاف وسمى وحلق وقصر وحل .

الثالث : من حج من مكة من مكى أولاً فمقاته منها ، وظاهر كلام علماثنا لألترجيج ، وأظهر قولي الشافعي من باب داره ، ويأتي المسجد محرماً ، ومعتمد مذهب الامام أحمد ، له الأحرام من حيث شاء من مكة ، ونصه : من المسجد ، وفي «الإيضاح» ، و«المهيج» : من تحت الميزاب ، ويجوز من سائر الحرم ، ومن الحل كالمرة ، ولا دم عليهم ، ومن أراد من بمكة من أهلها وغيرهم وكذا من بالحرم الممرة ، أحرم بها من الحل ، ومن التمتع أفضل ؛ وهو أدنى الحل الى مكة ، فإن أحرموا من مكة أو من الحرم ، انعقد وفيه دم ، ثم إن خرج الى الحل قبل إتمامها ، ولو بعد الطواف أجزأته عمرته ، وكذا إن لم يخرج ، قدمه في «المتقى» . قال شيخ الاسلام ابن تيمية والزر كشي : هذا هو المشهور ، إذ فوات الأحرام من الميقات لا يقتضي البطالان ، ولنا وللشافعي قول : لا يجزئه وفقاً للمالك لأنه نسك فاعتبر فيه الجمع بين الحل والحرم ، وحيث وجب عليه دم لمجاوزته الميقات بلا إحرام لا يسقط لخروجه . والمراد على الراجح خلافاً للشافعية ، وللحنفية الخلاف ، والله أعلم .

الحديث الحادي عشر

١١ — حدثنا سفيان قال : سمع عمرو ابن عمر : كنا نؤاخر ولا نرى بذلك بأساً ، حتى زعم رافع أن رسول الله ﷺ نهى عنه ، فتركناه

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفیان قال : سمع عمرو) هو أبو محمد عمرو بن دينار الامام الحافظ عالم الحرم المكي أحد الاعلام المجي مولا لم الأثرم ، ولد سنة سبع وأربعين أو نحوها ، وسمع ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأبا هريرة وأنس بن مالك ، وعنه شعبة وابن جريج والحمادان والسفيانان وأيوب وأبو حنيفة . قال ابن أبي نجيح : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم من عمرو ابن دينار ؛ لا عطاء ولا مجاهد ولا طاووس ، وقال شعبة : ما رأيت أحداً أثبت في الحديث من عمرو بن دينار ، وقال ابن عيينة : ما كان عندنا أحد أفقه ولا أعلم ولا أحفظ من عمرو بن دينار ، وقال الامام أحمد ويحيى القطان : هو أدت من قتادة ، وقال ابن عيينة : هو ثقة ثقة ، وكان قد جزأ الأيل اثلاثاً ، ثلثا ينام فيه ، وثلثا يدرس فيه حديثه ، وثلثا يصلي فيه ، مات رحمه الله ورضي عنه ، سنة خمس وعشرين ومائة وهو ابن ثمانين . وقوله : (ابن عمر) بن الخطاب رضي الله عنهما ، بالنصب مفعول أول لسمع على القول بأن سمع ينصب مفعولين ، والأصح خلافه ، والفاعل عمرو ، والمفعول الثاني محذوف تقديره . يقول : وعلى الأصح أن نحو يقول : جملة حالية . (كنا) مشر أصحاب محمد ﷺ (نخابر) أي زارع ، والمخبرة المزارعة ، واشتقاقها من الخبار وهي الأرض اللينة ، والخبير الأكثار ، وقيل : المخبرة معاملة أهل خير (ولا نرى بذلك) أي بالمخبرة (بأساً) ، ولم نزل مستمرين على فعل ذلك .

(حتى زعم) من الزعم مثلث ، القول الحق والباطل والكذب ضد ، قاله في « القاموس » قال : وأكثر ما يقال فيما يشك فيه . وقد أخرج الامام أحمد وأبو داود ، ورجاله ثقات على انقطاع فيه ، « قيل لأبي مسعود : ما سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول في زعموا ؟ قال : بشئ معلقة الرجل ، قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : الأصل في زعم أنها تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقة

انتهى . أي سواء كان حقاً في نفسه أم باطلا ، والله أعلم . (رافع) - بالراء بعدها ألف ففاء مكسورة - ابن خديج - بفتح الخاء المعجمة وكسر الدال المهملة وبالجم - ابن رافع بن عدي بن زيد بن عمرو بن يزيد الحارثي الأنصاري الأوسي من أهل المدينة ، لم يشهد بدرأ لأن النبي ﷺ رده يومئذ لصغره ، ثم أجازته يوم أحد ، وأصابه سهم يومها ، فقال له رسول الله ﷺ : أنا أشهد لك يوم القيامة ، ثم انتقضت جراحته في زمن عبد الملك بن مروان ، فمات سنة ثلاث وسبعين بالمدينة وله سنة وثمانون سنة ، روي له عن رسول الله ﷺ ثمانية وسبعون حديثاً ، انفقاً منها على خمسة ، وانفرد مسلم بثلاثة . (أنف) - بفتح الهمزة ، معمول لزعم - (رسول الله ﷺ نهى عنه) أي عن ذلك الفعل ، وهو الخابرة ، (فتركناه) أي تركنا العمل به . وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرها من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من تمر أو زرع ، وفي الصحيحين ، وغيرهما من حديثه أيضاً » أن النبي ﷺ لما ظهر على خيبر سأله اليهود أن يقرم بها ؛ على أن يكفوه عملها ، ولهم نصف الثمر ، فقال لهم رسول الله ﷺ : تقرم على ذلك ما شئنا ، وهذه هي المساقاة - مفاعلة من السقي - سميت بذلك لأن أهل الحجاز أكثر حاجة شجرهم إلى السقي ؛ لكونهم يسقون من الآبار ، وهي أن يدفع لإنسان شجره إلى آخر ليقوم بسقيه ، وسائر ما يحتاج إليه ، بجزء معلوم من الثمرة ، وقد أجمع المسلمون على جواز ذلك . قال الامام شمس الدين بن أبي عمر في « شرح المقنع » : قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم : عامل رسول الله ﷺ أهل خيبر بالشطر ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم - قال - إلى اليوم يعطون الثلث والربع ، وهذا عمل به الخلفاء الراشدون مدة خلافتهم ، واشتهر ذلك فلم ينكره منكر ، فكان إجماعاً .

وأما المزارعة ؛ فهي دفع أرض وحب لمن يزرعه ويقوم عليه ، أو مزروع
 ينمو لمن يعمل عليه بحظه مشاع معلوم من المتحصل من الزرع ، فإن كان في
 الأرض شجر ، فزارعه الأرض وساقاه على الشجر صح . قال شمس الدين في
 « شرح المقنع » : تجوز المزارعة بحظه معلوم يحمل للماء من الزرع في قول
 أكثر أهل العلم . قال البخاري : قال أبو جعفر : ما بالمدينة أهل بيت إلا ويزارعون
 على الثلث والربع ، وزارع علي وابن مسعود وسعد وعمر بن عبد العزيز والقاسم
 وعروة وآل أبي بكر وآل علي وابن سيرين ، وهذا قول سميد بن المسيب
 وطاووس وعبد الرحمن ابن الأسود وموسى بن طلحة والزهري وعبد الرحمن بن
 أبي ليلى وابنه وأبي يوسف ومحمد ، ويروى ذلك عن معاذ والحسن وعبد الرحمن
 بن زيد . قال البخاري : وعامل عمر رضي عنه على أنه إن جاء عمر بالبذر من
 عنده فله الشطر ، وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا ، وكرها عكرمة ومجاهد
 والنخعي ومالك وأبو حنيفة ، وروي عن ابن عباس الأمران جميعاً ، وأجازها
 الشافعي في الأرض بين النخل ، إذا كان بياض الأرض أقل ، فإن كان أكثر
 فملى وجهين ، ومنهما في الأرض البيضاء لهذا الحديث ، وقد روي أن رافع ابن
 خديج رضي الله عنه قال : « كنا نخابر على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر أن
 بعض عمومته أتاه فقال : نهى رسول الله ﷺ عن أمر كان لنا نافعاً ، وطواعية
 رسول الله ﷺ أنفع - قال - قلنا : ما ذاك ؟ قال : قال رسول الله ﷺ : من
 كانت له أرض فليزرعها ، ولا يكرها بثلث ، ولا بربع ، ولا بطعام مسمى ، وفي
 « الصحيح » عن ابن عمر رضي الله عنهما : « نهى رسول الله ﷺ عن الخبارة ،
 وقد جاء حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مفسراً ؛ روى البخاري عن
 جابر قال : « كانوا يزرعونها بالثلث والربع والنصف ، فقال النبي ﷺ : من
 كانت له أرض فليزرعها أو لينحها ، فإن لم يفعل فليمسك أرضه ، ورواه الإمام

أحمد ومسلم بلفظ: « من كانت له أرض فليزرعها وليجرثها أخاه، أو فليدعها » ولنا
ولن وافقنا على جواز المزارعة ، ما في الأحاديث المتقدمة ، وما نقله أبو جعفر
محمد الباقر من فعل الخلفاء الراشدين ، ثم أهلهم ، يعطون الثلث والرابع ، قال :
وهذا أمر صحيح مشهور عمل به رسول الله ﷺ حتى مات ، ثم خلفاؤه
الراشدون حتى ماتوا ، ثم أهلهم من بعدهم ، ولم يبق من أهل المدينة أهل
بيت إلا عمل به ، وعمل به أزواج رسول الله ﷺ من بعده ، فروى البخاري
عن ابن عمر رضي الله عنهما : « أن رسول الله ﷺ عامل خير بشر ما يخرج منها ،
من زرع أو تمر ، فكان يعطي أزواجه مائة وسق (١) ، ثمانون وسقا تمرا ،
وعشرون وسقا شعيرا ، فقسم عمر خير ، غدير أزواج رسول الله ﷺ أن
يقطع لهن من الماء والأرض ، أو يعطي لهن الاوسق ، فنهن من اختار الأرض
ومنهن من اختار الوسق ، فكانت عائشة رضي الله عنها ممن اختار الأرض ، فإن
قيل : حديث خير منسوخ بخبر رافع ؛ فالجواب : مثل هذا لا يجوز نسخه ، لأن
النسخ إنما يكون في حياة رسول الله ﷺ ، فأما شيء عمل به إلى أن مات ،
ثم عمل به خلفاؤه بعده ، وأجمعت الصحابة رضي الله عنهم عليه وعملوا به ، ولم
يخالف فيه أحد ، فكيف يجوز نسخه ؟ ومتى نسخ ؟ فإن كان في حياة رسول الله
ﷺ ؛ فكيف عمل به مع نسخه ؟ وكيف خفي نسخه على الخلفاء ، مع اشتها رقصة
خير وعملهم فيها : وأين كان راوي النسخ حتى لم يذكره ولم يخبر به ؟

وأما حديث رافع ؛ فقد روي من عدة أوجه بضروب مختلفة ، وقد فسر
حديث النهي في حديثه بما لا يختلف في فساد ، وهو ما في « الصحيحين » عن رافع
ابن خديج رضي الله عنه قال : « كنّا أكثر الأنصار حقلا ، فكنا نكري
الأرض على أن لنا هذه ولهم هذه ، فربما أخرجت هذه ولم تخرج هذه ، ففأنا

(١) الوسق : شتون صاعاً ، أو حمل بعير

عن عليه السلام عن ذلك ، وأما الورق فلم ينهنا ، وفي لفظ للبخاري : « كنا أكثر أهل الأرض مزدرعاً ، كنا نكري الأرض بالناحية منها تسمى لسيد الأرض - قال - فربما يصاب ذلك ويسلم الأرض ، وربما تصاب الأرض ويسلم ذلك ، فنهينا ، فأما الذهب والورق فلم يكن يومئذ ، وفي لفظ لمسلم عن حنظلة بن قيس قال : « سألت رافع بن خديج عن كرى الأرض بالذهب والورق فقال : لا بأس به ، إنما كان الناس يؤاجرون على عهد رسول الله ﷺ بما على الماذيانات وإقبال الجداول وبأشياء من الزرع ، فهلك هذا ويسلم هذا ، ويسلم هذا ويهلك هذا ، ولم يكن للناس كراء إلا هذا ، فلذلك زجر عنه ، فأما شيء معلوم مضمون فلا بأس ، والماذيانات - بالذال المعجمة المكسورة فثناة تحية بعدها ألف فنون فألف فثناة فوقية - جمع ماذيان ، وهو النهر الكبير ، وليست بمرية ، وهي سوادية كما في النهاية ، أي بالذي يخرج على حافتي ذلك . وإقبال الجداول أي أوائل ورؤوس الأنهر الصغار . فإذا علمت هذا فليس هو من محل النزاع ، فإن هذا لا خلاف في فساده ، وحيث لا تخالف بين الأحاديث . فإن لم يحمل الحديث الذي نحن بصدده على ما فسرناه من نفسه وبينه بياناً شافياً ، وإلا فليحمل على الكرى بثلاث أو ربع ، والنزاع في المزارعة ، ولم يدل حديثه عليها أصلاً ، وحديثه الذي في المزارعة يحمل على الكرى أيضاً ، لأن القصة واحدة أتت بألفاظ مختلفة ، فيجب تفسير أحد اللفظين بما يوافق الآخر ، فإن لم يحمل لا على هذا ولا على هذا ، وتماهى الخصم مع ظاهر هذا الحديث الموم النهي عن المزارعة . قلنا : لا جرم أن حديث رافع هذا ورد بألفاظ وروايات مضطربة جداً ، مختلفة اختلافاً كثيراً يوجب ترك العمل بها لو انفردت ، فكيف تقدم على مثل ما قدمنا من حديث ابن عمر وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : حديث رافع ألوان ، قال ابن المنذر : قد

جاءت الاخبار عن رافع من عدة روايات مختلفة مضطربة ، وقد أنكر حديثه فقيهان من فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ؛ أحدهما زيد بن ثابت ، قال عن حديث رافع لما بلغه : « أنا أعلم بذلك منه ، وإنما سمع النبي ﷺ رجلين قد اقتتلا فقال : إن كان هذا شأنكم فلا تذكروا المزارع » رواه أبو داود ، والثاني ما روى البخاري عن عمرو بن دينار قال : « قلت لطاووس : لو تركت الخبارة فأنهم يزعمون أن النبي ﷺ نهى عنها فقال : إن أعلمهم — يعني ابن عباس رضي الله عنها — أخبرني أن النبي ﷺ لم ينه عن ذلك ؛ ولكن قال : إن يمنح أحدكم أخاه خير له من أن يأخذ عليه خراجاً معلوماً ، وراه الامام أحمد وابن ماجه وأبو داود والترمذي ، وصححه عن ابن عباس رضي الله عنها : « أن النبي ﷺ لم يحرم المزارعة ؛ ولكن أمر برفق بعضهم ببعض » ثم إن أحاديث رافع ؛ منها ما يخالف الاجماع ، وهو النهي عن كرى المزارع بالاطلاق ، ومنها ما يختلف في فساده ، وتارة يحدث عن عمومته ، وتارة عن سماعه ، وتارة عن ظهير بن رافع . فاذا كانت أخبار رافع بهذا الاضطراب ، فطرحها أولى وأحرى من الاخبار الواردة في شأن خير الجارية مجرى التواتر التي لا اختلاف فيها ، وقد عمل بها الخلفاء الراشدون وغيرهم ، فلا معنى لتركها بمثل هذه الأحاديث المضطربة .

ولما كان الامام أحمد رضي الله عنه أعلم الناس بالنقول وأحفظهم لأحاديث الصحابة والرسول ، لم يرجع على خبر رافع ولم يلو اليه عنانه ؛ لعله بمبوت أحاديث المزارعة ، وعدم ما يقاومها من الأحاديث المخالفة لها .

وأما حمل الامام الشافعي رضي الله عنه ، أحاديث المزارعة على الارض التي بين النخيل ، وأحاديث النهي على الارض البيضاء ، جمعاً بينهما ؛ فهذا بعيد جداً ، فإنه يبعد أن يكون بلد كبيرة يأتي منها أربعون ألف وسق ليس فيها أرض

بيضاء ، ثم إن هذا الحكم لا طائل تحته ، ثم إن موافقة الخلفاء أولى وأحرى من قول من خالفهم . وقد نقل أبو جعفر الاجماع على ما ذهب اليه الامام أحمد ومن وافقه ، فاجماع السلف أولى بالاتباع ؛ بل لا مندوحة للقول بخلافه ، وأيضاً فإن القياس يقتضي ذلك ، فإن الارض عين تنمي بالعمل ، فجازت المعاملة عليها ييمض نائها ، كالمال في المضاربة ، والنخل في المساقاة ، والله الموفق .

(فروع) :

الاول : تجوز المزارعة بحزمه مشاع معلوم يحمل للعامل من الزرع ، ويصير كونه البذر من رب الارض ولو أنه العامل ، وبقر العمل من الآخر ، ولا تصح إن كان البذر من العامل ، أو منها أو من أحدهما والارض لهما ، أو الارض والعمل من الآخر ، أو البذر من ثالث ، أو البقر من رابع . وعن الامام أحمد رضي الله عنه أنه لا يشترط كون البذر من رب الارض ، واختاره الامام الموفق والمجد والشارح وابن رزبن وأبو محمد الجوزي وشيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن قاضي الجبل في « الفائق » وصاحب « الحاوي الصغير » قال الامام الموفق في « المغني » : وهو الصحيح وعليه عمل الناس . قال في « الانصاف » : وهو أقوى دليلاً .

الثاني : حكم المساقاة كالمزارعة في ذلك ، فيصح على القول الذي صححه الموفق وغيره أن يكون القراس من مساق ومناصب . قال القاضي علاء الدين المرداوي في « تنقيحه » : وعليه العمل .

الثالث : دلت الأحاديث التي ذكرناها على جواز كرى الارض بالذهب والورق المعلومين ، فلا يصح كون الاجرة بشيء غير معلوم المقدار عند العقد ؛ لما دل الحديث على عدم اعتقاد جهالة الاجرة ، ويستدل به أيضاً على جواز كراء

الأرض بطعام مضمون . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : ومن استأجر أرضاً بجزء معلوم من زرعها ؛ فظاهر المذهب صحتها ؛ سواء سميت إجارة أو مزارعة ، فإن لم تزرع الأرض وصححناها ؛ ضمنت بالمسمى الصحيح . قال في « الإقناع » : وتصح إجارة أرض بنقد وعروض ، وبجزء مشاع معلوم مما يخرج منها - قال - وتصح إيجارتها بطعام معلوم ، من جنس الخارج منها ، ومن غير جنسه ، والله سبحانه الموفق .

الحديث الثاني عشر

١٢- حدثنا سفيان ، قال : قال عمرو - يعني ابن دينار - ذكروا الرجل يُهَلُّ بعمره فيحل ، هل له أن يأتي - يعني امرأته - قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ؛ فسألنا جابر ابن عبد الله ، فقال : لا ، حتى يطوف بالصفا والمروة . وسألنا ابن عمر فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت سبعا ، فصلى خلف المقام ركعتين ، وسمى بين الصفا والمروة ، ثم قال : (لقد كان لكم في رسول الله أسوه حسنة) .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة قال سفيان : (قال عمرو يعني ابن دينار) المقدم ذكره : (ذكروا الرجل يهل) أي يحرم (بعمره) وهي في اللغة الزيادة ، وقيل : القصد ، نقلها ابن الأنباري وغيره ، وفي الشرح عبارة عن زيارة البيت الحرام بشروط مخصوصة . وأركانها ثلاثة : الاحرام

والطواف، والسمي، وواجبها: الاحرام من الحل، والحلق أو التقصير، (فيحل)
بمد لإحرامه بالعمرة والفراغ من طوافها بالبيت سبعا ، ولم يسعَ بين الصفا والمروة
السمي المشرع .

(هل له أن يأتي يعني امرأته) لكونه حلالاً لفراغه من أفعال نسكه
(قبل أن يطوف بين الصفا) وهو بالقصر في الأصل الحجارة الصلبة ، واحداً
صفاً ، كحصاة وحصى ، وهو هنا اسم المكان المعروف عند باب المسجد الحرام
أحد جبلي المسمى ، (والمروة) وهي في الأصل الحجارة البيض البراقة يقدح
منها النار . قال في « المطلع » : وبها سميت المروة بمكة ، وهي المكان الذي في
طرفي المسمى ، وقال أبو عبيد البكري : المروة جبل بمكة معروف ، والصفا
جبل آخر بآرائه ، وبينهما قديد ينحرف عنها شيئاً ، والمشلل هو الجبل الذي
ينحدر منه الى قديد ، وعلى المشلل كانت مناة ، والمراد في الحديث بالطواف بين
الصفا والمروة السمي بينهما .

قال عمرو بن دينار رحمه الله تعالى : (فسألنا جابر بن عبد الله) رضي
الله عنها - وتأتي ترجمته في أول ذكر أحاديثه - عن حكم ذلك (فقال) جابر
رضي الله عنه : (لا) يأتي امرأته (حتى يطوف) أي يسمى (بالصفا) أي بين
الصفا (والمروة) سبعة أشواط لعدم فراغه من عمرته ؛ لأن السمي بين الصفا
والمروة أحد أركان العمرة .

قال عمرو بن دينار (وسألنا) أبا عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي
الله عنها عن ذلك (فقال) ابن عمر : (قدم رسول الله ﷺ) مكة المشرفة
(فطاف بالبيت) العتيق الذي هو الكعبة المشرفة (سبعا) من الأشواط . وفي
« الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما « طاف رسول الله ﷺ حين قدم مكة ،
واستلم الركن ، أي الحجر الأسود أول شيء ، وفيها عنه أيضاً » رأيت رسول الله

ﷺ حين يقدم مكة إذا استلم الركن الاسود أول ما يطوف يحب ثلاثة أشواط ،
(ذ) بعد فراغه ﷺ من طوافه (صلى خلف المقام) يعني مقام ابراهيم عليه
السلام . قال سميد بن جبير : مقام ابراهيم : الحجر الذي وقف عليه ابراهيم عليه
السلام . وفي سبب وقوفه عليه قولان :

أحدهما أنه جاء يطلب ابنه إسماعيل فلم يجده ، فقالت له زوجته : - التي هي
أم أولاده ، واسمها رعدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمي ، وفي رواية الكلبي
رعدة بنت يشجب بن يمر بن لوزان بن جرم ، وقيل : اسمها السيدة ، وقيل :
سامة بنت مهليل ، ذكره الواقدي - إزل ، فأبى ، فقالت : فدعني أغسل رأسك ،
فأنته بحجر فوضع رجله عليه وهو راكب ، فضلت شقه ثم رفعت ، وقد غابت
رجله فيه ، فوضعت تحت الشق الآخر ، وغسلته فغابت رجله فيه ، فجمله الله من
الشماثر . هذا مروى عن ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم .

الثاني : أنه أقام على ذلك لبناء البيت ، وكان إسماعيل يناوله الحجارة ، قاله
سميد بن جبير . وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه قال : « قلت يا رسول الله ! لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ! قزلت ! » واتخذوا
من مقام إبراهيم مصلى ، قال الحافظ ابن الجوزي : قال محمد بن سميد عن
أشياخ له : إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه آخر المقام الى موضعه اليوم ، وكان
ملصقاً بالبيت . وقال بعض سدنة البيت : ذهبنا نرفع المقام في خلافة المهدي ،
فانطم ، وهو من حجر رخو ، فخشينا أن يتفتت ، فكتبنا في ذلك الى المهدي فبمث
الينا بألف دينار ، فضبيننا بها المقام أسفله وأعله ، ثم أمر المتوكل أن يجعل عليه
ذهب أحسن من ذلك العمل ففعلوا ذلك ، وقدر المقام ذراع ، والقدمان داخلان
فيه سبع أصابع .

فائدة : ذكر الحافظ ابن الجوزي في « منير المزمع الساكن » عن

عبد العزيز بن أبي رواد أنه كان خلف المقام جالساً ، فسمع داعياً دعا بأربع كلمات ، فعجب منهن ، فالتفت فما رأى أحداً ، وهي : اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكفلت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

وفي لفظ من حديث ابن عمر في « الصحيحين » ، « وركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام (ركعتين) » سنة الطواف . قال الحافظ ابن الجوزي في كتابه « منير العزم الساكن » : إذا قضى الطائف طوافه صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى بمد الفاتحة ، قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية بمدها بالاخلاص ، والأفضل أن تكون خلف المقام . وقال أبو حنيفة ومالك : ركعتا الطواف واجبتان ، وقد روى ابن ماجة وابن خزيمة في « صحيحه » من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة » وعنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من طاف بالبيت اسبوعاً لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة ، وكتب له بها حسنة ، ورفع له بها درجة » رواه ابن خزيمة في « صحيحه » ، وابن حبان واللفظ له ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها أيضاً قال : « من توضعاً فأسبغ الوضوء ، ثم أتى الركن يستلمه ؛ خاض في الرحمة ، فإذا استلمه فقال : بسم الله والله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ غمرته الرحمة ، فإذا طاف بالبيت كتب له بكل قدم سبعين الف حسنة ، وحط عنه سبعين الف سيئة » ، ورفع له سبعين الف درجة ، وشفع في سبعين من أهل بيته ، فإذا أتى مقام إبراهيم فصلى عنده ركعتين إيماناً واحتساباً ، كتب الله له عتق أربعة محرراً من ولد اسماعيل ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه » رواه أبو القاسم الاصبهاني موقوفاً . وعنه

رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو مسند ظهره الى الكعبة :
الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ، ولولا أن الله طمس نورهما
لأضأتا ما بين المشرق والمغرب » رواه الترمذي وابن حبان في « صحيحه » ،
كلاهما من رواية رجاء بن صبيح ، والحاكم ، ومن طريقه البيهقي ، وفي رواية البيهقي
قال : « الركن والمقام من يواقيت الجنة ، ولولا مامسه من خطايا بني آدم لأضاء
ما بين المشرق والمغرب ، وما مسها من ذي عاهة ولا سقيم إلا شفي » وفي أخرى
له عنه رفعه قال : « لولا مامسه من أنجاس الجاهلية ، مامسه ذو عاهة إلا شفي ، وما
على الأرض شيء من الجنة غيره » .

(وسمي بين الصفا والمروة) قال ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » ، إذا فرغ
من الركعتين عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وسمى ، قال الامام
العلامة - في أشهر الروايات عنه - ابن هبيرة في كتابه « الافصاح » : اختلفوا
في السمي بين الصفا والمروة ؛ فقال مالك والشافعي وأحمد رضي الله عنهم : إنه
ركن من أركان الحج وفروضة ، لا ينوب عنه الدم . وعن الامام أحمد انه واجب ،
وعنه تطوع ، والمذهب انه ركن كقول الجمهور . وقال أبو حنيفة رضي الله عنه :
هو واجب ينوب عنه الدم ، واتفقوا على جواز تقديمه على طواف الزيارة ، حيث
فعل بمد طواف نسك ، ولو مسنون كطواف القدوم ، فلا يحتاج اذا طاف طواف
الزيارة الى السمي ، واتفقوا على أنه سبع مرات يحسب بالذهاب سمية وبالإياب
سمية ، يبدأ بالصفا ويختم بالمروة ، وسبب مشروعية السمي : هاجر ام اسماعيل
عليه السلام ، في « الصحيحين » وغيرها من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال :
« جاء إبراهيم بأمر اسماعيل وابنها اسماعيل وهي ترضعه ، حتى وضعها عند دوحه
فوق زمزم ، وليس بمكة أحد وليس بها ماء ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ،
وسقاء فيه ماء ، ثم قفا منطلقاً ، فتبتمته أم اسماعيل فقالت : أين تذهب وتركنا

بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء ؟ فقالت له ذلك مراراً ، وجعل
 لا يلتفت اليها ، فقالت له : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذن لا يضيعنا الله ،
 ثم رجعت ، فانطلق إبراهيم ، حتى اذا كان عند الثانية حيث لا يرونها استقبل
 بوجه البيت ، ثم دعا بهؤلاء الدعوات ، ورفع يديه فقال : « رب اني أسكنت من
 ذريتي بواد غير ذي زرع ، حتى بلغ يشكرون ؛ وجعلت أم اسماعيل ترضع
 اسماعيل وتشرب من ذلك الماء ، حتى اذا نفذ عطشت وعطش ابنها ، وجعلت
 تنظر اليه يتلوى — أو قال : يتلبط — فانطلقت كراهية أن تنظر اليه ، فوجدت
 الصفا أقرب جبل في الارض يليها ، فقامت عليه فاستقبلت الوادي تنظر ؛ هل
 ترى أحداً ؟ فلم تر أحداً ؛ فهبطت من الصفا ، حتى اذا بلغت الوادي رفعت
 طرف درعها ، ثم سمعت سمي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ، ثم أتت المروة
 فقامت عليها ، ونظرت فلم تر أحداً ، ففعلت ذلك سبع مرات — قال ابن عباس
 رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم — : ولذلك سمي الناس بينها . فلما
 أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت : صه ! تريد نفسها ، ثم تسمعت فسمعت ،
 فقالت : قد أسمعت إن كان عندك غواث ، فاذا هي بالملك عند موضع زمزم ،
 فبحث بعقبه — أو قال : بجناحه — حتى ظهر الماء ، فجعلت تحوضه وتقول بيدها
 هكذا ، وجعلت تنرف من الماء في سقائها ، وهو يفور بمد ما تنرف من الماء ،
 — قال ابن عباس رضي الله عنها : قال النبي صلى الله عليه وسلم : — يرحم الله
 أم اسماعيل ؛ لو تركت زمزم — أو قال : لو لم تنرف من الماء — لكانت زمزم
 عيناً معيناً . فشربت وأرضعت ابنها ، فقال لها الملك : لا تخافوا الضيعة ، فان ها هنا
 ميت الله عز وجل ، يبينه هذا الخلام وأبوه ، فان الله لا يضيع أهله .
 قال ابن دقيق العيد في أثناء كلامه له : اعلم أن كثيراً من الأعمال الواقعة في الحج
 ويقال فيها إنها تمبد ، ليست كما قيل ، ألا ترى اننا اذا فعلناها وذكروا أسبابها

حصل لنا من ذلك تعظيم الأولين ، وما كانوا عليه من احتمال المشاق في امتثال أمر الله تعالى ؛ وكان هذا التذكر باعثاً لنا على مثل ذلك ، ومقدراً في أنفسنا تعظيم الأولين ، وذلك معنى معقول ، مثاله السعي بين الصفا والمروة ؛ فإنا نتذكر بفعله قصة هاجر مع ابنها إسماعيل عليه السلام ، وترك الخليل لهما في ذلك المكان الموحش منفردين منقطعي أسباب الحياة بالكلية ، مع ما أظهره الله تعالى من الكرامة والآية في إخراج الماء لهما ، فيظهر لنا من ذلك مصالح عظيمة معقولة . (ثم قال) أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) ولفظ «الصحيحين» : «وسعى بين الصفا والمروة سبعا» وقد كان اسمكم في رسول الله أسوة حسنة . وأما فتيا جابر فن زيادات البخاري على مسلم . ولفظه : «فسألت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقال : لا يقرب امرأته حتى يطوف بين الصفا والمروة» ، ولفظه : «أيقع الرجل على امرأته في المرة قبل أن يطوف بين الصفا والمروة ... الحديث» .

تنبيهات

الأول : أركان الحج أربعة : الاحرام ، والوقوف بعرفة ، والطواف ، والسعي . وواجباته سبعة : الاحرام من الميقات ، والجمع في الوقوف بعرفة بين الليل والنهار لمن وقف نهائراً ، والمبيت بمزدلفة إلى ما بعد نصف الليل ، والمبيت بمنى ، ورمي الجمار مرتباً ، والحلق أو التقصير ، وطواف الوداع . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : : طواف الوداع ليس من الحج ، وإنما هو على كل من أراد الخروج من مكة . وأركان العمرة ثلاثة : الاحرام ، والطواف ، والسعي . وواجبات الاحرام من الحلق ، والحلق أو التقصير ، وما عدا ذلك فسنن . فمن ترك ركناً لم يتم نسكه إلا به ، لكن لا ينمقد نسك بلا إحرام ، ومن ترك واجباً ولو سهواً

فعلية دم ، فإن عدمه فكصوم منعمة ، ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع ، ومن ترك مسنوناً فلا شيء عليه .

الثاني : يحصل التحلل الاول من الحج باثنين من ثلاث : من رمي ، وحلق ، وطواف ، فيحل له كل شيء سوى النساء ، نكاحاً وإنكاحاً وجماعاً ومباشرة ، ويحصل التحلل الثاني بالباقي منها مع السعي إن لم يكن سعي للحج قبل ذلك ، والله تعالى الموفق .

الحديث الثالث عشر

— حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، سمع ابن عمر يقول : سمعت النبي ﷺ يقول على المنبر : من جاء منكم الجمعة فليغتسل .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) أبي عبد الرحمن (عبد الله بن دينار) أنه (سمع) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما (يقول : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول) حال كونه (على المنبر) - بكسر الميم - قال الجوهرى وغيره : نبرت الشيء ، إذا رففته ، ومنه سمي المنبر ، وكذا قال في « النهاية » : كل مرتفع منتبر ، ومنه اشتق المنبر : قال الامام ابن القيم في كتابه « زاد المعاد في هدي خير العباد » : كان منبره صلى الله عليه وسلم ثلاث درجات ، وكان رسول الله ﷺ وسلم قبل اتخاذه يخطب الى جذع نخلة يستند اليه ، فلما تحول الى المنبر حن الجذع اليه حينئذ سمعه أهل المسجد ، فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه . قال أنس رضي الله عنه : حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي .

قال ابن القيم : ولم يوضع المنبر في وسط المسجد ، وإنما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط ، وكان بينه وبين الحائط مقدار ممر المشاة ، والذي صنع المنبر يقال له : ميمون ، وأنه مولى لسعد بن عباد ، كما قاله الامام مالك ، والمشهور أنه مولى امرأة من الانصار . قال في « الفتح » : فيحتمل أن يكون في الاصل مولى امرأته ونسب اليه مجازا ، واسم امرأته : فكيهة بنت عبيد بن دليم ، وهي ابنة عمه ، أسلمت وبأبنت ، فيحتمل أن تكون هي المرأة . لكن رواه إسحق ابن راهويه في « مسنده » عن ابن عينة فقال : مولى لبني بياضة : وأما ما وقع في « الدلائل » ، لأبي موسى المدني نقلا عن جعفر المستغفري أنه قال في أسماء النساء من الصحابة : ثلاثة — بالعين المهملة وبالألف الثلاثة — ثم ساق هذا الحديث من طريق يعقوب بن عبد الرحمن بن أبي حازم ، وقال فيه : أرسل الى ثلاثة امرأة قد سماها سهل ، فقد قال أبو موسى : صحف فيه جعفر أو شيخه ، وإنما هو ثلاثة . انتهى . ووقع عند الكرماني في « شرح البخاري » : قيل : اسمها عائشة . انتهى . قال في « الفتح » : وأظنه صحف المصحف ، لكن في « أوسط الطبراني » من حديث جابر رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ كان يصلي الى سارية في المسجد ، ويخطب اليها ويعتمد عليها ، فأمرت عائشة فصنعت له منبره » هذا الحديث وإسناده ضعيف ، ولو صح لما دل على أن عائشة هي المرادة في حديث سهل ، والله أعلم .

(من جاء منكم) معشر الصحابة ومن بعدهم من سائر رجال الأمة ، (الجملة) لصلاتها ، وهي بضم الجيم والميم ، ويجوز سكون الميم وفتحها ، حكى الثلاثة في « المطالع » عن ابن سيدة ، قال القاضي عياض : مشتقة من اجتماع الناس للصلاة ، قاله ابن دريد ، وقال غيره : بل لاجتماع الخلقة فيه وكاملها ، وروي عن النبي ﷺ أنها سميت بذلك لاجتماع آدم فيه مع حواء في الارض .

ومن أسمائه القديمة : يوم الصَّروبة ، زعم ثعلب أن أول من سماه يوم الجمعة كعب بن لؤي، وكان يقال له : الصَّروبة ، وكان لأيام الأسبوع عند العرب أسماء أخرى ، فيوم الأحد أول ، والاثنين أهون ، والثلاثاء جبار ، والأربعاء دبار ، والخميس مؤنس ، والجمعة عروبة ، والسبت شبار — بالشين المعجمة — قال الجوهري : أنشدني أبو سعيد قال : أنشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :

أؤمل أن أعيش فان يومي بأول أو بأهون أو جبار
أو التسالي دبار أو فيومي بمؤنس أو عروبة أو شبار

(فليغتسل) لها في يومها ، يعني من أراد الهبة أي الذهاب إليها ، وقصد الشروع فيه ، وقال بمفهومه الامام مالك ، فاشتراط الاتصال بين الغسل والذهاب ، ولم يشترطه الجمهور ، وإنما اعتبر علماؤنا كون الغسل ما بين طلوع الفجر الثاني وصلاتها ، نعم ! الأفضل عند المضي إليها . وأبعد الظاهري حيث لم يعتبر تقدم الغسل على إقامة صلاة الجمعة ، حتى لو اغتسل قبل الغروب كفي عنده ؛ متعلقاً بإضافة الغسل الى اليوم . وقد تبين في بعض الأحاديث أن الغسل لازالة الرائحة الكريهة ، ويفهم أن القصد عدم تأذي الحاضرين ، وذلك متفق بمسألة إقامة الجمعة ، فإن قيل : هذا التعليل يباين قولكم : من اغتسل بعد الفجر حصل على السنة ؛ فالجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : من اغتسل يوم الجمعة ، واليوم من طلوع الفجر ، فلاحظنا العلة المذكورة ولم نهمل ما صدق الحديث ، وهذا قول مجاهد والحسن البصري والنخعي والثوري والشافعي وإسحاق ، وحكي عن الأوزاعي أنه يجزئه الغسل قبل الفجر ، وإن اغتسل ثم أحدث أجزاء الغسل على المتمد وفاقاً للمالك والشافعي ، واستحب طاووس والزهري وقادة ويحيى ابن أبي كثير إعادة الغسل ، ولنا أنه اغتسل في يوم الجمعة أشبه من لم يحدث ،

والحدث إنما يؤثر في الطهارة الصغرى ، ولأن المقصود من الفسل التنظيف وإزالة الرائحة وقد حصل ، والحدث لا أثر له في ذلك .

تنبيه : ظاهر هذا الحديث يقتضي وجوب غسل الجمعة لدلالة الأمر على ذلك ، وأصرح منه ما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » ، رواه مالك وأحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه . قال الجلال السيوطي : أي متأكد ، وقال الخطابي : معناه وجوب الاختيار والاستحباب دون وجوب الفرض ؛ كما يقول الرجل لصاحبه : حقك واجب علي ، أي متأكد ، وقال ابن عبد البر : ليس المراد أنه واجب فرضاً ؛ بل هو مؤول واجب في السنة أو في المروءة أو في الاخلاق الجميلة ، ثم أخرج بسنده من طريق أشهب عن مالك أنه سئل عن غسل الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو حسن وليس بواجب ، وأخرج من طريق ابن وهب أن مالكا سئل عن غسل يوم الجمعة أواجب هو ؟ قال : هو سنة ومعروف ، قيل : إنه في الحديث واجب ، قال : ليس كل ما جاء في الحديث يكون كذلك .

والصارف عن الوجوب ما رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سمرة رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ، ومن اغتسل فالفسل أفضل » ، ورواه ابن خزيمة أيضاً ، فالتاء في نعمت للتأنيث ، قال أبو حاتم : معناه ونعمت الخصلة هي الطهارة للصلاة ، وقال بعضهم : فبالرخصة آخذ ، ونعمت الرخصة . قال شمس الدين ابن أبي عمري في « شرح المقنع » : ليس غسل الجمعة واجباً في قول أكثر أهل العلم . قال الترمذي : العمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم ؛ منهم مالك والثوري والشافعي وأصحاب الرأي ، وحكام ابن عبد البر إجماعاً ، قال في « شرح المقنع » : وروي وجوبه عن أبي هريرة وعمرو

ابن سليم ، و قال عمار بن ياسر رجلا فقال : أنا إذن شر من لا يغتسل يوم الجمعة . قال ابن دقيق العيد : وقد نص مالك على الوجوب ، فحمله من لم يمارس مذهبه على ظاهره ، وحكى عنه أنه يرى الوجوب ، ولم ير ذلك أصحابه على ظاهره .

فائدة : روى البخاري من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يغتسل رجل يوم الجمعة ، ويتطهر ما استطاع من طهر ، ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ، ثم يصلي ما كتب له ، ثم ينصت إذا تكلم الإمام ؛ إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى » . وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في صحيحها ، والحاكم وصححه عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من غسّل يوم الجمعة واغتسل ، وبكّر وابتكر ، ومشى ولم يركب ، ودنا من الإمام فاستمع ولم يلغ ؛ كان له بكل خطوة عمل سنة ، أجر صيامها وقيامها » ورواه الطبراني في « الأوسط » من حديث ابن عباس رضي الله عنها . قال الخطابي : قوله : غسّل واغتسل ، وبكّر وابتكر ، اختلف الناس في معناه ، فهم من ذهب الى أنه من الكلام المتضافر الذي يراد به التوكيد ، ولم تقع المخالفة بين المعنيين لاختلاف اللفظين ، وقال : ألا تراه يقول في هذا الحديث : ومشى ولم يركب ومعناها واحد ؟ قال - والى هذا ذهب الأثرم صاحب الإمام أحمد ، وقال بعضهم : غسل ، معناه غسل الرأس خاصة ، والى هذا ذهب مكحول ، واغتسل ، معناه غسل سائر الجسد ، وزعم بعضهم أن قوله : غسل ، معناه أصاب أهله قبيل خروجه الى الجمعة ؛ ليكون أملك لنفسه وأحفظ في طريقه لنظره ، وقوله : وبكر وابتكر ، زعم بعضهم ، أن معنى بكر

أدرك باكورة الخطبة ، وهي أولها ، ومعنى وابكر ، قدم في الوقت ، وقال ابن الأنباري : معنى بكر ، تصدق قبل خروجه ، وتأول في ذلك ، ما روي في الحديث : « باكروا في الصدقة ، فإن البلاء لا يتخطاها » ، وقال الحافظ أبو بكر ابن خزيمة : من قال في الخبر ، غسل واغتسل - يعني بالتشديد - معناه جامع أهله ، فأوجب الفصل على زوجته ، أو أمته ، واغتسل هو ، ومن قال بالتخفيف ، أراه غسل رأسه ، واغتسل ، ففصل سائر جسده ؛ لخبر طاووس عن ابن عباس قال : « قلت لابن عباس : زعموا أن رسول الله ﷺ قال : اغتسلوا يوم الجمعة ، واغسلوا رؤوسكم ، وإن لم تكونوا جنباً ، ومسوا من الطيب ، قال ابن عباس : أما الطيب فلا أدري ، وأما الفصل فنعم » .

الحديث الرابع عشر

١٤ - حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن الثمار أن تباع حتى يبدو صلاحها .

قال رضي الله عنه : (حدثنا) أبو محمد (سفيان) بن عيينة (عن) عبد الله (بن دينار عن) عبد الله (ابن عمر) رضي الله عنها (قال : نهى رسول الله ﷺ) نهى حظر وتحريم (عن الثمار) من النخل ، والكرم ، وغيرها (أن تباع) ويستمر النهي عن بيعها (حتى) أي إلى أن (يبدو) أي يبين ويظهر (صلاحها) بأن تصير على الصفة التي تطلب منه ، وهو في « الصحيحين » وفيها : أيضاً من حديث أنس رضي الله عنه « أن رسول الله ﷺ نهى عن بيع الثمار حتى تزهي ،

قيل : وما زهى ؟ قال : حتى تحمر أو تصفر ، وفي لفظ : حتى تزهو ، يقال :
 زها يزهو ، طال واكتمل ، وأزهى يزهى ، اذا احمر أو اصفر ، والتفسير في
 قوله : حتى تحمر أو تصفر ، من قول سميد بن منيا ، مدرج في الحديث : كانه
 عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والمراد من الاحمرار والاصفرار ، الحمرة
 والصفرة ؛ لكنهم اذا أرادوا اللون من غير تمكن قالوا : حمر - بفتح الحاء المهملة
 وضم الميم - وصفر كذلك ، فاذا تمكن قالوا : احمر واصفر ، فاذا زاد في التمكن ،
 قالوا : احمرار واصفار ؛ لان زيادة البناء تدل على التكثير والمباغة ، وقد روى
 الامام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، من حديث أنس رضي الله عنه أن
 النبي ﷺ نهى عن بيع العنب حتى يسود ، وعن بيع الحب حتى يشتد ، فان
 بيع شيء من ذلك ، قبل ذلك ؛ فلا يصح إلا بشرط القطع ، لاحتمال عروض آفة ،
 وفي ذلك إجراء الحكم على الغالب ، إذ تطرق التلف الى ما بعد إصلاحه ،
 وعدم تطرقه الى ما لم يبد صلاحه ممكن ، فأنيط الحكم بالغالب في الحالين . زاد
 في آخر حديث ابن عمر رضي الله عنهما كما في « الصحيحين » وغيرهما « نهى البائع
 والمشتري » تأكيد لما فيه من بيان ، أن المنع وإن كان من مصلحة الانسان ،
 فليس له أن يرتكب النهي فيه قائلا : أسقطت حق من اعتبار المصلحة ، ألا ترى
 أن هذا المنع لأجل مصلحة المشتري ؟ فان الثمار قبل بدو صلاحها عرضة للماهات ،
 فاذا حصل منها شيء أجهف بالمشتري في الثمن الذي بذله ، ومع هذا فقد منحه
 الشرع ؛ فنهى المشتري ، كما نهى البائع قطعاً للنزاع والخصام . وأكثر علماء
 الأمة على أن هذا النهي للتحريم ، إلا أنهم أخرجوا من هذا الموم بيعها بشرط
 القطع ، وكذا لما لك الاصل : قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى : اتفقوا على أنه اذا
 اشترى ثمرة لم يبد صلاحها بشرط قطعها ، أن البيع جائز ، قال في « الاقناع » :
 لا يصح بيع الثمرة قبل بدو صلاحها ، ولا الزرع قبل اشتداد حبه ، إلا بشرط

القطع في الحال ، إن كان منتفماً به حينئذ ، ولم يكن مشاعاً ، فإن كان مشاعاً لم يصح شرط القطع ، لأنه لا يمكنه قطعه إلا بقطع ما لا يملكه ، وليس له ذلك إلا أن يبيعه مع الأصل ، بأن يبيع الثمرة مع الشجرة ، أو الزرع مع الأرض ، أو يبيع الثمرة لمالك الأصل ، والزرع لمالك الأرض ؛ فيجوز ، وقد نقل ابن هبيرة الاتفاق على صحة ذلك ، ثم قال : واختلفوا فيما إذا اشتراها ، يعني قبل بدو صلاحها ، ولم يشترط قطعها لغير مالك الأصل ، فقال الثلاثة : البيع باطل ، وقال أبو حنيفة : صحيح ويؤمر بقطعها ، وفائدة الخلاف في عمليين ؛ أحدهما : البيع فاسد عندم صحيح عنده ، الثاني : إطلاق البيع وترك الاشتراط فيه ، يقتضي التبقية عندم ، وعنده يقتضي القطع — قال — واتفقوا على أن يبيع الثمار قبل بدو صلاحها ، بشرط التبقية لا يصح ، واختلفوا فيما إذا باعها بعد بدو صلاحها بشرط التبقية إلى الجذاذ ، فقال الثلاثة : يصح ، وقال أبو حنيفة : إذا اشترط ذلك ؛ بطل البيع ، فإذا اشتراها قبل بدو صلاحها ، بشرط القطع ؛ فلم يقطعها حتى بدا صلاحها ، وأتى عليها أو أن جذادها ، فقال الثلاثة : المقد صحيح ، والثمرة زيادتها للمشتري ، ومتمم مذهب الامام أحمد أنه يبطل البيع بزيادته . نعم بمعنى عن يسيرها عرفاً .

(فرعان) :

ط

الأول : صلاح بعض ثمرة شجرة ؛ صلاح لجميع أشجار نوعها الذي بالبستان الواحد ؛ لأن اعتبار الصلاح في الجميع يشق ، هذا متمم مذهب الامام أحمد . قال في « الفروع » : وإذا بدا صلاح بعض نوع ، ونقل حنبل عن الامام أحمد : غلب ، وقاله القاضي وغيره في شجرة يبيع جميعه ، وعلى الأصح ؛ وبستان ، وعنه : وما قاربه ، وفاقاً لمالك ، وعنه : الجنس كالنوع — قال — واختار شيخنا — يعني شيخ الاسلام ابن تيمية — وبقيّة الأجناس التي تباع حكمه عادة ، وإن

أفرد بالبيع ما لم يصلح منه ؛ لم يصح ، قال ابن قندس في حواشيه : لأنه إنما جاز يمه تبعا ، فلا يباع وحده ، كما لو كان منفردا .

الثاني : ما تلف من ثمر على أصوله قبل أو ان جذاه — سوى يسير منه لا ينضبط لقلته — بجائحة ، وهي ما لا صنع لآدمي فيها ؛ كالريح والحر والبرد والمطر ، ولو كان التلف بعد قبض بالتخلية ؛ فضانته على بائع ؛ لقوله ﷺ في أثناء حديث أنس في « الصحيحين » وغيرها : « رأيت اذا منع الله الثمرة ! بم يستحل أحدكم مال أخيه ؟ » وفي حديث جابر رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ وضع الجوائح » رواه الامام أحمد وأبو داود والنسائي ، وفي لفظ عند مسلم : « أمر بوضع الجوائح » وفي لفظ قال : إن بعت من أخيك ثمرا ، فأصابها جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا ، بم تأخذ مال أخيك بغير حق ؟ » رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة . والجوائح ؛ جمع جائحة ، وهي الآفة التي تهلك الثمار والأموال وتستأصلها ، مصيبة عظيمة وفتنة مبيدة ، وجاح الله المال ، وأجاحه : أهلكه ؛ كما في « المطلع » وفي « المطلع » أصابته جائحة ؛ أي مصيبة اجتاحت ماله ، أي استأصلته ، ومنه جائحة الثمار ، ومنه قوله : اجتاح أصله ؛ أي استأصله الهلاك . ولأن التخلية في ذلك ، ليس بقبض تام ، بدليل أن على البائع المؤونة الى تمتة صلاحه ، فوجب كونه في ضمان بائع ، كما لو لم يقبض ، ولأن الثمر على الشجر كالمنافع في الاجارة تؤخذ شيئا فشيئا ، ثم لو تلفت المنافع قبل استيفائها كانت من ضمان الاجر ، وكذا هنا ، ومحل كونها من ضمان البائع ، ما لم تبع مع أصلها لحصول القبض التام وانقطاع علق البائع عنه ، أو ما لم يؤخر المشتري أخذها عن عادته لتفريطه ، ومذهب أبي حنيفة وأظهر قول الشافعي أن جميع ذلك من ضمان المشتري ، فلا يوضع له شيء منها ، وقال مالك : يوضع

للجائحة إذا أتت على ثلث التمرة فأكثر ، فهو من ضمان البائع فيوضع عن المشتري ، وإن كان دون ذلك فهو من ضمان المشتري ، وهو رواية عن أحمد ، ومعه مذهبها أنها من ضمان البائع قل أو أكثر ، ومالك يشترط في جواز وضع الجائحة عن المشتري إذا اشترى تمرّة واحتاجت الى التبقية على رؤوس النخل ، وأما إن كانت غير محتاجة فهي من ضمان المشتري ، ولا تكون من ضمان بائع وإن تلف كله . قلت : وما ذكرنا من الأحاديث يؤيد ما ذهب اليه امامنا ، والله تعالى الموفق .

الحديث الخامس عشر

١٥ — حدثنا سفيان ، عن عبد الله بن دينار ، قال : سمعت ابن

عمر يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اقتنى كلباً الا كلب ماشية أو كلب قنص ، نقص من أجره كل يوم قيراطان .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (عن عبد الله بن دينار قال : سمعت) عبد الله (بن عمر) رضي الله عنها (يقول : قال رسول الله ﷺ : (من) أي أي شخص من ذكر أو أنثى (اقتنى) بالاقاف ائتمال من القنصة - بالكسر - وهي الاتخاذ (كلباً) من أنواع الكلاب سواء السلوقي وغيره (إلا كلب ماشية) من غنم وغيرها يتخذ لحفظها ورعايتها (أو كلب قنص) أي صيد والقانص الصائد ، وفي رواية د من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضارباً لصيد ، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم د أو كلب زرع ، وفي لفظ :

خرث ، وكذا وقعت الزيادة في حديث عبد الله بن مغفل عند الترمذي ، وفي
 « الصحيحين » من حديث سفيان بن أبي زهير - رجل من أزد شنوءة - وكان
 من أصحاب النبي ﷺ قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من
 اقتنى كلباً لا يفني عنه زرعاً ولا ضرعاً نقص كل يوم من عمله قيراط ، قال السائب
 ابن يزيد : قلت : أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : اي
 ورب هذا المسجد ! وفي « الصحيحين » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما
 « سمعت رسول الله ﷺ يقول : من اقتنى كلباً إلا كلب صيد أو ماشية ، (نقص
 من أجره) أي من أجر عمله الذي يعمل (كل يوم) من أيامه (قيراطان) ثلثية
 قيراط ، وهو قدر معلوم عند الله ، وفي رواية « نقص من أجره كل يوم قيراط ،
 قال العلامة ابن مفلح في كتابه « الآداب الكبرى » : يجوز اقتناء كلب كبير
 لصيد يبعث به ، أو لحفظ ماشية يروح معها الى الرعي ويتبعها ، أو لحفظ زرع ،
 ولا يجوز اتخاذه لغير ذلك ، وقيل : يجوز اقتناؤه لحفظ البيوت ، وهو قول
 لمبض الشافعية ، وفي « الرعية » وقيل : وبستان ، فإن اقتنى كلب الصيد من
 لا يصيد احتمل الجواز والمنع ، وهكذا الاحتمالان فيمن اقتنى كلباً ليحفظ به
 ماشية أو حرثاً إن حصلت ، أو يصيد به ان احتاج ، ويجوز تربية الجرو الصغير
 لأجل الثلاثة في أقوى الوجهين ، والثاني : لا يجوز ، وفي « الرعية » لا يكره على
 الأصح اقتناء جرو صغير حيث يقتنى الكبير ، وأما اقتناء الكلاب لغير ما ذكر
 فلا يجوز لهذا الحديث وغيره من الأحاديث ، وزعم ابن عبد البر أن هذا
 الحديث يدل على إباحة اتخاذ الكلاب للصيد والماشية ، وكذا للزراع لأنها زيادة
 من حافظ ، وكراهة اتخاذها لغير ذلك ؛ إلا أن يدخل في معنى الصيد وغيره مما
 ذكر ؛ كاتخاذها لجلب المنافع ودفع المضار قياساً ، فتمحس الكراهة اتخاذها
 لغير حاجة ؛ لما فيه من ترويع الناس ، وامتناع دخول الملائكة البيت الذي هي فيه .

- قال - وفي قوله : ينقص من عمله أي من أجر عمله ، ما يشير إلى أن اتخاذها ليس بمحرم ؛ لأن ما كان اتخاذه محرماً امتنع اتخاذه على كل حال ، سواء نقص الأجر أم لم ينقص ، فدل ذلك على أن اتخاذه مكروه لا حرام - قال - ووجه الحديث عندي أن المأماني المتعبد بها في الكلاب من غسل الاناء سبباً لا يكاد يقوم بها المكلف ولا يتحفظ منها ، فربما دخل عليه باتخاذها ما ينقص أجره من ذلك . ويروى أن المنصور ثاني خلفاء بني العباس ؛ سأل عمرو بن عبيد عن سبب هذا الحديث فلم يعرفه ، فقال المنصور : لأنه ينبغ الضيف ويروغ السائل انتهى . وما ادعاه من عدم التحريم واستدلالة بما ذكر ليس بلازم ، بل يحتمل أن تكون العقوبة تقع بعدم التوفيق للعمل بمقدار قيراط أو قيراطين ؛ مما كان يعمل من الخير لو لم يتخذ الكلب ، ويحتمل أن يكون الاتخاذ حراماً .

والمراد بالنقص أن الاثم الحاصل باتخاذها ، يوازن قدر قيراط أو قيراطين من أجر عمله ، فينقص من ثواب عمل المتخذ قدر ما يترتب عليه من الاثم باتخاذها ؛ وهو قيراط أو قيراطان ، وهذا ظاهر ، وقيل : سبب النقص امتناع ملائكة الرحمة والبركة من دخول بيته ، أو ما يلحق المارين من الأذى ، أو لأن بعض شياطين ، أو عقوبة لمخالفة النهي ، أو لولوجها في الإواني عند غفلة صاحبها ، فربما يتنجس الطاهر بها ، فإذا استعمل في العبادة لم يقع موقع الطاهر . وقال ابن التين : المراد أنه لو لم يتخذ لكان عمله كاملاً ، فإذا اقتناه نقص من ذلك العمل . واختلف في اختلاف الروايتين في القيراط والقيراطين ، فقيل : الحكم لازماً لكونه حفظ ما لم يحفظ الآخر ، أو أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أولاً بنقص قيراط واحد ، فسمعه الراوي الاول ، ثم أخبر ثانياً بنقص قيراطين زيادة في التأكيد في التنفير من ذلك ، فسمعه الراوي الثاني ، وقيل : ينزل على حالين ، فنقص القيراطين باعتبار كثرة الاضرار باتخاذها ، ونقص القيراط باعتبار قلته ،

وقيل : يختص نقص القيراطين بمن اتخذها بالمدينة الشريفة خاصة ، والقيراط بما عداها ، وقيل : يلتحق بالمدينة سائر المدن والقرى ، ويختص القيراط بأهل البوادي ، وهو ملنفت الى معنى كثرة التأذي وقتله ، وكذا من قال : يحتمل أن يكون في نوعين من الكلاب ، واختلف أيضاً في نسبة القيراطين من أجر عمله ؛ فقيل : قيراط من ماضي عمله ، وقيراط من مستقبله ، وقيل : قيراط من عمل الليل ، وقيراط من عمل النهار ، وقيل : قيراط من عمل الغرض وقيراط من النفل .

وقد ذكرت الكلام على هذا الحديث في رسالة متعلقة بالصلاة على الميت ، وهو أن من صلى على ميت فله بالصلاة عليه قيراط ، وله بتام دفنه وتعزية المصاب قيراطان ، وأن نسبة هذين القيراطين لما يحصل لأهل المصيبة من أجر المصيبة ، ولو احقها على أكمل حال من غير أن ينقص من أجر مصيبتهم شيء ، وأنهم لو لم يصبروا بل جزعوا وتسخطوا حتى حصل عليهم من ذلك وزر ؛ يكون لهذا المصلي والمتبع الجنائز قيراط ، أو قيراطان من أجر تلك المصيبة ولو احقها ؛ لو وجد على أتم حال ، وأما في مقتني الكلب الذي حررناه فيها تباعاً للإمام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » ، والإمام ابن عقيل في فنونه ، وابن قنيس في « حواشي الفروع » ، أن القيراط والقيراطين بالنسبة الى عمله ذلك اليوم ، فكأنه حصل من العمل الصالح الطيب أربعة وعشرين ألف حسنة مثلاً ، فينقص منها باقتناء الكلب قيراطان ، وهما ألفا حسنة في المثال على أتم وجوه العمل ، أو بالنسبة الى عمل نفسه ، ويكون عظام القيراط ونقصه مختلفاً باختلاف الأشخاص ، والله الموفق .

تفہیمات

الاول : أشمر الحديث بجواز اتخاذ الكلاب للماشية والصيد ، وكذا الحرث ، لما ذكرنا من حديث أبي هريرة . وفي « الصحيح » : « قال سالم ابن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم : وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : أو كلب حرث » ، وكان صاحب حرث ، فكان قد جوز اتخاذه للحرث والزراعة ، ويستدل لجواز ذلك بالنص الذي سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حافظ الأمة ، فصار العلماء الى جواز اتخاذه للزراعة والحرث ، أي لحفظ ذلك اعتماداً على حديث أبي هريرة . والكلب الذي يجوز اتخاذه لما ذكره ؛ لا بد أن يكون غير عقور ، فإن كان عقوراً لم يجوز اتخاذه ، ويجب قتله ولو كان مملأً ، ولا بد أن يكون غير أسود بهيم ، فإن كان أسود بهيماً حرم اقتناؤه وسن قتله ، كما في « الاقناع » . وفي « المنتهى » يباح قتله ، وقدم في « الآداب الكبرى » : يباح قتل الكلب العقور والأسود البهيم والوزغ^(١) ، كذا قاله غير واحد - قال - وليس مرادهم حقيقة الإباحة ، والتعبير بالاستحباب أولى . وقطع به في « المستوعب » ، في محظورات الاحرام ، وكذا كل ما فيه أذى في الحرم وغيره . قالت عائشة رضي الله عنها : « إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل خمس فواسق في الحل والحرم ؛ الغراب ، والحدأة ، والمقرب ، والفأر ، والكلب العقور » ، رواه البخاري ومسلم ، وروى مسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً : « لا جناح على من قتلن في الحرم والاحرام » ، وعبر بالاستحباب جماعة ممن تكلم على الاحاديث - قال - وذكر الأصحاب إباحة قتل الكلب العقور والأسود البهيم في غير موضع . وصرح الموفق وغيره : وإن كانا مملئين ، فإنه قال : وأما قتل ما لا يباح اقتناؤه من الكلاب بأن

(١) الوزغ ، جمع وزغة ، وهي : سام أبرص

كان أسود بهيماً أو عقوراً فيباح وإن كانا معملين - قال - وعلى قياس الكلب كل ما أذى وضرهم في أنفسهم وأموالهم . ثم صرح الموفق رحمه الله بوجوب قتل الكلب العقور والأسود البهيم ، قال أبو الخطاب : الأمر بالقتل يقتضي النهي عن إمساكه وتعليمه والاصطياد به ، فعلى معتمد المذهب لا يباح صيد الكلب الأسود البهيم ولو معملاً .

الثاني : تعليم الكلب والفهد ونحوهما بثلاثة أشياء : أن يسترسل إذا أرسل ، وينزجر إذا زجر لافي حال مشاهدته الصيد ، وإذا أمسك لم يأكل . ولا يعتبر تكراره ، بل يحصل ولو بمرة ، فإن أكل بعد تعليمه لم يحرم ما تقدم من صيده ، ولم يبيع ما أكل منه ، ولم يخرج عن كونه معملاً ، فيباح ما صاده بعد الصيد الذي أكل منه . وقال البغوي من الشافعية في تهذيبه : أقل ما يعلم به كونه الكلب صار معملاً أن يتكرر وقوع ما اعتبر منه ثلاث مرات فصاعداً . وعن أبي حنيفة : يكفي مرتين . وقال الرافعي : لم يقدره المعظم ؛ لاضطراب العرف واختلاف طباع الجوارح ، فصار المرجع إلى العرف ، ولا بد أن يجرح الصيد ، فإن قتله بصدمته أو خنقه ، لم يبيع على معتمد المذهب . وفي «الفتح» : فلو قتل الجراح الصيد بغفره أو نابه حل - قال - وكذا بثقله على أحد القولين للشافعي وهو الراجح عندهم ، واختاره من علمائنا ابن حامد وأبو محمد الجوزي .

الثالث : لا بد لإباحة الصيد بالكلب المعلم ونحوه - حيث وجده ميتاً أو فيه حركة ضئيفة لا تزيد على حركة المذبوح - من أن يكون ذكر اسم الله عند إرساله ، والعلماء مجمعون على مشروعيتها ؛ إلا أنهم اختلفوا في كونها شرطاً في حل الأكل ، فذهب الإمام أحمد إلى الراجح الذي لا يفتى بغيره ، وهو مذهب أبي ثور وطائفة : هي شرط لا تسقط عمداً ولا سهواً ولا جهلاً ، فمن تركها عند إرسال

الآلة الى الصيد من جارج وسهم فوجد المصيد ميتاً ؛ فهو ميتة لا يحل أكله ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم جعلها شرطاً لجواز الأكل في عدة أحاديث ، ولأن الأصل تحريم الميتة إلا ما أذن الشارع فيه منها ، وما أذن فيه منها يراعى صفته ، فالمسمى عليها وافق الوصف ، وغير المسمى باق على أصل التحريم ، ومذهب الشافعي وطائفة وهو رواية عن مالك وأحمد أنها سنة ، فمن تركها سهواً أو عمداً لم يقدح في حل الأكل ، ومذهب أبي حنيفة ومشهور مذهب مالك والثوري وكثير من العلماء جواز الأكل في تركها سهواً ، وعدمه في تركها عمداً ؛ لكن اختلف عن المالكية هل يحرم الأكل أو يكره ؛ وعند الحنفية يحرم ، وعند الشافعية : في العمد ثلاثة أوجه ؛ أصحابها يكره الأكل ، وقيل : خلاف الأولى ، وقيل : يأثم بالترك ولا يحرم الأكل ، كما في « الفتح » . وفي الحديث دليل على إباحة الاصطياد بالكلاب المعلمة ؛ لكن استثنى الامام أحمد وإسحاق بن راهويه الكلب الاسود البهيم كما تقدم ، وهو مالا لون فيه سوى السواد ، فقال : لا يحل الصيد به لأنه شيطان ، ونقل عن الحسن وإبراهيم وقتادة نحو ذلك ، قال علماؤنا : ولا يخرج عن كونه أسود بهيماً بالنكتين اللتين يكونان بين عينيه - قالوا - فيحرم اقتناؤه وتعليمه ، ويسن قتله ولو معلماً كالخنزير ، ويحرم الانتفاع به . والله أعلم .



الثلاثيات الواقعة في مسند الامام أحمد رضي الله عنه

من مسند

جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنها
وعدها ثلاثون حديثاً

ونبدأ أولاً بترجمة جابر رضي الله عنه :

هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام - بالمهملتين - ابن عمرو بن سواد - بفتح السين المهملة والواو ، فألف فдал مهملة - ضد بياض ، ابن سلمة - بكسر اللام - الأنصاري الخزرجي السلمي - بفتح السين المهملة واللام - المديني .
كنيته : أبو عبد الله ، وقيل : أبو عبد الرحمن ، وقيل : أبو محمد ، وهو وأبوه صحابيان ، شهد العقبة الثانية مع أبيه صغيراً ولم يشهد الأولى ، وكان أبوه أحد النقباء الاثني عشر ، وأبوه أول قتيل للمسلمين في أحد ، وشهد جابر بدرأ في قول البخاري وأبي أحمد الحاكم ، ونقل ابن عساكر عن أبي سعد والواقدي أنه لم يشهدا ، ورجحه ابن عبد البر ، واستدل بما رواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أنه قال : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة غزوة ، لم أشهد بدرأ ولا أحداً ، منعي أبي ، وأما ما احتج به للاول من حديث أبي داود عن أبي سفيان عن جابر رضي الله عنه قال : « كنت أمتنع أصحابي الماء يوم بدر ، فقال السهيلي : معناه أنه كان صغيراً فلم يسهم له ، وزعم بعضهم أن هذه الرواية تصحيف : والصحيح « كنت منيح أصحابي يوم بدر ، والمنيح السهم ، يريد أنهم كانوا يرسلونه في حوائجهم لصغر سنه ، ثم

شهد جابر مع علي رضي الله عنها صفين ، وكف بصره في آخر عمره ، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين ، وقيل : سبع وسبعين ، وقيل : ثمان وسبعين ، وقيل : ثلاث وسبعين ، وقيل : إحدى وستين ، وقيل : تسع وسبعين ، والراجح من هذه الأقوال الأول ، وصلى عليه أبان بن عثمان ، وهو أمير المدينة يومئذ ، وله من العمر أربع وتسعون سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة على قول ، وإذا أطلق جابر فهو المراد ، وهو أحد المكثرين من الصحابة . روي له عن رسول الله ﷺ ألف حديث وخمسمائة وأربعون حديثاً ، اتفق الشيخان على ستين ، وقال ابن الجوزي في « منتخب المنتخب » : ثمانية وخمسين ، وانفرد البخاري بستة وعشرين ، ومسلم بمائة وستة وعشرين ، والله أعلم .

الحديث الاول

١٦ — حدثنا هشيم ، قال : حدثنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع أبي عبيدة ، بعثنا النبي ﷺ ، فنفسد زادنا فمررنا بحوت قذفه البحر ، فأردنا أن نأكل منه ، فمنعنا أبو عبيدة ثم إنه قال بعد ذلك : نحن رسل رسول الله ﷺ

وفي سبيل الله ، كلوا فأكلنا منه أياماً ، فلما قدمنا ذكرنا
ذلك لرسول الله ﷺ فقال :

ان كان بقي معكم منه فابشوا به الينا .

قال رضي الله عنه : (حدثنا هشيم) هو أبو معاوية ، هشيم — بضم
الماء ، وفتح الشين المعجمة : مصنف — ابن بُشَيْر — بضم الواحدة — ابن
القاسم السلمي الواسطي ، الامام الحافظ الكبير ، نزيل بغداد ، روى عن أبيه
وحيد الطويل وأيوب السختياني ، وعن الزهري وعمر بن دينار وابن زاذان
وخلق كثير ، وعنه شعبة أحد شيوخه ، ومالك والثوري ومحمد بن عيسى ابن
الطباع والامام أحمد وخلق . قال حماد بن زيد : ما رأيت في المحدثين أنبل منه ،
وقال يزيد بن هارون : ما رأيت أحداً أحفظ من هشيم إلا سفيان إن شاء الله
تعالى ، وقال ابن مهدي : كان أحفظ للحديث من سفيان الثوري ، قال ابن سعد :
كان ثقة ثباتاً كثير الحديث يدلس كثيراً ، وسئل أبو حاتم عنه فقال : لا تسأل
عنه في صدقه وأمانته وصلاحه ، وقال الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه :
لزم هشيماً أربع سنين أو خمس سنين ما سألته عن شيء هيبه له إلا مرتين
— قال — وكان هشيم كثير التسبيح بين الحديث ، يقول بين ذلك : لا إله إلا الله ،
يذهبها صوته ، وقال معروف الكرخي : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
النام وهو يقول لهشيم : يا هشيم ! جزاك الله عن أمي خيراً ، فقيل لمعرف :
أنت رأيته ؟ قال : نعم ! هشيم خير مما يظن ، رضي الله عن هشيم . قال الامام
الحافظ ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : مكث هشيم يصلي الفجر بوضوء

المشاء ، قبل أن يموت عشر سنين ، وله هشيم سنة أربع ومائة ، ومات سنة ثلاث ومائتين ومائة .

(قال) هشيم : (حدثنا أبو الزبير) - بضم الزاي وفتح الموحدة فثناة تحت ، فراء ، مصفرا - هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي المكي . روى عن جابر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير وعائشة رضي الله عنهم وخلق كثير ، وروى عنه أبو حنيفة ومالك وشعبة والأعمش والسفيان وحمام بن سلمة والزهرى - وهو من أقرانه - وعطاء بن أبي رباح - أحد شيوخه - وهشيم وغيرهم . وهو ثقة ، وثقه ابن المديني وابن معين والنسائي ، وضمفه ابن عينة وغيره ، مات سنة ثمان وعشرين ومائة ، وقال ابن بدران الحنبلي في طبقات الحفاظ : أبو الزبير أمام كبير حافظ ، مولى حكيم بن حزام القرشي الأسدي . قال ابن معين والنسائي : ثقة ، وقال أبو زرعة وأبو حاتم : لا يحتج به ، وقال غير واحد : مدلس ، فإذا صرح بالضعف فهو حجة . انتهى .

(عن) أبي عبد الله (جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنهما (قال) جابر رضي الله عنه : (كنا) معشر الصحابة (مع) أمين الأمة (أبي عبيدة) عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهب - بضم الهززة وفتح الهاء وسكون الياء المتناه تحت وبمدها باء موحدة - ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشي الفهري ، أمين هذه الأمة ، أسلم مع عثمان بن مظعون ، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية ، وشهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، وثبت معه يوم أحد ، ونزع الحلقين اللتين دخلتا في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد من حلق المغفر بفيه ، فوقمت ثنيتاه فكان أحسن الناس هتماً ^(١) ، وهو أحد

(١) هم فاه : ألقى مقدم أسنانه .

الفترة المبشرين بالجنة . روي له عن رسول الله ﷺ خمسة عشر حديثاً ، ولم يخرج له البخاري في « صحيحه » شيئاً ، ولا مسلم إلا في حديث النهر من رواية أبي الزبير عن جابر ، وهو قوله : نحن رسل رسول الله ﷺ ، وهو معنى تام فسموه حديثاً . مات أبو عبيدة رضي الله عنه في طاعون عمواس سنة ثمان مائة عشرة ، ودفن ببيسان أي بنور بيسان ، وقبره هناك مشهور ، وقد زرناه ، وصلى عليه معاذ بن جبل ، ثم مات بعده ، وقبره قاطع النور مشهور ، وقد زرناه أيضاً . ولما مات أبو عبيدة رضي الله عنه كان عمره ثمان وخمسين سنة . يجتمع نسبه مع النبي ﷺ في فهر بن مالك .

(بعثنا النبي ﷺ) في ثلاثمائة راكب ؛ كما في « الصحيحين » وغيرها ، زاد الواقدي وابن سعد وغيرها : من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه . قال جمهور أهل المغازي : كان ذلك في شهر رجب سنة ثمان . قال جابر كما في « الصحيحين » : « وأمر علينا أبو عبيدة بن الجراح » . وأما ما وقع في رواية أبي حمزة الخولاني عن جابر عنده ابن أبي عاصم في « كتاب الأطمعة » أن أمير هذه السرية قيس بن سعد بن عباد : فالحفوظ كما قال في « الفتح » : ما اتفقت عليه روايات « الصحيحين » وغيرها أنه أبو عبيدة بن الجراح . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وكان أحد رواة هذا الحديث ظن من صنع قيس بن سعد من نحر الجزر في تلك الفزاة أنه كان أمير السرية وليس كذلك . وفي « الصحيحين » وغيرها من حديث جابر رضي الله عنه أنه قال : « بعثنا رسول الله ﷺ ، وأمر علينا أبو عبيدة نتلقى عيراً لقريش ، وزودنا جراباً من تمر لم يجد لنا غيره ، فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر » . (فنقد) كسمع ، بالنون والفاء والdal المهملة — (زادنا) الذي كنا قد تزودناه لسفرنا ، أي في وذهب ، وفي رواية : « فأقمتنا بالساحل نصف شهر ، ففني الزاد ، فأمر أبو عبيدة

بأرواد الجيش ، فجمع فكان مزودي تمر ، وكان يقوتنا كل يوم قليلاً قليلاً ،
وفي رواية : « فكان بمطينا قبضة قبضة ، ثم صار بمطينا ثمرة ثمرة حتى فني ،
قيل : كيف كنتم تصنعون بها ؟ قال : كنا نعضها كما يعض الصبي ، ثم نشرب
عليها الماء فتكفينا يوماً الى الليل ، ، وفي رواية وهب بن كيسان « قلت
لجابر : ما تنفي عنكم ثمرة ؟ قال : لقد وجدنا فقدناها حين فنيتم ، وفي حديث
عبادة بن الصامت رضي الله عنه عند ابن إسحق « قسمها - أي الثمرة - يوماً بيننا
فنقصت ثمرة عن رجل ، فوجدنا فقدناها ذلك اليوم ، فأصابنا جوع شديد ، وكنا
نضرب بمصينا الخَبْط (١) ثم نبله بالماء ، ويأتي الكلام على هذا في الحديث الخامس
والعشرين من أحاديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها .

(فمررنا بحوت قذفه البحر) ، وفي رواية في « الصحيحين » من حديث
جابر رضي الله عنه : « فالتقى إلينا البحر دابة يقال لها : الضنبر ، وفي آخر :
« حوتاً لم نر مثله ، كهينة الكتيب الضخم ، فأتيناه ، فإذا هو دابة تدعى : الضنبر ،
(فأردنا أن نأكل منه) — أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر — (فمضنا)
أميرنا (أبو عبيدة) رضي الله عنه ، وقال : ميتة ، (ثم إنه) — أي أبو عبيدة —
(قال بعد ذلك) : — أي بعد أن نهانا عن الأكل منه ، وقال : إنه ميتة — لا
بل (نحن رسل رسول الله) محمد (ﷺ) أرسلنا لنقاتل أعداء الله ، (وفي سبيل الله)
وقد اضطررتم ف (كلوا) منه ، فبني أولاً على عموم تحريم الميتة ، ثم تذكر
تخصيص المضطر بإباحة أكلها ، إذا كان غير باغ ولا عاد ، وم بهذه الصفة لأنهم
في سبيل الله وفي طاعة رسوله ، ثم تبين من آخر الحديث : أن جهة كونه حلالاً
ليست بسبب الاضطرار ، بل لكونها من صيد البحر ، كما يأتي مشروحاً مبيناً

(١) الخَبْط : ورق ينفض بالخابط ، ويحف ويطن ، ويخلط بدقيق او غيره ،

ويؤخذ بالماء فتوجره الابل .

قال جابر رضي الله عنه : (فأكلنا منه) أي من ذلك الحوت الذي قذفه البحر لنا (أياما) في رواية وهب بن كيسان عن جابر : « فأكل منه القوم ثمانى عشرة ليلة ، وفي رواية عمرو بن دينار عندهما : « فأكلنا منه نصف شهر » ، وفي رواية أبي الزبير : « فأقننا عليه شهراً ، وطريق الجمع بين اختلاف هذه الروايات ؛ بأن الذي قال ثمانى عشرة ، ضبط ما لم يضبط غيره ، وأن من قال نصف شهر ألفى الكسر الزائد ، وهو ثلاثة أيام ، ومن قال شهراً ؛ جبر الكسر أو ضم بقية المدة التي كانت قبل وجدانهم : ورجح النووي رواية أبي الزبير لما فيها من الزيادة . قال ابن التين : إحدى الروايتين وهم ، ووقع عند الحاكم اثني عشر يوماً وهي شاذة ، وأشد منها رواية الخولاني : « أقننا قبلها ثلاثاً ، والجمع المذكور أولى ؛ فإن رواية ثمانى عشرة ليلة عند البخاري ، ورواية شهر عند مسلم ، ورواية نصف شهر عندهما . قال جابر رضي الله عنه كما في « الصحيحين » : « وادھنا من ودكه ، حتى ثابت منه اجسامنا وطلعت » وفي رواية « فأقننا عليه شهراً ونحن ثلثمائة ، حتى سمئاً . — قال — واقد رأيتنا نفترق من وقب عينه باقلال الدهن ، ونقتطع منه القدر كالثور ، أو كقدر الثور ، وأخرجنا من عينه كذا وكذا قلة ودك ، ولقد أخذ أبو عبيدة رضي الله عنه ثلثة عشر رجلاً ، فأقعدهم في ثقب عينه ، وأمر أبو عبيدة رضي الله عنه بضلع من أضلاعه فنصب ، ونظر الى أطول رجل في الجيش ، أي وهو قيس بن سعد بن عباد ؛ كما ظنه في « الفتح » ، وأطول حمل جلسه عليه ، ومر من تحته راكباً فلم يصبه — قال جابر رضي الله عنه — : « وتزودنا من لحمه » وفي رواية أبي حمزة الخولاني « وحملنا منه ما شئنا من قديد وودك في الأسقية والغدائر » .

قال جابر رضي الله عنه : (فلما قدمنا) المدينة المنورة (ذكرنا ذلك) أي أمر الحوت الذي قذفه البحر ، وأكلنا من لحمه وودكه ، وحملنا من ذلك

(لرسول الله ﷺ فقال) عليه الصلاة والسلام : (إن كان بقي معكم) مشر
الغزاة من أهل ذلك الجيش (منه) - أي من لحم ذلك الحوت - (فابعثوا به)
- أي بالباقي منه معكم - (إلينا) لنا أكل منه ، وفي بعض طرقه في « الصحيح » أن
النبي ﷺ أكل منه ، ولفظه « فلما قدمنا المدينة أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا
ذلك له . فقال : هو رزق أخرجه الله لكم ، فهل معكم من لحمه فنعطموهنا ؟
- قال - فأرسلنا إلى رسول الله ﷺ منه فأكله ، وبهذا تم الدلالة على إباحة
أكل صيد البحر ؛ حتى الطافي منه ، وإلا فجرد أكل الصحابة منه ، وهم في حالة
الجماعة ؛ قد يقال : إنه للاضطرار ، ولا سيما وفيه قول أبي عبيدة : « ميتة » ثم قال :
لا بل نحن رسل رسول الله ، وفي سبيل الله ، وقد اضطررتم فكلوا ، كما تقدم ،
وقد أخرجه بهذا اللفظ مسلم من طريق أبي الزبير عن جابر في الصيد ، وكذا
البخاري في المغازي من هذا الوجه ؛ لكن قال أبو عبيدة : كلوا ، ولم يذكر
بقيته ، وتقدم أن أبا عبيدة بناء أولاً على إباحة الميتة المضطر ، فقرر الرسول ﷺ
أن جهة كونه حلالاً ، ليس بسبب الاضطرار ؛ بل لكونه من صيد البحر ، ففي
« الصحيحين » « فلما قدمنا المدينة ذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : كلوا
رزقاً أخرجه الله لكم ، وأطعمونا إن كان معكم ، فأناه بعضهم بعضاً فأكله ، فبين
ﷺ لهم أنه حلال مطلقاً ، وبالع في البيان بأكله منه ؛ لأنه لم يكن مضطراً ،
فيستفاد منه إباحة ميتة البحر سواء مات بنفسه ، أو مات بالاصطياد ، وهذا
مذهب الجمهور ، وعن أبي حنيفة : يكره ، وفرقوا بين ما لقطه البحرفات ؛
وبين ما مات فيه من غير آفة ، وتمسكوا بحديث أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه
« ما ألقاه البحر أو جزر عنه ، فكلوه ، وما مات فيه فطقاً ، فلا تأكلوه » أخرجه
أبو داود مرفوعاً من رواية يحيى بن سليم الطائفي ، عن أبي الزبير ، عن جابر ،
ثم قال : رواه الثوري وأيوب وغيرهما ؛ عن أبي الزبير موقوفاً ، وقد أسند من

وجه آخر ضيف ، عن ابن أبي ذئب ، عن أبي الزبير ، عن جابر مرفوعاً ،
وقال أبو عيسى الترمذي : سألت البخاري عنه فقال : ليس بمحفوظ ، وروى
عن جابر خلافاً . انتهى . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري لشرح البخاري » :
ويحيى بن سليم صدوق ؛ وصفوه بسوء الحفظ ، وقال النسائي : ليس بالقوي ،
وقال يعقوب بن سفيان : إذا حدث من كتابه ؛ فحديثه حسن ، وإذا حدث
حفظاً ؛ يعرف وينكر ، وقال أبو حاتم : لم يكن بالحافظ ، وقال ابن حبان في
« كتاب الثقات » : كان يخطئ ، وقد توبع على رفعه ، أخرجه الدارقطني ، من
رواية أبي أحمد الزيري ، عن الثوري مرفوعاً ؛ لكن قال : خالفه وكيع وغيره ،
فوقفوه عن الثوري وهو الصواب ، وروى عن ابن أبي ذئب ، وإسماعيل بن أمية
مرفوعاً ولا يصح ، والصحيح أنه موقوف ، وإذا لم يصح إلا موقوفاً ؛ فقد طارضه
قول الصديق الأعظم ، كما في البخاري تعليقاً وغيره « الطافي حلال » ، ورواه موصولاً
أبو بكر بن أبي شيبة والطحاوي والدارقطني ، من رواية عبد الملك بن أبي بشر ،
عن عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « أشهد على أبي بكر أنه
قال : السمكة الطافية حلال ، زاد الطحاوي « لمن أراد أكله » ، وفي رواية
« أشهد على أبي بكر أنه أكل السمك الطافي على الماء » ، والطافي من غير هزم ،
من طفا يطفو إذا علا الماء ، ولم يرسب ، وللدارقطني من وجه آخر
عن ابن عباس رضي الله عنها عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه « إن الله ذبح
لكم ما في البحر فكلوه كله ، فإنه ذكي » ، وكذا قال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم .

والقياس يقتضي حله أيضاً ، قال العلامة ابن القيم في « الهدي » ، في قوله
تمالي : (أحل لكم صيد البحر وطعامه) قد صح عن أبي بكر وابن عباس
وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم ، أن صيد البحر ما صيد منه ، وطعامه ما مات

فيه : وفي الحديث « أحلت لنا ميتتان ودمان ؛ فأما الميتتان فالسمك والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال » ، قال ابن القيم : حديث حسن ، وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع ؛ لأن قول الصحابة : أحل لنا وحرم علينا ينصرف الى إحلل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريمه ، ثم قال : والقياس يقتضي حله ؛ لأنه سمك لو مات في البر لا كل بغير تذكية ، ولو نضب عنه الماء أو نقلته سمكة أخرى فمات لا كل ، فكذلك إذا مات وهو في البحر . وأطال ابن القيم في الاستدلال على حله وأنه محض القياس في « الهدي » .

ويستفاد من قول جابر رضي الله عنه : أكلنا منه نصف شهر ؛ جواز أكل اللحم ولو أتن ؛ لأن النبي ﷺ قد أكل منه بعد ذلك ، واللحم لا يبقى غالباً إلا تنن هذه المدة ، لا سيما في الحجاز مع شدة الحر ، لكن يحتمل أن يكونوا ملحوه وقددوه فلم يدخله التنن ، وقد حمل الفقهاء النهي عن أكل اللحم إذا أتنن للتنزيه ؛ إلا إن خيف منه الضرر . وقد صرح في « الاقناع » بكراهة أكل اللحم المتنن والنهي خلافاً لـ « المنهي » ، وعند المالكية : يحرم أكل اللحم المتنن كما في « الفتح » واستظهره .

وفي الحديث جواز أكل حيوان البحر مطلقاً ؛ لأنه لم يكن عند الصحابة رضي الله عنهم نص يخص المنبر وقد أكلوا منه . لا يقال : انهم إنما أقدموا عليه بطريق الاضطرار ؛ لأننا نقول بأنهم أقدموا عليه مطلقاً من حيث كونه صيد بحر ، وإنما توقفوا من حيث كونه ميتة ، فدل على إباحة الاقدام على أكل ما صيد من البحر ، ثم بين لهم الشارع آخرها ، أن ميتته أيضاً حلال ، ولم يفرق بين الطافي وغيره . واحتج بعض المالكية بأنهم أقاموا يأكلون منه أياماً ، فلو كانوا أكلوا منه على أنه ميتة بطريق الاضطرار ما داوموا عليه ؛ لأن المضطر إذا أكل الميتة يأكل منها بحسب الحاجة ، ثم ينتقل لطلب المباح غيرها . وجمع بعض العلماء

بين مختلف الأخبار في ذلك بحمل النهي على كراهة التنزيه وما عدا ذلك على الجواز .

ولا خلاف بين العلماء في حل السمك على اختلاف أنواعه ، وإنما اختلفوا فيما كان على صورة حيوان البر ، كالآدمي والكلب والخنزير والثعبان ؛ فمنه الحنفية وهو قول للشافعية : يحرم ما عدا السمك ، واحتجوا عليه بهذا الحديث ، فإن الحوت المذكور لا يسمى سمكاً ، وفيه نظر ، فإن الخبر ورد في الحوت نصاً . وعن الشافعية الحل مطلقاً على الأصح المنصوص وهو مذهب المالكية ؛ إلا الخنزير في رواية ، وحجتهم عموم قوله تعالى : (أحل لكم صيد البحر) وحديث « هو الطهور ماؤه الحل ميتته » أخرجه مالك وأصحاب السنن ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان وغيرهم ، وعن الشافعية : ما يؤكل نظيره في البر حلال ، وما لا فلا ، واستثنوا على الأصح ما يعيش في البر والبحر ، وهو نوتان :

الأول : ما ورد في منع أكله شيء يخصه كالضفدع ، وكذا هو مستثنى عند الإمام أحمد للنهي عن قتله ، وذلك من حديث عبد الرحمن بن عثمان التيمي ، أخرجه أبو داود والنسائي وصححه الحاكم ، وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن أبي عاصم ، وآخر عن عبد الله بن عمر ، أخرجه الطبراني في « الأوسط » وزاد : فإن تقيها تسبيح ، وقد استوفيت ذلك في « شرح الآداب » ، واستثنى علماؤنا من حل دواب البحر التماسح ؛ لكونه يمدو بنابه ، وكذا الحية ، فمتمم مذهب الإمام أحمد إباحة جميع ما في البحر سوى حية وضفدعة وتمساح .

النوع الثاني : ما لم يرد فيه مانع فيحل ؛ لكن بشرط التذكية كالبط وطيير الماء ، ومتمم المذهب اعتبار ذكاة كل حيوان إلا الذي لا يعيش إلا في الماء .

تنبيهات

الأول : نظر الامام ابن القيم في كتابه « الهدي » ، في كون هذه السرية كانت سنة ثمان ؛ لما في « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه أنه بعثهم يرصدون عيراً لقريش . ومن المعلوم أن صلح الحديبية كان في السادسة ، ومن حينئذ لم يكن ليرصد لهم عيراً ، بل كان زمن أمن وهدنة الى حين الفتح - قال - فظاهر هذا الحديث أن هذه السرية كانت قبل الهدنة . انتهى . قلت : وبما بقي كون هذه السرية كانت قبل الهدنة ما ذكر فيها من القلة والجهد ، والحال أن الصحابة في سنة ثمان كان قد اتسع حالهم وكثر مالهم بفتح خيبر وغيرها ، والجهد المذكور في القصة يناسب ابتداء الامر ؛ فيرجح ذلك .

الثاني : قال الامام ابن القيم في « الهدي » ، أيضاً : قول من قال : إنها كانت في رجب وم غير صحيح ؛ إذ لم يحفظ عن رسول الله ﷺ أنه غزا في شهر حرام ، ولا أثار فيه ، ولا بث فيه سرية ، وقد عير المشركون المسلمين بقتالهم في أول رجب في قصة عبد الله بن جحش وأخي الملاء الحضرمي ، وقالوا : استحل محمد الشهر الحرام ، فأنزل الله تعالى في ذلك ، (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير... الآية)^(١) قال : ولم يثبت هذا بنص يجب المصير اليه ، ولا أجمعت الأمة على نسخه ، قال في « النور »^(٢) : وهو كلام حسن مليح ؛ لكنه على ما اختاره من عدم نسخ القتال في الأشهر الحرم ، وسلفه عطاء ابن أبي رباح ، وشيخه شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأهل الظاهر ، والذي عليه الجمهور أنه منسوخ ؛ كما نص عليه علماؤنا وغيرهم . قال في « الاقناع » : وتحريم القتال في الأشهر الحرم منسوخ نصاً ، وكذلك ذكر الحافظ ابن الجوزي في

(١) سورة البقرة الآية : ٢١٧

(٢) في « الذيل لطبقات الحنابلة » لابن رجب : « نور المؤمن وحياته »

كتابه ، المصنع بأ كف أهل الرسوخ من علم الناسخ والمنسوخ ، فقال في قوله تعالى (يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه ، قل قتال فيه كبير) (١) : هذه الآية منسوخة بآية السيف .

الثالث : قول جابر رضي الله عنه في بعض رواياته : فلما في الزاد اقتضى رأي أبي عبيدة أن جمع زادم في مزود ، يعني لقصد المساواة بينهم ، مع قوله في الحديث : وزودنا ﷺ جراباً من تمر لم نجد لنا غيره . وظاهرهما متباين ، والجمع بأن الزاد المأم كان قدر جراب ، فلما نفذ وجمع أبو عبيدة الزاد الخاص الذي مسح كل واحد من الجيش ؛ اتفق أنه صار قدر جرايين ، يرشد لهذا ما في البخاري من طريق وهب بن كيسان عن جابر : « خرجنا ونحن ثلاثمائة نحمل أزوادنا على رقابنا ، ففني زادنا حتى كان الرجل يأكل ثمرة تمر ، وسيأتي في الحديث الخامس والعشرين بقية الكلام على هذا الحديث ؛ فإن الإمام رضي الله عنه أخرجه هناك عن سفيان عن عمرو بن دينار عن جابر رضي الله عنه ، والله الموفق .

الحديث الثاني

١٧ — حدثنا هشيم ، قال : أنا أبو الزبير عن جابر

- يعني ابن عبد الله - قال : قال رسول الله ﷺ :

من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : (حدثنا هشيم) بن بشير الواسطي (قال : أنا أبو الزبير) محمد بن مسلم المكي (عن جابر ، يعني ابن عبد الله) الانصاري رضي

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

الله عنها (قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من كذب) ، الكذب ضد الصدق ، (علي) حال كونه (متممداً) غير مخطئ (فليتبوأ) — أي فليستخذ لنفسه — (مقعده) الذي هيء وأعد له بسبب كذبه علي (من النار) المهودة ، وهي نار جهنم ، فهو أمر بمعنى الخبر ، وبمعنى التحذير أو التهمك أو الدعاء على فاعله ، أي بؤءه الله ذلك .

واعلم أن هذا الحديث متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال الامام الحافظ ابن الجوزي في صدر كتابه « الموضوعات » : هذا حديث متواتر — قال — وله سبب ؛ فروي بسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال : « جاء رجل الى قوم في جانب المدينة فقال : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أحكم فيكم برأيي ، وفي أموالكم ، وفي كذا وفي وكذا ، وكان خطب امرأة منهم في الجاهلية ، فأبوا أن يزوجه ، ثم ذهب حتى نزل على المرأة ، فبث القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلاً فقال : إن وجدته حياً فاقتله ، وإن وجدته ميتاً فحرقه بالنار . فانطلق فوجده قد لدغ فمات ، فحرقه بالنار ، فعند ذلك قال ﷺ : من كذب علي . الحديث » رواه البغوي ، وأخرج ابن الجوزي الحديث عن بريدة ، ولفظه : « كان حي من بني ليث من المدينة على ميلين ، وكان رجل قد خطب منهم في الجاهلية فلم يزوجه ، فأنام وعليه حلة فقال : إن رسول الله ﷺ كساني هذه الحلة ، وأمرني أن أحكم في أموالكم ودمائكم ، ثم أزهد ، أي سبق ، فنزل على تلك المرأة التي كان يحبها ، فأرسل القوم الى رسول الله ﷺ فقال : كذب عدو الله ، ثم أرسل رجلاً فقال : إن وجدته حياً فاضرب عنقه ، وإن وجدته ميتاً فاحرقه بالنار — قال — فجاءه فوجده قد لدغته أفعى فمات ، فحرقه بالنار ، فذلك قول رسول الله ﷺ : من كذب علي .. الحديث » ورواه ابن عدي ، وأخرجه ابن الجوزي

ايضاً عن عبد الله ابن الزبير رضي الله عنها أنه قال يوماً لأصحابه : أندرون ما تأويل هذا الحديث : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ؟ ذلك أن رجلاً عشق امرأة ، فأنى أهلها مساء فقال : ان رسول الله ﷺ بعثني اليكم أن أتضيف في أي بيوتكم شئت - قال - وكان ينتظر بيتونة المساء - قال - فأنى رجل منهم النبي ﷺ فقال : إن فلاناً أنا ما يزعم أنك أمرته أن يبيت في أي بيوتنا شاء ، فقال : كذب ، يا فلان ! انطلق معه ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه واحرقه بالنار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فلما خرج الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ : ادعوه ، فلما جاء قال : إني كنت قد أمرتك أن تضرب عنقه وأن تحرقه بالنار ، فان أمكنك الله منه فاضرب عنقه ، ولا تحرقه بالنار ؛ فانه لا يعذب بالنار إلا رب النار ، ولا أراك إلا قد كفيته ، فجاءت السماء بصيب ، فخرج ليتوضأ فليسمه أسمى ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ قال : هو في النار .

وقد روى حديث " من كذب علي متعمداً .. " : بضع وستون نفساً ، منهم العشرة المبشرون بالجنة ، إلا عبد الرحمن بن عوف ، وقال أبو بكر محمد ابن أحمد بن عبد الوهاب الاسفراييني : ليس في الدنيا حديث اجتمع عليه العشرة من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة غير حديث : " من كذب علي " متعمداً .. ، قال الحافظ ابن الجوزي : ما وقعت الي رواية عبد الرحمن ابن عوف الى الآن - قال - ولا عرفت حديثاً رواه عن رسول الله ﷺ أحد وستون نفساً ، أو اثنان وستون إلا هذا الحديث ، وقد رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من طرق متعددة وروايات ووجوه متباينة ، وسيأتي في هذه الثلاثيات من ذلك عدة روايات ، والله أعلم .

الحديث الثالث

١٨ - حدثنا هشيم ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال :
لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا وموكله
وشاهده وكاتبه .

قال رضي الله عنه قال (حدثنا هشيم عن أبي الزبير عن جابر) رضي الله
عنه (قال : لمن رسول الله ﷺ) ، أي أبعد وطرده (آكل الربا) إما دعاء
من رسول الله ﷺ ، أو إخبار من مظان البعد عن رحمة الله ومواطنها ، نازل
على آكل الربا وواقع عليه . والربا مقصور أصله الزيادة . قال في « المطلع » : ربا
الشيء يربو ربواً : إذا زاد ، وبني ربوان وربيان ، وأربي الرجل إذا عامل بالربا ،
وهو مكتوب في المصحف بالواو ، قال الفراء : إنما كتبوه في المصحف كذلك
لأن أهل الحجاز تعلموا الكتابة من أهل الحيرة ، ولقنهم الربو ، فلم يسموا صورة
الخط على لقنهم ، وإن شئت كتبته بالياء أو على ما في المصحف أو بالالف ؛ حكى
ذلك الثعلبي .

واعلم أن الربا محرم من الكبائر ، وهو تفاضل في أشياء ونسأ في أشياء ،
يختص بأشياء ورد الشرع بتحريمها . وهو نوعان :

النوع الأول : ربا الفضل ، فيحرم في كل مكيل وموزون يبيع بمجنسه - ولو
يسيراً - لا يتأتى كيله - كتمر بتمر أو بتمرين - ولا وزنه ، كما دون الأرز من
الذهب والفضة ، مطموماً كان أو غير مطموم ، فالعلة المحرمة كونه مكبلاً أو
موزوناً . قال الامام أحمد : قياساً على الذهب والفضة . وقيل : العلة المظومة

للأدعي ، وفي «التقدين» : الثمنيه . فعلى الأول تباع بيضة بيضة وبيضتين ، وخيارة وبطيخة ورمانة بمثلها وبمثليها ؛ لأنه ليس مكيلاً ولا موزوناً ، وقد نص الامام احمد رضي الله عنه على جواز ذلك - قال - لأنه ليس مكيلاً ولا موزوناً ، ونقل مهنا وغيره عنه أنه كره بيضة بيضة ، وقال : لا يصلح إلا وزناً بوزن لأنه طعام ، فعلى هذا الملة المطومية ، والاول المذهب ؛ لكن لا يحرم ما يخرج منه الصناعة من الصفر والحديد ونحوهما ؛ كالخواتم والسكاكين والابر إلا التقدين . قال علماؤنا : والجهل بالتساوي حال المقد ، كالملم بالتفاضل . قال علماؤنا والحنفية : علة الربا في الفضة والذهب الوزن والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والوزن فالتحريم ثابت فيه اذا باعه متفاضلاً ؛ كالذهب والفضة والنحاس والرصاص وما أشبهه ، وفي غير ذلك فالعلة فيه الكيل والجنس ، فكل ما جمعه الجنس والكيل ؛ فالتحريم فيه ثابت ، اذا بيع متفاضلاً ؛ كالحنطة والشعير والأرز والكرسنة ، ونحو ذلك ، فكل مكيل وموزون ؛ لا يباع بجنسه ، إلا حالاً مقبوضاً متساوياً ، سواء كان مطموماً أو غير مطموم . وقالت المالكية والشافعية : الملة في الذهب والفضة الثمنية ، فلا ربا عندم في الحديد والنحاس ونحوهما . وقالت الشافعية : الملة في بقية الربويات المطومية ، فيتمدى الربا الى كل مطموم . وقالت المالكية : الملة فيها كونها تدخر للقوت ؛ تصلح له ، فمدوه الى الزبيب ، لأنه كالتمر ، والى القطنية (١) لأنها كالبر والشعير ، فمثل رمانة ؛ برمانتين ، وسفرجلة ؛ بسفرجلتين ، حرام عند الشافعية . مباح عند غيرهم .

النوع الثاني : ربا النسبة ، وهو كل شيئين ، ليس أحدهما نقداً ، علة ربا الفضل فيها واحدة ؛ كمكيل بمكيل ، وموزون بموزون ، فيشترط في مثل بيع حديد بنحاس ، وبر بشعير مثلاً ؛ الحلول والقبض في المجلس ، ويجوز التفاضل

(١) ما سوى الحنطة والشعير والزبيب والتمر ، او هي الحبوب التي تطبخ

حيث اختلف النوع ، وأما إن اختلفت العلة فيها ؛ كما لو باع مكيلا بموزون جاز
التفرق قبل القبض والنسأ والتفاضل ، وما كان مما ليس بمكيلا ولا موزون
كثياب وحيوان ؛ يجوز النسأ فيه ؛ سواء بيع بجنسه ، أو بغير جنسه متساويا أو
متفاضلا .

واقصر بعض العلماء على جريان الربا في ستة أشياء فقط الذهب والفضة
والبر والشمير والتمر والملح ، وهو ما في حديث أبي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الذهب بالذهب ، والفضة بالفضة ،
والبر بالبر ، والشمير بالشمير ، والتمر بالتمر ، والملح بالملح ، مثلا بمثل ، يدأ بيد ،
فمن زاد أو استزاد ، فقد أربى ، الآخذ والمطى فيه سواء » رواه الامام أحمد في
« المسند » ومسلم في « الصحيح » ومثله عن أبي هريرة وعبادة ابن الصامت
وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم ، فاقصر أهل الظاهر على جريان الربا في هذه
الستة المذكورة .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : اتفق الناس على تحريم ربا الفضل في
الاعيان الستة التي جاءت بها الأحاديث ، وفي آخر حديث عبادة : « فإذا اختلفت
هذه الاصناف ، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد » - قال - وتنازعوا فيما
سوى ذلك ؛ فطائفة لم تحرم ربا الفضل في غيرها ، وهذا مأثور عن قتادة ، وهو
قول أهل الظاهر ، وابن عقيل من أئمة علماء مذهبنا في آخر مصنفاته ، رجع
هذا القول ، مع كونه يقول بالقياس . قال ابن عقيل : لأن علل القياس في مسألة
الربا ؛ علل ضيقة ، وإذا لم يظهر فيه علة امتنع القياس . قال ابن تيمية : وطائفة
حرمته في كل مكيلا وموزون ؛ كما يروى عن عمار بن ياسر رضي الله عنه ،
وبه أخذ الامام أحمد في المشهور عنه ، وهو قول أبي حنيفة وغيره ، وطائفة
حرمته في الطعام ؛ وإن لم يكن مكيلا أو موزونا ، وهذا قول سعيد بن المسيب

والشافعي ، ورواية عن أحمد ، اختارها الموفق ، وهذا قريب من قول مالك :
القوت وما يصلح أن يدخر للقوت ، ورجح هذا القول ابن تيمية رحمه الله تعالى
على سائر الأقوال .

(و) لمن ﷺ (موكله) أي موكل الربا ، بني معطيه ومطعمه ، (و) كذا لمن
(شاهده) أي شاهد عقده ، (وكاتبه) لرضاهما به ، وإعطائها عليه ، زاد الطبراني
من حديث ابن مسعود رضي الله عنه «وم يعلمون» أي ؛ والحال أن الشاهد
والكاتب يعلمان أنه ربا ؛ لأن المباشر للمعصية وكذا المتسبب فيها آثم . وفي
بعض الروايات «وشاهديه» بالثنية . والحاصل أن الربا بنوعيه ؛ من أكبر
الكبائر . وأخرج مسلم وأصحاب السنن وابن حبان في «صحيحه» من حديث
أبي مسعود رضي الله عنه قال : «لمن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله ،
زاد أبو داود والترمذي وصححه ، وابن ماجه وابن حبان «وشاهديه» وكاتبه ،
وروى مسلم حديث جابر المتقدم ولفظه : «لمن رسول الله ﷺ أكل الربا وموكله
وكاتبه وشاهديه» ، وقال : «م سواء» ، وروى الامام أحمد وأبو يعلى وابن خزيمة
وابن حبان في «صحيحها» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : «أكل
الربا وموكله وشاهداه» وكاتبه ؛ إذا علموا به ، والواشمة والمستوشمة للحسن ،
ولاوي الصدقة ، والمراد أعرايا بعد الهجرة ، ملعونون على لسان محمد ﷺ ،
زاد ابن خزيمة وابن حبان «يوم القيامة» ، وروى الامام أحمد ، والطبراني في
«الكبير» ، ورجال الامام احمد ؛ رجال الصحيح ، عن عبد الله بن حنظلة
غسيل الملائكة رضي الله عنها . قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : «درهم ربا
يأكله الرجل ؛ وهو يعلم ، أشد من ست وثلاثين زنية .

واعلم أن اللعن ؛ أصله الطرد والابعاد من الله تعالى ، ومن الخلق
السب والدعاء ؛ كما في «النهاية» لابن الاثير وغيره . قال الحجاوي في لغة «اقناعه» :

لعنة لعناً من باب نفع ، طرده وأبعده أو سبه ، فهو لعين وملعون ، والمرأة لعين ، فيجوز لعن نوع الكفار ، والفساق من أصحاب الكبار ؛ كأكلة الربا وشاربي الخمر واللوطية والزناة وتاركي الصلاة ومانعي الزكاة وأضرابهم من أهل الكبار ؛ كما قال تعالى : (ألا لعنة الله على الظالمين) وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله اليهود والنصارى ، وأما لعن كافر معين ، فظاهر المذهب منعه . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : لعن تارك الصلاة على وجه العموم جائز — قال — وأما لعن المعين فالأولى تركها ؛ لأنه يمكن أن يتوب ، والله الموفق .

الحديث الرابع

١٩ — حدثنا سفيان بن عيينة ، حدثنا أبو الزبير ، سمعه من جابر : كان ينبذ للنبي ﷺ في سقاء فان لم يكن سقاء ، فَتَوَّرَ من حجارة .

قال رضي الله عنه (حدثنا) أبو محمد (سفيان بن عيينة) — بضم المعين المهملة ، وفتح الياء المثناة تحت — الأولى ، وسكون الثانية ، وفتح النون ، فهاء تأنيث — ابن أبي عمران ، ميمون المكي ، (حدثنا أبو الزبير ، سمعه) أي سمع الحديث الآتي ذكره أبو الزبير (من جابر) بن عبد الله رضي الله عنها وهو قوله : (كان) هذه تفيد كثرة وقوع ما بعدها وهو قوله : (ينبذ) أي يطرح الثمر ونحوه في الماء ، يقال : نبذ الثمر والزبيب ، اذا تركت عليه الماء ؛ ليصير نبذاً ، انصرف من مفعول ؛ الى فاعل ، وانتبذته ؛ اتخذته نبذاً ، سواء كان مسكراً أو غير مسكر ، والمراد هنا أنه كان يطرح الثمر (للنبي ﷺ في سقاء) فيه ماء

يَخْلُو الماء ، وفي مسلم عن عائشة رضي الله عنها « كنا ننبت لرسول الله ﷺ في سقاء نوكي أعلاه ، فيشربه عشاءً ، وننبت عشاءً ، فيشربه غدوةً ، وعند أبي داود من وجه آخر عن عائشة رضي الله عنها « أنها كانت تنبت للنبي ﷺ غدوةً ، فإذا كان من العشي تعشى فشرب على عشاءه ، فإن فضل صبته ، ثم تنبت له بالليل ، فإذا أصبح وتغدى شرب على غدائه ، قالت : نفعل السقاء غدوة وعشية ، ، وفي حديث عبد الله بن الدليمي عن أبيه رضي الله عنه : « قلنا للنبي ﷺ : ما نصنع بالزبيب ؟ قال : انبتوه على عشاءكم ، واشربوه على غدائكم ، أخرجه أبو داود والنسائي . (فإن لم يكن) معنا (سقاء) (ف) كنا ننبت له ﷺ في (تور من حجارة) ، وإنما قيده بكونه من حجارة لأنه قد يكون من غيرها - وهو بفتح المثناة - إناء من حجارة أو من نحاس أو من خشب ، ويقال : لا يقال له تور إلا إذا كان صغيراً ، وقيل : هو قدح كبير كالقدر ، وقيل : مثل الطست ، وقيل : كالإجانة - بكسر الهمزة وتشديد الجيم وبمد الألف نون - وعاء .

ودل الحديث على أن النقيع يسمى نبيذاً ، فيحمل ما ورد في الاخبار بلفظ النبيذ على النقيع . قال المهب : النقيع حلال ما لم يشتم ، فإذا اشتد وغلا حرم ، وشرط الحنفية أن يقذف بالزبد - قال - وإذا نفع من الليل فشرب بالنهار أو بالعكس لم يشتم ، وذكر حديث عائشة المتقدم آنفاً . وأما ما أخرج مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : « كان رسول الله ﷺ ينبت له الزبيب من الليل في السقاء ، فإذا أصبح شربه يومه وليلته من الند ، فإذا كانت مساء شربه أو سقاء الخدم ، فإن فضل شيء أراقه ، ، وقال ابن المنذر : الشراب في المدة التي ذكرتها عائشة يشرب حلواً ، وأما بالصفة التي ذكرها ابن عباس فقد ينتهي إلى الشدة والتليان ؛ لكن يحمل ما ورد من أمر الخدم بشربه على أنه لم

يبلغ ذلك ولكن قرب منه ؛ لأنه لو بلغ ذلك لأسكر ، ولو أسكر لحرم تناوله مطلقاً . انتهى . وقد تعلق بهذا الحديث من قال بجواز شرب قليل ما أسكر كثيره ، ولا يخفى أنه لا حجة فيه أصلاً ، غاية ما فيه أنه بدا فيه بمض تغير في طعمه من حمض أو نحوه فسقاء الخدم . وإلى هذا أشار أبو داود فقال بعد أن أخرجه : قوله : سقاء الخدم . يريد أنه يبادر به الفساد . انتهى . ويحتمل أن تكون أو في الخبر للتنويع ، كما جزم به النووي ؛ لأنه قال : سقاء الخدم أو أمر به فأهريق ^(١) ، أي إن كان بدا في طعمه التغير ولم يشتد سقاء الخدم ، وإن كان اشتد أمر بأهراقه . وحاصله أنه على اختلاف حاله إن ظهر فيه ؛ شدة ؛ صبه ، وإن لم تظهر شدة سقاء الخدم ، أملاً يكون فيه إضاعة مال ، وإنما تركه عليه السلام تنزهاً ، ويجمع بين حديث عائشة وحديث ابن عباس رضي الله عنهم بأن شرب النقيع في يومه لا يمنع شربه في أكثر من يوم حيث لم يشتد .

والذي استقر عليه المذهب أنه يحرم النبيذ والمصير إذا اشتد وإن لم يسكر ، أو تم له ثلاثة أيام ، زاد بعضهم : بلياليها ، وجزم به في الأقناع ، و « المنتهى » ، وإن لم يوجد منه غليان ، إلا أن ينلي قبل ذلك فيحرم ، ولو طبع قبل التحريم ؛ حل إن ذهب ثلثاه نصاً . وقال الموفق والشارح وغيرهما : الاعتبار في حله عدم الاسكار ، سواء ذهب بطبعه ثلثاه أو أقل أو أكثر . قال في « الفروع » وغيره : وله وضع تمر ونحوه في ماء لتحلته ما لم يشتد ، أو تم له ثلاثة أيام ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، والله أعلم .

(١) هراق الماء وأهرقه وأهراقه : أراقه وصبه .

الحديث الخامس

٢٠ - حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن

جابر : أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن كسب الحجام فقال : اعلفه ناضحاً .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان بن عيينة ، عن أبي الزبير ، عن جابر) رضي الله عنه (أن النبي ﷺ سئل) بضم السين المهملة ، مبنياً لما لم يسم فاعله ، والضمير في سئل يعود الى النبي ﷺ ، محله الرفع على أنه نائب فاعل - (عن كسب الحجام) أصل الكسب ما يحصل للانسان بسميه ، والكسب : الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجام : هو الذي يتعاطى إخراج الدم ، (فقال) ﷺ مجيباً للسائل : (اعلفه) - أي الكسب الذي حصل لك بسبب إخراج الدم - (ناضحاً) ، والجمع نواضح ، وهي الابل التي يستقى عليها ، ويجمع ناضح أيضاً على نضاح ، وفي لفظ من ألقاظ هذا الحديث : اعلفه نضاحك ، كذا جاء في رواية ، وفسره بعضهم بالريق الذي يكون^(١) في الابل ، فالنضاح نضاح ، والابل نواضح ؛ كما في « نهاية ابن الأثير » . وفي آخر « أعلام الموقعين » للإمام الحق ابن القيم ما نصه : « سئل صلى الله عليه وسلم عن أجره الحجام فقال : اعلفه ناضحاً وأطعمه رقيقك » ذكره الامام مالك ، وفي مسند الامام أحمد وصحيح مسلم وسنن أبي داود والترمذي من حديث رافع ابن خديج رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ثمن الكلب خبيث ، ومهر البغي خبيث ، وكسب الحجام خبيث » ، وفي الحديث الآخر : « شر الكسب

(١) في الاصل يكونون : ولله تصيف من الناسخ .

مهر البني ، وثمن الكلب ، وكسب الحجام ، رواه الامام أحمد ومسلم والنسائي عن رافع ابن خديج أيضاً ، وفي « صحيح البخاري » عن عون بن أبي جحيفة — بالتصغير — قال : « رأيت أبي اشترى حجماً ، فأمر بمحاجمه فكسرت ، فسأله عن ذلك فقال : إن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الدم ، وثمن الكلب ، وكسب الأمة ، ، وقد اختلف في المراد من قوله : نهى عن ثمن الدم ، فقيل : المراد أجرة الحجام ، وسياق سبب الحديث ظاهر في ذلك ، وهو الذي فهمه الصحابي راوي الحديث . وقيل : هو على ظاهره ، والمراد تحريم بيع الدم ، كما حرم بيع الميتة والخنزير ، وهو ، يعني بيع الدم وأخذ ثمنه حرام إجماعاً ، وأما كسب الحجام فأكثر السلف والخلف لا يحرمه ولا يحرم أكله ، لا على الحر ولا على العبد ، وهو المشهور من مذهب الامام أحمد ، وفي رواية عنه قال بها فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد . قال ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » : والخبيث من حيث هو لا يدل على الحرمة صريحاً ، ولذا جاء في كسب الحجام أنه خبيث ، ولم يحمل على التحريم لدليل خارجي ؛ وهو أن النبي ﷺ احتجم وأعطى الحجام أجرة ، وهو في « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، ولو كان حراماً لم يطلعه ، وحملوا أحاديث النهي على التنزيه والارتفاع عن دنيء الاكتساب ، والحث على مكارم الأخلاق ومعالى الأمور ، ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فإنه لا يجوز للشخص أن يطعم عبده ما لا يحل . وأما اقتراؤه بثمن الكلب ومهر البني — وهما حرام عند الجمهور ، وسواء كان الكلب مملئاً أو لا ، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه بيع الكلب إذا كان فيه منفعة ، وإحدى الروايات عن مالك — فدلالة الاقتران ضعيفة .

قال الخطابي : قد يجمع الكلام بين القرائن في اللفظ ويفرق بينها في المعنى ، ويعرف ذلك من الأغراض والمقاصد ، فأما مهر البني وثمن الكلب فيريد

بالخبيث فيها ، الحرام ؛ لأن الكلب نجس والزنا حرام ، وبذلك الموضع عليه وأخذه حرام ، وأما كسب الحجامة فيريد بالخبيث الكراهية ؛ لأن الحجامة مباحة . وقد يكون الكلام في الفعل الواحد ، بعضه على الوجوب وبعضه على الندب ، وبعضه على الحقيقة وبعضه على المجاز ، ويفرق بدلائل الأصول واعتبار معانيها . انتهى . قال الامام ابن القيم : من المواضع التي يظهر فيها ضعف دلالة الافتراق عند تعدد الجمل واستقلال كل واحدة منها بنفسها ، كقوله ﷺ : « لا يبولن أحدكم في الماء الدائم ولا يقتسل فيه من جنابة » قلت : وما نحن بصده من هذا القبيل ، فإن كل جملة من الجمل التي في ضمن هذا الحديث ، مفيدة لمناها وحكمها وسيبها وغايتها ، منفردة به عن الجملة الاخرى ، واشتراكها في مجرد المطف لا يوجب اشتراكها فيها ورائه ، والله الموفق .

تنبيه : يدخل في عموم الحجامة القاصد والشارط ، وكل من يكون كسبه باخراج الدم ، لا الطبيب والكحال والبيطار ونحوهم ، فلا يدخل هؤلاء في لفظ الحجامة ولا معناه . قال الامام ابن القيم في « الهدي » : حكم النبي ﷺ بحيث كسب الحجامة ، وأمر صاحبه أن يملفه ناضحه أو رقيقه ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجم وأعطى الحجامة أجره ، فأشكل الجمع بين هذين على كثير من الفقهاء ، وظنوا أن النهي عن كسبه منسوخ بإعطائه أجره ، ومن سلك هذا المسلك الامام الطحاوي . قال الامام ابن القيم : هذه - يعني دعوى النسخ - دعوى مجردة لا دليل عليها ، فلا تقبل ، فإن النبي ﷺ لم يقل : إعطاء الحجامة خبيث ، بل إعطاؤه إما واجب وإما مستحب وإما جائز ؛ ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبثه بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريره - قال - وقد سمي النبي ﷺ الثوم والبصل خبيثين مع إباحة أكلهما ، فثبت أجره الحجامة من جنس أكل الثوم والبصل ؛ لكن هذا خبيث لرائحته وهذا خبيث لكسبه ، والله التوفيق .

الحديث السادس

٢١ - حدثنا سفيان ، حدثنا أبو الزبير ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : قال رسول الله ﷺ :
لا يَبِيعُ حاضرٌ لبادٍ ، دعوا الناس يرزقُ اللهُ بعضهم
من بعضٍ .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (حدثنا أبو الزبير قال : سمعت جابر بن عبد الله) رضي الله عنها (يقول : قال رسول الله ﷺ : لا يبيع حاضر) بالبلد ، عارف بالسمر (لباد) أي قادم على بلد من غير أهلها ، سواء كان من أهل البادية أو من أهل القرى ؛ لأن العلة واحدة . قال طاووس : قلت لابن عباس رضي الله عنها : ما قوله ﷺ حاضر لباد ؟ قال : لا يكون له سمسار . قال في القاموس ، : السمسار - بالكسر - المتوسط بين البائع والمشتري ، والجمع سمسرة ؛ والسمسار أيضاً مالك الشيء وقيّمه والسفير بين المحبين ، وسمسار الأرض العالم بها ، وبها بهاء ، والمصدر السمسرة . انتهى . والمراد هنا الأول . قال في المنتهى ، وشرحه : وإن حضر بادٍ - أي قدم على بلد انسان من غير أهلها - لبيع سلعته بسعر يومها وجهل السعر ، وقصده - أي القادم لبيع سلعته - حاضر بالبلد عارف بالسمر ، وكان بالناس الى السلعة التي حضر القادم بها ليبيها حاجة ، حرمت مباشرة الحاضر القادم لبيع سلعته ، البيع له - أي لقادم بالسلعة - وبطل البيع على الأصح ، سواء رضي أهل البلد بذلك

أولا في الأصح ، فإن فقد شيء مما ذكر ، بأن قدم لا يبيع سلمته ، أو لبيمها ولكن لا يجهل السمر ، أو جهله ولكن لم يقصده الحاضر العارف بالسمر ، أو قصده وكان غير عارف بالسمر ، أو كان كذلك ولكن لم يكن بالناس حاجة الى السلمة ؛ صح البيع ، كشراء الحاضر للبادي . وأما إن وجدت هذه الشروط كلها ؛ فالبيع باطل على الأصح ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه في رواية إسماعيل بن سعيد ، وكذا في مذهب الامام مالك على إحدى الروايتين عنه ، وقال مالك في رواية أخرى : يفسخ العقد عقوبة ، وروي عنه : لا يفسخ ، وكرهه أبو حنيفة والشافعي مع صحته عندهما ، ولا يخفى قوة القول بطلانه لظاهر هذا الحديث . قال علماؤنا وغيرهم : والمعنى في ذلك أن البادي اذا ترك بيع سلمته ربحا باعها برخص وهو الغالب ، فتحصل التوسعة على الناس ، بخلاف ما إذا تولى الحاضر ، فإنه لا يبيع إلا بسمر البلد ، وقد أشار عليه السلام الى ذلك بقوله : (دعوا) - أي اتركوا - (الناس) على حالهم في بيعهم وشرائهم ، (يرزق الله) سبحانه وتعالى (بعضهم من بعض) بسبب كساهل بعضهم وسماحة البعض . وفي حديث أبي السائب جد عطاء ابن السائب رضي الله عنه مرفوعاً « دعوا الناس يصيب بعضهم من بعض ، فإذا استنصح أحدكم أخاه فلينصحه » رواه الطبراني بإسناد صحيح ، وذلك لأن أيدي العباد خزائن الملك الجواد ، فلا يتعرض لها إلا باذن ، فلا تسمروا ولا تلتقوا الركبان ، ولا يبيع حاضر لباد . وقد روى نهي بيع الحاضر للبادي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من الصحابة ؛ منهم ابن عباس ، رواه الامام أحمد والشيخان وأصحاب السنن إلا الترمذي ، ومنهم أبو هريرة ، متفق عليه ، ومنهم ابن عمر ، رواه البخاري والنسائي ، ومنهم أنس ، وافظه : « قال : نهيتا أن يبيع حاضر لباد وإن كان أخاه لأبيه وأمه » متفق عليه ، ولأبي داود والنسائي : « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يبيع حاضر لباد وإن كان أباه أو أخاه » ومنهم جابر ، وحديثه المشروح ، رواه مسلم

وأبو داود والترمذي وابن ماجة . فهذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره مع تنوع غارجها وتباين طرقها مع اتحاد معناها يدل دلالة ظاهرة على ما ذهب اليه الامام أحمد رضي الله عنه ؛ لأن النهي فيها ورد عن نفس البيع ، فلا جرم قلنب يطلانه وعدم صحته حيث وجدت فيه الشروط التي أشرنا اليها . قال في «الفروع» : وإن أشار حاضر على بادٍ ولم يباشر بيعاً لم يكره ، خلافاً لما لك ، ويتوجه : لأن استشاره وهو جاهل بالسر ؛ لزمه بيانه لوجوب النصيح ؛ كما في حديث أبي السائب المتقدم آنفاً ، والله أعلم .

الحديث السابع

٢٢ - حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، عن النبي ﷺ : أيكم كانت له أرض أو نخل ، فلا يبيعها حتى يعرضها على شريكه .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة ، (عن أبي الزبير) هو محمد بن مسلم المكي ، (عن) أبي عبد الله (جابر) بن عبد الله رضي الله عنها ، (عن النبي ﷺ) أنه قال : (أيكم) معشر الصحابة فمن بعدهم (كانت له أرض) رابع (أو نخل) يعني بأرضه ، وله فيها شريك ، يدل له قوله في بعض الروايات : أو حائط ، فأراد أن يبيع شيئاً من هذه الاشياء (فلا يبيعها) ولا شيئاً منها (حتى يعرضها على شريكه) المشارك له فيها . وفي «صحيح مسلم» و «سنن أبي داود» و «النسائي» من حديث جابر رضي الله عنه : «أن النبي ﷺ قضى بالشفعة في كل شركة لم تقدم ربعة ، أو حائط ، فلا يحل له أن يبيع حتى يؤذن شريكه ، فإن شاء أخذ وإن شاء ترك ،

فإن باعه ولم يؤذنه فهو أحق به ، . وروى عبد الله بن الإمام أحمد في : « زوائد المسند » من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه : « أن النبي ﷺ قضى بالشفعة بين الشركاء في الأرضين والدور . وفي « صحيح البخاري » عن جابر رضي الله عنه « جمل » وفي لفظ « قضى النبي صلى الله عليه وسلم بالشفعة في كل مالم يقسم ، فإذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة » . ورواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه ، وفي لفظ : « إنما جمل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة... الحديث » ورواه الترمذي وغيره ، وفي مسلم من حديثه رضي الله عنه : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشفعة في كل شركة في أرض أو ربيع^(١) أو حائط ، لا يصلح أن يبيع حتى يعرض على شريكه فيأخذ أو يدع ، فإن أبي فشريكه أحق به حتى يؤذنه » .

ففي هذه الأحاديث بيان تفصيل ما أجمله في قوله : « في كل مال » ، يعني من العقارات ، فلا تجب الشفعة فيما ليس بعقار ؛ كشجر وحيوان مفردين ، وجوهر وسيف ، نعم يؤخذ البناء والقراس تبعاً للأرض . وشذ قوم من الناس فائتها في المتعولات متمللين بموم هذا الحديث مع أن آخره يشعر بأن المراد بالمال العقار ؛ لأنه الذي تدخله الحدود وصرف الطرق .

تفسيحات

الأول : الشفعة معناها ائمة الزيادة ؛ لأن الشفيع يضم ما يشفع فيه الى نصيبه ، فكانه كان ورأ فصار شفعا ، والشفيع فمیل بمعنى فاعل ، وعرفاً : استحقاق الشريك انتزاع حصة شريكه المنتقل عنه من يد من انتقلت اليه . زاد في « الاقناع » : إن كان مثله أو دونه بموض مالي بشمنه الذي استقر عليه المقد . فلا شفعة لكافر حين البيع - أسلم بعد أو لا - على مسلم ولو ذمياً ، خلافاً للثلاثة

(١) الربع : الدار بعينها حيث كانت ، جمعا رباع .

قال في « الفروع » : لاشفعة لكافر على مسلم ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه . قال في « الانصاف » : - وهو المذهب وعليه الأصحاب - وهو من مفردات المذهب . انتهى . وبه قال الحسن والشعبي ، وقد روى الدار قطني في « كتاب الملل » عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة لنصراني » ، فهذا يخص عموم ما تعلقوا به من الاحاديث ، وقد بينت وجه المذهب من جهة الدلائل والتطليل في « شرح عمدة الأحكام » .

الثاني : يعتبر كون المبيع شقصاً^(١) مشاعاً ، مع شريك ولو مكاتباً ، من عقار ينقسم قسمة إجبار ، فأما المقسوم المحدود فلا شفعة فيه ، ولا شفعة فيما لا يجب قسمته ؛ كجهام صغير وبشر وطرق وعراص ضيقة ، خلافاً لأبي حنيفة ، وحجة الجمهور قول جابر رضي الله عنه : « إنما جعل النبي صلى الله عليه وسلم الشفعة في كل مالم يقسم . . . الحديث » . وهذه الصيغة في النبي تشعر بقبول القسمة ، فيقال للبصير : لم تبصر كذا ، ويقال للأكمه : لا تبصر كذا ، وإن استعمل كل من الأمرين في الآخر فذلك للاحتمال ، فعلى هذا يكون في قوله : « فيما لم يقسم » إشاراً بأنه قابل للقسمة ، فإذا دخلت إنما المفيدة للحصر اقتضت انحصار الشفعة في القابل للقسمة دون غيره ، ذكره ابن دقيق العيد في « شرح العمدة » ولما روي أنه صلى الله عليه وسلم قال : « لاشفعة في فناء ولا طريق ولا متقبة » ، والمتقبة : الطريق الضيق بين دارين لا يمكن أن يسلكه أحد ، ذكره أبو الخطاب في كتابه « رؤوس المسائل » وأبو عبيد في « الغريب » ، وروي عن عثمان رضي الله عنه أنه قال : لا شفعة في بشر ونخل ، ولأن إثبات الشفعة في مثل هذه الاشياء يضر بالبائع ؛ لأنه لا يمكنه أن يتخلص من إثبات الشفعة في نفسه بالقسمة .

(١) الشقص : السهم والنصيب

الثالث : يؤخذ من حديث جابر الذي رواه الامام أحمد والبخاري وغيرهما فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ، عدم ثبوتها للجار ، وهو مستمد المذاهب الثلاثة ، وقال أبو حنيفة : تجب الشفعة للجار ، وهو رواية عن أحمد ، إلا أنها مرجوحة بالمرّة .

واستدل من أوجبها للجار بحديث سمرة بن جندب رضي الله عنه ، أنه **رضي الله عنه** قال : « جار الدار أحق بدار الجار » رواه الامام أحمد وأبو داود والترمذي ، ورواه النسائي وأبو يعلى في «مسنده» ، وابن حبان من حديث أنس ، ورواه الطبراني من حديث سمرة أيضاً بلفظ : « جار الدار أحق بالشفعة » ، وبما روى البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي رافع مرفوعاً : « الجار أحق بصقبة » ، وبما روى الامام أحمد وأصحاب السنن من حديث جابر مرفوعاً : « الجار أحق بشفعة جاره » ، ينتظر بها وإن كان غائباً ؛ بأن كان طريقها واحداً ، وإما أن أجابوا عن هذه الاحاديث بأجوبة ؛ أما ما في البخاري من قوله : « أحق بصقبة » فقد أبهم الحق ولم يصرح به ، فلم يجز أن يحمل على العموم في مضمير ؛ لأن العموم يستعمل في المنطوق به دون المضمير . قال الخطابي وابن الاثير : الصقب - بالسين والصاد - في الاصل القرب ، وقال في « القاموس » الجار أحق بصقبة ؛ أي بما يليه ويقرب منه ، وقال الملقمي في حاشية « الجامع الصغير » : يحتاج بهذا الحديث من أوجب الشفعة للجار - قال - ومن لم يثبتها للجار تأول الجار على الشريك ، ويحتمل أن يكون المراد أحق بالبر والمعونة وما في معناها ، بسبب قربه من جاره . وأجابوا عن حديث سمرة بأن أهل الحديث اختلفوا في لقاء الحسن له ، ومن أثبت لقاءه قال : إنه لم يرو عنه إلا حديث العقبة ، وقد رواه الحسن عن سمرة ، وعن حديث « الجار أحق بشفعة جاره » ينتظر بها وإن كان غائباً ، بأن شعبة قال : سها فيه عبد الملك بن سليمان الذي الحديث من روايته ، قال الامام أحمد :

هذا الحديث منكر ، وقال ابن معين : لم يروه غير عبد الملك ، وقد أنكر عليه ، قال الامام محمد الدين في كتابه « منتقى الاحكام » : ويقوى ضعفه بحديث جابر ، يعني الذي ذكرناه ، فاذا وقعت الحدود وصرفت الطرق فلا شفعة ، قال بعض علماء الحنفية : يلزم الشافعية القائلين بحمل اللفظ على حقيقة ، ومجازه أن يقولوا بشفعة الجوار ؛ لأن الجار حقيقة في المجاور ، مجاز في الشريك ، وأجيب عنه ؛ بأن محل ذلك عند التجرد عن القرائن ، وقد قامت القرينة هنا للمجاز ، فاعتبر جمعاً بين حديثي جابر وأبي رافع ، فإن حديث جابر صريح في اختصاص الشفعة بالشريك ، وحديث أبي رافع مصروف الظاهر اتفاقاً ؛ لأنه يقتضي أن يكون الجار أحق من كل أحد ، حتى من الشريك ، ولا قائل به ، فإن القائلين بشفعة الجوار ؛ قدموا الشريك مطلقاً ، ثم المشارك في الطريق ، ثم الجار على من ليس بمجاور .

قلت : واختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، ثبوت الشفعة للجار ، بشرط أن يكون شريكاً في الطريق ، محتجاً بآخر حديث جابر مرفوعاً : « الجار أحق بشفعة جاره ، ينتظر بها اذا كان غائباً ؛ بأن كان طريقهما واحداً ، وتقدم قريباً . قال : وهذا ظاهر كلام الامام أحمد في رواية أبي طالب . حيث قال : « اذا كان طريقها واحداً ، شركاء لم يقتسموا ، فاذا طرقت وعرفت الحدود ؛ فلا شفعة » قال الحارثي من فقهاء مذهبنا : وهذا الصحيح الذي يمتنع المصير اليه ، وفيه جمع بين الاخبار ، فيكون أولى بالصواب .

الرابع : يشترط للأخذ بالشفعة ، مع ما تقدم المطالبة بها فوراً ، وأخذ جميع المبيع ، وأن يكون للشفيع ملك الرقبة سابقاً . وعن أبي حنيفة ؛ لا بد من طلبها على الفور ، حتى إن علم وسكت هنيئة ، ثم طلب فليس له ذلك . وعنه رواية أخرى له : ما دام قاعداً في ذلك المجلس ؛ فله أن يطالب بالشفعة ؛ ما لم يصدر منه ما يدل على الاعراض ، من نحو قيام واشتغال بشغل آخر . وعند

مالك : لا ينقطع استحقاقه بسكوته عن الطلب ؛ إلا بعد سنة . وعنه : لا ينقطع إلا أن يأتي عليه من الزمان ما يلم به أنه تارك لها ، فأما طلبها عنده فعلى التراخي . وقال الشافعي في « القديم » : إنها على التراخي ، وفي « الجديد » : إنها على الفور . قال الامام أحمد : الشفعة بالمواثبة ساعة يملكه ، ودليله حديث عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشفعة كحل العقال » ، وفي لفظ « الشفعة » كنشطة العقال ، إن قيدت ثبتت ، وإن تركت ؛ فاللوم على من تركها ، قال الامام الموفق ابن قدامة في « مغنيه » : رواه الفقهاء في كتبهم .

اغلامى : لا يحل الكذب والتخيل على إسقاط حق المسلم من الشفعة غيرها ، ويجب على المشتري تسليم الشقص بالثمن الذي وقع عليه المقد بطناً ، والتخيل على إسقاطها بعد وجوبها حرام بالاتفاق ؛ كما في « مختصر فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية » ، وإنما النزاع في الاحتيال عليها قبل الوجوب ، ومعتد مذهب الامام أحمد حرمة ذلك ؛ لأنه وسيلة لاسقاط حق المسلم ؛ ولا تسقط ، والله أعلم .

السادس : الاعتبار في إسقاط الشفعة بعد البيع . أما لو أذن الشريك لشريكه في البيع ؛ أو أسقط شفته قبل البيع ، لم تسقط ، وفيه رواية عن الامام أحمد أنها تسقط بإسقاطها ولو قبل البيع ، والمعتمد : لا ، كما لا تسقط بدلالته في البيع ، ورضاه به ، وضمان ثمنه ، ولا بتوكيله فيه لأحدهما في الاصح ، ولا بسلامه على المشتري ، أو دعائه له بالبركة ، أو غيرها ؛ لأنه إن كان بالبركة في البيع ، فهو لنفسه ؛ لأن الشقص يرجع اليه ، وإن كان بغير ذلك ؛ ؛ فهو من توابع السلام ، فيلحق به . والمسقط للشفعة الرضى بتركها بعد وجوبها . ولم يوجد وأمثلاً عدم إسقاط الشفعة بإسقاطها قبل البيع ؛ لأنه إسقاط حق ، قبل وجوبه ؛ فلا يسقط ، كما لو أبرأ مما سيقرضه له .

الحديث الثامن

٢٣ - حدثنا سفيان ، عن أبي الزبير ، عن جابر قال :
جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : رأيت كأن
عنقي ضُربت . قال : لم يحدث أحدكم بتلعب الشيطان ؟ .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) بن عيينة (عن أبي الزبير عن جابر)
رضي الله عنه (قال : جاء رجل الى النبي ﷺ) وفي « صحيح » مسلم من
حديث جابر رضي الله عنه قال : « جاء أعرابي النبي ﷺ » (فقال) :
يا رسول الله (رأيت) في المنام (كأن عنقي ضربت) ولفظ « صحيح » مسلم « كأن
رأسي ضرب ، فتدحرج فاشتدوت على أثره ، وفي لفظ في « صحيح » مسلم عن
جابر أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه قال لأعرابي جاءه فقال : إنني
حلمت أن رأسي قطع ، فأنا أتبعه ، فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي لفظ
آخر « يا رسول الله ! رأيت في المنام كأن رأسي قطع ، فضحك ، وفي آخر
« رأيت البارحة فيما يرى النائم ؛ كأن عنقي ضربت وسقط رأسي ، فاتبعته
فأخذته فأعدته » (قال) رسول الله صلى الله عليه وسلم للرجل بعد ما زجره (لم)
اللام للتعليل ؛ وما استفهامية ، فهو استفهام إنكاري ، حذف منها الألف لدخول
حرف الجر عليها ، كـ « عم يتساءلون » (١) ؛ فيم كنتم (٢) ؛ لم تعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر
ولا يغني عنك شيئاً » (٣) ونظائرها . والسر في حذف الألف من ما الاستفهامية
عند حرف الجر . كما في « بدائع الفوائد » إرادة مشاكلة اللفظ للمعنى ، فحذفوا
الألف ، لأن معنى قولهم : فيم ترغب ؟ في أي شيء ؟ إلام تذهب ؟ أي الى أي

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧

(١) سورة عم ، الآية : ١

(٣) سورة هريم ، الآية : ٤٤

شيء ؟ وحتام لا ترجع ؟ أي الى أي غاية تستمر ؟ فحذفوا الألف مع الجار ، ولم يحذفوها في حال النصب والرفع ، **ك**يلا تبقى الكلمة على حرف واحد ، وإذا اتصل بها حرف الجر ؛ أو اسم مضاف اعتمدت عليه ؛ لأن الخافض والمفوض بمنزلة كلمة واحدة . وربما حذفوا الألف في غير موضع الخفض ؛ ولكن إذا حذفوا الخبر فيقولون : مه يازيد ؟ أي ما الخبر وما الأمر ؟ فلما كثر الحذف في المعنى كثر في اللفظ ؛ ولكن لا بد من ها السكت ليقف عليها .

(يحدث أحدكم) معشر الناس (بتلمب الشيطان) الذي هو إبليس ، ومن زاد خبثه من ذريته . مأخوذ من شطن إذا بمد ، لأنه قد طرد ، وبعد عن رحمة الله ورضاه ، أو من شاط إذا احترق ، لأنه يحرق بنار جهنم ، وبنار غضب ، والابعاد . ولفظ « صحيح » مسلم « لا تخبر بتلمب الشيطان بك في المنام » ، وفي لفظ له « لا تحدث الناس بتلمب الشيطان بك في منامك » ، وفي آخر « إذا لمب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدث به الناس » ، واللعب ضد الجد ، يقال : لمب - كسمع - لعباً ولعباً ولعباً ولعباً ولعباً ، وفي الحديث « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جاداً » ، أي يأخذه ، ولا يريد سرقة ؛ ولكن يريد إدخال الهم والغيظ عليه ، فهو لاعب في السرقة ، جاد في الأذية . والمراد هنا بتلمب الشيطان ، أنه يريه في منامه ما يحزنه ، ويدخل عليه الهم والغيظ ، ويخلط عليه في رؤياه ، فهو يتلاعب به ، يقال لكل من عمل عملاً لا يجدي عليه نفعا : إنما أنت لاعب . وفي حديث الاستنجاء : « إن الشيطان يلعب بمقاعد بني آدم » ، أي انه يحضر أمكنة الاستنجاء ويرصدها بالأذى والفساد ؛ لأنها مواضع يهجر فيها ذكر الله ، ويكشف فيها العورات ، فأمر بسترها ، والامتناع من التمرض لنظر الناظرين ومهباب الرياح ورشاس البول ، وكل ذلك من لعب الشيطان .

تنبيهات

الأول : يحتمل أن النبي ﷺ علم أن منام هذا الرجل من الأضغاث بوحى ، أو بدلالة من المنام دلته على ذلك ، أو على أنه من المكروه الذي هو من تخويف الشيطان ، كما في «النهاية» ، كما أشار إلى ذلك النووي والمازري وغيرهما . وأما العابرون فينكلمون في كتبهم على رؤيا قطع الرأس ، ويحملونه يدل على مفارقة الرأي ما هو فيه من النعم ، أو مفارقة قومه ، أو زوال سلطانه ، أو تغير حاله في جميع أموره ؛ إلا أن يكون رقيقاً فيدل على عتة — هـ ، أو مريضاً فيدل على شفائه ، أو مدينوناً فيدل على قضاء دينه ، أو لم يحج فيدل على أنه يحج ، أو يكون مغموماً فيدل على كشف غمه ، أو مغموماً فيدل على تفريج همه ، أو خائفاً فلى أمنه .

الثاني : جاء في الرؤيا الصالحة عن النبي صلى الله عليه وسلم عدة أحاديث منها : ما رواه الشيخان وأبو داود والترمذي من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : « الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم شيئاً يكره فلينبث حين يستيقظ عن يساره ثلاثاً ، وليتوذ بالله من شرها فإنها لا تضره » ، وأخرج الامام أحمد وابن ماجه عن ابن عمر ، وعزى لمسلم أيضاً ، وذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي في جمعه ، وقال الحميدي في جمعه : لم أجده في كتاب مسلم ، وروى الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهم عن النبي ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من سبعين جزءاً من النبوة » ، وفي الحديث الآخر عنه ﷺ : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » ، رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ، ومسلم عن عبد الله ابن عمرو بن الماس وأبي هريرة ، والامام أحمد عن أبي رزين العقيلي ،

والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنهم بأسانيد صحيحة . وفي «مسند» الامام أحمد وسنن الترمذي وابن ماجة من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « الرؤيا ثلاث ؛ فبشرى من الله ، وحديث النفس ، وتخويف من الشيطان . فان رأى أحدهم رؤيا تعجبه فليقصها إن شاء ، وإن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل » زاد في رواية : « ويستعد بالله فانها لا تضره » ، وأكره الغل ، أي رؤيا الغل ؛ بأن يرى نفسه مغلولاً في النوم ، وهو ما كان في المنق ؛ لأنه إشارة الى تحمل دين أو مظالم أو كونه محكوماً عليه . قال : وأحب القيد رآه الانسان في المنام فيرجليه ؛ لأن القيد ثبات في الدين . وفي «سنن ابن ماجة» من حديث عوف بن مالك مرفوعاً : « الرؤيا ثلاثة ؛ منها تهويل من الشيطان ليحزن ابن آدم ، ومنها ما يهيم به الرجل في يظن أنه فيراه في نومه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

الثالث : قال ابن العربي : الرؤيا ادراكات يلقيها الله تعالى في قلب المبد على يد ملك أو شيطان ، إما بأسمائها أي حقيقتها ، وإما بكناها ، وإما تخليطاً . ونظيرها في حال اليقظة ، الخواطر الواردة على فكر الانسان وقلبه ، فانها تأتي على نسق ، وقد تأتي مسترسلة غير محصلة .

وقال المازري : كثر كلام الناس في حقيقة الرؤيا ، حتى قال فيها غير الاسلاميين أقاويل كثيرة منكورة ، لأنهم حاولوا الوقوف على حقائق لا تدرك بالعقل ، ولا يقوم عليها البرهان ، وهم لا يصدقون بالسمع ، فاضطربت أقوالهم . فالأطباء ينسبون الرؤيا الى الاخلاط الأربعة ، وهو أمر لا دليل عليه ، والفلاسفة يزعمون أن صور ما يجري في الأرض هي في العالم العلوي كالنقوش (١) فما حاذى بعض (٢) منها انتقش في قلب النائم .

(١) هي نظرية الاطالون المروفة بنظرية المثل العليا .

(٢) لمها : بعضاً .

وقال قوم : هي اعتقادات يخلقها الله في النائم ، كما يخلقها في قلب اليقظان ،
 فإذا خلقها فكأنه جعلها علماً على أمور أخرى ، فيخلقها في ثاني الحال .
 وتلك الاعتقادات تارة تقع بحضرة الملك فيقع بعدها ما يدر ، أو بحضرة
 الشيطان فيقع بعدها ما يضُر .

وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً .
 رؤيا المؤمن كلام يكلم به السيد ربه في المنام . رواه الطبراني والضياء وكذا
 الحكم الترمذي في « نواذر الأصول » .

وقد فسره بعض السلف بنحو ما تقدم قال : بأن يخلق الله في قلبه أدراكاً
 كما يخلق في قلب اليقظان .
 وبه فسروا قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من
 وراء حجاب » .^(١)

- قال بعض السلف : « من وراء حجاب » في منامه . فإذا طهرت النفس من
 الرذائل ، انجلبت مرآة القلب ، وقابل اللوح المحفوظ في النوم ، وانتقش فيه من
 عجائب النيب ، وغرائب الانباء .
 فمن الصديقين من يكون له في منامه مكالمة ومحادثة ، ويأمره الله وينهاه
 في المنام .

وفي « اعلام الموقعين » : سئل عنه عن قوله تعالى : « ولهم البشرى في الحياة
 الدنيا وفي الآخرة »^(٢) فقال : هي الرؤيا الصالحة ، يراها الرجل ؛ أو ترى له ،
 ذكره الامام احمد . انتهى .

وفي حديث أبي هريرة عند البخاري ، وفي حديث ابن عباس عند مسلم :
 « لم يبق بمدي من النبوة إلا البشريات ؛ الرؤيا الصالحة » .
 ومعنى ذلك ، أن الرؤيا الصالحة ؛ تنجي في الصحة والبيان على موافقة
 النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته صلى الله عليه وسلم . وقيل : المعنى ؛ انها جزء من

(٢) سورة يونس ، الآية ٦٤

(١) سورة الثورى ، الآية ٥١

عليها . لأنها وإن انقطعت ؛ فملها باق . وقيل : لأنها تشابهها في صدق الاخبار عن الغيب . وقيل : المعنى ؛ أن مدة الوحي كانت ثلاثة (١) وعشرين سنة ، منها ستة أشهر منام ، وذلك جزء من ستة وأربعين . قال الحافظ السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة ، التي تؤمن بها ، ونكل معناها .

المراد الى قائله صلى الله عليه وسلم : ولا نخوض في تعيين الجزء المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم : الرؤيا جزء من ستة وأربعين . وأقل ما ورد في ذلك جزء من ستة وعشرين . وأكثرها جزء من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعين ، وأربعة وأربعين ، وخمسة وأربعين ، وستة وأربعين ، وسبعة وأربعين ، وتسعة وأربعين ، وخمسين وسبعين .

وأصحها مطلقاً ؛ ستة وأربعين ، يليه السبعون .

وجمع بعضهم بين الروايات ، بأن الاختلاف بحسب مراتب الاشخاص . قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح يناسب حاله حال الانبياء ، وهو الاطلاع على الغيب بخلاف الكافر والفاسق والمخلط ، كذا قال :

قلت : بل يشابه حال الانبياء في صحة رؤياه وصفاء خاطره واتصال روحه في حال نومه بعالم الملكوت ، والله الموفق .

الروابع : في آداب الرؤيا الصالحة وغيرها .

أما الصالحة ؛ فلها ثلاثة آداب : أن يحمد الله عليها ، وأن يستشير بها ، وأن يتحدث بها ، لكن لمن يحب دون من يكره .

وأما آداب الرؤيا المكروهة ، فسته أشياء :

الأول : أن يتموذ بالله من شرها .

الثاني : أن يتموذ بالله من الشيطان . الحديث : « إذا رأى أحدكم رؤيا »

(١) كذا الاصل : وصوابها : ثلاثة

يكرهها فليتحول ولتفعل عن يسارة ثلاثاً وليسأل الله من خيرها وليتموذ بالله من شرها ، رواه ابن ماجة بإسناد حسن من حديث أبي هريرة مرفوعاً .

يعني بقول : اللهم إني أعوذ بك من شر ما رأيت ومن شر الشيطان .
وفي حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « وليستمد بالله من الشيطان ثلاثاً »
رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة .

أي بأن يقول : « أعوذ بالله من شر الشيطان أو من شرها لأنها بواسطته .
الثالث : أن يتفعل حين ينتبه من نومه — عن يسارة ثلاثاً ، أي ييصق
عن جانبه اليسر ثلاث مرات بصفاً خفيفاً كراهة لما رأى وتحقيراً للشيطان الذي
حضر تلك الرؤيا ؛ وخص اليسار لأنه محل الاقذار ، والتثليث لتأكيده .

وهذا ورد في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما ، عن عدة من الصحابة . وفي آخر الحديث فانه اذا فعل ذلك لا تضره ، أي تلك الرؤيا .

الرابع : أن يتحول عن جنبه الذي كان مضجماً عليه حين رأى ذلك ، الى جنبه الثاني تفاؤلاً بتحويله وانتقاله ، ولجانبه مكان الشيطان ، أن يتحول الرؤيا من المكروه الى المبوب ، وتنتقل من المضر الى المسر (١) .

وقد جاء ذلك في عدة أحاديث ، في مسلم وغيره ، ففي حديث جابر عند مسلم مرفوعاً : « ولينحول عن جنبه الذي كان عليه » .

الخامس : أن لا يذكرها لاحد أصلاً ، وقد جاء ذلك في عدة أحاديث في « الصحيحين » وغيرهما . ففي حديث أبي قتادة عندهما في الرؤيا التي يكرهها « ولا يخبر بها أحداً » .

وفي حديث أبي قتادة أيضاً عندهما : « ولا يحدث بها أحداً فانها لا تضره » .
وفي حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري : « ولا يذكرها لاحد فانها

(١) والصواب : الى اليسار

لاتنصره . . وتقدم نهي النبي صلى الله عليه وسلم الرجل الذي تحدث برؤيا ضرب عنقه .

والسر في ذلك النهي ، لأن الحديث بها ، ربما فسرهما بمكروه على ظاهر صورتها ، ويكون ذلك محتملا ، فيقع بتقدير الله تعالى : « فإن الرؤيا على رجل طائر مالم تعبّر ، فإن عبرت وقعت » كما في حديث أبي رزين رضي الله عنه مرفوعا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه

ومعناه أن الرؤيا اذا كانت ، محتملة وجهين ، فعبرت باحدهما وقعت ، على قرب تلك الصفة .

قال أهل التعبير : قد يكون ظاهر الرؤيا مكروها ، وتعبيرها محبوب ، وعكسه .

وقال الخطابي من قوله صلى الله عليه وسلم : « الرؤيا على رجل طائر » . هذا مثل ، ومعناه أنه لا يستقر قرارها مالم تفسّر .

وفي « النهاية » انها على رجل قدر جارٍ ، وقضاء ماضٍ من خير أو شر ، وان ذلك هو الذي قسمه الله تعالى لصاحبها . من قولهم : اقتسموا داراً فطار سهم فلان في ناحيتها ، أي وقع سهمه ، وخرج .

وكل حركة من كلمة أو شيء يجري لك فهو طائر .

والمراد أن الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الأول ، فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت ، كما يسقط الشيء الذي يكون على رجل الطائر بأدنى حركة . انتهى .

قال الطيبي : التركيب من باب التشبيه التمثيلي . شبه الرؤيا بالطائر السريع طيرانه ، وقد علق على رجله شيء يسقط بأدنى حركة .

فينبغي أن يتوهم للمشبه حالات متعددة مناسبة هذه الحالات وهي : أن الرؤيا

مستقرة على ما يسوقه التقدير اليه من التعبير ، فاذا كانت في حكم الواقع قبيض والهم من يتكلم بتأويلها على ما قدر فيقع سريماً ، وان لم تكن في حكمه لم يقدر لها من يعبرها . انتهى .

وقال عبد الغافر الفارسي في « مجمع الثرائب » : اراد انها مطلقة بما قدره الله وقسمه ، وطيره له ، ما لم تعب ، أي لا يستقر تأويلها حتى تعب ، والله أعلم .
الخامس : مما يطلب عند الرؤيا المكروهة الصلاة .

ففي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « اذا رأى أحدكم ما يكره ، فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس » . وفي لفظ البخاري : « فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد ولا يقيم فليصل » .

والحكمة في ذلك : أن في الصلاة اتحرز عن المكروه ، والاتجاء من كل أمر ينوب العبد من الخواف .

السادس : الاستبشار بها . وفي حديث أبي قتادة رضي الله عنه مرفوعاً عندهما : « فاذا رأى رؤيا حسنة فليُبشِّر ولا يخبر بها إلا من يحب » .
قوله فليُبشِّر ، هو بضم المثناة تحت وسكون الموحدة من البشارة .

وروي بفتح الياء المثناة تحت ، وسكون النون ، من النشر وهو الاشاعة .
قال القاضي عياض : وهو تصحيف وزاد بمضهم .

سابعاً : وهي ^(١) قراءة آية الكرسي ، ولم يذكر لذلك مستنداً فان كان أخذه من عموم حديث أبي هريرة ، ولا يقربك شيطان ؛ فيتجه . وينبغي أن يقرأها في صلاته . وبالله التوفيق .

(١) لله : هو (أي السابغ)

الحديث التاسع

٢٤ - حدثنا سفيان ، قال ابن المنكدر : سمعت جابر ابن عبد الله يقول . ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً فقال : لا .

قال رضي الله عنه : (حدثنا سفيان) ابن عيينة (قال) الامام الحافظ ابو عبد الله محمد (ابن المنكدر) - بضم الميم وسكون النون وفتح الكاف وكسر الدال المهملة ، فراء - ابن عبد الله بن المهدي التيمي ، الامام الثقة المجمع على ثقته ؛ وتقدمه في العلم والعمل ، وهو من طبقة عطاء . روى عن أبيه وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق من الصحابة رضي الله عنهم . وروى عنه ابو حنيفة ومالك والزهري وشعبة والسفيانان . قال ابن عيينة ابن المنكدر كان من معادن الصدق ؛ يجتمع اليه الصالحون . ذكره الحافظ السيوطي في «طبقات الحفاظ» ، وكذا الحافظ الذهبي وابن مرداس وغيرهم . وذكره الحافظ ابن الجوزي في «صفوة الصفوة» ، ومن كلامه قال : كابدت نفسي أربعين سنة ، حتى استقامت ، وبكى ليلة ؛ فكثر بكاءه حتى فرغ أهله ، فارسلوا الى أبي حازم . فجاء اليه ، فقال : ما الذي أبكاك ؛ قد رعت اهلك ، قال : مرت بي آية من كتاب الله «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون»^(١)

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧

فبكى أبو حازم معه ، وقيل له : أي الأعمال أحب إليك ؟ قال : إدخال السرور على المؤمن ، قيل : فما بقي من لذاتك ؟ قال : الافضال على الاخوان. وقال : الفقيه يدخل بين الله وبين عباده ، فلينظر كيف يدخل . وجزع عند الموت ؛ فقيل له : لم تجزع ؟ قال : أخشى آية من كتاب الله : « وبدأ لهم من الله مالم يكونوا يحسبون » (١) إني أخشى أن يبدو لي مالم أكن أحسب .

توفي ابن المنكدر رحمه الله ورضي عنه سنة ثلاثين ومائة ، وقيل : إحدى وثلاثين ومائة .

(سمعت جابر بن عبد الله) الأنصاري رضي الله عنها (يقول : ما سئلت) بضم السين المهملة وكسر الهمزة على صيغة المجهول (رسول الله صلى الله عليه وسلم) بالرفع نائب الفاعل (شيئاً) مفعول ثانٍ لسأل ، وهكذا رواه مسلم في « صحيحه » وكذا البخاري . وفي رواية للبخاري في « الصحيح » وفي « الأدب المفرد » من طريق ابن عيينة ، سمعت ابن المنكدر ، سمعت جابر بن عبد الله - رضي الله عنها - « ما سئلت النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء » (قط) بفتح القاف ، وضم الطاء المهملة مشددة ، وتضم القاف ويخففان . وقط مشددة مجرورة بمعنى الدهر مخصوص بالماضي ، أي فيما مضى من الزمان ، وفيما انقطع من العمر ، فهي ظرف زمان لاستفراق ماضى ، وتختص بالنفي ، يقال : ما فعلته قط . قال في « المنى » : والمامة تقول : لا أفعله قط ، وهو لحن . واشتقاق قط من قطعت ، أي قطعت . قال الكرماني في « شرح البخاري » : معناه : ما طلب منه صلى الله عليه وسلم شيء من أمر الدنيا ففعله . قال الفرزدق (٢) :

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٧

(٢) من قصيدته المشهورة :

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم
زهر الادب « شرح البجاري » ٦٥/١ ، الحماسة « شرح المرزوقي » ص : ١٦٢١
أمالى المرتضى ٤٨/١ ، والبيان والتبيين ، وعيون الاخبار وغيرها .

ما قال لا قط إلا في تشهده لولا التشهد كانت لاء نعم

قال هذا الفرزدق في الامام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله وسلامه عليهم .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وليس المراد أنه ﷺ يعطي ما يطلب منه جزماً ؛ بل المراد أنه لا ينطق بالرد ، بل إن كان عنده إعطاء إن كان الاعطاء سائئاً وإلا سكت ، فما سئل عن شيء من أمور الدنيا (فقال) في جواب السائل : (لا) أعطيك ذلك الشيء .

وقد ورد بيان ذلك في حديث مرسل أخرجه ابن سعد ، ولفظه : إذا سئل فأراد أن يفعل ، قال : نعم . وإذا لم يرد أن يفعل سكت . وهو قريب من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — : ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ، إن اشتهاه أكل منه وإلا تركه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام : معناه لم يقل : لا ، منماً للمطاء ، ولا يلزم من ذلك أن لا يقولها اعتذاراً ، كما في قوله تعالى : « قلت لا أجد ما أحلکم عليه » (١) ولا يخفى الفرق بين قول : « لا أجد ما أحلکم عليه » ، وبين لا أحلکم عليه ، وهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم ، في حديث أبي موسى الأشعري ، لما سأل الأشعريون الحلان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما عنده ما أحلکم » ، لكن يشكل عليه أن في بعض ألفاظ حديث أبي موسى المذكور أنه صلى الله عليه وسلم حلف لا يحملهم فقال : « والله لا أحلکم » ، فيمكن أن يخص من حديث جابر ما إذا سئل ما ليس عنده ، والسائل يتحقق أنه ليس عند ذلك ، أو حيث كان المقام لا يقتضي الاقتصار على السكوت من الحالة الواقعة أو من حال السائل ؛ كأن يكون لم يعرف المادة ، فلو اقتصر في جوابه على السكوت

(١) سورة التوبة ، الآية : ٩٢

مع حاجة السائل ، لتأدى على السؤال مثلا . ويكون القسم على ذلك تأكيداً
تقطع طمع السائل .

والسر في قوله صلى الله عليه وسلم : « لا أجد ما أحملك » وقوله : « والله
لا أحملك » أن الاول لبيان ان الذي سأله لم يكن موجوداً عنده ، والثاني أنه
لا يتكلف الاجابة الى ما سئل بالقرض مثلا او الاستيهاب ؛ اذ لا اضطرار حينئذ
الى ذلك .

وفهم بعضهم من لازم عدم قول : لا ، إثبات نعم ، ورتب عليه تحريم البخل ؛
لأن من القواعد انه ﷺ اذا واظب على شيء كان ذلك علامة وجوبه ، ويأتي
البحث في ذلك في الحديث السادس عشر من حديث جابر إن شاء الله تعالى .

ولا يخفى ان السخاء من محاسن الاخلاق ، بل هو من أعظمها وأجلها .
والبخل ضده . ومحاسن الاخلاق : المغو ، والجود ، والصبر ، وتحمل الأذى ،
والرحمة ، والشفقة ، وقضاء الحوائج ، والتؤدة ، ولعين الجانب ونحو ذلك .
والمندوم ضد ذلك .

والسخاء : بمعنى الجود ، وهو بذل ما يقتضى بغير عوض . والأصح ؛ ان
السخاء أدنى من الجود ، ولأنه ^(١) لا يوصف به تعالى ، ويوصف بالجود .

والسخاء : اللين عند الحاجات ، من قولهم : أرض سخاوية : أي ليننة
التراب . قال القشيري في «الرسالة» : قال القوم ^(٢) : من أعطى البعض فهو سخي ،
ومن أعطى الاكثر وأبقى لنفسه شيئاً ، فهو جواد ، ومن تحمل الضرر وآثر
غيره بالبلغة فهو مؤثر .

(١) لم تكن واضحة في الاصل

(٢) يقصد بهم أهل التصوف

وأما السهروردي في « عوارفه »^(١) فقال : السخاء أتم وأكمل من الجود .
ويقابل الجود : البخل ، ويقابل السخاء : الشح ، والجواد الذي يتفضل على من
يستحق ، ويمطي من لا يسأل ، ويمطي الكثير ، ولا يخاف الفقر ، من قولهم :
مطر جواد : إذا كان كثيراً ، وفرس جواد : إذا كان كثير المدو . والجود
والبخل يتطرق اليها الاكتساب بطريق المادة ، بخلاف السخاء والشح ، لانهما من
ضرورة الغريزية ، فكل سخى جواد بلا عكس . والجود يتطرق اليه الرياء ولا
كذلك السخاء ، لانه يقع من النفس الزكية المرتفعة عن الاغراض .

وقال السهروردي أيضاً : الشح الذي يقابل السخاء من لوازم صفة النفس .
قال تعالى : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون »^(٢) ، فحكم بالفلاح لمن
وقي الشح ، وحكم أيضاً بالفلاح لمن انفق وبذل ، فقال تعالى : « ومما رزقناهم
ينفقون - أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون »^(٣) .

والفلاح جامع لسعادة الدارين . انتهى . وفي « الكرماني شرح البخاري »
الفلاح : الفوز والبقاء : وقيل : هو : الظفر وإدراك البنية . قال : وقيل : إنه
عبارة عن أربعة أشياء : بقاء بلا فناء ، وغنى بلا فقر ، وعز بلا ذل ، وعلم بلا
جهل . قالوا : ولا كلمة في اللغة أجمع للخيرات منه . انتهى .

وظاهر كلام ابن القيم في كتابه « الكلم الطيب والعمل الصالح » المساواة
بين الجود والسخاء ، قال فيه : السخي قريب من الله ومن خلقه ومن أهله ،
وقريب من الجنة ، وبميد من النار . والبخيل بعيد من الله ، بعيد من خلقه ،
بعيد من الجنة ، قريب من النار . فجود الرجل يحبيه الى اضعاده ، وبخله يبعضه
الى أولاده ، ثم أنشد :

(١) يقصد كتاب « عوارف المعارف » الملحق باحياء علوم الدين للزمالي

(٢) سورة الحشر ، الآية : ٩

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٣ والآية : ٥

ويظهر عيب المرء في الناس بخله ويستره عنهم جميعاً سخاؤه
تنفط بأثواب السخاء فاتي أرى كل عيب والسخاء غطاؤه

ثم قال في تعريف السخاء : انه بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة ، وأن يوصل
ذلك الى مستحقه بقدر الطاقة . وليس كما قال بعضهم : حد الجود بذل الموجود .
ولو كان كما قال ، لارتفع اسم السرف والتبذير ، وقد ورد الكتاب بذكرها ،
وجاءت السنة بالنهي عنها ، ثم قال : واذا كان السخاء محموداً ، فمن وقف على حده
سمي كريماً ، وكان للحمد مستوجباً . ومن قصر عنه كان بخيلاً ، وكان للذم
مستوجباً وقد روي في أثر ، ان الله عز وجل اقسم بعزته أن لا يجاوره بخيل .
وقال بعضهم : السخاء أن تكون بمالك متبرعاً ، وعن مال غيرك متورعاً .
وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - : أوحى الله الى
ابراهيم الخليل عليه السلام : اتدري لم اتخذتك خليلاً ؟ قال : لا ، قال : لأنني
رأيت المطاء أحب اليك من الأخذ . وهذه من صفات الرب سبحانه ، فانه
يطعم ولا يطعم ، وهو أجود الاجودين ، وأكرم الاكرمين ، وأحب الخلق
اليه من اتصف بصفاته ، فانه كريم يحب الكريم .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم اكرم من كل كريم ، منصف بآتم
الكرم وأكمل الجود ، ومن ثم ما قال ﷺ : لا ، في رد سائل ، مع كونه بادي
البشاشة للسائل ، باسماء لوفوده ، يهتز للمطاء وبذل الندي ، اسخا من النيث ،
وأسرع في فعل الخير من الريح المرسلة . وقد قوّم ما أعطى صلى الله عليه وسلم في
يوم واحد فكان خمسمائة ألف الف . قال ابن دحية : وهذا نهاية الجود ، ورحم
الله أبي ، عبد الله بن جابر حيث يقول فيه صلى الله عليه وسلم :

هذا الذي لا يتي فقرا اذا يطلي ولو كثرا لانام وداموا

واذا من الانعام أعطى آملا فتحيرت لمطائه الأوهام

الحديث العاشر

٢٥ - حدثنا سفيان ، عن ابن المنكدر سمع جابراً :
جىء بأبي يوم أحد ، فوضع بين يدي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو مسجى ، فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه
ينتهي قومي ، فسمع باكياً - وقال مرة : صوت صائحة -
قال : من هذا ؟ قالوا : ابنة عمرو ، أو أخت عمرو ، قال : فلم
تبكين ؟ أو قال : أتبكين ؟ فإزالت الملائكة تظله بأجنحتها
حتى رفقتموه .

قال رضي الله عنه (حدثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن) محمد (بن المنكدر)
أنه (سمع جابراً) رضي الله عنه يقول : (جىء) بالبناء للمجهول من جاء (بأبي)
هو عبد الله بن عمرو بن حرام الانصاري الخزرجي ، وتقدم نسبه في ترجمة ابنه
جابر رضي الله عنها ، شهد عبد الله رضي الله عنه الموقعة مع السبعين ، وهو أحد
النقباء ، وشهد بدرأ ، وقتل شهيداً (يوم) غزوة (أحد) بضم الهمزة ، وبالحاء
وبالدال المهملتين .

هو جبل أحمر ليس بذئ شناخيب^(١) جمع شنخوب ، بضم الشين والحاء
المجتمعتين بينها نون ساكنة فواو فوحدة ، فرع الكاهل ، وفقرة الظهر ،

(١) في الاصل « شناخب » والصواب ما أثبتناه . وشناخيب الجبال : رؤوسها .
وفي هامش الكتاب : والمراد : (أي بليس ذي شناخيب) ليس بذئ شهاب عالية .

والمنحصب : الطويل . بين جبل أحد وبين المدينة المنورة اقل من فرسخ ، وهو في شمالها ؛ وقد قال صلى الله عليه وسلم : « أحد جبل يحبنا ونحبه » ، رواه الشيخان وغيرهما عن عدة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم انس وغيره . قال السهيلي : سمي أحداً لتوحده وانقطاعه عن جبال آخر هناك . وكانت غزوة أحد التي استشهد عبد الله والد جابر - رضي الله عنها - فيها في شوال سنة ثلاث من الهجرة .

قال جابر رضي الله عنه : (فوضع) أبي بعد أن جئى به (بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو) أي أبي ، أي والحال أنه (مسجى) أي مغطى ، قال في « القاموس » : تسجية الميت ؛ تغطيته . وفي « المطلع » قال الخليل : سجت الميت ؛ غطيته بثوب .

قال جابر - رضي الله عنه - (فجعلت أريد أن أكشف عن وجهه) أي وجه أبي لا نظر إليه (وبهائي) عن ذلك (قومي) يعني كراهية أن ينظر جابر لآبيه ؛ لأنه كان قد مثل به المشركون ، فقد جاء أنهم مثلوا بجميع الشهداء إلا حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة ، فلم يمثلوا به ؛ لأن أباه كان مع المشركين ، فتركوه لاجله .

وروى البخاري من حديث جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجمع بين الرجلين من قتل أحد في ثوب واحد ، ثم يقول : أيُّهم أكثر أخذاً للقرآن ؟ فإذا أشير له إلى أحدهما قدمه في اللحد ، وقال : أنا شهيد على هؤلاء ، وأمر بدفنه بدمائهم ، ولم يصل عليهم ، ولم يغسلهم . قال جابر وكفن أبي عمي^(١) في نمرة واحدة ، يعني لأن ثيابهم سلبها المشركون عنهم .

(١) في الهامش : قوله : وعمي كأنما أراد به عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام .

وفي « الصحيحين والنسائي » وغيرها : من حديث جابر - رضي الله عنه - قال : أصيب أبي يوم أحد فجعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي ، وجعلوا يهوتني ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني .

وفي رواية فيها عن جابر : لما كان يوم أحد جئني بأبي مسجى قد مثيل به ، وفي أخرى جئني بأبي يوم أحد مجدعا ، فوضع بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه (فسمع) النبي صلى الله عليه وسلم (باكياً ، وقال مرة : صوت صائحة) تبكي على أبي عبد الله بن عمرو (قال : من هذا ؟) الباكي (قالوا :) هي (ابنة عمرو) أخت عبد الله عمه جابر (أو) قالوا : (أخت عمرو) فتكون عممة عبد الله أبي جابر .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث جابر رضي الله عنه ، وجعلت فاطمة بنت عمرو تبكيه (قال : فلم) استفهام انكاري دخلت عليه الام الجارة فحذفت الالف من ما الاستفهامية (تبكين أو قال :) صلى الله عليه وسلم (أتبكين ؟) .

وفي « الصحيحين » تبكيه أو لا تبكيه (فما زالت الملائكة تظله) من الشمس (بأجنحتها) تكرمة له واظهاراً لفضله (حتى) أي الى أن (رفتهوه) من المكان الذي صرع فيه .

قلت : في هذا الحديث جواز البكاء بعد الموت ؛ لأن جابر أ رضي الله عنه قد بكى على أبيه بعد موته ، فلم ينه النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا مذهب الامام أحمد ، وأبي حنيفة ، واختاره أبو بكر الشيرازي ، وكرهه الشافعي وكثير من أصحابه بعد الموت ، ورفضوا فيه قبل خروج الروح ، واحتجوا بحديث جابر بن عتيك - رضي الله عنه - ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء يعود عبد الله بن ثابت ، فوجده قد غلب ، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم

فلم يحبه ، فاسترجع وقال : غلبنا عليك يا أبا الربيع ، فصاح النسوة وبكين ، فجعل ابن عتيك يسكنهن ، فقال صلى الله عليه وسلم : دعهن ، فإذا وجب فلا تبكين^١ باكية ، قالوا : وما الوجوب يا رسول الله ؟ قال : الموت . رواه الامام أحمد ، وأبو داود وهذا لفظه ، والنسائي ، وابن ماجة .

وبحديث ابن عمر رضي الله عنها : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت ليغضب بكاء أهله عليه . متفق عليه . وهذا إنما هو بعد الموت ، وأما قبله فلا يسمى ميتاً . قالوا : والفرق بين ما قبل الموت وبعده ، أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً ، فإذا مات انقطع الرجاء وأبرم القضاء . فلا ينفع البكاء .

واحتج للأول مع حديث جابر بحديث ابن عمر - رضي الله عنها - أنه صلى الله عليه وسلم قال : إن الله لا يعذب بدمع الدين ، ولا يحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا - وأشار الى لسانه - أو يرحم . رواه البخاري وهذا لفظه ، ومسلم . وفي البخاري من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : شهدنا بنتاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على القبر ، قال : فرأيت عينيه^(١) تدمعان .

وفي حديث أنس أيضاً ، في قصة موت إبراهيم عليه السلام ابن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ إن العين لتدمع ، وإن القلب ليحزن ، وإنا على فراقك يا إبراهيم لحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا . متفق عليه .

وفي قصة استشهاد جعفر وأصحابه ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وفيه : وإن عيني رسول الله ﷺ لتذرفان . رواه البخاري . وفي حديث ابن عباس في موت زينب بنت رسول الله ﷺ ، وبكاء النساء ، وإن عمر جمعل

(١) في الأصل : عيناه ، وهو خطأ ؛ وما أثبتناه من « صحيح البخاري » :

يضر بهن بسوطه ، فآخذ رسول الله ﷺ بيده وقال : مهلا يا عمر ، ثم إيا كن ونميق الشيطان ، ثم قال ﷺ : إنه مها كان من المين والقلب فمن الله عز وجل ومن الرحمة ، وما كان من اليد واللسان ؛ فمن الشيطان . رواه الامام أحمد . وعن عائشة الصديقة - رضي الله عنها - أن سمدة بن معاذ - رضي الله عنه - لما مات حضره رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر - رضي الله عنهم - قالت : فوالذي نفسي بيده ؛ اني لأعرف بكاء أبي بكر ، من بكاء عمر ، وأنا في حجرتي . رواه الامام أحمد .

وفي حديث اسماء بنت يزيد ؛ في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ ، وبكائه عليه ، وقول أبي بكر وعمر : أتبكي ؛ أو ما نهيتنا عن البكاء ؛ قال : ليس عن البكاء نهيت ؛ ولكن نهيت عن صوتين أحققين فاجرين ، صوت عند نعمة لهو ولعب ورنه شيطان ، وصوت عند مصيبة لطم وجوه وشق جيوب ورنه شيطان . وهذه رحمة ، ومن لا يرحم لا يرحم . رواه ابن ماجه . والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

وكذلك ؛ لما ماتت رقية ، بكى فاطمة بنت النبي ﷺ ، وبكى النساء بعد الموت .

وصح عن الصديق الاعظم ، انه رضي الله عنه قبل النبي ﷺ بمدة وموت وبكى . وأما ما استدلل به الشافعي ومن وافقه ، فمحمول على البكاء الذي معه نذب ونياحة . ودعوى الشيخ مردودة ؛ لأن قصة جعفر وأصحابه ، كانت في الثامنة ، وكذلك البكاء على زينب عليها السلام ، فانها انما توفيت في الثامنة . ومن ذلك ما في البخاري من قول عمر رضي الله عنه : دعن يبكين على أبي سليمان ما لم يكن تقع أو لقلقة . والنقع : التراب على الرأس ، والقلقة : الصوت ،

وأبو سليمان : هو خالد ابن الوليد رضي الله عنه . مات في خلافة عمر رضي الله عنه .
والله تعالى الموفق .

وفي الحديث ؛ جواز الكشف عن وجه الميت بعد موته ، وفيه تسجيته ،
وفيه ذكر فضائل الشخص ومناقبه ، وفيه فضيلة الجهاد والشهادة . والله التوفيق .

الحديث الحادي عشر

٢٦ - حدثنا سفيان^١ ، عن ابن المكندر ، سمع جابر بن
عبد الله يقول : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقلنا : لا نكنيك
أبا القاسم ، ولا نتمك عيناً ، فأبى النبي ﷺ ، فذكر ذلك له ،
فقال : اسم ابنك عبد الرحمن .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان عن) محمد (بن المنكدر) أنه (سمع
جابر بن عبد الله) رضي الله عنها (يقول : ولد لرجل منا) معشر الأنصار (غلام)
أي سي - بضم أوله - والغلام اسم للذكر من حين يولد ؛ إلى أن يشيب ، أو الطار
الشارب ؛ (فسماه) أي سمى الرجل ابنه (القاسم ، فقلنا :) معشر الصحابة
(لا نكنيك^(١) أبا القاسم) والكنية : كل اسم صدر بأب أو أم أو ابنة ، يقال :
كنيته وكنوته بمعنى (ولا نتمك عيناً) أي لا قرعينك ولا نتمم عليك بطاعتك
وموافقتك على هذه التكنية ، يقال : نعمة عين ، ونعم عين ، ونمى عين .
كما في « النهاية » .

(١) في الهامش : بفتح أوله مع التخفيف . وبضمه مع التشديد .

وفيهما من حديث الحسن ؛ اذا سمعت قولاً ، فرويدا بصاحبه ، فان وافق قول عملاً ؛ فنعم ونعمة عين ، آخيه وأوددته ، أي اذا سمعت رجلاً يتكلم في العلم بما تستحسنه ، فهو كاللداعي لك الى مودته وإخائه (١) فلا تمجّل حتى تختبر فعله ، فان رأيت حسن العمل ، فأجبه الى إخائه ومودته ، وقل له : نعم ونعمة عين ، أي قرّة عين ، يعني أقر عينك بطاعتك ، واتباع أمرك .

وفي حديث أبي مریم ؛ دخلت على معاوية فقال : ما أئمننا بك ؟ أي ما الذي أعملك البنا ؟ وأقدمك علينا ؟ وإنما يقال ذلك ، لمن يفرح بلفائه كأنه قال : ما الذي أسرنا وأفرحنا وأقر أعيننا بلفائك ورؤيتك ؟

وفي حديث مطرف ؛ لا تقل نعم الله بك عينا (٢) قال الملامة الزخسري : الذي منع (٣) مطرف صحيح فصيح في كلامهم ، وعينا نصب على التمييز من الكاف ، والباء للتمدية ، والمعنى : نعمك الله عينا ، أي أنعم عينك وأقرّها ، وقد يحذفون الجار ، ويوصلون الفعل فيقولون : نعمك الله عينا . وأما أنعم الله بك عينا ؛ فالباء فيه زائدة ، لأن الهمزة كافية في التمدية ، تقول : نعم زيد عينا ، وأنعمه الله عينا ، قال : ويجوز أن يكون من أنعم ، اذا دخل في النعم ، فيمدى بالباء . قال مطرف خيل اليه (٤) أن انتصاب التمييز في هذا الكلام عن الفاعل ؛

(١) الكلمة مطبوسة في الاصل ، وما أثبتناه من اللسان « نعم » وفي الحديث بكامله .

(٢) يظهر ان بقية كلام مطرف قد سقطت من الاصل وهي ؛ فان الله لا ينعم بأحد عينا ، ولكن قل : أنعم الله بك عينا .

(٣) في مصادر أخرى : الذي منع منه ، بزيادة « منه » وهو أوضح .

(٤) كذا في الاصل وهو لا يستقيم ؛ والصواب هو : قال : ولعل مطرفاً خيل اليه ،

كما في غير هذا الكتاب .

فاستعظم ، كما يقولون : نعمت بهذا الأمر عينا للتعمدية (١) فحسب أن الامر في نعم الله بك عينا كذلك . انتهى .

وحديث جابر هذا في « الصحيحين » وفيها عن جابر رضي الله عنه ؛ أن رجلا من الأنصار ولد له غلام ، فأراد أن يسميه محمدا ، فأتى النبي ﷺ فسأله ، الحديث .

وفيها عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، الحديث (فأتى) الرجل (النبي ﷺ فذكر ذلك) أي قول قومه الذي قالوه له من أنهم لا يكونونه بأبي القاسم ، ولا يتمونه عينا (له) أي للنبي صلى الله عليه وسلم ، والجار والمجرور متعلق بذكر . ولفظ البخاري : فأتى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله (٢) الله ولدي غلام فسميته القاسم ، فقالت الانصار : ولا نكنيك ابا القاسم ، ولا نتمك عينا ، فقال النبي ﷺ : أحسنت الانصار ، سموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي .

وفي « البخاري » من طريق سالم بن أبي الجعد ، عن جابر رضي الله عنه قال : ولد لرجل منا غلام ، فسماه القاسم ، فقالوا : لانكنيك حتى نسأل النبي ﷺ ، فيجمع بين هذا الاختلاف ، إما بأن بعضهم قال هذا ؛ وبعضهم قال هذا ، وإما أنهم منعوا أولا مطلقاً ، ثم استدركوا ؛ فقالوا : حتى نسأل .

وفي رواية : لانكنيك ابا القاسم ولا كرامة ، فآخبر النبي ﷺ بذلك ، (فقال) النبي ﷺ (اسم ابنك عبد الرحمن) وفي الرواية الاخرى . فقال : سموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنيتي ، ويجمع بينها ؛ بأن أحد الراويين ذكر ما لم يذكر الاخر .

(١) كذا في الاصل ، وفي الكلام سقط ، ومقتضى الكلام ان يقول : والباء للتعمدية .

(٢) في الاصل مطبوس .

وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في السوق ، فقال رجل : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنما دعوت هذا .

وفي رواية دعى رجل بالبقيع : يا أبا القاسم ، فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : لم اعنك . ولا مخالفة بين لفظ كان في السوق ، وكان في البقيع ؛ لأن السوق كان يومئذ بالبقيع ، فذكره تارة باسمه ؛ وتارة باسم محله ، وحينئذ قال عليه الصلاة والسلام : سما باسمي ، ولا تكنوا بكنيتي .

وقوله : ولا تكنوا ؛ يحذف إحدى التائين ، وروى ؛ ولا تكنوا بسكون الكاف ، وفتح المثناة بمدها فون . فيؤخذ من الحديث مشروعية تكتية المؤمن بولده ، ولا يختص بأول الولادة ، وإنما اختار النبي ﷺ للرجل أن يسمى ابنه عبد الرحمن ؛ لأن أفضل الأسماء ؛ عبد الله وعبد الرحمن . قال بعض شراح « المشارق » : لله الأسماء الحسنى ، وفيها فروع وأصول ، أي من حيث الاشتقاق . قال : ولأصول أصول ، أي من حيث المعنى . فأصول الأصول : اسمان ؛ الله والرحمن ، لأن كلا منها مشتمل على الأسماء كلها ؛ قال الله تعالى : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ^(١)) ، ولذلك لم يقسم بها أحد ، وما ورد من رحمن اليمامة غير وارد ؛ لأنه مضاف ، وقول شاعرهم :

وأنت غوث الورى لا زلت رحمانا

تعالى في الكفر وليس بوارد ، لأن الكلام في أنه لم يقسم به أحد ، ولا يرد إطلاق من أطلقه وصفاً ، فانه لا يستلزم التسمية بذلك ، وقد لقب غير واحد ؛ الملك الرحيم ، ولم يقع مثل ذلك في الرحمن ، فإذا تقرر ذلك ظهر أن إضافة الصودية الى كل من الاسمين حقيقة محضة ، فظهر وجه الاختيار ، والله اعلم .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ١١٠

تنبيهات

الاول : الاسم واللقب والكنية ، تشترك الثلاثة في تعريف المدعو بها ، وتفترق في أمر آخر ، وهو أن الاسم إما أن يشمر بمدح أو ذم أو لا ، الأول : اللقب ، وغالب استعماله في الذم ، ولهذا قال تعالى : (ولا تتابزوا بالألقاب (١)) ولا خلاف في تحريم تلقيب الانسان بما يكرهه ، سواء كان فيه أو لا ؛ نعم إذا عرف بذلك واشتهر به كالأعمش والأعرج والأصم والأشتر ، فقد اطرده استعماله على السنة أهل العلم قديماً وحديثاً ، وقد سهل فيه الامام أحمد رضي الله عنه . قال أبو داود في مسائله : سمعت أحمد بن حنبل في الرجل يكون له اللقب لا يعرف إلا به ولا يكرهه ، قال : أليس يقال : سليمان الأعمش ، وحמיד الطويل ؟ فلم ير به بأساً .

وإن لم يشمر لا بمدح ولا ذم ، فإن صدر بأب أو أم فهو الكنية ؛ كإبي هلال وأم فلان . وإن لم يصدر بذلك ، فهو الاسم كزيد وعمر . وهذا هو الذي كانت تعرفه العرب ، وعليه مدار مخاطباتهم . وأما فلان الدين ، وعز الدولة ، وبهاء الدولة ، فلم تكن العرب تعرف ذلك ، وإنما حدث من قبل المعجم ، كما في « تحفة الودود » لابن القيم رحمه الله تعالى .

الثاني : اختلف العلماء رحمهم الله تعالى ، في التكني بأبي القاسم على ثلاثة مذاهب : الاول : المنع مطلقاً سواء كان اسمه محمداً أم لا ، قال في « الفتح » : ثبت ذلك عن الشافعي رضي الله عنه ؛ قال الامام ابن القيم في كتابه « تحفة الودود » : روى البيهقي بسنده عن الربيع بن سليمان ، قال : سمعت الشافعي

(١) سورة الشورى ، الآية : ١١

يقول : لا يحمل لأحد أن يكني بأبي القاسم ، سواء كان اسمه محمداً أو غيره .
قال : وروي نحوه قوله هذا عن طاووس ، قال السبيلي : وكان ابن سيرين يكره
أن يكني أحداً أبا القاسم ، كان اسمه محمداً أو لم يكن .

الثاني : الجواز مطلقاً ، ويختص النهي بزمان حياته صلى الله عليه وسلم ،
واستدل لهذا بما أخرجه البخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وابن ماجه ،
وصححه الحاكم ، من حديث علي رضوان الله عليه ، قال : قلت يا رسول الله !
إن ولد لي من بعدك ولد أسميه باسمك وأكنيه بكنيتك ؟ قال : نعم .
وفي بعض طرقه قال محمد بن علي المعروف بابن الحنفية : فسأني محمداً ،
وكناني أبا القاسم .

وفي تاريخ ابن أبي خيثمة عن ابن الحنفية قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لملي رضي الله عنه : إنه سيولد لك بعددي ولد ، فسمه باسمي وكنه
بكنيتي ، فكانت رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لملي ، كذا قال .
قلت : الذي جزم به علماؤنا عدم كراهة التكني بأبي القاسم بعد موت
النبي ﷺ ؛ وإن كان في أصل المذهب ثلاث روايات ، ثالثها : الكراهة لمن
اسمه محمد فقط ، ولا يحرم خلافاً للشافعي كما في « الفروع » .

وتقل جنبل عن الامام ؛ لا يكنى به ، واحتج بالنهي فظاهره يحرم ،
ومنع سيدي الشيخ عبد القادر الجيلي في « غنيته » من الجمع ، وأن عن الامام
أحمد رواية تكره الكنية والتسمية باسم النبي ﷺ وكنيته ، جمعاً وانفراداً ،
قال في « الفروع » : ومراده انفراداً ، أي الكنية .

قال القاضي علاء الدين المرداوي في « تصحيح الفروع » : الصواب عدم كراهة
التكني بأبي القاسم مطلقاً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد وقع فعل
ذلك من الاعيان ، ورضاهم به يدل على الاباحة .

وفي « الهدي » ، لابن القيم : الصواب أن التكني بكنيته ممنوع ، والمنع في حياته أشد ، والجمع بينها ممنوع . انتهى . فظاهره التحريم ، والمذهب الإباحة ، وهذا مذهب مالك على أنه يباح بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم .

قال محمد بن زنجويه في كتاب « الأدب » : سألت ابن أبي أوس ، ما كان مالك يقول في الرجل يجمع بين كنية النبي صلى الله عليه وسلم واسمه ؟ فأشار إلى شيخ جالس معنا فقال : هذا محمد بن مالك ، سماه محمداً وكناه أبا القاسم ، وكان يقول : إنما ينهى عن ذلك في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، كراهية أن يدعى أحد باسمه أو كنيته ، فبلغت النبي صلى الله عليه وسلم ، فأما اليوم فلا بأس بذلك .

الثالث : المنع يختص عن اسمه محمد دون غيره ، وهذا لإحدى الروايات عن الإمام أحمد ؛ إلا أنها مرجوحة .

وبالمذهب الأول قال أهل الظاهر ، وبالغ بعضهم فقال : لا يجوز لأحد أن يسمى ابنه القاسم لئلا يكنى أبا القاسم ، ودليل هذا المذهب ما رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان ، من طريق أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه ، رفعه : من تسمى باسمي فلا يكنى بكنيتي ، ومن اكتنى بكنيتي فلا يتسم باسمي .

ورواه البخاري في « الأدب المفرد » ، ولفظه : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي . ورواه الترمذي ولفظه : إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يجمع بين اسمه وكنيته .

وأخرج الإمام أحمد ، وابن أبي شيبة من حديث أبي هريرة ، رفعه : لا تجمعوا بين اسمي وكنيتي .

وأخرج الطبراني من حديث محمد بن فضالة رضي الله عنه ، قال : قدم

النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا ابن اسبوعين ، فأني بي اليه فمسح على رأسي وقال : سموه باسمي ولا تكنوه بكنيتي .

والمعتمد من هذه المذاهب ، اختصاص النهي بالزمن النبوي ؛ لأن بعض الصحابة رضي الله عنهم سمى ابنه محمداً وكناه أبا القاسم ، منهم : طلحة ابن عبيد الله أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وقد جزم الطبراني أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي كناه ، وأخرج ذلك من طريق عيسى بن طلحة ، عن ظئر محمد ابن طلحة . وكذا يقال : أن كنية كل من الحمدين - ابن أبي بكر ، وابن سميد ابن أبي وقاص ، وابن جعفر بن أبي طالب ، وابن عبد الرحمن بن عوف ، وابن حاطب بن أبي بلتعة ، وابن الأشعث بن قيس - أبو القاسم . وإن آباءهم كنوهم بذلك ، قال القاضي عياض : وبه قال جمهور السلف والخلف وفقهاء الأمصار .

وأما ما أخرجه أبو داود من حديث عائشة رضي الله عنها ؛ أن امرأة قالت : يا رسول الله ! إني سميت ابني محمداً ، وكنيته أبا القاسم ، فذكر لي أنك تكره ذلك . فقال : ما الذي أحل أسمي وحرّم كنيتي ؟ فقد ذكر الطبراني في الأوسط ، أن محمد بن عمران الحجبي ، تفرد به عن صفية بنت شيبة عنها ، ومحمد المذكور مجهول . قال في الفتح ، وعلى تقدير أن يكون محفوظاً ؛ فلا دلالة فيه على الجواز مطلقاً ؛ لاحتمال أن يكون قبل النهي .

الثالث : سبب كراهة ذلك ؛ قال ابن القيم في تحفة الودود ، : وللكراهة

ثلاثة مأخذ :

أحدها : أعطى معنى الاسم أكبر من يصلح له ، وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه العلة بقوله : إنما أنا قاسم ؛ أقسم بينكم ، فهو ﷺ يقسم بينهم ما أمره به تبارك وتعالى بقسمته ، فلم يكن يقسم كقسمة الملوك الذين يعطون من شاؤوا ، محرمون من شاؤوا .

الثاني : خشية الالتباس وقت مخاطبة والدعوة ، وقد أشار الى هذه العلة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، قال : نادى رجل رجلاً بالقيس ، يا أبا القاسم ، فالتفت اليه رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! لم اعنك ، إنما دعوت فلانا . فقال ﷺ : تسموا باسمي ، ولا تكتنوا بكنتي . متفق عليه .

وتقدم الثالث : اختصاص النهي عن الاشتراك الواقع في الاسم والكنية ممّا ، فالعلة التمييز بالاسم والكنية ، فالمصلحة نفس الاختصاص ، والنهي مختص بالمشاركة في ذلك الاختصاص ، كما نهى أن ينقش أحد على خاتمه كنعشه .

قال ابن القيم في « تحفة الودود » بعد ذكره الطل الثلاثة : فعلى المأخذ الأول ، يمنع الرجل من الكنية في حياته ، وعلى المأخذ الثاني ؛ يختص المنع بحال حياته ، وعلى المأخذ الثالث ؛ يختص المنع بالجمع بين الكنية والاسم ، دون افراد أحدهما ، فالمنع في هذا الباب يدور على هذه المعاني الثلاثة . والله أعلم .

الرابع : تباح التسمية بمحمد وأحمد ، بل وسائر أسماء الأنبياء ، بل التسمية بمحمد لها مزية ، قال ابن عبد البر ، قال ابن القاسم ، قال مالك : سمعت أهل مكة يقولون : ما من أهل بيت فيهم اسم محمد ؛ إلا رزقوا ورزق خيراً ، وذكره ابن مفلح في « الفروع » هكذا .

وقال ابن القيم في « تحفة الودود » : اختلف في كراهة التسمية بأسماء الأنبياء على قولين : أحدهما ؛ أنه لا يكره . قال : وهذا قول الأكثرين وصوبه .

قال : والثاني يكره ، وحكى هذا المذهب الطبري ، وساق الطبري من طريق سالم بن أبي الجعد ؛ كتب عمر رضي الله عنه : لا تسموا أحداً باسمي ، واحتج لصاحب هذا القول بما أخرجه من طريق الحكم بن عطية ، عن ثابت ،

عن أنس رضي الله عنه ، رفعه ؛ يسمونهم **محمدًا** ، ثم يلعنونهم . وهو حديث ضيف ؛ أخرجه البزار وأبو يعلى أيضاً ، وسنده لين ، قال القاضي عياض : والاشبه أن عمر رضي الله عنه . لما فعل ذلك ، إعطاهما لاسم النبي **ﷺ** ، لئلا ينتهك . قال السهيلي في «الروض» ، كان من مذهب عمر بن الخطاب رضي الله عنه كراهة التسمي بأسماء الأنبياء . قال ابن القيم في «تحفة الودود» : وصاحب هذا القول ، قصد صيانة أسماهم عن الابتدال ، وما يمرض لها من سوء الخطاب عند الغضب وغيره ، وكان الامام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قد سمع رجلاً يقول لمحمد بن زيد بن الخطاب : يا محمد فعل الله بك وفعل ، فدعاه وقال : لا أرى رسول الله **ﷺ** يسب بك ، فغير اسمه .

وأخرج الامام أحمد ، والطبراني ، من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى ؛ نظر عمر رضي الله عنه الى ابن عبد الحميد - وكان اسمه محمداً - ورجل يقول له : فعل الله بك يا محمد ، فأرسل الى ابن زيد بن الخطاب . فقال : لا أرى رسول الله **ﷺ** يسب بك ، فسأه عبد الرحمن ، وأرسل الى بني طلحة - وهم سبعة - ليفرأساءهم ، فقال له محمد - وهو كبيرهم - : والله لقد ساءني النبي **ﷺ** محمداً ، فقال : قوموا ؛ فلا سبيل اليكم .

قال في «تحفة الودود» : وكان لطلحة عشرة من الولد ، كل منهم : اسم نبي ، وكان للزبير عشرة ، كلهم يسمى باسم شهيد ، فقال له طلحة : أنا سميتهم بأسماء الأنبياء ، وأنت سميتهم بأسماء الشهداء ؟ فقال له الزبير : فاني أطمع أن يكون بنيّ شهداء ، ولا تظلم أن يكون بنوك أنبياء .

والحاصل جواز التسمية بأسماء الانبياء ، ولا سيما بأسماء نبيينا محمد وأحمد صلى الله عليه وسلم .

وأما ما روي أن من اسمه محمد وأحمد له من الفضائل كذا وكذا ، وأن

من تسمى بمحمد وأحمد لم يدخل النار ؛ فهذا شيء موضوع لا أصل له ولا شيء من ذلك . وقد قال ابن القيم في « المنار المنيف » : هذا يناقض ما هو معلوم من دينه ﷺ ؛ اذ النار لا يحار منها بالاسماء والالقب ، وإنما النجاة منها بالإيمان والاعمال الصالحة ، والله ولي التوفيق .

الحديث الثاني عشر

٢٧ - ثنا سفيان ، عن ابن المنكدر ، سمع جابراً يقول :
ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق ،
فاتدب الزبير ، ثم ندب الناس ، فاتدب الزبير ، ثم ندب
الناس ، فاتدب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
ان لكل نبي حوارياً ، وحواريّ الزبير .

قال سفيان : سمعت ابن المنكدر في هذا المسجد .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينه (عن) محمد (بن المنكدر)
أنه (سمع جابراً) رضي الله عنه (يقول : ندب رسول الله ﷺ الناس) أي
دعاهم وحشهم وحرضهم (يوم الخندق) الذي خندق فيه رسول الله ﷺ ، عليه
وعلى أصحابه رضي الله عنهم ، بشور سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وكانت كما في
« الهدي » لابن القيم ، وتبعه الذهبي كما في « سيرة ابن اسحق » ، ومتابعيه سنة
خمس في شوال . قال في « الهدي » : هذا الاصح : قال الحافظ ابن حجر : هو
المحمّد ، وروى ابن عقبة عن الزهري ، والامام أحمد عن الامام مالك انها كانت

(١) وهو كتاب يبين فيه الحديث الضعيف ، وقد طبع أخيراً باسم « المنار » فقط .

سنة أربع ، وصححه النووي في « الروضة » وهو عجيب كما يئته في « شرح نويرة
الصرري » .

وكان الخندق بسطة ونحوها ، وكان سلج الجبل خلف ظهورهم ، والخندق
من الزاد الى ذباب الى راتج^(١) ، وكان قد عمل فيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه
رضي الله عنهم مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم ، ولم تكن العرب تخندق
عليها ، وإنما الذي أشار به سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال : يا رسول الله !
أنا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فاعجبه ذلك . فامرهم صلى
الله عليه وسلم بالجد ، ووعدهم النصر ان هم صبروا واثقوا ، وأمرهم بالطاعة ، قال
الواقدي : عمل المسلمون في الخندق حتى احكوه في ستة أيام ، وكذا قال ابن
سعد (فاقذب) أي أجابه صلى الله عليه وسلم لما نذب له ابو عبد الله (الزبير)
بضم الزاي وفتح الموحدة فثناه فراه ، مصفرا ، ابن العوام ، بن خويلد بضم
الخاء المعجمة . وفتح الواو ، ابن أسد بن عبد العزيز بن قصي القرشي الأسدي
المدني . أمه صفية بنت عبد المطلب ، عمه النبي صلى الله عليه وسلم ، أسلت
وهاجرت الى المدينة .

أسلم الزبير قديماً على يدي أبي بكر الصديق وهو ابن خمسة عشر سنة ،
وقيل: ستة عشر ، وكان إسلامه بعد اسلام الصديق بقليل . قيل: كان رابعاً أو
خامساً ، فمذبه عمه بالدخان ليترك الاسلام فلم يفعل ، وهو أحد العشرة المشهود لهم
بالجنة ، وهاجر الى الحبشة ثم الى المدينة ، وهو أول من سل سيفاً في سبيل الله ،
شهد المشاهد كلها (ثم نذب) النبي ﷺ (الناس) يوم احزاب فقال : من يأتينا بخبر
القوم ؟ (فاقذب) أي أجاب ﷺ (الزبير) بن العوام فقال : أنا (ثم نذب)

(١) قوله من الزاد ، هو أطم لبني حرام غربي مساجد الفتح . وذباب كقرباب

وكتاب ، اسم جبل بالمدينة . وراتج ، اسم أطم ايضاً . المؤلف

النبي ﷺ (الناس) ثالثاً فلم يحبه أحد (فانتدب) ، أي أجابه ﷺ ثالثاً (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد الثالثة : (ان لكل نبي) من أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام (حوارياً) ، أي ناصرأ ينصره (وحواري) أي ناصري (الزبير) رضي الله عنه .

قال في « المطالع » : معنى الحواري : الناصر ، وقيل : الخالص ، وقيل : الحواريون : المجاهدون ؛ وقيل : أصحاب الأنبياء ، وقيل : الذين يصلحون للخلافة بعده ، حكاه الحربي عن قتادة ، وقيل : الاخلاء ، حكاه السلمي . هذا كله في حواري رسول الله ﷺ .

وأما في أصحاب عيسى عليه السلام ، ف قيل : انهم كانوا قصارين ، لأنهم يبيعون الثياب ، وكانوا أولاً قصارين ، وقيل : صيادين ، وقيل : الحواريون : الملوك ، فتصح في الزبير رضي الله عنه صجبة النبي ﷺ ، ونصرته ، واختصاصه ، واخلاصه له ، وقيل : المفضل عندي كفضل الحواري في الطعام . وكان ابن عمر رضي الله عنهما يذهب الى أنه اسم مختص بالزبير دون غيره ، لتخصيصه ﷺ له به دون غيره . وهذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه ، رواه الشيخان ، والترمذي ، من حديث جابر رضي الله عنه ، ولفظه : قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينا بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال في الثالثة : ان لكل نبي حوارياً ، وإن حواري : الزبير . وفي لفظ لهم ؛ ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ثلاثاً ، فذكره .

وفي « الصحيحين » ، والترمذي من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، قال : كنت يوم الاحزاب جملت أنا وعمر بن أبي سلمة مع النساء ، يعني نسوة النبي صلى الله عليه وسلم ، في أطعم حسان بن ثابت ، فنظرت ، فاذا أنا بالزبير على

فرسه يختلف الى بني قريظة ، فلما رجعت قلت : يا ابيه رأيتك مختلف ، قال وهل رأيتني يا بني ؟ قلت : نعم . قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم ؟ فانطلقت ، فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وآله أبويه فقال : فذاك أبي وأمي .

وفي رواية : في أطم حسان فكان يطأطى لي مرة فأنظر ، واطأطى له مرة فينظر .

وأخرج منه الترمذي قال : جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه يوم قريظة فقال : بأبي وأمي . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وشهد الزبير رضي الله عنه اليرموك ، وفتح مصر . وكثرة ماله ، وسعة تركته مشهور ، وكان - رضي الله عنه - عليه يوم بدر ربيعة صفراء (١) متعجراً بها وهو على الميمنة ، فنزلت الملائكة على سيماه ، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد ، وبايع النبي ﷺ على الموت ، وفي « صفوة الصفوة » لابن الجوزي قال أبو الاسود : أسلم الزبير وهو ابن ثمانين سنين ، وهاجر وهو ابن ثمانين عشرة ، وكان عمه يسلقه في حصير ويدخن عليه بالنار ويقول : ارجع الى الكفر ، فيقول : لا أكفر أبداً . وقال نهبك : كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة فكان يقسمه كل ليلة ، ثم يقوم الى منزله ليس معه منه شيء .

قال ابن الأثير في « جامع الاصول » : كان الزبير أبيض طويلاً ، ويقال : لم يكن بالطويل ولا بالقصير ، يميل الى الخفة في اللحم . ويقال : كان أسمر خفيف العارضين .

(١) قوله : ربيعة صفراء ، قال ابن قرقول في « المطالع » : الربيعة كل ثوب يكون لفتين ، وكل ثوب رقيق ، قال واكثر كلام العرب : ربيعة ، ولم يميز البصريون ربيعة ، وأجازها أهل الكوفة « المؤلف » .

قال البرماوي وغيره : وكان يوم الجمل قد ترك القتال وانصرف ، فلحقه جماعة من النواة فقتلوه بوادي السباع بناحية البصرة . وفي « جامع الاصول » لابن الاثير ؛ ان الذي قتله عمير بن جرموز بسفوان من أرض البصرة ، سنة ستة ومئتين ، وله أربع وستون سنة ، وقيل : ستون ، وقيل : بضع وخمسون . قال : ودفن بوادي السباع ، ثم حول الى البصرة وقبره مشهور بها ، ومناقبه كثيرة ، ومآثره شهيرة ، وفضائله غزيرة رضي الله تعالى عنه .

(قال سفيان) ابن عيينة رحمه الله تعالى ورضي عنه (سمعت) محمد (بن المنكدر) رحمه الله ورضي عنه (في هذا المسجد) قال ذلك فقياً لا توهمه الضمننة من الدلسة ، وبالله التوفيق .

الحديث الثالث عشر

٢٨ — ثنا سفيان ، قال : انبأنا ابن المنكدر ، أنه سمع جابراً يقول : مرضت فأتاني النبي ﷺ يمودني هو وأبو بكر ماشيين ، وقد أغمى عليّ فلم أكلمه ، فتوضأ فصبّه عليّ ، فأفقت ، فقلت :

يا رسول الله ! كيف أصنع في مالي ولي أخوات ، قال : فزلت آية الميراث : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة » .
كان ليس له ولد وله أخوات .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال : أنبأنا) محمد (ابن المنكر) وهذه الصيغة ، يعني أنبأنا ، الرابعة من صيغ الاداء ؛ لأن صيغ الاداء على ثمان مراتب : الاولى ؛ سمعت وحدثني ، الثانية ؛ أخبرني وقرأت عليه ، الثالثة ؛ قرأ عليه وأنا أسمع ، الرابعة ؛ أنبأني ، الخامسة ؛ ناواني ، السادسة ؛ شافني ، أي بالاجازة ، السابعة ؛ كتب إلي بالاجازة . ثم عن ونحوها من الصيغ المحتملة للسامع والاجازة ، ولعدم السماع أيضاً . وهذا مثل ؛ قال ، وذكر ، وروى كما في د النخبة وشرحها ، للحافظ ابن حجر ، وقال فيها أيضاً : الانباء من من حيث اللغة واصطلاح المتقدمين ؛ بمعنى الاخبار ، وأما في عرف المتأخرين ؛ فهو للاجازة ، فافهم انها من المتقدمين في رتبة أخبارنا ، والله أعلم . (أنه) ، أي ابن المنكر (سمع جابراً) رضي الله عنه (يقول : مرضت) مرة (فأناني النبي ﷺ بمودني هو) ﷺ (وأبو بكر) عبد الله بن عثمان ، أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة . قيل : كان اسمه عبد الكعبة ، فسماه النبي ﷺ عبد الله ، وانما سمي عتيقاً لقول النبي ﷺ : من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر ، وقيل : سمته به أمه ، وقيل : سمي به لجمال وجهه . وأمّه أم الخير سلمى بنت صخر ، بنت عم أبيه ، ماتت هي وأبوه مسلمين رضوان الله عليهم .

شهد الصديق مع النبي ﷺ المشاهد كلها ، وكان خصباً به فلم يفارقه في جاهلية ولا اسلام ، وهو أول الرجال إسلاماً ، وأسلم على يده عثمان بن عفان ، طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، وخلائق لا يحصيهم إلا الله ، وهو خليفة رسول الله ﷺ ورضي عن الصديق ، تولى الخلافة يوم الثلاثاء ثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة احدى عشر ، وهو ثاني يوم مات النبي صلى عليه وسلم . وكان مولده

بمكة بعد القيل بستين وأربعة أشهر إلا أياماً . ومات بالمدينة ليلة الثلاثاء ثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بين المغرب والشاء ، وله ثلاث وستون سنة ، وأوصى أن تفسله زوجته أسماء بنت عميس ففسلته ، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، ودفن بالحجرة الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت خلافته ستين وأربعة أشهر . يجمع نسبه مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب . روى عنه عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عباس ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وأنس بن مالك ، وابو هريرة ، والبراء بن عازب ، وزيد بن ثابت ، وعائشة ، وقيس بن أبي حازم ، وغير هؤلاء من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

ومناقب الصديق لا تحصى ، وفضائله لا تستقصى ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة حديث واثان وأربعون حديثاً ، اتفق البخاري ومسلم منها على ستة أحاديث ، وانفرد البخاري بأحد عشر ، ومسلم بحديث واحد . وانما قل أخذ الحديث عنه لقلة مدته بعد النبي ﷺ مع وفور الصحابة رضي الله عنه وعنهم أجمعين . حال كون النبي صلى الله عليه وسلم وصيقه الأعظم في عيادتهم^(١) لجابر رضي الله عنه في مرضه (ماشين) أصل العيادة الزيارة مرة بعد أخرى ، فكل من أتاك مرة بعد أخرى فهو عائد وان اشتهر ذلك في عيادة المريض حتى كأنه مختص به ، وقد تكررت الأحاديث في عيادة المريض وفضائلها والمثني اليها ، وصرح في « الاقناع » من كتب المذهب ، عن ابن حمدان من علمائنا ؛ أن عيادة المريض فرض كفاية . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : الذي يقتضيه النص وجوب ذلك ، واختاره جمع . وترجم البخاري في « صحيحه » باب وجوب عيادة المريض جزم بالوجوب على ظاهر الأمر ، والمراد مرة ، وظاهره ولو من وجع خرس ورمد ودمل ، خلافاً لأبي المعالي ابن المنجا من علمائنا . وفي

(١) في الاصل : اعادتهم . ولم نر هذا الاستعمال ، وقد تكرر في غير هذا الموضع ، فأبدلناه بعبارة

« الفروع » يستحب ذكر الموت والاستعداد له ، وكذا عيادة المريض وفقاً للاتمة الثلاثة قال : وأوجب أبو الفرج ، بني الشيرازي من أئمة المذهب ، وبعض العلماء عيادته ، والمراد مرة ، واختاره الآجري . وفي أواخر « الرعاية » فرض كفاية ؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : حق المسلم على المسلم خمس ، فذكر منها عيادة المريض . متفق عليه . ووقع في رواية مسلم ، خمس تجب للمسلم على المسلم ، فذكرها منها . قال ابن بطلال : يحتمل أن يكون الأمر على الوجوب بمعنى الكفاية ، كاطعام الجائع وفك الأسير ، ويحتمل أن يكون للندب ، للبحث على التواصل والالفة . وجزم الداودي بالأول ، فقال : هي فرض يحمله بعض الناس عن بعض . وقال الجمهور : هي في الأصل ندب ، وقد تصل إلى الوجوب في حق بعض دون بعض .

وعن الطبري : يتأكد في حق من رجي بركنه ، وتسبب فيمن يراعى حاله ، وتباح في ما عدا ذلك .

وفي الكافر خلاف المذهب ، المنع منها ، قال ابن بطلال : إنما تشرع عيادة الكافر إذا رجي إسلامه ، فأما إذا لم يطمع في ذلك فلا . انتهى . واستظهر الحافظ ابن حجر في « الفتح » أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد ، فقد يقع ببيادته مصلحة أخرى . قال الماوردي : عيادة الذي جائز ، والقربة موقوفة على نوع حرمة تقترب بها من جوار أو قرابة . وظاهر ما نقله في « الفروع » عن صاحب « المحرر » جواز عيادة الذي ، فإنه قال : ظاهر كلام الإمام أحمد والاصحاب عدم جواز عيادة المتبدع سواء كفر ببدعته أو لا . قال في « المحرر » : وأما الذي فتجوز إجابة دعوته ، وترد التحية عليه إذا سلم ، ويجوز قصده للبيع والشراء ، فجازت عيادته وتمزيته كالمسلم ، وعكسه من حكم بكفره من أهل البدع ، لوجوب هجره . قال القاضي : ولم نهجر أهل الذمة لأننا عقدناها

مهم لمصلحة: بأخذ الجزية ، ولا أهل الحرب للضرر بتركه البيع والشراء ،
وأما المرتدون فإن الصحابة رضي الله عنهم باينوم بالقتال ، وأي هجر أعظم من
هذا ؟ ! ومعمد المذهب عدم جواز عيادة الكافر والمبتدع ، والله الموفق .
وقد قلل النووي الاجماع على عدم وجوب عيادة المريض ، يعني على
الاعيان ، كذا في « الفتح » ، وفي « الفروع » ، مانعه ؛ وفي « شرح مسلم » :
عيادة المريض سنة بالاجماع ، قال في « الفروع » : كذا قال وسواء فيه من يعرفه
ومن لا يعرفه ، والقريب والاجني ، واختلف العلماء في الاوكد والافضل
منها ، كذا قال ، يعني النووي . قال في « الفروع » : ويتوجه أن القريب
أولى . انتهى .

تتمة : في ذكر طرف من الأحاديث الواردة في عيادة المريض
وفضلها .

في « الصحيحين » ، و « سنن أبي داود » و « ابن ماجة » وغيرهما من
حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : حق المسلم على
المسلم خمس ؛ رد السلام ، وعيادة المريض ، واتباع الجنائز ، واجابة الدعوة ،
وتشميت العاطس .

وفي « مسلم » ، حق المسلم على المسلم ست ، فزاد : واذا استنصحك فانصح
له . ورواه الترمذي .

وأخرج الامام أحمد والبخاري وابن حبان في « صحيحه » عن أبي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : عودوا المرضى ، واتبوا
الجنائز تذكركم الآخرة .

وروى الامام أحمد ، والطبراني ، وأبو يعلى ، وابن خزيمة ، وابن حبان ،
في « صحيحها » عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

خمس من فعل واحدة منهم كان ضامناً على الله عز وجل ؛ من عاد مريضاً ، أو خرج مع جنازة ، أو خرج غازياً ، أو دخل على إمام يريد تعزيره وتوقيره ، أو قدم في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس . وروى أبو داود نحوه من حديث أبي أمامة .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن ماجه واللفظ له ، وابن حبان في « صحيحه » ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء طبت ، وطاب لمشاك ، وتبوات من الجنة منزلاً .

وروى الامام أحمد ، ومسلم واللفظ له ، والترمذي ، عن ثوبان رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أن المسلم اذا عاد أخاه المسلم لم يزل في خرقعة الجنة حتى يرجع . قيل : يا رسول الله ! وما خرقعة الجنة ؟ قال : جناها . قال الحافظ المنذري : خرقعة الجنة - بضم الخاء المعجمة ، وبمدها راء ساكنة - : هو ما يخترف من نخلها ، أي يجتنى .

وروى أبو داود عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من توضع فأحسن الوضوء ، وعاد أخاه المسلم محتسباً بُوعِدَ من جهنم سبعين خريفاً ، فقيل : يا أبا حمزة ! ما الخريف ؟ قال : المام .

وروى الترمذي وحسنه ، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما من مسلم يموت مسلماً غداة إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي ، وإن عاد عشية صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه أبو داود موقوفاً على علي رضوان الله عليه ، ثم قال : وأسند هذا عن علي من غير وجه صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم رواه مسنداً بمعناه . ولفظ الموقوف : ما من رجل يموت مريضاً ممسياً إلا خرج معه سبعون

ألف ملك يستنفرون له حتى يصبح ، وكان له خريف في الجنة . ومن أتاه مصباحاً خرج معه سبعون ألف ملك يستنفرون له حتى يمسي ، وكان له خريف في الجنة .

ورواه بنحو هذا الامام أحمد ، وابن ماجة مرفوعاً ، وزاد في أوله : إذا عاد المسلم أخاه مشى في خرافة الجنة حتى يجلس ، فإذا جلس غمرته الرحمة . الحديث . وليس عندهما ؛ وكان له خريف في الجنة . ورواه ابن حبان والحاكم بنحوه .

قوله : في خرافة الجنة ، بكسر الخاء الموحدة ، أي في اجتناء نمر الجنة . يقال : خرفت الجنة ، أخرفها ، فشبه ما يحوزه عائد المريض من الثواب ، بما يحوزه المحترف من الثمر كما قال ابن الأنباري .

وروى الامام مالك بلاغاً ، والامام أحمد مسنداً عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : من عاد مريضاً لم يزل يحوض في الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها . ورواه البزار وابن حبان في « صحيحه » وكذا رواه الطبراني من حديث أبي هريرة بنحوه ، ورواه ثقات . وروى الامام أحمد باسناد حسن ، والطبراني في « الكبير » و « الاوسط » عن كعب بن مالك رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من عاد مريضاً خاض في الرحمة ، فإذا جلس عنده استنقع فيها .

ورواه الطبراني أيضاً فيها من حديث عمرو بن حزم رضي الله عنه . وزاد ؛ وإذا قام من عنده فلا يزال يحوض فيها حتى يرجع من حيث خرج . واستأذنه الى الحسن أقرب ، والله الموفق .

قال جابر رضي الله عنه (وقد أغمى علي) الواو للحال ، والجملة حالية ، (فلم أكلمه) صلى الله عليه وسلم لعدم شموري به .

وفي رواية في «الصحيحين» عن جابر رضي الله عنه قال : عاذني رسول الله ﷺ ، وأبو بكر في بني سلمة يمشيان ، فوجدني لا أعقل . زاد في رواية الكشميهني من «صحيح البخاري» شيئاً . ففي هذا مشروعية عيادة المريض ولو كان لا يدرك شيئاً لشدة المرض . والاعماء : هو غشي يصيب الانسان تمنطل معه قوته الحساسة . وقد ترجم البخاري له في «صحيحه» ، باب : عيادة المغمى عليه . قال ابن المنير : فائدة الترجمة : أن لا يعتد أن عيادة المغمى عليه ساقطة الفائدة لكونه لا يعلم بمأثده . لكن ليس في حديث جابر التصريح بأنها علما أنه مغمى عليه قبل عيادته ، فلمله وافق حضورهما . واستظهر في «الفتح» من السياق ، وقوع ذلك حال مجيئها ، وقبل دخولها عليه ، ومجرد علم المريض بمأثده لا توقف مشروعية العيادة عليه ، لأن وراء ذلك جبر خاطر أهله ، وما يرجي من بركة دعاء السائد ووضع يده على المريض ، والمسح على جسده ، والنفث عليه عند التعميد ، الى غير ذلك من المصالح (فتوضاً) النبي ﷺ (فصبه) أي صب الماء الذي توضأ به ﷺ (فأفقت) من اغمائي ، وهو من أفاق يفيق ، اذا انتعش من مرضه ، أو صحا من اغمائه ، أو ثاب اليه عقله من بمد أن كان غير ذي عقل ، أو انتبه من نومه . ومنه في حديث موسى عليه السلام : فلا أدري أفاق قبلي أم أفاق من غشيتي . وفي لفظ : ثم رش علي ، أي من الماء الذي توضأ به ، وقد صرح في «الاعتصام» من «صحيح البخاري» ، بأنه صب عليه نفس الماء الذي توضأ به . وفي عيادة المريض : فتوضأ النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم صب وضوءه عليّ ، وفي لفظ عند أبي داود : فنفضني وجهي فأفقت .

وهذا يدل على أن الماء المستعمل في رفع الحدث طاهر ، وهو قول الجمهور ، وقال أصحاب أبي حنيفة : نجس . ولنا على طهارته حديث جابر هذا ، وهو متفق عليه .

ومنها حديث السائب بن يزيد رضي الله عنه ، قال : ذهبت بي خالتي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! ان ابن اخي وجع ، فمسح رأسي ، ودعاني بالبركة ، ثم توضأ فشربت من وضوئه ، ثم قمت خلف ظهره فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه مثل زر الحجلة . متفق عليه أيضاً .

ومنها عن المسور بن مخرمة رضي الله عنه ، ذكر في حديث صلح الحديبية ، قال : فوافقه ما يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه . رواه البخاري .
ومنها عن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال : أتيت النبي ﷺ بالابطح وهو في قبة له ، فخرج بلال بفضل وضوئه فبين ناضح ونائل ، رواه الامام أحمد واللفظ له .

ورواه البخاري ومسلم من حديث شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا جحيفة يقول : توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل الناس يأخذون فضل وضوئه .

قلت : وطهارة الماء المستعمل في رفع الحدث لا يكاد يسوغ فيها خلاف ، لأنه مما تتوفر الدواعي اليه ، فلو كان نجساً لما ساغ عدم بيانه .

وفي بعض روايات حديث جابر كما في « المسند » و « الصحيحين » ، قال : جاء رسول الله ﷺ يمدني وأنا مريض لا أعقل ، فتوضأ وصب وضوءه علي فمقلت (فقلت : يا رسول الله كيف أصنع في مالي ؟) وفي لفظ : ما تأمرني أن أصنع في مالي ؟ وفي رواية شعبة في « الصحيحين » وغيرها : لمن الميراث ؟ إنما يرثي كلاله (ولي أخوات) سبع ، أو تسع كما في « الصحيح » وغيره ، قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن (قال) جابر رضي الله عنه : فلم يرد علي شيئاً ،

(فنزلت) وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها . حتى نزلت (آية الميراث) وهي قوله تعالى : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »^(١) ، وفي لفظ ، فقلت : يا رسول الله ! إنما يرثي كلالة ، فنزلت آية الميراث . قال شعبه : فقلت لحمد ابن المنكدر : « يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة »^(١) هكذا أنزلت .

وأما ما في « الصحيحين » : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »^(٢) كما في رواية ابن خديج ، فقد قيل : انه وهم في ذلك ، وان الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه الآية الأخيرة من النساء وهي : « يستفتونك ، الآية ؛ لأن جابر أ (كان) يومئذ (ليس له ولد) ولا والد (و) إنما (له أخوات) والكلالة : من لا ولد له ولا والد . وقد ذكر البخاري في بعض طرقه ما يشمر بأن قوله : فنزلت « يوصيكم الله في أولادكم » مدرجة من كلام ابن عيينة . قال في « الفتح » : وقد أخرجه الامام أحمد ، عن ابن عيينة ، وزاد في آخره . كان ليس له ولد وله أخوات . قال : وهذا من كلام ابن عيينة أيضاً . قال في « الفتح » : وقد اضطرب في تعيين الآية ، فأخرجه ابن خزيمة بلفظ : حتى نزلت آية الميراث : « ان أمرؤ هلك ليس له ولد »^(١) وقال مرة : حتى نزلت آية الكلالة . وأخرجه عبد بن حميد ، والترمذي ، حتى نزلت : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين »^(٢) .

قال في « الفتح » : وأما قوله تعالى : (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة)^(١) فمن آخر ما نزل ، وان الكلالة لما كانت بمحلة في آية الموارث ، استفوتوا عنها فنزلت الآية الأخيرة .

(١) سورة النساء ، الآية : ١٧٦

(٢) سورة النساء ، الآية : ١١

ومنى يستفتونك ؛ أي يطلبون الفتيا والفتوى ؛ فيها معنى واحد ، أي جواب السؤال عن الحادثة التي تشكل على السائل . وهي مشتقة من الفتى ، ومنه الفتى وهو الشاب القوي . والكلالة : من لم يرثه أب ولا ابن ، وهذا قول أبي بكر الصديق كما أخرجه ابن أبي شيبة عنه ، وهو قول جمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، قال عمرو بن شرحبيل : ما رأيتهم إلا تواطؤوا على ذلك . وعمرو بن شرحبيل هو أبو ميسرة من كبار التابعين ، وشهرته بكنيته أكثر من اسمه . وفي الكلالة أقوال ، وما ذكرناه هو الصحيح والله التوفيق .

تمة في ذكر شيء من آداب عيادة المريض

ينبغي أن تكون من أول المرض ، لحديث : إذا مرض فمده . وقيل : بعد ثلاثة أيام ، لقوله عليه الصلاة والسلام . رواه ابن ماجة بإسناد ضعيف من حديث أنس ، ورواه البيهقي أيضاً ، ولفظه : كان النبي ﷺ لا يعود مريضاً إلا بعد ثلاث ، وهو حديث ضعيف تفرد به سلمة بن علي وهو متروك ، وقال أبو حاتم : حديث باطل ، والطبراني في « الأوسط » عن ابن عباس مرفوعاً ؛ العيادة بعد ثلاث سنة ، وقال الأعمش : كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثاً أيام سألنا عنه ، فإن كان مريضاً عدناه .

وأما حديث أبي هريرة مرفوعاً ؛ لا يعاد المريض إلا بعد ثلاث ، فذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، واعترض عليه السيوطي بأن ما ذكرناه من الشواهد ينفي عنه الوضع .

وينبغي أن تكون طرفي النهار بكرة وعشياً ، وتكره وسط النهار ، قال الامام أحمد عن قرب وسط النهار : ليس هذا وقت عيادة ، ونص على أنها تكون في رمضان ليلاً ، لأنه ربما رأى من المريض ما يضعفه ، ولأنه أرفق

بالعائد ، ومن الغريب ما نقله ابن الصلاح عن بعض العلماء أن العيادة تستحب في الشتاء ليلاً وفي الصيف نهاراً ، ولعل الحكمة في ذلك أن المريض يتضرر بطول الليل في الشتاء ويطول النهار في الصيف ، فيحصل له بالعيادة نوع استرواح ، ولم أر ذلك في كلام علمائنا .

وتكون غبا ، يوماً ويوماً ، قال في « الاقناع » ، قال جماعة : وينب بها ، وجزم بها في « المنتهى » ، وفي « الفروع » مثله ، ثم قال : وظاهر اطلاق جماعة خلافه ، ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، والعمل بالقرائن وظاهر الحال ، ومرادهم في الجملة ، وهي تشبه الزيارة ، وهذا اختيار الناظم ، لكن قال الحسن : الغب في الزيارة في كل اسبوع مرة ؛ زرغباً تزدد حباً . انتهى .

وحديث : زرغباً تزدد حباً ، رواه البزار والبيهقي من حديث أبي ذر ، وهما والطبراني من حديث أبي هريرة ، والطبراني والحاكم في « المستدرک » من طريق حبيب بن مسلم الفهري ، والطبراني عن ابن عمر ، وابن عمرو ، والدارقطني من حديث عائشة رضي الله عنهم ، وكثرة طرقه تكسبه قوة يبلغ بها درجة الحسن .

وفي حديث : اغبوا في عيادة المريض . أي لا تعودوه في كل يوم لما يجد من ثقل المواد . ذكره ابن الأثير في « النهاية » . وفي « الفروع » ذكر ابن الصيرفي الحراي في « نوادره » الشمر المشهور :

لا تضجرنَّ عليلاً في مسألة	إن العيادة يوم بين يومين
بل سلّه عن حاله وادعوا الآلة له	واجلس بقدر فواق بين حليين
من زار غباً أخاً دامت مودته	وكان ذاك صلاحاً للخطيلين

قال في « الفروع » : ويتوجه اختلافه باختلاف الناس ، فإن من المرضى من يؤثر تطويل بعض الناس عنده ، ويجب تخفيف بعضهم ، ومنهم من يؤثر

التخفيف مطلقاً ، ومنهم من يؤثر التطويل ، فعلى العائد أن يراعي حال المريض ،
فيفعل الذي يحبه ويؤثره ، فإن كان يؤثر تطويله عنده وزيارته له كل يوم فلا
يكره له ذلك ، بل يندب والله أعلم .

وينبغي أن يضع يده على المريض ، ويدعو له بالصلاح والنافعة ، قالت
عائشة رضي الله عنها : كان ﷺ إذا عاد مريضاً مسح يمينه وقال : أذهب
البأس رب الناس ، واشف أنت الشافي ، لا شفاء إلا شفاؤك ، شفاء لا يضادر
سقما . متفق عليه .

وللامام أحمد ، وأبي داود وغيرهما ، عن ابن عباس مرفوعاً : ما من مسلم
يمود مريضاً لم يحضر أجله ، فيقول سبع مرات : أسأل الله العظيم رب العرش
المعظم أن يشفيك ، إلا عوفي .

وفي « فنون ابن عقيل » رحمه الله تعالى ، إن سألك وضع يدك على رأسه
للتشفي ، فجدد توبة ، لعله يتحقق ظنه فيك . وقبيح تعاطيك ما ليس لك ، وإهمال
هذا وأمثاله يعمي القلوب ، ويخمر العيوب ، ويمود بالرياء .

وفي « المسند » و « سنن الترمذي » ، و « شعب البيهقي » من حديث أبي
أمامة ، والطبراني من حديث أبي هريرة ، وابن ماجه من حديث عائشة ،
والبيهقي من حديث جابر ؛ أن من تمام الميادة أن تضع يدك على المريض . ولم
يصب ابن الجوزي في ذكره له في « الموضوعات » .

وفي خبر ضعيف : إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في أجله . وفي آخر
من رواية ميمون بن مهران ، عن عمر ، ولم يدركه ، مرفوعاً : سلوه الدعاء ،
فإن دعاءه كدعاء الملائكة . رواه ابن ماجه وغيره .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : الامراض تمحيص الذنوب ، وقال لمريض
تمائل : بهنيك الطهور .

وقد روي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً ؛ داووا مرضاكم بالصدقة ، وحسنوا أموالكم بالزكاة ، وأعدوا للبلاء الدعاء . والحديث وإن كان في سنده من روي بالكذب ، فقد عمل به جماعة من علمائنا وغيرهم ، وهو حسن ومناه صحيح . والله الموفق .

الحديث الرابع عشر

٢٩ - ثنا سفيان ، قال : سمعت ابن المنكدر غير مرة يقول : عن جابر ، وكأني سمعته مرة يقول : أخبرني من سمع جابراً ، فظننته سمعه من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر : أن النبي ﷺ أكل لحماً مشوياً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن أبا بكر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ ، وإن عمر أكل لحماً ثم صلى ولم يتوضأ .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (قال سمعت) محمد (بن المنكدر غير مرة) واحدة ، بل مرات متعددة (يقول عن جابر) بن عبد الله رضي الله عنها ، قال سفيان : (وكأني سمعته مرة) واحدة (يقول : أخبرني من سمع جابراً) رضي الله عنه ، فشك سفيان أن محمد بن المنكدر أثبت بينه وبين جابر واسطة مرة واحدة في تحديثه له بهذا الحديث ، قال سفيان رحمه الله ورضي عنه : (فظننته) الضمير يعود على محمد بن المنكدر (سمعه) أي الحديث الآتي : (من عبد الله بن محمد بن عقيل بن المنكدر ، وعبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر)

رضي الله عنه ، وحاصله ، ان محمد بن المنكدر حدث به ، نارة عن سماعة من جابر
 الا واسطة ، ونارة اثبت الواسطة ، وكان الشيخين لم يخرجوا هذا الحديث من هذا
 وجه لهذا الاضطراب ؛ مع انه غير قادح في صحة الحديث (ان النبي ﷺ أكل
 لحما) مشويا ومطبوخا (ثم صلى) بعد أكله من اللحم (ولم يتوضأ) من أكله
 لحما الذي مسته النار (وان أبا بكر) الصديق خليفته على التحقيق (أكل لحما
 ثم صلى ولم يتوضأ) من ذلك (وان عمر) الفاروق ، أمير المؤمنين ، مؤدي
 الحقوق (أكل لحما ثم صلى ولم يتوضأ) .

وروى الامام أحمد أيضاً ، من حديث جابر رضي الله عنه أيضاً ، قال :
 أكلت مع النبي ﷺ ، ومع أبي بكر وعمر خبزاً ولحماً ، فصلوا ولم يتوضؤوا .
 وعن جابر رضي الله عنه أيضاً قال : كان آخر الأمرين من رسول الله
 ﷺ ترك الوضوء مما مسته النار . رواه أبو داود والنسائي وغيرهما ، وهو
 حديث صحيح .

وفي «البخاري» : أكل أبو بكر وعمر وعثمان لحماً ولم يتوضؤوا .
 وفي «الصحيحين» وغيرهما ، عن ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها ،
 قالت : أكل النبي ﷺ كنف شاة ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ .
 وفيها عن عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه ، قال : رأيت رسول الله
 ﷺ يحترق من كنف شاة ؛ فأكل منها ، فدعي الى الصلاة ، فقام وطرح
 السكين وصلى ولم يتوضأ . وقال البخاري : من كنف شاة ، فألقاها وألقى السكين .
 وفي «مسلم» عن أبي رافع رضي الله عنه ، قال : أشهد لكنت أشوي
 لرسول الله ﷺ بطن الشاة ، ثم صلى ولم يتوضأ .

وفي «الصحيحين» من حديث ابن عباس رضي الله عنها ، أن رسول الله
 ﷺ أكل كنف شاة ثم صلى ولم يتوضأ . زاد مسلم في طريق آخر ؛ ولم يمس

ماء . وفي بعض ألفاظ هذا الحديث ؛ تمرق رسول الله ﷺ كنفًا ، وفي آخر
امتثل النبي ﷺ عرفًا من قدر .

وفيها عنه ؛ أن رسول الله ﷺ ، جمع ثيابه ، ثم خرج الى الصلاة ،
فأتى بهدية خبز ولحم ، فأكل ثلاث لقم ، ثم صلى بالناس وما مس ماء . ولفظ
البخاري : ولم يتوضأ .

وأخرج عن جابر رضي الله عنه ؛ أنه سأله سمع بن الحارث عن الوضوء
مما مست النار ، فقال : لا ، قد كنا زمان رسول الله ﷺ لا نجد مثل ذلك من
الطعام إلا قليلا ، فإذا نحن وجدناه ، لم تكن لنا مناديل ، إلا أكفنا وسواعدنا
وأقدامنا ، ثم نصلي ولم نتوضأ .

وقد ورد الأمر بالوضوء مما مسته النار ، فروى الامام أحمد ، ومسلم ،
والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : توضؤوا مما مست النار .

وعن زيد بن ثابت مثله مرفوعاً ، رواه أيضاً وأفظه : الوضوء مما
مست النار .

ومثل حديث أبي هريرة ، روي عن عائشة ؛ رواه الامام أحمد ، ومسلم ،
وغيرهما .

فذهب الجمهور من السلف ، عدم نقض الوضوء ، ووجوب الطهارة ؛
بأكل ما مسته النار ، وهذا مذهب أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعبدالله
ابن مسعود ، وأبي الدراء ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ابن مالك ، وجابر ابن
عبدالله ، وابن سمرة ، وزيد بن ثابت ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ،
وذهب اليه جماهير التابعين ، وهو مذهب الاثنية الأربعة ، وإسحاق بن راهوية ،
وأبي ثور ، وأبي خيثمة ، وغيرهم .

وذهبت طائفة الى وجوب الوضوء الشرعي ، بأكل ما مسته النار ، وهو مروي عن عمر بن عبد العزيز ، والحسن البصري ، والزهري ، وأبي قلابة ، وأبي مجاز ، واحتجوا بما تقدم من الأحاديث . وحجة الجمهور ، ما قدمنا من الأحاديث بترك الوضوء مما مسته النار . وأجابوا عما تعلقوا به من الأحاديث بجوابين :

أحدهما : أنه منسوخ ، والدليل على نسخه حديث جابر رضي الله عنه ، كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، ترك الوضوء مما مسته النار . وهو صحيح صريح في المقصود .

الثاني : أن المراد بالوضوء هنا ؛ غسل الفم والكفين . ثم إن هذا الخلاف كان في الصدر الأول ، وأما الآن فقد أجمع العلماء على عدم الوجوب . وبالله التوفيق .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : لم يحى الوضوء في كلام النبي ﷺ إلا والمراد به الوضوء الشرعي ، ولم يرد لفظ الوضوء بمعنى غسل اليد والفم ؛ إلا في لغة اليهود . كما روي ؛ أن سلمان الفارسي رضي الله عنه ، قال للنبي ﷺ : إنا نجد في التوراة ؛ أن من بركة الطعام الوضوء قبله ، فقال ﷺ : من بركة الطعام الوضوء قبله ، والوضوء بعده .

فروع : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه ، نقض الوضوء بأكل لحم الابل ولونيناً ، خلافاً لثلاثة ، والحجة في ذلك لنا ؛ حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه ، أن رجلاً سأل النبي ﷺ : أتوضأ من لحوم النعم ؟ قال : لا ، قال : أتوضأ من لحوم الابل ؟ قال : نعم . رواه الامام أحمد ، ومسلم .

وحديث البراء بن عازب رضي الله عنها ، قال : سئل رسول الله ﷺ

غن الوضوء من لحوم الابل . فقال : توضؤوا منها ، رواه الامام أحمد ، وأبو داود ،
والترمذي ، وابن ماجه :

قال الامام إسحق بن راهوية : صح في هذا الباب حديثان عن رسول الله
ﷺ ؛ حديث جابر بن سمرة ، وحديث البراء .

وكذا روي عن الامام أحمد رضي الله عنه ؛ أنه قال : فيه حديثان
سحيحان ؛ حديث البراء ، وجابر بن سمرة .

وقال ابن خزيمة . لم أر خلافا بين علماء الحديث ؛ ان هذا الخبر صحيح
من جهة النقل ، لمدالة ناقليه .

وروي من حديث أسيد بن حضير ؛ أن رسول الله ﷺ قال : توضؤوا
من لحوم الابل ، ولا تتوضؤوا من لحوم الغنم . وصلوا في مرائب الغنم ، ولا نصلوا
في مبارك الابل . رواه الامام أحمد ، وابن ماجه .

وروى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ذي الفرة ، قال : عرض أعرابي
لرسول الله ﷺ وهو يسير ، فقال : يا رسول الله ! تدركننا الصلاة ؛ ونحن في
أعطان الابل ، فنصلي فيها ، فقال رسول الله ﷺ : لا ، قال : افتوضأ من
لحومها ؟ قال : نعم . رواه عبد الله بن الامام أحمد في «الزوائد» .

قال بعض العلماء : ذو الفرة لا يدري من هو . وقال ابن أبي حاتم :
ذو الفرة الطائي له صحبة . وقال العباس الدوري : سمعت يحيى بن معين يقول :
ذو الفرة من أصحاب رسول الله ﷺ .

وأما ما رواه المراقطي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ؛ أن رسول الله
ﷺ قال : الوضوء مما يخرج ، وليس مما يدخل . ففي سنده شعبة مولى ابن
عباس ، قال مالك والنسائي : إنه ليس بشعبة ، وقال يحيى بن معين : لا يكتب

حديثه . وفي إسناده أيضاً الفضل بن المختار ، قال أبو حاتم الرازي : إنه مجهول ، وأحاديثه منكورة ، يحدث بالباطيل ، وقال ابن عدي : لعل البلاء في هذا الحديث من الفضل ، لا من شعبة ؛ لأن له أحاديث منكورة ، وكذا ما يرويه بعض من لا يعرف في علم الحديث ؛ لا وضوء من طعام أحله الله . وهذا لا يعرف . لا يلتفت إليه .

وذهب الى القول ؛ باقتصاص وضوء بأكلم لحم الابل ، كذهب الامام أحمد لامام اسحق ابن راهويه ، ويحيى بن يحيى ، وابن المنذر ، وابن خزيمة ، واختاره الحافظ أبو بكر البيهقي ، وحكي عن أصحاب الحديث مطلقاً ، وعن جماعة من الصحابة ، هو أقوى دليلاً من مقابله .

وقد احتج من لم يقل بالنقض بأنه منسوخ بحديث جابر المتقدم : كان آخر امرين من رسول ﷺ ترك وضوء مما مست النار . ولا يخفى ما فيه ، فانه عام ، وحديث وضوء من لحوم الابل خاص ، والخاص مقدم على العام . وفي إيجابه ﷺ : وضوء من لحوم الابل دون لحوم النعم ، ما يرد زعم الزاعم النسخ ، فانه صحيح صريح لا يحتمل التأويل . وبالله التوفيق .

الحديث الخامس عشر

٣٠ - ثنا سفیان ، ثنا ابن المكندر ، قال : سمعت جابرأ يقول :

١. رسول الله ﷺ رجلٌ من الأعراب ، فأسلم ، فبايعه على العجرة ، فلم يلبث أن حمَّ ، جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أقلني . فقال : لا أقيلك ، ثم أتاه فقال : أقلني . قال :

لا أقيلك ، ثم أتاه فقال : أقطني . قال : لا أقيلك ، ففر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : المدينة كالكير تنفي خبثها وينصم طيبها .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) بن عينة (ثنا) محمد (بن المنكدر قال : سمعت جابراً) رضي الله عنه (يقول : جاء الى رسول الله ﷺ رجل من الاعراب) لم أر من نبه على اسمه ، ويض ابن البلقيني له في محلين من كتابه في «الافهام لما في البخاري من الابهام» (فاسلم) ذلك الاعرابي (فبايعه) النبي ﷺ (على الهجرة) ، وفي لفظ في «الصحيحين» وغيرهما ، فبايعه على الاسلام (فلم يلبث) ، أي لم يبطئ . ولم يتأخر ، يقال : لبث يلبث لبثاً بسكون الموحدة ، وقد تفتح قليلا على القياس . وقيل : اللبث بالسكون ؛ الاسم ، وبالضم ؛ المصدر (أن حم) ، أي اعترته الحمى ، وفي رواية في «الصحيحين» : فأصاب الأعرابي وعك بالمدينة ، والوعك : الحمى ، وقيل : أولها ، يقال : وعكه المرض وعكا فهو موعوك ، كما في «النهاية» .

وفي رواية في «الصحيحين» ، أيضاً ، فجاء من الند محموا (جاء) الاعرابي بعد أن حم (الى النبي ﷺ فقال :) له (أقطني) من الهجرة التي بايعتك عليها (فقال) له النبي ﷺ (لا أقيلك) منها ، (ثم أتاه) الاعرابي ثانياً ، (فقال : أقطني . قال : لا أقيلك ، ثم أتاه) ثالثاً (فقال : أقطني . قال :) ﷺ (لا أقيلك) .

الاقالة : ابطال ما عاقد وبايع عليه ، قال ابن سيده : الاقالة في البيع : نقضه وإبطاله ، وقال ابن فارس : معنى الاقالة : انك رددت ما أخذت منه ، ورد عليك ما أخذ منك والأفصح : أقاله إقالة ، ويقال : قاله ، بغير الف ، حكاه أبو عبيد ، وابن القطاع ، والفواد ، وقطرب ، قال : وأهل الحجاز يقولون : قلته ، فهو مقبول ومقبل ، وهو أجود ، ذكره في «المطلع» ، وحكى اللغتين في

« القاموس » ، وقال : أقلته ، فسخته . واستقاله ؛ طلب اليه أن يقيله ، وأقال الله عثرتك وأقالها .

قال في السيرة الشامية المسماة بـ « سبل الهدى والرشاد » : المراد بالاقالة هنا ، الاقالة من الاسلام ، وقيل : من الهجرة ، وإلا لكان سار مرتدأ وساغ قتله . ولفظ « الصحيحين » : فقال : أقلني ببيعتي ، فأبى ، ثم جاءه فأبى ، ثم جاءه فقال : أقلني ببيعتي فأبى (ففر) ، أي هرب . ولفظ « الصحيحين » : فخرج الأعرابي (فقال النبي ﷺ : المدينة) يعني مدينته ^{مكة} ، وصار هذا الاسم علما عليها ، ولفظ « الصحيحين » : إما المدينة (كالكير) بكسر الكاف وسكون التحتية ، وفيه لغة أخرى ؛ كور بضم الكاف ، والمشهور بين الناس أنه الزق الذي ينفع فيه ، لكن أكثر أهل اللغة قالوا : ان المراد بالكير : كاتون الحداد والصائغ ، وقيل : الكير هو الزق ، والكانون هو الكور . هكذا في « سبل الهدى » .

وقال في « النهاية » : الكير بالكسر : كير الحداد ، وهو المبني من الطين ، وقيل : الزق الذي ينفع به النار ، والمبني : الكور (تنفي) بقاء مخففة ، وروي بقاف مشددة من التنقية (حبثها) بفتح الحاء المعجمة والباء الموحدة والشاء المثناة . وروي بضم الحاء وسكون الموحدة ؛ هو خلاف الطيب ، والمراد هنا ؛ مالا يليق بها ، ولا يصلح لسكانها (وينصع) بنون وصاد مهملتين وعين ، أي يخلص ويتميز (طيبها) بفتح الطاء المهملة ، وتشديد الياء المثناة التحتية ، وفتح الموحدة ، وبكسر الطاء وسكون التحتية . والنصوع الخلوص ، والمعنى : ان المدينة اذا نفت الحبث ، تميز الطيب واستقر بها . وروى الأكثر طيبها بالنصب على المفعولية على وجهي تشديد التحتية وتخفيفها ، وبإثاء الفوقانية . وفي بعض روايات « الصحيح » ، ينصع بالتحنانية ، كرواية الامام ، ورفع طيبها على الفاعلية ، بل هذه الرواية هي التي عليها الممول ، وان كانت الاخرى صحيحة .

قال القاضي عياض : كان هذا مختص بزمانه ، لأنه لم يكن يصبر على الهجرة والمقام معه بها الا من ثبت إيمانه . قال النووي : ليس هذا بظاهر ؛ لان عند مسلم : « لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما ينفي الكير خبث الحديد ، وهذا والله أعلم زمن الدجال .

قال الحافظ ابن حجر : ويحتمل أن يكون المراد كلاماً من الزمنين ، وكان الامر في حياته عليه السلام لسبب المذكور ، ويؤيده قصة الاعرابي حيث استقاله ، فانه عليه السلام ذكر هذا الحديث مطلقاً به خروج الاعرابي وسؤاله الاقالة عن البيعة ، ثم يكون ذلك في آخر الزمان عندما ينزل الدجال السبعة ؛ فترجف بأهلها ، فلا يبقى متافق ولا كافر إلا خرج اليه .

قال السيد : قد أبد الله عنها أرباب الخبث الكامل ، وهم الكفار ، وأما غيرهم فقد يكون إيماده إن مات بها بنقل الملائكة ، أشار اليه بعض العلماء ، أو المراد أهل الخبث الكامل فقط ، وهم أهل الشقاء لعدم قبولهم الشفاعة ، أو المراد فيما عدا قصة الاعرابي والدجال أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها بما فيها من اللاؤاء أو المشقات ومضاعفة المثوبات ؛ إذ الحسنات يذهبن السيئات ، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة ، وأظهرت ما يخفى من عقيدتهم كما هو مشاهد بها ، ويؤيده قوله عليه السلام عند رجوع المنافقين في غزوة أحد : « المدينة كالكير » . ولفظ « الصحيحين » والترمذي من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : قال النبي عليه السلام : « إنما طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد » .

قال في « سبل الهدى » : والذي يظهر لي أنها تنفي خبثها بالماني الاربعة ، وفي حديث عن جابر ، وأبي هريرة وغيرهما عند الامام أحمد وغيره وفي آخره : « والذي نفسي بيده لا يخرج أحد منهم رغبة عنها إلا أخلف الله فيها خيراً منه ،

(١) لفظ « الصحيحين » المدينة تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد .

ألا إن المدينة كالكير يخرج الخبث ، لا تقوم الساعة حتى تنفي المدينة شرارها كما
ينفي الكير خبث الحديد .

قال بعض العلماء : المراد به الخارجون من المدينة رغبة عنها كارهين لها ، وأما
من خرج لحاجة و تجارة أو جهاد أو نحو ذلك ؛ فليس بداخل في معنى الحديث .
وفي الحديث دليل على فضل المدينة النبوية ؛ لنفيها أهل الخبث وعدم
قبولها لهم .

وفي فضائلها عدة أحاديث في أنواع من الفضائل والمناقب ؛ ففي « مسلم »
عن أبي سعيد مولى المهدي : أنهم أصابهم بالمدينة جهد وشدة ، وأنه أتى أبا سعيد
فقال له : إني كثير اليال ، وقد أصابتنا شدة ، فأردت أن أقتل عيالي الى بعض
الريف فقال أبو سعيد رضي الله عنه : لا تفعل ، الزم المدينة . الحديث .

وفيه أنه ﷺ قال : اللهم إن إبراهيم حرم مكة فجعلها حراماً ، وإني
حرمت المدينة فجعلتها ^(١) حراماً ما بين مأزميها : أن لا يهراق فيها دم ، ولا يحمل
فيها سلاح ، أو قتال ، ولا تحبظ فيها شجرة إلا لطف ، اللهم بارك لنا في مدينتنا ،
اللهم بارك لنا في صاعنا ، اللهم بارك لنا في مدنا ، اللهم اجعل مع البركة بركتين ،
ثم قال ﷺ : « والذي نفسي بيده ما من المدينة شعب ولا نقب ، إلا عليه
ملك من مكرسانها » . الحديث .

وفي رواية : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يصبر أحد على لأوائها ،
يعني المدينة ، إلا كنت له شفيماً أو شهيداً يوم القيامة ، إذا كان مسلماً ، ولا يريد
أحد أهل المدينة بسوء ، إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص ، أو ذوب
الملح في الماء » .

(١) ساقطة من الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها .

وفي « مسلم » عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« إنها ، أي المدينة طيبة تنفي الذنوب ، كما تنفي النار خبث الفضة » . رواه
البخاري أيضاً ، واللفظ له .

وفي « موطأ الإمام مالك » .. و « صحيح البخاري » .. عن أم المؤمنين
حفصة بنت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قالت : قال عمر رضي
الله عنه : اللهم ارزقني شهادة في سبيلك ، واجعل موتي في بلد رسولك ، فقلت :
أنى يكون هذا ؟ قال : يأتيني به الله إذا شاء .

وروى الإمام أحمد والشيخان عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : لما قدم
رسول الله ﷺ وعك أبو بكر وبلال وفي لفظ : قدمها وهي أوبأ أرض من
الحمي ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ .
قالت : فكان أبو بكر وعامر بن فهيرة وبلال مالياً أبي بكر في بيت واحد ،
فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم ، فأذن لي ، فدخلت إليهم أعودهم ، وذلك
قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم ما لا يملئه إلا الله من شدة الوعك ، فدنوت من
أبي بكر فقلت : كيف تجددك يا أبت ، فقال :

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شرك نعله
قالت : فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول ، ثم دنوت الى عامر بن فهيرة
فقلت : كيف تجددك يا عامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان خففه من فوقه
كل امرئ مجاهد بطوقه .
فقلت : والله ما يدري عامر ما يقول . قالت : وكان بلال إذا أدر كتبه
الحمي اضطلع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول :
ألا ليت شعري هل أيتن ليلة بواد وحوالي اذخر وجليل

وهل أردن يوماً بمحنة وهل يدون لي شامة وطفيل
 قالت عائشة : فبحث رسول الله ﷺ فأخبرته وقلت : إنهم ليهذون
 وما يعقلون من شدة الحمى ، فنظر الى السماء وقال : « اللهم حجب إلينا المدينة
 كحجبنا مكة أو أشد ، اللهم وصحبها ، وبارك لنا في مداها وصاعها ، واقل
 حماتها فاجعلها بالحنفة » . وزاد في رواية بمد يتي بلال من قوله : « اللهم العن
 شيبة بن ربيعة ، وعتبة بن ربيعة ، وأمّية بن خلف كما أخرجونا من أرضنا الى
 أرض الوباء .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وغيره
 من الصحابة رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ قال : « على أنقاب المدينة
 ملائكة ، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال » .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره من الصحابة
 رضي الله عنهم أن رسول الله ﷺ قال : « صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف
 صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام » . وفي لفظ « خير » ، وفي آخر :
 « فإن رسول الله ﷺ آخر الأنبياء ، وإن مسجده آخر المساجد » ، وفي آخر أنه
 ﷺ قال : « فاني آخر الانبياء ، وإن مسجدي آخر المساجد » .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه ، قال :
 قال رسول الله ﷺ : « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة » . وفيها
 من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال : « ما بين منبري وبيتي روضة
 من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي » . وقد وقع في رواية ابن عساكر :
 « ما بين قبري » بدل « بيتي » ، قال في « الفتح » ، وهو خطأ ، ثم قال : نعم وقع في
 حديث سعد بن أبي وقاص عند البزار بسند رجاله ثقات ، وعند الطبراني من
 حديث ابن عمر بلفظ : « القبر » ، فملى هذا المراد بالبيت أحد بيوته لا كلها ، وهو

بيت عائشة - رضي الله عنها - الذي صار فيه قبره . وقد ورد الحديث بلفظ :
 « ما بين المنبر وبين عائشة روضة من رياض الجنة » . أخرجه الطبراني في
 « الأوسط » ، والمراد أنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة وحصول
 السعادة ، بما يحصل من ملازمة خلق الذكر والقرآن ، ولا سيما في عهده عليه
 الصلاة والسلام ، والأظهر أنه على ظاهره حقيقة ، بأن ينقل ذلك الموضع بينه
 في الآخرة الى الجنة . وسيأتي ذكر ذلك ، في آخر الثلاثيات ، والله الموفق .

الحديث السادس عشر

٣١ - ثنا سفيان ، قال : سمع ابن المكندر جابراً يقول :
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو جاء مال البحرين لقد
 أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ، فلما جاء مال البحرين بعد
 وفاة رسول الله ﷺ . قال أبو بكر : من كان له عند رسول
 الله ﷺ دين أو عِدَّة ؛ فليأتنا . قال : فجئت ، فقلت : إن
 رسول الله ﷺ قال :

لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا ثلاثاً .
 قال : فخذ ، قال : فأخذت . قال بعض من سمعه : فوجدتها
 خمسمائة ، ثم أتيتها فلم يعطني ، ثم أتيتها الثالثة فلم يعطني . قلت :

إما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني . قال : أقلت : تبخل عني ،
أقلت : تبخل عني ؟ وأي داء أدوا من البخل ؟ ما سألتني مرة
إلا وأردت أن أعطيك .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال :) أي سفيان (سمع)
محمد (ابن المنكدر جابراً) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله ﷺ) لي
(لو) كلمة يؤتى بها للربط لتطبيق ماضٍ بـ ماضٍ ، كقولك : لو زرتني لأكرمك .
وقوله ﷺ : (جاء مال البحرين لقد أعطيتك) ضمير الخطاب لجابر رضي الله
عنه ، ولهذا لم تجزم لو إذا دخلت على مضارع ، لأن « لو » وضع للماضي لفظاً
ومعنى ، كقولك : لو يزورني زيد لأكرمه ؛ فهي في الشرط نظير إن في الربط
بين الجملتين ، لا في الميل ولا في الاستقبال . وأنكر تاج الدين الكندي كون
« لو » حرف شرط ، وغلط الزمخشري في عدها في أدوات الشرط .

قال الاندلسي في « شرح المفصل » فحكيت ذلك لشيخنا أبي البقاء ،
فقال : غلط تاج الدين في هذا ، فإن لو تربط شيئاً بشيء كما تفعل إن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : النزاع لفظي ، فإن أريد
بالشرط الربط المعنوي الحكمي ؛ فالصواب ما قاله أبو البقاء والزمخشري ، وإن
أريد بالشرط ما يعمل في الجزئين فليست من أدوات الشرط ، والبحرين ، بلفظ
الثنية : بلاد مروفة باليمن ، وهو عمل فيه مدن بها منجر .

قال في « شرح مشارق الأنوار » والبحرين موضع معروف ، يسلك اليه
من البصرة ، وكان هذا الحامل لبعض المؤرخين . على قوله : هو ناحية من
البصرة ، بها مفاصل القلوز .

وقال الجوهري في « صحاحه » : البحرين بلد ، والنسبة اليها بحراني .
وقال الأزهرى : إنما سمي البحرين ؛ لأن في ناحية قراها بحيرة على باب الأحساء
وقرى هجر ، بينها وبين البحر الأعظم الأخضر عشرة فراسخ ، وقدرت البحيرة
ثلاثة أميال في مثلها ، ولا يفيض ماؤها وهو راكد زعاق^(١) ، وهذه النواحي كلها
بلاد العرب ، وهي وراء البصرة ، تتصل بأطراف الحجاز ، وهي على ساحل
البحر المتصل باليمن والهند ، بالقرب من جزيرة قيس بن عمية ، وهي التي تسميها
العامية : كبش ، ومن قرى البحرين جنابة : بفتح الجيم وتشديد النون ، فألف
فموحدة ، فهاء تأنيث : بلدة من أعمال فارس ، متصلة بالبحرين عند سيراف ، ومنها
نبع أول القرامطة ، ومن قرى : البحرين الأحساء ؛ بفتح الهمزة وسكون
الحاء المهملة ، وبعدها سين مهملة ، ثم همزة ممدودة ، وهي كورة في تلك الناحية ،
فيها بلاد كثيرة ، منها جنابة المذكورة ، وهجر ، والقطيف ، وكان بدو القرامطة
سنة ست وثمانين ومائتين ، فظهر أبو سعيد الجنابي بالبحرين ، واجتمع اليه جماعة
من الأعراب والقرامطة وقوي أمره ، فقتل من حوله من أهل تلك القرى ،
وقربوا من نواحي البصرة ، فجهز اليهم الخليفة المتضد بالله جيشاً يقاتلهم ،
مقدمهم المباس بن عمرو الفنوي ، فتواقموا وقمة شديدة ، فانهزم أصحاب المباس
وأسر هو ، وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين بالبصرة والبحرين ، وقتل أبو سعيد
الأسرى وأحرقهم ، واستبقى المباس ثم أطلقه بعد أيام ، وقال له : امض الى
صاحبك وعرفه مارأيت ، فدخل بغداد وحضر بين يدي الخليفة المتضد ، فخلع
عليه . ثم إن القرامطة دخلوا بلاد الشام في سنة تسع وثمانين ومائتين ، وجرت
بين الطائفتين وقعات يطول شرحها ، ثم قتل أبو سعيد المذكور في سنة إحدى
وثلثمائة ، قتله خادم له في الحمام ، وقام مقامه ولده أبو طاهر سليمان بن أبي سعيد
ولما قتل أبو سعيد كان قد استولى على هجر والقطيف وسائر بلاد البحرين ، ومنها

(١) الزعاق ، كغراب : الماء المر القليظ لا يطاق شربه .

قصد أبو طاهر وعسكره البصرة وملكوها بغير قتال ، بل صمدوا إليها ليلاً
 بسلام الشعر ، فلما حصلوا بها وأحسوا بهم ، ثاروا اليهم فقتلوا متولي البلد ،
 ووضعوا السيف في الناس فهربوا منهم ، وأقام أبو طاهر ستة عشر يوماً يحمل
 منها الاموال ، ثم عاد الى بلده ، ولم يزلوا يبيثون في الارض ويكثرون في البلاد
 الفساد من القتل والسبي والنهب والحريق الى سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، فحج
 الناس وسلموا في طريقهم ، ثم وافق أبو طاهر القرمطي بمكة يوم التروية ، فهبوا
 أموال الحجاج وقتلوه حتى في المسجد الحرام ، وقلع الحجر الاسود وأنفذه الى
 هجر ؛ فخرج اليه أمير مكة في جماعة من الاشراف ؛ فقاتلوه فقتلهم أجمعين .
 وقلع باب الكعبة وأصعد رجلاً ليقطع الميزاب ؛ فسقط الرجل فمات ، وطرح القتلى
 في بئر زمزم ، ودفن الباقيين في المسجد الحرام من غير كفن ولا غسل ولا صلاة
 على أحد منهم ، وأخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة ،
 فلما بلغ ذلك المهدي عبيد الله صاحب افرقية جد الفاطميين الذين ملكوا مصر
 بعد ذلك ؛ كتب اليه ينكر عليه ويلومه ويلمونه ، ويقول له : حققت على شيعتنا
 ودعاة دولتنا الكفر واسم الالحاد لما قد فعلت ، وان لم ترد على أهل مكة وعلى
 الحجاج ما أخذت منهم ، وترد الحجر الاسود الى مكانه ، وترد كسوة البيت ،
 وإلا فانا برئ منك في الدنيا والآخرة ، فلما وصله الكتاب أعاد الحجر وما أمكنه
 من أموال أهل مكة . وقال : احذناه بأمر وردناه بأمر ، وكان قد بذل فيرده
 خمسين الف دينار ، فلم يردوه وردوه بأمر عبيد الله المهدي مجاناً ، وذكروا أنه
 تفسخ تحته ثلاث جمال قوية من ثقله ، ولما ردوه أعادوه على حمل واحد ضعيف
 فوصل به سالماً ، ولما أرادوا رده حملوه الى الكوفة وعلقوه بحامها حتى رآه
 الناس ، ثم حملوه الى مكة وكان مكته عندهم اثنين وعشرين سنة .

ولفظ «المصحيحين» ، لو قد جاء مال البحرين ؛ لقد أعطيتك (هكذا وهكذا وهكذا) يسط يديه عليه السلام ثلاث مرات .

(قال) جابر رضي الله عنه (فلما جاء مال البحرين) من قبل الملاء ابن الحضرمي - بكسر القاف - أي من جهته . والملاء بلد ، وابن الحضرمي عبده ، كان عاملاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على البحرين ، وأقره الشيخان : أبو بكر وعمر ، رضي الله عنها ، عليها ؛ إلى أن مات سنة أربع عشرة (بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) متعلق بجاء . ولفظ «المصحيحين» قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يحبس مال البحرين ، فقدم على أبي بكر رضي الله عنه بمده (قال أبو بكر) وفي لفظ في «المصحيحين» : فأمر ، أي أبو بكر رضي الله عنه منادياً فنأدي : (من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) (دين أو عِدَّة) من الوعد والوعيد ، فالوعد يستعمل في الخير والشر . يقال : وعده خيراً ؛ ووعدته شراً ، فإذا أسقطوا الخير والشر ؛ قالوا في الخير : الوعد والمدة ، وفي الشر : الإيماذ والوعيد ، وقد أوعدته بوعده (فليأتنا) لنقضي دينه الذي كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولنوفي بعهدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي كان قد وعده بها .

(قال) جابر رضي الله عنه (فحسبت فقلت) لأبي بكر رضي الله عنه : (ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال) لي : (لو قد جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا) وقال يديه جميعاً (ثلاثاً . قال) أبو بكر رضي الله عنه : (فخذ) ولم يسأل الصديق رضي الله عنه جابراً البينة على ما ادعاه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من المدة ؛ لأنه لم يكن شيئاً ادعاه في ذمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإنما ادعا شيئاً من بيت المال ، والفقهاء ذلك موكول إلى اجتهاد الامام .

قال الكرمانى : الوعد كالشهادة على نفسه . قال المهلب : انجاز الوعد مأمور به ، مندوب اليه عند الجميع ، وليس بفرض لا تقاومهم ؛ على أن الموعد

لا يضرب له بما وعد به مع الغرماء ، ولا خلاف في ذلك . أنه مستحسن ، وقد
أثنى الله تعالى على من صدق وعده ووفى بنذره ، وذلك من مكارم الأخلاق .

ولما كان الشارع ﷺ أمر الناس بها ، ونذبهم إليها ، أدى ذلك عنه خليفته
الصديق ، وقام فيه مقامه . ومذهب مالك : إن ارتباط الوعد بسبب ؛ وجب الوفاء
به ، وإلا فلا . فمن قال لآخر : تزوج ولك كذا ، فزوج لذلك ؛ وجب الوفاء
به ، وكذا : إحلف لا تشتمني ، ولك كذا .

وفي « الفروع » : لا يلزم الوفاء بالوعد ، نص عليه الامام أحمد ، وفاقا
لابي حنيفة والشافعي ، إلا أنه يحرم بلا استثناء ؛ لقوله تعالى : « ولا تقولن
لشيء ، (١) الآية ؛ ولأنه في معنى الهبة قبل القبض . قال : وذكر شيخنا ، يعني
شيخ الاسلام ابن تيمية وجهاً يلزم ، واختاره . قال : ويتوجه أنه رواية من
تأجيل العارية والصلح عن عوض المثلّف بمؤجل ، ولما قيل للامام أحمد : بم
يعرف الكذابون ؟ قال : بخلف المواعيد ، وهذا منته ، وقاله من الفقهاء
ابن شبرمة .

وقال ابن العربي المالكي : أجل من قاله عمر بن عبد العزيز ؛ لقوله
تعالى : « كبر مقتا ، (١) الآية ، ولخير « آية المنافق ثلاث : اذا وعد أخلف ،
الحديث . متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وحسباً على وعد
واجب ، ولما روى ابو نعيم في « الحلية » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه
مرفوعاً : « المدة عطية » قال في « الفروع » : إسناده حسن . وفي « أوسط
الطبراني » من حديث علي وابن مسعود رضي الله عنها مرفوعاً : « المدة دين ،

(١) سورة الكهف ، الآية : ٢٣ ، والاية بتامها « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك

غداً الا ان يشاء الله » .

(١) سورة الصف ، الآية : ٣ والاية بتامها « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون »

في إسناده جهالة . وروى ابن عساكر ، والدليلي عن أبي رضي الله عنه مرفوعاً : «العدة دين ، ويل لمن وعد ثم أخلف ، ويل لمن وعد ثم خلف ، وفي إسناده ضعف : وذكر أبو مسعود الدمشقي ، والبرقاني أن مسلماً روى : « ولا يمد الرجل صلاته ثم يحلفه » . ورواه ابن ماجه من حديث ابن مسعود بإسناد حسن : « ثم لا يني له : فإن الكذب يهدي إلى الفجور » ، وفيه : « والسعيد من وعظ بغيره » ، وفي سنده عبيد بن ميمون ، روى عنه غير واحد ، ووثقه ابن حبان ، وقال أبو حاتم : مجهول .

وعن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تمده ثم تحلفه » . رواه الترمذي وغيره ، وقال : غريب . وروى أبو داود ، والترمذي من حديث ابن أرقم رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا وعد الرجل أخاه ومن نيته أن يني فلم ينف ، ولم يحجج » ، قال الترمذي : غريب وقال غيره : إسناده ليس بالقوي .

(قال) جابر رضي الله عنه : (فأخذت) مائة (قال بعض من سمعه) : فمدتها (فوجدتها) أي تلك الأخذة (خمسمائة) درهم .

وفي لفظ في « الصحيحين » : « فحصى أبو بكر مرة ثم قال لي : عدها ، فمدتها ، فاذا هي خمسمائة ، فقال : خذ مثلها » . وفي بعض ألفاظ البخاري : « فعد في يدي خمسمائة ، ثم خمسمائة ، ثم خمسمائة » . وفي بعض طرق البخاري : كما في لفظ الامام هنا : (ثم أتيت) - أي أبا بكر بعد أن أعطاني الحفنة الأولى ، وقدرها خمسمائة - ثانياً (فلم يمطيني ثم أتيت) المرة (الثالثة فلم يمطيني) .

(قلت) له بعد محبة المرة الثالثة ولم يمطيني : (إما أن تمطيني) كمال عدتي (وإما أن تبخل عني) بأن تقول : لا أعطيك بعد المرة الأولى شيئاً فستريحني من تطعن أمني بالشيء ، فإنه أحد الراحتين . ولفظ البخاري : « فقلت له : قد أتيتك

فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، ثم أتيتك فلم تعطني ، فاما أن تعطيني ، وإما أن تبخل عني ، . (قال) أبو بكر رضي الله عنه : (أقلت) بالاستفهام الإنكاري (تبخل عني ، أقلت : تبخل عني ؟) كرره مبالغة في الإنكار لما نسبته الى الصديق الأعظم من البخل ، ثم قال أبو بكر رضوان الله عليه : (وأي داء أدوأ من البخل) ولفظ البخاري : « أي داء أدوأ من البخل ، قالها ثلاثاً (ما سألتني مرة إلا وأردت أن أعطيك) ولفظ البخاري : « ما منعتك من مرة إلا وأنا أريد أن أعطيك ، أي كمال عدتك ، ولكن أتشاغل عنك ، ثم أعطاه عدته ، فكمل له ألفاً وخمسمائة ؛ لأنه لما عد المرة الاولى فوجدها خمسمائة صار باقي المدة معلوماً . وفي إنكار الصديق الأعظم نسبة البخل اليه مع قوله : « أي داء أدوأ من البخل ، أي لا داء أدوأ منه ، يريد التنفير عنه . والتحذير منه .

والبخل مقابل للوجود ، والشح مقابل للسخط . قال ابن عقيل : البخل يورث التمسك بالوجود ، والمنع من اخراجه لآلم يجده ، والشح يفوت النفس كل لذة ، ويجمعها كل غصة . انتهى .

وظاهر كلام أبي بكر الآجري والقاضي أبي يعلى ، أن البخل والشح مترادفان ، وقد ورد في الحديث : أن الشح يحمل على البخل ، عن عبد الله ابن عمر بن الخطاب رضي الله عنها^(١) قال : « خطب رسول الله ﷺ ، فقال : إياكم والشح ، إنما أهلك من كان قبلكم الشح ، أمرم بالبخل فبخلوا ، وأمرم بالقطيعة فقطعوا ، وأمرم بالفجور ففجروا . رواه الامام أحمد ، وأبو داود والنسائي والحاكم .

قال الخطابي : الشح أعم من البخل ، فكان الشح جنس ، والبخل نوع . قال المناوي : الشح قلة الافضال بالمال ، فهو رديف البخل أو أشده .

(١) في الاصل عبد الله بن عمرو بن العاص ، والتصحيح من « الترغيب والترهيب »

وفي « آداب ابن مفلح » : أكثر ما يقال : البخل في افراد الامور ،
والشح عالم كالوصف اللازم وما هو من قبل الطبع . قال النووي : الشح أشد
من البخل وأبلغ في المنع من البخل . وقيل : هو البخل مع الحرص . وقيل :
البخل بالمال خاصة ، والشح بالمال والمعروف . وقيل : الشح الحرص على ما ليس
عنده ، والبخل بما عنده .

وفي « آداب ابن مفلح » ، ما ملخصه : اختلف في تعريف البخيل ، فقيل :
من منع الزكاة ، روي ذلك عن ابن عمر ؛ فانه قال : من أدى زكاة ماله
فليس ببخيل .

الثاني : من منع الواجبات من الزكاة والنفقة فهو بخيل ، فلو أخرج الزكاة
فقط كان بخيلا .

الثالث : الواجبات والمكارات ، فلو أدخل بالثاني كان بخيلا ، وهذا قول
أبي بكر من علمائنا ، وحكاة عن القاضي . روى أبو بكر عن أنس رضي الله
عنه ، أن النبي ﷺ قال : « برىء من الشح من أدى الزكاة ، وقرى الضيف ،
وأعطى في النائية » ، فلم ينف عنه وصف الشح إلا عند الأوصاف الثلاثة ، رواه
أبو يعلى الموصلي ، والطبراني ، والحافظ الضياء . قال القاضي أبو يعلى : ولأن
هذا حده في اللغة .

تمة : قد جاء في ذم البخل والشح والتنفير منها ، وفي مدح الجود
والسخاء والحث على الانفاق بها عدة أحاديث . وقد استعاذ النبي ﷺ من
البخل ؛ كما في مسلم وغيره من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي
ﷺ كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من البخل والكسل ، وأرذل العمر ،
وعذاب القبر ، وفننة الحيا والمات » ، وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ،
أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » ، واتقوا

الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم ، حلهم على أن سفكوا دماهم واستحلوا
عمارهم . وفي « سنن أبي داود » و « صحيح ابن حبان » عن أبي هريرة رضي
الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شر ما في الرجل شح هالع ، وجبن
خالع » .

قوله : شح هالع : أي محزون ، والهلع أشد الفزع .

وقوله : و « جبن خالع » الجبن : شدة الخوف وعدم الاقدام ، ومعناه أنه
يخلع قلبه من شدة تمكنه منه . وفي « سنن النسائي » و « صحيح ابن حبان »
و « الحاكم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
« لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً ، ولا يجتمع شح
وإيمان في قلب عبد أبداً » .

وفي « أوسط الطبراني » عن نافع مولى ابن عمر ، قال : سمع ابن عمر
رضي الله عنها رجلاً يقول : « الشحيح أعذر من الظالم » فقال ابن عمر :
كذبت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الشحيح لا يدخل الجنة » . وروى
الترمذي وقال : غريب من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، عن النبي
ﷺ قال : « لا يدخل الجنة خب ولا منان ولا بخيل » .

الخب بفتح الخاء المعجمة وبكسرها : هو الخداع الخبيث . وفي « كبير
الطبراني » و « الأوسط » وأحد إسناده جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنها
قال : قال رسول الله ﷺ : خلق الله جنة عدن بيده ، ودلى فيها ثمارها ، وشق
فيها أنهارها ، ثم نظر إليها فقال لها : « تكلمي » فقالت : قد أفلح المؤمنون . فقال :
وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل » ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من
حديث أنس رضي الله عنه .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنها مرفوعاً : « ثلاث مهلكات : شح

مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . الحديث رواه الطبراني في « الأوسط » .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ثلاثة يفضهم الله : الشيخ الزاني ، والبخیل ، والمتكبر » . رواه ابن حبان في « صحيحه » ، وفي حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : خصلتان لا يجتمعان في مؤمن : البخل وسوء الخلق ، رواه الترمذي وغيره .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً : « السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس ، بعيد من النار ، والبخیل بعيد من الله ، بعيد من الجنة ، بعيد من الناس ، قريب من النار . ولجاهل سخي أحب الى الله من عابد بخيل » ، رواه الترمذي . وروي عن أبي هريرة مرفوعاً : « ألا إن كل جواد في الجنة ، حتم على الله وأنا به كفيل ، ألا وإن كل بخيل في النار ، حتم على الله وأنا به كفيل » . قالوا يارسول الله : من الجواد ومن البخيل ؟ قال : الجواد من جاد بحقوق الله في ماله ، والبخیل من منع حقوق الله وبخل على ربه ، وليس الجواد من أخذ حراماً وأفقق إسراراً . رواه الاصبهاني في « الترغيب والترهيب » .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : « إذا كانت أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم ، وأموركم شورى بينكم ؛ فظهر الأرض خير لكم من بطنها ، وإذا كانت أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم ، وأموركم الى نساءكم ؛ فبطن الأرض خير لكم من ظهرها » .

وروي عن ابن مسعود مرفوعاً : « تجاوزوا عن ذنب السخي ؛ فإن الله أخذ بيده ما عثر » . رواه ابن أبي الدنيا ، والاصباني .

قال ابن مفلح في « أواخر الآداب » : قيل للاحنف بن قيس : ما الجود ؟

قال : بذل الندي ، وكف الأذى . قيل : فما البخل ؟ قال : طلب اليسير ، ومنع القليل .

وسئل الحسن عن البخل ، فقال : هو أن يرى الرجل ما ينفقه تلفاً ، وما يمسكه شرفاً .

قال أبو التاهية :

وان امرء لم يرتج الناس نفعه ولم يأمنوا منه الأذى للثم
وان امرء لم يحمل البر كنزه ولو كانت الدنيا له لمديم
وبالله التوفيق .

الحديث السابع عشر

٣٢ - ثنا سفيان ، قال عمرو : سمعت جابراً يقول :
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل نكحت ؟ قلت :
نعم ، قال : أبكراً أم نبياً ؟ قلت : نيب ، قال : فهلاً بكراً
تلاعبها وتلاعبك ؟ قلت : يا رسول الله ! قتل أبي يوم أحد ،
وترك تسع بنات ، فكرهت أن أجمع إليهن خرقاء مثلهن ، ولكن
امرأة تمشطهن وتقيم عليهن . قال : أصبت .

قال رضي الله عنه لم (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال عمرو) ابن دينار
تقدمت ترجمته في الحديث الحادي عشر من أحاديث ابن عمر رضي الله عنهما
(سمعت جابراً) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل

نكحت؟) أي تزوجت يا جابر (قلت: نعم) نكحت (قال: أبكر أم ثيباً) أي نكحت
بكر أم ثيباً (قلت: ثيب) كذا بالرفع خبر مبتدأ محذوف تقديره التي تزوجتها
ثيب، هكذا وقع عند الامام أحمد، وكذا عند مسلم من طريق عطاء عن جابر،
ووقع في «الصحيحين»، من طريق شعبة عن محارب عن جابر رضي الله عنه
قال: قال لي رسول الله ﷺ: ما تزوجت؟ قلت: تزوجت، وفي لفظ عندهما:
هل تزوجت؟ قلت: نعم. قال: أبكر أم ثيباً؟ قلت: «ثيباً» بالنصب
بفعل محذوف تقديره تزوجت ثيباً كما هو موجود في بعض روايات البخاري،
بهذا اللفظ: تزوجت ثيباً، وفي لفظ في «مسلم»، عن عمرو بن دينار عن جابر ابن
عبد الله رضي الله عنها أن عبد الله «هلك»، أي مات، يعني استشهد يوم أحد
وترك تسع بنات، أو قال سبماً، فتزوجت امرأة ثيباً، فقال لي رسول الله ﷺ:
يا جابر تزوجت؟ قال: قلت: نعم، قال: يبكر أم ثيب؟ قال: قلت: بل ثيب
(قال) ﷺ: (فهل؟) تزوجت جارية (بكر أم)، وفي رواية: أفلا جارية
بالنصب (تلاعبها وتلاعبك) زاد في رواية في «الصحيحين»: وتضاحكها
وتضاحكك، وفي بعض روايات «مسلم»: تضاحكك وتضاحكها وتلاعبك
وتلاعبها، وهو مما يؤيد أنه من اللعب، ووقع عند الطبراني من حديث بن عجرة
وفيه: وتمضها وتمضك، ووقع في رواية لأبي عبيد: تداعبها وتداعبك «بالقال
المعجمة بدل اللام كذا في «فتح الباري»، قلت: والذي يظهر أنه بالقال المهملة
من المداعبة وهي المازحة والملاعبة، يقال: داعبه مازحه كما في القاموس،
وداعب لاعب، وأما بالقال المعجمة فيقال: تدعبته الجن: أفرعته، واندعب الماء:
سال واتصل جريانه، قال في «المطالع»: المداعبة الملاعبة، كما جاء في الحديث
تلاعبها وتداعبها، والتلاعب المزح، ووقع في رواية محارب بن ثثار عن جابر كما
في الصحيحين: «مالك والمذارى؟» ولفظ مسلم: «فأين أنت من المذارى

ولما بها ، فضبط للاكثر بكسر اللام ، وهو مصدر من الملاعبة يقال : لاعب لعايا
وملاعبة ، مثل قاتل قتالا^(١) ومقاتلة ، ووقع في رواية المستملي « بضم اللام ،
والمراد به الريق ، وفيه اشارة الى مص لسانها ، ورشف شفها ، وذلك يقع
عند الملاعبة والتقبيل ، وليس هو يبيد كما قال القرطبي . ويؤيد أنه معنى آخر
غير المعنى الأول قول شعبة : انه عرض ذلك على عمرو بن دينار ، فقال اللفظ
الموافق للجماعة ، وفي رواية مسلم التلويع بانكار عمرو رواية محارب بهذا اللفظ ،
ولفظه : انما قال جابر تلاعبها وتلاعبك ، فلو كانت الروايتان متحدثين في المعنى
لما أنكر عمرو ذلك ، لأنه كان ممن يميز الرواية بالمعنى (قلت : يا رسول الله قتل
أبي) شهيداً (يوم) غزوة (أحد) وكانت في الثالثة من الهجرة (وترك تسع
بنات) وفي رواية : وترك سبع بنات ، أو تسع بنات وهي في « الصحيحين ،
(فكرهت أن أجمع اليهن) جارية (خرقاء) « بفتح الخاء المعجمة وسكون
الراء بعدها قاف ، وهي التي لا تحسن الممل بيدها ، وهي تأنيث الأخرق وهو
الجاهل بمصلحة نفسه وغيره ، وقيل : الذي لا رفق له ولا سياسة عنده (مثلهن)
لأنهن لا يحسن الممل (ولكن) تزوجت (امرأة) ثيبا (تمسطنهن) أي ترح
شمورهن (وتقيم عليهن) وفي لفظ : تقوم عليهن ، أي في غير ذلك من مصالحهن
وهو من العام بعد الخاص (قال) عليه السلام لجابر رضي الله عنه (أصبت) أي بتزويجك
امرأة ثيبا قد احتنتك الأمور ومارست الخدمة ، لتقوم على مصالح
أخواتك وتجمعهن .


قال في « الفتح » : ولم أقف على تسميتهن ، وأما امرأة جابر المذكورة
فاسمها : « سهلة بنت مسعود بن أوس بن مالك الأنصارية الأوسية ، ذكره
ابن سعد .

(١) في الاصل : مقاتلا . والله تصحيف من الناسخ .

تنبيهات

الأول : الثيب من النساء من أزيلت بكارتها ، وقد تطلق على البالفة وإن كانت بكرأ مجازاً واتساعاً ، والمراد هنا الاول . والبكر المذراء ، وهي الباقية المذرة ، والذرة ما للبكر من الالتحام قبل الافتضاخ . فالبكر : التي لم توطأ واستمرت على حالتها الأولى .

الثاني : دل الحديث على فضيلة تزويج البكر على الثيب ، والحث على ذلك ، وقد ورد بأصرح من ذلك عند ابن ماجة من طريق عبد الرحمن بن سالم بن عتبة ابن عويم بن ساعدة عن أبيه عن جده بلفظ : « عليكم بالأبكار فانهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً ، أي أكثر حركة ، والتقى بنون ومثناة الحركة ، ويقال أيضاً للدمى ، ولعله أراد أنها كثيرة الأولاد . وأخرج الطبراني من حديث ابن مسعود نحوه وزاد : و « ارضى باليسير ، ولا يمارضه حديث : « عليكم بالولود ، من جهة كونها بكرأ ، فلا يعرف كونها كثيرة الأولاد ، فان الجواب عن ذلك أن البكر مظنة كونها ولوداً ، فيكون المراد بالولود : إما من هي كثيرة الولادة بالتجربة ، وإما بالمظنة ، وإما من كانت نساؤها كثيرة الولادة ، وإما من جربت فظهرت عقباً ، وكذا الآية ، فالخبران متفقان على مرجوحيتها .

الثالث : يؤخذ من الحديث : أنه إذا تراحت مصلحتان ؛ قدم أهمها ، فان جابرأ رضي الله عنه قدم مصلحة أخواته لشفقته عليهن ورحمته لهن على حفظ نفسه وآثرهن على تمام لذته وقضاء وطره ، والتي  صوب فعله ، ودعى له لأجل ذلك ، فقال : بارك الله لك ، أصبت .

ويؤخذ منه الدعاء لمن فعل خيراً وإن لم يتعلق بالداعي . وفيه سؤال

الامام أصحابه عن أمورهم وتفقد أحوالهم ، وإرشاده الى مصالحهم ، وتنبيههم على وجه المصلحة ، ولو كان في باب النكاح وفيما يستحى من ذكره .

وفيه مشروعية خدمة المرأة زوجها ، ومن كان منه بسبيل من ولد وأخ وعائلة ، وأنه لا حرج على الرجل في قصده ذلك من امرأته وإن كان ذلك لا يجب عليها ، لكن يؤخذ منه أن المادة جارية بذلك ، فلذلك لم ينكره النبي ﷺ ، قال علماءنا وغيرهم : ليس على المرأة خدمة زوجها في عجن وخبز وطحن وطبخ ونحوه ، نص عليه الامام أحمد لكن الأولى لها فعل ما جرت المادة بقيامها به . وأوجب شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله ورخص عنه المعروف من مثلها لمثله ، وأما خدمة نفسها في ذلك فعليها إلا أن يكون مثلها لا تخدم نفسها ، وقال أبو ثور : على الزوجة أن تخدم الزوج في كل شيء . وقال ابن حبيب في الواضحة : أن النبي ﷺ حكم على فاطمة عليها السلام بخدمة البيت كلها . وفي الفروع ليس عليها عجن وخبز وطبخ ونحوه ، نص عليه خلافاً للجوزجاني والجوزجاني من أئمة علمائنا وبالله التوفيق .

الحديث الثامن عشر

٣٣ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمعه من جابر : كان معاذ يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤمنا . وقال مرة : ثم يرجع فيصلي بقومه ، فأخر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة ، قال مرة الصلاة ، وقال مرة العشاء ، فصلى معاذ مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء يؤم قومه ، فقرأ البقرة ، فاعتزل

رجل من القوم فصلي ، فقيل له : أنا فقت يافلان ؛ قال : مانافقت ؛
فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن معاذاً يصلي معك ثم
يرجع إلينا فيؤمنا ، يارسول الله إنما نحن أصحاب نواضح ، ونعمل
بأيدينا ، وإنه جاء يؤمنا فقرأ سورة البقرة ، فقال : يامعاذ ،
أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ اقرأ بكذا وكذا . قال أبو الزبير :
بسبح اسم ربك الأعلى ، والليل إذا يغشي . فذكرنا لعمر و
فقال : أراه قد ذكره :

قال رضي الله عنه (ثناسفیان) هو ابن عيينة (عن عمرو) هو ابن
دينار (سمه) أي الحديث الآتي (من جابر) بن عبد الله رضي الله عنها
قال : (كان معاذ) « بالذال المعجمة » بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي
الأنصاري أبو عبد الرحمن ، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة ،
وشهد بدرأ والمشاهد كلها ، وهو أحد الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ، وهم أربعة : معاذ ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ،
وأبو زيد « متفق عليه » . روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : والله يامعاذ
إني أحبك ، قال : والله وأنا أحبك يارسول الله ، قال : فلا تدع أن تقول دبر كل
صلاة : « اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » . مات سيدنا معاذ بن
جبل رضي الله عنه بناحية الأردن في طاعون عمواس ، وعمواس « بفتح العين المهملة والميم »
قرية بين الرملة وبيت المقدس ، نسب الطاعون إليها لأنه أول ما بدا منها ، وكانت
وفاته سنة ثمان عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقيل

ثلاث ، ورجحه النووي ، وقيل أربع ، وقيل غير ذلك ، وكان قد أرسله عمر رضي الله عنها على الشام بعد أبي عبيدة بن الجراح « قاله البرماوي » وقبره شرقي عور ييسان قاطع نهر الاردن في السفح وهو مشهور ، وقد زرناه مراراً . وهو أحد السبعة الذين شهدوا العقبة ، وبشبهه النبي ﷺ إلى اليمن قاضياً ومعلماً ، وجعل إليه قبض الصدقات من المال الذين في اليمن ، روى عنه عمر وابن عمر ، وابن عباس ، وأنس وغيرهم ، روي له عن رسول الله ﷺ مائة وسبعة وخمسون حديثاً ، اتفق الشيخان على حديثين ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بحديث . ومن مناجاته في الليل اذا تهجد : « اللهم قد نامت العيون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ، اللهم طلي الجنة بطي . وهربي من النار ضعيف ، اللهم اجعل لي عندك هدى تؤده اليّ يوم القيامة ، انك لا تخلف الميعاد . وهو سيد الفقهاء ، فقد قال ﷺ : « أعلم امتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل » . رواه أبو نعيم في « الحلية » من حديث أبي سعيد . ولفظه : « معاذ بن جبل أعلم الناس بحلال الله وحرامه » ، وروى الطبراني في « الكبير » ، وأبو نعيم في « الحلية » ، عن محمد بن كعب مرسلًا ان النبي ﷺ قال : « معاذ بن جبل امام العلماء يوم القيامة برتوة » ، وهي بفتح الراء وسكون المثناة الفوقية ، أي : « رمية سهم » ، وقيل بـمـيل ، وقيل بـمـد البصر ، وقيل بخطوة ، ، وقيل بدرجة ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه « ان معاذ بن جبل كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ، ف قيل له : « ان ابراهيم كان أمة قاتلاً لله حنيفاً ، فقال : ما نسبته ، هل تدري ما الأمة ؟ وما القانت ؟ الأمة الذي يعلم الناس الخير ، والقانت المطيع ، وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير ، وكان مطيعاً لله ولرسوله » ، وقال شهر بن حوشب : كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا تحدثوا وفيهم معاذ ، نظروا اليه هيبة له .

ومن كلام معاذ رضي الله عنه : اذا صليت ؟ فصل صلاة مودع ، لا تظن

انك تعود اليها . وقال : لاغى بك عن نصيبك من الدنيا ، وأنت الى نصيبك من الآخرة افقر ، فأثر نصيبك من الآخرة ، على نصيبك من الدنيا ، حتى ينتظم لك وتزول به معك ، ايها زات . وقال : أخوف ما أخاف عليكم فتنة النساء ؛ اذا استورن الذهب ، ولبسن رباط الشام ، وعصب اليمن ، فأتعن الغني ، وكلفن الفقير ما لا يجد .

قال في « صفوة الصفوة » : لما أصيب أبو عبيدة رضي الله عنه ، في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل رضي الله عنه ، واشتد الوجع ، فقال الناس لمعاذ : ادع الله أن يرفع هذا الرجز عنا . قال : انه ليس برجز ، ولكنه دعوة نبكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وشهادة يختص الله بها من يشاء (يصلي مع رسول الله ﷺ) زاد مسلم من رواية « منصور » عن عمرو بن دينار عشاء الآخرة (ثم يرجع) أي معاذ (فيؤمنا) وفي لفظ فيؤم قومه ، وفي رواية « منصور » المذكورة . فيصلي بهم تلك الصلاة (وقال) جابر رضي الله عنه : (مرة ثم يرجع فيصلي بقومه) وفي رواية : فيصلي بهم الصلاة . أي المذكورة (فأخر النبي ﷺ ليلة ، قال مرة) فأخر (الصلاة وقال مرة) أخرى فأخر (العشاء) أي صلاة العشاء مصيئاً لها .

وفي رواية « الحميدي » عن سفيان بن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء (فصلى معاذ) رضي الله عنه (مع النبي ﷺ) وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : فصلى ليلة مع النبي ﷺ العشاء . كما في معظم الروايات (ثم جاء) معاذ رضي الله عنه (يؤم قومه) بني سلمة . وفي رواية « الحميدي » عن ابن عيينة : ثم يرجع إلى بني سلمة فيصليها بهم ، وقوم معاذ هم « بنو سلمة » منسوبون إلى سلمة - بكسر الهمزة - بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة - بالسين المهملة والراء والهمزة فهاء تأنيث بن يزيد^(١) بفتح المثناة فوق ، بن جشم بن الخزرج والنسبة

(٢) في الإصابة : يزيد .

إليه ؛ سلمى . بفتح السين المهملة وفتح اللام — قياساً على نظائره ، هرباً من توالي
الكسرات ، وأكثر أصحاب الحديث يكسرون الـام في النسب ، مثلها قبل
النسب . وفي رواية الشافعي ، ثم يرجع فيصلها بقومه في بني سلمة (فقرأ) معاذ
في أول ركعة من صلاته بقومه ، بعد فاتحة الكتاب (البقرة) استدلل به على من
يكراه أن يقول : البقرة ، بل يقول سورة البقرة ، أو السورة التي تذكر فيها
البقرة ، لكن في رواية : فقرأ سورة البقرة . كما في « مسلم » وغيره ، والبخاري
في « الأدب » فقرأ بهم البقرة ، واستظهر في « الفتح » أن ذلك من تصرف الرواة ،
والمراد أنه ابتداء في قراءتها ، وبه صرح مسلم ، ولفظه : « فافتتح سورة البقرة »
وفي رواية محارب بن دثار عن جابر : « فقرأ بسورة البقرة أو النساء على الشك »
وللسراج من رواية مسعود عن محارب : « فقرأ البقرة والنساء » بالواو ، فإن كان
مضبوطاً ، احتمال أن يكون : قرأ في الأولى بالبقرة ، وفي الثانية بالنساء ، ووقع
عند الإمام أحمد من حديث بريدة ، « باسناد قوي : « فقرأ اقترنت الساعة » وهي
شاذة ، إلا أن يحمل على التعدد .

(فاعتزل رجل من القوم) أي انصرف واحد من الرجال ، ووقع في رواية
الإمام علي : « فقام رجل فانصرف » وفي رواية : « فتجوز رجل فصلى صلاة
خفيفة » وغالب الروايات ، بك كلها ، إلا النذر منها ، لم يقع فيها تسمية هذا الرجل
نعم روى أبو داود الطيالسي في « مسنده » والبخاري من طريقه ، عن غالب ابن
حبيب ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه قال : « مر بحزم بن أبي كعب عطاء
ابن حبل . وهو يصلي بقومه صلاة . . . القصة ، فافتتح بسورة طه . . . مع حمزة
ناصح له . . . الحديث » قال البخاري : لا نعلم أحداً سماه عن حمزة . . .
ابن جابر « انتهى » .

وقد رواه أبو داود في « السنن » من وجه آخر عن طائفة الجعفيين .

عن حزم صاحب القصة ، وابن جابر لم يدرك حزما . ورواه ابن لهيعة ، عن أبي الزبير عن جابر فساء حازما وكأنه صحفه ، وروى الامام أحمد من حديث عن أنس رضي الله عنه قال : كان تماذ يؤم قومه ، فدخل حرام ، وهو يريد أن يسقي نخله ... الحديث . وحرام « بالخاء المعجمة والراء » بن ملحان خال أنس بن مالك واسم ملحان « بكسر الميم » مالك بن خالد ، هكذا ذكره غير واحد ؛ ويأتي في الثاني والثلاثين من مسند أنس رضي الله عنه . وفي « الفتح » بعد ذكر حديث أنس عند الامام أحمد ، ظن بعضهم ؛ أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك جزم الخطيب في المباهات ، قال الحافظ ابن حجر : لكن لم أره منسوبا في الرواية ، ويحتمل أن يكون مصحفا من حزم ، فجمع الروايات ، كما يوصى إليه صنيع ابن عبد البر ، وقيل اسم الرجل المنصرف ؛ سليم ، كما رواه الامام أحمد . أي ابن الحارث من بني سلمة . ووقع عند ابن حزم أن اسمه سلم « بفتح أوله وسكون اللام » ، وكأنه تصحيف . وقد جمع بعضهم بتعدد القصة ، فإن لم نقل بالتمد ، فأقوى ما تنسب القصة لسليم بن الحارث من بني سلمة . والله أعلم .

وفيه دلائل على جواز مفارقة المأموم للإمام ' سر ، قال علماؤنا : وإن أحرمت مأموما ، ثم نوى الانفراد لمذر يبيح ترك الجماعة ، كتعويل امام ومرض وغلبة نفاس أو شيء يفسد صلاته ، أو خوف على أهل ، أو مال أو فوات رقصة ، ونحو ذلك ، سح أن استفاد بمفارقتها تمجيل لحوقه لحاجته ؛ قبل فراغ إمامه ، فإن كان الامام يمجّل ؛ ولا يتميز انفراده عنه بنوع تمجيل لم يجز فإن زال المذر ، وهو في الصلاة ؛ فله الدخول مع الامام ، كما في « الاقناع » وغيره من كتب المذهب .

وكذا استدلل الرافعي من الشافعية في « شرح مسند » الامام الشافعي بالحدث على أن للمأموم أن يقطع القدوة ، ويتم صلاته منفردا ، ونازع النووي في

ذلك ؛ بأنه لا دلالة في الحديث عليه . لأنه جاء مصرحاً ، في رواية عند مسلم
فانحرف رجل ، فسلم ؛ ثم صلى وحده ، وهو ظاهر في أنه قطع الصلاة . لكن
ذكر الامام الحافظ البيهقي ؛ أن محمد بن عباد شيخ مسلم ، تفرد عن ابن عيينة
بقوله « سلم » ، وإن الحافظ من أصحاب بن عيينة ، وكذا من أصحاب شيخه
عمرو بن دينار ، وكذا من أصحاب جابر ، لم يذكروا السلام . وكأنه فهم أن
هذه اللفظة ؛ تدل على أن الرجل قطع الصلاة ، لأن السلام يتحلل به من الصلاة ،
وسائر الروايات ؛ تدل على أنه إنما قطع القدوة فقط ، ولم يخرج من الصلاة ، بل
استمر فيها منفرداً ، فهذا يبطل قول النووي ، أن فيه دليلاً على قطع الصلاة من
أصلها ، وباطالها لعذر ، لأنه إنما قطع القدوة بما رضي الله عنه . (فصل) أي أتم
صلاته منفرداً . وعند أبي حنيفة لا يجوز أن ينفرد المأموم بحال ، فإن فعل ؛ بطلت
صلاته ، وفي هذا الحديث ؛ وفي صلاته صلى الله عليه وسلم بهم ركعة في الخوف ،
ثم انتظروهم حتى اتوا لانفسهم ما يرد ذلك .

(فقيـل له) أي لذلك الرجل (أناققت يا فلان ؟) « باتبات
همزة الاستفهام » ، وفي بعض النسخ بحذفها « وفي » الصحيحين ،
وغيرهما : فكان معاذ يتناول منه ، وفي بعض الروايات فكان « بالهمز وتشديد
التون » معاذ تناول منه ، أو نال منه . وفي بعض الروايات : فبلغ ذلك معاذاً ،
فقال انه منافق (قال) الرجل : لا والله (ماناقت) من النفاق ، وهو اسم
إسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستركفره ، ويظهر
إيمانه ، وإن كان أصله في اللغة معروفاً يقال : نافق يتنافق منافقة ، ونفاقاً وهو
مأخوذ من النافقاء . أحد جحرة^(١) اليربوع ، إذا طلب من واحد هرب الى
الآخر ، وخرج منه . وقيل هو من النفق ، وهو السرب الذي يستتر فيه ،
استره كفره ، وربما أطلقوا النفاق على الرياء . ومنه حديث : « أكثر منافقي

(١) في الأصل : أجحرة ، وفي القاموس : جحرة جمع جحر .

هذه الامة قرأوها ، فانه أراد بالنفاق هنا الرياء ؛ لاجتماعها في اظهار ما في الباطن خلافه . (فأتى) ذلك الرجل (النبي ﷺ) وفي لفظ فقال : « لا والله ، أي ما نافقت ، ولأتين رسول الله ﷺ فلا خبرته ، وكان معاذ قال ذلك أولاً ، ثم قاله أصحاب معاذ للرجل ، وفي رواية عند النسائي فقال معاذ : لئن أصبحت لاذكرن ذلك لرسول الله ﷺ ، فذكر ذلك له فأرسل اليه فقال : « ما حملك على الذي صنعت ؟ » (فقال) يا رسول الله : (ان معاذاً يصلي معك ثم يرجع) من عندك (فيؤثنا) أي يصلي بنا تلك الصلاة التي صلاها معك إماماً (يا رسول الله إنما نحن أصحاب نواضح) وهي الابل التي يستقى عليها واحدها ناضح (ونعمل أعمالنا وما نحتاج من أشغالنا (بأيدينا) لأنه لاخدم لنا (وانه) أي معاذ (جاء يؤثنا قراً) بعد فاتحة الكتاب (سورة البقرة ، فقال) النبي ﷺ : (يا معاذ أفتان أنت أفتان أنت ؟) زاد محارب : ثلاثاً ، وهو « بالرفع » مبتدأ وخبر ، وفي رواية : أفتاناً « بالنصب » ، على أنه خبر لكان المقدرة . وفي رواية أبي الزبير : « أريد أن تكون فاتناً ؟ » . وفي رواية عند الامام أحمد رضي الله عنه من حديث معاذ بن رفاعه ، عن رجل من بني سلمة يقال له سليم أنه أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله انا نضل في أعمالنا فأتني حين نمسي فنصلي ، فيأتي معاذ بن جبل فينادي بالصلاة فتأتيه ، فيطول علينا... الحديث . وفيه : يا معاذ لا تكن فناناً . زاد في حديث أنس « لا تطول بهم » . ومعنى الفتنة هنا ان التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة ، وللتكره للصلاة في الجماعة .

وروى البيهقي في « شعب الإيمان » بإسناد صحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : « لا تبغضوا الله الى عباده ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على تقوم الصلاة حتى يبغض اليهم ما هم فيه » . قال الداودي : يحتمل ان يريد بقوله

فتأن، أي معذب لأنة عذبهم بالتطويل ومنه قوله تعالى : « إن الذين فتنوا المؤمنين »^(١) ، قيل معناه عذبهم .

(اقرأ بكذا وكذا قال أبو الزبير) محمد بن مسلم الأسدي الذي تقدمت ترجمته في الاول من أحاديث جابر رضي الله عنه (بسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يمشى) قال سفیان بن عيينة : (فذكرنا) ما قاله أبو الزبير (عمرو) بن دينار (فقال) عمرو (أراه) بضم الهمزة أي أظنه يعني عمرا (قد ذكره) كما قال أبو الزبير ، وكذا في مسلم ولفظه . قال ابن عيينة : قلت لعمرو : ان أبا الزبير حدثنا عن جابر انه قال : « اقرأ بالشمس وضحاها ، والليل اذا يمشى ، وسبح اسم ربك الاعلى » فقال عمرو نحو هذا ، وجزم بذلك محارب في حديثه عن جابر ، وفي « الصحيحين » من رواية عمرو بن دينار عن جابر : « وأمره بسورتين من أوسط الفصل » ، قال عمرو لأحفظها . وفي رواية الليث عن أبي الزبير عند مسلم مع الثلاثة المتقدم ذكرها « باسم ربك » زاد ابن جريج عن أبي الزبير : « والضحى » أخرجه عبد الرزاق . وفي رواية الحميدي عن ابن عيينة مع الثلاثة الأول « والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق » وفي « الفصل » أقوال أصحابها أنه من أول قاف الى آخر القرآن .

واستدل بهذا الحديث على صحة اقتداء المفترض بالمتنفل ، بناءً على ان معاذاً كان ينوي بالاولى الفرض ، وبالثانية النفل ، ويدل عليه ما رواه عبد الرزاق الصنعاني والامام الشافعي وابو جعفر الطحاوي والدارقطني وغيرهم ، من طريق ابن جريج عن عمرو بن دينار عن جابر في هذا الحديث زاد « وهي له تطوع ولهم فريضة » وهو حديث صحيح ، رجاله رجال « الصحيحين » ، وقد خرج ابن جريج في رواية عبد الرزاق بسأعه منه فانتفت تهمة تدليسه ، فقول الامام الحافظ

(١) سورة البروج ، الآية : ١٠

ابن الجوزي: انه لا يصح مردود ، وتعليق أبي جعفر الطحاوي له بان ابن عينة ساقه عن عمرو أتم من سياق ابن جريج ، ولم يذكر هذه الزيادة ليس بقادح في صحته ، لان ابن جريج اسن وأجل من ابن عينة وأقدم أخذاً عن عمرو منه ولو لم يكن كذلك فهي زيادة من ثقة حافظ ليست منافية لرواية من هو أحفظ منه ولا أكثر عدداً ، فلا معنى للتوقف في الحكم بصحتها . وأما رد الطحاوي لها باحتمال أن تكون مدرجة ، فجوابه: ان الأصل عدم الادراج حتى يثبت التفصيل ، فيها كان مضموماً الى الحديث فهو منه ، ولا سيما اذا روي من وجهين . والأمر هنا كذلك ، فان الشافعي أخرجه من وجه آخر عن جابر متابعا لعمرو بن دينار عنه ، وقول الطحاوي هو ظن من جابر مردود ، لان جابراً كان فيمن يصلي مع معاذ ، فهو محمول على أنه سمع ذلك منه ، ولا يظن في جابر أنه يخبر عن شخص بامر غير مشاهد الا بان يكون ذلك الشخص أطلمه عليه .

واعلم أن هذه المسألة وهي اقتداء المفترض بالمتنفل من مسائل الخلاف ، وقد روي عن الامام أحمد فيها روايتان ، فروى صحة ذلك عنه أبو داود صاحب «السنن» ، واسماعيل بن سميد . قال الامام الموفق «وهو أصح» ونقل عنه حنبل وأبو الحارث «أنه لا يصح» اختاره الاكثر من علماء المذهب ، وهو قول الزهري ومذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما ، واحتجوا بحديث : «إنما جمل الامام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه» رواه الامام أحمد والبخاري ومسلم وغيرهم . قلت : لا دلالة في هذا الحديث على عدم جواز ائتمام المفترض بالمتنفل ، لأن المراد به عدم الاختلاف في الافعال لانه إنما ذكر في الحديث الافعال فقال : «إذا سجد فاسجدوا» ولهذا صح ائتمام المتنفل بالمفترض ، وأجابوا عن حديث جابر المذكور : بأنه قضية في عين ، فيحتمل أن يكون معاذ بن جبل رضي الله عنه كان يصلي مع رسول الله ﷺ نافلة .

قال المجد في المنتقى ، في قوله ﷺ لماذ : « يا معاذ لا تكن فتانا ، إما أن تصلي معي ، وإما أن تخفف على قومك » ، رواه الامام أحمد . احتج به من منع اقتداء المفترض بالمتفل ، لانه يدل على أنه متى صلى معه امتنعت امامته ، وبالإجماع لا يمتنع بصلاة النفل معه ، فلم انه أراد بهذا القول صلاة الفرض ، وان الذي كان يصلي معه كان ينويه نفلا ، كذا قال ، وهذا بعيد ، لانه لا يظن بمعاذ أن يترك فضيلة الفرض خلف أفضل الأئمة في مسجده الذي هو من أفضل المساجد ، فانه قيل من الجائز أن يكون ذلك بأمر النبي ﷺ ، فالجواب هو مع بعده يردده قوله ﷺ : « اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة . » رواه الامام أحمد ومسلم وأصحاب السنن الاربع ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي رواية للامام أحمد : « فلا صلاة الا التي اقيمت . » ولهذا قال ابن حزم عن المانعين الفرض خلف النفل : « لا يجوزون لمن عليه فرض ، إذا أقيم أن يصليه متطوعاً ، فكيف ينسبون الى معاذ ما لا يجوز عندهم ؟! » وقد يجاب عن هذا بأن أصحابنا لا يمنون النفل مطلقاً ، وانما يمنون النفل اذا اقيمت الصلاة التي يريد أن يصلي فرضه مع إمامها .

قال أبو جعفر الطحاوي منتصراً لعدم صحة الفرض خلف النفل : لا حجة في قصة معاذ رضي الله عنه لانها لم تكن بأمر النبي ﷺ ولا تقريره ، كذا قال ، وجوابه أنهم أي الحنفية وكذا أصحابنا لا يختلفون ان رأي الصحابي الذي لم يخالفه غيره حجة . والواقع هنا كذلك ، فان الذين كان يصلي بهم معاذ كلهم صحابة ، وفيهم ثلاثون عقيباً ، وأربعون بدرية ، قاله ابن حزم ، قال : ولا يحفظ عن غيرهم امتناع ذلك ، وقال معهم بالجواز عمر وابن عمر وأبو الدرداء وأنس وغيرهم .

قال الطحاوي : لو سلمنا جميع ذلك لم يكن فيه حجة ، لاحتمال أن ذلك

كان في الوقت الذي كانت الفريضة فيه تصلى مرتين ، أي فيكون منسوخا .
 وتمتعه ابن دقيق العيد : بأنه يتضمن اثبات النسخ بالاحتمال وهو لا يسوغ
 وبأنه يلزمه إقامة الدليل على ما ادعاه من إعادة الفريضة . انتهى .
 وكان ابن دقيق العيد لم يطلع على كتاب الطحاوي ، فإنه قد ساق فيه ذلك
 من حديث ابن عمر رضى : « لا تصلوا الصلاة في اليوم مرتين . » ومن وجه
 آخر مرسل : « ان أهل العالية كانوا يصلون في بيوتهم ، ثم يصلون مع النبي
 ﷺ قبله ذلك فنهام . »

وقد نظر الحافظ ابن حجر في « الفتح » في الاستدلال بذلك على تقدير
 صحته ، لاحتمال أن يكون النهي عن ان يصلوها مرتين على أنها فريضة ، وبذلك
 حزم البيهقي جمعا بين الحديثين .

قال في « الفتح » : بل لو قال قائل : هذا النهي منسوخ بحديث معاذ ، لم
 يكن بعيدا ولا يقال : القصة قديمة ، لان صاحبها استشهد بأحد ، لانا نقول :
 كانت أحد في أواخر الثالثة فلا منع أن يكون النهي في الأولى ، والأدنى في
 الثانية . كذا قال ، ولا يخفى أنه يرد عليه في ذلك بأولى ما ردد كلام الطحاوي .
 ويشمر كلام البيهقي بأنهم كانوا يصلون الفرض مرتين ، على أنه في المرتين
 فرض وهواثبات لما ادعاه الطحاوي ، كما لا يخفى على من أنعم النظر ، وفي « السنن »
 أنه ﷺ قال للرجلين اللذين لم يصليا معه : « اذا صليتما في رحالكما ثم أتيتما
 مسجد جماعة فصليا معهم فأنها لكما نافلة . » أخرجه من حديث يزيد بن الاسود
 التامدي ، وصححه ابن خزيمة وغيره . وكان ذلك في حجة الوداع في أواخر حياة
 النبي ﷺ ويدل على الجواز أمره ﷺ لمن أدرك الأئمة الذين يأتون بمدة ويؤخرون
 الصلاة عن ميقاتها ، ان صلوا في بيوتكم في الوقت ثم اجعلوها معهم نافلة .
 ومذهب الامام الشافعي وأبي ثور وابن المنذر صحة الفرض خلف النفل ،

وهو رواية عن الامام أحمد ، وصحح هذا موفق الدين ، وهو قول عطاء
والاوزاعي واختاره جمع من علمائنا . قال في « الفروع » اختاره في « النصيحة »
« والتبصرة » ، وشيخنا يعني شيخ الاسلام ابن تيمية وغيرهم .

وفي الحديث استحباب تخفيف الصلاة ، قال علماؤنا: يسن تخفيف الصلاة
مع اتقانها ما لم يؤثر المأموم التطويل ، فان آثروا كلهم استحب ، واستشكل عليه
بان الامام قد لا يعلم حال من يأتي فيأتي به بعد دخوله في الصلاة ، فلا أولى إطلاق
الكرهية إلا إذا كان إمام قوم محصورين راضين ، في مكان لا يدخله غيرهم .
وفيه دليل على وجوب صلاة الجماعة ولا ينافي ذلك جواز الصلاة منفرداً ،
ولا ريب أن صلاة الجماعة من أوكد العبادات وأجل الطاعات وأعظم شعائر
الاسلام ، وقد حض النبي صلى الله عليه وسلم عليها ، وندب أمته اليها . فهي
واجبة على الأعيان على متمدن مذهب الامام أحمد ، والمتمدن أن من صلى وحده
لفير عذر تصح صلاته مع إجماعه بالترك ، وهذا هو المأثور عن الامام أحمد وأكثر
أصحابه ، وحملوا قوله وَيُحِبُّهُ : « صلاة الرجل في الجماعة تفضل عن صلاته وحده
بخمسة وعشرين درجة ، وروي بسبع وعشرين درجة » . على غير المذكور ،
لأن المذكور يكتب له أجره لو كان صحيحاً مقيماً . وجملوه حجة على صحة
صلاة المنفرد مع ما في حديث قصة معاذ من انفراد الرجل بالصلاة ، وعدم أمر
النبي صلى الله عليه وسلم له بفعلها ثانياً ، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت
الحاجة .

وقالت طائفة من قدماء أصحاب الامام أحمد وبعض متأخريهم ، وطائفة
من السلف : لا تصح حيث لا عذر ، وحملوا حديث التفضيل على المذكور ،
قالوا : وليس كل معذور يكتب له ما كان يعمل ، بل إنما يكتب لمن كان نيته
لولا العذر أن يعمل ومن عادته ذلك ، فهذا الذي يكتب له ما كان يعمل . فاما

من لم يكن له نية ولا عادة فكيف يكتب له ما لم يكن من عادته العمل به .
وقيل ان صلاة الجماعة فرض كفاية ، وقيل سنة مؤكدة . وهذا
المعروف من أصحاب أبي حنيفة ، وأكثر أصحاب مالك ، وكثير من أصحاب
الشافعي .

وقد قال بوجوب الجماعة على الأعيان : عطاء والأوزاعي وجماعة من محدثي
الشافعية وغيرهم ، كابن خزيمة وابن المنذر وابن حبان ، وبالح داود ومن تبعه
فجعلها شرطاً لصحة الصلاة ، وقد بينت أدلة وجوبه في « شرح العمدة » ،
وبالله التوفيق .

الحديث التاسع عشر

٣٤ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابر بن عبد الله ،
وقال مرة : عمرو سمعه من جابر يقول : قال رسول الله ﷺ :
الحرب خدعة .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) بن عيينة (قال) : (سمع عمرو) بن دينار
(جابر بن عبد الله) رضي الله عنها (وقال) سفيان (مرة عمرو) ابن دينار
(سمعه) أي الحديث الآتي (من جابر) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله
ﷺ : الحرب خدعة) .

ضبط الأصل خدعة ، بضم الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة ، وعن يونس
ضم الخاء وفتح الدال ، وعن عياض فتحها ، وقال القزاز بفتح الخاء وسكون
الدال لغة النبي صلى الله عليه وسلم ولقته أفصح اللغات . وقالوا : الخدعة : المرة

الواحدة من الخداع ، فمعناه أن من خدع فيها مرة واحدة عطب وهلك ولا عودة له .

قال الجلال السيوطي : خدعه بضم الخاء وفتحها مع سكون الدال ، وبضمها مع فتح الدال ، فالفتح مع سكون الدال معناه : أن الحرب ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع ، يعني أن المقاتل إذا خدع مرة واحدة لم يكن لها إقالة ، وهو أفصح الروايات وأصحها . ومعنى الضم مع الاسكان : أنه اسم من الخداع . ومعنى ضم الأول وفتح الثاني أن الحرب تخدع الرجال وتمنيهم ولا تقي لهم ، كما يقال فلان لمبة وضحكة ، للذي يكثر اللعب والضحك . انتهى .

قال الحافظ ابن حجر والامام النووي : اتفق على أن فتح الخاء وسكون الدال أفصح ، حتى قال ثعلب : بلغنا أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جزم أبو ذر الهروي والقزاز ، قال أبو بكر بن طلحة : أراد ثعلب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعمل هذه البنية كثيراً لوجازة لفظها ، ولكونها تعطي معنى البينتين الآخرين . انتهى .

قال في الفتح : وأصل الخدع : اظهار أمر واخمار خلافه . قال السيوطي أمر باستعمال الحيلة مها أمكن . وقال ابن المنير : معناه الحرب الكاملة في مقصودها البالغة إنما هي الخداعة لا المواجهة ، وحصول الظفر مع الخداعة بغير خطر . وفيه التحريض على أخذ الخنزير في الحرب والتدب إلى خداع الكفار ، وإن لم يتيقظ إلى ذلك لم يأمن أن ينمكس الأمر عليه . قال النووي : واتفقوا على جواز الخداع ، أي خداعة الكفار في الحرب كيفما أمكن ، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز .

قال ابن العربي : الخداع في الحرب ، بل الاحتياج إليه أكد من الشجاعة ، قال ويكون بالتورية ، ويكون بالكين ، ويكون بخلف الوعد ، وذلك من

المستثنى الجائز المخصوص من الحرم ، قال : والكذب حرام بالاجماع ، جائز في مواطن بالاجماع ، أصلها الحرب الذي أذن الله فيه وفي أمثاله رفقا بالبياد لضعفهم ، وليس للعقل في تحريمه ولا في تحليله أثر ، إنما هو الى الشرع ، ولو كانت تحريم الكذب كما يقوله المبتدعون عقلا ، والتحريم صفة نفسية كما يزعمون ؛ ما انقلب حلالاً أبداً ، والمسألة ليست معقولة ، فتستحق جواباً ، وخفي هذا على علمائنا . انتهى .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : يحرم الكذب لغير إصلاح وحرب وزوجة ، ويحرم المدح والذم بالباطل كذا قال في « الرعاية » .

قال ابن الجوزي : وضابطه ان كل مقصود محمود لا يمكن التوصل اليه إلا بالكذب فهو مباح ان كان ذلك المقصود مباحاً ، وإن كان واجباً فهو واجب ، قال : وهو مراد الأصحاب ، ومرادم هنا لغير حاجة وضرورة ، فانه يجب الكذب إذا كان فيه عصمة مسلم من القتل . وعند أبي الخطاب : يحرم أيضاً ، لكن يسلك أدنى المفسدين لدفع أعلاهما . وذكر ابن عقيل أنه - أي الكذب - حسن حيث جاز لا اثم فيه ، وهو قول أكثر العلماء .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الله روحه : المسألة مبنية على القبح العقلي فن نفاء وقال : لا حكم إلا لله فان الكذب يختلف بحسب مكانه ، ومن أثبتته وقال الاحكام لذات الفعل قبحه لذاته . انتهى .

قال الطبري : إنما يجوز في الماريض دون حقيقة الكذب فانه لا يحل . قال النووي : الظاهر إباحة حقيقة الكذب لكن الاقتضاء على التمرريض أفضل . وفي « الآداب الكبرى » : مما أمكن الماريض حرم الكذب . وهو ظاهر كلام غير واحد ، وصرح به آخرون لمدم الحاجة إذن . وظاهر كلام أبي الخطاب أنه يجوز ولو أمكن الماريض ، قال : والظاهر أنه مراد .

وفي «الهدى» ، للإمام ابن القيم : يجوز كذب الإنسان على نفسه وعلى غيره ، إذا لم يتضمن ضرر ذلك الغير إذا كان يتوصل بالكذب إلى حقه ، كما كذب الحجاج بن علاط على المسلمين حتى أخذ ماله من مكة من غير مضرة لحقت بالمسلمين من ذلك الكذب ، وأما ما نال من بمكة من المسلمين من الأذى والحزن فمفسدة يسيرة في جنب المصلحة التي حصلت بالكذب ، ولا سيما تكميل الفرح وزيادة الإيمان الذي حصل بالخبر الصادق بعد هذا الكذب ، وكان الكذب سبباً في حصول المصلحة الراجعة .

قال : ونظير هذا الإمام والحاكم يوم الخصم خلاف الحق ليتوصل بذلك إلى استعمال الحق ، كما أوم سليمان بن داود عليها السلام إحدى المرأتين بشق الولد نصفين حتى يتوصل بذلك إلى معرفة عين أمه .

قال في «الآداب» : تباح المعاريض ، وقيد ابن الجوزي الجواز عند الحاجة ، وقدم في «الرعاية» عند الحاجة وغيرها ، وتكره من غير حاجة ، والمراد بعدم تحريم المعاريض لغير الظالم ، وفي الخبر : «ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب» وهذا ثابت عن إبراهيم النخعي . وقد روي مرفوعاً ، ولكنه ليس في مسند الإمام أحمد ولا في الصحاح والسنن ، وإنما رواه أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب «المعارض» من حديث عمران بن حصين مرفوعاً . وقد ذكر الإمام الموفق في «المفني» هذا الخبر تمليقاً بصيغة الجزم محتجاً به ولم يعزه إلى كتاب .

قال في «الآداب الكبرى» : قال الإمام أحمد رضي الله عنه : «الكذب لا يصلح منه جد ولا هزل» ، قال حنبل : فقلت له فقول النبي ﷺ : «لا أن يكون يصلح بين اثنين» ، أو رجل لامرأته يريد بذلك رضاها ، وفي الحرب كذلك ،

قال : ابتداء الكذب منهى عنه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :
الحرب خدعة .

قال أبو طالب ، قال أبو عبد الله رضي الله عنه : لا بأس أن يكذب لينجو
« يعني الأسير » . وذكر حديث : الحرب خدعة ، قال : « وكان النبي صلى الله
عليه وسلم إذا أراد غزوة ورعى بنيها » ، فلم ير الامام أحداً بذلك بأساً
في الحرب .

فاما الكذب بعينه ؛ فقال النبي ﷺ : « الكذب مجانب الايمان » . وفي
« مسند » الامام أحمد من حديث أسماء بنت يزيد مرفوعاً : « كل الكذب يكتب على
بني آدم ، إلا ثلاث خصال : إلا رجل كذب لامرأته ليرضيها ، أو رجل كذب
في خديعة حرب ، أو رجل كذب ما بين امرأتين مسلمتين ليصلح بينهما » ورواه
الترمذي بلفظ : لا يحل الكذب ، وفي رواية لا يصلح الكذب .

قال في « الآداب الكبرى » ، وظاهر كلام الامام أحمد والاصحاب ، جواز
الكذب في الصلح ، بين كافرين . كما هو ظاهر الاخبار ، وأما رواية : بين
مسلمين فظاهره غير مراد ، لأنه يجوز بين مسلم وكافر لحق المسلم كالحكم بينهما ،
ثم هو مفهوم اسم ، وفيه خلاف ، ويحتمل اختصاص جواز الكذب في الصلح
بين المسلمين لظاهر الخبر ، واستظهره في « الآداب الكبرى » ، لأن الكذب إنما
جاز لمصلحة شرعية ، والقول بأن الصلح بين أهل الكتاب والتأليف بينهم
مصلحة شرعية يفتقر الى دليل ، والاصل عدمه ، ثم يقال : لو كان مصلحة
شرعية ؛ لجاز دفع الزكاة في الفرم فيه كالصلح بين المسلمين .

وقال الملب : الخداع في الحرب جائز كيفما كان ؛ إلا بالإيمان واليهود
والتصريح بالإيمان فلا يحل شيء من ذلك .

الحديث العشرون

٣٥ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابرأ : دخل رجل يوم الجمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب ، فقال له : صليت ؟ قال : لا . قال : صل ركعتين .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) هو ابن عيينة (عن عمرو) هو ابن دينار أنه (سمع جابرأ) هو ابن عبد الله الانصاري رضي الله عنها يقول : (دخل رجل) قال الامام النووي في « المبهات » : هو سليك النطفاني ، وقيل النعمان بن قوقل ، وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والخطيب في « مبهاته » وغيرهم ، وقال البرماوي في « مبهات العمدة » هو سليك « بضم السين المهملة وفتح اللام وآخره كاف » بن عمرو ، وقيل بن هذبة « بضم الهاء وسكون الدال المهملة وفتح الحاء والواو » النطفاني « بفتح النون المعجمة والطاء المهملة وبالفاء » نسبة الى غطفان بن سعد بن قيس عيلان « بالعين المهملة » بطن كبير ، وهكذا جاء مصرحاً به في رواية لمسلم ولفظها « جاء سليك النطفاني » (يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب) فقال له : يا سليك قم فصل ركعتين وتجاوز فيها ... الحديث ، وقال ابن بشكوال : بعد أن حكى ذلك عن صحيح مسلم ، ومسند الحميدي ، وقيل ابن هذبة ، وقال الخطيب : قيل إنه النعمان بن قوقل ، والاصح الاول . قال ابن الامير سليك بن عمرو : (فقال له) النبي ﷺ . أي قال للرجل الذي دخل ، والنبي يخطب ، وذلك بعد ما جلس : (صليت) هكذا بغير همزة الاستفهام ، وهي مقدرة (قال لا) أي ما صليت (قال) ﷺ له : (صل ركعتين) وفي لفظ قم . وفي رواية عند مسلم : « يا سليك قم

فأركع ركعتين تحية المسجد ، ولفظ فأركع ركعتين في الصحيحين ، وغيرها ، وكذا فصل ركعتين ، وبمدلول هذا الحديث ، أخذ الامام أحمد ، والامام الشافعي ، وأكثر أصحاب الحديث .

قال في « شرح المقنع » ومن دخل والامام يخطب لم يجلس حتى يركع ركعتين يوجز فيهما . وبه قال الحسن ، وابن عيينة ، والشافعي ، وإسحاق ، وأبو ثور ، وابن المنذر .

وقد روى الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود من حديث جابر رضي الله عنه قال : « قال رسول الله ﷺ : إذا جاء أحدكم يوم الجمعة ، والامام يخطب فليركع ركعتين ، وليتجوز فيهما ، فإن جلس قبل أن يركع ، استحب له أن يقوم فيركع » .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : « أن رجلا دخل المسجد يوم الجمعة ورسول الله ﷺ على المنبر ، فأمره أن يصلي ركعتين ، ولفظ الترمذي وصححه : « أن رجلا جاء يوم الجمعة في هيئة بذّة والنبي ﷺ يخطب » .

قال الامام مجد الدين بن تيمية في « منتهى الأحكام » (١) هذا تصريح يضمن ما روي : انه ﷺ أمسك عن خطبته ، حتى فرغ من الركعتين ، ولم يقل بمداد عليه هذا الحديث شريح وابن سيرين والنخعي وقتادة والثوري ومالك والليث وأبو حنيفة ، بل قالوا : يكره أن يركع ، لأن النبي ﷺ قال الذي جاء بتخطي رقاب الناس « اجلس فقد آذيت » رواه أبو داود والنسائي من حديث عبد الله ابن بشر . ورواه الامام أحمد والنسائي وزادا : وآتيت « بعد الهزمة وبمدها نون فثناة تحمية ، أي آخرت الهجي » وآذيت بتخطيك رقاب الناس » وعند ابن خزيمة : فقد آذيت وأوذيت . قالوا ولأن الركوع يشغله عن استماع الخطبة ، فكره كثير

(١) وهو الحروف بـ « انتهى من أخبار المصطفى » .

أدخل ، ولأنه عليه السلام قال : « إذا قلت لصاحبك والامام يخطب أنصت ، فقد نوت » ، رواه الامام أحمد والشيخان وغيرهم من حديث أبي هريرة ، وروى الامام أحمد وأبو داود من حديث علي رضوان الله عليه قال : « من دنا من الامام فلنا ، ولم يستمع ، ولم ينصت ، كان عليه كفيل من الوزر ، ومن قال : صه ، فقد لنا ، ومن لنا فلا جمعة له » ، ثم قال : هكذا سمعت نبيكم عليه السلام ، وروى الامام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله عليه السلام : « من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب ؛ فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا ، والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » .

قالوا : إذا منع من هذه الكلمة ، مع كونها أمراً بمعروف ، ونهياً عن منكر في زمن سير ، فلا ينمى من الركعتين مع كونها مستوئتين في زمن طويل أولى ، واعتذروا عن الحديث بوجوه ضيفة ، فمن مشهورها : ان هذا مخصوص بذلك الرجل المعين ، الذي هو سليك النطفاني ، قالوا : وإنما خص بذلك لأنه كان فقيراً فأريد قيامه لأجل أن يشاهد فيصدق عليه ، ولا يخفى بعد هذا الجمل مع ما عرف ان التخصيص خلاف الاصل ، ولا سيما مع قوله عليه السلام : « إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب ... الحديث » فإنه تعميم مزيل لتوهم التخصيص بالرجل المذكور ، ولهذا قال النووي عن التأويل الذي ذكروه هو تأويل باطل ، وصريح قوله عليه السلام : « إذا جاء أحدكم ... الحديث » ، هذا يعني لا يتطرق اليه تأويل ، قال : « ولا أظن عالماً يبلغه هذا اللفظ صحيحاً فيخافه » .

وفي الحديث جواز الكلام في الخطبة لحاجة ، وللخطيب وللمن يكلمه الخطيب ، وفيه الأمر بالمعروف ، والارشاد الى المصالح في كل حال وموطن ، وأن تحية المسجد ركعتان ، وأنها لا تقوت بمجرد الجلوس ، وأنها لا تسقط في وقت النهي هنا ، ومن جوز ذات السبب يحتاج بهذا لكل ذات سبب ، ولكن علمنا

خصوصاً هاتين الركعتين لورود النض فيها ، وأبقوا النهي على عمومهما فيما عداهما ،
وما عدا ركعتي الطواف لورود الاذن فيها ايضاً ، وبالله التوفيق .

الحديث الحادي والعشرون

٣٦ - ثنا سفيان . قال : قلت لمرو ، سمعت جابراً
يقول : مر رجل في المسجد معه سهام ؛ فقال له النبي ﷺ :
أمسك بنصالها . قال : نعم .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينة (قال) أي سفيان (قلت
لمرو) ابن دينار (سمعت) بالاستفهام المقدّر ، أي أسمعت (جابراً) يعني ابن عبد الله
الانصاري رضي الله عنها (يقول : مر رجل في المسجد) قال الحافظ ابن حجر
في « الفتح » : « لم أقف على اسمه . انتهى » ولم يذكره النووي في « المباهات » ،
وبيض له ابن البلقيني (معه) أي مع ذلك الرجل (سهام) جمع سهم وهو القدح
وواحد النبال ، والنبل بفتح النون وسكون الواو وحدة بعدها لام ، « السهام العربية
وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفي لفظ في « الصحيحين » : أن رجلاً مر
في المسجد بأسهم قد أبدى نصولها (فقال له ﷺ أمسك بنصالها) جمع نصل
ويجمع أيضاً على نصول ، والنصل حديد السهم (قال) عمرو بن دينار (نعم)
سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنها . قال ذلك فبان بقوله نعم إسناد
الحديث ، وقد أخرجه الشيخان من طريق سفيان وغيره .

وفي رواية أنه ﷺ : أمر أن يأخذ بنصولها كي لا يتخدش مسلماً . فأقادت
هذه الرواية بيان علة الامر بذلك ، وزوي أيضاً من طريق أبي الزبير عن جابر

رضي الله عنه : ان المار المذكور كان يتصدق بالنبل في المسجد ، وروي من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه أيضاً ولفظه : قال رسول الله ﷺ : « اذا مر أحدكم في مسجدنا أو سوقنا ومعه نبل ، فليمسك على نصالها بكفه لا يعقر مسلماً ، رواه مسلم والبخاري وأبو داود وابن ماجه .

قوله : « في مسجدنا أو سوقنا هو تنوع من الشارع ، وليس شكاً من الراوي ، وقوله : لا يعقر ، أي لا يجرح وهو مجزوم نظراً الى أنه جواب الامر ، ويمحوز الرفع . قال النووي فيه من الادب : الامساك على النصال عند ارادة المرور بين الناس في مسجد أو سوق أو غيرها انتهى .

والمطلوب انه يستحب لمن معه نبل بادر ان يمسك على نصالها ، وفي الحديث اشارة الى تعظيم كثير الدم وقليله ، وتأكيد حرمة المسلم ، وجواز ادخال المسجد السلاح ، وقد روى الطبراني من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : « نهى رسول الله ﷺ عن قلب السلاح في المسجد ، والمعنى فيه ما تقدم ، كيلا يجرح مسلماً ، وفي رواية : « اذا مر أحدكم في مسجدنا... الحديث فليأخذ بنصالها ، لفظ مسلم : « فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، فليأخذ بنصالها ، كرهه للمبالغة في الاحتراز . والله أعلم .

الحديث الثاني والعشرون

٣٧ - ثنا سفيان ، عن عمرو : سمع جابراً : باع النبي ﷺ مدبراً ، فاشتراه ابن النخام عبداً قبطياً ، مات عام الأول في بده إمرة ابن الزبير . دبره رجل من الانصار ولم يكن له مال غيره .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) ابن دينار أنه (سمع جابرًا) رضي الله عنه يقول : (باع النبي ﷺ مدبراً) « بضم الميم وفتح الدال المهملة والباء الموحدة مشددة » فراء ، من التدبير ، وهو مصدر دبر العبد والأمة ، تدبيراً إذا علّق عقده بموته ، لأنه يقتضي بعد ما يدبر سيده ، والمهمات دبر الحياة ، يقال عتق عن دبر أي بعد الموت ، ولا يستعمل في كل شيء بعد الموت من وصية ووقف وغيره ، بل هو لفظ خص به العتق بعد الموت ، والحديث في « الصحيحين » وغيرهما . ولفظ « الصحيحين » : « عن جابر رضي الله عنه قال دبر ، وفي لفظ أعتق رجل من الانصار »

قال النووي : يقال له ابو مذكور ، ونقله ابن بشكوال عن رواية مسلم ، وكذا ابن البلقيني في « الافهام » والبرماوي في « مبهات الصمد » غلاماً له وفي لفظ : « بلغ النبي ﷺ ان رجلاً من أصحابه اعتق غلاماً له عن دبر لم يكن له مال غيره ، فقال النبي ﷺ من يشتريه مني (فاشتره) أي الغلام (ابن النحام) كذا في النسخ . وكذا وقع في رواية عند البخاري وغيره ، قال القاضي عياض : والصواب النحام باسقاط ابن ، وهو نعيم بن عبد الله القرشي العدوي ، من أفاضل الصحابة (١) ، وإنما قيل له النحام « بفتح النون وتشديد الحاء المهملة فألف فيم ، لأن النبي ﷺ قال : « دخلت الجنة فسمعت نعمة من نعيم ، والنحمة « بفتح النون وسكون الحاء المهملة وفتح الميم ، صوت يخرج من الجوف وهي السعلة ، وقيل النحمة (عبداً) بالنصب بدل من الضمير في اشتراء (قبطياً) منسوباً الى

(١) اسلم قديماً ، يقال : إنه اسلم بعد عشرة انفس قبل اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وكان يكتم اسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم ، لأنه كان يتفق على ارامل بني عدي راسباهم ويمونهم ، فقالوا أقم عندنا على أي دين شئت ، ولقم في ربك واكفنا ما انت كاف من أمر أراملنا ، فوالله لا يترضى لك أحداً لا ذهبت انفسنا جيماً دونك ، وزعموا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له حين قدم عليه : « قومك يأنيم كانوا خيراً لك من قومي -

القبط من أهل مصر ، واسم الغلام : يعقوب القبطي ، (مات) الغلام (علم الاول) أي في العام الذي قبل عام تحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها بحديثه هذا (في يد إمرة) عبد الله (بن الزبير) رضي الله عنها ، هو أبو بكر عبد الله ابن الزبير بن العوام الاسدي القرشي ، وقد تقدم نسبه عند ذكر أميه في الحديث الثاني عشر .

كناه النبي ﷺ بكنية جده لأمه أبي بكر الصديق ، وسماه باسمه ، وهو أول مولود ولد في الاسلام للمهاجرين بالمدينة ، أول سنة من الهجرة ، ولدت له أمه أسماء بقباء ، وأنت به النبي ﷺ فوضعت في حجره فدعا بتمر فمضها ، ثم تغل في فيه وحشكه ، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ ، ثم دعا له وبرك عليه . وكان أطلس لا شمر له في وجهه ولا لحينه ، وكان كثير الصيام والصلاة ، شها ذا أنفة شديد البأس ، قتله الحجاج بن يوسف الثقفي بمكة ، وحلبه يوم الثلاثاء لسبع خلث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وقيل اثنين وسبعين ، وكان يبيع له بالخلافة سنة اربع وستين ، وكان قبل ذلك لا يخاطب بالخلافة ، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والمراق وخراسان وغير ذلك ما عدا الشام أو بعضه . وحج بالناس ثمانى حجج ، وجدد عمارة الكعبة ، فجعل لها بابين على قواعد ابراهيم ، وادخل فيها ستة أذرع من الحجر ، لما خدمته خالته أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها عن النبي ﷺ .

وكانت بيعة ابن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية ، وكان ابن الزبير لم يبايع

- لي ، قال بل قومك خير يارسل الله ، قومك أخرجوك الى الهجرة ، وقومي حبسوني عنها ، وكانت هجرة نعيم عام خير ، وقيل أيام الحديبيه ، وقيل اقام بمكة الى يوم الفتح . واستشهد باجتادين سنة ثلاثة عشر في آخر خلافة الصديق ، وقيل يوم اليرموك ، في رجب سنة خمس عشرة في خلافة عمر رضي الله عنهم اجمعين .

يزيداً فوجد عليه وجداً شديداً ، فلما مات يزيد بويج لابن الزبير بالخلافة ، ولم يبق خارجاً عنه إلا الشام ومصر ، فانه بويج بها لماوية بن يزيد ، فلم تستمر مدته ، فلما مات أطاع أهلها ابن الزبير أيضاً ، ثم خرج مروان ابن الحكم فطلب على الشام ثم مصر واستمر الى أن مات سنة خمس وستين ، وقد عهد الى ابنه عبد الملك .

والأصح كما قال الذهبي : ان مروان لا يبعد من امراء المؤمنين ، بل هو باغ خارج على ابن الزبير ، فانه أقام بمكة خليفة الى أن تغلب عبد الملك فجهز لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً ، فحصره بمكة شهراً ، ورمى عليه بالمنجنيق ، فخذل ابن الزبير أصحابه ، وتسلموا الى الحجاج فظفر به ثم قتله وصلبه في التاريخ المار .

وكان ابن الزبير فارس قريش في زمانه ، له المواقف المشهورة . وقد أخرج أبو يعلى الموصلي في « مسنده » عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنها قال : « احتجم النبي ﷺ فلما فرغ قال لعبد الله : اذهب بهذا الدم فارقه حيث لا يراك أحد ، فلما ذهب به شربه ، فلما رجع قال : ما صنعت بالدم ؟ قال : عمدت الى أخفى موضع علمته فجعلته فيه . قال : لملك شربته ؟ قال نعم . قال : ويل للناس منك ، وويل لك من الناس ، فكانوا يرون ان القوة التي به من ذلك .

قال عمرو بن دينار : مارأيت مصلياً أحسن صلاة من ابن الزبير ، وقال البكالي : اني لأجد في الكتاب المنزل ان ابن الزبير فارس الخلفاء ، وكان ابن الزبير يصلي في الحجر والمنجنيق يصيب طرف ثوبه فما يلتفت اليه . وقال مجاهد : « ما كان باب في الصلاة يمجز الناس عنه إلا تكلفه ابن الزبير » .

ولقد جاء سيل طبق البيت فجعل يطوف سباحة ، وكان صواماً قواماً ، طويل الصلاة ، مواصلاً للرحم ، شجاعاً ، قسم الدهر ثلاث ليال ، ليلة يصلي قائماً حتى الصباح^(١) ، وكان لا ينازع في ثلاث : شجاعة وبلاغة وعبادة ، وكان صيئناً اذا



(١) كذا في الاصل ، لم يذكر بقية الاصنام الثلاث .

خطب ، تجاوبت الجبلان ، وهو أول من كسى الكعبة الديباج ، وكانت كسوتها المسوح والانطاع ، وكان لابن الزبير مائة غلام يكلم كل غلام منهم بلغة أخرى ، وكنت اذا نظرت الى ابن الزبير في أمر دنياه قلت هذا رجل لم يرد الله طرفه عين ، واذا نظرت اليه في أمر دينه قلت هذا رجل لم يرد الدنيا طرفه عين . وأخرج ابن عساكر عن هشام ابن عروة بن الزبير قال : كان أول ما أفصح به عمي عبد الله بن الزبير وهو صغير السيف ، فكان لا يعضه من فيه ، وكان أبوه اذا سمع ذلك منه يقول : أما والله ليكونن لك منه يوم ويوم وأيام .

وأخرج عبد الرزاق عن الزهري قال : « لم يحمل الى رسول الله ﷺ رأس قط الى المدينة ، ولا يوم بدر ، وحمل الى أبي بكر رأس ، فكره ذلك » . وأول من حملت اليه الرؤوس عبد الله بن الزبير . كذا قال ، والذي في « الشامية » وغيرها من السير : ان أول رأس حمل في الاسلام رأس عدو الله أبي جهل ، وحمل اليه أيضاً ﷺ رأس سفيان بن خالد الهذلي ، حمله عبد الله بن أنيس ، وحمل اليه أيضاً رأس كعب بن الأشرف ، ورأس أبي عزة ، ورأس مرحب اليهودي ، كما رواه الامام أحمد ، وكذا رأس المنسي الكذاب ، كما ذكره بعضهم ، وعصماء بنت مروان ، ورفاعة ابن قيس ، أو قيس بن رفاعه ، وأول مسلم حمل رأسه عمرو بن الحلق الخزاعي رضي الله عنه ، وهذا يرد ما رواه أبو داود في مراسيله عن الزهري ، والله التوفيق .

وروي لابن الزبشير رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ ثلاثة وثلاثون حديثاً ، وروى عنه أخوه عروة ، وابن أبي مليكة ، وعباس بن سهل ، وثابت ابن سهل البجلي ، وعطاء وعبيدة السلماني ، وخلائق آخرون .

وفي أيامه كان خروج المختار الكذاب الذي ادعى النبوة ، فجهز ابن الزبير لقتاله ، الى ان طفر به سنة سبع وستين فقتله . ومناقب ابن الزبير كثيرة وما أثره

غزيرة ، وفيها ذكرنا كفاية (دبره) أي دبر يثوب القبطي (رجل من الأنصار) وهو أبو مذكور المتقدم ذكره (ولم) أي وانطلق انه لم (يكن له) أي لأبي مذكور (ملا غيره) أي غير يثوب القبطي ، فباعه  لنسيم بن عبد الله رضي الله عنه بثمانمائة درهم ، الظاهر بالدرهم البطنية أو الطبرية ، لأن الدرهم كانت مختلفة ، بطنية منسوبة إلى طلك يقال له رأس البخل ، كل درهم ثمانية دنانير ، وطبرية منسوبة إلى طبرية الشام ، كل درهم أربعة دنانير ، فلما كان في زمن بني أمية ، وقيل زمن عمر ، والاول أشهر ، جموا الموزنين : وهما اثنا عشر دنانيراً وقسموها . فجاء الدرهم ستة دنانير ، وأجمع أهل مصر الاول على هذا ، ثم أرسل النبي  عن عبد الله بن عمر وهو مذكور وهو ثمانمائة درهم إليه .

تفسيحات

الاول : قال بمضمون هذا الحديث الامام أحمد ، والامام الشافعي ، ومن وافقهما ، فصحبوا بيع المدبر ولو أمة ، ولو في غير دين ، ولهيبته ووقفه ، وسواء كان التدبير مقيداً ، كأن مات من مرضي هذا فانت حراً ، أو مطلقاً . وقال أبو حنيفة : لا يصح بيعة إذا كان التدبير مطلقاً ، وإن كان مقيداً من سفر أو مرض ببيته فيبيعه جائز .

وقال مالك : لا يجوز بيعة في حال الحياة ، ويجوز بيعة بعد الموت ، إن كان على السيد دين ، وإن لم يكن عليه ، وكان يخرج من الثلث ؛ عتق جميعه ، وإن لم يحتله الثلث ؛ عتق ما يحتله ، ولا فرق عند مالك بين المطلق والمقيد .

الثاني : يعتبر خروج المدبر من الثلث بعد الديون ، ومؤن التجيز يوم موت السيد ، سواء دبره في الصحة أو في المرض ، فإن لم يف الثلث بها وبولدها أقرع بينهما ، فإنها خرجت له القرعة عتق إن احتمله الثلث ، وإلا عتق منه بقدره ،

فإن فضل من التثبث بعد عتقه شيء كمل من الآخر ، وإن اجتمع التثبث والتدبير في المرض قدم التثبث .

الثالث : لو باع المدبر أو زال ملكه عنه بنحو هبة مثلاً ، ثم عاد إلى ملكه عاد التدبير ، لأنه علق التثبث بصفة فلم يطل هذا التطبيق بالبيع حيث عاد إلى ملكه ، كالتطبيق بدخول الدار ، وعند الشافعية : لا يعود التدبير بعوده إلى ملكه والله الموفق .

الحديث الثالث والعشرون

٣٨ - ثنا سفيان عن عمرو ، عن جابر ، عن النبي ﷺ : « يُخرج الله من النار قوماً فيدخلهم الجنة . »

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) ابن دينار (عن جابر) ابن عبد الله رضي الله عنها (عن النبي ﷺ : يخرج) بضم الياء المثناة من تحت من أخرج (الله) بالرفع فاعل (من النار) متعلق بيخرج (قوماً) مفعول به (فيدخلهم) الله جل وعلا (الجنة) دار النعيم المقيم ، بعد إخراجهم من نار الجحيم .

وأخرجه الشيخان من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها أيضاً بلفظ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة ، فيدخلهم الجنة . » وأخرج البخاري عن عمران بن حصين ، عن النبي ﷺ قال : « يخرج قوم من النار بشفاعة محمد ﷺ ، ويدخلون الجنة ، ويسمون الجنة . » وأخرج الطبراني عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال : « والذي نفسي

بيده إني لسيد الناس يوم القيامة بغير فخر ، وما من الناس الا وهو تحت لوائي يوم القيامة ، ينتظر القرج ، وإن ممي لواء الحمد ، أمشي ويمشي الناس حتى آتي باب الجنة ، فاستفتح ، فيقال : من هذا ؟ فأقول : محمد ، فيقول : مرحبا بمحمد ، فإذا رأيت ربي خررت له ساجداً شكراً ، فيقال : ارفع رأسك قل تمط ، واشفع تشفع ، فيخرج من قد أجزم برحمة الله وشفاعتي ، وأخرج أبو داود والترمذي والحاكم والبيهقي ، وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمتي » ، وأخرج الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ قال : « شفاعتي لأهل الكبار من أمتي » .

قال ابن عباس : السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب ، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله ، والظالم لنفسه وأهل الأعراف يدخلون الجنة بشفاعته محمد ﷺ ، وأخرج الترمذي والحاكم والبيهقي عن جابر رضي الله عنه ، قال قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمتي » ، قال جابر رضي الله عنه : « من زادت حسناته على سيئاته ، فذاك الذي يدخل الجنة بغير حساب ، ومن استوت حسناته وسيئاته فذاك الذي يحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخل الجنة ، وإنما شفاعته رسول الله ﷺ لمن أوبق نفسه ، وأطبق ظهره » .

وأخرج الامام أحمد والطبراني ، واللفظ له واسناده جيد ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « خيرت بين الشفاعات أو يدخل نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعات لأنها أعم وأكفي ، أما أنها ليست للمؤمنين المتقين ، ولكنهم المذنبين الخاطئين المتلوثين » ورواه ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري بنحوه .

إذا علمت هذا فاعلم أن اخراج من أدخل النار من عصاة هذه الامة منها ، وادخلهم الجنة برحمة أرحم الراحمين ، أو شفاعته خاتم النبيين ، وإمام المرسلين ،

أو شفاعه غيره من النبيين والصدّيقين ، والممّاء العاملين ، والشهداء والمقرّين
أو نحو ذلك ، أصل من أصول أهل السنة ، يجب اعتقاده ، وانه صحيح واقع
لنصوص الصريحة ، والاخبار الصحيحة ، وخالف في ذلك الخوارج والمعتزلة ،
فقالوا : من دخل النار لا يخرج منها أبداً ، بل عندهم كل من دخلها لا يخرج
منها أبداً الآباد .

قال الامام ابن القيم في كتابه « حادى الأرواح الى منازل الأفرّاح » :
السنة المستفيضة أخبرت بخروج من في قلبه مثقال ذرّة من إيمان ، دون الكفار ،
وأحاديث الشفاعه من أولها الى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار ،
وان هذا حكم يختص بهم دون الكفار ، وهي التي ينكرها أهل الابتداع
ويكذبون بها .

وفي « البخاري » عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال :
انه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم والدجال ، ويكذبون بطلوع
الشمس من مغربها ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا . وفي
حديث أنس بن مالك رضي الله عنه : « من كذب بالشفاعة فلا نصيب له فيها »
رواه سعيد بن منصور والبيهقي وغيرهما . وروى البيهقي عنه أنه قيل له : « إن
قوماً يكذبون بالشفاعة » قال : لا تجالسوا أولئك » ، وأخرج البيهقي عن أنس
رضي الله عنه أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا نكذب بها كما يكذب بها
أهل حروراء ، « أي الخوارج » .

وهذا أصل ثابت ، والأحاديث فيه متضافرة ، والأخبار متواترة ،
والإيمان به واجب ، والتكذيب به بدعة مضلة ، عاقابا الله تعالى من البدع والفتن
ما ظهر منها وما بطن ، وبالله التوفيق .

الحديث الرابع والعشرون

٣٩ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً قال : كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة فقال لنا رسول الله ﷺ : أنتم اليوم خير أهل الأرض .

قال رضى الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار أنه (سمع جابراً) رضى الله عنه (قال كنا) معشر الصحابة الذين مع النبي ﷺ (يوم الحديبية) - بحاء مهلة مضمومة ، فдал مهلة مفتوحة ، فمشاة تحنية ساكنة ، فوحدة مكسورة ، فتحية مفتوحة مخففة - عند أهل اللغة وبعض أهل الحديث ، وقال أكثر أهل الحديث : مشددة ، قال النووي : وهما وجهان مشهوران ، قال في «المطالع» ضبطنا التخفيف عن المتقين ، وأما عامة الفقهاء والمحدثين فيشدونها ، وقال البكري : أهل المراق يشددون ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال النحاس : سألت كل من لقيت ، فمن أثق به وبعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على قراءتها مخففة ، قال أحمد بن يحيى : لا يجوز فيها غيره ، ونص في «البارع» على التخفيف ، وحكى التشديد ابن سيدة في «المحكم» ، قال في «تهذيب المطالع» ولم أره لغيره ، وأشار بعضهم إلى أن التثقيب لم يسمع من فصيح ، وذلك أن المنسوب ، بابه يكون في المنسوب إليه ، نحو الاسكندرية ، وأما الحديبية فلا تمقل فيها النسبة ، وإاء النسب في غير المنسوب قليلا ، ومع قلته موقوف على السماع .

والحديبية : مكان يسمى بيثر كانت هناك ثم عرف المكان كله بذلك ، وهو قريب من مكة ، أكثره في الحرم وبينه وبين مكة نحو مرحلة واحدة ، ومن

المدينة تسع مراحل ، وكانت غزوة الحديبية سنة ست في ذي القعدة على الصحيح .
(ألفاً) واحدة (وأربمائة) ورواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمرو بن دينار
أنه سمع جابر بن عبد الله رضي الله عنها ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث عبد الله بن أبي أوفى قال : « كان
أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة » ، وأخرج مسلم والترمذي والنسائي من حديث
أبي الزبير أنه سمع جابر رضي الله عنه يسأل : كم كانوا يوم الحديبية ؟ قال :
« كنا أربع عشرة مائة ، فبايعناه ﷺ ، وعمر رضي الله عنه أخذ بيده ، تحت
الشجرة وهي سمرة ، وكذا في حديث معقل في « صحيح » مسلم ولفظه : « لقد
رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس ، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن
رأسه ، ونحن أربع عشرة مائة » .

واختلفت الروايات في عدة من كان مع رسول الله ﷺ يومئذ ، فقبل
الف وثلثمائة ، وقيل ألف وأربمائة ، وقيل ألف وخمسمائة .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا
أكثر من ألف وأربمائة ، فمن قال : إنهم ألف وخمسمائة جبر الكسر ، ومن قال :
م ألف وأربمائة ألفاً ، ويؤيد هذا قول البراء في رواية عنه : كنا ألفاً وأربمائة
أو أكثر ، واعتمد على هذا الجمع النووي ، وأما البيهقي فالإلى الترجيح ، وقال :
إن رواية من قال ألفاً وأربمائة أرجح ، ووقع في رواية معقل بن يسار عن
سلة بن الأكوع عند ابن سعد : زهاء ألف وأربمائة ، وهو ظاهر في عدم
التحديد ، وأما قول عبد الله بن أبي أوفى : كنا ألفاً وثلثمائة كما رواه البخاري
ومسلم فيحمل على ما اطلع عليه ، واطلع غيره على زيادة ناس لم يطلع هو عليهم ،
وزيادة الثقة مقبولة ، أو المدد الذي ذكره عدد المقاتلة ، والزيادة عليها من الاتباع

من الخدم والنساء والصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، وأما قول ابن اسحق : انهم كانوا سبعمائة ، فلم يوافق عليه .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : ما ذكره ابن اسحق غلط بـسـيـن ، وما استدلل به من أنهم نَحروا سبعين بدنة ، البدنة جاء إجزاؤها عن سبعة وعن عشرة لا يدل على ما قاله ، فانه قد صرح : أن البدنة في هذه العمرة عن سبعة ، فلو كانت السبعين عن جميعهم كانوا أربعمائة وتسعين رجلاً ، وقد قال جابر في تمام الحديث الذي استدلل به ابن اسحق بعينه : انهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، هذا وقد جزم ابن عقبة : بأنهم كانوا ألفاً وستمائة . وفي حديث سلمة بن الأكوع عند ابن أبي شعبة ألفاً وسبعمائة ، وحكى ابن سعد أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين ، وهذا إن ثبت تحديده بالتحديد ؛ ورواه ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنها ، وفيه رد على ابن دحية ، حيث زعم : أن سبب الاختلاف في عددهم ، ان الذي ذكر عددهم لم يقصد التحديد ، وإنما ذكره بالحدس والتخمين .

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه (فقال لنا) : معشر من كان معه في الحديبية من أصحابه (رسول الله ﷺ) أنتم اليوم خير أهل الأرض) يعني : أهل بيعة الرضوان .

وقد أخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها ، ومسلم عن أم بشر رضي عنها أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة » ، وروى الامام أحمد بسند رجاله ثقات ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « لما كان يوم الحديبية ؛ قال رسول الله ﷺ : لا توقدوا ناراً بالليل ، فلما كان بعد ذلك قال : أوقدوا واصطنعوا ، فانه لا يدرك قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم » .

وكان أول من بايع النبي ﷺ يومئذ أبو سنان الأسدي ، فقال للنبي

ﷺ : « ابسط يدك أبياعك . فقال النبي ﷺ : علام تبايعني ؟ قال : على ما في نفسك » ، زاد ابن عمر قال : وما في نفسي قال : اضرب بسيفي بين يدك حتى يظهر لك الله أو أقتل . فبايعه وبايعه الناس على بيعة أبي سنان .

وأخرج البيهقي عن أنس ، وابن اسحق عن ابن عمر رضي الله عنهم قال : لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان ، كان عثمان رسول رسول الله ﷺ الى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال رسول الله ﷺ : « اللهم إن عثمان في حاجتك وحاجة رسولك » فضرب بأحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان خيراً من أيديهم لأنفسهم . فلما نظر سهيل بن عمرو ، وحويط بن عبد المزى ، ومكرز بن حفص ، ومن كان معهم من عيون قريش من سرعة الناس الى البيعة ، وكشميرم الى الحرب ، اشتد رعبهم وخوفهم ، وأسرعوا الى القضية ، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه : أن المشركين من أهل مكة قد قتلوه لا أصل له ، بل هو طيب (١) ، فهادن قريشاً يومئذ .

وفي « صحيح » مسلم والترمذي والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه قال : فبايعناه « يعني النبي ﷺ » ، غير جد بن قيس الانصاري ، اختفى تحت بطن بديره ، وعند ابن اسحاق قال جابر رضي الله عنه : « فكأنني أنظر اليه لاصفاً بابط ناقته ، قد ضبا إليها » ، وهو بفتح الصاد المعجمة والموحدة مهموز بمعنى اختفى بها ، يستتر بها من الناس ، فهذا مستثنى فليس له فضيلة ، وكان يرمى بانفاق ، وقد عده الحافظ ابن الجوزي في كتابه « منتخب المنتخب » في المناققين ، ونزل في حقه في غزوة تبوك ما يشعر بذلك ، وهو ابن عمة البراء بن معرور ، وكان سيد بني سلعة ، بكسر اللام في الجاهلية .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لبني سلعة : من سيدكم ؟ قالوا : الجد

(١) كذا في الاصل ويقصد : حمي .

ابن قيس على بخل فيه ، قال : وأي داء أدوأ من البخل ! ثم قال : بل سيدكم عمرو بن الجوح . وقيل : انهم قالوا : يا رسول الله : من سيدنا ؟ قال : سيدكم بشر بن البراء بن معرور . ومال اليه ابن عبد البر ، ويدل للاول قول شاعر الانصار :

وقال رسول الله والحق قوله	لمن قال منا من تسموه سيداً ؟
فقالوا له : جد بن قيس على التي	يبخله فيها ، وإن كان أسوداً
فتى ما تخطئ خطوة لدنيّة	ولا مد يوماً ما الى سواة يدا
فسود عمرو بن الجوح لجوده	وحق لعمرو بالندى أن يسوداً
إذا جاءه السؤال أنهب ماله	وقال خذوه انه فائد غدا
ولو كنت يا جد بن قيس على التي	على مثلها عمرو ، لكنت المسوداً

قال ابن الاثير في « جامع الاصول » : أبو عبد الله الجد بن اقيس بن صخر الانصاري السلمي هو خال جابر بن عبد الله ، يقال : انه مات في خلافة عثمان . والله أعلم .

تنبيهه : قال ابن عبد البر : ليس في غزوات النبي ﷺ ما يعدل بدرأ ، أو يقرب منها إلا غزوة الحديبية ، وهذا هو الراجح عندنا ، وأما متكلموا الاشاعرة فقدّموا غزوة أحد في الفضيلة على الحديبية ، فزعموا أن غزوة أحد هي التي تلي غزوة بدر في الفضيلة ، والاول أولى ، والله أعلم .

الحديث الخامس والعشرون

٤٠ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابراً يقول : قال رجل يوم أحد : إن قتلت فأين أنا ؟ قال في الجنة ، فألقى

تمراتٍ كنّ في يده فقاتل حتى قتل ، وقال غير عمرو :
تَحَلَّى من طعام الدنيا .

قال رضي الله عنه (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) ابن دينار أنه
(سمع جابرًا) رضي الله عنه (يقول : قال رجل) قال الخطيب : هو عمير بن
الحمام - بضم الحاء المهملة والميم المخففة فألف فيم - الأنصاري ، ذكره الامام
التنويري في « مبهااته » (يوم) غزوة جبل (أحد) المتقدم ذكره في الحديث العاشر
من أحاديث جابر رضي الله عنه ، وهو بقرب المدينة الشريفة ، قال التنويري في
« تهذيبه » : على نحو ميلين . وفي الحديث : « ان أحدًا على ترعة من ترع الجنة ،
وفي لفظ : « على باب من أبواب الجنة » ، ويقال : ان فيه قبر هارون أخي
موسى بن عمران عليها السلام ، قلت : وهذا ليس بشيء ، وإنما كان عليه السلام
يكثر ذكره في التشبيه به ، كحديث : « من صلى على جنازة وحضرها ، كان له
قيراطان ، أذناهما مثل أحد ، مع أن في الأرض من الجبال ما هو أكبر منه ،
لأنه عليه السلام كان يحبه كما سبق ، وقيل : لأنه يتصل في امتداده واتساعه الى الأرض
السابعة السفلى .

تنبيه : عمير بن الحمام الأنصاري ، الذي ذكره الخطيب أنه الرجل
المبهم في هذا الحديث ، استشهد يوم بدر ، ولهذا قال التنويري تبعاً للخطيب :
وكانت قصته يوم بدر لا يوم أحد . قال ابن البلقيني في « الأفيام » : قيل : ان هذا
الرجل يعني المبهم في الحديث ، هو عمير بن الحمام . كذا قاله ابن بشكوال ، قال
لكنه ساق ما لا حجة فيه ، فأخرج ما يقتضي ان ذلك كان في بدر ، من
طريق مسلم عن أنس رضي الله عنه ، وساق فيه : أن عمير بن الحمام
بعد الموعد بالجنة ، أخرج تمراتٍ ، فجعل يأكل منهن ، ثم قال : « لئن حيث

حتى آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، تم قاتل حتى قتل . قال ابن بشكوال :
ووقع في حديث جابر ان هذا كان يوم أحد . وفي حديث أنس : ان ذلك كان يوم
بدر ، والله أعلم أي ذلك كان .

وفي « أسد الغابة » أن عمير بن الحمام قتل بيدر ، وهو أول قتيل من
الأنصار في الاسلام في حرب ، وكان رسول الله ﷺ قد آخى بينه وبين عبيدة
بن الحارث ، فقتلا يوم بدر جميعاً ، قتله خالد بن الأعمى ، فعلى هذا يكون تفسير
ما في قصة جابر بن عمر بن الحمام فليطلب . انتهى .

وفي « الشامية » قال ابن إسحق وغيره : ثم تراحف الناس ؛ يعني يوم بدر ،
ودنا بعضهم من بعض ، فخرج رسول الله ﷺ الى الناس فحرضهم ، فقال :
« قوموا الى جنة عرضها السموات والارض ، والذي نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليوم
رجل ، فيقتل صابراً محتسباً ، قبلاً غير مدبر ، إلا أدخله الله الجنة » فقال - كما
في « صحيح مسلم » وغيره من حديث أنس - عمير بن الحمام ، أخو بني سلمة ،
وفي يده تمرات يأكلهن : « بئح يا رسول الله ! عرضها السموات والارض ؟ !
قال : نعم . قال : أفما بيني وبين ان أدخل الجنة ، إلا أن يقتلني هؤلاء ؟ ! . وفي رواية
قال : لئن حبيت الى أن آكل تمراتي هذه ، انها لحياة طويلة ، ثم قذف التمرات
من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

وذكر ابن جرير ان عميرا قاتل وهو يقول :

ركضنا الى الله بنير زاد	إلا التقى وعمل المصاد
والصبر في الله على الجهاد	وكل زاد عرضة التفساد
غير التقى والبر والرشاد	

قال ابن عقبة : فكان أول قتيل قتل من المسلمين ، وقال ابن سعد : أول
قتيل قتل : مهجع مولى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، والجمع ما أشرنا إليه :

ان أول قتيل من الانصار عمير ، واما أول قتيل مطلقا لمجع .

(إن قتلت) شهيداً في يومى هذا (فأين أنا ؟) أي الى أي الدارين أصير؟
(قال) ﷺ : ان قتلت مقبلاً غير مدبر ، صابراً محتسباً : فأنت (في الجنة)
المعهودة التي عرضها السموات والارض (فألقى) الرجل (تمرات) قليلة (كن
في يده) يأكل منها . وقال : « بخ بخ ، جنة عرضها السموات والارض ، ما بيني
وبين أن أدخلها إلا أن يقتلني هؤلاء » (فقاتل) في سبيل الله ، لاعداء كلمة الله
(حتى قتل) « بالبناء للمجهول » أي حتى قتله اعداء الله صابراً محتسباً ، مقبلاً
غير مدبر ، مصداقاً بوعد الله ورسوله ﷺ . وهذا أعني حديث جابر باللفظ
المذكور في « الصحيحين » وسنن النسائي وغيرهما .

(وقال غير عمرو) بن دينار عن جابر رضي الله عنه : (تخلى) ذلك الرجل أي
تفرغ (من طعام الدنيا) يقال : « تخلى منه وعنه » إذا أتركه رغبة عنه ، لأنه
بالنسبة الى طعام الجنة لا يبعد ، وإن كان هو في نفس الامر شهياً ، لذيذ الخلواته ،
فطعام الجنة أشهى وألذ : « كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا : هذا الذي رزقنا
من قبل وأتوا به متشابهاً » (١) .

وفي الحديث : « ان من قتل في سبيل الله فهو في الجنة » قال الله تعالى : « إن
الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون في سبيل الله ،
فيقتلون ويقتلون ، وعداً عليه حقا » (٢) وقال تعالى : « يا أيها الذين امنوا هل
أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في
سبيل الله ، بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . يغفر لكم
ذنوبكم ، ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ، ومساكن طيبة في جنات
عُدن ، ذلك الفوز العظيم » (٣) الى قوله : وبشر المؤمنين . قال ابن عباس

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٥ . (٢) سورة التوبة ، الآية : ١١١ ، وفي الاصل :
زيادة : « الى قوله : « وبشر المؤمنين » ، وهو خطأ لأن هذه الزيادة في سورة الصف .

(٣) سورة الصف ، الآيات : ١٠ - ١٢ .

رضي الله عنها : انهم قالوا : لو نعلم أحب الاعمال الى الله لمعلمناها ، فنزلت هذه الآية .

وفي « الصحيحين » و« السنن » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه . قال : قيل : يا رسول الله أي الناس أفضل ؟ فقال ﷺ : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله ، قالوا : ثم من ؟ قال : مؤمن في شعب من الشعاب ، بقي الله ، ويدع الناس من شره » . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل المجاهد في سبيل الله - والله أعلم - بمن يجاهد في سبيله - كمثل الصائم القائم ، وتوكل الله للمجاهد في سبيله بأن يتوفاه أن يدخله الجنة ، أو يرجه سالماً مع أجر أو غنيمة » وفي رواية « إن توفاه ، بأن الشرطية لا المصدرية ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

وقد قال المنيرة بن شعبة رضي الله عنه : أخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا : « من قتل منا سار الى الجنة ، رواه البخاري وغيره . وفي حديث المقدم بن معدي كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة ، ويرى مقعده من الجنة ، ويحار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الباقوة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه » رواه ابن ماجه ، والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح غريب . والاحاديث في هذا الباب كثيرة جداً .

الحديث السادس والعشرون

٤١ - ثنا سفيان ، قال : سمع عمرو جابراً يقول : بمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثمائة راكب ، أميرنا

أبو عبيدة بن الجراح ، فألقنا على الساحل حتى فني زادنا ، حتى
أكلنا الخبط ، ثم إن البحر ألقى دابة يقال لها : العنبر ، فأكلنا
منه نصف شهر حتى صلحت أجسامنا ، فأخذ أبو عبيدة ضلعاً
من أضلاعه فنصبه ، ونظر الى أطول بئر ، فجاز تحته ، وكان
رجل نحر ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، ثم ثلاث جزر ، فنهاه
أبو عبيدة .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (قال :) أي سفيان (سمع
عمرو) بن دينار (جابراً) رضي الله عنه (يقول : بمثنا) أي أرسلنا ، يقال : بمته
كمنه إذا أرسله (رسول الله ﷺ في ثلثمائة راكب) من المهاجرين والانصار ،
فيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين (أميرنا) أمين الأمة (أبو عبيدة)
عامر بن عبد الله (ابن الجراح) رضي الله عنه .

تقدمت ترجمته في الحديث الاول من « مسند » جابر بن عبد الله رضي الله
عنها ، وتقدم شرح هذا الحديث هناك ، ولكن أحلنا هناك على تمام الكلام عليه
هنا ، وتقدم هناك ذكر الخلاف في كون هذه السرية ، كانت في الثامنة من
الهجرة ، وفي كونها كانت في شهر رجب من السنة المذكورة .

(فألقنا على الساحل) أي سيف البحر وشاطئه ، سمي بذلك لأن الماء سحله ،
وكان القياس مسحولاً ، ومثناه ذو ساحل من الماء إذا ارتفع المد ثم جزر ، فحذف
ما عليه (حتى) أي الى أن (فني) كرضي وسمى فانعدم (زادنا) الذي تزودناه
لسفرنا من الطعام ، فأنهى الحال بنا والمجاعة (حتى أكلنا الخبط) « بفتح الخاء

المجمعة ، ما يسقط من ورق الشجر ، اذا خبط بالنعى انطفئه الابل ، قال في
« المطالع » : الخبط هو ورق السمر ، ومنه دقيقاً ، وخبطاً ، واختبط ، ضرب
بالمصا ليسقط ، فيلثونه بالماء فيأكلونه ، كما في رواية ، وكنا نضرب بمصينا الخبط ،
ثم نبله بالماء فنأكله . انتهى .

قال جابر رضي الله عنه (ثم) بعد إقامتنا بالساحل خمسة عشر يوماً (ان
البحر القى) منه (دابة) وهو حوت قذفه البحر (يقال لها) أي لتلك الدابة
(المنبر) قال في « النهاية » : هي سمكة بحرية يتخذ من جلدها التراس ، ويقال
للتراس : عنبر .

تمة في ذكر المنبر وهو الطيب المعروف ، جاء في الحديث عن ابن عباس
رضي الله عنهما : سئل عن زكاة المنبر فقال : « إنما هو شيء دسره البحر ، أي
دفعه ورسم به . وفي الحديث : « المنبر ليس بركاك فلا زكاة فيه » ، خلافاً للحسن ،
لأن الذي يستخرج من البحر لا يسمى ركازاً ، لفظة ، ولا عرفاً ، بل هو لمن
وجده ، وهو شيء يقذفه البحر بالساحل ، وهو نبات يخلقه الله في قمره وجنباته
أو ينبع عين فيه ، أو شجر ينبت في البحر ، فينكسر فليقيه الموج الى الساحل ،
أو روث دابة بحرية ، ذكر ذلك بعض أهل العلم .

وقال القزويني : زعموا ان بقرأ تطلع من البحر ، ترعى الزرع ، روئها
المنبر ، والله أعلم بصحة ذلك ، فإن الناس ذكروا ان المنبر ينبت في قمر البحر ،
فان صح ماقلوه ، فروث هذا الحيوان ، ينفع الدماغ والحواس والقلب .

قال داود الانطاكي في « تذكرته » : الصحيح ان المنبر عيون بقمر البحر ،
تقذف دهنيته ، فاذا فارت وصارت على وجه الماء جمدت ، فيلقها البحر على
الساحل ، وقيل : طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل : روث سمك . قال :

وهذا خرافات ، لأن السمك يبلعه فيموت ، ويقذف السمك في أجوافه . انتهى .

قال الامام ابن القيم : والدنبر أفخر أنواع الطيب بعد المسك ، وأخطأ من قدمه عليه ، قال : وضروبه كثيرة ، وألوانه شق : أبيض ، وأشهب ، وأصفر ، وأحمر ، وأخضر ، وأزرق ، وأسود وهو الأجود .

قال : ومن منافعه : انه يقوي القلب والحواس والدماغ . أخرجه ابن النجار في « تاريخه » ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها . انتهى . وفي « تذكرة » داود : أجوده الاشهب العطر ، يليه : الازرق ، فالاصفر ، فالفسقي . قال : والذي يمضغ ويمط ولم يقطع خالص . وغيره رديء ، وينفش بالخص ، والادن ، والشمع ، ولا يعرف تركيبه إلا الحذاق . وموضعه بحر عمان ، والمندب ، وساحل الخليج المغربي ، وكثيراً ما يقذف بنيسان . وتبلغ القطعة منه الف مثقال ، وخالصة يوجد فيه أظفار الطيور ، لأنها تنزل عليه فيجذبها .

قال : وهو حار في الثانية ، يابس في الاولى ، ينفع سائر امراض الدماغ الباردة طبعاً ، وغيرها خاصة ، ومن الجنون ، والشقيقة ، والزلات ، وأمراض الاذن ، والانف ، وعلل الصدر ، والسعال ، والربو ، والغثي ، والخفقان ، وقروح الرئة ، وضعف المعدة ، والكبد ، والاستسقاء ، واليرقان ، والطحال ، وأمراض الكلى ، والرياح الغليظة ، والفالج ، والاثقوة ، والمفاصل ، والنساء ، شماً وأكلأ . وكيف كان فهو أجمل المفردات فيما ذكر ، شديد التفريح ، خصوصاً بمثله بنفسج ونصفه صمغ ، ويحفظ الارواح ، وينعش القوى ، ويميد ما أذهبه الدواء والجماع ، ويهيج الشهوتين ، والولزم بماء المسك أعاد الشهوة بعد اليأس ، وكذا ان مزج^(١) به مع الغالية .

ومن خواصه : ان الطلاء به عند الفعل ، يجدد اللذة مالا يمكن بمده

(١) في الاصل : مزوج ، ، والتصحيح من « التذكرة » .

المفارقة ، ودخانها يطرد الهوام ، ويصلح الهواء ، ويمنع الوباء . والمبلوع منه سهك رديء . وشربته دافق وهو يحدث الما شرى في الهرور ، ويصلحه الكافور ، ويضر المي ويصلحه الصنغ ، وهو بادزهر^(١) السموم مطلقاً ، وإذا خلي عنه المصجون ضئف مطلقاً . والله أعلم .

قال جابر رضي الله عنه : (فأكلنا منه) أي من الحوت الذي يقال له العنبر الذي القاه البحر (نصف شهر) تقدم الكلام على هذا ، واختلاف الروايات فيه ، وطريق الجمع بينها في الحديث الاول من مسند جابر (حتى صلحت أجسامنا) وسمناً (فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه^(٢) فنصبه) أي أقامه (ونظر الى أطول بمير) فركبه أطول رجل في الركب ، قيل : هو قيس بن سعد بن عبادة (فجاز تحته) ما يطأ طي . رأسه . قال جابر رضي الله عنه : (وكان رجل) وهو قيس بن سعد بن عبادة ، ابن دليم الأنصاري الخزرجي ، الجواد بن الجواد (نحر ثلاث جزر) ، وفي لفظ : ثلاث جزائر . والجزائر والجزر جمع جزور ، وفيه نظر ، فان جزائر جمع جزيرة ، والجزور إنما يجمع على جزر « بضمين » فلمله جمع الجمع كما في « الفتح » (ثم) نحر (ثلاث جزر ثم) نحر (ثلاث جزر فنهاه أبو عبيدة) ابن الجراح . وكان قيس بن سعد رضي الله عنها اشتري الجزر من اعرابي جبني ، كل جزور بوسق من تمر ، يوفيه إياه في المدينة .

وفي « الثيلانيات » : لما رأى قيس بن سعد ما بالاناس من الجهد قال : من يشتري مني تمرأ بجزر أنحرها ههنا وأوفيه التمر بالمدينة ؟ فجعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : وأعجابه لهذا الغلام ! لا مال له يدان في مال غيره . فوجد قيس رجلاً من جبهينة ، فقال قيس : بعني جزراً وأوفيك شقة تمرأ بالمدينة ، قال

(١) في الاصل : بازهر ، والتصحيح من « تذكرة داود » .

(٢) وعلى هامش الاصل : والضلع بكسر الضاد المجمة وفتح اللام ، وسكنتها ثم ، مؤنثة ، وجهاضلاع وضلوع ، وهي عظام الجنين .

الجهني : والله ما أعرفني بنسبك ، أما انه بيني وبين سعد خلة ، سيد أهل يثرب ، فابتاع منه خمس جزائر ، كل جزور بوسق ، من تمر يشترط عليه البدوي ، تمر ذخرة مصلبة من تمر آل دليم ، فيقول قيس : نعم .

قال الجبني : فأشهد لي ، فأشهد له نفرأ من الانصار ، ومعهم نفر من المهاجرين ، فقال عمر : لا أشهد هذا يدان ولا مال له ، إنما المال لأبيه ، فقال الجبني : والله ما كان سعد يحنى^(١) بآبته في شقة « بكسر الشين المعجمة » الشظية والقطعة من تمر . قال : وأرى وجها حسنا ، وفهلا شريفاً ، فأخذ قيس الجزر فنحرها لهم في مواطن ثلاث ، كل يوم جزوراً ، والاصح ما في « الصحيحين » : كل يوم ثلاث جزر ، فلما كان اليوم الرابع نهاه أميره وقال : تريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك .

وفي رواية من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه ، أن أبا عبدة رضي الله عنه قال لقيس : عزمت عليك أن لا تنحر ، أتريد أن تحفر ذمتك ولا مال لك؟ فقال قيس رضي الله عنه : يا أبا عبدة ، أترى أبائنا وهو يقضي ديون الناس ، ويحمل الكلّ ويطعم في المجاعة ، لا يقضي عني شقة من تمر تقوّم مجاهدين في سبيل الله؟! فكاد أبو عبدة يلين له ويتركه ، حتى جعل عمر يقول له : اعزم عليه ، فعزم عليه ، وأبى عليه أن ينحر ، فبقيت جزوران معه ، فقدم المدينة بها يتعاقبون عليهما ، وبلغ سعد بن عبادة ما كان أصاب الناس من المجاعة ، فقال رضي الله عنه : ان يكن قيس كما أعرف ، فسوف ينحر للقوم ، فلما قدم قيس بن سعد بن عبادة لقيه أبوه ، فقال ما صنعت في مجاعة القوم حيث أصابتهم؟ قال : نحرت . قال : أصبت، ثم ماذا؟ قال : نحرت . قال : أصبت، ثم ماذا؟ قال : نهيت . فقال من هناك؟ قال أبو عبدة

(١) وعلى هامش الاصل: قوله يخفى عليه وهو بفتح التحتية وسكون الحاء المعجمة، بمعنى يسلمه.

ابن الجراح ، قال : ولم ؟ قال : انه لا مال لي ، وانما المال لأبيك ، قال : فلك أربعة حوائط ، أدنى حائط منها يجذّ خمسين وسقا ، وكتب بذلك كتابا ، واشهد أبا عبيدة وغيره ، وقدم الجني مع قيس فأوفاه شقته ، وحمله وكساه .
وعند ابن خزيمة عن جابر قال : بلغ رسول الله ﷺ فعل قيس فقال :
« ان الجود لمن شيمة أهل ذاك البيت » ولما بلغ سعد بن عباد ما قال عمر
وسؤال أبا عبيدة بالعزم على قيس أن لا ينحر ، جاء الى رسول الله ﷺ فقال :
من يعذرني من ابن الخطاب ؟ يبخل عليّ ابني . وتقدم الكلام على فقه هذا
الحديث ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع والعشرون

٤٢ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، سمع جابر بن عبد الله ، قال :
لما نزلت : قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم .
قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : ومن تحت
أرجلكم قال رسول الله ﷺ : أعوذ بوجهك ، فلما نزلت : أو
يلبسكم ... الى بعض . قال : هذه أهون وأيسر

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) بن دينار أنه
(سمع جابر بن عبد الله) الانصاري رضي الله عنها (قال : لما نزلت) هذه الآية
الكريمة من سورة الانعام (قل هو القادر على أن يبعث عليكم) معشر أمة محمد
ﷺ (عذابا من فوقكم)^(١) من الصيحة والريح والحجارة والطوفان ، كما د

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

وتمود ، وقوم لوط ، وقوم نوح ، وأصحاب الفيل ، (قال رسول الله ﷺ : أعود بوجهك) زاد في رواية : الكريم (فلما نزلت) الآية الثانية وهي قوله تعالى : (ومن تحت أرجلكم)^(١) من الخسف والرجفة ، كفارون وقوم شعيب (قال رسول الله ﷺ : أعود بوجهك) الكريم (فلما نزلت : أو يلبسكم الى ... بعض)^(٢) أي يلبسكم شيماً أي يخلطكم فرقا مختلفين ، قال أبو عبيدة : شيماً وفرقا ، واحداً شيمة ، وقال ابن عباس رضي الله عنها في قوله شيماً : الالهواء المختلفة ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، بالحرب والقتل في الفتنة (قال) ﷺ : (هذه أهون وأيسر) وفي رواية في « الصحيحين » : « هذا أهون ، أو هذا أيسر ، الشك من الراوي ، والضمير يعود على الكلام الأخير ، وفي كتاب « الاعتصام ، من صحيح البخاري : « هاتان أهون أو أيسر ، أي خصلة الالتباس ، وخصلة اذاقة بعضهم بأس بعض .

وقد روى ابن مردويه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنها ، ما يفسر به حديث جابر رضي الله عنه ، واغظه : « عن أبي النبي ﷺ قال : دعوت الله أن يرفع عن أمي أربعة ، ورفع عنهم اثنتين ، وأبي أن يرفع عنهم اثنتين ، دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والخسف من الأرض ، وإن لا يلبسهم شيماً ، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض ، ورفع عنهم الخسف والرجم ، وأبي أن يرفع عنهم الآخرين » .

فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله : من فوقكم ، ومن تحت أرجلكم ، ويستأنس له أيضاً بقوله تعالى : « أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر ، أو يرسل عليكم حاصبا »^(٣) ووقع أصرح من ذلك عند ابن مردويه ، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه ، قال في قوله تعالى : « عذابا من فوقكم ، قال : الرجم » أو من تحت أرجلكم ، الخسف .

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

(٢) سورة الاسراء ، الآية : ٦٨

ويروى ان المراد بالفوق أئمة السوء ، وبالتحت خدام السوء ، رواه
السدي عن ابن عباس ، وقيل المراد بالفوق : حبس المطر ، وبالتحت : منع الثمرات ،
والاول هو المصنف .

وفي الحديث دليل على أن الخسف والرجم لا يقمان في هذه الأمة ، وفيه
نظر ، فقد روى الامام أحمد ، والطبري ، من حديث أبي بن كعب في هذه الآية
« قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم » (١) قال : « هن أربع ، وكلهن
واقع لا محالة ، فمضت اثنتان بمد وفاة نبيهم بخمس وعشرين سنة ، لبسوا شيئا ،
وذاق بعضهم بأس بعض ، وبقيت اثنتان ، واقمتان لا محالة : الخسف والرجم .
وقد أعل هذا الحديث : بأن أبي بن كعب لم يدرك سنة خمس وعشرين
من الوفاة النبوية ، فكان حديثه انتهى عند قوله : لا محالة ، والباقي كلام بعض
الرواة . وأعل أيضاً : بأنه مخالف لحديث جابر وغيره .

وأجيب بأن طريق الجمع : ان الاعادة المذكورة في حديث جابر وغيره ،
مقيدة بزمان مخصوص ، وهو وجود الصحابة ، والقرون الفاضلة ، وأما بمد
ذلك فيجوز وقوع ذلك فيهم .

وقد روى الامام أحمد ، والترمذي من حديث سعيد بن أبي وقاص رضي
الله عنه ، قال : سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية : قل هو القادر الى
آخرها ، فقال : أما إنها كائنة ، ولم يأت تأويلها بمد ، وهذا يحتمل أن لا يخالف
حديث جابر : بأن المراد تأويلها : ما يتعلق بالفتن ونحوها ، وعند الامام أحمد
أيضاً باسناد صحيح ، من حديث صحار « بالمملتين أوله مضموم مع التخفيف ،
العبيدي رفعه » قال : « لا تقوم الساعة حتى يخسف بقبائل ... الحديث .

وللترمذي من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « يكون في آخر
الامة خسف ، ومسح ، وقذف » ، ولابن أبي خيثمة من طريق هشام بن الغازي

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥

ابن ربيعة الجرشي ، عن أبيه ، عن جده ، رفته : « يكون في أمي الخسف والقذف ، والمسح ، وذكر فيه أيضاً عن علي عند الترمذي ، وعن عثمان ، وعن أبي هريرة ، وعن ابن مسعود ، وابن عمر ، وابن عمرو ، وسهل ابن سعد ، عند ابن ماجة . وعن أبي أمامة ، عند الامام أحمد . وعن قتادة ، عند ولده . وعن أنس عند البزار . وعن عبد الله بن بسر ، وسعيد بن أبي راشد ، عند الطبراني . وعن ابن عباس ، وأبي سعيد ، عنده في «الصغير» . وفي أسانيدھا مقال غالباً ، كما في «الفتح» . لكن يدل مجموعها : على أن لذلك أصلاً ، ويحتمل في طريق الجمع أيضاً ، أن يكون المراد : ان ذلك لا يقع لجميعهم ، وان وقع لا فراد منهم ، غير مقيد بزمان ، كما في خصلي المدو الكافر ، والسنة العامة ، فانه ثبت في «صحيح» مسلم ، من حديث ثوبان رفته في حديث أوله : « إن الله زوى لي مشارق الارض ومغاربها ، وسيلغ ملك أمي ما زوى لي منها .. الحديث وفيه : « واني سألت ربي أن لا يهلك أمي بسنة عامة ، وان لا يسلط عليهم عدواً من غير أنفسهم ، وان لا يلبسهم شيماً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، فقال يا محمد : اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد ، واني أعطيتك لامتك ان لا أهلكهم بسنة عامة ، وان لا أسلط عليهم عدواً من غيرهم ، فيستبيح بيضتهم ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً .

وأخرج الطبري من حديث شداد نحوه ، باسناد صحيح : « فلما كان تسليط المدو الكافر قد يقع على بعض المؤمنين ، لكنه لا يقع عموماً . كذلك الخسف والقذف ، ويؤيد هذا الجمع ، ما روى الطبري من مرسل الحسن قال : « لما نزلت قل هو القادر » (١) الآية ، سألت النبي صلى الله عليه وسلم ربه ، فهبط جبريل فقال : يا محمد : انك سألت ربك أرباً ، فأعطاك اثنتين ، ومنمك اثنتين : أن يأتينهم عذاب من فوقهم ، أو من تحت أرجلهم فيستأصلهم ، كما استأصل الأمم الذين كذبوا أنبياءهم ، ولكنه يلبسهم شيماً ، ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان

(١) سورة الانعام ، الآية : ٦٥ .

عذابان لأهل الاقرار بالكتب ، والتصديق بالأنبياء ، . انتهى .

وقد وردت الاستعاذة من خصال أخرى : منها عن ابن عباس ، عند ابن مردويه مرفوعاً ، « سألت ربي لأمتي أربما ، فأعطاني اثنين ، ومنعني اثنين ، سألته : أن يرفع عنهم الرجم من السماء ، والفرق من الأرض ، فرفعها ... الحديث . ومنها حديث سعد بن أبي وقاص ، عند مسلم مرفوعاً : « سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالفرق ، فأعطانيها ؛ وسألته أن لا يهلكهم بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ، وعند الطبري ، من حديث جابر بن سمرة نحوه ، لكن بلفظ : « أن لا يهلكوا جوعاً » .

وهذا أيضاً مما يقوي الجمع المذكور ، فإن الفرق والجوع ، قد يقع لبعض دون بعض ، لكن الذي حصل منه الأمان : ان يقع عاما . وعند الترمذي ، وابن مردويه ، من حديث خباب نحوه ، وفيه : « أن لا يهلكنا بما أهلكت الامم قبلنا ، وكذا في حديث نافع بن خالد الخزازي ، عن أبيه ، عند الطبري ، وعند الامام أحمد ، من حديث أبي بصرة نحوه . لكن قال : بدل خصلة الاهلاك . « أن لا يجمعهم على ضلالة » وكذا الطبري من مرسل الحسن ، ولابن أبي حاتم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه : « سألت ربي لأمتي أربما ، فأعطاني ثلاثا ، ومنعني واحدة ، سألته أن لا يكفر أمتي جملة فأعطانيها ، وسألته أن لا يظهر عليهم عدواً من غيرم فأعطانيها ، وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الامم قبلهم فأعطانيها . وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ، وللطبري من طريق السدي مرسل نحوه .

ودخل في قوله : بما عذب به الامم قبلهم ، الفرق كقوم نوح وفرعون ، والهلاك بالريح كما د ، والخسف كقوم لوط وقارون ، والصيحة كشمود ،

وأصحاب مدين ، والرجم كأصحاب القيل ، وغير ذلك مما عذبت به الامم
عموماً .

وإذا جمعت الخصال المستعاذ منها ، من هذه الاحاديث التي سقناها ، بلغت
نحو العشرة ، وفهم من الحديث ، ومما سقناه من الاحاديث ، من كونه صلى الله عليه وسلم : سأل
رفع الخصلتين الاخيرتين ، فأخبر بأن ذلك قد قدر من قضاء الله ، وأنه لا يردان
القضاء والقدر . لاراد لمحمومه . وأما ما زاده الطبراني ، من طريق ابي الزبير عن
جابر ، في حديثه بعد قوله : « هذا أيسر » قال : « ولو استعاذه لأعاده » فمحمول
على أن جابراً لم يسمع بقية الحديث ، وحفظه سعد بن أبي وقاص وغسيرة ،
ويحتمل أن يكون قائل : « ولو استعاذه من بعض رواته » دون جابر رضي الله عنه
والله أعلم .

الحديث الثامن والعشرون

٤٣ - ثنا سفيان ، عن عمرو ، ذكروا الرجل يهلُ
بعمرة فيحل ، هل له أن يأتيَ قبل أن يطوف بالصفاء والمروة ؟ فسألت
جابر بن عبد الله فقال : لا حتى يطوف بين الصفا والمروة ،
وسألت ابن عمر ، فقال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطاف بالبيت
سبعاً ، وصلى خلف المقام ركعتين ، وسعى بين الصفا والمروة ،
ثم قال : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار (ذكروا الرجل) اذا أحرم (يُهَلُّ) أي يرفع صوته محرماً ملبياً (بمرة فيحل) بأن يطوف بالبيت (هل له أن يأتي) يعني امرأته (قبل أن يطوف) أي يسمى (بالصفاء والمروة ؟) أي بينها ، قال عمرو بن دينار (فسألت جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما عن ذلك : (فقال) جابر : (لا) يأتي امرأته (حتى يطوف) يعني يسمى (بين الصفاء والمروة) سبعة أشواط ، لانه لا يفرغ من عمرته إلا بالطواف بالبيت سبعاً ، وبالسعي بين الصفاء والمروة سبعاً ، ثم يحلق أو يقصر ، فيحل له كل شيء كان قد منع منه بأحرامه ، لانه قد حل منه ، قال عمرو بن دينار (وسألت) أبا عبد الرحمن عبد الله (بن عمر) رضي الله عنهما عن ذلك (فقال) ابن عمر رضي الله عنه : (قدم رسول الله ﷺ) مكة المشرفة (فطاف بالبيت سبعاً وصلى خلف المقام) يعني مقام إبراهيم (ركعتين ، وسعى بين الصفاء والمروة) سبعة أشواط (ثم قال) ابن عمر رضي الله عنهما : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) وتقدم شرح هذا الحديث في الثاني عشر من أحاديث ابن عمر رضي الله عنهما .

الحديث التاسع والعشرون

٤٤ — ثنا سفيان ، عن عمرو ، عن جابر : كنا نزل على عهد رسول الله ﷺ والقرآن ينزل .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) ابن عيينة (عن عمرو) بن دينار (عن

جابر (بن عبد الله رضي الله عنها ^(١)) قال : (كنا) معشر الصحابة (نزل) أي نزع بعد الابلج ، لنزل خارج الفرج ، (على عهد رسول الله ﷺ) أي في زمنه ، هو بين أظهرهم (والقرآن ينزل) عليه ، ووقع في رواية « الكشميني » من « صحيح » البخاري : كان يمزل « بضم أوله ، وفتح الزاي ، على البناء للمجهول ، وكان ابن عينة حدث به مرتين ، وأسقط في رواية : « على عهد رسول الله ، وقصر على قوله : « كنا نزل ، والقرآن ينزل ، قال سفيان حين روى هذا الحديث : « ولو كان شيئاً ينهى عنه ، لناهنا عنه القرآن ، قد أخرج هذه الزيادة مسلم عن إسحاق بن راهوية ، عن سفيان ولفظه : كنا نزل والقرآن ينزل ، قال سفيان : لو كان شيئاً ينهى عنه الخ . فهذا ظاهر في أن سفيان قاله استنباطاً ، وأوم كلام الامام الحافظ أبي عبد الله عبد الغني المقدسي في « عمدته » ومن تبعه ان الزيادة المذكورة من نفس الحديث ، فأدرجها فيه ، وليس الأمر كذلك ، كما بينت ذلك في « شرح العمدة » واذا قال الصحابي : كنا نفعل الشيء الفلاني ، في زمن النبي ﷺ كان له حكم الرفع عند الأكثر ، لأن الظاهر اطلاع النبي ﷺ على ذلك ، وإقراره عليه ، لتوفر دواعيهم على سؤالهم إياه عن الاحكام . وأما اذا لم يصفه لزمن النبي ﷺ ففيه خلاف : فعند قوم له حكم الرفع أيضاً ، وما هنا

(١) وعلى هامش الاصل : هكذا وقع في « المسند » في النسخ المتأخرة والذي في « الصحيحين » وغيرهما قال عمرو بن دينار واخبرني عطاء : انه سمع جابراً فهو من الاحاديث التي نزل فيها عمرو بن دينار ، فانه سمع الكثير من جابر نفسه ، ثم ادخل بينها في هذا واسطة ، وهو عطاء ، وقد تواردت الروايات من اصحاب سفيان على ذلك الا ما وقع في « مسند الامام احمد » في النسخ المتأخرة ، فانه ليس في الاستناد عطاء ، لكن اخرجاه ابو نعيم من طريق « المسند » باثباته وهو المتمد ، فيكون هذا الحديث بهذا الاعتبار رابعياً ، لا من الثلاثيات فتنبيه له ، ويحتمل ان يكون رواه عمرو بن دينار اولاً بواسطة عطاء ، ثم سمع من جابر وبالعكس ، فعُدث به مرة هكذا ، ومرة هكذا وعلى كل حال هو من يزيد الاسانيد والله أعلم .

من الاول ، فان جابر رضي الله عنه صرح بوقوعه في عهده ﷺ ، وقد وردت عدة طرق تصرح باطلاعه على ذلك ، ولهذا قال جابر : « والقرآن ينزل ، أي فعلناه في زمن التشريع ، ولو كان حراماً لم يقر عليه ، والى هذا يشير كلام ابن عمر رضي الله عنهما : « كنا نتقي الكلام والانبساط الى نساءنا ، هية أن ينزل فينا شيء على عهد رسول الله ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ تكلمنا وانبسطنا ، أخرجه البخاري .

وأخرج مسلم ، من طريق أبي الزبير ، عن جابر رضي الله عنه قال : « كنا نزل في عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك نبي الله فلم ينهنا ، ومن وجه آخر عن أبي الزبير ، عن جابر ، أن رجلاً أتى رسول الله ﷺ فقال : « ان لي جارية وأنا أطوف عليها ، وأنا أكره أن تحمل ، فقال : اعزل عنها إن شئت ، فانه سيأتها ما قدر لها ، فلبث الرجل ، ثم أتاه فقال : ان الجارية قد حبلت ، قال : قد أخبرتك . ووقعت هذه القصة عنده من طريق سفيان بن عيينة بإسناد له آخر الى جابر ، وفي آخره فقال : « أنا عبد الله ورسوله » وأخرجه الامام أحمد ، وابن ماجه ، وابن أبي شيبة بسند آخر ، على شرط الشيخين بمعناه ، ففي هذه الطريق من التصريح يلوغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، واطلاعه عليه ، ما أغنى عن الاستنباط ، ولا سيما بالاذن في بعض الطرق بفعله ، وان أشعر السياق بأنه خلاف الاولى .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ غزوة بني المصطلق ، فسينا كرائم العرب ، فطالت علينا المزة ، ورغبنا في الفداء ، فاردنا أن نستمتع ونمزل ، فقلنا : نفعل ورسول الله ﷺ بين أظهرنا لانسأله ، فسألنا رسول الله ﷺ فقال : « لا عليكم أن لا تفعلوا ، ما كتب الله عز وجل خلق نسمة هي كائنة الى يوم القيامة ، إلا

ستكون ، . وفي لفظ قال لنا : « وانكم لتفعلون ، وانكم لتفعلون ، مامن نسمة كائنة الى يوم القيامة إلا هي كائنة ، . وفي آخر : « لاعليكم ان لاتفعلوا ذلك فانما هو القدر ، أو إنكم لتفعلون ، لاعليكم أن لاتفعلوا ، .

وأخرج مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال : « كنا نفل على عهد رسول الله ﷺ ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فلم ينهنا ، . وقد أخرج الامام احمد ؛ والبخاري ؛ وصححه ابن حبان ؛ من حديث انس بن مالك رضي الله عنه : « ان رجلا سأل عن العزل ؛ فقال النبي ﷺ : « لو ان الماء الذي يكون منه الولد أهرقه على صخرة ؛ لأخرج الله منها ولداً ، . وله شاهدان في « الكبير ، للطبراني .

وقد اختلف السلف في حكم العزل ؛ قال ابن عبد البر : لا خلاف بين العلماء أنه لا يعزل عن الزوجة الحرة إلا باذنها ؛ لأن الجماع من حقها ؛ ولها المطالبة به ؛ وليس الجماع إلا مالا يلحقه عزل . وواقفه في نقل هذا الاجماع ابن هبيرة من علمائنا ؛ وعبارته : واجمعوا على ان للمالك العزل عن أمته ؛ وان لم يستأذنها ؛ وأجمعوا على أنه ليس له العزل عن الحرة إلا باذنها . انتهى .

وتمقب بأن المعروف عند الشافعية : ان المرأة لاحق لها في الجماع أصلاً ، ثم في خصوص هذه المسألة عند الشافعية خلاف مشهور في جواز العزل عن الحرة بغير اذنها . قال القرطبي وغيره : يجوز وهو المصحح عند المتأخرين ؛ واحتج الجمهور لذلك بحديث عن عمر ؛ أخرجه الامام أحمد ؛ وابن ماجة بلفظ : « نهى عن العزل عن الحرة إلا باذنها ، . وفي اسناده ابن لهيعة . والوجه الآخر للشافعية : الجزم بالمنع اذا امتنع . وفيما اذا رضيت وجهان : أصحها الجواز : هذا في الحرة . وأما الأمة ؛ فان كانت زوجة فهي مرتبة على الحرة ؛ ان جاز فيها ؛ ففي الأمة أولى ؛ وان امتنع فوجهان : أصحها الجواز تحرراً من إرقاق الولد . وان كانت

سرية جاز بلاخلاف عندم إلا في وجه حكاة الروياني منهم في المنع مطلقاً ؛ كذهب ابن حزم . وان كانت السرية مستولدة ؛ فالراجح الجواز فيها مطلقاً ، لأنها ليست راسخة في الفراش . هذا تحرير مذهبهم كما ذكره الحافظ ابن حجر في «الفتح» . واتفقت المذاهب الثلاثة : على ان الحرة لا يمزل عنها إلا باذنها ؛ وان الأمة يمزل عنها بغير إذننها ؛ واختلفوا في المزوجة : فعند المالكية كذهبنا يحتاج الى اذن سيدها ؛ وهو قول أبي حنيفة أيضاً ؛ وقال أبو يوسف ومحمد : الاذن لها . وهي رواية عن الامام أحمد . وعنه باذننها .

قال الامام العلامة ابن مفلح في « فروعه » : ويحرم المزل بلا اذن حرة ، وسيد أمة ، وقيل واذننها ، وقيل يباح مطلقاً ، وقيل عكسه ، ولا اذن لسريته . وفي ام الولد وجهان : قلت : المتمد هي سرية فله المزل عنها . قال علماءنا : واذا عن له أن ينزع قبل الانزال ، لا على قصد الانزال خارج الفرج ، لم يحرم في الكل .

تنبيهات

الأول : يجب عليه المزل عن الكل بدار حرب ، ولو بلا اذن لئلا يستولى على ولده . كما في « الاقناع » وفي «المنتهى» بسن . قال العلامة مرعي^(١) في «غايته» : يكون المزل في دار الحرب وجوباً ، إن حرم ابتداء النكاح . وأما ان جاز ابتداء النكاح فيسن المزل ، وكذا في « شرح المنتهى » لمريض .

الثاني : أنكر بعض علماء الشافعية التفصيل بين حرمة المزل عن الحرة إلا باذننها ، وعدم الحرمة عن السرية . وقال : أتى هذا والجواب : ان عند عبد الرزاق ، بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنها . قال : تستأمر المرأة

(١) في الاصل : قال العلامة : م ع .

في الزل ، ولا تستأمر الأمة السرية ، فان كانت أمة تحت حر ، فعليه أن يستأمرها
وهذا نص في المسألة . فلو كان مرفوعا ، لم يحجز المدول عنه .

الثالث : اختلف في الوطء : هل للمرأة حق فيه أولا ؟ فذهبنا لها حق
في الوطء . وقد استنكر ابن العربي من المالكية القول بمنع الزل عمن يقول
بان المرأة لا حق لها في الوطء . ونقل عن مالك : ان لها حق المطالبة به ؛ اذا
قصد بتركه إضرارها . وعن الشافعي وأبي حنيفة : لا حق لها فيه ؛ إلا في وطئة
واحدة ، يستقر بها المهر . قال : فاذا كان الامر كذلك ، فكيف يكون لها حق
في الزل ؟ فان خصوه بالوطئة الاولى فيمكن ، وإلا فلا يسوغ فيما بعد ذلك إلا
على مذهب مالك . بالشرط المذكور . « انتهى » .

قال في « الفتح » : وما نقله عن الشافعي غريب ، والمعروف عند أصحابه
ان لا حق لها أصلا . نعم جزم ابن حزم بوجوب الوطء ، وبتحريم الزل ،
واستند الى حديث جدامة ^(١) بنت وهب ^(٢) ان النبي ﷺ سئل عن الزل .
فقال : « ذلك الوأد الخفي » أخرجه مسلم . وهذا معارض لمحدثين : أحدهما
أخرجه النسائي ، والترمذي ، وصححه من طريق معمر ، عن يحيى بن أبي كثير
عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان ، عن جابر رضي الله عنه . قال : « كانت لنا
حواري ، وكنا نمزل ، فقالت اليهود : ان تلك الموءودة الصغرى ، فسئل رسول الله
ﷺ عن ذلك . فقال : كذبت اليهود : لو أراد الله خلقه لم يستطع رده ،
وأخرجه النسائي من طريق هشام ، وعلي بن المبارك وغيرهما ، عن يحيى ، عن

(١) وعلى هامش الاصل : « بضم الجيم والادال المهملة ، ويروى بالذال المعجمة ايضا ،

وقال الدارقطني هو يعني بالمعجمة ، تصحيف » .

(٢) وعلى هامش الاصل : وكانت تحت انيس بن قتادة من بني عمرو بن عوف روت عنها

عائشة . رضي الله عنها

محمد بن عبد الرحمن ، عن أبي مطيع ابن رفاعة ، عن أبي سعيد نحوه ، وعن أبي هريرة نحوه أيضاً ، والحديث الثاني في النسائي ، من وجه آخر ، عن محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة . وهذه طرق يقوى بعضها ببعض . ويجمع بينها وبين حديث جدامة ، بحمل حديث جدامة في التنزيه ، وهذه طريقة البهقي .

ومنهم من ضعف حديث جدامة بأنه معارض ، بما هو أكثر طرقاته ؛ وكيف يصرح بتكذيب اليهود في ذلك ، ثم يثبت ؛ وهذا دفع للاحاديث الصحيحة بالاثم . والحديث صحيح لا ريب فيه ، والجمع ممكن .

ومنهم من ادعى أنه منسوخ ، ورد بعدم معرفة التاريخ :

وقال الطحاوي : يحتمل أن يكون حديث جدامة على وفق ما كان عليه الأمر أولاً من موافقة أهل الكتاب ؛ لأنه كان ﷺ يجب موافقة أهل الكتاب فيما لم ينزل عليه ، ثم أعلمه الله بالحكم ، فكذب اليهود فيما كانوا يقولونه . وتعقبه ابن رشد ، ثم ابن العربي ، بأنه لا يجوز شيء تبعاً لليهود ، ثم يصرح بتكذيبهم فيه .

ومنهم من رجح حديث جدامة اثبوتته في « الصحيح » وضمف مقابله بأنه حديث واحد اختلف في إسناده ، فاضطرب ، ورد بأن الاختلاف إنما يقدح حيث لا يقوى بعض الوجوه ، ففي قوياً بعضها عمل به ، وهو هنا كذلك ، والجمع ممكن

ورجح ابن حزم العمل بحديث جدامة بأن أحاديث غيرها موافق أصل الاباحة ، وحديثها يدل على المنع . قال : فمن ادعى أنه أبيع بمد أن منع ؛ فليبه البيان .

وتعقب بأن حديثها ليس صريحاً في المنع ؛ إذ لا يلزم من تسميته وأداً

خفياً على طريق التشبيه أن يكون حراماً ، وخصه بمضهم بالزول عن الحامل ؛ لزوال المعنى الذي كان يحذره الذي يعزل من حصول الحمل ، لكن فيه تضييع للحمل ؛ لأنه يغذوه ، فقد يؤدي العزل الى موته ، أو الى ضعفه المفضي الى موته ، فيكون وأداً خفياً ، وجموا أيضاً بين تكذيب اليهود في قولهم : المؤودة الصغرى ، وبين إثبات كونه وأداً خفياً في حديث جدامة بأن قولهم : المؤودة الصغرى يقتضي أنه وأد ظاهر ، لكنه صغير بالنسبة الى دفن المولود بعد وضعه حياً ، فلا يمرض قوله : إن العزل وأد خفي ؛ فانه يدل على أنه ليس في حكم الظاهر أصلاً ، فلا يترتب عليه حكمه . وإنما جعله وأداً من جهة اشتراكها في قطع الولادة .

وقال بمضهم : قوله : الوأد الخفي ، ورد على طريق التشبيه ، لأنه قطع طريق الولادة قبل مجيئه ، فأشبهه قتل الولد بعد مجيئه .

وقال الامام ابن القيم : الذي كذبت فيه اليهود ، زعمهم أن العزل لا يتصور معه الحمل أصلاً ، وجملوه بمنزلة قطع النسل بالوأد ، فأكذبهم وأخبر أنه لا يمنع الحمل إذا شاء الله خلقه ، وإذا لم يرد خلقه لم يكن وأداً حقيقة ، وإنما سماه وأداً خفياً في حديث جدامة ؛ لأن الرجل إنما يعزل هرباً من الحمل ، فأجرى قصده لذلك مجرى الوأد ، لكن الفرق بينها ؛ أن الوأد ظاهر بالباشرة ، اجتمع فيه القصد والفعل . والعزل يتعلق بالقصد صرفاً ، فلذلك وصفه بكونه خفياً ؛ فهذه عدة أجوبة أشار اليها في « الفتح » .

الرابع : اختلفوا في علة النهي عن العزل ، فقيل : لتفويت حق المرأة ، وقيل : لمائدة القدر ، وهذا هو الذي يقتضيه معظم الأخبار الواردة في ذلك ،

والأول مبني على صحة الخبر ، المفرق بين الحرية والأمة ؛ وقد علل علماؤنا تحريم
العزل ، لأن لها في الولد حقا ، وعليها في العزل ضرر ، فلم يجوز إلا بأذنها ، وقاسوا
على ذلك سيد الأمة واستوجه في « الناية » أن العزل عن الأمة مع ضررها ، يحرم
بلا إذنها . والله أعلم .

الحديث الثلاثون

٤٥ — ثنا سفيان ، عن عمرو وابن المنكدر ، سمعا
جابرأ يزيد أحدهما على الآخر ، قال : قال رسول الله ﷺ :
دخلت الجنة ، فرأيت فيها قصراً أو داراً ، فسمعت فيها صوتاً ،
فقلت : لمن هذا ؟ ف قيل : لعمر ، فأردت أن أدخلها ، فذكرت
غيرتك يا أبا حفص ، فبكى عمر ، وقال مرة : فأخبر بها عمر ،
فقال : يا رسول الله ، وعليك بغار ؟

قال سفيان : سمعته ، ابن المنكدر وعمرو سمعا جابرأ .

قال رضي الله عنه : (ثنا سفيان) بن عيينة (عن عمرو) بن دينار (و) محمد
(بن المنكدر) أنها (سمعا جابرأ) رضي الله عنه (يزيد أحدهما على الآخر . قال)
جابر رضي الله عنه (قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) يحتمل أن يكون
دخوله لها يقظة أو مناما ، وقد جاء الحديث بهذا اللفظ في « الصحيحين » وغيرهما ،
وجاء فيها ~~كثيرهما~~ . قال رسول الله ﷺ : رأيتني دخلت الجنة . وفي لفظ :

بينما أنا نائم ، رأيتني في الجنة . وهذا يمين أحد الاحتمالين في اللفظ الذي أخرجه الامام هنا ، بأنه كان مناماً (فرأيت فيها) أي الجنة (قصرأ) زاد في رواية في « الصحيحين » من ذهب (أو دارأ) وفي رواية فيها : دخلت الجنة ، ورأيت فيها دارأ أو قصرأ . والقصر : المنزل أو كل بيت من حجر ، والحصن (فسمعت فيها) أي الجنة (صوتاً) وفي لفظ خشفة – بفتح الخاء والشين المعجمتين والفاء ، فهاء تأنيث – صوت حركة ليس بالشديد ، قاله أبو عبيد .

وقال الفراء : الواحد بتحريك الشين المعجمة الحركة ، كما في « المطالع » وفي « القاموس » : الخشف والخشفة وبمحرك : الصوت والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديب الحيات ، وصوت الضبع ، وقد غلب عليه السهولة .

قال رسول الله ﷺ : لما سمع الصوت ، فقلت : من هذا ، فقال : هذا بلال... لحديث ، وفيه : (فقلت لمن هذا) القصر . قال الطقمي في « حاشية الجامع الصغير » الظاهر أن المخاطب له بذلك جبريل أو غيره من الملائكة . انتهى .

قلت : وكأنه لم يستحضر حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عند ابن أبي الدنيا مرفوعاً : دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض ، قال : قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ قال لرجل من قريش ، فرجوت أن أكون أنا ، فقلت : لأي قريشي (فقيل) أي قال جبريل عليه السلام : هو (لمر) بن الخطاب رضي الله عنه ، ولا ينافي حديث أنس هذا حديثه في « الصحيحين » . أنه ﷺ قال : دخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لشاب من قريش ، فظننت أني أنا هو ، فقلت : ومن هو ؟ قالوا : لمر بن الخطاب .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه : فأتيت على قصر مربع . ف من ذهب .

قال الامام الحق ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح الى منازل الافراح »

وهذا أي حديث أنس الذي عند ابن أبي الدنيا إن كان محفوظاً ، فيأضه : نوره وإشراقه وضياؤه .

وقال الحسن : قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي ، أو صديق ، أو شهيد ، أو حكم عدل ، يرفع بها صوته .

وقال الأعمش عن مالك ابن الحارث عن أبي سمى ، قال : انت في الجنة قصوراً من ذهب ، وقصوراً من فضة ، وقصوراً من لؤلؤ ، وقصوراً من ياقوت ، وقصوراً من زبرجد (فأردت أن أدخلها) أي تلك الدار .

وفي لفظ في « الصحيحين » وغيرها ، فأردت أن أدخله فأنظر إليه ، أي القصر (فذكرت غيرتك يا أبا حفص) النيرة — بفتح النين المجبة وسكون التحتية بمدّها راء — قال القاضي عياض وغيره : هي مشتقة من تغير القلب ، وهيجان الغضب ، بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي . وأما في حق الله تعالى . فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به في حديث أبي هريرة ، وهو قوله ﷺ : وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه .

قال عياض : ويحتمل أن تكون النيرة في حق الله تعالى الإشارة إلى تغيير حال فاعل ذلك ، وقيل : النيرة في الأصل الحمية والانفة ، وهو تفسير بلازم التفسير ، فرجع إلى الغضب ، وقد نسب سبحانه وتعالى إلى نفسه في كتابه العزيز الغضب والرضى .

قال ابن العربي : التفسير محال على الله بالدلالة القطعية ، فيؤول بالوعيد ، أو المقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك .

ومذهب السلف : الإيمان بما أخبر بالمنى الذي أراده ، لا كما يخطر في عقول البشر ، ومن أشرف وجوه غيرته تعالى اختصاصه قوماً بعصمته ، يعني لمن ادعى شيئاً من ذلك لنفسه ، عاقبه تعالى .

وأشدّ الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يبار الله ولدينه ، ولهذا كان لا ينتقم لنفسه (فبكى عمر) بن الخطاب رضي الله عنه .

وروي من حديث أنس ، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، ولفظ حديث أبي هريرة : قال رسول الله ﷺ : بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : لعمر ، فذكرت غيرته فوليت مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه .

(وقال) جابر رضي الله عنه (مرة ، فأخبر) بالبناء لما لم يسم فاعله (بها) أي بالرؤيا (عمر) بالرفع نائب الفاعل (فقال) عمر رضي الله عنه (يا رسول الله ، عليك يبار) (رفع المثنى ، مبنياً لما لم يسم فاعله .

وفي لفظ حديث أبي هريرة في « الصحيحين » وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟ بالبناء للمعلوم . وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، عليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام الإنكاري ، أخرجه البخاري ومسلم .

وفي « الصحيحين » من حديث جابر رضي الله عنه ، فقال عمر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، عليك أغار ؟ بالتصريح بأداة الاستفهام أيضاً . (قال سفيان) بن عيينة (سمعته) أي الحديث المتقدم ذكره من محمد (بن المنكدر ، و) من (عمرو) بن دينار ، وهما (سمعا جابراً) رضي الله عنه صرح بذلك ، لنفي توهم التدليس بالمنعنة .

تنبيهات

الأول : في هذا الحديث دليل على منقبة سيدنا عمر رضي الله عنه ، وفيه أن من علم من صاحبه خلقاً لا ينبغي أن يمرض لما ينافره ، وفيه أن رسول الله ﷺ كان يعلم أن عمر كان شديد الغيرة .

واعلم أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، هو عمر الفاروق
ابن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن
عدي بن كعب بن لؤي بن غالب ، كما تقدم في نسب ابنه عبد الله رضي الله عنها ،
القرشي العدوي وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
ويعرف هاشم بندي الرحمين .

قال الامير ابن ماكولا : ومن قال فيه : بنت هشام فقد أخطأ .

أسلم سيدنا عمر رضي الله عنه سنة ست من النبوة ، وقيل : سنة خمس
بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة ، ويقال : به تمت الأربعون ، وظهر
الاسلام يوم إسلامه ، وسمي الفاروق لذلك ، وشهد المشاهد كلها مع النبي
صلى الله عليه وسلم .

وهو أول خليفة دعي بأمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ للمسلمين
وأول من جمع القرآن في الصحف ، والصحيح الصحيح ، وأول من جمع الناس
على قيام رمضان ، وكان أبيض تملوه حمرة ، وقيل : آدم طوالاً أصلع ، شديد
حمرة العينين ، في عارضه خفة ، أعسر يسر^(١) ، يخضب بالحناء والكتم ، قام بالأمر
بعد موت الصديق بمهده اليه ، ونصه عليه .

وفي « الترمذي » من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال عمر رضي الله
عنه لأبي بكر رضي الله عنه : يا خير الناس بعد رسول الله ﷺ ، فقال
أبو بكر : أما إنك إن قلت ذلك ، فلقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت
الشمس على رجل خير من عمر .

وقال ﷺ كما في حديث ابن عمر عند الترمذي : اللهم أعز الاسلام بأحب
هذين إليك ، بأبي جهل ، أو بعمر بن الخطاب . قال : فكان أحبها إليه عمر .
قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

(١) أي يعمل بكتنا يديه .

وأخرج الترمذي من حديث ابن عمر ، أن رسول الله ﷺ قال : إن الله تعالى جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

قال ابن عمر : ما نزل بالناس أمر قط ، فقالوا فيه ، وقال فيه عمر ، أو قال : ابن الخطاب ، شك خارجة إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر . قال الترمذي : حديث حسن صحيح .

وأخرج أبو داود من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : وضع الحق على لسان عمر يقول به ، وروى الترمذي من حديث عقبة بن عامر مرفوعاً : لو كان بمدي نبي لكان عمر بن الخطاب ، وقال : حديث حسن غريب .

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس محدثون ، من غير أن يكونوا أنبياء ، فإن يكن في أمي أحد ، فإنه عمر .

قال ابن وهب تفسير محدثون : ملهون ، وأخرجه مسلم من حديث عائشة ، والترمذي ، وقال : حسن صحيح . وقال ابن عينة : محدثون : مفهون . وأخرج البخاري ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .

وفي «الصحيحين» و«سنن الترمذي» و«النسائي» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول بينما أنا قائم رأيت الناس يمرضون عليهم^(١) قمص ، فنها ما يبلغ الثدي ، ومنها ما يبلغ دون ذلك ، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره ، قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .

(١) كذا في الأصل : وفي «صحيح مسلم» يمرضون وعليهم قمص .

وفي « الصحيحين » ، والترمذي أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أتيت بقدح لبن ، فشربت منه حتى إني لأرى الري يخرج من أظفاري ، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب قال من حوله ، فما أولته يارسول الله ؟ قال : العلم . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : بينا أنا نائم رأيتني على قليب وعليها دلو ، فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ، ذنوباً أو ذنوبين . وفي نزعه ضعف ، والله يغفر له ، ثم استحالت غرباً^(١) فأخذها عمر بن الخطاب ، فلم أر عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر ، حتى ضرب الناس بمطن ، وأخرجاه من حديث ابن عمر .

قال في « النهاية » عبقرى القوم : سيدهم وكبيرهم وقويمهم ، والاصل في العبقرى فيما قيل : إن عبقر قرية يسكنها الجن فيما يزعمون ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئاً عظيماً في نفسه ؛ نسبوه اليها ، فقالوا : عبقرى ، ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد والكبير .

وقوله : يفري فريته^(٢) ، أي يعمل عمله ويقطع قطعه . ويروى : يفري فريه ، بسكون الراء والتخفيف ، ويحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل ، وغلط قائله وأصل الفري : القطع ، يقال : فريت الشيء أفريه فريباً ، إذا شققته وقطعته للإصلاح ، فهو مفري ، وأفريته إذا شققته على جهة الإفساد .

والمطن : مبرك الابل حول الماء ، يقال : عطنت الابل فهي عاطنة ، وعواطن ، إذا سقيت وبركت عند الحياض لتقاد الى الشرب مرة أخرى ، وأعطنت الابل إذا فلتت بها ذلك مثلاً ، لاتساع الناس في زمن عمر رضي الله عنه ومافتح عليهم من الامصار .

(١) الغرب : الدلو الخلية .

(٢) لقد نقل المؤلف رواية مسلم ، وشرح هنا ما في رواية البخاري ، وهو قوله : فاستحالت غرباً فلم أر عبقرياً يفري فريه .

وفي الترمذي من حديث بريدة رضي الله عنه قال : حرج رسول الله ﷺ في بعض منازيه ، فلما أنصرف جاءت جويرة سوداء ، فقالت : إني كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف ، وأتقي ، فقال لها : إن كنت نذرت فأضربي وإلا فلا ، فقالت : نذرت ، فجعلت تضرب ، وزاد رزين : وتقول :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

ثم اتفقا ، فدخل أبو بكر رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل علي رضي الله عنه وهي تضرب ، ثم دخل عثمان رضي الله عنه وهي تضرب ؛ ثم دخل عمر رضي الله عنه فأقت الدف تحت استها وقعدت عليه ، فقال رسول الله ﷺ : إن الشيطان ليخاف منك يا عمر ، إني كنت جالساً وهي تضرب ، فدخل أبو بكر وهي تضرب ، ثم دخل علي وهي تضرب ، ثم دخل عثمان وهي تضرب ، فلما دخلت أمت يا عمر أقت الدف وجلست عليه . قال الترمذي : حديث حسن صحيح غريب .

وفي « الصحيحين » من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما تفيك الشيطان سالماً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ، وأخرجه مسلم من حديث أبي هريرة أيضاً .

والاحاديث في فضله كثيرة ، ومناقبه ومزاياه غزيرة ، وقد كناه النبي ﷺ أبا حفص ، وذلك لما قال ﷺ في أسارى الكفار ييدر : إن رجالاً من بني هاشم قد أخرجوا كرهاً لاجابة لهم بقتالنا ، فمن لقي أحداً من بني هاشم فلا يقتله . قال أبو حذيفة : أنقتل أبانا وإخواننا وعشيرتنا ونترك المباس ، والله لئن لقيناه لاجمئته السيف ، فبلغ النبي ﷺ ذلك ، فقال : يا أبا حفص يضرب وجه عم النبي ﷺ بالسيف ، فقال عمر : والله انه لأول يوم كئاني فيه رسول الله ﷺ بأبي حفص . رواه ابن الجوزي وغيره .

والحفص في اللثة ولد الأسد، ويلقب بالفاروق، لأن الله فرق به بين الحق والباطل، ولما هاجر عمر رضي الله عنه إلى المدينة هاجر جهرًا، وقال لمشركي قريش: من أراد أن تشكله أمه، ويقيم ولده، ويرمل زوجته فليقتني وراء هذا الوادي، فما تبعه منهم أحد، وذلك بعد ما تقلد سيفه وتكعب قوسه، وطاف بالكعبة سبعمائة، ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلق المشركين من قريش واحدة واحدة، فقال: شأهت الوجوه، من أراد أن تشكله أمه الخ. أخرجه ابن عساکر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: ما علمت أحدًا هاجر إلا محتفياً، إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما تمّ بالهجرة تقلد سيفه... الخبر.

قال الإمام النووي وغيره: شهد عمر رضي الله عنه مع النبي ﷺ المشاهد كلها.

وأخرج ابن سعد والطبراني عن ابن مسعود رضي الله عنه. قال: كان إسلام عمر فتحاً، وكانت هجرته نصراً. وأخرج ابن سعد والحاكم عن حذيفة رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر كان الإسلام كالرجل القبل لا يزداد إلا قرباً، فلما قتل عمر كان الإسلام كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً.

وأخرج ابن سعد عن صهيب رضي الله عنه قال: لما أسلم عمر ظهر الإسلام ودعا إليه علانية، وجلسنا حول البيت حلقاً، وطفنا بالبيت واتصفنا بمن غلظ علينا، ورددنا عليه بعض ما يأتي به. وكان رضي الله عنه شديداً على الكفار والمنافقين، ووافق ربه في أحكام معروفة مأثورة.

ولي رضي الله عنه بعد أبي بكر رضي الله عنه باستخلافه إياه عشر سنين وستة أشهر ونصف شهر، ففتح الله به الفتح، ودون الفواوين، ورتب الناس في ذلك، وحج بالناس عشر سنين متوالية، وحج في آخرهن بأسماء المؤمنين،

وهو أول من نورّ المساجد صلاة التراويح ، وأول قاض في الاسلام ، فان الصديق ولأه القضاء في خلافة .

قتل عمر رضي الله عنه شهيداً سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . طعنه أبو لؤلؤة ، فيروز غلام المغيرة بن شعبة في صلاة الصبح ست طعنات ، فمكث ثلاث ليال ومات يوم الاربعاء لثمان ليال بقين من ذي الحجة ، وهو ابن ثلاث وستين سنة .

روي له عن رسول الله ﷺ خمسمائة وتسعة وثلاثون حديثاً . اتفق « الشيخان » على تسعة وعشرين ، وافرد البخاري بأربع وثلاثين ، ومسلم بأحد وعشرين .

وفي « جامع الاصول » : إن أبا لؤلؤة لعنه الله طعن سيدنا عمر رضي الله عنه مصدر الحاج بالمدينة يوم الاربعاء لأربع بقين من ذي الحجة ، سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الاحد غرة المحرم ، سنة أربع وعشرين ، وصلى عليه صهيب ، ودفن الى جانب أبي بكر الصديق رضي الله عنها في الحجرة الشريفة عند النبي صلى الله عليه وسلم .

روى عنه أبو بكر وباقي العشرة رضي الله عنهم ، وابنه عبد الله وأبو هريرة وابن عباس وابن الزبير وأنس بن مالك وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، ومن التابعين علقمة بن وقاص الليثي ، ومالك بن أوس ، الحدثان ، وهما ممدودان من الصحابة .

ونفيل في نسبه ، بضم النون وفتح الفاء ، ورياح بكسر الراء وبالياء التحنية والحاء المهملة ، وقرط ، بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة ، ورزاح تقدم ضبطه في ترجمة ابنه عبدالله ، وتقدم ضبط بعض هذه الاسماء ، والله أعلم .

الثاني : قال الخطابي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ ، كما في « الصحيحين » ،

وغيرهما من حديث أبي هريرة : رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر : ان هذه اللفظة تصحيف ، وعزا القرطبي هذا لابن قتيبة ، وارتضاء ابن بطال . قال : لان الحور طاهرات لا وضوء عليهن ، وكذا كل من دخل الجنة ، لا يلزمه طهارة ، وقد استدل الداوودي بهذا الحديث على أن الحور في الجنة يتوضآن ويصلين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ولا يلزم من كون الجنة لا تكليف فيها بالعبادة أن لا يصدر من أحد من المباد باختياره ما شاء من أنواع العبادة .
الثالث : دل على أن الجنة موجودة الآن ، وكذا الحور العين ، وهذا الحق الذي لا محيد عنه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « حادي الارواح » : لم يزل أصحاب رسول الله ﷺ ، والتابعون وتابعهم ، وأهل السنة والحديث قاطبة ، وفقهاء الاسلام ، وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته ، مستندين في ذلك الى نصوص الكتاب والسنة ، وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم الى آخرهم ، فانهم دعوا الأمم اليها ، وأخبروا بها الى أن نبئت نابعة من القدرية والمعزلة ، فأنكرت أن تكون الآن مخلوقة ، وقالت بل الله ينشئها يوم المآد ، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضوا به شريعة فيما يفعله الله ، وانه ينبغي أن يفعل كذا ، ولا ينبغي له أن يفعل كذا ، وقاسوه سبحانه على خلقه في أفعاله ، فهم مشبهة في الأفعال ، ودخل التجهم فيهم ، فصاروا مع ذلك مطلة في الصفات ، وقالوا : خلق الجنة قبل الجزاء عبث ، فانها تصير مطلة مدداً متطاولة ، ليس فيها سكانها .

قلوا : ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأظمة والآلات والمصالح ، وعطّلها من الناس ، ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم

يكن ما فعله واقفاً على وجه الحكمة ، ووجد العقلاء سبيلاً الى الاعتراض عليه .
قال ابن القيم : فحجروا على الرب تعالى بمعولهم الفاسدة وآرائهم الباطلة ،
وشبهوا أفضاله بأفهامهم ، وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي
وضعوها للرب ، وحرّفوها عن مواضعها ، وضلّوا ، وبدّعوا من خالفهم فيها ،
والتزموا لها لوازِم أضحكوا عليهم فيها العقلاء .

ولهذا صار السلف يذكرون في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ،
ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة
لا يختلفون فيها .

قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين»
جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة ، الاقرار بالله وملائكته وكتبه
ورسوله ، وما جاء من عند الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، لا يردّون من ذلك شيئاً . قال فيه : ويقرّون أن الجنة والنار مخلوقتان ،
وقد قال تعالى : « ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى » (١)
وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ، ورأى عندها الجنة ، كما في « الصحيحين »
من حديث أنس رضي الله عنه في صفة الاسراء ، وفي آخره ، ثم انطلق بي
جبريل حتى أتى سدرة المنتهى ، ففشيها ألوان لا أدري ما هي . قال : ثم دخلت
الجنة ، فإذا فيها جنايد اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك .

قال في « المطالع » فسروا الجنايد بالقباب ، وواحدتها جنبذة بالضم ، والجنبذة
ما ارتفع من البناء .

وفي « صحيح مسلم » عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف ، وفيه :
ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً ، حين رأيتموني تأخرت .

(١) سورة النجم ، الآيات : ١٤-١٦

وفي « الصحيحين » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما . قال : انخفضت الشمس على عهد رسول الله ﷺ ، فذكر الحديث وفيه ، فقالوا : يا رسول الله ، رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ، ثم رأيناك تكلمت ، فقال : إني رأيت الجنة ، وتناولت عنقوداً ، ولو أصبته لأكلت منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النصار فلم أر منظراً كالיום قط أظلم ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا : بيم يا رسول الله . قال : يكفرون . قيل : أيكفرون بالله ؟ قال : يكفرون الشير ، ويكفرون الاحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيت منك خيراً قط .

وفي « البخاري » عن أسماء بنت الصديق رضي الله عنهما في حديث الكسوف . قال ﷺ : دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجتكم بقطاف من قطافها . . . الحديث ، وروى مسلم من حديث جابر نحوه ، وروى الامام أحمد وأبو داود والنسائي من حديث بن عمر نحوه .

وقد ذكر الله قصة خلق آدم وإسكانه الجنة وإهباطه له منها ، وكرر ذلك في كتابه العزيز ، وعلى كل حال الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة ، أن الجنة والنار موجودتان الآن .

وقد قال سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه في كتابه الذي يرد فيه على الجهمية والزنادقة . قال رضي الله عنه : هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر ، وأهل السنة المتمسكين بمروتها ، المعروفين بها ، المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا .

قال : وأدركت من أدركت ، من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها ، فمن خالف هذه المذاهب ، أو طعن فيها ، أو عاب قائلها ؛ فهو مخالف مستدع ، خارج عن الجماعة ، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق ، وسافر رضي الله

عنه أقوالهم ، الى أن قال : وقد خلقت الجنة وما فيها ، وخلقت النار وما فيها ، خلقها الله عز وجل ، وخلق الخلق لها ، لا يقنيان ولا يفتن ما فيها أبداً . فان احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل : « كل شيء هالك إلا وجهه » (١) ونحو هذا من متشابه القرآن ، قيل له : كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك ، والجنة والنار خلقنا للبقاء ، لا للفناء ولا للهلاك ، وهما من الآخرة ، لا من الدنيا ، والخور المعين لا يمتن عند قيام الساعة ، ولا عند النفخة ولا أبداً ، لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ، ولم يكتب عليهن الموت ، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ، وقد ضل عن سواء السبيل .

وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف ابن سفيان الحمصي - قال الخلال عنه : إنه حافظ ، إمام في زمانه ، معروف بالتقدم في العلم والمعرفة ، وكان الامام أحمد رضي الله عنه يعرف له ذلك - فمن زعم أنها لم يخلقها ، فهو مكذب برسول الله ﷺ وبالقرآن ، كافر بالجنة والنار ، يستتاب ، فان تاب وإلا قتل . وقال الامام أحمد في رواية عبدوس بن مالك المطار ، وذكر رسائله في السنة ، قال فيها : والجنة والنار مخلوقتان ، كما جاء عن رسول الله ﷺ : « اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، واطلمت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا ، فمن زعم أنها لم تخلقها ؛ فهو مكذب بالقرآن ، وأحاديث رسول الله ﷺ » ، قال : ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار ، الى غير ذلك من النقول عن الأئمة والرسول . وبالله التوفيق .

مسند أبي حمزة أنس بن مالك الانصاري رضي الله عنه

خادم رسول الله ﷺ

وعدة الاحاديث الثلاثيات الواقعة في مسند

سيدنا الامام أحمد رضي الله عنه

من مسند

سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه : مائة وأربعة وستون حديثاً

ونبدأ أولاً بترجمة أنس بن مالك رضي الله عنه ، فنقول :

هو أنس بن مالك ، بن النضر - بالضاد المعجمة - بن ضمضم - بفتح
مجمتين - ابن زيد ، بن حرام - بالخاء والراء المهملتين - الانصاري ، الخزرجي ؛
.. بالخاء المعجمة والزاي فراء بمدها جيم - النجاري - بالنون والجيم المشددة
والراء ، لأنه من ولد النجار ، وهو تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج .
قيل : سمي به لأنه اختن بقدوم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدوم ، والخزرج
هذا هو الخزرج الاكبر ، وهو أخو الاوس ، والانصار كلهم من أولاد الاوس
والخزرج ، من الازد . سماهم الله تعالى بذلك لما نصرُوا رسول الله ﷺ وآووه ،
وهم جمع نصير ، كاشراف وشريف ، ونسب اليه بلفظ الجمع على غير قياس ،
لخروجه مخرج العلم عليهم . قال ابن الاثير : الاكثر والاعرف ان واحد
الانصار مرفوض ، وأنه كواحد مسمى الجمع ، فنسب اليه على لفظه قطعاً ،
كنسبتهم الى مدائن : مدائي .

ولما قدم النبي ﷺ المدينة ، كان عمر أنس رضي الله عنه عشر سنين ،
أو تسماً أو ثمانياً على خلاف في ذلك ، فخدم النبي ﷺ مدة اقامته بالمدينة ، وهي

عشر سنين ، وقيل تسع سنين ، وكان انس رضي الله عنه يعرف بخادم رسول الله ﷺ ، وكان هو يتسمى بذلك ، ويفتخر به ، وكنى رسول الله ﷺ : أبا حمزة - بالخاء المعجمة والزاي - بقلعة حريفة ، تسمى حمزة . ويقال فيها حموضة ، ويكنى أيضاً ؛ أبا ثمامة - بضم المثلثة وتخفيف الميم - تـقله ابن عساكر ، وابن الاثير .

وأمه أم سليم بنت ملحان - بكسر الميم وبالخاء المعجمة - وفي « البخاري ومسلم » وغيرهما عن أنس رضي الله عنه . قالت أم سليم رضي الله عنها : يا رسول الله خادمك أنس ، ادع الله له . فقال : « اللهم أكثر ماله وولده ، وبارك له فيما أعطيته ، والبخاري : دخل النبي ﷺ على أم سليم ، فاتته بتمر وسمن ، فقال : « أعيذوا سمنكم في سقائه ، وتمركم في وعائه ، ثم قام الى ناحية البيت فصلى غير المكتوبة ، فدعا لأم سليم وأهل بيتها ، فقالت أم سليم : يا رسول الله إن لي خويصة . قال : ما هي . قالت : خادمك أنس . قال : فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا به . اللهم ارزقه مالا وولداً ، وبارك له ، فاني لمن أكثر الانصار مالا . وحدثني ابنتي أمية : أنه دفن لصلي الى مقدم الحجاج البصرة ، بضع وعشرون ومائة . وروى : خويصتك أنس ، ومعنى الخويصة : ما يختص به ، وأصله خاصة ، فصخرته لصخر سته يومئذ . وروى الترمذي عن أبي خلدة قال : قلت لأبي العالية سمع أنس من رسول الله ﷺ ؟ قال : خدمه عشر سنين ، ودعا له النبي ﷺ . كان له بستان يحمل في السنة الفاكة مرتين ؛ وكان فيها ريحان يجيء منه ريح المسك ، واسم أبي خلدة خالد بن دينار ، وهو ثقة عند أهل الحديث ، وأدرك أنس بن مالك وروى عنه .

وحمل أنس رضي الله عنه حديثاً كثيراً ، فروي له الفا حديث ومائتان وستة وثمانون حديثاً ، اتفق الشيخان على مائة وثمانية وستين . وانفرد البخاري

بثلاثة وثمانين ، ومسلم بأحد وستين ، فهو أحد المكثرين .
 مات رضي الله عنه بالبصرة ، في موضع يعرف بقصر أنس خارجها ، على
 فرسخ ونصف منها ، وهو آخر من مات بها من الصحابة رضي الله عنهم ، سنة
 إحدى وتسعين أو اثنين أو ثلاث . وعمره مائة وثلاث سنين ، أو سنة أو ستان
 روى عنه الزهري ، وابن سيرين ، وقتادة ، وثابت ، وحيد ، وجماعة من أولاده
 وأولاد أولاده ، وخلق كثير من التابعين رضي الله عنه .

الحديث الاول

٤٦ - حدثنا اسماعيل ، يعني ابن ابراهيم بن علي ، ثنا
 عبد العزيز ، يعني ابن صهيب ، عن أنس بن مالك أن النبي
 ﷺ رأى صبياناً ونساءً مقبلين ، قال عبد العزيز : حسبت أنه
 قال : من عرس ، فقام نبي الله ﷺ ممثلاً ، فقال : اللهم أنتم
 من أحب الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ، اللهم
 أنتم من أحب الناس إليّ ، يعني الانصار .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : (حدثنا ابو بشر (اسماعيل يعني ابن
 ابراهيم) بن مقسم الأسدي ، مولاه من أسد خزيمه ويعرف بـ (ابن عليّة)
 بضم العين المهملة وفتح اللام ، وتشديد الياء تحتهما ققطان ، وهي أمه ، الحافظ الثبت
 المتقن . روى عن عبد العزيز بن صهيب ، وأيوب السخيتاني ، وابن عون ، وسليمان
 التيمي ، وحيد الطويل ، وعنه ابن جريج ، وشعبة ، وحماد بن زيد ، وابن

مهدي ، والامام أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وعلي بن المديني ، واسحاق ابن راهويه ، وبندار ، ومسدد ، ويعقوب الدورقي وغيرهم .

قال شعبة : ابن عليّة سيد المحدثين ، وريحانة الفقهاء . وقال الامام أحمد : اليه المنتهى في التثبت بالبصرة . وقال غندر : ليس أحد مقدم عليه في الحديث . وقال ابن معين : كان ثقة ، مأموناً ، صدوقاً ، ورعاً ، تقياً . وقال قتيبة : كانوا يقولون : الحفاظ أربعة ؛ ابن عليّة ، وعبد الوارث ، ويزيد بن فديع ، ووهب . وقال أبو داود : ما أحد من المحدثين إلا قد أخطأ إلا ابن عليّة ، وبشر ابن الفضل . وقال ابن المديني : كان ثقة في الحديث حجة . ولد سنة عشرين ومائة ، ومات ينفاد ، سنة ثلاث وتسعين ومائة . (ثنا عبد العزيز يعني ابن صهيب) هو أبو حمزة البصري البناي ، بضم الباء الموحدة والنونين بينها ألف ، وبنانة بطن من قریش كما في والكرمانی ، وقال ابن الأثير في جامع الأصول : المنسوبون الى بنانة وهم ولد سعد بن لؤي ، وأم سعد اسمها بنانة ، وقيل : بل هي أمة لسعد ، كانت حضنت بنيه ، وقيل : بنانة أم بني سعد بن ضبيعة بن زرار . قال : ومن ينسب اليهم ثابت البناي وغيره . فأما عبد العزيز بن صهيب البناي فليس منسوباً الى القبيلة ؛ وإنما قيل له البناي لأنه كان ينزل سكة بنانة بالبصرة . انتهى . وقال ابن قتيبة : عبد العزيز وأبوه كانا مملوكين ؛ وأجاز إلياس بن معاوية شهادة عبد العزيز وحده .

(عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (ان النبي ﷺ رأى صبيانا) جمع صبي ، ويجمع أيضاً على صبوان ، وعلى صبوة وصبية ، والواو القياس ، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً ، والصبي من لم يقطع بعد ، والمراد هنا : رأى غلماناً مزاجقين (ونساء) جمع امرأة من غير لفظها ، ويجمع أيضاً على نسوة ، بالكسر والقسم ، ونسوان ونسوان كنساء بالكسر لا غير . (مقبلين) حال من الصبيان والنساء ،

وغلِب المذكر لشرفه ، ولأنه الاصل . (قال عبد العزيز) بن صهيب (حسب)
بفتح الحاء وكسر السين المهملتين ، أي ظننت (أنه) أي أنس بن مالك رضي الله
عنه (قال) مقبلين ضد مدبرين (من عرس) لهم (فقام النبي ﷺ) لما رآهم
مقبلين (ممثلاً) بضم أوله وسكون الميم الثانية ، بعدها مثلثة . وضبط أيضاً بفتح
الميم الثانية وتشديد المثلثة . ويروى بكسر التاء المثلثة وفتحها ، أي منتصباً قائماً .
هكذا شرح . قال في « النهاية » : وفيه نظر من جهة التصريف . وفي رواية
فمثل قائماً^(١) ، ولا يرد حديث : « من سره أن يمثل له الناس قياماً ، فليتبوأ مقعده
مقعه من النار » أي يقومون له قياماً ، وهو جالس ، يقال : مثل الرجل يمثل
مثولاً إذا انتصب قائماً ، لأنه بمنزل عن هذا ؛ لأن قيامه صلى الله عليه وسلم إنما
هو لسروره بهم . وأما المنهي عنه : إنما هو زِيء الاعاجم وهو أن يجلس الرئيس
ويتمثل الرجال بين يديه قياماً ، على آتم خضوع وأدب ، والحامل عليه الكبر
وإذلال الناس . (فقال) النبي ﷺ : (اللهم) الميم عوض من النداء ولهذا
لا يجتمعان الا ضرورة ، كقول الشاعر :

أقول : يا اللهم يا اللهما .

ولا تستعمل الا في الطلب ، فلا يقال : اللهم غفور رحيم
بل يقال : اغفر لي وارحمني . واختلف في الميم المشددة من آخر
الاسم ، فقال سيبويه : زيدت عوضاً من حرف النداء . ويسمى

(١) وعلى هامش الاصل : وفي « البخاري » : ممثناً بضم الميم ، بعدها ميم ساكنة ومثناة
مفتوحة ، فنون ثقبلة ، بعدها الف ، أي : قام قياماً قوياً مأخوذاً من التثنية ، بضم الميم وهي
القوة ، أي قام اليهم مسرعاً مشتداً في ذلك ، فرحاً بهم ، وقال ابو مروان بن سراج ، ورجعه
القرطبي : انه من الامتنان ، لان من قام له النبي صلى الله عليه وسلم واكرمه بذلك ، فقد
امتن عليه بشيء لا أعظم منه . وتقل ابن بطال عن القاسمي قال : قوله ممثناً ، يعني متفضلاً
عليهم بذلك ، فكأنه قال : يمتن عليهم بحجة . ووقع في رواية اخرى : متيناً ، بوزن عظيم ،
أي قام قياماً مستوياً ، منتصباً طويلاً . وفي رواية : قام لهم مثيلاً بوزن عظيم ايضاً ، وهو
فصيل من مائل .

ما كان من هذا الضرب عوضاً ؛ إذ هو في غير محل المحذوف ، فإن كان في محله سمي بدلاً ؛ كالألف في قام وباع ، فإنها بدل عن الواو والياء ، ولا يجوز عند سيبويه أن يوصف هذا الاسم أيضاً ، فلا يقال : اللهم الرحمن الرحيم أرحمني ، والضمة التي على الهاء ضمة الاسم المتأدى المفرد ، فإن التقدير : يا الله ، وفتحت الميم لسكونها ، وسكون الميم التي قبلها . وهذا من خصائص هذا الاسم الكريم . كما اختص بالتالي القسم ، وبداخل حرف النداء عليه مع لام التمرير . ويقطع همزة وصله في النداء ، وتفخيم لاه وجوباً غير مسبوقه بحرف إطباق . وقيل : الميم عوض عن جملة محذوفة ، والتقدير : يا الله أمينا بخير ، أي اقصدنا ، ثم حذف الجار والمجرور ، وحذف المفعول ، فبقي التقدير : يا الله أم ، ثم حذفوا الهمزة لكثرة دوران هذا الاسم في الدعاء على ألسنتهم فبقي يا اللهم ، وهذا قول الفراء ، وهو يجوز دخول ياء عليه ، واحتج بقول الشاعر :

أقول يا اللهم يا الله أردد علينا شيخنا مسلماً

ويقول الآخر :

اني إذا ما حدثت أمّا أقول يا اللهم يا الله

والمشهور الأول .

(أنتم) معشر الأنصار (من أحب الناس إلي) من هنا للتبويض ، ووقع في « صحيح مسلم » من طريق ابن عيسى ، عن عبد العزيز : اللهم انهم ، أي الأنصار . وتقديم لفظ الاسم للتبرك ، أو للاستشهاد بالله في صدقه ، كما في « الفتح » . (اللهم أنتم من أحب الناس إلي ، اللهم أنتم من أحب الناس إلي) كره ثلاثاً لمزيد التأكيد ، وفي « مسلم » : كررها مرتين . وفي رواية ابن علية ، عن عبد العزيز عنده : أعادها ثلاث مرات . (يعني) بقوله ﷺ : أنتم من أحب الناس إلي (الأنصار) وهم : الأوس والخزرج رضي الله عنهم . جمع ناصر ،

كأصحاب جمع صاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف . واللام للمهد ، الى
 أنصار رسول الله ﷺ . وكانوا قبل ذلك يعرفون : بابني قبيلة ، اسم امرأة ، بقاف
 مفتوحة ، وباء تحنانية ساكنة . وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسام النبي ﷺ
 الأنصار ، فصار ذلك علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم
 ومواليهم . وخصوا بهذه المنقبة المظلمى ؛ لما فازوا به دون غيرهم من القبائل من
 إيواء النبي ﷺ ومن معه ، والقيام بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ،
 وإيثارهم إياه في كثير من الأمور على أنفسهم . فكان صنيعهم ذلك موجباً
 لمفاداتهم جميع الفرق الموجودين من عرب وعجم ، والمداوة بحجر البفض ، ثم
 كان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، والحسد يحجر البفض ، فلهذا جاء
 الحث على حبهم ، والتحذير من بفضهم ، حتى جعل ذلك آية الايمان والنفاق ، كما
 في « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال
 رسول الله ﷺ : « آية الايمان حب الأنصار ، وآية النفاق بفض الأنصار ،
 وفي « الترمذي » ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ
 قال : « لا يفيض الأنصار أحد يؤمن بالله واليوم الآخر » قال الترمذي :
 حديث حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي سعيد الخدري ومن
 حديث أبي هريرة رضي الله عنهما ، قال في « الفتح » : قوله : آية الايمان ، هو
 همزة ممدودة ، وباء تحنانية مفتوحة ، وهاء تأنيث ، والايمان مجرور بالاضافة ،
 هذا هو المتمد في ضبط هذه الكلمة في جميع الروايات ، في « الصحيحين » ،
 و « السنن » و « المستخرجات » ، و « المسانيد » . والآية : الامة ، ووقع في
 « إعراب الحديث » لأبي البقاء المكي : انه الايمان ، بهمزة مكسورة ، ونون
 مشددة ، وهاء والايمان مرفوع خبر إن ، قال والتقدير : أن الشأن الايمان حب
 الأنصار ، وهذا تصحيف منه .

وفي «الصحيحين» وغيرهما ، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول في الانصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ؛ ومن أبغضهم أبغضه الله » فعلم أنه لا يقع حب الانصار إلا للمؤمن . فان قيل : هل يكون من أبغضهم منافقاً ؛ وإن صدق بالله وكتابه ورسوله ؛ واعترف بأن ما جاء به الرسول حق من عند الله ؛ فالجواب : من أبغض الانصار من جهة كونهم آووا الرسول ومن معه ونصروه ؛ أثر ذلك في تصديقه ؛ ودل ذلك على دسيسة باطنية ، وعلّة كفرية ، في صميم قلبه ، وسويداء لبّه . ويقرب هذا الحل زيادة أبي نعيم في « المستخرج » في حديث البراء : « من أحب الانصار فبحي أحبهم ؛ ومن أبغض الانصار فببغضه أبغضهم » وقد يقال : اللفظ خرج على معنى التحذير والترهيب . فلا يراد ظاهره ، ومن ثم لم يقابل الايمان بالكفر الذي هو ضده ؛ قابله بالنفاق ، إشارة الى أن الترغيب والترهيب إنما خوطب به من يظهر الايمان ، أما من يظهر الكفر فلا ، لانه مرتكب ما هو أشد من ذلك ، فجعل رسول الله ﷺ حب الانصار آية الايمان ، وبغضهم آية النفاق ، تنويها بمعظم فضله ، وتنبيها على كبريم فعلهم ، وان كان من شاركهم في معنى ذلك مشاركاً لهم في الفضل المذكور ، كل بقسطه . وقد ثبت في « صحيح مسلم » ، عن علي رضوان الله عليه ، ان النبي ﷺ قال له : « لا يحبك الا مؤمن ، ولا يبغضك الا منافق » وهذا جار باطراد في أعيان الصحابة رضي الله عنهم ، لتحقيق مشترك الالتزام ، لما لهم من حسن الثناء في الدين .

قال صاحب « المفهم » : وأما الحروب الواقعة بينهم ؛ فان وقع من بعضهم بغض لبعض ؛ فذاك من غير هذه الجهة ؛ بل للأمر الطارئ الذي اقتضى المخالفة ، ولذلك لم يحكم بعضهم على بغض بالنفاق ، وانما كان حالهم في ذلك حال

المجاهدين في الاحكام ، المصيب أجران ، وللمخطيء أجر واحد .
وفي (الصحيحين) ، وغيرها ، من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه ، قال قال رسول
الله ﷺ : « اللهم اغفر للانصار ، ولأبناء الانصار ، ولأبناء أبناء الانصار » ورواه
الترمذي ، وزاد : « ولنساء الانصار » وقال : حديث حسن غريب من هذا الوجه . وفي
رواية البخاري ، عن عبد الله بن الفضل ، أنه سمع أنس بن مالك يقول : حزن
على من أصيب من أهلي بالجرة ؛ فكتب الى زيد بن أرقم ، وبلغه شدة حزني ،
يذكر أنه سمع النبي ﷺ يقول : « اللهم اغفر للانصار » فذكره ، فسأل أنسا
بعض من كان عنده ، عن زيد فقال : هو الذي يقول له رسول الله ﷺ : « هذا
الذي أوفى الله له بأذنه » وفي الترمذي : ان زيد بن أرقم ، كتب الى أنس بن
مالك يعزيه فيمن أصيب من أهله وبني عمه يوم الجرة ، فكتب اليه : اني أبشرك
ببشرى من الله ، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « اللهم اغفر للانصار ،
ولذراري الانصار ، ولذراري ذراريهم » وقال هذا حديث حسن صحيح . وفي
مسلم ، عن أنس رضي الله عنه ، ان رسول الله استغفر للانصار وأحسبه قال :
« ولذراري الانصار ، ولوالى الانصار » لا أشك فيه .

وفي (الصحيحين) ، و«سنن الترمذي» من حديث أنس رضي الله عنه ، أن
رسول الله ﷺ قال : « ان الانصار كبريتي وعيتي ، وان الناس سيكترون
ويقولون فاقبلوا من محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئتهم » . وفي لفظ : « واعفوا عن
مسيئتهم » وفي الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وحسنه أن
رسول الله ﷺ قال : « ألا إن عيتي التي آوي اليها أهل بيتي ، وان كبريتي
الانصار ، فاعفوا عن مسيئتهم ، واقبلوا من محسنهم » .

قوله : عيتي بفتح العين المهملة ، وسكون المثناة تحت ، فوحدة مفتوحة :
زنبيل من آدم ، وما يجعل فيه الثياب ، ومن الرجل موضع سره ، كما في

« القاموس » . وفي « النهاية » قوله : عيني أي : خاصتي ، وموضع سرّي ، والعرب تكفي عن القلوب والصدور بالعياب ، لأنها مستودع السرائر ، كما أن العياب مستودع الثياب . وقال في قوله : كرشتي وعيتي : أراد انهم بطائفة ، وموضع سرّه وأمانته ، والذين يعتمد عليهم في أموره . واستعمار الكرش والمية لذلك ، لأن المجتر يجمع علفه في كرشه ؛ والرجل يضع ثيابه في عيته ، وقيل : أراد بالكرش الجماعة ، أي جماعتي وصحابتي . يقال : عليه كرش من الناس ، أي جماعة . وبالله التوفيق .

الحديث الثاني

٤٧ — ثنا اسماعيل ، ثنا سليمان التيمي ، ثنا أنس ، قال : عطس رجلان عند النبي ﷺ ، فشمّت أو قال : فسمّت — أحدهما وترك الآخر ، فقيل : هما رجلان عطسا ، فشمّت — أو قال : فسمّت — أحدهما وتركت الآخر ؟ فقال : إن هذا حمد الله عز وجل ، وإن هذا لم يحمد الله ، قال سليمان : أراه نحواً من هذا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو بشر (اسماعيل) بن إبراهيم بن عليّة قال : (ثنا) أبو المعتمر (سليمان) بن طرخان بفتح الطاء المهملة والراء وبالحاء المعجمة فنون (التيمي) نسبه الى بني تيم ، وكان مولى لبني مرة ، ونازلاً بينهم ، فلما تكلم بأثبات القدر أخرجوه قبله بنوا تيم وقدّموه ، فصار إمامهم ، ونسب إليهم .

سمع أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري ، وأبا عثمان النهدي ، وأبا
نضرة . روى عنه ابنه المعتمر ، والثوري ، وشعبة ، قال في « جامع الأصول »
عنه : كان اماماً ربانياً ، زاهداً ورعاً علماً . قال يحيى بن سعيد : ما جلست الى
أحد كان أخوف لله منه . قال رقية بن مصقلة : رأيت رب العزة في المنام ، فقال:
وعزتي وجلالي ؛ لأكرم من منوى سليمان التيمي ، مات سنة ثلاث وأربعين ومائة.
قال الحافظ ابن الجوزي في « صفوة الصفوة » : كان سليمان التيمي من البشاد
المجتهدين ، يصلي الفداة بوضوء المشاء الآخرة ، وكان هو وابنه المعتمر ؛
يدوران بالليل في المساجد ، فيصليان مرة في هذا ، ومرة في هذا ، حتى يصبحا.
قال المعتمر : مكث أبي أربعين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً ، ويصلي الصبح
بوضوء المشاء . وقال حماد بن زيد : ما أتينا سليمان التيمي في ساعة يطاع الله
فيها الا وجدناه مطيعاً ، ان كان في ساعة صلاة وجدناه مصلياً ؛ وان لم تكن
ساعة صلاة وجدناه إما متوضئاً ، أو عائداً لمريض ، أو مشيعاً لجنازة ، أو قاعداً
يسبح في المسجد ، وكنا نرى انه لا يمضي الله . وقال المعتمر : قال لي أبي حين
حضره الموت : يامعتمر حدثني بالرخص ؛ لعلني ألقى الله وأنا حسن الظن به .
وقال رقية : رأيت سليمان التيمي في المنام ، فقلت : ما فعل الله بك ؟ قال غفر لي ،
وأدنانني وقربني وغلفني ، وقال : هكذا أفعل بآباء ثلاث وثمانين رحمه الله
ورضي عنه .

قال سليمان التيمي (ثنا أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال عطس) بفتح
الطاء المهملة في الماضي ، وبكسرهما وضمها في المضارع (رجلان) قال في « الفتح »
في حديث أبي هريرة ، عند التجاري في « الأدب المفرد » وصححه ابن حبان ،
احدهما أشرف من الآخر ، وان الشريف لم يحمده ، وللطبراني من حديث سهل
ابن سعد : انها عامر بن الطفيلي وابن أخيه (عند النبي صلى الله عليه وسلم ،

فسمت (بفتح الفاء والشين المعجمة والميم المشددة : قال ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : التسميت بالمعجمة هي الفصحى ، ومعناها أمدك الله عن الشبهة ، قال ابن الانباري : كل داع بخير فهو مشمت ؛ (أو قال : فسمت) بالسین المهملة قال في « الفتح » : وقع في رواية الامام احمد ، عن سليمان التيمي ، فسمت أو سمت ، بالشك في المعجمة والمهملة ، وهو من التسميت . قال الخليل وأبو عبيد وغيرهما : يقال : بالمعجمة والمهملة . قال ابن الانباري : والعرب تجعل الشين والسين في اللفظ الواحد بمعنى . انتهى .

قال في « الفتح » : وهذا ليس مطرداً ، بل هو في مواضع معدودة ، قال : وقد جمعا شيخنا مجد الدين صاحب « القاموس » في جزء لطيف . وقال ثعلب : الاختيار انه بالمهملة ، لأنه مأخوذ من سمت ، وهو القصد والطريق القويم . ورجحه ابن دقيق العيد . وقال القزاز : التسميت : التبريك ، والعرب تقول : سمته : اذا دعا له بالبركة ، وسمت عليه : اذا برك عليه ، وفي الحديث ؛ في قصة تزويج علي بفاطمة : سمت عليها ، أي دعا لها بالبركة . ونقل ابن التين ، عن أبي عبد الملك قال : التسميت بالمهملة أفصح ، وهو من سمت الابل في المرعى اذا جمعت فمعناه على هذا : جمع الله شملك ، وتمقبه : بأن سمت الابل انما هو بالمعجمة ، وكذا نقله غير واحد انه بالمعجمة ، فيكون معنى سمته : دعا له بأن يجمع شمله . وقيل : بالمعجمة من الشبهة ، وهي فرح الشخص بما يسوء عدوه ، فكانه دعا له أن لا يكون في حال من يشمت به ، أو أنه إذا حمد الله أدخل على الشيطان ما يسوءه ، فسمت هو بالشيطان . وقيل : هو من الشوامت جمع شامته ، وهي القائمة ، يقال : لارك الله له شامته ، أي قائمة .

وقال ابن العربي في « شرح الترمذي » : تكلم أهل اللغة على اشتقاق اللفظين ولم يبينوا المعنى فيه ، وهو بدیع . وذلك ان العاطس ينحل كل عضو في

رأسه ، وما يتصل به من العنق ونحوه ، فكأنه اذا قيل له يرحمك الله ؛ كان معناه أعطاك الله رحمة يرجع بها بدنك الى حاله قبل المطاس ، ويقيم على حاله من غير تغيير . فان كان التسميت بالمهملات ؛ فمعناه : يرجع كل عضو الى سمته الذي كان عليه . وان كان بالمججمة ؛ فمعناه : صان الله شوامته ، أي قوائمه التي بها قوام بدنه عن خروجها عن الاعتدال . قال : وشوامت كل شيء قوائمه التي بها قوامه ، فقوام الدابة بسلامة قوائمها التي ينتفع بها اذا سلت ، وقوام الآدمي بسلامة قوائمه التي بها قوامه وهو رأسه ، وما يتصل به من عنق وصدر كما في « الفتح » وفي « مفتاح دار السعادة » للإمام ابن القيم روح الله روحه : التسميت بالمهملات : تفعل من السم التي يراد به حسن الهيئة والوقار ، فيقال : لفلان سمح حسن ، فمعي سمحت العاطس ؛ وقترته وأكرمته وتأدبت معه بأدب الله ورسوله في الدعاء له ، وقيل : سمته ، دعا له أن يعيده الله الى سمته قبل المطاس من السكون والوقار وطمأنينة الاعضاء ، فان في المطاس من انزعاج الاعضاء واضطرابها ، ما يخرج العاطس عن سمته ، فاذا قال له السامع يرحمك الله ، فقد دعا له ان يعيده الله الى سمته وهيئته . وأما بالمججمة فقال ابن السكيت وجمع : إنه بمعنى التشميت وانها لثتان ، ذكره في كتاب « القلب والابدال » ولم يذكر أيها الأصل ، ولا أيها البدل . وقال أبو علي الفارسي : المهملات الأصل في الكلمة ، وعكس تليذه ابن جني . ثم قال في « مفتاح دار السعادة » : ومما كان في الجاهلية يتطيرون به ويتشاءمون منه ؛ المطاس ، كما يتشاءمون البوارح والسوانح . قال رؤبة بن المعجاج يصف فلاة :
قطمها ولا أهاب المطاسا .

وقال امرؤ القيس :

وقد اعتدى قبل المطاس بهيكل شديد مسد الجيب نعم المنطق
أراد : أنه تنبه للصيد قبل أن ينتبه الناس من نومهم ، لئلا يسمع عطاساً

فيتشأم به . وكانوا اذا عطس من يحبونه قالوا له : عمرأ وشبابأ ، واذا عطس من يكرهونه قالوا له : وريأ وقحابأ . والوري كالرمي داء يصيب الكبد فيفسدها ، والقحاب كالسعال وزناً ومعنى ، فكان الرجل اذا سمع عطاساً ، فتشأم به ، يقول : بك لابي ، أي أسأل الله أن يجعل شؤم عطاسك بك لابي ، وكان تشاؤمهم بالمعصية الشديدة أشد . فلما جاء الله بالاسلام ؛ وأبطل برسوله ﷺ ما كان عليه الجاهلية الطغام من الضلال والبهتان والآثام ، نهى أمته عن التشاؤم والتطير ، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه ، دعاء له بالرحمة . ولما كان الدعاء على العاطس نوعاً من الظلم والبنى ، جعل الدعاء له بلفظ الرحمة المنافي للظلم ، وأمر العاطس أن يدعو لسامعه ومشتمه بالمغفرة والهداية وإصلاح البال . فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ويهديكم الله ويصلح بالكم . فالدعاء بالهداية لأنه اهتدى الى طاعة الرسول ، ورغب عما كانت عليه الجاهلية ، فدعاه أن يثبت الله عليها ، ويهديه اليها ، وكذلك الدعاء بإصلاح البال ، وهي كلمة جامعة . وأما الدعاء بالمغفرة ، فجاء بلفظ يشمل العاطس والمشتم ، فيقول : يغفر الله لنا ولكم ، ليتحصل من مجموع دعوتي العاطس والمشتم لها المغفرة والرحمة معاً ، فصولات الله وسلامه على المبعوث بإصلاح الدنيا والآخرة . انتهى ماخصاً . وقد ذكرت في كتابي : « غذاء الالباب لشرح منظومة الآداب » من ذلك طرفاً صالحاً من راحمه وفهمه ظفر بما يريد والله أعلم .

(أحدهما) ﷺ (وترك الآخر) فلم يشتمه (فقيل) بالبناء للمجهول ، والسائل عن ذلك هو العاطس الذي لم يحمد ، وقع كذلك في حديث أبي هريرة رضي الله عنه في « الأدب المفرد » للبخاري ولفظه : فسأله الشريف . وكذا في رواية عند البخاري عن أنس رضي الله عنه : عطس رجلان عند النبي ﷺ فشمت أحدهما ، ولم يشمت الآخر ، فقال الرجل : شمت هذا ولم تشمتني . قال في

« الفتح » : وهذا قد يكرر على ما في حديث سهل بن سعد ان الشريف المذكور ، هو عامر بن الطفيل ، فانه كان كافراً ، ومات على كفره ، فيبعد أن يخاطب النبي ﷺ بقوله : يا رسول الله كما في رواية ، ويحتمل ان تكون القصة لعامر ابن الطفيل غير المذكور ، ففي الصحابة عامر بن الطفيل الأسلمي ، له ذكر في الصحابة ، وحديث رواه عنه عبد الله بن بريدة الأسلمي . حدثني عمي عامر بن الطفيل ، وفي الصحابة أيضاً عامر بن الطفيل الأزدي ، ذكره وثيمة في كتاب الرد ، وأورد له مرثية في النبي ﷺ ، فان لم يكن في حديث سهل بن سعد ما يدل على أنه العامري المشهور ؛ احتمل أن يكون احد هذين .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ثم راجعت «معجم الطبراني» فوجدت سياق حديث سهل بن سعد ، الدلالة الظاهرة على أنه عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب ، الفارس المشهور ، وكان قدم المدينة وجرى بينه وبين ثابت ابن قيس بحضرة النبي ﷺ كلام ، ثم عطس ابن أخيه فحمد فسمته النبي ﷺ ثم عطس عامر فلم يحمد فلم يسمته فسأله . (ها) أي العاطسان (رجلان عطسا) أي كل واحد منها قد عطس (فسمت أو قال فسمت) بالمجعة أو المهملة (أحدهما وترك الآخر) فلم تشمته ، أي فلائي شيء فعلت هذا ؟ (فقال) ﷺ (ان هذا) الذي شمته (حمد الله عز وجل) فاستحق بحمده لربه أن يشمت (وان هذا) الذي لم أشمته (لم يحمد الله) عز وجل عقب عطاسه فاستحق أن لا يشمت (قال سليمان) اتبعني رحمه الله ورضي عنه (أراه) بضم الهمزة وفتح الراء والهاء بعد الألف ، أي أظنه يعني الحديث الذي سمعته من أنس بن مالك رضي الله عنه (نحواً) بالنصب مفعول ثان لأرى ، والاول : الضمير في أراه (من هذا) الحديث الذي سفته إن لم يكن عنه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : « ان هذا ذكر الله فذكرته ، وأنت نسيت الله

فنسيته ، ، وقد يطلق النسيان ويراد به الترك . قال الحلبي : الحكمة في مشروعية الحمد للماطس أن الماطس يدفع الأذى من الدماغ الذي فيه قوة الفكر ، ومنه منشأ الأعصاب التي هي معدن الحس ، وبسلامته تسلم الأعضاء ، فيظهر بهذا أنها نعمة جليلة ، يناسب أن تقابل بالحمد لما فيه من الإقرار لله بالخلق والقدرة ، وإضافة الخلق إليه سبحانه لا إلى الطبائع .

وفي الحديث دليل على أن التسميت إنما يشرع لمن حمد الله تعالى ، قال ابن العربي : وهو مجمع عليه ، وفي « صحيح مسلم » ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً : « إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمته ، وإن لم يحمد الله فلا تسمته » . قال النووي : ومقتضى هذا الحديث أن من لم يحمد الله لم يشم . قال في « الفتح » : هو منطوقه ، لكن هل النهي فيه للتحريم أو التنزيه ؟ الجمهور على الثاني . قال يحيى بن أبي كثير عن بعضهم : حق على الرجل إذا عطس أن يحمد الله تعالى ، وأن يرفع صوته ، وأن يسمع من عنده ، وحق عليهم أن يسمته . انتهى . فإن شئت من لم يحمد كره . ويؤخذ من الأحاديث : أن الماطس لو أتى بلفظ آخر غير الحمد لا يشم ، كما في « صحيح البخاري » وغيره : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك الله ، فإذا قال له : يرحمك الله ؛ فليقل يهديكم الله ويصلح بالكم ، فإن زاد : ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، فلا بأس به ، لأنه روي عن الحسن أنه قاله ، كما ذكر في « الآداب » لابن مفلح . وظاهر الأحاديث وجوب الحمد على الماطس ، لثبوت الأمر الصريح به . ولكن نقل النووي الاتفاق على استحبابه .

وأما لفظه : فنقل ابن بطال وغيره ، عن طائفة أن لا يزيد على الحمد لله ، وعن طائفة يقول : الحمد لله على كل حال ، كما جاء عن ابن عمر ، وقال : هكذا علمنا رسول الله ﷺ ، أخرجه البزار والطبراني ، وأصله في الترمذي ، وعند

الطبراني من حديث أبي مالك الأشعمري رفعه : إذا عطس أحدكم فليقل : الحمد لله على كل حال ، ومثله عند أبي داود . وللإمام أحمد والنسائي من حديث سالم ابن عبيد رفعه : « إذا عطس أحدكم فليقل الحمد لله على كل حال ، أو الحمد لله رب العالمين » وعن طائفة يقول : الحمد لله رب العالمين . كما ورد في حديث ابن مسعود ، رواه البخاري في « الأدب المفرد » والطبراني . وورد الجمع بين اللفظتين ، فعند البخاري في « الأدب المفرد » عن علي رضوان الله عليه قال : « من قال عند عطسة سمعها الحمد لله رب العالمين على كل حال ، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبداً ، وهو موقوف ، رجالة ثقات . ومثله لا يقال من قبل الرأي ، فله حكم الرفع . وقد أخرجه الطبراني من وجه آخر عن علي مرفوعاً بلفظ : « من بادر الماطس بالحمد ؛ عوفي من وجع الخاصرة ؛ ولم يشك ضرره أبداً » وسنده ضعيف . وللبخاري في « الأدب المفرد » والطبراني بسند لا بأس به ، عن ابن عباس قال : « إذا عطس الرجل فقال : الحمد لله . قال الملك : رب العالمين ، فإن قال : رب العالمين . قال الملك : يرحمك الله » وعن طائفة ما زاد من الثناء فيما يتعلق بالحمد كان حسناً . فقد أخرج أبو جعفر في « التهذيب » بسند لا بأس به ، عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : « عطس رجل عند النبي ﷺ فقال الحمد لله ، فقال له النبي ﷺ : يرحمك الله ، وعطس آخر فقال : الحمد لله رب العالمين ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فقال : ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة » وأخرج ابن السني بسند ضعيف ، عن أبي رافع قال : « كنت مع رسول الله ﷺ . فعطس فخلى يدي ، ثم قام فقال شيئاً لم أفهمه ، فسألته فقال : أتاني جبريل فقال : إذا أنت عطست فقل : الحمد لله لكرمه ، الحمد لله لمزة جلاله ، فإن الله عز وجل يقول : صدق عبيدي ثلاثاً ، مغفور له . »

ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بمد قوله الحمد لله رب العالمين ، وكذا المدول عن الحمد الى أشهد أن لا إله إلا الله ، أو تقديمها على الحمد ، فهو مكروه . وفي « الأدب المفرد » للبخاري عن مجاهد ، ان ابن عمر رضي الله عنهما سمع ابنه عطس ، فقال : أب فقال وما أب ؟ ان الشيطان جعلها بين العطسة والحمد ، وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ : اش بدل أب ، ونقل ابن بطل عن الطبراني : ان العاطس يتخير بين أن يقول الحمد لله ؛ أو يزيد رب العالمين ، أو على كل حال ، والذي يتحرر من الأدلة أن كل ذلك مجزئ ، لكن ما كان أكثر ثناء ؛ كان أفضل بشرط أن يكون مأثوراً .

وأما التسميت ، فداره على عدة الفاظ : يرحمك الله ، ويهديك الله ، ويصلح بالكم ، وبدون زيادة ؛ ويصلح بالكم ، وزيادة ؛ ويدخلكم الجنة عرفها لكم ، ويغفر الله لنا ولكم . وكان ابن عمر اذا عطس فقل له : يرحمك الله ، قال : برحمتنا الله وإياكم ، ويغفر لنا ولكم ، وقال الامام أحمد : التسميت يهديكم الله ويصلح بالكم ، وقال : هذا عن النبي ﷺ من وجوه . وذكر القاضي : أنه روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظان : أحدهما يهديكم الله ، والثاني يرحمكم الله . كذا قال . وصوب شيخ الاسلام ابن تيمية ، ويغفر الله لكم . قال القاضي : ويختار أصحابنا ، يهديكم الله ، لأن معناه يديم هدايتكم . واختار بمض العلماء : يغفر الله لنا ولكم . وقال مالك والشافعي : يخير بين هذا ؛ وبين يهديكم الله ويصلح بالكم . وفي « الأدب المفرد » للبخاري بسند صحيح ، عن أبي جرة . بالجيم : سمعت ابن عباس رضي الله عنهما اذا شمت يقول : عافانا الله وإياكم من النار ، ويرحمكم الله . وفي «الموطأ» عن نافع ، عن ابن عمر : أنه كان اذا عطس فقل له : يرحمك الله ، قال : يرحمنا الله وإياكم ، ويغفر لنا ولكم . قال ابن دقيق العيد : ظاهر الحديث أن السنة لا تأدى إلا بالمخاطبة . وأما ما اعتاده كثير من الناس من قولهم للرئيس : يرحم الله سيدنا

فخلاف السنة . قال : وبلغني عن بعض الفضلاء ، انه اذا شمت رئيساً فقال له :
يرحمك الله ياسيدنا ، فجمع بين الأمرين وهو حسن .

(فروع) :

الأول : تشمت عاطس مسلم حمد ، واجابته فرض . ومن جمع كفاية ،
وقيل : فرض عين مطلقاً ، وقال به ابن مزين من المالكية ، وجمهور أهل الظاهر ،
وقال ابن أبي حمزة : قال جماعة من علمائنا : إنه فرض عين ، وقوله الامام ابن القيم
في « حواشي السنن » فقال : جاء بلفظ الوجوب الصريح ، ولفظ الحق الدال
عليه ، ولفظ على الظاهرة فيه ، وبصفة الأمر التي هي حقيقة فيه ، ويقول
الصحابي : أمرنا رسول الله ﷺ قال : ولا ريب أن الفقهاء اثبتوا وجوب أشياء
كثيرة بدون مجموع هذه الأشياء ، وذهب عبد الوهاب من المالكية الى أنه
مستحب ، ويمزى الواحد عن الجماعة ، وهو قول الشافعية ، والراجح أنه فرض
كفاية ، وهو مذهب معظم الحنابلة والحنفية والمالكية . والله أعلم .

ومن آداب العاطس : أنه اذا عطس خمر وجهه ، وغض صوته ، ولا يلتفت
يميناً وشمالاً ، وحمد الله جهراً ؛ بحيث يسمع جليسه ليشمته .

الثاني : اذا نسي العاطس الحمد لم يذكره جليسه ، لكن يعلم الصغير أن
يحمد الله ، وكذا حديث عهد باسلام ونحوه . ذكره علماؤنا وهو ظاهر قوله
ﷺ : « واذا لم يحمد فلا تشمتوه » وقال الامام النووي من الشافعية : يستحب
للمن حضر من عطس فلم يحمد أن يذكره الحمد ، ليحمد فيشمته ، وقد ثبت ذلك
عن ابراهيم النخعي ، وهو من باب النصيحة ، والامر بالمعروف . وزعم ابن
المرجي : انه جهل من فاعله ، وخطأه النووي واستصوب الاستحباب . قالوا : ولو

جمع بينها فقال : الحمد لله ، يرحمك الله ، جمع جهاتين : لإزامه نفسه مالا يلزمها ، وإيقاعه التشميت قبل وجود الحمد من العاطس .

وحكي أن رجلا عطس عند الأوزاعي فلم يحمد ، فقال له : كيف يقول من عطس ؟ فقال : الحمد لله ، فقال يرحمك الله . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « من سبق العاطس بالحمد ، أمن من الشوص واللووس والعلوص ، وهذه أوجاع تختلف في بعضها ، ذكره ابن الأثير في « النهاية » وغيره ، قال في « التميز » وغيره . والحديث ضعيف . وقد نظمه بعضهم في قوله :

من يستبق عاطساً بالحمد يأمن من شوص ولوص وعلوص كذا وردا
عنيت بالشوص ذا الرأس ثم بما يليه ذا البطن والخرس اتبع رشدا
وفي بعض الكتب : وهو أولى

فالداء في الخررس شوص ، ثم في أذن

لوص وفي البطن علوص كذا وجدا

قال في « القاموس » : الشوص : وجع الخررس والبطن ، وقال في العلوص كسنثور النخمة ووجع في البطن ، وقال في اللوص : وجع الاذن أو البخر ، ومثل ذلك في « النهاية » .

الثالث : لا يجب تشميت جماعة ، منهم الذي ، فلا يجب ولا يستحب ، فان قيل له : يهديكم الله جاز . فقد أخرج أبو داود وصححه الحاكم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : « كانت اليهود يتعاطسون عند النبي ﷺ وجاء أن يقول : يرحمكم الله ، فكان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم » .
ومنهم : الصبي اذا عطس ؛ فانه يدعى له بأن يقال : بورك فيك وجبرك الله .

ومنهم : الشابة فلا تشمت الاجنبي ولا يشمتها .

ومنهم المذكوم فانه يشمته ثلاث مرات ، وفي « الادب المفرد للبخاري » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : « شمتة واحدة ، وثنتين ، وثلاثاً ، فما كان بعد ذلك فهو زكام » هكذا اخرج موقوفاً ، واخرجه ابو داود كذلك ، ولفظه : « شمت أخاك ، ورفع غير واحد ، والاحاديث بذلك متضاربة ، ويدعوله بعد الرابعة بالمافية .

فائدتان :

الاولى : قال ابن هبيرة ، قال الرازي من الاطباء : العطاس لا يكون أول مرض أبداً ، إلا أن يكون زكمة ، قال : فاذا عطس الانسان استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه ، وجودة هضمه ، واستقامة قوته ، فينبغي له أن يحمد الله ، ولذلك أمره رسول الله ﷺ ان يحمد الله تعالى .

الثانية : ذكر الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ان ابن عبد البر قد أخرج بسند جيد عن ابي داود ، وهو سليمان ابن الاشعث السجستاني ، الامام الحافظ من أصحاب الامام أحمد ، وأحد نقلة مذهبه وهو صاحب « السنن » انه كان في سفينة ، فسمع عاطساً على الشط حمد ، فاكترى قارباً بدرم ، حتى جاء الى الماطس فشمته ثم رجع فستل عن ذلك ، فقال : لعله يكون بحاج الدعوة فلما رقدوا سمعوا قائلاً يقول في أهل السفينة : إن أباداود اشترى الجنة من الله بدرم ، رحمه الله ورضى عنه آمين .

الحديث الثالث

٤٨ - ثنا هشيم ؛ قال أنا حميد ، عن أنس بن مالك قال :
أن كانت الأمة من أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتنتلق به في حاجتها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشر السلمي الواسطي الامام الحافظ ،
تقدمت ترجمته في أول الحديث الأول ، من مسند جابر بن عبد الله رضي الله عنها
(قال : أنا) أبو عبيدة (حميد) بن أبي حميد ، واسم أبي حميد ، يختلف فيه ،
ف قيل : عبد الرحمن ، وقيل : طرخان ، وقيل : مهران الخزاعي البصري ، مولى
طلحة الطلحات المعروف بالطويل . قال الأصمعي : رأيت حميداً ؛ فلم يكن بالطويل ؛
ولكن كان في جيرانه رجل يعرف بحميد القصير ، ف قيل له : حميد الطويل ،
ليعرف من الآخر . وقيل : كان طويل اليدين ، تابعي . سمع أنس بن مالك ، وثابت
البتاني ، والحسن ، وعكرمة ، ونافع وعنه : ابن عليّة ، وهشيم ، والحدادان ، وزهير
ابن معاوية ، والسفيانان ، وشعبة . قال أبو حاتم : أكبر أصحاب الحسن قتادة
وحميد ، وقال حماد بن سلمة : لم يدع حميد لثابت علماً إلا ووعاه وسمعه منه .
وقال ابن الأثير في « جامع الاصول » : هو كثير الحديث ، واسع الرواية . روى
عنه حماد بن سلمة ، وابن المبارك ، والانساري . وقال : ولد سنة ثمان وستين ،
ومات سنة ثلاث وأربعين ومائة . وقال الجلال السيوطي في « طبقات الحفاظ » : مات
حميد وهو قائم يصلي ، في جماد الاولى ، سنة أربعين ومائة ، وقيل : اثنتين وأربعين
وقيل : ثلاث (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه انه (قال : أن) بفتح الهمزة

وسكون النون، أي لأن (كانت) وحينئذ تكون اللام في جواب قسم مقدر ، أو بلا تقدير اللام ، وأن مخففة من الثقيلة (الامة) بفتح الهمزة والميم المخففة ، خلاف الحرة ، والجمع إماء وآم . قال الشاعر :

محلة سوء أهلك الدهر أهلها فلم يبق فيها غير آم خوالف
والنسبة إليها اموي ، وتصغيرها أمية . وفي «المسند» و«صحيح البخاري» :
كانت الامة . زاد البخاري : والعبد (من أهل المدينة) ، ولفظ البخاري : من إماء
أهل المدينة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام ، فاللام فيها للعبد ، وهي علم على
مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم بالغلبة لا بالوضع ، ولا يجوز نزع « ال »
منها إلا في نداء أو إضافة ، وجمعا : مدن ومدن ومدائن بالهمز ودونه ، فمن جعلها
فميلة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام ؛ همز ؛ ومن جعلها مفعلة من دين إذا
ملك ، لم يهمز ، كما لم يهمز معاش (لتأخذ) الامة وكذا العبد (بيد رسول الله
ﷺ فتطلق) أي تذهب (به) أي برسول الله ﷺ (في حاجتها) ولفظ
البخاري : « فتطلق به حيث شئت » . وفي لفظ : « فما ينزع يده من يدها حتى
تذهب به حيث شئت » . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه :
« ان امرأة كان في عقلها شيء » ، فقالت يا رسول الله : ان لي اليك حاجة ؛
فقال : يا أم فلان ، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك ، فضلا
معا في بعض الطرق ، حتى فرغت من حاجتها ، ، والسكك جمع سكة بالكسر :
الطريق المستوي .

وهذا الحديث يدل على حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم ، ومكارم
أخلاقه ، وتواضعه ، وعلى تعظيمه لأهل المدينة ، وتوقيرهم واحتشامهم ، أما
تعظيمه لأهل المدينة وتوقيره لهم فهم من الأنصار ، وتقدم طرف صالح في مناقبهم ،
وما نوه به رسول الله ﷺ من فضائلهم ، والحث على جهم ، والتحذير من

بعضهم . وأما مكارم أخلاق رسول الله ﷺ وحسن خلقه وتواضعه ، فهو معلوم عند ذوي الفهم ، لأنه منبع الاحسان والمكارم ، وينبوع المعارف والمراحم ، فكل مكرمة وجدت ، فهي من بعض مكارمه ، وكل رحمة حدثت ، فهي من طرف مراحمه .

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى : من تأمل تدبير النبي ﷺ أمرَ مواطن الخلق وظواهرهم ، وسياسة الخاصة والعامة ، مع عجب شمالكه ، وبدائع سيره ، فضلاً عما أفاضه من العلم ، وقرره من الشرع ، دون تعلم سبق ، ولا ممارسة تقدمت ، ولا مطالعة للكتب ، لم يعثر في رجحان عقله ، وثقوب فهمه لأول وهلة . وقد روى داود بن المهبر عن ابن عباس رضي الله عنها رفعه : « أفضل الناس أعقل الناس » . قال ابن عباس : وذلك نبيكم صلى الله عليه وسلم . ونقل ابن قتيبة في « المعارف » عن بعض الأكابر قال : اللب والعقل مائة جزء ، تسعة وتسعون في النبي ﷺ ، وجزء في سائر الناس . انتهى . وما بالاك بمن يقول الله جل ثناؤه فيه : « وإنك لعلی خلق عظيم »^(١) . ولما سئلت عائشة الصديقة رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ ؛ قالت : « كان خلقه القرآن ، رضي لرضاه ، وينضب لنفضيه ، لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً »^(٢) الحديث رواه مسلم ، والترمذي والنسائي وغيرهم . وروى الامام أحمد والخرائطي وأبو يعلى الموصلي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنما بمشت لأنعم الا'خلاق » ، وفي لفظ : « لأنعم حسن الا'خلاق » ، ورواه البزار بلفظ : « لأنعم مكارم الا'خلاق » ، وروى أبو داود عن أنس رضي الله عنه قال : « ما رأيت رجلاً اتقى رسول الله ﷺ فنحى رأسه عنه ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع ، وما رأيت رجلاً أخذ بيد رسول الله ﷺ فنزع يده ؛ حتى يكون الرجل هو الذي ينزع » . ويدخل في حسن الخلق : التحرز من

(١) سورة الفلم ، الآية : ٤

(٢) في « مسلم والترمذي » : لم يكن فاحشاً ولا متفاحشاً .

الشع والبخل والكذب ، وغير ذلك من الاخلاق المذمومة . ويستعمل في حسن الخلق : التحجب الى الناس في القول والفعل ، والبذل وطلاقة الوجه مع الأقارب والأجانب ، والتساهل في جميع الأمور ، والتسامح فيما يلزم من الحقوق ، وترك التقاطع والتهاجر ، واحتمال الأذى من الأعلى والأدنى ، مع إدامة البشر ، وحسن التلقي . فهذه الخصال تجمع محاسن الأخلاق ، ومكارم الشيم . ولقد كان جميع ذلك في رسول الله ﷺ ، فلهذا وصفه الله تعالى بقوله : « وإنك لملئ خلق عظيم » (١) فهو مستول على هذه الأخلاق ، ومستعمل عليها ، لفظه على مقتضى ذلك . قال الجنيد رحمه الله : إنما كان خلقه ﷺ عظيماً ؛ لأنه لم يكن مثله سوى الله تعالى . وقال الحلبي : إنما وصف خلقه بالمعظم ؛ مع أن الغالب وصف الخلق بالكرم ؛ لأن كرم الخلق يراد به الساحة والدمائة ؛ ولم يكن ﷺ مقصوراً على ذلك ، بل كان رحيماً بالمؤمنين ، رفيقاً بهم ، شديداً على الكفار ، غليظاً عليهم ، مهيباً في صدور الأعداء ، منصوراً بالرعب منهم مسيرة شهر ، فكان وصف خلقه بالمعظم ليشمل الانعام والانتقام . وقيل : إنما وصف بالمعظم ، لاجتماع مكارم الأخلاق فيه . والله تعالى الموفق .

الحديث الرابع

٤٩ — ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز بن صهيب وإسماعيل ، أنبأنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله ﷺ : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا عبد العزيز بن صهيب ، و)

(١) سورة : العلم ، الآية : ٤

حدثنا (إسماعيل) بن عتبة قال: (أنبأنا عبد العزيز) بن صهيب، فلامام أحمد شيخان في هذا الحديث، كل منهما يروي عن عبد العزيز (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال: قال رسول الله ﷺ: من كذب علي متعمداً) للكذب علي (فليقبوا مقمده من النار) أي ينزل منزله منها ويتخذة، قيل: على طريق الدعاء، أي يوأه الله ذلك، وخرج مخرج الأمر. وقيل: بل هو على الخبر، وأنه استحق ذلك واستوجبه، وتقدم الكلام عليه في الحديث الثاني من مسند جابر ابن عبد الله رضي الله عنه.

الحديث الخامس

٥٠ - ثنا هشيم، قال: أنا حميد، عن أنس بن مالك،

قال: لما دخل النبي ﷺ بزَيْنَب بنت جحش، أولم فاطمنا خبزاً ولحماً.

قال رضي الله عنه: (ثنا هشيم قال: أنا حميد) الطويل (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال) أنس: (لما دخل النبي ﷺ بـ) أم المؤمنين (زَيْنَب بنت جحش) بن رثاب بكسر الراء، وبمدها همزة، وبالباء الموحدة، ابن يعمر، بفتح المثناة التحتية والميم، ابن صبرة، بفتح الصاد المهملة وكسر الموحدة، بن مرة، بن كبير، ضد صغير، بن غم بفتح الميم المعجمة وسكون النون، ابن دودان، بضم الدال المهملة الاولى، ابن أسد بن خزيمعة الأسدية وأما أميمة بنت عبد المطلب، عممة النبي ﷺ، وكانت زينب رضي الله عنها قبل دخول النبي ﷺ بها، عند مولاه زيد بن حارثة، فطلقها زيد رضي الله

عنه ، فزوجها الله سبحانه لنبيه ومصطفاه صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سموات ، وأنزل عليه في محكم كتابه العزيز : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » (١) فقام فدخل عليها بلا استئذان ، وكانت تفخر بذلك على سائر أزواجه صلى الله عليه وسلم ، تقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سمواته . وفي صحيح مسلم من حديثها رضي الله عنها ، أنها لما انقضت عدتها ، قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة : إذهب فاذكروني لها ، فقالت : ما كنت لأحدث شيئاً حتى أؤامر ربي ، وقامت الى مسجد لها فأنزل الله على نبيه : « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها » (١) فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن . وحديث افتخارها بذلك في البخاري وغيره . قال الحافظ ابن الجوزي في « المنتخب » : دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ثلاث من الهجرة ، وتوفيت بالمدينة سنة عشرين ، ودفنت بالبيقع .

(أولم) هذا محله الجزم جواب لما ، أي لما دخل ﷺ بزَيْنَب بنت جحش رضي الله عنها أولم عليها بشاء ، والوليمة : اسم لطعام العرس خاصة ، لا تقع على غيره ، وقال بعض الفقهاء : أنها تقع على كل طعام ، والأول : قول أهل اللغة وهم أعرف بلسان العرب وموضوعاته . وفي « المستوعب » : وليمة الشيء كإله وجمعه ، وسميت دعوة العرس وليمة لاجتماع الزوجين كما في « المطلع » . وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : « ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على نبيء من نسائه ما أولم على زينب ، أولم بشاة » ، ولفظ مسلم : ما أولم على امرأة من نسائه أكثر وأفضل مما أولم على زينب ، فقال ثابت البناني بم أولم؟ قال : (ف) قد (أطمعنا) معشر أصحابه (خبزاً ولحماً) ولفظ مسلم قال : « أطمعهم خبزاً ولحماً حتى

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٣٧

تركوه ، وترجم لهذا البخاري : « باب من أولم على بعض نسائه أكثر من بعض » وأشار ابن بطال الى أن ذلك لم يقع قصداً لتفضيل بعض النساء على بعض ، بل باعتبار ما اتفق ، وأنه لو وجد الشاة في كل منهن لا ولم بها ، لأنه ﷺ كان أجود الناس ، ولكن لا يبالغ فيما يتعلق بأمور الدنيا في التأنق . وقال بعضهم : لعله ﷺ فاضل بين ولائم نسائه لبيان الجواز . وقال الكرماني : لعل السبب في تفضيل زينب في الوايمة على غيرها ، كان للشكر لله على ما أنعم به عليه من تزويجه اياها بالوحي .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ونفي أنس أن يكون لم يؤلم على غير زينب بأكثر مما أولم عليها ، محمول على ما انتهى اليه علمه ؛ أو لما وقع من البركة في وليمتها ، حيث اشبع المسلمين لحماً وخبزاً من الشاة الواحدة ، واستظهر أن يكون صلى الله عليه وسلم أولم على ميمونة بنت الحارث بأكثر من ذلك ، لأنه لما تزوجها في عمرة القضية^(١) بمكة ، طلب من أهل مكة أن يحضروا وليمتها فامتنعوا ، يقضي أن يكون ما أولم به عليها أكثر من شاة ، لوجود التوسعة عليه في تلك الحالة ، لأن ذلك كان بعد فتح خيبر ، وقد وسع الله على المسلمين منذ فتحها عليهم . كذا قال . قلت : من الممكن أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما طلب حضور أهل مكة لوليمة ليقدم لهم طعاماً قليلاً ، فتظهر فيه البركة حتى لا يمكن نفاذه وفراغه ممجزة له ليؤمنوا به ، ويصدقوه ولم ار ذلك منقولاً .

(فروع) :

الأول : وليمة المرس سنة مؤكدة ، وأخرج الطبراني من حديث وحشي ابن حرب رضي الله عنه رفعه : « الوليمة حق » وفي مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « شر الطعام طعام الوليمة ، يمنعها من يأتيها ، ويدعى

(١) وتسمى : عمرة القضاء .

إليها من يابها ، ومن لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله ، وكان أبو هريرة يقول كما في صحيح مسلم : « بش الطام طام الوليمة ، يدعى لها الأغنياء ، ويترك المساكين ، ومن لم يأت الدعوة فقد عصى الله ورسوله » .

وروى الامام أحمد من حديث بريدة قال : لما خطب علي فاطمة رضوان الله عليهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنه لا بد للموس من الوليمة » ، وسنده لا بأس به . قال ابن بطلال : قوله صلى الله عليه وسلم : « الوليمة حق ، ليست يبطل ، بل يندب إليها ، وهي سنة فضيلة ، وليس المراد بالحق الوجوب ، ثم قال ابن بطلال : لا أعلم أحداً أوجبها . كذا قال . وغفل عن رواية في مذهبه بوجوبها نقلها القرطبي ، وقال : مشهور المذهب انها مندوبة ، ونقل ابن التين رواية بالوجوب في مذهب الامام أحمد ، والذي في « المغني » للامام الموفق : انها سنة ، بل وافق ابن بطلال في نفي الخلاف بين أهل العلم في ذلك ، قال : وقال بعض الشافعية : هي واجبة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بها عبد الرحمن بن عوف ، ولأن الاجابة إليها واجبة ، فكانت واجبة . وأجاب بأنه طمام لسرور حادث ، فأشبهه سائر الأطعمة ، والأمر محمول على الاستحباب بدليل ما ذكرناه ، ولكونه أمره بشاة ، وهي غير واجبة اتفاقاً . قال في « الفتح » : « ولبعض الذي أشار إليه ، يعني الموفق ، وجه معروف عندهم . وقد جزم به سليم الرازي وقال : إنه ظاهر نص الامام ، ونقله عن النص أيضاً أبو إسحاق في « المذهب » وهو قول أهل الظاهر كما صرح به ابن حزم .

الثاني : يجرى في الوليمة الشيء اليسير ، كدّين من شمير ، ويسن أن لا تنقص عن شاة ، والأولى الزيادة عليها ، كما في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لما تزوج : « أولم ولو بشاة » فيستفاد من السياق طلب تكثير الوليمة من

يقدر ، قال عياض : أجمعوا على أن لا حد لآكثرها ، وأما أقلها فكذلك . ومهما
تيسر أجزاء ، والمستحب أنها على قدر حال الزوج ، ولولا ثبوت أنه عليه السلام أولم
على بعض نسائه بأقل من الشاة ؛ لكان يمكن أن يستدل بحديث أنس في قصة
عبد الرحمن رضي الله عنها على أن الشاة أقل ما يجزى . عن الموسر . وفي
« الصحيح » : « أنه عليه السلام أولم على بعض نسائه بمدّين من شمير » . وروى الامام
أحمد ومسلم من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : « أنه صلى الله عليه
وسلم حمل وليمتها التمر والاقط والسمن » .

الثالث : تستحب الوليمة بالدخول ، وجرت العادة قبله بيسير . وقد
اختلف السلف في وقتها : هل هو عند المقد ؛ أو عقبه ، أو عند الدخول ؛ أو
عقبه ، أو موسع من ابتداء المقد الى انتهاء الدخول ، على أقوال ، معتمد مذهبنا
ما ذكرناه . وحكى القاضي عياض : أن الأصح عن المالكية استحبابه بمد
الدخول . وعن جماعة منهم : أنه عند المقد . وعن ابن حبيب عند المقد وبعد
الدخول . وعند الشافعية : عند الدخول . واستحب بعض المالكية أن تكون
عند البناء ، ويقع الدخول عقبها . وعليه عمل الناس . كما نقلناه عن مذهبنا .
والله أعلم .

الرابع : الاجابة الى وليمة العرس واجبة ، وقد نقل ابن عبد البر ، ثم
عياض ، ثم النووي وغيرهم : الاتفاق على القول بوجوب الاجابة لوليمة العرس .
وفيه نظر : نعم المشهور من أقوال العلماء الوجوب ، وصرح جمهور علمائنا كالشافعية
بأنها فرض عين ، ونص عليه مالك ، وعن بعض الحنابلة والشافعية أنها مستحبة .
وذكر اللّخمي المالكي : أن ذلك مذهبهم . وكلام صاحب « الهداية » من الحنفية
تقتضي الوجوب ، مع تصريحه بأنها سنة ، فكأنه أراد أنها وجبت بالسنة ، وليست
فرضا كما هو المعروف من قواعدهم . وعن بعض الحنابلة والشافعية أنها فرض

كفاية ، وإنما تجب الإجابة على مشد المذهب . إذا عينه داع مسلم يحرم هجره ،
ومكسبه طيب في اليوم الاول ، وهي حق للداعي ، تسقط بعفوه ، وقدم في
« الترغيب » : لا يلزم القاضي حضور وليمة عرس . ومنع ابن الجوزي في « المنهاج »
من إجابة ظالم وفاسق ومبتدع ، ومفاخر بها ، أو فيها مبتدع يتكلم بيدعة إلا
راد عليه . وكذا إن كان فيه مضحك بفحش أو كذب ، وإلا أبيع إذا كانت
قليلا . وإن كان المدعو مريضاً أو معذوراً لم تجب عليه الإجابة ، كمبد لم يأذن
له سيده ، وإلا وجبت لما تقدم من الاحاديث . وفي حديث ابن عمر مرفوعاً :
« احبوا هذه الدعوة إذا دعيت لها » . وكان ابن عمر يأتي الدعوة في العرس وغير
العرس ، ويأتيها وهو صائم . متفق عليه . ورواه ابو داود وزاد : « فإن كان مفطراً
فليطعم ، وإن كان صائماً فليدع » ، وفي « مسلم » : « من دعي الى وليمة عرس
فليجب » ، وفي « مسند الامام احمد » و « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » و « ابن
ماجة » من حديث جابر مرفوعاً : « إذا دعي أحدكم الى طعام فليجب » ، فإن شاء
طعم وإن شاء ترك » .

الخامس : قد علم أن الإجابة لوليمة العرس واجبة إن عينه أول مرة ، قال
في « الفروع » : « وتستحب ثاني مرة ، وتكره في الثالثة . وتقل حنبل عن الامام
رضي الله عنه : إن أحب أجاب ، ولا يجيب في الثالث . واستحب سيدنا الشيخ
عبد القادر في « الفتن » إجابة وليمة عرس ، وكره حضور غيرها ؛ إن كان كما
وصف عليه السلام يمنع المحتاج ، ويحضر القوي . واستدل من عين لإجابة الوليمة وقتاً
وم الحاجة والشافية بما روى ابو داود والنسائي من حديث قتادة عن عبد الله
ابن عثمان الثقفي ، عن رجل من ثقيف . كان ينسب عنه قال البخاري عن قتادة :
إن لم يكن اسمه زهير بن عثمان ، فلا أدري ما اسمه ، قال البخاري : ولا تصح
لزهير صحة ، وفي « جامع الاصول » : زهير بن عثمان الأعور الثقفي عداؤه في أهل

البصرة ، قال ابن عبد البر : روى عن النبي ﷺ حديث الوائمة وليس له غيره ، وفي استاده نظر ، يقال : إنه مرسل . انتهى - أن النبي ﷺ قال : « الوائمة أول يوم حق ، والثاني معروف ، والثالث رياء وسمة ، وهو ضيف . ولكن له شواهد منها : عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن ماجه ، ومنها عن أنس رضي الله عنه مثله ، أخرجه ابن عدي ، والبيهقي . ومنها : عن ابن مسعود رضي الله عنه بلفظ : « طعام أول يوم حق ، وطعام يوم الثاني سنة ، وطعام الثالث سمة ، ومن سمع سمع الله به » ، وهذه كلها مرفوعة . ومنها عن ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : « طعام في المرس يوم سنة ، وطعام يومين فضل ، وطعام ثلاثة أيام رياء وسمة » أخرجه الطبراني . وهذه الأحاديث وإن كان كل منها لا يخلو عن مقال ؛ فإن مجموعها يدل على أن للحديث أصلاً ، وقد وقع في أثناء حديث أبي داود والدارمي ، قال قتادة : « بلغني عن سعيد بن المسيب أنه دعي أول يوم فأجاب ، ودعي ثاني يوم فأجاب ، ودعي ثالث يوم فلم يجب ، وقال : هذا رياء وسمة ، واعلم أن أصحابنا أطلقوا الكراهة في اليوم الثالث ، وقال بعض العلماء : إنما يكره إذا كان المدعو في الثالث هو المدعو في الاول ، وكذا صوره الروياني من الشافعية ، واستبمده بعض متأخري فقهاءهم . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » وليس يبعد .

الحديث السادس

٥١ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي

صلى الله عليه وسلم صلى في بُرْدِ جَبَرَةٍ ، قال : أحسبه عقد بين طرفيها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشير السلمي (عن) أبي عبيدة (حميد) ابن أبي حميد (عن) أبي حمزة (أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ صلى في برد) — بضم الموحدة وسكون الراء ، بعدها دال مهملة — قال الجوهري : هو كساء مربع فيه صفر ، يلبسه الاعراب ، والجمع برود . وفي « القاموس » البرد — بالضم — : ثوب مخطط ، والجمع أبراد وبرود ، واكسية يلتحف بها ، الواحدة بها . انتهى (حبرة) قال الجوهري : الحبرة وزن عنبه : برد يمانى . قال الهروي : موشاة ^(١) مخططة . وقال الداودي : لونها أخضر ، لأنها لباس أهل الجنة . كذا قال . وقال ابن بطل : هي من برود اليمن ، يصنع من قطن ، وكانت أشرف الثياب عندم . وقال القرطبي : سميت حبرة : لأنها تحبر ، أي تزين ، والتعجير التزيين والتحسين . وفي « المطالع » البرد الحبر : المزين ، ومنه حلة حبرة ، وبرد حبرة ، وهي عصب اليمن ، وذكر كلام الداودي أن الحبرة ثوب أخضر . انتهى . (قال) أنس رضي الله عنه : (أحسبه) يعني النبي ﷺ ، أي أظنه (عقيد بين طرفيها) أنها : إما باعتبار كونها بردة ؛ أو لأجل لفظ حبرة ، فإنه مؤنث . وإنما عقيد بين طرفي برده ﷺ لأنه لم يكن عليه سراويلات ؛ فمقد بين طرفي البردة ليكون أستر .

والظاهر من سياق هذا الحديث : أنه لم يكن عليه سوى البرد . فدل على صحة الصلاة في ثوب واحد . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن سائلا سأل رسول الله ﷺ عن الصلاة في الثوب الواحد فقال : « أو لكلم ثوبان » زاد البخاري : ثم سأل رجل عمر فقال : « إذا وسع الله عليكم فأوسموا » يجمع الرجل عليه ثيابه ؛ يصلي الرجل في إزار ورداء ، في إزار وقيص ؛ في إزار وقياء ، وسراويل ورداء ، في سراويل وقيص ، في سراويل وقياء ، في تبان وقياء ، في تبان وقيص . قال : وأحسبه قال : في تبان ورداء ، وفي

(١) في الاصل : موشية .

« الصحيحين » عن أبي الزبير المكي ، أنه رأى جابر بن عبد الله رضي الله عنها يصلي في ثوب متوشحاه ، وعنده ثيابه ، قال جابر : انه رأى رسول الله ﷺ يصنع ذلك : ولفظ البخاري : ملتحفا بدل متوشحاه . قال الزهري : الملتحف هو المتوشح ، وهو المخالف بين طرفيه ، وهو الاشتغال على منكبيه . وفي بعض طرقه عن محمد بن المنكدر ، قال : صلى جابر بن عبد الله في إزار قد عقده من قبل قفاه ، وثيابه موضوعة على المشجب . وهو - بكسر الميم وسكون الشين المعجمة - وفتح الجيم بعدها موحدة - : عيدان تضم رؤوسها ، ويفرج بين قوائمها ، توضع عليها الثياب وغيرها . وقال ابن سيدة : المشجب والشجاب : خشبات ثلاث يعلق عليها الراعي دلوها وسقاه . ويقال في المثل : كان كالمشجب من أين قصده وجدته . انتهى . فقال له قائل : تصلي في إزار واحد ؟ قال : إنما صنعت ذلك ليراني أحق مثلك ، وأينا كان له ثوبان على عهد رسول الله ﷺ . وفي طريق آخر : رأيت النبي ﷺ يصلي كذا ، زاد البخاري قوله : قد عقده من قبل قفاه ، وأينا كان له ثوبان إلى آخره . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : كان الخلاف في منع جواز الصلاة في الثوب الواحد قديماً . روى ابن أبي شيبة ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لا تصلين في ثوب واحد ، قال : ثم استقر الأمر على الجواز . وفي « سنن » أبي داود والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه سأل أخته أم حبيبة أم المؤمنين رضي الله عنها : هل كان رسول الله ﷺ يصلي في الثوب الذي يجامع فيه ؟ قالت : نعم إذا لم يرفه أذى .

وفي الحديث إشارة إلى وجوب ستر المورة في الصلاة . وقد ذهب الجمهور إلى أن ستر المورة من شروط الصلاة ، وعن بعض المالكية : التفرقة بين الذاكِر والناسي ، ومنهم من أطلق كونه سنة لا يبطل تركها الصلاة ، واحتج

فانه لو كان شرطاً في الصلاة لأخص بها ، ولأفقر الى النية ، وكان المأجز المريان كالمأجز عن القيام ، ينتقل الى القعود والجواب عن الأول النقص بالإيمان ، فهو شرط في الصلاة ، ولا يختص بها ، وعن الثاني : باستقبال القبلة فانه لا يفتقر لنية . وعن الثالث على ما فيه : بالمأجز عن القراءة ، ثم التسبيح ، فانه يصلي ساكناً . قال النووي : ذهب أكثر أهل العلم : ان الفخذ عورة . وعن الامام مالك ، وكذا عن الامام أحمد ، في رواية : ان المورة القبل والذبر فقط ، وبه قال أهل الظاهر ، وابن جرير ، والاصطخري . ونظر في «الفتح» في ثبوت ذلك عن أبي جرير ، لانه ذكر المسألة في «تهذيبه» ورد على من زعم أن الفخذ ليست بمورة . والله التوفيق .

تنبيهات

الأول : هذا الحديث مما لحقه وزاده الحافظ ضياء الدين المقدسي رحمه الله تعالى ورضي عنه ، من ثلاثيات «مسند الامام أحمد» رضي الله عنه ماخرجه الحب اسماعيل بن عمر المقدسي رحمه الله تعالى . ولم أر هذا الحديث في «الصحيحين» مع أنه على شرطها . نعم حميد الطويل مدلس ، والبخاري يخرج له ما صرح فيه بالتحديث ، وهنا لم يصرح بالتحديث . بل قال عن أنس ، والنعنة مظنة الدلسة . والله أعلم .

الثاني : ورد في الحديث عن جابر بن سمرة رضي الله عنه انه قال : «رأيت رسول الله ﷺ وعليه حلة حمراء ، فجملت انظر اليه والى القمر ، فلهو عندي أحسن من القمر» رواه الترمذي ، وابن الجوزي وغيرهما . وفي «الصحيحين» من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها : «كان رسول الله ﷺ مربوعاً ، ورأيت في حلة حمراء ما رأيت شيئاً أحسن منه» وفي أبي داود ، من حديث هلال بن عامر عن أبيه : «رأيت النبي ﷺ يخطب بمنى على بئير ، وعليه برد

احمر ، اسناده حسن . ورواه الطبراني باسناد حسن عن طارق الحاربي ، لكن قال : بسوق ذي الحجاز . قال الامام المحقق ابن القيم في « المدهي » : وقد غلط من ظن ان الخلعة كانت حمراء بحثا لا يخالطها غيرها ؛ وانما الخلعة الحمراء : بردان يمانيان ، منسوجان بخطوط حمراء مع الأسود ، كسائر البرود اليمنية ، وهي معروفة بهذا الاسم باعتبار ما فيها من الخطوط ؛ وإلا فالاحمر البحت نهي عنه أشبه النهي . انتهى .

وقد تلخص من أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر سبعة أقوال :
 الأول : الجواز مطلقاً . جاء عن علي وطلحة وعبد الله بن جعفر والبراء وغير واحد من الصحابة . وعن سعيد ابن المسيب والنخعي والشمي وأبي قلابة وأبي وائل وطائفة من التابعين .

الثاني : المنع مطلقاً . لا أخرج ابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : نهى رسول الله ﷺ عن المقدم ، وهو بالقاء وتشديد الدال المهملة : المشيع بالصفرة . فسرّه في الحديث . وعن عمر رضي الله عنه : انه اذا رأى على الرجل ثوباً معصراً ضربه وقاله : دعوا هذا للنساء . أخرجه الطبري . وأخرج ابن أبي شيبة ، من مرسل الحسن : « الحرة من زينة الشيطان ، والشيطان يحب الحرة » ، ووصله أبو علي ابن السكن ، وأبو أحمد بن عدي ، ومن طريقه البيهقي في « الشعب » ، من رواية أبي بكر الهذلي . وهو ضعيف ، عن الحسن ، عن رافع بن زيد الثقفي ، رفعه : « ان الشيطان يحب الحرة ، فأياكم والحرة ، وكل ثوب ذي شهرة » ، وأخرجه ابن مندة . والحديث ضعيف . وقال ابن الجوزي : إنه باطل . وأخرج أبو داود ، والترمذي وحسنه ، والبراز من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « مر على رسول الله ﷺ رجل ، وعليه ثوبان أحمران ، فلم عليه ، فلم يرد عليه النبي ﷺ » ، وأخرج أبو داود عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال : « خرجنا

مع رسول الله ﷺ في سفر ، فرأى على رواحلتنا أكسية فيها خطوط عين حمراء فقال : ألا أرى هذه الحمرة قد غلبتكم ؟! قال : فقمنا سراعاً فزغناها حتى نفر بمض إبلتنا ، وفي سند هذا الحديث راوٍ لم يسم .

الثالث : يكره لبس الثوب المشبع بالحمرة دون ما كان صبغه خفيفاً ، جاء ذلك عن عطاء وطاووس ومجاهد ، وكان الحجة فيه حديث ابن عمر رضي الله عنهما في المقدمة .

الرابع : يكره لبس الأحمر مطلقاً لقصد الزينة والشهرة ، وتجوز في البيوت والمهنة . جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهذا يشبه قول الامام مالك في ترخيصه في المعصر والمزعر في البيوت ، وكرهته لها في المافل .

الخامس : يجوز لبس ما كان صبيغ غزله ثم نسج ، ويمنع ما صبيغ بعد النسج . جنح اليه الخطابي ، واحتج بأن الحلة الواردة في الاخبار في لبسه ﷺ ، الحلة الحمراء لإحدى حلل اليمن ، وكذلك البرد الأحمر ، وبرود اليمن يصيغ غزلهما ثم ينسج .

السادس : اختصاص النهي بما يصيغ بالمعصر لورود النهي عنه ، ولا يمنع ما صبيغ بغيره من الاصباغ ، ويمكر عليه حديث المفرة في حديث الاسدية قالت : كنت عند زينب أم المؤمنين ونحن نصيغ ثياباً لها بمفرة ، اذ طلع النبي ﷺ فلما رأى المفرة رجع ، فلما رأت زينب ذلك غسلت ثيابها ، ووارت كل حمرة ، فجاء فدخل ، أخرجه أبو داود . وفي سنده ضعف .

السابع : تخصيص المنع بالثوب الذي يصيغ كله . وأما ما فيه لون آخر غير الأحمر ، من بياض وسواد وغيرهما فلا . وعلى ذلك تحمل الاحاديث الواردة في الحلة الحمراء ، فإن الحلل اليمانية غالباً تكون ذات خطوط حمراء وغيرها . قال الامام ابن القيم : كان بعض العلماء يلبس ثوباً مشبعاً بالحمرة ، ويزعم انه يتبع السنة ،

وهو غلط ، فإن الحلة الحمراء من برود اليمن ، والبرود لاتصبغ أحمر صرفاً .
وقال الطبري : الذي أراه جواز لبس الثياب المصبغة بكل لون ، إلا أنني لأحب
لبس ما كان مشبهاً بالحرمة ، ولا لبس الأحمر مطلقاً ظاهراً فوق الثياب ، لكونه
ليس من لباس أهل المروءة في زماننا ، فإن مراعاة زي الزمان من المروءة مالم
يكن إثمًا ، وفي مخالفة الزي ضرب من الشهرة ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع

٥٢ - ثنا هشيم ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي
صلى الله عليه وسلم ، كان يطوف على جميع نسائه في ليلة
بفسل واحد .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك
رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان يطوف على جميع نسائه) كفى بالطواف عن
الجماع على عادته بالتكنية عن الأمور المستفظة . ولفظ مسلم : « كان يطوف على
نسائه بفسل واحد » . وقال البخاري عن قتادة ، عن أنس : « كان النبي ﷺ
يدور على نسائه في الساعه الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة » ، قال
قتادة : قلت لأنس أو كان يطيقه ؟ قال : كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين (في
ليلة) وفي لفظ للبخاري : « كان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة » ، وله يومئذ
تسع نسوة (بفسل واحد) لم يذكر في صحيح مسلم عدد النسوة ، ولا ذكر
البخاري الفسل . وذكر البخاري في الترجمة : « في غسل واحد » ، إشارة إلى
ما ذكرناه في هذا الحديث ، وإن لم يكن منصوفاً فيما أخرجه البخاري . كما

جرت به عادته ، ولما كان من لازم جماعين في الساعة الواحدة ، أو الليلة الواحدة ، عود الجماع بلا غسل ، صلح أن يقول : في غسل واحد ، والمراد بالساعة الواحدة ، قدر من الزمان ، لا ما اصطلاح عليه أهل الهيئة . وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : ربما كان ﷺ يطوف عليهن بغسل واحد ، وربما كان يقتسل عند كل واحدة منهن .

وقوله : في عدد نسائه ﷺ وهن إحدى عشرة ، وفي الرواية الاخرى : تسع نسوة . وجمع ابن حبان في « صحيحه » بين الروایتين : بأن حمل ذلك على حالتين ، لكنه وم في قوله : ان الأولى كانت في أول قدومه المدينة ، حيث كان تحته تسع نسوة ، والحالة الثانية في آخر الامر ، حيث اجتمع عنده إحدى عشرة امرأة ، كما في « الفتح » وموضع الوهم منه : أنه ﷺ لما قدم المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة ، ثم دخل على عائشة بالمدينة ، ثم تزوج ام سلمة ، وحفصة ، وزينب بنت خزيمة ، في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، وتقدم عن « منتخب » الحافظ ابن الجوزي ، انه ﷺ تزوج بها بعد سنة ثلاث من الهجرة . وكذا قال البرماوي : انه تزوجها في الرابعة ، ثم جويرة في الخامسة ، ثم صفية وام حبيبة ، وميمونة - على ما في الملقمي وغيره - في السابعة^(١) ، وهو لأن جميع من دخل بهن من الزوجات بعد الهجرة على المشهور .

واختلف في ريمانة ، وكانت من سبي بني قريظة : فجزم ابن اسحق : بأنه عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ، فاختارت البقاء في ملكه . والاكثر على انها ماتت قبله في سنة عشر ، وكذا ماتت زينب بنت خزيمة بعد دخولها عليه بقليل . قال ابن عبد البر : مكثت عنده شهرين أو ثلاثة ، فعلى هذا لم يجتمع عنده من الزوجات اكثر من تسع ، مع ان سودة كانت وهبت يومها لعائشة ،

(١) وعلى هامش الأصل : والذي يظهر أن تزويجه صلى الله عليه وسلم بأُم حبيبة كان قبل السابعة كما نعلم من السير .

فلهذا رجحت رواية التسع على الاحدى عشرة . لكن تحمل رواية الاحدى عشرة على ضم مارية وريحانة الى الزوجات ، وأطلق عليهن لفظ نسائه تقليباً . وقد ذكر الحافظ الدمياطي في « سيرته » : ان جميع من اطلع عليه من ازواجه عليه السلام ، ممن دخل بها ، أو عقد عليها فقط ، أو طلقها قبل الدخول ، أو خطبها ولم يعقد عليها ، فبلغت ثلاثين . وانكره الامام ابن القيم عليه . وقد جاء عن أنس رضي الله عنه : انه عليه السلام تزوج خمس عشرة ، دخل منهن باحدى عشرة ، ومات عن تسع : وهن سودة وعائشة وحفصة وام سلمة وزينب بنت جحش وام حبيبة وجويرة وصفية وميمونة ، فهؤلاء مات عليه السلام وهن في عصمته . وكان عليه السلام يقسم لثمان منهن ، وأما سودة رضي الله عنها فلم يكن يقسم لها ، فانها وهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها . تبنتني بذلك رضى رسول الله عليه السلام ، فكان يقسم لعائشة بيومها ويوم سودة .

وفي الحديث دليل على فضيلة الجماع وقوة رسول الله عليه السلام على ذلك ، وانه أعطي قوة ثلاثين رجلاً . وفي رواية : أربعين بدل ثلاثين في الجماع . وفي « صفة الجنة » لأبي نعيم من طريق مجاهد : من رجال أهل الجنة . وروي من حديث عبد الله بن عمرو رفته : « أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع » ، وأخرج الامام أحمد والنسائي وصححه الحاكم ، من حديث زيد بن أرقم رفته : « إن الرجل من أهل الجنة ليعطى قوة مائة ، في الأكل والشرب والجماع والشهوة » . وفي « سنن الترمذي » من حديث قتادة عن أنس رضي الله عنه ، عن النبي عليه السلام : « يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع » ، قيل : يا رسول الله عليه السلام أو يطبق ذلك ؟ قال : يعطى قوة مائة ، هذا حديث صحيح . وبهذا يعلم أن قوة نبينا عليه السلام في الجماع ؛ تزيد على قوة سليمان بن داود عليها السلام ؛ لأنه عليه السلام يكون قد أعطي قوة ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف رجل من أهل الدنيا في الجماع . وفي

« الصحيح » ، « أن سليمان عليه السلام طاف في ليلة واحدة على تسعين امرأة . قال القاضي عياض في « الشفاء » : لم تزل العرب والحكماء تتمدح بقلة الغذاء من الأكل والشرب والنوم ؛ وتذم بكثرة ذلك ؛ لأن كثرة الأكل والشرب ؛ دليل على النهم والحرس والشرة . وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة ، جالب لادواء الجسد ، وخبثارة النفس ^(١) وامتلاء الدماغ ، وقلته دليل على القناعة ، وملك النفس . وقع الشهوة . مسبب للصحة ، وصفاء الخاطر ، وحدة الذهن . كما أن كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف . ثم قال : وما اتفق على التمدح بكثرته ووفوره ؛ النكاح ؛ فإنه متفق عليه شرعاً وعادة ، فإنه دليل الكمال وصحة الذكورية ، ولم يزل التفاخر بكثرته عادة معروفة ، والتهاضح به سيرة ماضية . وفي حديث أنس رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : « فضلت على الناس بأربع : بالسخاء والشجاعة ، وكثرة الجماع ، وقوة البطش » ، قال في « الشفاء » : وإنما كانت العرب تتمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية ؛ وفيه دليل على كثرة النساء لمن قدر على المدل بينهما . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : أفضل هذه الأمة أكثرها نساء . وفي لفظ : خير هذه الأمة أكثرها نساء . قال في « الفتح » : قيد بهذه الأمة ليخرج مثل سليمان عليه السلام ، فإنه كان أكثر نساء . وكذلك أبوه داود . ووقع عند الطبراني ، من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : « تزوجوا فإن خيركم ما كان أكثر نساء » ، قيل : المعنى خير أمة محمد من كان أكثر نساء من غيره ، بمن يتساوى معه فيما عدا ذلك من الفضائل ، والذي يظهر أن مراد ابن عباس بالخير ؛ النبي ﷺ ، وبالأمة أخصاء أصحابه ، وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح ؛ إذ لو كان راجحاً ما آثر النبي ﷺ عليه غيره ، وكان - مع كونه أخشى الناس لله ؛ واعلمهم به - يكثر التزويج لمصلحة

(١) في القاموس : خثرت نفسه : غثت واختلطت .

تبليغ الاحكام التي لا يطلع عليها الرجال . ولاظهار المعجزة البالغة في خرق المادة ، لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالباً ، وإن وجد فكان يؤثر بأكثره ، ويصوم كثيراً ويواصل ، ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة ، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن ، وقوة البدن تامة لما يقوم به من استعمال المقويات ، من مأكل ومشروب ، وهي عنده نادرة أو معدومة .

وفيه دليل على أن القسم لم يكن واجباً عليه ﷺ . وهو قول طوائف من العلماء ، منهم : الامام الحافظ ابن الجوزي من علمائنا ، والاصطخري من الشافعية ، وفي الاقناع ، : ظاهر كلامهم أنه ﷺ في وجوب القسم والتسوية بين الزوجات كغيره . وظاهر كلام ابن الجوزي : انه غير واجب . انتهى . والمشهور عند علمائنا كالشافعية ، والأكثر الوجوب . والجواب عن الحديث ، بأن ذلك كان باستطاعتهم ، أو كان الدوران في يوم القرعة لاقسمة ، قبل أن يقرع بينهم ، أو كان من خصائصه ، وأن الله خصه بمجواز دورانه عليهن في ساعة ، أو كان الدوران بعد العصر . قال ابن العربي : إن الله خص نبيه بأشياء ، منها : انه أعطاه ساعة في كل يوم ، لا يكون لازواجه فيها حق ، يدخل فيها على جميعهن فيفعل ما يريد ، ثم يستقر عند من لها الثوبة . وكانت تلك الساعة بعد العصر ، فان اشتغل عنها كانت بعد المغرب . وفي حديث عائشة في « الصحيح » : « كان رسول الله ﷺ اذا انصرف من العصر دخل على نسائه ، فيدنو من إحداهن ، فدخل على حفصة فاحتبس أكثر ما كان يحتبس ، الحديث . وفيه : انه ﷺ خص بالزيادة على نكاح الأربعة . قال علماؤنا كغيرهم : وأبيح له ﷺ أن يتزوج بأي عدد شاء . وفي « الرعاة » : كان له أن يتزوج بأي عدد شاء ، الى أن نزل قوله تعالى : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج » ^(١) انتهى . قال في « الاقناع » ، ثم نسخ يعني عدم الحل والتبدل ؛ لتكون المنة لرسول الله ﷺ

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢ . وقد وردت في الاصل : لا تلحل . وهي قراءة أبو عمرو ويعقوب .

بترك الزوج عليهن . فقال تعالى : «إنا أحللنا لك أزواجك الثلاثي آتيت أجورهن ، (١) الآية . لكن الواقع انه ﷺ لم يتجدد له تزوج امرأة بعد القصة المذكورة ، وهي قوله تعالى «لا يحل لك النساء من بعد» (٢) قال ابن عباس ومن وافقه : «ان ذلك وقع مجازاة لمن على اختيارهن إياه ، لكن روى الترمذي ، والنسائي ، عن عائشة رضي الله عنها : «ما مات رسول الله ﷺ حتى أحل له النساء ، وأخرج ابن أبي حاتم ؛ عن أم سلمة مثله . فهذا يدل على نسخ المتع . وبالله التوفيق .

الحديث الثامن

٥٣ - ثنا هشيم ؛ عن عبد العزيز ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان إذا دخل الخلاء قال : اللهم إني أعوذ بك من الخُبْثِ والخبائث .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم عن عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (ان رسول الله ﷺ كان) تفيد تكرار هذا القول منه ﷺ مع تكرار الفعل ، كما هو الغالب على دلالة كان . وقد تفيد مجرد وقوع مدخولها من غير تكرار ، وهو من غير الغالب (إذا دخل الخلاء) أي أراد أن يدخل المكان الممدد لقضاء الحاجة . وفي «الأدب المفرد» للبخاري : عن أنس رضي الله عنه ، كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يدخل

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٠

(٢) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٢

الخلاء، والخلاء ممدود المكان الذي يتوضأ فيه ، سمي بذلك لكونه يتخلّى، أى يتفرد فيه. قال الجوهري. وقال أبو عبيد : يقال لموضع النائط: الخلاء، والمذهب ، والمرفق ، والمرحاض . وفي رواية في « الصحيحين » أيضاً : « كان إذا دخل الكنيف ، وهو بمعنى الخلاء ، سمي بذلك ؛ لأنه يكنف من دخله ، أى يستره . قال في « القاموس » الكنيف كأمير: المرحاض (قال: اللهم) تقدم ان الميم عوض عن ياء النداء ولهذا لا يجمع بينها في اختيار الكلام (إني أعوذ) أي أتحمز وأتحصن .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : أعلم ان لفظة عاذ وما تصرف منها ، تدل على التحزر والتحصن والاتجاء ، وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يمسك منه ، ولهذا يسمى الاستعاذ به معاذاً ، كما يسمى ملجأً ، وفي الحديث : « لما دخل النبي ﷺ على ابنة الجون ، فوضع يده عليها قالت : أعوذ بالله منك ، فقال : لقد عذت بمعاذ ، الحقي بأهلك ، فعنى أعوذ : التجأ واعتصم وأتحمز . وفي أصله قولان : أحدهما مأخوذ من الستر ، لان العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة ؛ قد استتر بها : « عوذ » بضم العين المهملة وتشديد الواو مفتوحة . فكأنه لما عاذ بالشجرة ، واستتر بأصلها وظلها ، سمي عوداً ، فكذا المأخذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به . الثاني : أنه مأخوذ من اللزوم والمجاورة ، لأن العرب تقول للحم اذا لصق بالمظم فلم ينخطف منه : عوذ ، لأنه اعتصم به ، واستمسك بالمعاذ به ، واعتصم وئزمه (بك) يا الله لا بفيرك ، وأجرى عليه ضمير الخطاب لاستشطاره قربه منه (١) ، وانه معه بملءه وحفظه له جل شأنه (من الخبث) قال الحافظ عبد الغني المقدسي الجماعلي : في « عمدة الاحكام » بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة فثلثة ، جمع خبيث (والخبائث) جمع خبيثة . قال الخطابي : لا يجوز غيره ، وغلط من سكن الباء

(١) في الاصل : ومنه .

الموحدة ، وتمقب : بأنه يجوز الأسكان ؛ كما في نظائره مما جاء على هذا الوجه ، ككتب ورسل وسبل ، فعلى هذا يكون قد استأذ من ذكران الشياطين وإناتهم ، وإنما كان ﷺ يستعذ مع المصعة والحفظ والعناية الحاصلة له من الباري جلوعلا اظهاراً للعبودية ، ويجهز بذلك للتشريع والتعليم . وقد روى هذا الحديث المعمرى من طريق عبد العزيز بن المختار ، عن عبد العزيز بن سبيب بلفظ الامر ، قال : « اذا دخلتم الخلاء فقولوا : بسم الله ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث » واستاده على شرط مسلم ، وفيه زيادة التسمية . قال الحافظ ابن حجر : ولم أرها في غير هذه الرواية . انتهى . قلت : لعله أراد : لم يرها في الحديث المذكور ، وهو حديث أنس بن مالك ، والا فقد روى ابن ماجة والترمذي ، من حديث علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ستر ما بين الجن وعورات بني آدم « اذا دخل أحدكم الخلاء أن يقول : بسم الله » وروى سعيد بن منصور حديث أنس ، فذكر « بسم الله » ، أعوذ بالله من الخبث والخبائث ، قال الامام أحمد رضي الله عنه : ما دخلت المتوضأ ولم ألقها إلا أصابني ما أكره . وروى أبو داود وابن ماجة من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إن هذه الحشوش محتضرة ، فاذا دخل أحدكم فليقل : اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث ، الحشوش جمع حش ، وهي في الأصل : البساتين ، كانوا يقضون الحاجة فيها ، ثم سمي به موضع قضاء الحاجة . والمحتضرة : التي تحضرها الشياطين ولذلك أمر بذكر الله والاستعاذة قبل دخولها ، ليكون ذلك حصناً ومعاداً منها .

ويستحب أن يقدم رجله اليسرى دخولا ، واليمنى خروجاً ، لأن اليمين لما شرف ، واليسرى لما خبت ، والخروج من محل الخبث يمن في الجملة ، عكس مسجد ومزل ، وروى ابن ماجة من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعاً :

« لا يمجز أحدكم اذا دخل مرقعه أن يقول : اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس ، ، الخبث الخبث ، الشيطان الرجيم ، قال في « المطلع » : الرجس : القدر ، والنجس اسم فاعل من نجس بنجس فهو نجس ، كفرح يفرح فهو فرح . وقال الفراء : اذا قالوه مع الرجس أتيموه إياه فقلوا : رجس نجس بكسر النون وسكون الجيم ، وهو من عطف الخاص على العام ، فان الرجس النجس : الشيطان الرجيم ، قد دخل في الخبث والخبائث ، لأن المراد بهم الشياطين .

تنبيهات

الأول : حديث أنس هذا رواه الجماعة .

الثاني : ضبط لفظ الخبث والخبائث الذي ذكرناه عن الحافظ عبد النبي في « عمدته » ، وصوبه الخطابي ، صرح جماعة من الأئمة وأهل المعرفة : بأن الباء في الخبث ساكنة ، منهم أبو عبيد ، إلا أنه يقال : ان ترك التخفيف أولاً لا يشتبه بالمصدر . قال في « الفتح » : وقع في نسخة ابن عساكر ، يعني من « صحيح البخاري » قال أبو عبد الله ، يعني البخاري : ويقال : الخبث باسكان الموحدة ، فان كانت مخففة من الحركة ؛ فقد تقدم توجيهه ، يعني أنه جمع خبيث لذكران الشياطين ، وإن كان بمعنى المفرد فمناه كما قال ابن الأعرابي : المكروه ؛ قال : فان كان من الكلام فهو الشتم ؛ وإن كان من الملل فهو الكفر ؛ وإن كان من الشراب فهو الضار ؛ وعلى هذا فالمراد بالخبائث : المماصي ، أو مطلق الافعال المذمومة ؛ ليحصل التناسب . قال : ولهذا وقع في رواية الترمذي وغيره : « أعوذ بالله من الخبث والخبث ، او الخبث والخبائث ، هكذا على الشك الاول بالاسكان مع الافراد ، والثاني بالتحريك مع الجمع ، أي من الشيء المكروه ، ومن الشيء المذموم ، او ذكران الشياطين وإناتهم . انتهى . وقال في « المطلع » : الخبث باسكان الباء ،

قال أبو عبيد : هو الشر ، وقال ابن الأنباري : هو الكفر ، والخبائث : الشياطين .
وقال الداودي : الخبث الشيطان ، والخبائث المعاصي ، قال : وقيل : الخبائث إناث
الجن ، والخبث بضم الباء ذكورهم جمع خبيث . وقيل : استعاذ من الخبث نفسه
الذي هو الكفر ، ومن الخبائث التي هي الأخلاق الخبيثة .

الثالث : يسن للمتخلي إذا خرج أن يخرج برجله اليمنى ويقول : غفرانك ،
الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ؛ لما روت عائشة رضي الله عنها قالت :
كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الخلاء قال : غفرانك ، رواه الإمام أحمد ،
وأبو داود ، والترمذي ، وابن ماجه . قال الترمذي : انه حديث حسن غريب .
وروي ابن ماجه ، من حديث أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ
إذا خرج من الخلاء قال : الحمد لله الذي أذهب عني الأذى وعافاني ، وذكره
الإمام أحمد .

وكان نوح عليه السلام يقول : الحمد لله الذي أذاقني لذته ، وأبقى في منعمته ،
وأذهب عني أذاه .

الرابع : المراد بالخلاء : محل قضاء الحاجة ، حتى لو بال أو تغوط في
نحو إناء ، لكن إن كان قضاء الحاجة في الأمكنة المدة لذلك قال الذكر
المشروع عند إرادة دخولها ، وإلا فيقوله عند الشروع في ذلك ، كرفع ثيابه .
وبالله التوفيق .

الحديث التاسع

٥٤ - ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن

أنس ، عن جده أنس بن مالك ، قال : قال : رسول الله ﷺ :
إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا : وعليكم .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا عبيد الله بن أبي بكر ، بن أنس)
بن مالك الأنصاري النجاري ، ثقة ثبت من رجال « الصحيحين » (عن جده
أنس بن مالك) وفي « البخاري » حدثنا أنس بن مالك يعني جده رضي الله عنه
(قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سلم عليكم) معشر المسلمين
(أهل الكتاب) من اليهود والنصارى (فقولوا) في الرد عليهم (وعليكم)
كذا رواه عبيد الله عن جده مختصراً ، ورواه قتادة عن أنس أتم منه ، أخرجه
مسلم ، وأبو داود والنسائي من طريق شعبة عنه بلفظ : « إن أصحاب النبي ﷺ
قالوا : إن أهل الكتاب يسلون علينا ، فكيف نرد عليهم ؟ قال : قولوا : وعليكم ،
وتقدم هذا الحديث والكلام عليه في الرابع من مسند ابن عمر رضي الله عنهما ،
لكن بلفظ : « إذا سلم عليكم اليهودي فأنما يقول : السام عليك » ... الحديث .

الحديث العاشر

٥٥ - ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر ،
أخبرنا أنس ويونس ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله
ﷺ : أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . قيل : يا رسول الله !
هذا نصرته مظلوماً ، فكيف أنصره ظالماً ؟ قال : تحجزه ،
نعمه ، فإن ذلك نصره .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : قال عبيد الله بن أبي بكر) بن أنس
ابن مالك رضي الله عنه (أخبرنا أنس) بن مالك يعني جده رضي الله عنه ، قال
هشيم (و) قال (يونس) هو : ابن عبيد بن دينار البصري ، أحد الأعلام
قال في « الوافي بالوفيات » : رأى أنس بن مالك ، وروى عن إبراهيم التيمي ،
والحسن البصري ، وابن سيرين ، وحמיד بن هلال ، وزيد بن جبير ، وعمرو
بن سعيد الثقفي ، وثابت البناني ، ونافع ، وعدة . هو ثقة حافظ ثبت ، ورع رأس
في السلم والعمل ، له مناقب كثيرة . توفي سنة تسع وملائين ومائة . روى له
الجماعة ، وروى عنه الثوري وشعبة والحمادان والسفيانان وهشيم وغيرهم . وقد
قال أبو حاتم في يونس : هو أكبر من سليمان التيمي ، ولا يبلغ التيمي منزلة
يونس ، وقال سعيد بن عامر : ما رأيت رجلاً قط أفضل من يونس بن عبيد
رحمه الله تعالى (عن) أبي سعيد (الحسن) بن أبي الحسن ، واسم أبي الحسن
يسار البصري ، من سبي ميسان ، مولى زيد بن ثابت . ولد لستين بقينا من
خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في المدينة ، وقدم البصرة بعد مقتل عثمان
ابن عفان رضي الله عنه ، ورأى عثمان ، وقيل : إنه لقي علياً بالمدينة ، وأما
بالبصرة فلم تصح رؤياه له ؛ لأنه كان في وادي القرى ، متوجهاً نحو البصرة
حين قدم علي رضي الله عنه البصرة . ويقال : إن الحسن لقي طلحة ، وعائشة ،
ولم يصح له منها سماع . وروى عن غيرها من الصحابة مثل أبي بكره الثقفي ،
وأنس بن مالك ، وسمرة بن جندب ، وابن عمر ، وقيس بن عاصم ، وجندب
ابن عبد الله ، ومقل بن يسار ، وعمرو بن قنبل ، بالثناة والنعين المعجمة
وكسر اللام . وعبد الرحمن بن سمرة ، وأبي برزة الأسلمي ، وعمران بن
الحصين ، وعبد الله بن مغفل وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم . قال الفضيل
بن عياض : سألت هشام بن حسان ، كم أدرك الحسن من الصحابة ؟ قال :

مائة وملائين . وعن الحسن قال : غزونا غزوة الى خراسان معنا فيها ثلاث مائة من أصحاب رسول الله ﷺ ، وقد روى الحسن عن أمه أم سلمة رضي الله عنها ، في غسل بول القلام ، في كتاب الطهارة من « سنن أبي داود » ، وقد حضر يوم الدار ، وعمره أربع عشرة سنة . وتقدم أن أباه يسار : بفتح المثناة تحت ، وبعدها سين مهملة ، من سبي ميسان : بفتح الميم ، وسكون التحتية . وبالسین المهملة ؛ قال السمعاني : هي بليدة بأسفل البصرة . وكان المغيرة بن شعبه رضي الله عنه افتتحها ، قال بن سعد : خيرة^(١) فدفع الى المدينة ، فاشترته الربيع . بالتصغير . بنت النضر ، بالضاد المعجمة ، عمة أنس بن مالك فأعتقته ، ويروى عن الحسن أنه قال : كان أبوأي لرجل من بني النجار ، فتزوج امرأة من بني سلمة ، فساقها إليها من مهرها فأعتقتها . كذا قال . لكن المشهور أن أمه واسمها خيرة ، بالخاء المعجمة المفتوحة ، وبعدها مثناة من تحت ساكنة ، كانت مولاة لأم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، زوج النبي ﷺ ، قالوا : فربما خرجت أمه في شغل فيسكي ، فتمطيه أم سلمة ثديها فيدر عليه ، فيرون أن تلك الفصاحة والحكم من بركة ذلك . قال أبو عمرو بن العلاء : ما رأيت أفصح من الحسن البصري ، ومن الحجاج بن يوسف الثقفي . ف قيل له : فأيهما كان أفصح ؟ قال : الحسن . ونشأ بوادي القرى ، وكان أجمل أهل البصرة . وحكى الأصمعي ، عن أبيه قال : ما رأيت أعرض زنداً من الحسن ، كان عرض زنده شبراً .

تنبيه : أكثر العلماء والحفاظ من أئمة هذا الشأن ، أنكر سماع الحسن البصري من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وتمسك به من الأئمة المتأخرين والحفاظ المتبرين جماعة ، منهم شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأثبتته جماعة من الحفاظ أيضاً ، منهم الامام الحافظ ضياء الدين المقدسي الحنبلي في « المختارة » . فانه قال : الحسن روى عن علي رضي الله عنه . وقيل : لم يسمع

(١) أي : أمه خيرة .

منه . وتبعه على هذه العبارة : الحافظ بن حجر في « أطراف الخسارة » . وقد علمت أن الحسن ولد لستين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه باتفاق ، وكانت أمه خيرة مولاة أم سلمة رضي الله عنها ، فكانت تخرجه الى الصحابة يباركون عليه ، وأخرجته الى عمر رضي الله عنه ، فدعاه بقوله : اللهم فقهه في الدين ، وحببه الى الناس . ذكره الحافظ جمال الدين المزي في « التهذيب » ، وأخرجه العسكري في « كتاب المواعظ » بسنده ، وتقدم أنه حضر يوم الدار وله أربع عشرة سنة ، كما ذكره المزي وغيره . ومن المعلوم أنه من حين بلغ سبع سنين أمر بالصلاة ، فكان يحضر الجمعة والجماعة ، فكيف يستنكر سماع الحسن من علي ؟! مع اجتماعه بالصحابة كل يوم في المسجد خمس مرات من حين ميّز الى أن بلغ أربع عشرة سنة؛ مع أن أمير المؤمنين كان يزور أمهات المؤمنين ، ومنهن أم سلمة رضي الله عنها ، والحسن في بيتها هو وأمه . وأيضاً فقد ورد عن الحسن البصري ما يدل على سماعه من علي رضي الله عنه ، فقد أورد المزي في « التهذيب » من طريق أبي نعيم ، عن يونس بن عبيد قال : سألت الحسن ، قلت : يا أبا سعيد : إنك تقول : قال رسول الله ﷺ وانك لم تدريه ؟ قال : يا ابن أخي لقد سألتني عن شيء ما سأني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك ، إني في زمان كما ترى ، وكان في عمل الحجاج ، كل شيء سمعتي أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهو عن علي بن أبي طالب ، غير أنني في زمان لا أستطيع أن اذكر عليّاً .

وقد روى الامام أحمد في « المسند » : ثنا هشيم ، ثنا يوسف ، عن الحسن ، عن علي رضي الله عنه قال : « سمعت رسول الله ﷺ يقول : رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المصاب حتى يكشف عنه » . وأخرجه الترمذي وحسنه ، والنسائي والحاكم ، وصححه الضياء

المقدسي في « المختارة » : قال الحافظ زين الدين العراقي في « شرح الترمذي » :
قال علي بن المديني : الحسن رأى علياً بالمدينة وهو غلام . وقال أبو زرعة : كان
الحسن يوم يبيع لمي ابن أربع عشرة سنة ، ورأى علياً بالمدينة ، ثم خرج الى
الكوفة والبصرة ، ولم يلقه الحسن بعد ذلك . وقال الحسن : رأيت الزبير يبيع
علياً . انتهى كلام العراقي .

وقد روى الدارقطني عدة أحاديث عن الحسن عن علي ، وكذلك النسائي
روى عن الحسن عن علي ، وروى الطحاوي من أحاديث الحسن عن علي قال :
« ليس في مس الذكر وضوء » ، وقد روى جماعة من المصنفين عدة أحاديث عن
الحسن عن علي رضوان الله عليه ، قال الحافظ ابن حجر في « تهذيب التهذيب » :
قال يحيى بن معين ؛ لم يسمع الحسن من علي بن أبي طالب . قيل : ألم يسمع من
عثمان ؟ قال : يقولون عنه : رأيت عثمان قام خطيباً . وقال غير واحد : لم يسمع من
علي . وقد روى عنه غير حديث ، وكان علي لما خرج بعد قتل عثمان ، كان
الحسن بالمدينة ، ثم قدم البصرة فسكنها الى أن مات .

قال الحافظ ابن حجر : ووقع في « مسند » أبي يعلى الموصلي قال : حدثنا
جويرة بن اسير قال : أخبرنا عقبة بن أبي الصهباء الباهلي قال : سمعت الحسن
يقول : سمعت علياً قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل أمي مثل المطر »... الحديث .
قال محمد بن الحسن بن الصيرفي : هذا نص صريح في سماع الحسن من علي
رضي الله عنه ، ورجاله ثقة ، جويرة وثقه ابن حبان ، وعقبة وثقه الامام أحمد
وابن معين .

وجلالة الحسن البصري وإمامته ، وزهده وورعه مالا يخفى ، ومناقبه
ومآثره لا تحصى . قال ابن خلكان كفيhre : كان الحسن من سادات التابعين
وكبرائهم وجمع كل فن ، من علم وزهد ، وورع وعبادة . قال أبو بردة : أدركت

الصحابه فما رأيت أحداً أشبه بهم من الحسن . وقال خالد بن رباح الهذلي :
سئل أنس ابن مالك رضي الله عنه عن مسألة فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له في
ذلك ، فقال : انه قد سمع وسمعتنا ، فحفظ الحفظ ونسينا . وقال سليمان التيمي :
الحسن شيخ أهل البصرة . وقال ابراهيم بن عيسى : مارأيت أطول حزناً من
الحسن ، ومارأيت قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة . وقال غيره : لو رأيت
الحسن لقلت : قد بث عليه حزن الخلاق . وقال يزيد بن حوشب : مارأيت
أخوف من الحسن ، وعمر ابن عبد المزير ، كأن النار لم تخلق إلا لها . وقال
ابن أسباط : مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك ، وأربعين سنة لم يعزح .
ومن كلامه : نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا ! فقال: لا أقبل
منكم شيئاً . وقال : ماسمع الخلاق يوم قط أكثر عورة بادية . وعيناً باكية ،
من يوم القيامة ، المؤمن أسير في الدنيا يسمى في فكاك رقبتة ، لا يأمن شيئاً حتى
يلبغ الله .

ومن كلامه : يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تريحها جميعاً ، ولا تبع آخرتك
بدنياك فتخسرهما جميعاً . وقال : حادثوا هذه القلوب فانها سريمة الدثور ،
واقدعوا^(١) هذه النفوس فانها طلعة ، ان هذا الحق جهد الناس ، وحال بينهم وبين
شهواتهم ، وانما صبر على الحق من عرف فضله ، ورجا عاقبته .

ومآثر الحسن البصري كثيرة جداً ، رحمه الله ورضي عنه . توفي بالبصرة
مستهل رجب سنة عشر ومائة ، وكانت جنازته مشهودة . قال حميد الطويل :
توفي الحسن عشية الخميس ، وأصبحنا يوم الجمعة ففرغنا من أمره ، وحملناه بعد
صلاة الجمعة ودفناه ، فنبع الناس كلهم جنازته ، واشتملوا به فلم تقم صلاة العصر
بالجامع ، قال : ولا أعلم أنها تركت مذ كان الاسلام إلا يومئذ ، لأنه لم يبق في

(١) وعلى هامش الاصل : قوله : وأقدعوا ، قدعه كمنه كفه ، وقده فرسه : كبه .

المسجد من يصلي العصر . وكان أغمي على الحسن قبيل موته ثم آفاق فقال : لقد نهتموني من جنات وعيون ومقام كريم . وقال رجل قبل موت الحسن لابن سيرين : رأيت كان طائراً أخذ أحسن حصة بالمسجد ؟ فقال : إن صدقت رؤياك مات الحسن . فلم يكن إلا قليلا حتى مات الحسن ، ولم يحضر ابن سيرين جنازته لشيء كان بينها . ثم توفي ابن سيرين بعده بمائة يوم . والله أعلم .

(قالوا) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه ، والحسن البصري رحمه الله : فارس له الحسن ، ولكنه متصل الاسناد مرفوع ، من حديث أنس رضي الله عنه ، ورواه البخاري في « صحيحه » : ثنا عثمان بن أبي شيبة ، ثنا هشيم ، أخبرنا عبيد الله بن أبي بكر بن أنس ، وحמיד الطويل سمع أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : (قال رسول الله ﷺ : انصر أخاك) وأخرجه أبو نعيم في « المستخرج » من الوجه الذي أخرجه البخاري ، من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعا بلفظ : « أعن أخاك » ، أي في الدين ، والنصرة الاعانة ، يقال : نصره ينصره نصراً ، اذا أعانه على عدوه ، وشد منته حال كونه الأخر المحتاج الى النصرة (ظالماً) بأن تمنحه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه (أو مظلوماً) بأن تعينه على ظلمه ، وتخلصه منه (قيل) وفي « البخاري » : قالوا . وفي لفظ عند البخاري : فقال رجل . وبعضهم فسره بأنس (يارسول الله هذا) إشارة الى ما في الذهن من الرجل الذي أمر ﷺ بنصرته (نصرته) في حال كونه (مظلوماً) بالاعانة والخلص من ظالمه (فكيف أنصره) حال كونه (ظالماً ؟) يارسول الله (قال) ﷺ (تحجزه) بفتح التاء المثناة من فوق ، من حجزه يحجزه حجزاً وحجزة : أي منعه وكفه ، فالحجز أي (تمنعه) من ظلمه ، وتحول بينه وبينه ، ولفظ البخاري : « تأخذ فوق يديه » . قال شراحه : أي تمنعه من الظلم ، قالوا : ولفظة فوق مقحمة ، أو ذكرت إشارة الى الاخذ بالاستعلاء والقوة . وفي رواية

الاسماعيلي من حديث حميد عن أنس رضي الله عنه قال : « تكفنه عن الظلم فذاك نصره إياه » ورواه الترمذي أيضاً . وفي بعض ألفاظه عند البخاري والترمذي فقال : « فقال رجل يارسول الله انصره اذا كان مظلوماً ، أفرأيت ان كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه أو تمنعه عن الظلم (فان ذلك نصره) . ورواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً ، إن كان ظالماً فليمنه ؛ فانه له نصره ، وإن كان مظلوماً فلينصره » . وقال ابن بطال : النصر عند العرب الاعانة . وتفسيره لنصر الظالم بمنعه من الظلم ، من تسمية الشيء بما يؤول اليه ، وهو من وجيز البلاغة . وقال البيهقي : معناه ان الظالم مظلوم في نفسه ، فيدخل فيه ردع المؤمن عن ظلمه لنفسه حساً ومعنى ، فلو رأى إنساناً يريد أن يوجب نفسه ، لظنه ان ذلك يزيل مفسدة ظلمه لازماً مثلاً ؛ فمنعه من ذلك ؛ وكان ذلك نصراً له ، واتحد في هذه الصورة الظالم والمظلوم .

تنبيهات

الأول : أصل الظلم الجور ، ومجاوزة الحد ، ومعناه الشرعي : وضع الشيء في غير موضعه الشرعي . وقيل : التصرف في ملك الغير بغير إذنه . وقد نقل هذا عن أبياس بن معاوية ، والظلم نوعان :

أحدهما : ظلم النفس ، وأعظمه الشرك كما قال تعالى : « إن الشرك لظلم عظيم » (١) فان المشرك جعل الخلق بمنزلة الخالق ، فعبده وتألوه ، فوضع الاشياء في غير موضعها ، واكثر ما ذكر في القرآن من وعيد الظالمين ؛ إنما أريد به المشركون ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣

كما قال تعالى : « والكافرون هم الظالمون » (١) . ثم يليه المعاصي على اختلاف أجناسها من كبائر الذنوب وصغائرهما .

الثاني : ظلم العبد لغيره ، وفي الحديث القدسي الذي رواه أبو ذر عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل انه قال : « يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » ، رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، وابن ماجه . وقد قال ﷺ في خطبته في حجة الوداع : « إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا ، في بلدكم هذا . » وفي رواية : ثم قال : « اسمعوا متى تعيشوا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ، ألا لا تظالموا ، لأنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس منه . » وفي « الصحيحين » ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ، ورواه الامام أحمد ، والطبراني في « الكبير » ، والبيهقي في « شعب الایمان » ، بلفظ : « اتقوا الظلم » . وفي لفظ : « يا أيها الناس اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » . ورواه الامام أحمد أيضاً ، والبخاري في « الأدب المفرد » ، ومسلم في « صحيحه » ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفي « الصحيحين » ، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « ان الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ، ثم قرأ : « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة » (٢) .

الثاني : الظالم : هو المعتدي ، والمظلوم : المعتدى عليه . وعلى الظالم أن ينزع عن ظلمه ، ويدفع للمظلوم ظلامته ان كانت مالية ، لامكان المفاوضة عنها ، أو

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٥٤

(٢) سورة هود ، الآية : ١٠٢

يتحمله من تلك الظلامة . وفي « صحيح البخاري » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ انه قال : « من كانت عنده مظالم لأخيه فليتحلله منها ، فانه ليس ثم دينار ولا درهم ، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته ، فان لم تكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرح عليه » . قال في « الآداب الكبرى » . اذا اغتاب إنساناً ؛ إن علم به المظلوم استحله ؛ وإلا دعا له واستغفر ولم يعلمه . وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية : انه قول الاكثرين . قال في « الآداب » : ذكر غير واحد : ان تاب من قذف انسان أو غيبته قبل علمه به ، هل يشترط لتوبته إعلامه والتحلل منه ؟ على روايتين . واختار القاضي أبو يعلى : أنه لا يلزمه ، لا روى الخلال بإسناده ، عن أنس مرفوعاً : « كفارة من اغتاب ، أن يستغفر له ، ولأن في إعلامه ادخال غم عليه » . قال القاضي : فلم يجز ذلك ، وكذا قال الشيخ عبيد القادر قدس الله سره : إن كفارة الاغتياب ما روى أنس... الحديث . وخبر أنس المذكور ، ذكره ابن الجوزي في « الموضوعات » مع أنه ذكره في « الحقائق » ، وقال : إنه لا يذكر فيها إلا الحديث الصحيح . وقال ابن عبد البر في كتاب « بهجة المجالس » : قال حذيفة رضي الله عنه : « كفارة من اغتبه ان تستغفر له » . وقال عبد الله بن المبارك لسفيان ابن عيينة : التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته ، فقال سفيان ابن عيينة : بل تستغفره مما قلت فيه ، فقال ابن المبارك : لا تؤذه مرتين . ومثل قول ابن المبارك ، اختار شيخ الاسلام ابن تيمية ، وابن الصلاح من الشافعية في فتاويه ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية بعد أن ذكر الروايتين في المسألة المذكورة ، قال : كل مظلمة في المرض ، من اغتياب صادق ، وبهت كاذب ، فهو في معنى القذف ، اذ القذف قد يكون صادقاً فيه ، فيكون في الغيب غيبة ، وقد يكون كاذباً فيكون بهتاً ، قال : واختار أصحابنا انه لا يعلمه ، بل يدعو له دعاء يكون إحساناً اليه في مقابلة مظلمته . قال في « الآداب » : وهذا أحسن من

إعلامه ، فإن في إعلامه زيادة إيذاء له . فإن تضرر الانسان بما علمه من شتمه أبلغ من تضرره بما لا يعلم ، ثم قد يكون ذلك سبب المدوان على الظالم أولاً ، إذ النفوس لا تقف غالباً عند الانصاف والعدل ، فيضر هذا ، في إعلامه هذان الفسادان ، مع زوال ما بينها من كمال الألفة والمحبة ، أو تجدد القطيعة والبغضة ، مع أن الله أمر بالجماعة ، ونهى عن الفرقة ، وليس في إعلامه فائدة إلا تمكينه من استيفاء حقه ، كما لو علم فإن له أن يعاقب ، إما بالمثل إن أمكن ، أو بالتعزير ، أو بالحد ، وإذا كان في الإبقاء من الجنس مفسدة ، عدل الى غير الجنس كما في « القذف » ، وقد قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : سئلت عن نظير هذه المسألة ، وهو أن رجلاً تعرض لامرأة غيره ؛ فزنى بها ، ثم تاب من ذلك ، وسأله زوجها عن ذلك فأنكر ، فطلب استحلافه ، فإن حلف على نفي الفعل ؛ كانت يمينه غموساً ، وإن لم يحلف قويت التهمة ، وإن أقر جرى عليه وعليها من الشر أمر عظيم ، قال : فافتيته أنه يضم الى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الاحسان الى الزوج بالدعاء والاستغفار ، أو الصدقة عنه ، ونحو ذلك مما يكون بازاء إيذائه له في أهله ، فإن بازائها تطلق حق الله ، وحق زوجها من جنس حقه في عرضه ، وليس هو مما يجبر بالمثل كالدماء والاموال ، بل هو من جنس القذف الذي جزاؤه من غير جنسه ، فتكون توبة هذا ، كتوبة القاذف ، وتعمريضه كتعمريضه ، وحلفه على التعمريض كحلفه ، وأما لو ظلمه في دم أو مال ؛ فإنه لا بد من إيفاء الحق ؛ فإن له بدلاً . وقد نص الامام أحمد رضي الله عنه على الفرق بين توبة القاتل ، وتوبة القاذف . قال : وهذا الباب ونحوه ، فيه خلاص عظيم ، وتفريع كربات النفوس ، من آثار المعاصي والمظالم ، فإن الفقيه كل الفقيه الذي لا يؤمس الناس من رحمة الله عز وجل ، ولا يجزئهم على معاصي الله تعالى ، وجميع النفوس تذب ، فتعريفها بما يخلصها من الذنوب

بالتوبة ، والحسنات الماحيات ، كالكفارات والعقوبات ؛ من أعظم فوائد الشريعة .
وبالله التوفيق .

الثالث : نصر المظلوم فرض كفاية ، وتعمين فرضيته على السلطان ، وقد دل الحديث على أن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه ، والمسلم أخو المسلم في الدين ، وكل شيئين بينهما اتفاق يطلق عليها اسم الاخوة ، ويتناول قوله ﷺ : - أنصر أخاك - كل مسلم من ذكر وأنثى وحر وعبد وبائع ومميز .

وأخرج أبو داود من حديث أبي طلحة الانصاري ، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من إمريء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع فتتهك فيه حرمة ، وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته ، وما من إمريء ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمة ، إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته » .

وأخرج الامام احمد من حديث أبي أمامة بن سهل عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « من أذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره ؛ أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة » .

وأخرج البزار من حديث عمران بن حصين عن النبي ﷺ قال : « من نصر أخاه بالذنب وهو يستطيع نصره ؛ نصره الله في الدنيا والآخرة » .
ومن ذلك كذب المسلم لأخيه ، فلا يحل له أن يحدته فيكذبه ، بل لا يحدته إلا صدقاً .

وروى أبو الشيخ في « كتاب التوبيخ » عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « أمر بعبد من عباد الله يضرب في قبره مائة جلدة ، فلم يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة ، فأمتلأ قبره عليه ناراً ، فلما ارتفع عنه وأفاق ؛ قال علام جلدتموني ؟ قالوا : إنك صليت صلاة بغير طهور ، ومررت

على مظلوم فلم تنصره . وروى أبو الشيخ أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً ، قال الله تبارك وتعالى : « وعزتي وجلالي لأنتقمن من الظالم في عاجله وآجله ، ولأنتقمن ممن رأى مظلوماً فقدر أن ينصره فلم يفعل » .

الرابع : جاء في عدة أحاديث إجابة دعوة المظلوم ؛ ففي « الصحيحين » وغيرهما من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ بعث معاذاً الى اليمن ، فقال : « اتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » .

وأخرج الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحها » وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ترد دعوتهم ، الصائم حتى يفطر ، والامام العادل ، ودعوة المظلوم ، يرفعها الله فوق الغمام ، وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : « وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين » .

وروى الحاكم عن ابن عمر رضي الله عنها ، قال : قال رسول الله ﷺ : « اتقوا دعوة المظلوم ؛ فإنها تصعد الى السماء كأنها شرارة » قال الحاكم : رواه متفق عليهم ، إلا عاصم بن كليب ، فاحتج به مسلم وحده .

وروى الامام أحمد بإسناد حسن ، عن أبي هريرة رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم مستجابة ، وإن كان فاجراً ففجوره على نفسه » . وروى الامام أحمد أيضاً عن أبي عبد الله الأسدي قال : سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول : قال رسول الله ﷺ : « دعوة المظلوم ولو كافراً ليس دونها حجاب » .

وروي الطبراني في « الصغير » و « الأوسط » عن أمير المؤمنين علي بن

أبي طالب رضوان الله عليه قال : قال رسول الله ﷺ : « يقول الله : اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصراً غيري ، والله تعالى الموفق . »

الحديث الحادي عشر

٥٦ — ثنا هشيم ، قال : أنا عبد العزيز ، وإسماعيل ، عن عبد العزيز ، عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « تسحروا فان في السحور بركة . »

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشر الواسطي (قال أنا عبد العزيز) بن صهيب (و) قال الامام أحمد : حدثنا (إسماعيل) هو ابن علية ، وقد قدمت ترجمته في الحديث الأول من « مسند أنس رضي الله عنه » (عن عبد العزيز) المذكور (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه قال : (قال رسول الله ﷺ : « تسحروا فان في السحور بركة ») ورواه الشيخان والترمذي والنسائي وابن ماجه ، كلهم من حديث أنس . ورواه النسائي أيضاً من حديث أبي هريرة ، وحديث بن مسعود رضي الله عنها ، ورواه الامام أحمد أيضاً من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قال ابن الاثير في « نهايته » السحور بالفتح : اسم لما يتسحر به من الطعام والشراب ، وبالضم : المصدر ، أي الفعل نفسه ، وأكثر ما يروى بالفتح ، وقيل : إن الصواب بالضم ، لانه بالفتح الطعام المأكول في السحر . والبركة والاجر والثواب في الفعل لافي الطعام . انتهى .

وفي « المطلع » و « المطالع » : السحور بالفتح : اسم ما يؤكل في السحر ،

وبالضم : اسم الفعل ، وأجاز بعضهم أن يكون اسم الفعل بالوجهين ، والأول أشهر . انتهى .

قال الحافظ بن حجر : هو بفتح السين وبضمها ، لأن المراد بالبركة : الأجر والثواب ، فيناسب الضم ، لأنه مصدر بمعنى التسحر ، أو البركة لكونه يقوي على الصوم ، وينشط له ويحفف المشقة فيه ، فيناسب بالفتح ، لأنه ما يتسحر به ، وقيل : البركة ما يتضمن من الاستيقاظ والدعاء في السحر .

والأولى أن البركة في السحور تحصل بمجاهات متعددة ، وهي اتباع السنة ، ومخالفة أهل الكتاب ، والتقوي به على العبادة ، والزيادة في النشاط ، والتسبب بالصدقة على من يسأل إذ ذاك ، أو يجتمع معه على الأكل ، والتسبب المذكور والدعاء ، وفيه فطنة الإجابة وتدارك نية الصوم لمن أغفلها قبل أن ينام .

وقال ابن دقيق العيد : هذه البركة يجوز أن تعود إلى الأمور الأخروية ، فإن إقامة السنة توجب الأجر وزيادته ، ويحتمل أن تعود إلى الأمور الدنيوية ، كقوة البدن على الصوم ، وتيسره من غير إضرار بالصائم .

قال : وما يطل به استحباب السحور ، المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم ، وهذه أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجر الأخروية وقال أيضاً : وقع للمتصوفة في مسألة السحور كلام من جهة اعتبار حكمة الصوم ، وهو كسر شهوة البطن والفرج ، والسحور قد يباين ذلك .

قال : والصواب أن يقال : ما زاد في المقدار حتى يعدم هذه الحكمة بالكلية ، فليس بمستحب ، كالذي يضمه المترفون من الثائق في المأكول وكثرة الاستعداد لها ، وما عدا ذلك تختلف مراتبه .

(فروع) :

الأول : قال علماؤنا كالشافعية : يدخل وقت السحور بنصف الليل ،

وفيهِ نظر ، لأنه مضاف الى السحر ، وهو قبيل الصبح ، ومن ثم خصه بعضهم
بالسدس الأخير ، والمراد : الأكل والشرب في ذلك الوقت ، لأن التسحر تفعل من
السحر الذي هو قبيل الفجر ، فهو مصوغ من لفظه ، فانه من معاني تفعل
كتفدى إذا أكل في القدوة ، وتمشى إذا أكل عشية .

الثاني : تحصل فضيلة السحور بأكل أو شرب ؛ لحديث أبي سعيد رضي
الله عنه مرفوعاً : « ولو أن يجمع جرعة من ماء » وفيه عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم ، ضعيف ، رواه الامام أحمد وغيره .

وروى الامام أحمد ايضاً من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « من
أراد أن يصوم فليتسحر ولو بشيء » .

وكال فضيلة السحور تحصل بالأكل ؛ لحديث عمرو بن العاص رضي الله
عنه مرفوعاً : « إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر » رواه
أحمد ومسلم وغيرهما ، والأمر به للندب .

قال في « الفروع » : « ولا يجب السحور ، حكاه ابن المنذر وغيره إجماعاً ،
ويدل على كونه للندب قوله وَيُنَبِّهُ : « فإن في السحور بركة » وعند الطبراني عن
أبي أمامة مرفوعاً : « ولو بتمرة ، ولو بحبات زبيب » . وفي حديث عن أبي هريرة
رضي الله عنه كما في « الفردوس » : « ثلاثة لا يحاسب عليها العبد ، أكلة السحر ،
وما أفطر عليه ، وما أكل مع الإخوان » .

الثالث : يسن تأخير السحور ما لم يخش طلوع الفجر الثاني ، ويكره
تأخير الجماع مع الشك في طلوع الفجر ، أي يكره الجماع وقتئذ لا الأكل
والشرب .

قال الامام أحمد : « إذا شك في الفجر يأكل حتى يستيقن طلوعه » . قال
الآجري وغيره : « ولو قال لما بين : أرقبا الفجر ، فقال أحدهما : طلع ، وقال

الآخر : لم يطلع ؛ أكل حتى يتفقا . قال في « الفروع » : يسن تأخير السحور إجماعاً ما لم يخش طلوع الفجر اتفاقاً .

الرابع : « يسن تسجيل الفطر ، وفي « الصحيحين » عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » . وروى الامام أحمد ، والترمذي وحسنه ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : إن أحب عبادي اليّ أعجلهم فطراً » والله اعلم .

الحديث الثاني عشر

٥٧ - ثنا هشيم ، عن حميد الطويل قال : سمعت أنس بن مالك يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ من فضة .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم عن حميد الطويل) المقدمة ترجمته في الحديث الثالث من « مسند أنس » ، (قال) أي حميد (سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : رأيت خاتم النبي ﷺ) الذي كان متخماً به ، ويقال : خاتم ، بوزن سابط ، ويجوز بفتح تاء خاتم وكسرها ، وفي لغة رابعة وهي : خيتام ، بوزن يبطار ، وزاد صاحب « القاموس » ، خامسة ، وهي الختم محركة ، وسادسة وهي : الخاتيام ، وزاد بعضهم سابعة ، وهي : ختام ، وثامنة وهي : خيتوم .

ونظمها الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، قال :

خاتم خاتم ختم خاتم وختم	م خاتيام وخيتوم وخينام	ثمانياً ما حواها قط نظام
-------------------------	------------------------	--------------------------

ثم زاد بيتاً ثالثاً :

وهمز مفتوح تاء تاسع وإذا ساغ القياس أتم العشر خاتماً
واقصر كثير من العلماء على أربعة ، والحق أن الختم والخاتم مختص بما
يختم به ، وجمع الخاتم خواتم وخواتيم ، وكان خاتم النبي ﷺ الذي رآه أنس
بن مالك رضي الله عنه (من فضة) لا من ذهب ، فيباح خاتم الفضة ولو زادت
زقته على مثقال .

قال ابن حمدان من علمائنا في رعايته : ويسن دون مثقال ، وظاهر
كلام الامام أحمد والاصحاب : لا بأس بأكثر من ذلك ، لضعف خبر بريدة ،
وهو أن النبي ﷺ سئل عن الخاتم ، من أي شيء اتخذ ؟ قال : من فضة
ولا تمة مثقالاً ، رواه الامام أحمد واصحاب السنن . قال الامام أحمد :
حديث منكر .

قال في الفروع : والمراد ما لم يخرج عن المادة ، وإلا حرم ، لأن
الأصل التحريم ، خرج المعتاد لفعله ﷺ وفعل الصحابة رضي الله عنهم .
قال في الفروع : قال الامام أحمد رضي الله عنه في خاتم الفضة للرجل :
ليس به بأس اتفاقاً ، واحتج بأن عمر رضي الله عنها كان له خاتم ، وهذا رواه
أبو داود وغيره ، وأنه كان في اليسرى ، ورواه عن النبي ﷺ ، وسواء كان
ذا سلطان أولاً ؛ لضعف خبر أبي ريمانة ، وهو ما رواه الامام أحمد في المسند ،
ثنا يحيى بن غيلان ، ثنا الفضل بن فضالة ، ثنا عياش بن عباس ، عن أبي الحصين
المهثم بن شقي أنه سمعه يقول : خرجت أنا وصاحب لي يسمى أباعامر ، رجل
من الحافر انصلي بأبلياء ، وكان قاضيهما رجلاً من الأزد يقال له : أبو ريمانة من
الصحابة رضي الله عنهم . قال أبو الحصين : فسبقتني صاحبي الى المسجد ، ثم
أدركته فجلست الى جنبه ، فسألني هل أدركت قصص أبي ريمانة ؟ فقلت : لا ،
فقال : سمعته يقول :

نهى رسول الله ﷺ عن عشرة : عن الوشر^(١) والوشم ، والتنف ، وعن مكامة^(٢) الرجل الرجل بغير شعار ، ومكامة المرأة المرأة بغير شعار ، وأن يجعل الرجل في أسفل ثوبه حريراً مثل الأعاجم ، وأن يجعل على منكبه حريراً مثل الأعاجم ، وعن النهي ، وعن ركوب النمر ، ولبوس الخاتم إلا لذي سلطان . ورواه أبو داود والنسائي .

قال في « الفروع » : حديث جيد حسن ، لم يصفه ابن الجوزي في « جامع المسانيد » ولما بلغ الامام أحمد في حديث أبي ربحانة الخاتم إلا لذي سلطان ، تبسم كالمعجب وقدم في « الرعاية » أن التخم بالخاتم مستحب ، وحزم ابن تيمم من علمائنا : أنه يكره بقصد الزينة ، وذكره في « الرعاية » قولاً واحداً .

تنبيهات

الأول : في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان خاتم رسول الله ﷺ من ورق ، وكان فسه حبشياً ، كذا في « مسلم » ، وقال البخاري : وكان فسه منه ، ولم يقل : حبشياً .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس أيضاً : أنه رأى في يد رسول الله ﷺ خاتماً من ورق ، وفيها عنه : كان خاتم رسول الله ﷺ في هذه . وأشار الى الخنصر من يده اليسرى ، ولم يقل البخاري : من يده اليسرى .

وفي « مسلم » : أن رسول الله ﷺ اتخذ خاتماً من فضة في يمينه ، فيه فص حبشي ، كان يجعل فسه مما يلي كفه . وفي رواية من حديث أنس : كان

(١) الوشر : تحديد المرأة أسنانها وترقيعها .

(٢) المكامة : أن يضاجع الرجل الرجل لا ستر بينهما .

خاتمته من فضة ، وفي رواية أبي داود من طريق زهير بن معاوية عن حميد : من فضة كله . فهذا نص في أنه كله من فضة .

وأما ما أخرجه أبو داود والنسائي ، من طريق أياس بن الحارث بن مصيب عن جده قال : كان خاتم النبي ﷺ من حديد ملوياً ، عليه فضة ، فربما كان في يدي . قال : وكان مصيب على خاتم النبي ﷺ ، يعني كان أميناً عليه ، فيحمل على التمدد .

وقد أخرج له ابن سعد شاهداً مرسلين عن مكحول : أن خاتم رسول الله ﷺ كان من حديد ملوي ، عليه فضة ، غير أن فضة يادٍ ، وآخر مرسلين عن إبراهيم النخعي مثله ، دون ما في آخره ، وثالثاً من رواية سعيد بن عمرو بن سعيد ابن الماص : أن خالد بن سعيد ، يعني ابن الماص ، أتى وفي يده خاتم ، فقال رسول الله : ما هذا ؟ اطرحه ، فطرحه ، فاذا خاتم من حديد ملوي ، عليه فضة . قال : فما نقشه ؟ قال : محمد رسول الله . قال : فأخذه فلبسه . ومن وجه آخر عن سعيد بن عمرو المذكور أن ذلك جرى لعمرو بن سعيد أخي خالد بن سعيد وقد قال النقاشي في « كتاب الأحجار » : خاتم الفولاذ مطردة للشيطان ، إذا لوى عليه فضة ، كذا في « الفتح » . وقد نص علماؤنا على كراهية خاتم الحديد . قال في « الفروع » : يكره للرجل والمرأة خاتم الحديد ، وصفر ، ونحاس ، وورصاص . نص عليه الإمام أحمد في رواية جماعة ، ونقل مهنا عنه رضي الله عنه : أكره خاتم الحديد لأنه حلية أهل النار ، وسأله الأثرم عن خاتم الحديد ، فذكر خبر عمرو بن شبيب : أن النبي ﷺ قال لرجل : « هذه حلية أهل النار » . وابن مسعود قال : لبسة أهل النار . وابن عمر رضي الله عنها قال : ما طهرت كف فيها خاتم من حديد .

وروى الإمام أحمد في « المسند » : ثنا يحيى ، عن ابن عجلان ، عن عمرو

بن شبيب ، عن أبيه عن جده : أن النبي ﷺ رأى على رجل من أصحابه خاتماً من ذهب ، فأعرض عنه ، فألقاه واتخذ خاتماً من حديد ، فقال : « هذا شر ، هذا حلية أهل النار » . فألقاه واتخذ خاتماً من ورق ، فسكت عنه ، حديث حسن . ورواه الامام أحمد أيضاً من طريق أخرى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، ولم يقل فيه : حلية أهل النار ، ومن لم يقل بكراهة خاتم الحديد كالشافعية ، استدل للإباحة بقوله ﷺ : « التمس ولو خاتماً من حديد » . ولا دلالة فيه على الإباحة ؛ إذ لا يلزم من الاتخاذ الاستعمال ، إذ ليس كل ما جاز اتخاذه جاز استعماله كما لا يخفى ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

الثاني : يحرم خاتم الذهب على الذكور اتفاقاً ، كما في « الفروع » ، قال . وذكره بعضهم إجماعاً ، وبياح للنساء إجماعاً .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل ، فنزعه فطرحه ، وقال : « يعمد أحدكم إلى حجرة من نار جهنم فيجعلها في يده » . ف قيل للرجل بعد أن ذهب رسول الله ﷺ : خذ خاتمك انتفع به ، فقال : لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحة رسول الله ﷺ . ورواه الشيطان أيضاً من حديث البراء ، ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى الامام أحمد ، والطبراني من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً : « من مات من أمتي وهو يلبس الذهب حرم الله عليه ذهب الجنة » .

وفي « سنن أبي داود » و « النسائي » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ أخذ جريراً ، فجعله في يمينه ، وذهباً فجعله في شماله ، ثم قال : « إن هذين حرام على ذكور أمتي » . وفي « سنن النسائي » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه : أن رجلاً قدم من نجران

الى رسول الله ﷺ وعليه خاتم من ذهب ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال :
« إنك جشني وفي يدك حجرة من نار » .

الثالث : قال أكثر العلماء : يباح التختم بالمعيق ، وقيل : يستحب ،
ومشى عليه في « المستوعب » ، و « التلخيص » ، وابن تيميم ، وقدمه في « الرعاية »
و « الآداب » ، و « الفروع » ، وجزم به في « المنتهى » واختار ابن الجوزي
الإباحة .

قال الحافظ ابن رجب في « كتاب الخواتم » : ظاهر كلام الأَكْثَرِ :
لا يستحب ، قال : وهو ظاهر كلام الإمام أحمد رضي الله عنه في رواية منها ،
وقد سأله ما السنة ، يعني في التختم ، قال : لم تكن خواتيم القوم إلا فضة . قال
المقبلي : لا يصح في التختم بالمعيق عن النبي ﷺ شيء ، وقد ذكر الحافظ ابن
رجب جل الأحاديث الواردة في ذلك في « كتابه » ، وأعلها ، وكذا ما روي في
« الباقوت والمعيق » ، كأمير (١) .

قال في « القاموس » . خرز أحمر يكون باليمن وبسواحل بحر
رومية ، منه جنس كدر كماء يجري من اللحم المملح ، وقال : من تختم به سكنت
روعه عند الخصام ، وانقطع عنه الدم من أي موضع كان .

تتمة : استحب علماؤنا لبس الخاتم في خنصر يده اليسرى اقتداء
بالنبي ﷺ . قال الدارقطني وغيره : المحفوظ أنه ﷺ كان يتختم في يساره ، وفي
« الانصاف » من كتب المذهب : لا فضل في لبسه في اليسرى على اليمنى كعكسه ،
قدمه في « الرعاية الكبرى » ، وتابعه في « الفروع » ، و « الآداب الكبرى » ،
و « الوسطى » ، ثم قال : والصحيح من المذهب : أن التختم في اليسار أفضل .
نص عليه الإمام أحمد في رواية صالح ، والفضل بن زياد . قال الإمام أحمد
رضي الله عنه : هو أقر وأثبت ، وأحب إلي .

(١) أي علق على وزن أمير .

قال الحافظ ابن رجب : وقد أشار ببعض أصحابنا الى أن التختم في اليسار كان آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، والله أعلم .

الحديث الثالث عشر

٥٨ - ثنا هشيم : عن حميد قال : ثنا أنس بن مالك ، قال : لما اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة ، أقام عندها ثلاثاً ، وكانت ثيباً .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم) بن بشير (عن حميد) الطويل (قال : ثنا أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : لما اتخذ رسول الله ﷺ صفيّة) بنت حبي ، بضم الحاء المهملة ، وفتح المثناة تحت ، بمدّها مثلها مشدودة ، تصغير حي ، ومجرّد كسر الحاء أيضاً ، ابن أخطب ، بفتح الهزّة وسكون الحاء المعجمة ، ابن سميه بفتح السين وسكون العين المهملتين وفتح المثناة تحت ، من بني إسرائيل ، من سبط هارون بن عمران ، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، ومفصول اتخذ محذوف تقديره : زوجة ، يعني لما أعتقها ﷺ وجعل عتقها صداقها كما يأتي قريباً ، فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وكانت قبله عند سلام بن مشكم ، وكان شاعرًا ، ففارقها ، ثم تزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فزوجها سيد المرسلين ، وخير العالمين ، نبيه الأمين ﷺ على عمر الأيام والشهور والسنين ، (أقام) صلى الله عليه وسلم (عندها) أي عند صفيّة دون سائر نسائه (ثلاثاً) من الليالي بأيامها أيام الزفاف .

قال أنس رضي الله عنه : (وكانت) صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، لما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم (ثيباً) لأنها كانت مع كنانة بن أبي الحقيق ، فقتل يوم خيبر ، فسباها النبي ﷺ ، ولما تزوج النبي ﷺ أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية ، أقام عندها ثلاثة أيام ، وقال : إنه ليس بك هوان على أهلِكَ ، فإن شئت سميت لك ، وإن سميت لك سميت لنسائي . رواه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود وابن ماجه . ورواه الدارقطني ولفظه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها حين دخل بها : ليس بك هوان على أهلِكَ ، ان شئت أقمت عندك ثلاثاً خالصة لك ، وإن شئت سميت لك وسميت انسائي . قالت : تقيم معي ثلاثاً خالصة . وفي رواية : أنه صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يخرج أخذت أم سلمة بثوبه ، فقال : « إن شئت زدتك وحاسبتك به ، للبكر سبع ، وللثيب ثلاث » ، رواه مسلم .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : من السنّة إذا تزوج البكر على الثيب ، أقام عندها سبعاً وقسم ، وإذا تزوج الثيب على البكر ، أقام عندها ثلاثاً وقسم ، قال أبو قلابة : لو شئت لقلت : إن أنسا رفعه الى النبي ﷺ . وقد صرح برفعه ابن خزيمة ، وابن حبان ، والدارمي ، والدارقطني .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : وهذا الذي قاله أبو قلابة ، قد جاء به مصرحاً عن أنس ، كما رواه البزار في « مسنده » : من طريق أيوب السخيتاني عن أبي قلابة ، عن أنس : أن النبي ﷺ جعل للبكر سبعاً ، وللثيب ثلاثاً ، وكذا رواه غيره . انتهى .

وفي هذا حجة على الكوفيين في تسويتهم بين البكر والثيب في الثلاثة فقط ، وعلى الأوزاعي في قوله : للبكر ثلاث ، وللثيب يومان . وفيه حديث مرفوع عن عائشة رضي الله عنها ، أخرجه الدارقطني بسند ضعيف جداً ، وخص

من عموم الحديث ما لو أرادت الثيب أن يكمل لها السبع ؛ فاته إذا أجابها سقط
حقها من الثلاث ، وقضى السبع لغيرها .

قال علماؤنا ومن وافقهم : ويقم عند الثيب ثلاثاً ، وإن شاءت - وقيل : أو
هو - سبعمائة ؛ فمحل وقضى الكل ؛ لحديث أم سلمة رضي الله عنها .

تنبيه : قد تكلم بعض العلماء في حكمة اختصاص البكر بسبع ، والثيب
بثلاث ، فقيل : هو حق للمرأة على الزوج لأجل إيناسها به ، وإزالة الحشمة
عنها لتجده ، ولهذا لما كانت البكر أشد نفوراً ، وأبعد إيناساً ؛ زيدت على
الثيب لتقدم ارتياضها وألفها للرجال في الجملة .

وفي « شرح الوجيز » من متأخري علماؤنا : إنما خصت البكر بالزيادة ؛
لأن حياتها أكثر ، والثلاث مدة معتبرة في الشرع ، والسبع لأنها أيام الدنيا ،
وما زاد عليها متكرر ، وحينئذ يقطع الدور . انتهى .

وقيل : حق للزوج على المرأة ، وليس بشيء ، وأفرط بعض المالكية
فجعل مقامه عندها عذراً في إسقاط الجمعة .

وقال ابن دقيق العيد : وهو ساقط متناف للقواعد .

وفي « الفتوح » للحافظ ابن حجر : يكره أن يتأخر في السبع أو
الثلاث عن صلاة الجماعة وسائر أعمال البر التي كان يفعلها . نص عليه الشافعي .
وقال الرافعي : وهذا في النهار ، وأما في الليل فلا ، لأن المندوب لا يترك له
الواجب ، فعدوا هذا من الأعذار في ترك الجماعة ، وهذا على أصلهم ومذهبهم ،
من كون الجماعة سنة أو فرض كفاية على الخلاف ، وأما على قواعد مذهبنا ؛
فليس هذا عذراً في ترك جمعة ولا جماعة ، اللهم إلا أن تخاف عليها ضرراً ،
واقعة الموفق .

الحديث الرابع عشر

٥٩ - ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق صفية بنت حيي ، وجعل عتقها صداقتها .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس)
بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ أعتق صفية بنت حيي) بن أخطب
لا سبأها يوم خيبر في أول السابعة من الهجرة (وجعل عتقها) من الرق
(صداقتها) أخذ بهذا الامام أحمد رضي الله عنه .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : ثبت عنه ﷺ أنه أعتق صفية ، وجعل
عتقها صداقتها ، قيل لأنس بن مالك : ما أصدقها ؟ قال : أصدقها نفسها ، وقد
ذهب الى جواز ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وفعله
أنس رضي الله عنه ، وهو مذهب أعلم التابعين وسيدهم سعيد بن المسيب ، وأبي
سلمة عبد الرحمن ، والحسن البصري ، والزهري ، واسحق . انتهى .

وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : انه ذهب الى القول بصحة ذلك أيضاً
ابراهيم النخعي ، وطاووس ، ومن فقهاء الامصار النووي ، وأبو يوسف ،
فكل هؤلاء قال : إذا أعتق أمته وجعل عتقها صداقتها ، صح العتق والمقد والمهر
على ظاهر الحديث .

وفي قول أنس رضي الله تعالى عنه : مهرها نفسها ما يدفع وم التوهمين ؛

فانه أخبر أن المجهول مهرأ هو نفس العتق ، ففي « البخاري » ، و « مسلم » ، والنسائي ، « ابن ماجه » ، عن أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ أعتق صفية ثم تزوجها ، فقال له ثابت : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، أعتقها وتزوجها . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب ، سمعت أنساً قال : سبى النبي ﷺ صفية ، فأعتقها وتزوجها ، فقال ثابت لأنس : ما أصدقها ؟ قال : نفسها ، فأعتقها . هكذا أخرجه البخاري في المغازي من « صحيحه » . وفي رواية حماد بن ثابت ، وعبد العزيز ، عن أنس في حديث قال : وصارت صفية لرسول الله ﷺ ، ثم تزوجها وجعل عتقها صداقها ، فقال عبد العزيز لثابت : يا أبا محمد أنت سألت أنساً ما أمهرها ؟ قال : أمهرها نفسها ، فتبسم ؛ فهذا ظاهر جداً في أن المجهول مهرأ هو نفس العتق .

وأجاب من لم يقل بمقتضى هذا الحديث بأجوبة ، منها : بأنه أعتقها بشرط أن يتزوجها ؛ فوجب له عليها قيمتها ، وكانت مملومة فتزوجها بها . ومنها : أن نفس العتق هو المهر ، ولكن هذا من خصائصه ، وجزم بذلك الماوردي من الشافعية .

وقال آخرون: قوله: أعتقها وتزوجها ، معناه أعتقها ثم تزوجها ، فلما لم يعلم أنس أنه ساق لها مهرأ ، قال : أصدقها نفسها ، أي لم يصدقها شيئاً فيما أعلم ، ولم ينف أصل الصداق .

ومن ثم قال أبو الطيب الطبري من الشافعية ، وابن المرباط من المالكية ، ومن تبعهما : إن أنساً قال ما قاله ظناً من قبل نفسه ، ولم يرفعه ، وربما تعلقوا بما أخرجه البيهقي ، من حديث أميمة ، ويقال : أمة الله بنت رزينة ، عن أمها ، أن النبي صلى الله عليه وسلم أعتق صفية ، وخطبها وتزوجها ، وأمهرها رزينة ، وكان أتى بها سبيبة من قريظة والنضير ، وهذا لا تقوم به حجة ؛ لضعف إسناده

وبمارضه ما أخرج الطبراني ، وأبو الشيخ ، من حديث صفية نفسها قالت :
أعتقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعل عتقي صداقي ، ورواه الأثرم أيضاً ،
وهذا موافق لحديث أنس ، وفيه رد على من قال : إن أنساً قال ذلك بناءً
على ما ظنه .

قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : وقد خالف البيهقي في هذا
الحديث ما عليه كافة أهل السير ، من أن صفية من سبي أهل خير ، لامن سبي
قريظة والنضير .

قال في « الفتح » : ومن قال بقول الامام أحمد من الشافعية : ابن حبان ،
صرح بذلك في « صحيحه » ، قال ابن دقيق العيد : الظاهر مع الامام أحمد ومن
واقفه ، والقياس مع الآخرين ، فيتردد الحال بين ظن نشأ عن قياس ، وبين ظن
نشأ عن ظاهر الخبر ، مع كون ما تحتمله الواقعة من الخصوصية ، وهي وإن
كانت على خلاف الأصل ، لكن يتقوى ذلك بكثرة خصائص النبي صلى الله عليه
وسلم في النكاح .

ومن جزم بأن ذلك كان من خصائصه ﷺ ، يحیی ابن أکثم ، أخرجه
البيهقي ، وكذا نقله المزني عن الشافعي . قلت : ولقد أكثروا الكربة ^(١) ،
وأجلبوا بخيلهم ورجلهم ، على رد هذا الحديث الصحيح بأقيسة جولية ، وتخيلات
فكرية لا طائل تحتها ، ومادل عليه الصحيح هو الصحيح ، وما صنعه الشارع ثم
خادمه من بعده ، وهو أنس بن مالك راوي الحديث ، هو معناه الصريح ، ولهذا
قال ابن القيم : هذا هو الموافق للسنة ، وأقوال الصحابة والقياس ؛ فانه كان يملك
رقبتها ومنفعتها ، فأزال ملكه عن رقبتها ، وأبقى ملك المنفعة بعقد النكاح ؛ فهو
أولى بالجواز مما لو أعتقها واستثنى خدمتها .

(١) لعله يقصد بذلك الضجة .

تنبيهات

الأول : معتمد مذهب الامام أحمد رضي الله عنه أنه اذا قال لأمتيه القن ، أو المدبرة ، أو المكاتبه ، أو أم ولده أو المطلق عتقها على صفة بشرط كونها تحمل له ، إذن أعتقنا وجعلت عتقك صداقك ، أو جعلت عتق أمتي صداقها ، أو صداق أمتي عتقها ، أو قد أعتقتها وجعلت عتقها صداقها ، أو أعتقتها على أن عتقها صداقها ، أو أعتقناك على أن تزوجك ، وعتقك صداقك ؛ صح بشرط كونه متصلا ، نص عليه الامام أحمد رضي الله عنه ، وأن يكون بحضرة شاهدين ؛ نص عليه أيضا .

الثاني : الصداق المذكور في قوله : وجعل عتقها صداقها ؛ هو الموضعي المسمى في عقد النكاح ، وما قام مقامه ، وفيه خمس لغات : فتح الصاد المهملة وكسرهما ، وصدقة : بفتح الصاد المهملة وضم الدال المهملتين ، وصدقة : بسكون الدال مع ضم الصاد وفتحها كما في « المطلق » وله ثمانية أسماء : الصداق ؛ والمهر ؛ والنحلة ، والفريضة ؛ والأجر ؛ والمقر بضم العين المهملة وسكون القاف ؛ والجباء بكسر الحاء المهملة ممدودا ؛ والملائق ؛ ونظما صاحب « المطلق » في قوله :

صداق ومهر نحلة وفريضة جباء وأجر ثم عقر علائق

والأصل في مشروعية الصداق : الكتاب ، حيث قال تعالى : « وأحل لكم ماوراء ذلكم أن تبتنوا بأموالكم محصنين غير مسافحين »^(١) وقوله : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة »^(٢) « وآتوهن أجورهن فريضة »^(٣) والسنة كما في قوله

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٤

(٢) سورة النساء ، الآية : ٤

(٣) سورة النساء ، الآية : ٢٤

صلى الله عليه وسلم : « التمس ولو خائفاً من حديد » ، وقد أجمع المسلمون على مشروعيته .

الثالث : لا يتقدر الصداق على الصحيح ، وقد حكى ابن عبد البر الاجماع على ذلك ؛ لقوله تعالى : « وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » (١) قال أبو صالح : القنطار مائة رطل ، وهو عرف الناس الآن ، وقال أبو سعيد الخدري : ملء مسك ثور ذهباً ، وعن مجاهد : سبعون ألف مثقال ، وروى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : خرجت وأنا أريد أن أنهي عن كثرة الصداق ، فذكرت هذه الآية ، وروى أبو حفص بإسناده أن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أصدق أم كلثوم ابنة عليّ من فاطمة الزهراء رضوان الله عليهم أربعين ألفاً ، وقد نقل القاضي عياض الاجماع على أن مثل الشيء الذي لا يتمول ولا له قيمة لا يكون صداقاً ، وقد خرق هذا الاجماع أبو محمد بن حزم ، فقال : يصح بكل ما يسمى شيئاً ولو حبة من شعير ، وأقل ما ورد من الصداق ، ما عند الدارقطني من حديث أبي سعيد في المهر ولو على سواك من أراك ، وأقوى شيء ورد في ذلك حديث جابر عند مسلم : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله ﷺ ، حتى نهى عنها عمر .

قال البيهقي : إنما نهى عمر عن النكاح إلى أجل ، لا عن قدر الصداق .

قال في « الفتح » : وهو كما قال . قلت : الذي اعتمده علماؤنا كالتشافعية : كل ما صح نمناً أو أجرة ، صح أن يكون مهراً ، وإن قل من عين أو دين ومؤجل ومنفعة معلومة ، كرهابة غنما مدة معلومة ، خاطة ثوب ، لاملأ يتمول عادة ، كحبة حنطة وشعير .

نعم ، قال في « الاقناع » : يجب أن يكون له نصف يتمول عادة ، ويذلل

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٠

الموض في مثله عرفاً ، والمراد نصف القيمة ، لانصف عين الصداق .
وفي « شرح الوجيز » : ظاهر إطلاق الامام أحمد وعامة علمائنا أنه لا فرد
بين أن يكون له نصف متمول ، أولاً ، وشرط الخرق أن يكون له نصف
بمحصل ، وتبعه على ذلك الامام الموفق في « المنقي » .

قال الامام ابن القيم « في المهدي » : ثبت في « صحيح مسلم » عن عائشة
رضي الله عنها : كان صداق النبي ﷺ لأزواجه ثلثي عشر أوقية ونشأ ، قالت:
أتدري ما النش ؟ قال أبو سلمة : لا . قالت : نصف أوقية ؛ فذلك خمسمائة
درهم ، ورواه الامام احمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه .

قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما علمت رسول الله
ﷺ نكح شيئاً من نسائه ، ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من ثلثي عشر
أوقية . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . والأوقية أربعون درهماً .

وفي « الصحيح » من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن
النبي ﷺ قال لرجل : « تزوج ولو بخاتم من حديد » ، وفي « مسند الامام احمد »
من حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ : إن أعظم النكاح بركة أيسره
مؤنة . وأما أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها فأ مهرها النجاشي أربعة آلاف ،
ومهرها من عنده ، وبث بها مع شرحبيل بن حسنة ، ولم يبعث رسول الله ﷺ
بشيء كما في « مسند الامام احمد » و « سنن النسائي » وغيرها ، فكل هذه
الأحاديث وأضعافها بما لم نذكره ؛ يدل على عدم اعتبار تحديد الصداق .

وقال الامام مالك : لا يكون المهر أقل من ربع دينار ، أو ثلاثة دراهم ،
أو قيمتها ، ومذهب أبي حنيفة : أن أقله عشرة دراهم . وقال بعضهم : أقله خمسة
دراهم ، ولا دليل على هذه الأقوال ، من كتاب ، ولا سنة ، ولا إجماع ، ولا
قياس ، ولا قول صحابي . وهذا سيد الثمابين سعيد بن المسيب زوج ابنته على

درهمين ، ولم ينكر عليه أحد ، بل عد ذلك في مناقبه وفضائله ، ولا سبيل الى إثبات المقادير إلا من جهة صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم . انتهى كلام « الهدي » ملخصاً .

قال المازري : قاسه مالك على القطع في السرقة . قال القاضي عياض : تفرد بهذا مالك عن الحجازيين ، لكن مستنده الالتفات الى قوله تعالى : « أن تبغوا بأموالكم » (١) وبقوله : « ومن لم يستطع منكم طولا » (٢) فانه يدل على أن المراد ماله بال من المال ، وأقله ما استبيح به قطع المصنو المحترم .

قال القاضي : وأجزه الكافة بما تراضى عليه الزوجان ، أو من العقد اليه بما فيه منفعة . كالسوط والنمل ، وإن كانت قيمته أقل من درهم ، قال : وبه قال يحيى بن سعيد الانصاري ، وأبو الزناد ، وربيعة ، وابن أبي ذئب وغيرهم من أهل المدينة غير مالك ومن تبعه ، وابن جريج ، ومسلم بن خالد من أهل مكة ، والاوزاعي في أهل الشام ، والليث في أهل مصر ، والثوري ، وابن أبي ليلى وغيرهما من المراقين ، غير أبي حنيفة ومن تبعه ، والشافعي ، وداود ، وقضاء أصحاب الحديث ، وابن وهب من المالكية .

قال القرطبي : استدل من قاسه بنصاب السرقة بأنه عضو آدمي محترم فلا يستباح بأقل من كذا ، قياساً على يد السارق ، وتمقبه الجمهور بأنه قياس في مقابلة نص ، فلا يلتفت اليه ، وبأن اليد تقطع وتبين ، ولا كذلك الفرج ، وبأن القدر المسروق يجب على السارق رده مع القطع عند الجمهور ، ولا كذلك المصداق ، وقد ضعف جماعة من المالكية هذا القياس ، فقال أبو الحسن الأشعري : قياس قدر المصداق بنصاب السرقة ليس بالبين ، لأن اليد إنما قطعت في ربح دينار ،

(١) سورة النساء ، الآية : ٢٥

(٢) سورة النساء ، الآية : ٢٤

نكالا للمعصية ، والنكاح مستباح بوجه جائز ، ونحوه لأبي عبد الله ابن الفخار
منهم وغيره . والله أعلم .

الحديث الخامس عشر

— ثنا هشيم ، قال : أنا علي بن زيد ، عن أنس بن
مالك قال : سمعته يحدث ، قال : شهدت وليمتين من نساء
رسول الله ﷺ ، فما أطعمنا فيها خبزاً ولا لحماً ، قال : قلت :
فيه ؟ قال : الحيس ، يعني التمر والأقط ، والسمن .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم قال : أنا) أبو الحسن (علي بن زيد) بن
جدعان القرشي التيمي البصري ، يمد في تابعي البصريين ، وهو مكي ، نزل
البصرة ، وكان مكفوفاً ، روى عن أنس بن مالك ، وأبي عثمان النهدي ، وسعيد
بن المسيب . وروى عنه شعبة ، والسفيانان ، والحدادان ، وهشيم وغيرهم . ولد
أعمى ، وكان من أوعية العلم ، وفيه تشيع . قال البخاري وأبو حاتم : لا يحتج
به ، وضعفه الإمام أحمد ، وابن عينة وغيرهما . وقال أبو زرعة : ليس بقوي ،
وقال يحيى : ليس بشيء ، وروى عنه أنه قال : ليس بذلك القوي ، وقال أحمد
المجلي : كان يشيع ، وليس بالقوي . وقال الدارقطني : لا يزال عندي فيه لين .
وقال الترمذي : صدوق ، وصح له حديثاً في السلام ، وحسن له غير ما حديث ،
وقال : ربما رفع الموقوف ، توفي سنة تسع وعشرين ومائة (عن) أبي حمزة
(أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال :) أي علي بن زيد المذكور (سمعته) أي

أنس بن مالك رضي الله عنه (يحدث ، قال : شهدت وايمتين من) ولأنهم (نساء رسول الله ﷺ ، فما أطعمنا) رسول الله ﷺ (فيها) أي الولاية ، يعني كل واحدة منها ، والمعنى شهد وليمة امرأتين من نساء النبي ﷺ (خبزاً ولا لحماً) يعني أنه شهد وايمتين موصوفتين بهذه الصفة ؛ فلا ينافي أنه شهد وليمة زينب كما تقدم . ولا وليمة ميمونة بنت الحارث (قال) علي بن زيد (قلت) لأنس بن مالك رضي الله عنه : حيث أنه ﷺ ما أطعمكم في وليمته خبزاً ولا لحماً (فنه) الفا . رابطة لتضمن الكلام شرطاً مقدراً ، وما حرف استفهام ، حذفت ألفه لالتياز بهاء السكت ، أي فما أطعمكم في الولاية حيث لا خبز ولا لحم ؟ (قال :) أطعمنا (الحيس) قال أهل اللغة : الحيس : يؤخذ الثمر فينزع نواه ، ويخلط بالأقط أو اللدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، ولهذا قال مفسراً للحيس : (يعني الثمر) المزروع النوى (والأقط) وفي « المطالع » الحيس خليط بالتمر والسمن ، وقال بعضهم : ربما جعلت فيه خميرة . وقال ابن وضاح : هو الثمر ينزع نواه ويخلط بالسويق ، والاول أعرف . انتهى كلام « المطالع » ، قال في « المطالع » ذكر ابن سيده في « محكمه » في الأقط أربع لغات : سكون القاف مع فتح الحمزة ، وضمها ، وكسرها ، وكسر القاف مع فتح الحمزة ، قال : وهو شيء يعمل من اللبن الخبيض . وقال ابن الأعرابي : يعمل من ألبان الإبل خاصة (والسمن) المعروف .

تبيهات

الأول : إحدى الولايمتين المذكورتين في هذا الحديث ؛ وليمة صفية بنت حيي بن أخطب ، إحدى أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ ففي « مسند الامام أحمد » و « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه في قصة صفية : أن النبي ﷺ

جمل وليمتها التمر والأقط والسمن . وفي رواية : « أن النبي ﷺ أقام بين خيبر والمدينة ثلاث ليال بيني بصفية ، فدعوت المسلمين الى وليمته ، ما كان فيها خبز ولا لحم ، وما كان فيها إلا أن أمر بالانطاع فبسطت ، ثم ألقى عليها التمر والأقط والسمن ؛ فقال المسلمون : إحدى أمهات المؤمنين ، أو ما ملكت يمينه ، فقالوا : إن حجبا فهي إحدى أمهات المؤمنين ، وإن لم يحجبا ، فهي مما ملكت يمينه ، فلما ارتحل وطأ لها خلفه ، ومد الحجاب ، متفق عليه .

وأما الثانية: فيحتمل أن تكون وليمة أم سلمة رضي الله عنها ؛ فقد أخرج الطبراني في « الأوسط » من طريق شريك ، عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال : أولم رسول الله ﷺ على أم سلمة بتمر وسمن ، فلو صح هذا لكان صريحا في المقصود ، ولكنه وهم من شريك . لأنه كان سبي الحفظ ، أو من الراوي عن شريك ، وهو جندل بن والف ؛ فإن مسلما ، والبزار ضعفا ، وقواه أبو حاتم الرازي ، والبستي ، وإنما المحفوظ من حديث حميد عن أنس : أن ذلك في قصة صفية بنت حيي .

وفي « المسند » و « سنن أبي داود » و « الترمذي » و « ابن ماجه » عن أنس رضي الله عنه قال : إن النبي ﷺ أولم على صفية بتمر وسويق .

الثاني : هذا الحديث وإن كان من هذا الطريق لا ينهض الى رتبة الصحة ؛ فقد ذكرنا ما رواه الأمام أحمد في « المسند » ، وما في « الصحيحين » من قصة صفية ما يعضده ، واه أعلم .

الحديث السادس عشر

٦١ - ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد ، عن أنس بن مالك .

قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت خشفة بين يدي ،
فاذا هي النميصاء ابنة ملحان ، أم أنس بن مالك .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، قال : أنبأنا حميد) الطويل (عن أنس
ابن مالك) رضي الله عنه (قال : قال نبي الله ﷺ : دخلت الجنة) أي رأيت
أنني دخلت الجنة ، ويحتمل أن يكون دخوله لها يقظة : كما تقدم نظيره في
الحديث الثلاثين من « مسند جابر بن عبد الله » رضي الله عنها (فسمعت خشفة
بين يدي) أي أمامي .

والخشفة : بفتح الخاء وسكون الشين المجتمعتين ففاء ، وتحرك الشين
أيضاً كما في « القاموس » .

قال في « المطالع » : الخشف والخشفة : صوت حركة ليس بالشديد . وقال
الفراء : هو الصوت . وفي « القاموس » : الخشف والخشفة ويحرك : الصوت
والحركة والحس الخفي ، أو الخشفة : صوت ديبب الحيات ، وصوت الضبع ،
وقد غلب عليه السهولة (فاذا هي) أي تلك الخشفة التي سمعتها (النميصاء) بضم
النين المعجمة ، وفتح الميم ، وبالصاد المهملة والمد (ابنة ملحان) بكسر الميم ،
وسكون اللام ، وبالحاء المهملة ، واسم ملحان : مالك بن خالد بن زيد بن حرام
ابن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار .

وقد اختلف في اسمها ؛ فقيل : سهلة ، وقيل : رُميلة ، وقيل : مليكة ،
وقيل : ان اسمها الفميصاء ، وقيل : الرميضاء بضم الراء بدل التين المصححة ،
وقيل : غير ذلك . وقد روي في الحديث ؛ فاذا هي الرميضاء . والرمص والقمص
متقارب . قيل : انها من رمص العين ، والفميصاء : من انكسار العين .

وفي « النهاية » : غمضت عينه ، مثل رمضت ، وقيل : القمص : الياص
منه ، والرمص : الجاري . والفميصاء : تصغير الفميصاء ، وبه سميت أم سليم ،
وهي (أم أنس بن مالك) رضي الله عنها ، تزوجها مالك بن النضر أبو أنس بن
مالك ، فولدت له أنساً ، ثم قتل عنها مشركاً ، وأسلمت ، فخطبها أبو طلحة وهو
مشرك ، فأبت ودعته الى الاسلام فأسلم ، فقالت : إني أتزوجك ولا آخذ منك
سداقاً لاسلامك ، فتزوجها أبو طلحة ، فولدت له عبد الله ، وأبا عمير الذي كان
يقول له النبي ﷺ : يا أبا عمير ما فعل النغير .

وفي « سنن النسائي » : أن أبا طلحة خطب أم سليم ، فقالت : والله
ما مثلك يا أبا طلحة يرد ، ولكنك رجل كافر ، وأنا امرأة مسلمة ، ولا يحل لي
أن أتزوجك ، فان تسلم فذاك مهري ، ولا أسألك غيره ، فأسلم فكان
ذلك مهرها .

قال ثابت : فما سمعنا بامرأة قد كانت أكرم مهراً من أم سليم ،
فدخلت به .

تنبيهان

الاول : حديث أنس هذا أخرجه الامام أحمد ، ومسلم وانفذه : دخلت
الجنة فسمعت خشفة . قلت : من هذا ؟ قالوا : هذه الفميصاء بنت ملحان أم
أنس بن مالك .

وفي «الصحيحين» من حديث جابر رضي الله عنه ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « رأيتني دخلت الجنة ، فإذا أنا بالريمضاء امرأة أبي طلحة » .

وفي «الصحيحين» من حديث أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان لا يدخل في المدينة بيت امرأة غير بيت أم سليم ، إلا على أزواجه ، فقيل له ؛ فقال : إني أرحمها ، قتل معي أخوها . وفي رواية قال : كان رسول الله ﷺ لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه ، إلا أم سليم ؛ فإنه كان يدخل عليها ، فقيل له في ذلك ، فذكر الحديث ، وكأنه أراد على الدوام والاقامة : كان صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام ، وهي خالة أنس كما في «الصحيحين» .
الثاني : قد علم من الحديث أن التميمضاء ، وهي أم سليم أنها أم أنس ابن مالك ، وهذا لا خلاف فيه بين أهل النقل والحديث .

وأما ما وقع في بعض كتب الشافعية «كوسيط الامام الغزالي» تبساً للامام الصبدلاني منهم ، ومحمد بن يحيى ، وصاحب البحر من أنها جدة أنس ؛ فقلط كما قاله الامام النووي وغيره من أهل العلم والاتقان ، وبالله التوفيق .

شهدت أم سليم أحداً وُحْتيناً ، روى عنها ابنها أنس وعائشة ، وأم سلمة ، وخولة بنت حكيم ، وأبو أمامة بن سهل وغيرهم . روي لها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً ؛ اتفاقاً على حديث ، وانفرد البخاري بآخر ، ومسلم بإثنين ، والله أعلم .

الحديث السابع عشر

٦٢ - ثنا عثيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن

مالك : أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أحدٍ وشُجَّ في جبهته

حتى سال الدم على وجهه ، فقال : كيف يفلح قوم فعلوا هذا
بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم عز وجل ، فزلت هذه الآية :
ليس لك^(١) : الآية .

قال رضي الله عنه : (ثنا هشيم ، قال : أنا حميد الطويل ، عن أنس بن
مالك) رضي الله عنه : (أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت) بضم الكاف
وكسر السين المهمة مبنياً للمجهول (رابعيته) بتخفيف الراء . وزن ثمانية ،
وهي السن التي تلي الثاب من الاسنان . قال ابن سينا : لا يجتمع في حيوان
ثاب وقرن مآ .

قال في «المطالع» : الرابعة من الاسنان هي السن التي بين الثنية والثاب ،
وهي أربعة محيطات بالثنايا : اثنان من فوق ، واثنان من أسفل ، والذي كسر
رابعة النبي صلى الله عليه وسلم عتبة بن أبي وقاص لعنه الله ، فانه رمى النبي ﷺ
بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رابعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته
السفلى .

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : والمراد بكسر الرابعة وهي السن
التي بين الثنية والثاب ، أنها كسرت ، فذهب منها فرقة ولم تقلع من أصلها ،
وذلك (يوم) وقعة (أحد) وكانت في شوال ، سنة ثلاث باتفاق الجمهور .

قال ابن إسحق كما رواه الطبراني بسند رجاله ثقات : خرج رسول الله
ﷺ من المدينة يوم الجمعة ؛ فأصبح بالشعب من أحد فالتقوا يوم السبت في
النصف من شوال ، وفي «الفتح» عنه : أن الوقعة كانت لاحدى عشرة ليلة
خلت منه .

(١) خورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

وأحد - بضم الهمزة والحاء وبالذال المهملتين - جبل أحمر ، بينه وبين المدينة أقل من فرسخ ، وهو في شمالها (وشج) وَشَجَّ يومئذ (في جبهته) . والشجّة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . قال في «المطلع» : الشجّة المرة ؛ من شجه يشجه فهو مشجوج وشجيح ، إذا جرحه في رأسه أو وجهه ، وقد يستعمل في غير ذلك من الأعضاء . والجهة : موضع السجود من الوجه ، أو مستوى ما بين الحاجبين إلى الناحية (حتى سال الدم) من شجته (على وجهه) الشريف صلى الله عليه وسلم ، والذي شجه عليه الصلاة والسلام ، عبد الله بن شهاب الزهري ، وأسلم بعد ذلك ، ورماء يؤمئذ عبد الله بن قنثة - بفتح القاف وكسر الميم وبمدها همزة - فشج وجنته الشريفة ، فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وَوَجَّ ، وعلاه بالسيف وكان عليه درعان ، فوق وَوَجَّ في حفرة أمامه على جنبه ، وهي من الحفر التي عملها أبو عامر الفاسق ليقع فيها المسلمون وهم لا يملكون ، فأغمي عليه وَوَجَّ ، كما رواه ابن جرير عن قتادة ، فأخذه علي بن طالب رضوان الله عليه ، ورفع له طلحة رضي الله عنه حتى استوى قائماً ؛ فبحشت^(١) ركبته ، ولم يصنع سيف بن قنثة شيئاً إلا وهن الضربة وثقل السيف ، وقد مكث صلى الله عليه وسلم يحد وهن الضربة على عاتقه شهراً أو أكثر من شهر ، ودثه ، أي رماء جماعة كثيرة من المشركين بالحجارة حتى وقع لشقه . روى الطبراني عن أبي أمامة رضي الله عنه أن ابن قنثة لما رمى النبي صلى الله عليه وسلم قال : خذها وأنا ابن قنثة ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أفتألك »^(٢) الله ، فسلط الله تعالى عليه تيس الجبل ، فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة .

وروى أبو نعيم عن نافع بن عاصم قال : الذي أدمى وجه رسول الله وَوَجَّ

(١) الجش : سجع الجذ وتمره من شيء يصيبه ، كالخدش .

(٢) أي أذله الله وسره .

عبد الله بن قنثة ، رجل من هذيل ، فسلط الله عليه تيساً فنتطحه حتى قتله .
وروى عبد الرزاق في « تفسيره » : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا
على عتبة بن أبي وقاص حين كسر ربا عيته ودمى وجهه ، فقال : « اللهم لا يحل
عليه الحول حتى يموت كافراً ، فما حال عليه الحول حتى مات كافراً
الى النار » .

ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وروى
الحاكم عن حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه أنه لما رأى ما فعل عتبة بن أبي
وقاص برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا رسول الله ! من الذي فعل بك هذا ؟
قال : عتبة بن أبي وقاص . قلت : أين توجه ؟ فأشار الى حيث توجه ، ففضيت
حتى ظفرت به ، فضربته بالسيف فطرحته رأسه ، فزلت فأخذت رأسه
وسيفه ، وجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لي : رضي الله
عنك ، مرتين .

وروى الخطيب في « تاريخ بغداد » عن الحافظ محمد بن يوسف الفريابي
قال : بلغني أن الذين كسروا رابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يولد لهم
صبي فنبت له رابعة .

قال السهيلي : ولم يولد من نسل عتبة ولد يبلغ الحلم إلا وهو أعمى أبخر (١)
يعرف ذلك في عقبه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : قال بعض العلماء
بالأخبار : إنه استقرى نسله ، فلا يبلغ أحد منهم الحلم إلا أبخر أو أعمى ، يعرف
ذلك فيهم . قال : وهو من شؤم الآباء على الأبناء .

قال : واختلف فيما وقع لثني صلى الله عليه وسلم من هذا ونحوه ، فقيل :

(١) يقال : أعمى فاه يعمته : ألقى مقدم أسنانه ، والبخر : ندى الدم .

هو قبل نزول قوله تعالى : « والله يمصك من الناس »^(١) ، وقيل : المصمة المعود بها عصمة النفس من القتل ، لا عصمة من أدام بالكلية ، بل أبقي الله تعالى لرسوله ثواب ذلك الأذى ، ولائمة حسن التأسي به ، إذا أؤذي أحدم ؛ ذكر ما جرى عليه صلى الله عليه وسلم ، فتأسى وصبر ، وللمؤذين الأشقياء الأخذة الرابية . (فقال) صلى الله عليه وسلم ، وهو يسلمت^(٢) الدم عن وجهه الشريف (كيف يفلح) من الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء ، والخلود في النعم المقيم . ويقال للفائز : مفلح ، ولكل من أصاب خيراً : مفلح ، فهي من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة ، كالعافية ، والسعادة (قوم فملوا هذا بنبيهم) وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت ربابيته يوم أحد ، وشج في رأسه ، فجعل يسلمت الدم عن وجهه ويقول : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم ، وكسروا ربابيته .

قال ابن الأثير في « جامع الأصول » : سلمت الدم عن الجرح إذا مسحه (وهو) الواو للحال ، أي والحال أنه ، أي نبيهم (يدعوم الى) طاعة (ربهم عز وجل) ودينه القويم ، وصراطه المستقيم الذي به يحصل الفوز والفلاح ، والرضى والنجاح ، والخلد والنعم والبقاء في جوار الكريم ، فيأبون إلا شركاً وكفرأ ، وقطيعة وغدرأ ، وعكوفأ على الاصنام وارتكاباً للجرائم والآثام ، (فنزلت هذه الآية) البركة . وهي قوله تعالى : (ليس لك الآية)^(٣) . وفي « المسند » و « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » ، أنزل الله عز وجل :

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٧

(٢) أي يمسح . (٣) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

« ليس لك من الامر شيء » أو يتوب عليهم ،^(١) الآية . أي أو يعذبهم فانهم ظالمون ، أي فهم وان استحقوا المذاب بفعلهم القبيح ، وارتكابهم الخطأ الصريح ، والكفر الفضيح ؛ فحملنا يسهم ، وأنت عبد مأمور ، ورسول مرشد الى الايمان ومكارم الاخلاق ومالي الأمور .

والمنى أن الله مالك أمرهم ، فاما أن يهلكهم ويكتبهم ، أو يتوب عليهم إن أسلموا ، أو يعذبهم إن أصروا ، وأنت عبد مأمور بإنذارهم وجهادهم . وقيل : المنى ليس لك من أمرهم شيء ، إلا أن يتوب عليهم فتسر بذلك ، أو يعذبهم فتستغنى عنهم .

وأخرج الامام أحمد ، وابن أبي شيبة ، من حديث أنس نحو ما تقدم ، وفيه : فهم ﷺ أن يدعو عليهم ، فزلت ، فكف رسول الله ﷺ عن الدعاء عليهم .

وعلق البخاري حديث أنس ولم يسنده ، إنما قال : وقال حميد وثابت ، عن أنس : شج النبي ﷺ : يوم أحد ، فقال : « كيف يفلح قو شجوا نبيهم ، فزلت » ليس لك من الامر شيء ،^(١) .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، والترمذي والنسائي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، قال رسول الله ﷺ : « اللهم العن فلاناً وفلاناً وفلاناً ، وقد سحam الامام أحمد ، والترمذي ، وكذا البخاري في رواية مرسلة ، وم : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام ، فزلت . وزاد الامام أحمد ، والترمذي في آخر الحديث ؛ فتيب عليهم كلهم ، وأشار الى قوله في بقية الآية : « أو يتوب عليهم »^(١) .

وللامام أحمد أيضاً من طريق محمد بن عجلان ، عن نافع ، عن ابن عمر :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٣٨

كان رسول الله ﷺ يدعو على أربة ، فنزلت . قال : وهدام الله للإسلام ، وكان الرابع : عمرو بن العاص ، فقد غزاه السهلي لرواية الترمذي ، لكن قال في « الفتح » : لم أره في الترمذي .

وفي « السيرة الشامية » : ان الرابع أبو سفيان بن حرب ، ويحتاج نقله هنا الى تحرير .

وفي « الشفاء » للقاضي عياض : أن النبي ﷺ لما كسرت رابعته وشج وجهه يوم أحد ، شق ذلك على أصحابه شديداً ، وقالوا : لو دعوت عليهم ، فقال : « إني لم أبث لماناً ، ولكني بمت داعياً ورحمة ، اللهم إهد قومي فانهم لا يطمون » .

قال القاضي : أنظر ما في هذا القول من جماع الفضل ، ودرجات الاحسان وحسن الخلق ، وكرم النفس ، وغاية الصبر والحلم ، إذ لم يقتصر ﷺ على السكوت عنهم حتى عفا ، ثم أشفق عليهم ورحمهم ، ودعا وشفع لهم فقال : « اللهم اغفر واهد » ثم أظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله : « لقومي » ، ثم اعتذر عنهم بحبلهم فقال : « فانهم لا يطمون » .

تمت

الأولى : كان السبب في غزوة أحد أنه لما أصيب من أصيب من كفار قريش أصحاب القلب ورجع فلهم^(١) الى مكة ، مشى عبدالله بن أبي ربيعة وعكرمة ابن ابي جهل ، وصفوان بن أمية في رجال من قريش بمن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم يوم بدر ، وكلموا أبا سفيان بن حرب أن يخرج بهم ، لهم أن يدركوا نأرم ، فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحاديثها ومن أطاعها من قبائل كنانة وأهل تهامة ، فخرجوا وأبو سفيان قائم ، ومعه زوجته

(١) أي المهزم منهم .

هند بنت عتبة بن ربيعة ، وفيهم ظمآن ونساء منهم ، وهم ثلاثة آلاف ، وممهم ماثما
فرس قد جنبوها ، وعلى الميمنة خالد بن الوليد ، وعلى الميسرة عكرمة ابن أبي
جهل ، وعلى الخليل صفوان بن أمية ، وقيل : عمرو بن العاص ، وعلى الرماة
عبد الله بن ربيعة ، وكانوا مائة ، وفيهم سبعائة دارع ، وخمس عشرة ظمينة .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه ، وزل على
أحُد ، ورجع عنه عبد الله ابن أبي سلول في ثلثمائة ، فبقي صلى الله عليه وسلم
في سبعائة .

قال الواقدي : وكان فيهم مائة دارع ، وأمر صلى الله عليه وسلم على الرماة
وكانوا خمسين رجلا- عبد الله بن جبير ؛ بضم الجيم وفتح الموحدة ، بن النعمان بن
أمية ، بن امرئ القيس ، واسمه البرك بن ثعلبة بن عمرو بن عوف الانصاري ،
شهد العقبة ، ثم شهد بدرآ ، واستشهد يوم أحُد .

قال ابن عبد البر : لا أعلم له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم .
وكان ﷺ لا يسمع بنزول المشركين قرب أحُد ؛ قال لأصحابه : دإني
والله رأيت خيراً ، رأيت بقرأ تذبح ، ورأيت في ذبابة سيفي ظمأ ، ورأيت أني
أدخلت يدي في درع حصينة ، فأما البقر فهم ناس من أصحابي يقتلون ، وأما التلم
فهو رجل من أهل بيتي يقتل ، والدرع الحصينة أو "لها المدينة ، فان رأيتم أن
تقيموا بالمدينة وتركوهم حيث زلوا ، فان أقاموا أقاموا بشر" مقام ، وإن دخلوا
علينا قاتلناهم فيها . وقال عبد الله بن أبي : والله ما جاءنا عدو قط فخرجنا اليهم ،
إلا أصابوا منا ، ولادخلوا علينا إلا أصبنا منهم ، وكان في المسلمين أناس لم يشهدوا
بدرآ يحبون لقاء العدو ؛ ويرغبون في الشهادة فقالوا : يا رسول الله أخرج بنا اليهم
لئلا يظنوا أنا خفناهم ، أو أصابنا جبن ، فدخل رسول الله ﷺ ، فلبس لأمية
حربه وخرج عليهم ، فندموا وقالوا : استكرهناك يا رسول الله ، ولم يكن لنا ذلك ،

فان شئت فاقم بالبلد ، فقال ﷺ : « ما ينبغي لني اذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل ، وكان ﷺ أمر الرماة أن لا يبرحوا من مكانهم الذي جعلهم فيه حتى يرسل لهم وإن انهزم القوم ، فلما التقى الجمعان ؛ هزم المسلمون المشركين . فقال الرماة لما رأوا ذلك : الغنيمة الغنيمة ، فقد ظهر أصحابكم ، فما تنتظرون ؟ فقال أميرهم عبد الله بن جبير : أنسيتم ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : والله لنأتين الناس فلنصيبين الغنيمة ، فلما أتوهم صرفت وجوههم ، فاقبلوا منهزمين ، فذاك إذ يدعوم الرسول في أخراهم ، فلم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر ، وصار أصحاب رسول الله ﷺ ثلاثة فرق ، فرقة قتلوا ، وفرقة جرحى ، وفرقة هزموا .

الثانية : اختلف في عدة من ثبت معه ﷺ ، فقيل : اثني عشر رجلاً ، كما في « البخاري » وغيره عن البراء بن عازب رضي الله عنها .

وفي « البخاري » ، وأبي نعيم ، والاسماعيلي ، عن معتمر بن سليمان التيمي ، عن أبيه قال : سمعت أبا عثمان النهدي يقول : لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الاماكن التي يقاتل فيها غير طلحة وسعد .

قال سليمان : قلت : وما علمك بذلك ؟ قال : عن حديثها ، يعني ان سمداً وطلحة خبرا أبا عثمان بذلك .

قال في « الفتح » : ويعكر على هذا ماورد أن المقداد كان ممن بقي معه .

وفي « صحيح مسلم » : عن أنس قال : أفرد رسول الله ﷺ يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهذا أيضاً محمول على بعض المقامات والأحوال ؛ لجولانهم في القتال ، وعند محمد بن سعد أنه ثبت معه أربعة عشر رجلاً : سبعة من المهاجرين : فيهم أبو بكر الصديق .

وقال البلاذري : ثبت معه من المهاجرين أبو بكر ، وعمر ، وعلي ،

وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، والزيبر بن
العوام ، وأبو عبيدة بن الجراح . ومن الأنصار : الحباب بن المنذر ، وأبودجانة ،
وعاصم بن ثابت بن أبي الأفلح ، والحارث بن الصمة ، وأسيد بن حضير ، وسعد بن
معاذ . وقيل : وسهل بن حنيف . انتهى .

وكذا أبو طلحة لما في « الصحيحين » ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما
كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول
الله ﷺ محوَّب عليه بحجفته^(١) .

وكان أبو طلحة : رجلاً رامياً ، شديد الرمي ، فنثر كنانته بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يزل يرمي بها ، وكسر بوشق قوسين أو
ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجعبة من النبل ، فيقول صلى الله عليه وسلم : انثرها
لأبي طلحة ... القصة ، فهؤلاء ستة عشر رجلاً : ثمانية من المهاجرين ، وثمانية من
الأنصار رضي الله عنهم أجمعين ، ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ،
وبالله التوفيق .

الثالثة : روى أبو داود والطيالسي ، وابن حبان عن عائشة رضي الله عنها
قالت : كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد قال : ذلك اليوم كله لطلحة ، ثم
أنشأ يحدث . قال : كنت بمن فاء إلى رسول الله ﷺ يوم أحد ، فرأيت رجلاً
يقا تل مع رسول الله ﷺ دونه . قال : أراه قال : بحميه . قال : قلت : كن
طلحة حيث فاتني ما فاتني ، فقلت : يكون رجل من قومي أحب إليّ وبين
وبين رسول الله ﷺ رجل لا أعرفه ، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه ،
وهو يخطف المشي خطفاً لا أخطفه ، فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح ، فانهبت إلى
رسول الله ﷺ وقد كسرت رباعيته وشج وجهه ، وقد دخل في وجنته
حلقتان من حلق المغفر . فقال رسول الله ﷺ : « عليكما صاحبكما » يعني طلحة ،

(١) في الاصل : يحوَّب عنه بحجفته ، وما أثبتناه في « صحيح البخاري » . والحفة :
الترس إذا كان من جلد ليس فيه خشب ولا عقب .

وقد نَزَفَ الدم ، فتركناه ، وذهبت لآنزع ذلك من وجه رسول الله ﷺ .
 فقال أبو عبيدة : أقسمت عليك بحقي لما تركتني ، فتركته ، وكره أن يتناولها
 يده فيؤذي رسول الله ﷺ ، فأزم عليه بقمه ، فاستخرج إحدى الحلقتين ،
 ووقعت ثنيته مع الحلقة ، وذهبت لأسنع ما صنع ، فقال : أقسمت عليك بحقي
 لما تركتني ، ففعل كما فعل في المرة الأولى ، فوقعت ثنيته الأخرى مع الحلقة ،
 فكان أبو عبيدة من أحسن الناس هتماً (١) . قال : فأصلحنا من شأن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الحفائر ، فإذا به بضع
 وسبعون - أو أقل أو أكثر - من طعنة وضربة ورمية ، وإذا هو قد قطعت
 أصبعه ، فأصلحنا من شأنه .

وروي أن طلحة رضي الله عنه أصيب يومئذ في رأسه ، فنزف الدم حتى
 غشي عليه ، فنضج أبو بكر الماء في وجهه حتى أفاق ، فقال : ما فعل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . قال : خيراً ، هو أرسلني إليك . قال : الحمد لله ، كل مصيبة
 بدمه جليل .

وروي أن الدم نَزَفَ من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزع
 الحلقتان ، فجعل مالك بن سنان يأخذ الدم بفيه ويمججه ويزدرد (٢) منه ، فقال له
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتشرب الدم ؟ قال : نعم يا رسول الله . فقال
 صلى الله عليه وسلم : « من مس دمه دمي لم تصبه النار » . وفي « مستدرک
 الحاكم » : من حديث عائشة بنت سعد عن أبيها رضي الله عنها ، قال : لما جال
 الناس يوم أحد تلك الجولة تنحيت ، فقلت : أذود عن نفسي ، فلما أنجوه ، وإما
 أن أستشهد ، فإذا رجل مخمّر وجهه قد كاد المشركون أن يركبوه ، ففلاّ يده

(١) الهم : إنكار الثنايا من أصلها .

(٢) أي يتلغ منه .

من الحمى ، فرمام به ، وإذا بيني وبينه المقداد ، فأردت أن أسأله عن الرجل ، فقال لي : يا سمد ، هذا رسول الله يدعوك ، قممت ولكأنه لم يصنني شيء من الأذى ، فأتيت . فقال : أين كنت اليوم يا سمد ؟ فقلت : يا رسول الله حيث رأيت ، فأجلسني أمامه ، فجعلت أرمي وأقول : اللهم سبهك فارم به عدوك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اللهم استجب لسمد ، اللهم سدد لسمد رميته ، إيه سمد ، فذاك أبي وأمي ، وهذا ونحوه . تعلم الخلاف في ذكر عدد من ثبت معه ، وأنه بحسب المقامات والأماكن ، والكر والفر ، وأن كل من رجع إلى الرسول وآب إليه وانضم عليه قبل انفضاض القتال وخلص الحركة ؛ فهو بمن ثبت معه ؛ لأنه صلى الله عليه وسلم ثبت مكانه لم يزل عنه .

فقد روى البيهقي من حديث المقداد رضي الله عنه ، وذكر حديثاً طويلاً في يوم أحد ، فقال : فأوجسوا والله فينا قتلاً ذريعاً ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نالوا ، لا والذي بمتي بالحق إن زال رسول الله صلى الله عليه وسلم شبراً واحداً ، وإنه أفي وجه العدو ، وتوفي إليه طائفة من أصحابه مرة ، وتفرق مرة عنه ، فربما رأيت قائماً يرمي عن قوسه ، ويرمي بالحجر ، وثبتت معه طائفة . ويقال : إنه ثبت معه ثلاثون رجلاً كلهم يقول : وجهي دون وجهك ، ونفسي دون نفسك ، وعليك السلام غير مودع . وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : إن ابن مسعود رضي الله عنه ، بمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ .

الرابعة : لما اختل نظام الرماة ، وتحولوا من المكان الذي أمرهم بالقيام به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصرفت وجوههم ، وهبت الريح الدبور بمد أن كانت صبا ، صرخ الشيطان لعنه الله تعالى : أي عباد الله أخرجكم ، فرجعت أولى المسلمين فاحتلت هي وأخراهم ، وهم يظنون أنهم من العدو ، وكان

غرض إبليس اللعين أن يقتل المسلمون بعضهم بعضاً ، وصرخ اللعين عند جيل عيتين من قرب أحد - وقد تصور في صورة جمال (١) بن سراقه رضي الله عنه - إن محمداً قد قتل ثلاث مرات ، فلم يشك فيه أنه حق ، والحال أن جمال إلى جنب أبي بردة يقاتل أشد القتال ، فكان ذلك سبب ذهول المسلمين ، وعدم ثباتهم ، فلما تبين كذب اللعين ، وعرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أقبلوا إليه ، ولما رأوه سالماً فرحوا فرحاً شديداً ، وكانهم لم يصبهم شيء حين رأوه سالماً ، ونهضوا به ونهض معهم نحو الشعب ومعه أبو بكر وعمر وعلي ومن تقدم ذكرهم . وقال صلى الله عليه وسلم لهم : « إني أخشى أن يأتي أبي بن خلف من خلفي ، فإذا رأيتموه فاذنوني به » .. وكان صلى الله عليه وسلم لا يلتفت في القتال وزاءه ، فلما أسند في الشعب أدركه وهو مقنع في الحديد يركض فرسه ، وقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أين محمد ؟ لا نجوت إن نجبا ، فاستقبله مصعب بن عمير بقي رسول الله بنفسه ، فقتل مصعباً رضي الله عنه ، فأراد بعض الصحابة أن يعترض له ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دعوه وخلوا طريقه » . فلما دنا من الرسول قال الخبيث : يا كذاب ؛ أين تفر ، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن العصة ، ويقال : من الزبير بن العوام ، فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتفض بها انتفاضة تطاير عنه أصحابه تطاير الذباب عن البعير إذا انتفض ، ولم يكن أحد يشبه رسول الله ﷺ إذا جد الجدد ، ثم استقبله بها ، فطمنه في عنقه . وفي لفظ : في رقوته من فرجة سابقة البيضة والدرع ، فتدأ منها مراراً عن فرسه ، أي مال ، وجمل يخور ، أي يصوت كما يخور الثور ، فرجع إلى قومه . فقال : قتلتني والله محمد ، فقالوا : ذهب

(١) كذا الأصل ، وفي « القاموس » وكزير : ابن سراقه الضمري ، وجميل

الاشجعي : صحابيان .

والله فؤادك ، والله إن بك بأس ، ما أجزعك !؟ وفي لفظ : أنه ﷺ خدشه في عنقه خدشاً غير كبير ، فاحتقن الدم ، فلما قال أبي لقومه ما قال ، وأجابوه بما أجابوه ، وقالوا : إنما هو خدش ، ولو كان هذا الذي بك بعين أحدنا ما ضره . فقال : لا ، واللأت والزمى ، لو كان هذا الذي بي بأهل ذي الحجاز ، أي وهو سوق عند عرفة . وفي لفظ : بريئة ومضر لما تواتر أجمعون ، إنه قد كان قال لي بمكة : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق علي لقتلني ، فمات عدو الله بسرف وهم قافلون . وقال ﷺ يومئذ : « اشتد غضب الله عز وجل على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله » متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وفي « البخاري » من حديث ابن عباس رضي الله عنها قال : « اشتد غضب الله على من قتله النبي في سبيل الله » وفي لفظ : « اشتد غضب الله على من قتله نبي » هكذا أخرجها البخاري موقوفين .

وروى محمد بن عمر الواقدي ، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنها قال : مات أبي بن خلف بيطن رابع ، فاني لأسير بمد هدوء من الليل . إذا نار تأجج لي ، فببها ، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجذبها ، يصيح : المطش المطش ، وإذا رجل يقول : لا تسقه ، فإن هذا قتل رسول الله ﷺ أبي بن خلف ، وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه في ذلك :

لقد ورث الضلالة عن أبيه	أبي يوم بارزه الرسول
أتيت إليه تحمل رمّ عظم	وتوعده وأنت به جهول
وقد قتلت بنوا النجار منكم	أمية إذ بنو ث يا عقيل
وتبّ ابنار يمة إذ أطاعا	أبا جهل لأمها المبول
وأقلت حارث لما اشتظننا	بأسر القوم ، أسرته قليل

وقال حسان أيضاً :

ألا من مبلغ عني أيثاً	لقد ألقيت في سحق السمير
تمنى بالضلالة من بعيد	وتقسم ان قدرت مع النذور
تمنيك الاماني من بعيد	وقول الكفر يرجع في غرور
فقد لاقتك طمئة ذي حفاظ	كريم البيت ليس بذئ فجور
له فضل على الأجيال طراً	إذا نابت ملمسات الأمور

الخامسة : جملة من أكرمه الله عز وجل بالشهادة من الصحابة الكرام يوم أحد سبعين شهيداً ، وكان ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم أصابوا من المشركين يوم بدر أربعين ومائة ، سبعين أسيراً ، وسبعين قتيلاً ، فقتل من المهاجرين في أحد ، ستة ، وأربعة من الأنصار .

وقد روى ابن أبي شيبة ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ، وابن سعد ، وابن جرير ، وابن جبان ، والبيهقي وغيرهم ، عن علي رضي الله عنه قال : جاء جبريل عليه السلام الى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، إن الله تعالى قد كره ما صنع قومك في أخذهم فداء الأسرى ، يعني أسرى بدر ، وقد أمرك أن تخيّرهم بين أمرين : إما أن يقدموا فتضرب أعناقهم ، وبين أن يأخذوا منهم الفداء ، على أن يقتل منهم عدتهم ، فدعا رسول الله ﷺ الناس ، فذكر لهم ذلك ، فقالوا : يا رسول الله ، عشارنا وإخواننا نأخذ منهم الفداء ، فتتقوى به على قتال عدونا ، ويستشهد منا عدتهم ؛ فليس في ذلك ما نكره ، وبالله التوفيق .

الحديث الثامن عشر

٦٣ - ثنا هشيم : أنبأنا يحيى بن أبي إسحاق وعبد العزيز

بن صهيب وحيد الطويل : عن أنس بن مالك أنهم سمعوه يقول :
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يلبي بالحج
وبالعمرة جميعاً .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم ، أنبأنا) كل واحد من هؤلاء الثلاثة ، وم :
(يحيى بن أبي إسحاق ، وعبد العزيز بن صهيب ، وحيد الطويل ، عن أنس
بن مالك) رضي الله عنه (أنهم) أي الثلاثة المتقدم ذكرهم (سمعوه) أي أنس
بن مالك رضي الله عنه (يقول : سمعت رسول الله ﷺ يلبي) من التلبية ، وهي
قولك لمن دعاك : لبيك ، يقال : لبي بغير همز ، وهو الاصل ، ولباً بالهمز : لغة
(بالحج) بفتح الحاء المهمل وكسر ها ، لفتان مشهورتان ، وهو لغة : عبارة عن
القصد ، وحكي عن الخليل أنه كثرة القصد الى من تعظمه ، ثم تعرف استعماله
في القصد الى مكة المشرفة للنسك ؛ فهو اسم لأفعال مخصوصة (و) بـ (العمرة)
وهي لغة الزيارة ، وشرعاً : زيارة البيت بأفعالها مخصوصة (جميعاً) بأن يقول :
لبيك اللهم بالحج والعمرة ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك
والملك ، لا شريك لك .

وعلى ظاهر هذا الحديث يكون ﷺ حج قارناً ، وهو الصحيح الذي
لا شك فيه ، ولا وهم يعتريه .

قال الامام أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه : لا أشك أن النبي ﷺ
كان قارناً : والتمتع أحب إلي ، أي لمن لم يسق الهدي ، فإنه لم يختلف قوله
رضي الله عنه : أن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج
ولم يسق الهدي ، ان التمتع أفضل ، بل هو المسنون ؛ لأمر النبي ﷺ
أصحابه بذلك .

وأما من ساق الهدى ، فهل القران أفضل له أم التمتع ؟ فمعه في ذلك روايتان .

وأما من أفردهما في سفرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام الى الحج ؛ فهذا أفضل من التمتع ، وهو قول الخلفاء الراشدين ، وقول الامام أحمد وغيره ، وبعض أصحاب مالك ، والشافعي ، وغيرهم .

واعلم ان معتمد مذهب الامام أحمد أن افضل الانساك : التمتع ، ثم الافراد ثم القران .

قال رضي الله عنه : الذي نختاره المنة ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ وهو يعمل لكل واحد منها ، أي الحج والعمرة على حدة ، هكذا في رواية صالح .

وقال أبو داود : سمعته يقول : نرى التمتع أفضل ، وسمعته قال للرجل أراد ان يحج عن أمه : تمتع أحب الي .

وقال إسحق بن إبراهيم : كان اختيار أبي عبد الله الدخول بعمرة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » قال : وسمعته يقول : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعند الحنفية : القران أفضل . وعند المالكية والشافعية : الافراد أفضل .

قال الحنفية : ما اختاره الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فهو أفضل . قلنا : هذا صحيح ، لولا ما يعارضه من أمره لأصحابه بالتمتع ، والتأسف على سوقه الهدى في قوله صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدى ، ولا حملت معكم » .

والحاصل انه صلى الله عليه وسلم حج قارنا ، وبالله التوفيق .

تفسيحات

الأول : هذا الحديث صحيح متفق عليه ، ولفظه :

قال أنس : سمعت النبي ﷺ يلي بالحج والعمرة جميعاً ، يقول : « لبيك عمرة وحجاً » . وعن أنس رضي الله عنه أيضاً قال : خرجنا فصرخ بالحج ، فلما قدمنا مكة أمرنا رسول الله ﷺ أن نجعلها عمرة ، وقال : « لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها عمرة » ، لكنني سقت الهدى وقرنت بين الحج والعمرة ، رواه الامام أحمد .

وفي « المسند » و « صحيح البخاري » و « سنن أبي داود » و « ابن ماجه » : عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ وهو بوادي لمعيق يقول : « أنا في آت من ربي فقال : صل في هذا الوادي المبارك » ، وقل : عمرة في حجة » ، وفي رواية للبخاري : « وقل عمرة وحجة » .

الثاني : التلبية سنة عند الامام أحمد ، والشافعي . قال في « الفروع » : « إن الحج عبادة بدنية ، ليس في آخرها نطق واجب ، فكذا أولها ، كصوم ، بخلاف الصلاة .

قال : ويتوجه احتمال وجوب التلبية ، والاعتبار بما نواه ، لا بما سبق به لسانه ، وعند الامام الشافعي : انها واجبة في وجهه ، حكاه الماوردي عن ابن خيران ، ابن أبي هريرة ، وأنه يجب بتركها دم .

وقال الحنفية : إذا اقتصر على النية ولم يلب لا ينقذ لإحرامه ؛ لأن الحج نضمن أشياء مختلفة فعلا وتركاً ، فأشبه الصلاة ، فلا يحصل إلا بالذكر في أوله .

وقال المالكية : لا ينقذ الاحرام إلا بنية مقرونة بقول أو فعل متعلقين به ، كالتلبية والتوجه الى الطريق ، فلا ينقذ بمجرد النية ، وقيل : ينقذ ، قاله عند ، وصفة تلبيته صلى الله عليه وسلم كما تقدم : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك

لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، وهو مروي عن الامام مالك .

قال في « الفروع » : الاحرام لا ينقذ إلا بنية ، وللشافعي قول ضعيف ينقذ بالتلبية ، ونية النسك كافية ، نص عليه ، يعني الامام أحمد ، وفقاً للمالك والشافعي .

وفي « الانتصار » رواية : مع تلبية أو سوق هدي ، وفقاً لأبي حنيفة . قال : واختارها شيخنا ، يعني شيخ الاسلام ابن تيمية ، وقاله جماعة من المالكية ، وحكى قولاً للشافعي ، وبعضهم حكى قولاً : يجب ، وحكى عن مالك وجماعة من الشافعية : يعتبر مع النية التلبية .

والمعتمد أن التلبية سنة لا واجبة ، ويسن ابتداؤها عقب إحرامه ، وذكر نسكه فيها ، وذكر العمرة قبل الحج للقصارن - فيقول : لبيك عمرة وحجاً - والاكتار منها ، ورفع الصوت بها .

ويسن الدعاء بعدها ، فيسأل الله الجنة ، ويموذه من النار ، ويدعو بما أحب ، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم .

ومعتمد المذهب جواز الزيادة على تلبية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد روى الاثرم ، وابن المنذر ، وابن أبي شيبه : أنه كان من تلبية عمر رضي عنه : لبيك ذا النماء والفضل الحسن ، لبيك مرغوباً ومرهوباً اليك .

الثالث : التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج ويفرغ منها ، ثم يحرم بالحج من مكة أو قريب منها ، وسمي تمتعاً لتمتع صاحبه بمحظورات الاحرام بين النسكين ، وهذا الافضل عند الامام أحمد .

وعند الامام أبي حنيفة القران أفضل . وصفته : أن يحرم بالحج والعمرة معاً ، أو يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها

الحج قبل الشروع في طوافها ، إلا لمن معه الهدي ؛ فيصح ولو بعد السمي ويصير
قارناً ، ولا يعتبر لصحة إدخال الحج على العمرة الاحرام به في أشهره .

وعند الامام مالك والشافعي الافراد أفضل .

وصفته : أن يحرم بالحج مفرداً ، فإذا فرغ منه اعتمر عمرة الاسلام إن
كانت باقية عليه .

الرابع : اختلف الفقهاء في القارن ، هل يطوف طوافين ويسمى سميين ،
أم يكفيه طواف واحد ؟

مذهب الائمة الثلاثة : يكفيه طواف واحد وسمي واحد ، وعمل العمرة
دخل في الحج ، كما يدخل الوضوء في الغسل .

ومذهب الامام أبي حنيفة : أنه يطوف طوافين ويسمى سميين ، فيطوف
ويسمى للعمرة أولاً ، ثم يطوف ويسمى للحج ثانياً ، وإذا فعل القارن محظوراً
فعليه فديتان .

وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنها ، لكن الاحاديث
الصحيحة والأخبار الصريحة تبين أن سيد العالم صلى الله عليه وسلم إنما طاف
طوافاً واحداً وسمي سعيّاً واحداً .

كما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « من كان معه هدي فليل بالحج مع
العمرة ، ثم لا يحمل منها شيئاً » . وقالت فيه : فطاف الذين كانوا أهلوا بالعمرة
بالبيت ، وبين الصفا والمروة ، ثم طافوا طوافاً آخر بعد أن رجعوا من منى
لحجهم . قالت : وأما الذين جمعوا الحج والعمرة ؛ فأنما طافوا طوافاً واحداً .

وفي « مسلم » عنها ، أنه قال لها رسول الله ﷺ : « يسمك طواف لحجك
وعمرتك » .

وفي « الصحيحين » ، أنه ﷺ قال لها : « يسمك لحجك وعمرتك ، يكفيك طوافك لحجك وعمرتك ، قد حلت من حجك وعمرتك جميعاً ... » الحديث .
وقد صح عنه ﷺ أنه قال : « دخلت العمرة في الحج الى يوم القيامة »
وإذا دخلت في الحج لم تحتاج الى عمل زائد على عمله ، كما إذا دخل الوضوء في
الفعل ، والله علم .

الحديث التاسع عشر

٦٤ — ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد ، عن ثابت ، عن
أنس ، واظنني قد سمعته من أنس أن رسول الله ﷺ مرَّ
برجل يسوق بدنة فقال : اركبها ، قال : إنها بدنة . قال :
اركبها ، مرتين أو ثلاثاً .

قال رضي الله عنه (ثنا هشيم قال : أنبأنا حميد) الطويل (عن) أبي محمد
(ثابت) البناني ، بن أسلم ، تابعي ، من أعلام البصرة وثقاتهم ، اشتهر بالرواية
عن أنس بن مالك ، وصحبه أربعين سنة .
وروى عن ابن عمر ، وابن الزبير ، وأبي بردة الأسلمي ، وعمر بن أبي
سلمة وغيرهم .

وروى عنه شعبة ، وحماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وحميد الطويل وغيرهم .
وكان محدثاً إماماً ثقة حافظاً مأموناً صحيح الحديث .

قال أبو حاتم : أثبت أصحاب أنس ، الزهري ، ثم ثابت ، ثم قتادة .

قال بكر بن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أعبد أهل زمانه ،
فليُنظر الى ثابت البناني ، فما أدركنا الذي هو أعبد منه .
وقال ثابت قدس الله روحه : كابدت الصلاة عشرين سنة ، وتنعمت بها
عشرين سنة .

وكان يصلي في كل ليلة ثلاثمائة ركعة ، فإذا أصبح ضمدت قدماء ، ف يأخذها
بيده فيعصرها ثم يقول : مضى العابدون ، وقطع بي ، والهفاه .
وكان يقرأ القرآن في كل يوم وليلة ، ويصوم الدهر .
وقال له أنس بن مالك رضي الله عنه : ما أشبه عينيك بعيني رسول الله ﷺ ،
فما زال يبكي حتى عمشت عيناه . واشتكى ثابت عينه ، فقال له الطبيب : اضمن لي
خصلة تبرأ عينك . قال : لا تبك . قال : وما خير عين لا تبكي ؟ وكان يقول :
ما شيء أجده في قلبي ألذّ عندي من قيام الليل . وقال ابنه : ذهبت ألقين أبي
وهو في الموت ، فقلت : يا أبه ! قل : لا إله إلا الله ، فقال : يا بني خلّعي ، فاني في
وردي السادس أو السابع . وقال جسر : أنا والله الذي لا إله إلا هو - أدخلت ثابتاً
البناني لحده وممي حميد الطويل ، فلما سويّنا عليه سقطت لَبِيْنة ، وإذا أنا به يصلي
في قبره ، فقلت للذي ممي : ألا ترى ؟ فقال : اسكت ، فلما فرغنا أتينا ابنه ،
فقلنا لها : ما كان عمل ثابت . قالت : ما رأيتم ، فأخبرناها . قالت : كان يقوم
الليل خمسين سنة ، فإذا كان السحر قال في دعائه : « اللهم إن كنت أعطيت أحداً
من خلقك الصلاة في قبره فأعطنيها .

مات ثابت سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقيل : سبع وعشرين ، وله ست
وثمانون سنة (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه ، وهذا الحديث بهذا السند على
هذا النمط ليس هو من الثلاثيات ، وإنما يكون من الثلاثيات باعتبار قول حميد
الطويل (وأظنني قد سمعته) أي الحديث الآتي ذكره (من أنس) بن مالك من

غير واسطة ثابت النباني رحمه الله تعالى (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ
برجل) .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : لم أقف على تسميته ، ولم يتعرض له
السبرماوي في « مبهمات العمدة » ، وبيض له جلال الدين البلقيني في « مبهمات
البخاري » ، من حديث أبي هريرة وأنس رضي الله عنهما (يسوق بدنة) زاد
مسلم : مقلدة بقلادة في عنقها . قال الجوهري : التقليد أن يملق في العنق شئاً .
ليعلم أنها هدي .

والبدنة تقع على الجمل والناقة ، والبقرة وهي بالابل أشبه ، وكثير استعملها
فيما كان هدياً .

وفي « المطلع » : قال كثير من أهل اللغة : البدنة تطلق على البعير والبقرة .
وقال الازهري : تكون من الابل والبقر والغنم .

وقال صاحب « المطالع » ، وغيره : البدنة والبدن ، هذا الاسم يختص بالابل
لعظم أجسامها .

والمفسرين في قوله تعالى : والبدن جعلناها لكم ^(١) ثلاثة أقوال :

أحدها . أنها الابل ، وهو قول الجمهور .

الثاني : أنها الابل والبقر ، قاله جابر وعطاء .

الثالث : أنها الابل والبقر والغنم .

ومعتمد مذهب الامام أحمد أنه إذا نذر بدنة وأطلق أجزأته بقرة . وإن
نوى شيئاً لزمه مانؤه ، ولا بد في أجزاء البدنة الواجبة من الابل أن تكون تم
لها خمس سنين ودخلت في السادسة ، وأن تكون بصفة ما يحزى . في الأضحية ،
ومن البقر حيث أجزأت عن البدنة أن تكون تم لها سنتان وطعنت في الثالثة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٣٦

(فقال) صلى الله عليه وسلم للرجل الذي يسوقها : (اركبها) لتخالف
بركوبك لها الجاهلية في ترك الانتفاع بالسائبة ، والوصيلة ، والحام .
واوجب بعضهم ركوبها لهذا المعنى عملاً بظاهر الأمر ، وحمل الجمهور على
الارشاد لمصلحة دنيوية ، واستدلوا بأنه صلى الله عليه وسلم أهدى ولم يركب ،
ولم يأمر جميع الناس بركوب الهدايا ، وجزم علماؤنا أن له الركوب لحاجة فقط
بلا ضرر ، ويضمن نقصها إن نقصت .

قال في « الفروع » : وله ركوبه ، أي الهدى لحاجة ، وعنه ، أي عن الامام
أحمد مطلقاً ، أي لحاجة وغيرها . قطع به في « المستوعب » و « الترغيب » وغيرهما
بلا ضرر ، ويضمن نقصه . قال : فظاهر « الفصول » وغيره إن ركبه بمد
الضرورة ونقص . انتهى .

وجزم النووي من الشافعية في « الروضة » كأصلها بجواز الركوب مطلقاً ،
ونقله في « المجموع » عن القفال والماوردي ، ونقل فيه عن أبي حامد وغيره
تقييده بالحاجة ، كمتهم مذهبنا ، ودليله ما أخرجه الامام أحمد ، ومسلم ، وأبو داود ،
والنسائي من حديث جابر رضي الله عنه مرفوعاً : « اركبها بالمروءة إذا أُلجئت
إليها حتى تجد ظهراً » ، فهذا خبر صحيح مقيد ، والمقيد يقضي على المطلق ، ولأنه
شيء خرج عنه فلا يرجع فيه ، ولو أبيع النفع لغير ضرورة أبيع استئجاره ،
ولا يجوز ذلك اتفاقاً .

(قال) : وفي لفظ : فقال الرجل : (إنها بدنة) أي هدي (قال) : وفي
لفظ : فقال ، بزيادة الفاء : (اركبها) كرر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ، يعني
أمر الرجل بركوب بدنته (مرتين أو ثلاثاً) من المرات ، كذا في « صحيح مسلم »
بالشك . وقال البخاري : ثلاثاً من غير شك ، وفي آخرها قال : اركبها ، وبلك ،
قالها في الثانية أو الثالثة .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما رجل يسوق بدنة مقلدة ، قال له رسول الله ﷺ : « ويلك اركبها » . فقال : بدنة يارسول الله ؟ قال : « ويلك اركبها ، ويلك اركبها » .

قال أبو هريرة رضي الله عنه كما في « البخاري » : فلقد رأيته راكبها يسير النبي ﷺ .

قوله ﷺ للرجل : « ويلك » بالنصب على الفعل المطلق بفعل من معناه محذوف وجوباً ، أي أئزمه الله ويلا ، وهي كلمة تقال لمن وقع في الهلاك ، أو لمن يستحقه ، أو هي بمعنى الهلاك ، أو المشقة من الحزن أو المذاب ، أو وادٍ في جهنم أو بشر فيها ، أو باب لها ، أقوال .

وإنما دعا بها النبي ﷺ على الرجل ، لعدم مبادرته وامتنال أمره ، نادياً لأجل مراجعته له مع عدم خفاء الحال عليه ، ويحتمل أنها إنعما جرت على لسانه ﷺ على ما اعتيد في لغة العرب في مخاطبة بعضهم بعضاً من غير قصد لموضوعها ، كما في : « تربت يدك » ونظائرها .

وقيل : إن الرجل كان قد أشرف على الهلاك من الجهد ، وكلمة ويل تقال لمن أشرف على الهلاك أو وقع في هلكة ، فالمعنى : أشرفت على الهلاك فاركب ، فهي على هذا إخبار .

وفي حديث أنس أيضاً عند الامام أحمد ، والنسائي : أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة ، وقد أجهد المشي . فقال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، قال : « اركبها » ، قال : إنها بدنة ، فقال له ﷺ في الثالثة أو الرابعة : « اركبها ويحك أو ويلك » ، رواء الترمذي ، وهو في « البخاري » في باب هل ينتفع الواقف بوقفه ، كذلك ، والله أعلم .

الحديث العشرون

٦٥ - ثنا معتمر بن سليمان قال : قال أبي : حدثنا أنس ،
حسبته قال : عطس عند النبي ﷺ رجلان ، فشمت أحدهما ، أو
قال : سممت ، وترك الآخر ، فقيل : رجلان عطس أحدهما
فشمت ولم يُسمت الآخر . فقال : إن هذا حمد الله .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي البصري
الامام القدوة الحافظ .

روى عن أبيه ، وخالد الحذاء ، وعبد الملك بن عمير ، ومنصور بن المعتمر .
وروى عنه الامام احمد بن حنبل ، وإسحق بن راهويه ، وعلي بن المديني ،
والقنبي ، ويحيى بن معين ، وخلق .

توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وثمانين ومائة .

(قال) المعتمر (قال أبي) سليمان بن طرخان ، بفتح الطاء المهملة والراء
وبالضاء المعجمة فتون قبلها ألف ، وتقدمت ترجمته في الحديث الثاني من « مسند
أنس ، رضي الله عنه .

(حدثنا أنس) بن مالك رضي الله عنه (حسبته) وفي رواية شعبة ، عن
سليمان التيمي هذا ، قال : سممت أنساً (قال : عطس) بفتح الطاء المهملة في الماضي
وبكسرها وضما في المضارع (عند النبي صلى عليه وسلم رجلان) تقدم أنها
عامر بن الطفيل وابن أخيه (فشمت) النبي ﷺ (أحدهما) بالشين المعجمة (أو
قال : سممت) أحدهما بالشين المهملة (وترك الآخر) لم يشمته .

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري في «الأدب المفرد» وصححه ابن حبان ، أحدهما أشرف من الآخر ؛ وإن الشريف لم يحمّد (فليل) أي قال العاطس الذي لم يحمّد ، كما وقع في حديث أبي هريرة المذكور ، ولفظه : فسأله الشريف ، هما (رجلان : عطس أحدهما فشمت) بضم الشين المعجمة ، وكسر الميم المشددة مبنياً لما لم يسم فاعله (ولم يُشمت) بضم الياء المثناة تحت وفتح الشين المعجمة والميم مبنياً للمجهول (الآخر) بالرفع نائب الفاعل ، أي إنك شمت أحداً دون الآخر ، يعني دوني ، يعني ما السبب الحامل على هذا الفرق بيننا ؟ (فقال) ﷺ : (إن هذا) الذي شمته (حمد الله) تعالى عقب أن عطس ، فشمته ، وهذا لم يحمّده فلم أشمته .

وتقدم الكلام على هذا الحديث في الحسديّ الثاني من «مسند أنس» ابن مالك رضي الله عنه ، وإنما أعاده هنا لاختلاف شيخه فيه ، فشيخ الإمام أحمد رضي الله عنه في الحديث المذكور أولاً ، إسماعيل بن عليّه ، وشيخه في هذا معتمر بن سليمان ، والله الموفق .

الحديث الحادي والعشرون

٦٦ — ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان رسول الله ﷺ ، يحب أن يليه المهاجرون والانصار في الصلاة .

قال رضي الله عنه ، (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كان رسول الله ﷺ يحب أن

يليه) أي يقرب منه (المهاجرون والانصار في الصلاة) وتام الحديث عن
الامام أحمد ، وابن ماجة ، والحاكم : « لياخذوا عنه » . وفي بعض ألفاظه :
« ليحفظوا عنه » أي فروضها وأباماضها وهيأتها ، فيرشدون به الجاهل ، وينبهون
الغافل ، وجهه عليه السلام للشيء ، إما بإخباره للصحابي انه يحبه ، وهذا الظاهر ، أو علم
الصحابه رضي الله عنهم محبته لذلك بقرينة .

وقد روى الامام احمد ، ومسلم ، وأصحاب « السنن » من حديث ابن
مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليلني منكم أولو الاحلام والنهي ،
ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، وإياكم وهيئات الاسواق » .

وروى الامام أحمد ، ومسلم والنسائي ، وابن ماجة عن ابن مسعود أيضاً
رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح مناكبنا في الصلاة ويقول :
« استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليلني منكم أولو الاحلام والنهي ، ثم
الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

قوله صلى الله عليه وسلم : « ليلني » هو بكسر اللامين بينها ياء مشاة تحت مفتوحة ، ثم
نون مخففة من غير ياء قبل النون ، ويجوز إثبات الياء مع تشديد النون للتأكيد
ومن حق هذا اللفظ أن يحذف منه الياء ؛ لانه على صيغة الامر ، وقد وجد
بإثبات الياء وسكونها في سائر كتب الحديث ، والظاهر أنه غلط .

وأولو الاحلام : هم العقلاء البالغون .

والنهي بضم النون : جمع نهي بالضم المقل ، سمي بذلك لأنه ينهى عن
القبائح .

قال ابن سيد الناس : الاحلام والنهي : بمعنى واحد ، وهي العقول . وقال
بعضهم : المراد بأولي الاحلام البالغون ، وبأولي النهي العقلاء .

وفي « النهاية » أي ذوو الالباب ، واحداها حلم بالعكس ، كأنه من

الحلم الذي هو الأناة والتثبت في الأمور ، وذلك من شعار العقلاء ، والنهي :
المقول .

وقوله : ثم الذين يلونهم ، أي يقربون منهم في هذا الوصف ، كالمراهقين ،
ثم الصبيان المميزين .

وقوله : وإياكم وهيشات الاسواق ، هو بفتح الهاء وسكون التنخية
وإعجام الشين .

والأسواق جمع سوق ، أي اختلاطها ، والمنازعة فيها والخصومات والاضط
فيها ، والفتن التي تقع فيها ، وارتفاع الأصوات من أهلها .

وقال الخطابي : هي ما يكون في الاسواق من الجلبة ، وارتفاع الاصوات ،
وما يحدث فيها من الفتن ، وأصله من الهوش ، وهو الاختلاط .

وقوله : ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم . قال في « النهاية » : أي اذا تقدم
بعضهم على بعض في الصف ؛ تأثرت قلوبهم ، ونشأ الخلف ، أي عن التواد
والآلفة . الى التباغض والمداوة .

وروى مسلم وأصحاب « السنن » عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ،
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في أصحابه تأخراً ، فقال لهم : « تقدموا
فأتعوا بي ، وليأتكم بكم من وراءكم ، ولا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله
عز وجل » .

وروى أبو داود في « سننه » من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ،
وصححه الحاكم وابن خزيمة ، أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف ،
وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولا تذرُوا فرجات للشيطان ،
ومن وصل صفاً وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله ، ورواه الامام أحمد
والطبراني وغيرهم .

(فروع) :

الأول : إذا اجتمع في الصلاة أنواع ، سن تقديم رجال أحرار ، ثم عبيد ، الأفضل فالأفضل ، ثم صبيان كذلك ، ثم خنثى كذلك ، ثم نساء .

وان وقفت المرأة مع رجال ، لم تبطل صلاة من يليها ومن خلفها ، خلافا للحنفية . وفي رواية تبطل . وقيل : وصلاة من هو أمامها ، ولا تبطل صلاتها اتفاقا . وعند الحنفية لما أمر الرجل قصدا بتأخيرها ، فترك الفرض ؛ بطلت صلاته ، ولما أمرت هي ضمنا ؛ أثمت فقط .

قال في « الفروع » : فزادوا على الكتاب فرضاً بخبر واحد ، واعتذروا بأنه مشهور ؛ فيلزمهم فرضية الفاتحة والطمأنينة وغير ذلك ، والصف التام من النساء ، لا يمنع اقتداء من خلفهن من الرجال ، خلافا للحنفية ؛ فتبطل صلاتهم عندهم ، ولو كانوا مائة صف لتأكد إساءتهم في الموقف ، بخلاف امرأة في صف رجال ، فإن أبا يوسف ومحمداً أبطلا صلاة اثنين عن جنبيها ، وثالث خلفها يحاذيها .

وفي « مسند الامام احمد » : كان عليه السلام يحمل الرجال قدام الفلان ، والفلان خلفهم ، والنساء خلف الفلان .

ولأبي داود عن أبي مالك الاشعري رضي الله عنه : ألا أحدثكم بصلاة النبي ﷺ ، قال : فأقام السلام ، وصف الرجال ، وصف خلفهم الفلان ، ثم صلى بهم ، فذكر صلاته .

الثاني : يسن للامام أن يسوي الصفوف بمحاذاة المناكب والأكعب ، دون أطراف الأصابع ، فيلتفت عن يمينه قائلاً : اعتدلوا وسووا صفوفكم .

وفي « المغني » للامام الموفق وغيره : يقول : استووا رحمكم الله تعالى ، وعن يساره كذلك ؛ لأن تسوية الصف من تمام الصلاة .

قال الامام أحمد رضي الله عنه : ينبغي أن تقام الصفوف قبل أن يدخل الامام ، ويسن أن يكمل الأول فالأول ، وتراص المأمومين ، وسد خلل الصفوف ، فلو ترك القادر الصف الأول فالأول ، كره ، وظاهر كلام علمائنا يحافظ على الصف الأول وإن فاته ركعة ، لا إن خاف فوت الجماعة ، وكما قرب من الامام فهو أفضل ، وكذا قرب الأفضل ، وقرب الصف من الامام أفضل ، ولا أفضل تأخير المفضول ، كالصبي لا البالغ ، والصلاة مكانه ، لأن آيتاً رضي الله عنه نحى قيس بن عباد وقام مكانه ؛ فلما صلى قال : يا بني لا يسوؤك الله ، فاني لم آتاك الذي آتيت بجمالة ، ولكن رسول الله ﷺ قال : « كونوا في الصف الذي يلي ، » . وإني نظرت في وجوه القوم فمرفتهم غيرك ، رواه الامام أحمد ، والنسائي بإسناد جيد .

الثالث : الصف الأول ما يقطعه المنبر وفقاً ، يعني أول صف يلي الامام سواء قطعه المنبر أو لا ، وقيل : أول صف قام يلي الامام لا ما تخلله شيء يقطعه ، كمنبر ومقصورة ، وقيل : المراد به من يسبق إلى الصلاة ، ولو صلى آخر الصفوف ، قاله ابن عبد البر .

قال النووي : القول الأول هو الصحيح ، وبه صرح المحققون ، والقولان الاخيران غلط صريح . انتهى .

قال العلماء في الحض على الصف الأول : المسارعة الى خلاص الذمة ، والسبق لدخول المسجد ، والقرب من الامام ، واستماع قراءته ، والتعلم منه ، والفتح عليه ، والتبليغ عنه ، والسلامة من اختراق المارة بين يديه ، وسلامة البال من رؤية من يكون قدأمه ، وسلامة موضع سجوده من أذيال المصلين . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قال : « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الاول ، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا » .

وروى الامام أحمد بإسناد لا بأس به ، والطبراني وغيره ، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول » . قالوا : يا رسول الله ، وعلى الثاني ؟ قال : وعلى الثاني . وقال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم ، وحاذوا بين مناكبكم ، ولينوا في أيدي إخوانكم ، وسدوا الخلل ، فإن الشيطان يدخل فيما بينكم بمنزلة الحذف » . يعني أولاد الضأن الصغار .

والحذف : بالحاء المهملة والذال المعجمة مفتوحين وبمدهما فاء .

وفي « ابن ماجه » ، و « النسائي » ، و « صحيح ابن خزيمة » ، و « الحاكم وصححه » ، عن الرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : كان يستنفر للصف المقدم ثلاثاً ، وللثاني مرة .

ولفظ النسائي ، كابن حبان : كان يصلي على الصف الاول مرتين . وفي لفظ : كان يصلي على الصف المقدم ثلاثاً ، وعلى الثاني واحدة .

وروى الامام أحمد بإسناد جيد ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنها ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله وملائكته يصلون على الصف الاول ، أو الصفوف الأول » .

الرابع : تسوية الصف من تمام الصلاة ، كما في « الصحيحين » ، من حديث أنس مرفوعاً ، ولفظه : قال صلى الله عليه وسلم : « سوا صفوفكم » ، فإن تسوية الصف من تمام الصلاة » .

وفي رواية للبخاري : « فأت تسوية الصفوف من إقامة الصلاة » . وقد ترجم البخاري في « صحيحه » باب إثم من لم يتم الصفوف . قال ابن رشد المالكي : أورد فيه حديث أنس : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف ، يشير الى حديث بشير بن يسار ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، قدم المدينة . فقال له : ما أنكرت منا منذ يوم عهدت رسول الله ﷺ ؟ قال : ما أنكرت شيئاً إلا أنكم لا تقيمون الصفوف ، أخرجه البخاري ، وتعقب بأن الإنكار قد يقع على ترك السنة ، فلا يدل ذلك على حصول الإثم .

والمراد بإقامة الصفوف وتسويتها ؛ اعتدال القائمين بها على سمت واحد ، ويراد بها أيضاً سدد الخلل الذي في الصف ، وقد أوجبها بعضهم ، ومع القول بأن التسوية واجبة ؛ فصلاة من خالف ولم يستو صحيحة ؛ لاختلاف الجهتين ، ويؤيد ذلك أن أنساً مع إنكاره عليهم لم يأمرهم بإعادة الصلاة ، وأفرط ابن حزم الظاهري فجزم بالبطلان ، ورد عليه بأنه خرق للاجماع ؛ فقد نقل بعضهم الاجماع على عدم الوجوب ، ونوزع مدعي الاجماع بما صح عن عمر أنه ضرب قدم أبي عثمان النهدي لإقامة الصف ، وبما صح عن سويد بن عقلة قال : كان بلال يسوي منا كبنا ، ويضرب أقدامنا في الصلاة ، وبأن عمر وبلالاً ما كانا يضربان أحداً على ترك غير الواجب ، وفيه نظر ؛ لجواز أنها كانا يريان التعزير على ترك السنة ، والله أعلم .

الحديث الثاني والعشرون

٦٧ - ثنا معتمر ، عن حميد عن أنس قال : لم يكن في رأس رسول الله ﷺ ولحيته عشرون شعره بيضاء ، وخضب ابو بكر بالحناء والكم ، وخضب عمر بالحناء .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لم يكن في) شعر (رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم و) شعر (لحيته) الشريفة (عشرون شعرة بيضاء) .

اعلم ان الناس تكلموا على شبيهه صلى الله عليه وسلم ، وبينوا ما هو الصحيح من ذلك ، وقد ورد في ذلك عدة أخبار . فأخرج الترمذي في « الثمائل النبوية » عن ابن أمير المؤمنين عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنها ، قال : كان شبيهه صلى الله عليه وسلم نحو عشرين شعرة بيضاء في مقدمه . ورواه ابن ماجه في « سننه » .

وفي رواية ابن سعد : لم يبلغ ما في لحينه ﷺ من الشيب عشرين شعرة . وفي « مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه ، وقد سئل ، هل خضب رسول الله ﷺ ؟ إنه لم ير من الشيب إلا قليلاً . وفي رواية : لم يبلغ ما يخضب ، وذلك لأن المادة أن القليل من الشعر الأبيض إذا بدا في اللحية لم يسادر إلى خضبه حتى يكثر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك إلى العرف .

وفي « مسلم » عن عاصم الأحول ، عن ابن سيرين ، عن أنس رضي الله ﷺ عنه ، هل كان رسول الله ﷺ خضب ؟ قال : لم يبلغ الخضب ، كان في لحيته شعرات بيض .

وفيه عن ثابت البناني قال : سئل أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن خضاب رسول الله ﷺ ، فقال : لو شئت أن أعد شمطات ^(١) كن في رأسه ففعلت . قال : ولم يخضب . ورواه في « البخاري » ، وقال : في لحيته بدل رأسه . وفي « مسلم » عنه : إنما كان البياض في عنقه ^(٢) ، وفي الصدغين ،

(١) الشمط : بفتحين ، بياض شعر الرأس يغالطه سواد ، والرجل أنشط .

(٢) العنقة : شعرات بين الشفة السفلى والدنق .

والرأس نبد (١) . ورواه « البخاري » ، إلا أنه لم يذكر المنفقة من حديث أنس ، ولا ذكر التبذ .

وفي « مسلم » أيضاً ، عن أبي جحيفة قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه منه بيضاء ، ووضع بعض أصابعه على عنقه . وجاء في رواية : كان شبهه صلى الله عليه وسلم لا يزيد على عشر شعرات . وفي رواية : أربع عشرة شعرة . وفي أخرى عشر .

وأخرج البخاري في « صحيحه » عن جرير بن عثمان أنه سأل عبد الله ابن بسر صاحب النبي ﷺ ، قال : رأيت النبي ﷺ كان شيخاً ، قال : كان في عنقه شعرات بيض . فمقتضى حديث عبد الله هذا أن شبهه ﷺ كان لا يزيد على عشر شعرات ؛ لا يراده بصيغة القلة . وأوماً حميد في روايته الى عنقه سبع عشرة . وروي أيضاً عن ثابت ، عن أنس قال : ما كان في رأس رسول الله ﷺ ولحيته إلا سبع عشرة ، أو ثمان عشرة . وروى ابن خيثمة عن أنس قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء . قال حميد : كن سبع عشرة . وروى الحاكم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن أنس قال : لو عُدَّت ما أقبل من شبهه ﷺ في رأسه ولحيته ؛ ما كنت أزيدهن على إحدى عشرة . وقد جمع البدر الصني في « شرح البخاري » بين الروايات بأنها تدل على أن شعراته البيض لم تبلغ عشرين شعرة . والرواية الأخرى توضح أن ما دون العشرين كان سبع عشرة ، فتكون العشرة على عنقه والزائد عليها في بقية لحيته لأنه قال : لم يكن في لحية رسول الله ﷺ عشرون شعرة بيضاء ، واللحية : تشمل المنفقة وغيرها . وكون العشرة على المنفقة ؛ بحديث عبد الله بن بسر ، والبقية بالأحاديث الأخرى في بقية لحيته . وحاصل ما اعتمده - أميره - أنها سبع عشرة شعرة ، منها

(١) أي شه يسير من الثيب .

عشرة على المنفقة، وسبعة في بقية لحيته . وإذا كان شبيه **بالحناء** هــذا قدره ؛ لم يخضب ، لأن العادة أن الشيب القليل لا يبادر الى خضبه حتى يكثُر ، ومرجع الكثرة والقلة في ذلك الى المرف .

(و) لكن (خضب أبو بكر) الصديق رضي الله عنه (بالحناء) - بالمد والتشديد شجر معروف - وهو جمع ، واحده حنّاء ، وقال الفراء : جمع الحناء : حنّان - بالكسر - يقال : حنّأت رأسي - مهموزاً - وحنّأت تخميناً وتخنة .

واليرثاء - بضم التحتية وفتح الراء ممدودة - يقال : يرثأ ، أي صبغ باليرثاء ؛ وهو الحناء ، وهو نبت كالسدر ببلاد العرب - بالعين المهملة - وهو كثير معروف ببلاد مصر وغيرها ، ورقه شبيه بورق الآس ، يؤخذ في كل عام مرتين ، وأصله يسمى البلند - كسمند - ونوره أبيض . وإذا أطلقت الفاغية ، فالمراد زهره ، والحناء ، فورقه ، وليس لعيذانه نفع . وأجوده الخالص الحديث ، وتبطل قوته بعد أربع سنين . ولا يمكن سحقه بدون الرمل ، فينبغي ترويقه عند استعماله ، وليس في الخضبات أكثر سراناً منه ؛ إذا خضبت به الرجل أو اليد اشتدت حمرة البول بعد عشرة درج ، فبذلك يطرد الحرارة ، ويفتح السدد ، وهو يصلح الشعر خصوصاً بالكسفرة ^(١) والزفت .

فائدة : نقل الامام ابن القيم في «الهدى» وابن مفلح في «الآداب الكبري» وسبط ابن الموصفي في «الروضة الفناء في منافع الحناء» وغيرهم : ان الحناء إذا خضب به أسفل الرجلين أول خروج الجدري ؛ أمن على الميتين منه . وقال داود الانطاكي في «تذكرته في الطب» : إن الحناء إذا جمل بماء الورد ويسير المصفر والزعفران ، ولطخ به أسفل الرجلين عند مبادئ الجدري ؛ حفظ العين منه . (والكنم) بفتح الكاف والتاء المشددة ، والمشهور التخفيف كما في «نهاية ابن الأثير» - وهو : نبت يخلط مع الوسمه ويصبغ به الشعر ، وقيل : هو الوسمه .

(١) كذا في الاصل وفي «القاموس» : الكزبرة : من الابازير ، والكسبرة : نبات الجلبان .

قال في « النهاية » : ويشبه أن يقال : استعمال الكم مفرداً من الحناء ، قال : لأن الحناء إذا خضب به مع الكم جاء أسود ، وقد صح النهي عن السواد . قال : فعمل الحديث بالحناء أو الكم على التخيير ، ولكن الروايات على اختلافها بالحناء والكم . انتهى .

وفي « القاموس » : الكم محرّكة - والكتمان - بالضم - نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، فيبقى لونه . قال : وأصله إذا طبخ بالماء كان منه مداداً للكتابة . وفي « لغة الاقناع » ، للشيخ موسى الحجاوي : الكم - بفتحين - نبت فيه حمرة : يخلط بالوسمة ويخضب به للسواد ، وقد قيل : هو الوسمة . وفي « كتب الطب » : انه نبات الجبال ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقاً ، وله عمر قدر الفلفل ويسود إذا نصح ، وقد يتصر منه دهن يستصبح به في البوادي . انتهى . في هذا ما يدل على خلاف ما في « النهاية » ، كما هو مشاهد معلوم ؛ فالصديق الأعظم كان يخضب بالحناء والكم معاً . قال في « الفتح » : والكم نبات باليمن يخرج الصبغ ، أسود يميل الى الحمرة ، وصبغ الحناء أحمر ، فالصبغ بهما معاً يخرج بين السواد والحمرة . انتهى .

(وخضب) أمير المؤمنين (عمر) بن الخطاب رضي الله عنه (بالحناء) وحده من غير كم . وفي « صحيح مسلم » من حديث أنس رضي الله عنه قال : اختضب أبو بكر بالحناء والكم ، واختضب عمر بالحناء بمحنا ، قال في « الفتح » قوله : بمحنا - بموحدة مفتوحة وحاء مهيّلة ساكنة بعدها مثناة - أي صرفاً . فهذا يشعر بأن أبا بكر كان يجمع بين الحناء والكم دائماً .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس أيضاً قال : قدم النبي ﷺ المدينة وليس في أصحابه أشمط غير أبي بكر ، فظفها بالحناء والكم . زاد في حديث آخر : حتى قنأونها . وقال فيه : فكان أنس أصحابه أبو بكر

قوله: أشمط: أي شمره بياض وسواد، وثوب أشمط: ملون بالبياض والسواد. وقول أنس في الحديث الذي تقدم آنفاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، يعني النبي صلى الله عليه وسلم، أي لفعلت. المراد بالشمطات: الشعرات التي ظهر فيهن البياض، فكان الشعر البياض مع ما يجاورها من شعرة سوداء ثوب أشمط.

وقوله: حتى قنا لونها، أي احمر. يقال: قنا لونها يقنوا قنوا وهو أحمر قانيء، قال في «القاموس»: صوابه بالهمز، ووم الجوهري في جملة إياه من المقصور. يقال: قنا - كمنع - قنوا، اشتدت حرته.

تنبيهان

الأول: اختلف العلماء في خضابه ﷺ وعدمه؛ باختلاف الأحاديث الواردة عن الصحابة رضي الله عنهم؛ وفي «الصحاحين»، عن أنس رضي الله عنه وقد سأله ابن سيرين أخضب النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: لم يبلغ من الشيب إلا قليلاً. وفي رواية: لم يبلغ ما يخضب. وفي لفظ عند الترمذي في «المنازل»: لم يبلغ ذلك إنما كان شيباً. وفي لفظ: شيئاً، أي يسيراً في صدغيه. وفي لفظ في «الصحاحين»، من حديثه أيضاً: لو شئت أن أعد شمطات لحيته، أي لفعلت، أو لمددتها. زاد مسلم: ولم يخضب ﷺ. وفي «البخاري ومسلم»، أيضاً، عن أنس أيضاً رضي الله عنه قال: يكره أن ينتف الرجل الشعرة البيضاء من رأسه ولحيته. قال: ولم يخضب رسول الله ﷺ؛ إنما كان البياض في عنقه، وفي الصدغين، وفي الرأس نبذ^(١).

ولم يذكر البخاري المنفقة من حديث أنس، ولا النبذ. وفي «مسلم» عن أنس أيضاً: وسئل عن شيب رسول الله ﷺ، قال: ما شأنه الله ببيضاء؛ المنفي البياض المؤدي إلى الشين: المستفاد من قوله: ما شأنه الله، أي بلحية بيضاء ونحوه، أي لم يغير شيبه شيئاً من حسنه. وفي لفظ: ما شأنه الشيب. وفي آخر: بالشيب.

(١) أي شيء يسير من الشيب.

فهذه الاخبار تدل صريحاً وظاهراً ومفهوماً على أنه ﷺ لم يخضب . وروى الترمذي في « الشائل النبوية » من حديث أبي رمنة رضي الله عنه : ورأيت الشيب - أي من لحية رسول الله ﷺ - أحمر . فيحتمل ان احمراره لقربه من البياض ؛ فان الشعر اذا قرب شيبه ضرب الى الحمرة ، أو بسبب الخضاب ، وهو المناسب للذكره في باب الخضاب . قال الترمذي : هذا أحسن شيء روي في هذا الباب ، وأفسر ، أي أكشف وأبين ، لأن الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ لم يبلغ الشيب انتهى كلام الترمذي . وروي في « الشائل » أيضاً : سئل أبو هريرة رضي الله عنه : هل خضب رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم . قال الترمذي : وروى أبو عوانة عن أم سلمة - قلت : وكان الترمذي أشار بهذا الى ما في « الصحيحين » ، وغيرهما من حديث عبد الله بن موهب - قال : « دخلت على أم سلمة رضي الله عنها ، فأخرجت شعراً من شعر رسول الله ﷺ مخضوباً » . هذا لفظ البخاري . وزاد ابن ماجة والامام أحمد : بالحناء والكم . وفي رواية : كان مع أم سلمة من شعر لحية النبي ﷺ مخضوباً . وفي لفظ : إن أم سلمة أرته شعر رسول الله ﷺ أحمر . وهو في « الصحيحين » ، وغيرهما . عن عثمان بن عبد الله ابن موهب قال : أرسلني أهلي الى أم سلمة بقدر من ماء فيه شعر من شعر النبي ﷺ وكان اذا أصاب الانسان عين أو شيء ، بثر اليها الخضبة ، يعني إناء من الأواني . قال : فاطلمت في الجملجل - أي بجميعين مضمومتين بينهما لام وآخره أخرى : شبيء شبه الجرس - قال : فرأيت شعرات حمراً . وفي رواية : مخضوباً . قال الاسماعيلي : ليس في هذا أن النبي ﷺ هو الذي خضبه ؛ بل يحتمل أن يكون احمر بعمده لما خالطه من طيب فيه صفرة ، فغلبت به الصفرة . قال : فان كان كذلك ، وإلا فعديث أنس أن النبي ﷺ لم يخضب أصح . كذا قال . والذي أبداه احتمالاً ؛ رواه مسلم موصولاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه : بأن شعر النبي صلى الله عليه وسلم إنما احمر من الطيب .

قال في « الفتح » : وكثير من الشعور التي تنفصل عن الجسد ، اذا طال
 الهد يؤول سوادها الى الحمرة . وما جنح الاسماعيلي اليه من الترجيع خلاف
 ما جمع به الطبري ، وحاصله : ان من جزم بأنه خضب ، كما في ظاهر حديث أم سلمة
 وحديث ابن عمر رضي الله عنهما أنه خضب بالصفرة ، وحديث أبي هريرة المتقدم ،
 وكذا ما رواه الترمذي في « الشائل » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه
 أنه قال : رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوباً . حكى ما شاهدته ،
 وكان ذلك في بعض الاحيان ، ومن نفى ذلك - كأنس فيما تقدم - فهو محمول على
 الأكثر الأغلب من حاله صلى الله عليه وسلم .

وقد أخرج الامام أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي من حديث جابر
 ابن سمرة رضي الله عنه قال : ما كان في رأس النبي صلى الله عليه وسلم ولحيته من
 الشيب إلا شمرات ، كان إذا ادهن واراهن الدهن . قال في « الفتح » : فيحتمل
 أن يكون الذين أثبتوا الخضب شاهدوا الشعر الابيض ، ثم لما اراه الدهن
 ظنوا انه خضبه . ولا يخفى أن رواية « الشائل » عن أنس أنه رأى شعر النبي
 صلى الله عليه وسلم مخضوباً ، تخالف بظاهرها ما في « الصحيحين » وغيرها .
 وما تقدمه في « الشائل » بأنه صلى الله عليه وسلم لم يخضب ، فلما أن يحكم بشذوذها
 أو تحمل على ما رواه الدار قطني في : « رجال مالك وغيرائه » من حديث أبي هريرة
 رضي الله عنه أنه قال : لما مات النبي صلى الله عليه وسلم ، خضب من كان عنده
 شيء من شعره ليكون أبقى لها . فيحمل على أن شعراته المطهرة كانت عند
 أبي طلحة ، أو أم أنس أم سليم رضي الله عنهم ، خضبها أبو طلحة أو زوجته ،
 فرآه أنس كذلك ، هذا ، وقد أنكر الامام احمد رضي الله عنه إنكار أنس
 رضي الله عنه انه خضب ، وذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند أبي داود
 والنسائي : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلبس النعال السبئية ، ويصفر

لحيته بالورس والزعفران . قال نافع : وكان ابن عمر يفعل ذلك . قال ابن مفلح :
حديث حسن . وقال أبو مالك الأشجعي عن أبيه : كان خضابنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالورس والزعفران . رواه الامام احمد .

وروى الامام أحمد من حديث أبي رمثة رضي الله عنه قال : كان النبي
صلى الله عليه وسلم يخضب بالحناء والكم ، وكان شعره يبلغ كتفيه أو منكبيه .
وفي لفظ للامام احمد والنسائي وأبي داود : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم مع
أبي وله لمة بها ردع من حناء ، قوله : ردع — بالمعين المهملة — أي لطخ ، يقال :
به ردع من دم أو زعفران ، كذا في « منتقى الأحكام » للامام مجد الدين بن تيمية .
وفي رواية ذكرها الترمذي في « الثمائل » : ردغ — بفتح الراء وسكون
الدال المهملة فعين معجمة — وفي « القاموس » : إنه جمع ردغة — بالتحريك أو
التسكين — وهو الوحل الشديد . وروي : ردع — بالمهملة — قال القاري في
« شرح الثمائل » : هو لطخ من الزعفران أو أثر الطيب ، كما في « القاموس » .
وقال جماعة : هو بالمهملة الصنع ، وبالمعجمة الطيب الكثير . قال : وفي بعض نسخ
« الثمائل » المصححة : من حناء — بالمد — . والشك الواقع في « الثمائل » بين
المعجمة والمهملة ، من إبراهيم بن هارون شيخ الترمذي ، ووافق الامام مالك
أنساً في إنكار الخضاب .

قال الامام النووي : واختار انه ﷺ خضب في وقت ؛ لما دلت عليه
الاحاديث ولا يمكن تركها ولا تأويلها ، وتركه ﷺ في معظم الاوقات ؛ فأخبر
كل بما رأى وهو صادق .

الثاني : اختلف أهل العلم سلفاً وخلفاً في الخضاب ، هل هو مسنون
مندوب اليه ، أولا ؟

قال علماؤنا : يسن خضاب الشيب بالحناء والكم ، ولا بأس بورس

وزعفران ، ويكره بسواد . فان حصل بالخصاب تدليس في بيع أو نكاح ؛ حرم .
 قال في « الفروع » : ويختضب . ونقل ابن هاني عن الامام أحمد : كأنه فرض .
 وقال الامام أحمد : اختضب ولو مره ، وقال : ما أحب لأحد إلا أن يغير
 الشيب ، ولا يتشبه بأهل الكتاب . وقال الامام المجد في « المحرر » ، وغيره :
 خصابه بغير سواد من حمرة وصفرة سنة ، نص عليه الامام أحمد وفقاً للامام
 الشافعي . ويكره بسواد وفقاً ، نص عليه . وفي « المستوعب » ، للسامري ،
 و « الثنية » للشيخ عبد القادر ، و « التلخيص » ، وغيرها : في غير حرب ، ولا
 يحرم . وظاهر كلام أبي المالي : يحرم ، وهو متجه ، وللشافعية خلاف .

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : من العلماء من رخص
 في الخضب بالسواد في الجهاد ، ومنهم من رخص فيه مطلقاً ، قال : والأولى
 كراهته ، وجنح النووي الى أنها كراهية تحريم ، قال : وقد رخص فيه
 طائفة من السلف ، منهم : سعد بن أبي وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ،
 وجريز ، وغير واحد من الصحابة رضي الله عنهم ، واختاره ابن أبي عاصم في
 كتاب « الخضب » له . قلت : وكذا الحافظ ابن الجوزي . وأجاب ابن أبي عاصم
 عن حديث ابن عباس - رحمه : « يكون قوم يخصبون بالسواد كحواصل الحمام ،
 لا يجدون ريح الجنة ، وفي لفظ : « لا يريحون رائحة الجنة » ، رواه أبو داود ،
 والنسائي ، وابن حبان في « صحيحه » ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد . قال
 في « الآداب » ، اسناده جيد - بأنه لادلالة فيه على كراهة الخضب بالسواد ، بل
 فيه الاخبار عن قوم هذه صفتهم . وعن حديث جابر : وجنبوه السواد . بأنه
 في حق من صار شيب رأسه مستشئنا ، ولا يطرد ذلك في حق كل أحد .
 انتهى .

قال في « الفتح » : ويشهد لما قاله ابن أبي عاصم ، ما أخرجه عن ابن شهاب

أنه قال : كنا نخضب بالسواد إذ كان الوجه جديداً ، فلما نفض الوجه والاسنان تركناه . قوله : نفض . أي تغير ، ومنه حديث عثمان : سلس بولي ونفضت أسناني . أي قلقت وتحركت . وأصل النفض الحركة ، يقال : نفض رأسه ، إذا تحرك ، وأنفضه ، إذا حركه .

ومن العلماء من فرّق في ذلك بين الرجل والمرأة ؛ فأجازها لها دون الرجل ، واختاره الحلبي من الشافعية . وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقون » . وللإمام أحمد بسند حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على مشيخة من الانصار بيض لحام ، فقال : « يا معشر الانصار ! حمّروا أو صفّروا وخالفوا أهل الكتاب » . وأخرج الطبراني في « الأوسط » نحوه من حديث أنس . وفي « كبير الطبراني » من حديث عتبة ابن عبد الله رضي الله عنه : كان رسول الله ﷺ يأمر بتغيير الشعر مخالفة للاعاجم . وفي « النسائي » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما رفته : « غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود » ورجاله ثقات ، وأخرجه الطبراني في « الأوسط » من حديث عائشة ، وزاد : « والنصارى » وروى الإمام أحمد وأصحاب « السنن » من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أحسن ما غيرتم به الشيب الحناء والكتم » وقد قيل للإمام أحمد رضي الله عنه : ما نستحي نخضب فقال : سبحان الله ! سنة رسول الله ﷺ ، وإني لأرى الشيخ المخصوب فأفرح به . وفي « الفتح » للحافظ ابن حجر : نقل عن الإمام أحمد أنه - أي الخضب - يجب . وغنه : يجب ولو مرة . وعنه : لا أحب لأحد أن يترك الخضب ويتشبه بأهل الكتاب . انتهى . والله أعلم .

الحديث الثالث والعشرون

٦٨ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس عن النبي ﷺ قال : إذا سقطت لقمةٌ أحدكم ، فليأخذها فليمسح ما بها من الأذى ، ولا يدعها للشيطان .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (عن النبي ﷺ) أنه (قال : إذا سقطت لقمة أحدكم) معشر الأمة (فليأخذها) من الموضع الذي سقطت اللقمة فيه ؛ إذا لم تقع على موضع نجس ؛ فإنها تنجس إذا كان ثم رطوبة ، وحينئذ لا بد من غسلها . بما يزيل النجاسة عنها ، إن أمكن . فإن تعذر ؛ أطعمها نحو هرة (فليمسح) - بفتح الفاء ، وسكون اللام ، وفتح الياء المثناة من تحت فيم ساكنه - من مسح . وفي رواية : فليُمسح - بضم الياء - أي ينحى (ما) را (بها) أي بتلك اللقمة (من الأذى) من نحو تراب ، وليأكلها (ولا يدعها) أي يتركها (للشيطان) كأنه لما تركها أطاع الشيطان في ذلك ، وأضاع نعمة الله .

والقصد بذلك ؛ ذم حال التارك ، وتنبيهه على تحصيل نقيض غرض الشيطان واستحقاقه . والحديث رواه الامام أحمد ، ومسلم ، والنسائي ، وابن ماجة ، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، وزاد فيه : « ولا يمسح يده بالتمديد ، حتى يلمعها أو يلمعها ؛ فإنه لا يدري في أي طعامه البركة » ، قوله : يلمعها الاولى - بفتح المثناة التحتية - من لَمَعَ ، والثانية - بضمها - من أَلَمَقَ ، أي يلمعها غيره . وزاد فيه النسائي من هذا الوجه : « ولا يرفع الصفحة حتى يلمعها أو يلمعها » .

والامام أحمد من حديث ابن عمر نحوه بسند صحيح . ولمسلم نحوه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، لكن رواه عن محمد بن حاتم وأبي بكر بن نافع العبدى ، قالوا : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، ثنا ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان إذا أكل طعاماً لعق أصابعه الثلاث . قال : وقال : « إذا سقطت لقمة أحدكم فليبط عنها الأذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان » . وأمرنا أن نسلت^(١) القصصة ؛ قال : « فانكم لا تدرون في أي طعامكم البركة » ، وأخرجه مسلم أيضاً بنحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال ابن دقيق العيد : جاءت علة هذا - أي أخذ اللقمة وعدم تركها للشيطان - مبنية في بعض الروايات : انه لا يدري في أي طعامه البركة . وقال عياض : إنما أمر بذلك لئلا يتهاون بقليل الطعام . قال النووي : معنى قوله : في أي طعامه البركة . أن الطعام الذي يحضر الانسان فيه بركة ، لا يدري أن تلك البركة فيما أكل ، أو فيما بقي على أصابعه ، أو فيما بقي في أسفل القصصة ، أو في اللقمة الساقطة ؛ فينبغي أن يحافظ على هذا كله ، لتحصيل البركة . وقد وقع عند مسلم في رواية أبي سفيان عن جابر في أول الحديث : « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه ، حتى يحضره عند طعامه . فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليبط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان » .

(قوله) في حديث مسلم : وأمرنا أن نسلت القصصة . قال الخطابي : السلت : تتبع ما يبق في القصصة ، وهي الصفحة ، والمراد الاناء الذي فيه الطعام . قال النووي : والمراد بالبركة ما يحصل به التغذية ، وتسلم عاقبته من الأذى ، ويقوي على الطاعة ، والطمع عند الله . وفي الحديث : المحافظة على عدم إهمال شيء من فضل الله ، كالأكل والمشروب وإن كان تافهاً حقيراً في المرف . وفي « حديث مسلم » رد على من كره لعق الأصابع استقذاراً . نعم ،

(١) أي نسح .

يُحصل ذلك لو فعله في أثناء الأكل ، لأنه يمسد أصابعه في الطعام وعليها أثر ريقه .
قال الخطابي : غاب قوم أفسد عقلم الترفه ، فزعموا أن لقم الاصابع مستقيم ،
كانهم لم يملوا أن الطعام الذي لقم بالاصابع أو المصحفة جزء من أجزاء
ما أكلوه ، وإذا لم يكن سائر أجزائه مستقذراً ؛ لم يكن الجزء اليسير منه
مستقذراً ، وليس في ذلك أكثر من مصبه أصابعه بباطن شفتيه . ولا يشك عاقل
في : أن لا بأس بذلك ؛ فقد يعضض الانسان فيدخل أصبعه فيه ، فذلك أسنانه
وباطن فيه ، ثم لم يقل أحد : ان ذلك قذارة أو سوء أدب . وقال ابن القيم في
« الهدي » : كان النبي ﷺ إذا فرغ من طعامه لقم أصابعه ، ولم تكن لهم
متاديل يمسحون بها أيديهم . قال : ولم تكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا .
قال : ولا عبرة بكراهة الجبال للقم الاصابع استقذاراً . نعم ، لو كان
ذلك في أثناء الأكل فينبغي اجتنابه ، لأنه يمسد أصابعه ، وعليها أثر ريقه . انتهى .
فائدة : وقع في حديث كعب بن عجرة عند الطبراني في « الأوسط »
صفة لقم الاصابع ، ولفظه : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه
الثلاث : بالابهام ، والتي تليها ، والوسطى . ثم رأيت يلمق أصابعه الثلاث قبل أن
يمسحها : الوسطى ، ثم التي تليها ، ثم الابهام . قال الزين العراقي في « شرح
الترمذي » : كان السر فيه أن الوسطى أكثر تلويثاً ؛ لأنها أطول ، فيبقى فيها
من الطعام أكثر من غيرها ، ولأنها لطولها أول ما ينزل في الطعام . ويحتمل أن
الذي يلمق يكون بطن كفه الى جهة وجهه ؛ فإذا ابتدأ بالوسطى انتقل الى
السبابة على جهة يمينه ، وكذلك الابهام . انتهى . وفي هذا الأخير تأمل لا يخفى .
تمة : روى ابن ماجة في « سننه » والحكيم الترمذي عن أم المؤمنين
عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول الله ﷺ البيت ، فرأى
كسرة ملقاة ، فأخذها فمسحها ، ثم أكلها وقال : « يا عائشة ! أحسنى جوار نعم
الله فانها ما نفرت عن قوم فمادت إليهم » .

الحديث الرابع والعشرون

٦٩ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال :
حجم أبو طيبة رسول الله ﷺ ، وأعطاه صاعاً من طعام ،
وكلم أهله فخفضوا عنه .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل
(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : حجم أبو طيبة) - بفتح الطاء ،
وسكون الياء التحتية ، وبالباء الموحدة - اسمه نافع الحجام مولى محبصة -
بضم الميم ، وفتح الحاء المهملة ، وتشديد الياء التحتية مسكورة ، فصاد مهملة -
ابن مسعود الأنصاري ، صحابي معروف . وقيل : اسمه دينار ، وقيل : ميسرة ،
(رسول الله ﷺ) - بالنصب مفعول حجم - وفي رواية في « الصحيحين » ،
عن أنس : أنه سئل عن أجر الحجام فقال : احتجم رسول الله ﷺ ، حجمه
أبو طيبة (وأعطاه) رسول الله ﷺ (صاعاً) . وفي « الصحيحين » : فأمر له
بصاعين (من طعام) ، وفي بعض طرق البخاري : بصاع . وفيها عن أنس
رضي الله عنه قال : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حجاماً ، فحجمه ، فأمر له
بصاع ، أو مد ، أو مدين ، والمراد بالطعام في هذا الحديث : التمر .

والحجامة - بالكسر - مشتقة من الحجم وهو المص ، والحجام : المصاص ،
والحجم والمهجمة - بكسر الميم - الآلة التي يحجم بها ، والحجامة - ككتابة -
الحرفة .

وقد احتجم ﷺ مراراً ، وكان اخلاف الروايات في القدر المدفوع للحجام بحسب تعدد الحجامه ؛ فتارة كان يأمر له بصاعين ، وأخرى بصاع ، وأخرى بمد ، وأخرى بمدين ، بحسب مقتضى الحال . وعند البخاري من طريق شعبة عن حميد : فأمر له بصاع ، أو صاعين ، أو مدين . قال في « الفتح » : الشك من شعبة . وأخرج البخاري أيضاً من طريق مالك عن حميد بلفظ : فأمر له بصاع من تمر ، ولم يشك ، وأفاد تعيين ما في الصاع من الطعام .

(وكلم) ﷺ (أهله) أي مواليه ، كما في رواية البخاري . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : مواليه : بنو حارثة على الصحيح ، ومولاه منهم محبصة ابن مسعود . وإنما جمع الموالي وكذا الأهل مجازاً ، كما يقال : بنو فلان قتلوا رجلاً ، ويكون القاتل منهم واحداً ، مع أنه لا يبعد أن يكون مشتركاً بين جماعة ، أو المراد مولاه وأتباعه . (خففوا عنه) من خراجه - بفتح الخاء المعجمة - وهو ما يوظف على المملوك كل يوم ، وكان مقداره صاعين أو ثلاثة .

ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند الترمذي في « الثمائل » : أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا حجاًماً - أي وهو أبو طيبة - فحجمه ، فسأله ﷺ : « كم خراجك » ؟ فقال : ثلاثة أصع ، فوضع عنه صاعاً ، وأعطاه أجره . وفي رواية قال : صاعان . قال في « شرح الثمائل » : وهذا هو السبب في الشك الماضي في قدر المدفوع . قال في « الفتح » : في حديث ابن عمر عند شيبان : خراجه كان ثلاثة أصع ، وكذا لا بُدَّ من يعلو عن جابر . فإن صح ؛ جمع بينها بأنه كان صاعين وزيادة ، فمن قال : صاعين ؛ النقص الكسر ، ومن قال : ثلاثة ؛ جبره .

نمات

في حديث أنس المذكور الأولى : زيادة على ما هنا : وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أفضل ما تدأوتم به الحجامه ، أو هو من أمثل دوائكم » . انتهى . وفي « موطأ » ، مالك : بلغه أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان دواء يبلغ الداء ؛

فإن الحجامة تبلغه . وروى أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « إن كان في شيء مما تداوئتم به خير فالحجامة . » وأخرج النسائي من حديث أنس : « خير ما تداوئتم به الحجامة . » ومن طريق معمر عن حميد بلفظ : « أفضل . »

قال في « الفتح » : قال أهل المعرفة : الخطأ بذلك لأهل الحجاز ؛ ومن في معنهم من أهل البلاد الحارة ؛ لأن دماء رقيقة ، وتميل إلى ظاهر الأبدان ؛ لجذب الحرارة الخارجة لها إلى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أن الخطأ أيضاً لغير الشيوخ ؛ لقلة الحرارة في أبدانهم . وأخرج الطبري بسند صحيح عن ابن سيرين ، قال : إذا بلغ الرجل أربعين سنة لم يحتجم . قال : وذلك أنه يصير من حيثئذ في انتقاص من عمره ، وانحلال من قوى جسده ، فلا ينبغي أن يزيده وهنا بإخراج الدم . انتهى . قال في « الفتح » : وهو محمول على من لم تميم حاجته إليه ، وعلى من لم يمتده ، قال ابن سينا في « أرجوزته » :

ومن يكن تعود الفصادة فلا يكن يقطع تلك المادة

ثم أشار إلى أنه يقلل ذلك بالتدريج إلى أن يتقطع حكمه في عشر الثمانين . انتهى . وفي « شرح الشامل للقاري » ، قال : وفصل بعض أهل الفضل هنا تفصيلاً فقال : إنما واظب النبي ﷺ على الاحتجام ، وأمر به وبين فضله ، ولم يفتصد ولم يأمر به ، مع أن التلفد ركن عظيم في حفظ الصحة الموجودة ، ورد الصحة المفقودة ؛ لأن مزاج بلده يقتضي ذلك ؛ من حيث أن البلاد الحارة تغير المزاج تغيراً عجيباً ، كبلاد الزنج والحبشة ؛ فإنها في غاية الحرارة ، فلها تسخن المزاج وتجففه ، وتحرق سائر البدن . وبهذه الالة تجعل الوان أهلها سوداء ، وشعورهم إلى الجمودة ، وتدقق أسافل أبدانهم ، وتطيل وجوههم ، وتكبر أنوفهم ، وتحفظ

أعينهم ، أي تخرج مقلة العين ، أو تعظمها ، كما القاموس . فيخرج مراج
أدمغتهم عن الاعتدال ، فتظهر أفعال النفس الناطقة فيهم من الفرح والطرب
وصفاء الأصوات ، والغالب عليهم البلادة لفساد أدمغتهم . قال : وفي مقابلة هذه
البلاد في المزاج بلاد الترك فإنها باردة رطبة ، تبرد المزاج وترطبه ، وتجعل ظاهر
البدن حاراً شديد الاتهاب ؛ لأن الحرارة تميل من ظاهر البدن الى الباطن هرباً
من ضدها التي هي برودة الهواء ، كالحال في زمن الشتاء ، فان الحرارة الفريزية
تميل الى باطن البدن لبرودة الهواء ، فتجود بذلك الهضم ، وتقل الأمراض ،
ولهذه العلة قال بقراط : الأجواف في الشتاء أسخن ماتكون بالطبع ، والنوم
أطول مايكون . وقال أيضاً : أسهل مايكون لإحمال الطعام على الأبدان في الشتاء ،
فهذا صار الغذاء الغليظ يسهل انهضامه ، كالهريس ، واللحوم الغلاظ ، والخبز
القطير ، وهذه كلها في الصيف على عكس ما ذكر في الشتاء ، لأن الحار الفريزي
المصحح للغذاء مائل الى ظاهر البدن بالمجانسة ميل الجنس الى الجنس ؛ فلذلك
يفسد الهضم ، وتكثر الامراض . والقصد من هذا أن بلاد الحجاز لما كانت حارة
يابسة ، فالحرارة الفريزية بالضرورة تميل الى ظاهر البدن بالمناسبة التي بين مزاجها
ومزاج الهواء المحيط بالأبدان ، فتبرد بواطن الأبدان ، وبهذا السبب يدمنون
أكل المسل والتمر واللحوم في حرارة القيظ ، ولا يضرهم لبرد أجوافهم ،
وكثرة التحلل . وإذا كانت الحرارة مائلة من باطن البدن الى ظاهره ، لم يمتل
البدن الى الفصد ، لأنه إنما يجذب الدم من أعماق المروق وبواطن الأعضاء ،
وإنما تمس الحاجة الى الاحتجام ، لأن الحجمة تجذب الدم من ظاهر البدن
فحسب . فافهم هذه الدقيقة التي أشار اليها صاحب الشرع عليه السلام بنور النبوة .
وقال الموفق البغدادي الطبيب : الحجمة : تنقي سطح البدن أكثر من الفصد ،
والفصد لأعماق البدن ، والحجمة للصبيان والبلاد الحارة أولى من الفصد ، وآمن

غائلة . ولهذا وردت الاحاديث بذكر هادون الفصد ، ولأن العرب غالباً ما كانت تعرف إلا الحجامة .

وقال الامام المحقق في « الهدي » : التحقيق في أمر الفصد والحجامة أنها يختلفان باختلاف الزمان والمكان والمزاج ؛ فالحجامة في الازمان الحارة والاماكن الحارة التي دم أصحابها في غاية النضج أنفع ، والفصد بالعكس ، ولهذا كانت الحجامة أنفع للصبيان ، ولين لايقوى على الفصد . ولهذا قال فقهاؤنا : الحجامة أنفع من الفصد في بلد حار ، وما في معنى الحجامة ، كالتشريط ، والفصد بالعكس والله أعلم .

الثانية : متى تكون الحجامة ؟

قال علماؤنا : كره الامام أحمد رضي الله عنه الحجامة يوم السبت والاربعاء ، وتوقف في الجمعة ، نقله حرب وأبو طالب . قال في « الفروع » : وفيه خبر متكلم فيه . انتهى . والخبر الذي أشار اليه هو حديث ابن عمر رضي الله عنهما عند ابن ماجة رفعه في أثناء حديث ، وفيه : « فاحتجموا على بركة الله تعالى يوم الخميس ، واحتجموا يوم الاثنين والثلاثاء ، واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء والجمعة والسبت والاحد » . أخرجه من طريقين ضعيفين ، وله طريق ثالثة ضعيفة أيضاً عند الدارقطني في « الافراد » ، وأخرجه بسند جيد عن ابن عمر موقوفاً ، قاله في « الفتح » . وقال : نقل الخلال عن الامام أحمد انه كره الحجامة في الايام المذكورة ، وإن كان الحديث لم يثبت ، وحكي أن رجلاً احتجم يوم الاربعاء فأصابه برص لكونه تهاون بالحديث .

وأخرج أبو داود من حديث أبي بكر رضي الله عنه أنه كان يكره الحجامة يوم الثلاثاء ، وقال : إن رسول الله ﷺ قال : « يوم الثلاثاء يوم الدم » ، وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم . وورد في عدد من الشهر أحاديث : منها ما أخرجه

أبو داود من حديث أبي هريرة رفعه : « من احتجم لسبع عشرة ، وتسع عشرة ، وإحدى وعشرين ، كان شفاءً من كل داء » وهو من رواية سميد بن عبد الرحمن الجمحي عن سهيل بن أبي صالح ؛ وسميد وثقه الأكثر ؛ وإينه بعضهم من قبل حفظه ؛ وله شاهد من حديث ابن عباس رضي الله عنها عند الامام أحمد والترمذي ، ورجاله ثقات ، لكنه معلول . وشاهد آخر من حديث أنس عند ابن ماجه ، وسنده ضعيف . وهو عند الترمذي من وجه آخر عن أنس ؛ لكن من فضله صلى الله عليه وسلم .

قال في « الفتح » : ولكون هذه لم يصح منها شيء ؛ قال حنبل بن إسحاق : كان الامام أحمد محتجم ؛ أي وقت حاج به الدم ؛ وأي ساعة كانت . وعند الأطباء إن أنفع الحجامة ما يقع في الساعة الثانية أو الثالثة ، وأن لا يقع عقب استفراغ من حمام ، أو جماع أو غيرهما ، ولا عقب شبع ولا جوع ، قال في « الفتح » : وقد اتفق الأطباء على أن الحجامة في النصف الثاني من الشهر ، ثم في الربع الثالث من أرباعه ، أنفع من الحجامة في أوله وآخره . قال الموفق البغدادي : وذلك أن الأخلط في أول الشهر وفي آخره تسكن ، فأولى ما يكون الاستفراغ في أثنائه .
الثالثة : في الموضع الذي محتجم الانسان فيه من البدن ؛ وقد احتجم صلى الله عليه وسلم في عدة مواضع من بدنه الشريف .

وقد ورد في فضل الحجامة في الرأس حديث ضعيف أخرجه ابن عدي من طريق عمر بن رباح ، عن عبد الله بن طاووس ، عن أبيه ، عن ابن عباس رضي الله عنها رفعه : « الحجامة في الرأس تنفع من سبع : من الجنون ، والجذام ، والبرص ، والناس ، والصداع ، ووجع الضرس ، والعين » . وعمر متروك ، رماء الفلاس وغيره بالكذب ؛ لكن قال الأطباء : إن الحجامة وسط الرأس نافعة جداً ، وثبت أنه ﷺ فعلها . وفي « الصحيحين » من حديث عبد الله بن يحيى رضي الله عنه أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم احتجم بـلَحْنِي جمل من طريق مكة وهو محرم في وسط رأسه قال البخاري ، وقال الانصاري : أخبرنا هشام بن حسان ، حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم في رأسه . قوله : بـلَحْنِي جمل من طريق مكة ، وقع في بعض الروايات بثنية لَحْنِي جمل ، وفي بعضها بالافراد ، واللام مفتوحة ، ويجوز كسرهما ، وفتح جيم جمل : اسم موضع بطريق مكة ، ذكره البغوي في « معجمه » في اسم العقيق وقال : هي بشر جمل التي وردت في حديث أبي جهم في التيمم . قال ابن وضاح وغيره : هي بقعة معروفة ، وهي عقبة الجحفة على سبعة أميال من السقيا ، وزعم بعضهم أن المراد بـلَحْنِي جمل : الآلة التي احتجم بها ، أي احتجم بمظلم جمل ، وهو وم ، والأول المعتمد .

وقوله : في وسط رأسه . وهو بفتح السين المهملة . ويجوز تسكينها ، أي متوسطه ، وهو ما فوق اليافوخ فيما بين أعلا القرنين . قال الليث : كانت هذه الحجامة في فأس الرأس ، وأما التي أعلاه فلا ؛ لأنها ربما أعمت . وأخرج ابن سعد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . أنه وضع يده على المكان الناقى من الرأس فوق اليافوخ فقال : هذا موضع يحجم رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي « شرح الشئبل للقاري » : روي في الحجامة في الحـل الذي إذا استلقى الانسان أصابته الارض من رأسه ، أنه صلى الله عليه وسلم قال : « إنها شفاء من سبعين داء » .

وقال ابن سينا : إن الحجامة في اقفا تورث النسيان حقاً . ونقله حديثاً ولفظه : « مؤخر الدماغ موضع الحفظ وتضعفه الحجامة » . قال بعض العلماء : إن ثبت هذا الحديث ؛ فهي إنما تضعفه إذا كانت لئير ضرورة ، أما لقلب الدم فهي نافعة طبياً وشرعاً ؛ فانه صلى الله عليه وسلم احتجم في عدة أماكن بحسب

الحاجة . وقد أخرج الامام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم ثلاثاً : واحدة على كاهله ، وثنتين على الأذنين . والكاهل - بكسر الهمزة - ما بين الكتفين ، وهو مقدم الظهر بما يلي العنق . والاختدان : عرقان في جانبي العنق .

وروى ابن ماجه عن علي رضوان الله عليه قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الاختدين والكاهل . وروى أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم احتجم في وركه .

قال أهل الطب : حجامة الاختدين تنفع من أمراض الرأس والوجه ؛ كالآذنين ، والميين ، والاسنان ، والانف ، والحلق ، وتنوب عن فصد العرق المسمى بالقيقال النافع من علل الرأس والرقبة إذا كثر الدم أو فسد . قالوا : والحجامة على الكاهل تنفع من وجع المنكب ، وتنوب عن فصد الباسليق النافع فصد من حرارة الكبد ، والطحال ، والرئة ، والشوصة ، وذات الجنب ، وسائر الامراض الدموية العارضة من أسفل الركبة الى الورك ، والله تعالى أعلم .

الحديث الخامس والعشرون

٧٠ - ثنا معتمر ، عن حميد ، عن أنس قال : كان رسول الله ﷺ من أتم الناس صلاة وأوجزم .

قال رضي الله عنه : (ثنا معتمر) بن سليمان التيمي (عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس) أي أتم الناس (صلاة وأوجزم) صلاة مع الاتمام

والإيجاز : الخفة مع الاقتصاد ، وكلام وجيز : أي خفيف مقتصد .
وفي « الصحيحين » من حديث مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه :
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوجز في الصلاة ويتم . وفي رواية عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أخف الناس صلاة في تمام . وعنه ، كما في
« مسلم » ، وغيره : ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ، ولا أتم صلاة من رسول
الله صلى الله عليه وسلم . وروى ابن أبي شيبه من طريق أبي مجاز ، قال : كانوا
أي الصحابة رضي الله عنهم ، يتمون ويوجزون ، ويبادرون الوسوسة . فبين
العلة في تخفيفهم ، وأما تخفيف النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن لهذه العلة ؛
لمصمته صلى الله عليه وسلم من الوسوسة ، بل كان تخفيفه لحدوث أمر يقتضيه ،
من بكاء صبي ، ومراعاة حال المأموم .

قال ابن دقيق العيد : التطويل والتخفيف من الأمور الإضافية ، فقد
يكون الشيء خفيفاً بالنسبة الى عادة قوم ، طويلاً بالنسبة لمادة آخرين .

قال في « الفتح » : وأولى ما أخذ حد التخفيف من الحديث الذي أخرجه
أبو داود ، والنسائي ، عن عثمان بن أبي الماص : أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال له : « أنت إمام قومك ، وأقدر القوم بأضعفهم » . إسناده حسن ، وأصله في
« مسلم » ، ولفظه عند مسلم : « أم قومك . فمن أم قوماً فليخفف ؛ فإن فيهم
الكبير ، وإن فيهم الضعيف ، وإن فيهم المريض ، وإن فيهم ذا الحاجة . وإذا صلى
أحدكم وحده فليصل كيف شاء » . وفي « مسلم » أيضاً ، عن عثمان بن أبي
الماص أيضاً رضي الله عنه قال : آخر ما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم
« إذا أمت قوماً فآخف بهم الصلاة » ، وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه : ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا أم أحدكم الناس فليخفف ؛
فإن فيهم الصغير والكبير ، والضعيف ، والمريض . وإذا صلى وحده فليصل كيف

« شاء » . زاد مسلم في رواية : « وذا الحاجة » وفي أخرى : « الضعيف والضعيف » ولم يقل البخاري الصغير . وفي « الصحيحين » عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : ما صليت خلف أحد أوجز صلاة من صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في تمام ، كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقاربة . زاد مسلم : وكانت صلاة أبي بكر متقاربة . فلما كان عمر بن الخطاب مد في صلاة الفجر . قال العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم : « إذا صلى أحدكم للناس فليخفف » وفي لفظ من حديث أبي هريرة مرفوعاً عند البخاري ومسلم وغيرهما : « إذا أم أحدكم الناس فليخفف » أي على المأمومين ؛ فلا يطيل القيام لطول القراءة ، بل يخفف القراءة والاذكار ، بحيث لا يقتصر على الأقل ، ولا يستوفي الاكمل المستحب للمنفرد ؛ من طوال المفصل وأوساطه ، وأذكار الركوع والسجود .

وقال الكرماني في « شرح البخاري » : التخفيف هو بحيث لا يفوته شيء من الواجبات ، كذا قال . وفي « الفروع » عن شيخ الاسلام ابن تيمية : ليس للامام ان يزيد على القدر المشروع ، وينبغي أن يفعل غالباً ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله غالباً ، ويزيد وينقص للمصلحة ، كما كان صلى الله عليه وسلم يزيد وينقص أحياناً . انتهى .

وربما كان صلى الله عليه وسلم يطيل الصلاة جداً ، كما في « صحيح مسلم » عن قرعة ، قال : أتيت أبا سعيد الخدري وهو مكثور^(١) عليه . فلما تفرق الناس عنه . قلت : إني لا أسألك عما سألك هؤلاء عنه ، أسألك عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : مالك في ذلك من خير ! فأعادها عليه ؛ فقال : كانت صلاة الظهر تقام ، فينتقل أحدنا الى البقيع فيقضي حاجته ، فيتوضأ ثم يرجع الى المسجد . ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الركعة الاولى .

(١) المكثور : الخلوب ، أو الذي كثر عليه الناس قهروه .

الحديث السادس والعشرون

٧١ - ثنا عباد بن عباد ، وغسان بن مضر ، عن سعيد بن يزيد بن مسلمة قال : قلت لأنس ابن مالك : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ؟ قال : نعم .

قال رضي الله عنه : (ثنا عباد بن عباد) بن حبيب بن الملب الأزدي أبو معاوية البصري .

روى عن أبي حمزة الضبيعي ، وهشام بن عروة ، وعاصم الأحول ، وسعيد بن يزيد ، وطائفة .

وروى عنه الامام احمد ، وقتيبة ، ومسلم ، ومسدد ، ويحيى بن معين ، وجماعة ، آخرهم ابن عرفة .

قال الامام أحمد : ليس به بأس ، وكان رجلاً عاقلاً أديباً . قال ابن سعد : كان معروفاً بالطلب ، حسن الهيئة ، ولم يكن بالقوي في الحديث . وقال يحيى بن معين : ثقة ، واحتج به جماعة . مات سنة إحدى وثمانين ومائة . ولكونه ليس من أهل الضبط والاتقان ، قرنه الامام أحمد رضي الله عنه بغسان ؛ فقال : (وغسان) - بفتح الغين المعجمة ، وتشديد السين المهملة - فأنف فتون (بن مضر) - بضم الميم ، وفتح الصاد المعجمة - كلاهما (عن) أبي مسلمة (سعيد بن يزيد بن مسلمة) الأزدي البصري ، ويقال : الطاحي - بفتح الطاء مشددة ، فأنف وكسر الحاء المهملتين القصير .

سم أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأبا نضرة ، ونفراً من التابعين

سمع منه شعبة ، وحماد بن زيد ، وغيرهما (قال) أبو مسلمة المذكور : (قلت لأنس ابن مالك) رضي الله عنه : (أكان رسول الله ﷺ يصلي في نعليه ؟) ثنية نعل ، وهي موشة .

قال ابن الأثير : هي التي تسمى الآن تاسومة .

وقال ابن العربي : لباس الأنبياء ، وإنما اتخذ الناس غيرها لما في أرضهم من الطين ، وقد تطلق النعل على كل ما يقي القدم . قال صاحب « المحكم » : النعل والنعلة : ما وقيت به القدم .

(قال) : أي أنس بن مالك رضي الله عنه (نعم) أي كان صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ، قال ابن بطال : هو محمول على ما إذا لم يكن فيها نجاسة ، ثم هي من الرخص ، كما قال ابن دقيق العيد ، لا من المستحبات ، لأن ذلك لا يدخل في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من الملابس المستحبات ، إلا أن ذلك لا يدخل في معنى المطلوب من الصلاة ، وهو وإن كان من ملابس الزينة ، إلا أن ملابسة الأرض التي تكثر فيها النجاسات قد تقصر به عن هذه المرتبة .

وإذا تعارضت مصلحة مراعاة التحسين ، ومراعاة إزالة النجاسة ، قدمت الثانية ؛ لأنها من باب دفع المفاسد ، والأخرى من باب جلب المصالح .

قال : إلا أن يرد دليل بالحقاقه بما يتحمل به ؛ فيرجع إليه ويترك هذا النظر . انتهى .

وقد روى أبو داود والحاكم من طريق شداد ابن أوس مرفوعاً : « خالفوا اليهود فانهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم » . وفي لفظ : « إن اليهود لا يصلون في نعالهم فخالفوا » .

قال شيخ الإسلام في « فتاويه المصرية » : الصلاة في النملين ، وكذلك سائر ما يلبس من حذاء وجمجم ، وزربول ، وخف ، وغير ذلك ؛ جائز .

قال : وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنهما : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في نعليه ، فمن استحجب الصلاة في النعلين ؛ فلاجل قصد مخالفة اليهود .

وفي « السنن » أيضاً : أنه صلى الله عليه وسلم صلى في نعليه ، وصلى أصحابه في نعالهم ، فخلع نعليه فخلعوا نعالهم ، فلما سلم قال : « لم خلعتم نعالكم ؟ » قالوا : رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا . فقال : « إن جبريل أتاني فأخبرني أن فيها أذى ، فاذا أتى أحدكم المسجد فليُنظر في نعليه ، فإن كان فيها أذى ؛ فليدلكها بالتراب ، فإن التراب لهما طهور » .

فصند شيخ الاسلام ابن تيمية الصلاة في النعال سنة . وقال الناظم محمد ابن عبد القوي شيخه (١) . الاولى الصلاة حافيا ، وذكر في « الآداب الكبرى » عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : « اذا خلع نعليه في الصلاة خلصه الله تعالى من ذنوبه حتى يلقاه كبيتته يوم ولدته أمه » رواه أبو محمد الخلال .

قال القاضي أبو يعلى : هذا يدل على فضل خلع النعل في الصلاة ، ويحتمل أن يكون قال ذلك في خلع نعل كان فيها أذى .

قال في « الفروع » : ذكر القاضي الاستحباب ، وعدمه ؛ للخبرين . وقد روى الخلال ، وابن عدي في « الكامل » وابن مردويه في « تفسيره » من حديث أبي هريرة ، والعقيلي من حديث أنس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ قال : « خذوا زينة الصلاة » قلنا : يا رسول الله ، وما زينة الصلاة ؟ قال : « البسوا نعالكم وصلوا فيها » . وهذا الحديث ضعيف جدا .

قال العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : « واليونيني في مختصرها »

(١) اي شيخ ابن تيمية ، فقد درس عليه المريه .

بعد إيراد حديث أبي هريرة : هذا يدل على أنه تستحب الصلاة في النعال ، كقول الشيخ ابن تيمية قدس الله روحه .

وفي « صحيح مسلم » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : في غزوة غزوناها : استكثروا من النعال ؛ فإن الرجل لا يزال راكباً ما اتمل ، يعني انه شبيه بالراكب في خفة المشقة ، وقلة التعب ، وسلامة الرجل من أذى الطريق ، قاله النووي .

وقال القرطبي : هذا كلام بليغ ، ولفظ فصيح ، بحيث لا ينسج على منواله ، ولا يؤتى بمثاله ، وهو إرشاد الى المصلحة ، وتنبيه على ما يخفف المشقة ، فإن الخافي المديم للمشي يلقي من الآلام والمشقة بالثار وغيره ما يقطعه عن المشي ، ويعتمه من الوصول الى مقصوده ، بخلاف المتمتع ؛ فانه لا يعتمه عن إدامة المشي فيصل الى مقصوده كالراكب ؛ فلذلك شبهه به حتى إنه ﷺ أمر المتمتع أن يوسع للحافي عن جادة الطريق .

فقد روى الخلال من حديث جابر رضي الله عنه موقوعاً : ليوسع المتمتع للحافي عن جُدَدِ الطريق ؛ فإن المتمتع بمنزلة الراكب ، والى هذا أشار ابن عبد القوي في « منظومة الآداب » بقوله :

ويحسن الاسترجاع في قطع ششمه وتخصيص حافٍ بالطريق المهد
يعني أنه يستحب المتمتع أن يفسح لأخيه الحافي في الطريق ، ويخصه بالمشي فيها ، ويمد له عنها لأجل أخيه رافة منه ولطفاً ومودةً ، وحرصاً على إيصال النفع لأخيه المسلم ، ودفع الضرر عنه ، وامثالاً لأمر النبي صلى الله عليه وسلم .

وقوله : ويحسن الاسترجاع ، يقرأ الاسترجاع في عبارته بالنقل للوزن ، والاسترجاع : حكاية قول المصاب : إنا لله وإنا اليه راجعون .

وقد روى أبو محمد الخلال أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا انقطع شمع أحدكم فليسترجع فانها مصيبة » ، ورواه البزار وابن عدي . وفي « صحيح مسلم » عن أبي سعيد ، وأبي هريرة رضي الله عنهما أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما يصيب المؤمن من وصب ، ولا نصب ، ولا سقم ، ولا حزن حتى الهم يهمه ، إلا كفر الله به من سيئاته » .

والوصب والنصب : الثعب ، وقد ورد عن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم : « إن من أصيب بمصيبة فذكرها ولو بعد مدة طويلة ، فجدد لها استرجاعاً وصبراً ؛ جدد الله له ثواباً وأجرأ » .

فروى الامام أحمد في « المسند » عن سيدنا الحسين بن الامام علي رضوان الله عليهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فيذكرها ، وإن طال عهدها ، فيحدث لذلك استرجاعاً ، إلا جدد الله له عند ذلك ، فأعطاه مثل أجرها يوم أصيب بها . ورواه ابن ماجة بنحوه .

وشمع النمل - بكسر الشين المعجمة ، وسكون المهملة - أحد سيوره ، وهو الذي يدخل بين الأصبعين ، ويدخل طرفه في الثقب الذي في طرف النمل المشدود في الزمام ، وهو السير الذي يعقد فيه الشمع ، والجمع شموع ، مثل : حمل وحمول .

قال الحافظ ابن حجر في قول أنس رضي الله عنهما ، كما في « صحيح البخاري » : إن نمل النبي صلى الله عليه وسلم كان لها قبالة . القبال - بكسر القاف وبالموحدة - زمام النمل ، وهو سيرها الذي يكون بين الأصبعين الوسطى والتي تليها ، وشراك النمل الذي على ظهر القدم .

قال المسقلاني : القبال هو الزمام الذي يعقد فيه الشمع الذي يكون بين أصبعي الرجل ، وذكر الجزري أنه كانت لنمل رسول الله صلى الله عليه وسلم

سيران ، بضع احدهما بين إبهام رجله والتي تليها ، وبضع الآخر بين الوسطى والتي تليها ، ويجمع السيرين الى السير الذي على وجهه قدمه صلى الله عليه وسلم ، وهو الشراك .

وأخرج الترمذي في « الثمائل » ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان لنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبالة ، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، قال : وأول من عقد عقداً واحداً عثمان رضي الله عنه ، أي اتخذ قبالةً واحداً ، إشارة الى بيان الجواز ، وأن لبسه صلى الله عليه وسلم كان على وجه المعتاد لا على قصد العبادة للعباد ، وذلك لما تقرر في الأصول أن أفعاله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : مباح ، ومستحب ، وواجب . فلو لم يبين ذلك لعثمان رضي الله عنه لتوهم كراهة الاختصار على قبالة واحد ، أو أنه خلاف الأولى ؛ لأنه خلاف ما كان صلى الله عليه وسلم عليه وصاحبه ، وبه علم أن ترك لبس النملين ولبس غيرهما غير مكروه ، كما بين ذلك شيخ الاسلام ابن تيمية ، وأن الصحابة رضي الله عنهم لما تفرقوا في البلاد ؛ كان يلبس كل واحد من زي بلده الذي هو فيه ، والله سبحانه وتعالى الموفق .

الحديث السابع والعشرون

٧٢ — ثنا زياد بن الربيع أبو خدّاش اليمّديّ ، قال : سمعت أبا عمران الجوّني يقول : سمعت أنس بن مالك يقول : ما أعرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فقلنا : فأبى الصلاة ؟ قال : أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم ؟

قال رضي الله عنه : (ثنا زياد بن الربيع) وكنية زياد (أبو خديش)
 - بفتح الحاء المعجمة وتشديد الدال المهملة ، فألف فشين معجمة - (اليعمدي)
 - بفتح المثناة التحتية ، وسكون الحاء المهملة ، وضم الميم - (قال : سمعت
 أبا عمران الجوني) - بفتح الجيم ، وسكون الواو وبالنون - منسوب إلى الجون
 بطن من كندة (يقول : سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : ما أعرف)
 قد يراد بالمعرفة العلم ، ومنه قوله تعالى : « مما عرفوا من الحق » (١) أي علموا ،
 وهي من حيث أنها علم مستحدث ، أو انكشاف بعد لبس أخص من العلم ؛ لأنه
 يشمل غير المستحدث ، وهو علم الله تعالى ، ويشمل المستحدث ، وهو علم
 المباد ، ومن حيث أن المعرفة يقين وظن أعم من العلم ؛ لاختصاصه حقيقة باليقين .
 وقال جمع : إن المعرفة مرادفة للعلم .

قال في « شرح التحرير » : فاما أن يكون مرادهم غير علم الله تعالى ، وإما
 أن يكون مرادهم بالمعرفة أنها تطلق على القديم ، ولا تطلق على المستحدث ، والأول
 أولى . انتهى .

وتطلق المعرفة على مجرد التصور الذي لا حكم معه ، فتقابل العلم ، ومن
 حيث كون المعرفة انكشاف بعد لبس ، يعني أنها مسبوقه بجهل ؛ امتنع إطلاقها
 على الله تعالى ؛ فلا يوصف بأنه عارف .

قال ابن حمدان في « نهاية المبتدئين » : علم الله تعالى لا يسمى معرفة ، حكاية
 القاضي إجماعاً . انتهى . (اليوم شيئاً مما كنا عليه) من العبادات وسلامة الصدر ،
 وأراد نفي الصفات ، لا نفي الذوات من العبادات (على عهد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم) أي الزمن الذي كان فيه عليه الصلاة والسلام .

وسبب قول أنس ذلك ؛ ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » عن ثابت

(١) سورة المائدة ، الآية : ٨٣

البناني قال : كنا مع أنس ابن مالك رضي الله عنه ، فأخر الحجاج الصلاة ، فقام أنس يريد أن يكلمه ، فنهاه إخوانه شفقة عليه منه ، فركب دابته ؛ فقال في سيره ذلك . والله ما أعرف شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ إلا شهادة أن لا إله إلا الله .

(قال) أبو عمران الجوني : (فقلنا) لأنس بن مالك لما قال ذلك : (فأين الصلاة ؟) . وفي رواية ، قيل : الصلاة ؟ . أي فانها شيء . مما كان على عهده ﷺ وهي باقية ، فكيف يصح هذا السلب العام ؟ .

فأجاب أنس رضي الله عنه عن هذا بقوله ، حيث (قال : أولم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم ؟) فانهم غيروها أيضاً بأن أخرجوها عن الوقت ، والذي قال لأنس ذلك ؛ رجل يقال له : أبو رافع ، بينه الامام أحمد رضي الله عنه في روايته لهذا الحديث ، عن روح ، عن عثمان بن سعيد ، عن أنس : فذكر نحوه ، فقال : أبو رافع ، : يا أبا حمزة ، ولا الصلاة ؟ فقال له أنس : قد علم ما صنع الحجاج في الصلاة .

وفي الرواية التي أخرجها ابن سعد : لقد جعلتم الظهر عند المغرب ، أفنلك كانت صلاة رسول الله ﷺ ؟ .

وأخرج البخاري عن الزهري ، قال : دخلت على أنس بن مالك رضي الله عنه بدمشق وهو يبكي ، فقلت ما يبكيك ؟ قال : لا أعرف شيئاً مما أدركت ، أي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا هذه الصلاة ، وهذه الصلاة قد ضيقت . قال الملب : المراد بتضييعها تأخيرها عن وقتها المستحب ، لا أنهم أخرجوها عن الوقت ، كذا قال .

قال في « الفتح » : قد صح أن الحجاج وأميره الوليد وغيرها ، كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها ، والآثار في ذلك مشهورة ، منها ما رواه عبد الرزاق

عن ابن جريج ، عن عطاء قال : أخر الوليد الجمعة حتى أمسى ، فجئت فصليت الظهر قبل أن أجلس ، ثم صليت العصر وأنا جالس ، أي وهو يخطب ، وإنما فعل عطاء ذلك خوفاً على نفسه من القتل .

فوائد :

الاولى : كان قدوم أنس بن مالك رضي الله عنه دمشق الشام في إمارة الحجاج على العراق ، قدمها شاكياً من الحجاج للخليفة ، وهو إذ ذاك الوليد بن عبد الملك ، وإطلاق أنس رضي الله عنه في قوله : ما أعرف اليوم شيئاً مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ ، محمول على ما شاهده من أمر الشام والبصرة خاصة ، وإلا فقد قدم المدينة المنورة ، كما في « البخاري » وغيره ، وعمر ابن عبد العزيز أميرها حينئذ ، وكان على طريقة أهل بيته من بني أمية في تضييع الصلاة عن وقتها ، حتى أخبره عروة ، عن بشير بن أبي مسعود ، وعن أبيه بالنص على الاوقات ، فكان يحافظ بمد ذلك على عدم إخراج الصلاة عن وقتها ، ومع ذلك كان يراعي الأمر معهم ، فيؤخر الظهر الى آخر وقتها ، وقد أنكر أنس رضي الله عنه ذلك أيضاً .

قلت : والذي أنكره عروة على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ورضي عنه ، إنما هو تأخير صلاة العصر ، لا الظهر ، كما في « الفتح » وغيره ، لأن تأخير صلاة الظهر الى آخر وقتها لا كراهة فيه ، بخلاف وقت العصر .

الثانية : قد جاءت الأخبار ، وصحت الآثار ، عن النبي المختار ﷺ وعن أصحابه الاخبار بالنهي عن تأخير الصلاة عن وقتها .

ففي « صحيح مسلم » وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال لي رسول

الله ﷺ : « كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ،
أو يمتنون الصلاة عن وقتها . قال : قلت : فما تأمرني ؟ قال : صل الصلاة لوقتها ،
فإن أدركتها معهم فصل ، فإنها لك نافلة » .

وفي لفظ آخر : يا أبا ذر ، إنه سيكون بعدي أمراء يمتنون الصلاة ، فصل
الصلاة لوقتها ... الحديث .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه
قال : كان رسول الله ﷺ يصلي المصبر والشمس مرتفعة حية ، فيذهب الفذهب
إلى العوالي ، فيأتيهم والشمس مرتفعة .

وللبخاري : وبعد العوالي من المدينة على أربعة أميال أو نحوه ، وكذلك
للإمام أحمد وأبي داود معنى ذلك .

وفي « مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : صلى رسول الله ﷺ ببا
المصبر ، فأتاه رجل من بني سلمة ، فقال يا رسول الله : إنا نريد أن ننحر جزوراً
لنا ، وإنا نحب أن نتحضرها . قال : نعم ، فانطلق وانطلقنا معه ، فوجدنا
الجزور لم تنحر ، فنحرت ، ثم قطعت ، ثم طبخ منها ، ثم أكلنا قبل أن
تغيب الشمس .

وفي « المسند » و « الصحيحين » عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال :
كنا نصلي المصبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ننحر الجزور فنقسم
عشر قسم ، ثم تطبخ ، فتأكل لحماً نضيجاً قبل مغيب الشمس .

وفي « مسند الإمام أحمد » و « سنن ابن ماجه » من حديث بريدة الأسلمي
رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بكرؤا بالصلاة في
يوم النيم . فإن من فاتته صلاة المصبر حبط عمله » .

الثالثة : لما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، أمر بالصلاة في أوقاتها ، وملاً الأرض عدلاً ، ورد المظالم ، وأحيا السنن . وقد قال زيد بن أسلم رضي الله عنه : ما صليت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الفتي ، يعني عمر بن عبد العزيز ؛ فكان يتم الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود . وقد سئل محمد بن علي بن الحسين عن عمر بن عبد العزيز ، فقال : هو نجيب بني أمية ، وإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده ، وكان العلماء مع عمر ابن عبد العزيز تلامذة .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إن الدنيا لا تنقضي حتى يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر ، وكان يقول أيضاً رضي الله عنه : يولد من ولدي رجل بوجه شجرة ، يملأ الأرض عدلاً . أخرجه الترمذي .

وعمر بن الخطاب جد عمر بن عبد العزيز من قبل أمه ، فإن أم عمر ابن عبد العزيز أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، والشجرة التي كانت بوجه عمر بن عبد العزيز ضربة دابة في وجهه وهو غلام ، فجعل أبوه عبد العزيز يمسح الدم عن وجهه ويقول : إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد . وقد قال الثوري : الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز . أخرجه أبو داود .

ولما ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز ، كتب إلى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهم يكتب إليه بسيرة عمر بن الخطاب بالصدقات : وكتب إليه : إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك ؛ كنت عند الله خيراً من عمر .

وعن المغيرة أن عمر بن عبد العزيز لما استخلف جمع بني مروان ، فقال : إن رسول الله ﷺ كانت له فذك ينفق منها على صغير بني هاشم ، ويزوج منها أيتهم ،

وإن فاطمة سأله أن يجعلها لها ، فأبى ، فكانت كذلك حياة أبي بكر ، ثم أقطمها مروان ، ثم صارت لعمر بن عبد العزيز ، فأريت أن أمراً من رسول الله ﷺ فاطمة ؛ ليس لي بحق ، وإني أشهدكم أنني قد رددتها على ما كانت عليه زمن رسول الله ﷺ .

ولد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بمحلوان ، قرية بمصر ، وأبوه أميناً عليها ، سنة إحدى وستين ، وقيل : ثلاث وستين ، وبويع بالخلافة بعد من سليمان ابن عبد الملك في صفر ، سنة تسع وتسعين ، فمكث خليفة ستين وخمسة أشهر ، نحو خلافة الصديق الأعظم رضي الله عنه ، وتوفي بدير سمعان - بكسر السين المهملة - من أعمال حمص لعشر بقين من شهر رجب ، سنة إحدى ومائة ، وله تسع وثلاثون سنة وستة أشهر ، وكانت وفاته بالسلم لما تبرم بنو أمية منه لتشديده عليهم ، وانزاع الأموال من أيديهم مما اغتصبوه واستولوا عليه من المظالم بغير حق ، وكان قد أهمل التحرز ، فرحمه الله ورضي عنه آمين .

الحديث الثامن والعشرون

٧٣ - ثنا اسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يمتنين أحدكم الموت لضر نزل به ، فإن كان ولا بد متمنياً الموت فليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفي إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل بن ابراهيم) المروفي بابن عليّة (ثنا عبد المزيّن بن صهيب ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنّون) فلا ناهية ، ويتمنّون : مجزوم ، والنون لتأكيّد ما يزيد النهي . وفي رواية : لا يتمنّ ، وهذه الرواية للاكثر من الرواة ، في « الصحيحين » وغيرهما . فقيل : المراد بلا : نافية لفظاً ، وهي على معنى النهي ، وقيل : بل هي ناهية ، وأشبعت الفتحة . وفي رواية : لا يتمنّ (أحكم) معشر الأمة (الموت) أي لا يدعُ به من قبل أن يأتيه ، إشارة الى الزجر عن كراهته إذا حضر لئلا يدخل فيمن كره لقاء الله .

وحكمة النهي عن ذلك أن في طلب الموت قبل حلوله نوع اعتراض ومراغمة للقدر ، وإن كانت الآجال لا تزيد ولا تنقص ، فإن تمّني الموت لا يؤثر في زيادتها ولا نقصها ، ولكنه لما دل على تبرمه وانزعاجه ، وعدم صبره واحتماله للموارض الدنيوية ، نهى الشارع عنه ، ومن ثم قال معللاً للنهي : (لضر نزل به) من فاقة أو محنة بمدوّ ، ونحوه من مشاق الدنيا .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : الصبر على المصائب واجب باتفاق أئمة الدين ، وإنما اختلفوا في وجوب الرضى . انتهى .

فيتأكد - في حق من ابتلي بمصيبة ، أو ضرر في بدنه ، أو ماله ، أو ولده ، ونحو ذلك - الصبر ، وجس النفس عن الانزعاج ، وكف اللسان عن التبرّم والاعوجاج ، فإن الامور بيد عالم السر وأخفى ، وهو الحكيم القادر ، لا اراد لما قضى ، ولا مانع لما أعطى ، فإن الله كتب السعادة والشقاء ، والآجال والارزاق في بطون الأمهات ، فلا زيادة ولا نقص ، ولا تقديم ولا تأخير ، فمن صبر واحتسب فاز ، ومن جزع ولم يصبر أثم ولم يحصل على حقيقة ولا مجاز .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما ،

عن النبي ﷺ أنه قال : « ما يصيب المسلم من نصب ، ولا وصب ، ولا هم ، ولا حزن ، ولا أذى ، ولا غم ، حتى الشوكة يشاكها ، إلا كفر الله بها من خطاياها » .
فان خاف ضرراً أو فتنة في دينه فلا كراهة في تمنى الموت حينئذ ؛ لمفهوم هذا الحديث ،
وقد فعله أئمة من السلف .

لذلك نقل العلامة ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : قال المروزي : قال
أبو عبد الله : يعني الامام أحمد رضي الله عنه ، كأنك بالموت وقد فرق بيننا ،
مأعدل بالفقر شيئاً ، أنا أفرح اذا لم يكن عندي شيء ، إني لأننى الموت صباحاً
ومساءً ، أخاف أن أفتن في الدنيا . قال مسروق : إنما تحفة المؤمن قبره .

وقد روى الطبراني ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال
رسول ﷺ : « تحفة المؤمن الموت » . وفي حديث آخر : « الموت ريحانة المؤمن »
وفي آخر : « الموت غنيمة المؤمن » . وفي آخر : « الموت تحفة لكل مسلم » .
وروى الامام أحمد ، وابن أبي شيبة ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه
قيل له : ما تحب لمن تحب ؟ قال : الموت .

وروى ابن أبي شيبة ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، قال : أنمى
لحبيبي أن يعجل موته . وعن مسروق : ما من شيء خير للمؤمن من لحده قد
استراح فيه من هموم الدنيا ، وأمن من عذاب الله .

قال الخطابي : انشدنا بعض أصحابنا لمنصور بن إسماعيل :

قد قلت إذ مدحوا الحياة فأكثرُوا في الموت ألف فضيلة لا تعرف
منها أمان لقاءه بـلقائه وفراق كل معاشر لا ينصف
وقال الخطابي أيضاً : قال الجاحظ : قد أبدع العباس بن الأحنف
في قوله :

يبكي رجال على الحياة وقد أفنى دموعي شوقي الى الأجل

أموت من قبل أن يغيرني الدهر فاني من عملي على وجل
وقال بعضهم :

جزا الله عنا الموت خيراً فإنه أبر بنا من بر أم وأرف
بمجل تخليص النفوس من الأذى ويدني من الدار التي هي أشرف
(فان كان) أحدكم معشر الأمة ، من ذكر وأثنى غير كاف عن السؤال :
(ولا بد) له أن يرى (متمنياً) أي طالب (الموت ؛ فليقل) أمر إرشاد ونذب : (اللهم)
أي يا الله (أحيني ما كانت الحياة) أي مدة دوام كون الحياة ، (خيراً لي)
من الموت .

قال المراقي : لما كانت الحياة حاصلة وهو منتصف بها ؛ حسن الاتيان بما ،
أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية . انتهى .

وقال الحافظ ابن رجب - في شرح حديث عمار ، المشهور : اللهم
بملك الغيب - ما حاصله : اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله عز وجل
نوعان :

أحدهما : ما علم أنه خير محض ، كسؤاله خشيته وطاعته وتقواه ، وسؤاله
الجنة والاستعاذة به من النار ؛ فهذا يطلب من الله بغير تردد ولا تعليق بالمصلحة ؛
لأنه خير محض ومصلحة خالصة .

الثاني : ما لا يعلم ، هو خير للعبد أم لا ؟ كالولت والحياة والغنى والفقر
والولد والأهل وسائر حوائج الدنيا التي تجعل عواقبها ؛ فهذه لا ينبغي أن
يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخير للعبد ؛ فإن العبد جاهل بمواقب الأمور ، وهو
مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره ؛ فيتمين أن يسأل حوائجه من هو
عالم قادر . ولما كان من نزل به الضر وعجز عن الصبر ، لا مندوحة له عن الدعاء ،
ليخلص بالموت من ضنك الحياة وضيق العيش ، وهو جاهل بما هو حاصل له ،

وبما يلقاه بعد موته ؛ أرشده الرسول الناصح والطبيب الرؤوف المانع الى ما هو خير من محض تمنى الموت فقال : وليقل : (وتوفني) أي أمتني (إذا كانت الوفاة خيراً لي) من الحياة .

والوفاة : الموت ، وتوفاه الله : قبض روحه . وأما قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام : « يا عيسى إني متوفيك » ^(١) قيل : متوفي أجلك ومؤخرك الى أجلك المسمى عندي ، عاصماً لك من قتلهم ، أو قابضك من الأرض - من توفيت مالي - أو متوفيك نائماً ؛ إذ روي أنه رفع نائماً ، أو مماثلك عن الشهوات العائقة عن المروج الى عالم الملكوت .

قال العراقي : ولما كانت الوفاة معدومة في حال التمني ؛ لم يحسن أن يقول : ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي اذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا الوصف . انتهى .

وفي حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ كان يدعو بهؤلاء الدعوات : « اللهم بلملك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما علمت الحياة خيراً لي ، وتوفني اذا علمت الوفاة خيراً لي .

اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضى ، والقصد في الفقر والغنى ، وأسألك نيماً لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضى بعد القضاء ، وبرد البش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة . اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهتدين . رواه الامام أحمد ، والنسائي ، والحاكم .

فقد تضمن هذا الحديث النوعين معاً ، فإنه لما سأل الموت والحياة قيد ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٥٥

ما يعلم الله فيه الخيرة لعبده ، ولما سأل الخشية وما بعدها مما هو خير صرف؛ جزم به ولم يقيده بشيء .

وفي « صحيح البخاري » ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : لا يتمنى أحدكم الموت ، إما محسناً فله أن يزداد ، وإما مسيئاً فله أن يستعقب .
وسلم : لا يتمنى أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه . إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله ، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً .
وزاد الامام أحمد في رواية له : إلا أن يكون قد وثق بعمله .

وله أيضاً : لا تتمنوا الموت ، فإن هول المظلم شديد ، وإن من السعادة أن يطول عمر العبد وبرزقه الله الأناة .

وأكثر الروايات إما محسناً ، بالنصب بتقدير : إما أن يكون . ووقع في رواية عبد الرزاق عند الامام أحمد بالرفع فيها ، وهي واضحة . وقوله : يستعقب ، أي يسترضي بالاقلاع والاستغفار ، والاستعقاب : طلب الاعتاب ، والهمزة للإزالة ، — أي يطلب إزالة العتاب — من عاتبه إذا لامه . وأعبته : أزال عتابه ، قال الكرمانى في « شرح البخاري » : وهو مما جاء على غير القياس ، إذ الاستفعال إنما ينبنى من الثلاثي لا من المزيد فيه . انتهى .

وقد علل النبي صلى الله عليه وسلم النهي عن تمني الموت بأن العبد إن كان محسناً ، فحياته يرجو أن يزداد بها إحساناً ، وإن كان مسيئاً فإنه يرجو أن يستعقب ، يعني يزيل العتب عنه بالتوبة والأناة قبل الموت .

وقد جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم بفضيله طول العمر في الطاعة ، ففي الترمذي أنه صلى الله عليه وسلم سئل : أي الناس خير ؟ قال : من طال عمره وحسن عمله ، وسئل : أي الناس شر ؟ قال : من طال عمره وساء عمله .

وفي «مسند الامام أحمد» : أن نفرأ ثلاثة أسلموا فكانوا عند طلحة ، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثاً ، فخرج فيه أحدهم فاستشهد ، ثم بعث بعثاً آخر فخرج فيه آخر فاستشهد ، ثم مات الثالث على فراشه ، قال طلحة : فرأيتهم في المنام في الجنة ، فرأيت الميت على فراشه أمامهم ، ورأيت الذي استشهد آخرأ يليه ، ورأيت الذي كان أولهم آخرهم . فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له ، فقال : وما أنكرت من ذلك ؟ ليس أحد أفضل عند الله من مؤمن يعمّر في الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله .

وفي رواية قال : أليس قد مكث هذا بعده سنة ؟ قالوا : بلى ! قال : وأدرك رمضان فصامه ؟ قالوا : بلى ! قال : وصلى كذا وكذا سجدة في السنة ؟ قالوا : بلى ! قال : فلما بينها أبعد مما بين السماء والأرض .

وذكر الحافظ ابن رجب ؛ أنه قيل لبعض السلف : طاب الموت ، فقال : يا ابن أخي ! لا تفعل ، اساعة تمش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر . وقيل لشيخ من السلف : تحب الموت ؟ قال : لا ، قد ذهب الشباب وشبهه ، وجاء الكبر وخيره ، فإذا قتلت : بسم الله ، وإذا قمعت قلت : الحمد لله ، فأنا أحب أن يبقى لي هذا . ولهذا كان كثير من السلف يبكي عند موته تأسفاً على انقطاع أعماله الصالحة .

وفي «الترمذي» عن النبي صلى الله عليه وسلم : ما أحد يموت إلا ندم إن كان محسناً أن لا يكون ازداد ، وإن كان مسيئاً أن لا يكون قد استعجب .

وقد رُئي بعض الموتى من السلف في منام فُسئل عن حاله ، فقال : قد قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نفعل ، وتعملون ولا تعملون ، والله لتسبيحه أو تسبيحتان ، أو ركعة أو ركعتان في نسخة عملي أحب إلي من الدنيا وما فيها .

وأما الرواية التي في «المسند» : «لا يتمنى أحدكم الموت إلا» من وثق بعمله ،

فهي تدل على أن من له عمل صالح يثق به فله أن يتمنى الموت . وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت ، وهم أقسام :

منهم من يحمله على ذلك حسن الظن بالله حباً للقائه ، إما لما عندهم من كثرة الطاعات ، أو لما عندهم من محبة الله عز وجل ، فيحسن ظنه به ، كما قال بعض السلف : لقد سئمت من الحياة حتى لو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً الى الله ، وحباً للقائه . فقيل له : أفعل ثقة أنت من عملك ؟ قال : لا ، ولكن لحي إياه ، وحسن ظني به ، أفترأى يمدني وأنا أحبه ؟

ومنهم من يتمناه خشية الفتنة في الدين ، فهذا جازع عند أكثر العلماء ، وقد ذكرنا كلام الامام أحمد في ذلك ، وقد تمتأه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في آخر حجة حجها ، فانه قال : اللهم ! إنه قد كبرت سنتي ، ورق عظمي ، وانتشرت رعبتي ، فاقبضني اليك غير مضيع ولا مفتون ، فاستشهد في ذلك الشهر .
وسأل عمر بن عبد العزيز من ظن به إجابة الدعاء أن يدعو له بالموت لما تقلت عليه الرعاية ، وخشي العجز عن القيام بحقوقهم .

وفي الحديث الشريف : وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون . وفي «المسند» عن محمود بن لبيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : اثنتان يكرهما ابن آدم ؛ يكره الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ، ويكره قلة المال وقلة المال أقل للحساب .

ومنهم من يتمناه من غير ضر ولا فتنة ، فان كان ممن وثق بعمله حباً لله وشوقاً الى لقائه ؛ جاز ، وكذا تمنى الموت عند حضور أسباب الشهادة اغتناماً لها ، والمنهي عنه في الحديث ان يتمنى الموت لضر نزل به ، وهذا اذا لم يثق بعمله يكون كالمتجبر من الرضاء بالنار ؛ لأنه لا يدري لعله يهجم بعد الموت على ما هو أعظم وأشد مما هو فيه . فأما إن وثق بعمله ؛ فقد تمتأه للضر بعض السلف ، وقد ورد تمليل

التهى عن تمنى الموت بأن هول المطلع شديد ، فتمنيه من نوع تمنى وقوع البلاء قبل نزوله ، ولا ينبغي ذلك .

وقد سمع ابن عمر رضي الله عنها رجلاً يتمنى الموت فقال : لا تتمن الموت فانك ميت ، ولكن سل الله العافية ، فإن الميت يكشف له عن هول عظيم هو هول المطلع ، ويرى عالماً آخر لا عهد له به .

وكان الحسن البصري يقول عند موته : نفيسة ضعيفة ، وهول عظيم ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وقد كان كثير من السلف يتمنى الموت في صحته ، فلما نزل به كرهه لشدة ، منهم : أبو الدرداء ، وسفيان الثوري ، فما الظن بغيرهما ؟ والله تعالى الموفق .

الحديث التاسع والعشرون

٧٤ -- ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل بن إبراهيم) قال : (ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ، (قال : نهى نبي الله صلى الله عليه وسلم أن يتزعفر الرجل) وفي رواية : نهى عن التزعفر للرجال ، واللفظ الأول في «الصحيحين» و «السنن» ، واللفظ الثاني رواه شعبة ، عن ابن علية عند النسائي ، وروي مطلقاً ؛ نهى عن التزعفر ، وكأن راويه اختصره ، وإلا فقد رواه عن إسماعيل فوق المشرة من الحفاظ مقيداً بالرجل ، وعلى كل فالملحق محمول على المقيد ،

فذهب الامام أحمد رضي الله عنه كراهة التزعفر للرجال وجهاً واحداً ؛ للنهي المتفق عليه .

قال في «الفروع» : حمل الحلال النهي عن التزعفر على بدنه في صلاته ، وحمله صاحب «المحرر» على التطيب به والتخلق به ؛ لأن خير طيب الرجال ما خفي لونه ، وظهر ريحه . انتهى .

قال في «الفتح» : واختلف في النهي عن التزعفر ، هل هو لرائحته لكونه من طيب النساء ، ولهذا جاء الزجر عن الخلق ؟ أو لونه فيلتحق به كل صفة ؟

وقد نقل البيهقي عن الشافعي أنه قال : أنهى الرجل الحلال بكل حال أن يتزعفر ، وأمره إن زعفر أن يفسله . قال : وأرخص في المصفر . قال : لأنني لم أجد أحداً نهى عنه ؛ إلا ما قال علي : نهائي ، ولا أقول : نهاكم . انتهى .
وقد نص الامام أحمد في رواية عنه على عدم كراهة لبس المزعفر . وفي «نظم الآداب» :

ولا تكرهن في نصه ما صبغته من الزعفران البحث لون المورد
والزعفران: نبت معروف، قال في «القاموس» : إذا كان في بيت؛ لا يدخله سام أبرص . وزعفر : صبغه بالزعفران ، وقوله : البحث ؛ أي المحض الذي ليس معه غيره ، ولون المصبوغ به يكون مورداً .

ومن أسماء الزعفران : الورد ، والورد من الخيل : ما بين الكيت والأشقر ، فاللون المورد ما كان بين الحمرة والصفرة ، ودليل هذه الرواية - يعني عدم كراهة لبس المزعفر - ما روى الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما ؛ أنه كان يصبغ ثيابه ودهن بالزعفران ، فقيل له : لم تصبغ ثيابك ، وتدهن

بالمزعراف ؟ فقال : لا نرى رأيت أجب الأصباغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وكان يدهن به ، ويصنع به ثيابه .

ورواه أبو داود ، والنسائي ، وفي لفظها : ولقد كان يصنع ثيابه به كلها ،
حتى عمامته .

وفي « الآداب » : ويكره له ، أي الرجل ، المصفر . زاد في « الرعاية » : في
الأصح . وكذا المزعر على الأظهر ، وفيه وجه : يكره في الصلاة فقط ، وهو
ظاهر ما في « التلخيص » ، وقطع في « شرح المقنع » - للإمام شمس الدين ابن أبي
عمر رحهما الله - بالكراهة .

وفي « الفروع » : يكره للرجل لبس المزعر ، والمصفر ، والأحمر
المصمت . وقيل : لا ، ونقله الأكثر في المزعر ، وهو مذهب ابن عمر وغيره
وفاقاً للإمام مالك . وذكر الآجري والقاضي وغيرهما تحريم المزعر للرجل ،
وهو مذهب أبي حنيفة ، والشافعي - رضي الله عنها - لكن الذي استقر عليه
مذهب الإمام أحمد وأصحابه الآن كراهية لبس المزعر ، كما حزم به في
« الاقتناع » ، و « المنهى » ، و « الناية » وغيرها .

تنبيه : كراهية المصفر أشد من كراهية المزعر .

وفي « منغومة الآداب » :

وأحمر فإن المصفر فأكرهن للباس رجال حسب في نص أحمد
فيكره للرجال لبس المصفر في الأصح . قال في « الاقتناع » : إلا في
الأحرام فلا يكره . انتهى .

ودليل الكراهة ما روى الإمام أحمد ، ومسلم في « صحيحه » : نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لباس المصفر . روياه من حديث علي .

وفي « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنها - قال :
رأى النبي صلى الله عليه وسلم علي^١ ثوبين مصفرين ، فقال : إن هذه من ثياب
الكفار فلا تلبسها .

وروى أبو داود عن عمران بن حصين ؛ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال : لا أركب الأرجوان ، ولا ألبس المصفر . قال في « الفروع » : كره
الامام أحمد المصفر للرجال كراهية شديدة . قاله اسماعيل بن سعيد .

وفي « صحيح مسلم » عن ابن عمر - رضي الله عنها - رأى النبي صلى
الله عليه وسلم علي^١ ثوبين مصفرين ، فقال : أأمك أمرتك بهذا ؟ ^(١) قلت :
أغسلها ؟ قال : بل أحرقها ^(٢) . قال البيهقي : لو بلغ ذلك الشافعي لقال به اتباعاً
للسنة كمادته .

وقد كره المصفر جماعة من السلف ، ورخص فيه جماعة ، فمن قال بدم
كراهية المصفر ؛ الأئمة الثلاثة ، والموفق من علمائنا وغيره ، ومن قال بالكراهة
من الشافعية ، الحلبي . قال البيهقي : واتباع السنة هو الأولى . انتهى . يعني
أن الأولى الكراهة ، لهذه النصوص . وقال النووي في « شرح مسلم » : أتقن
البيهقي المسألة . انتهى .

ورخص الامام مالك في المزعفر والمصفر في البيوت ، وكرهه في المحافل ،
والله الموفق .

(١) لم يكن الاحل واضحاً ، وما أثبتناه من « صحيح مسلم » .

(٢) الامر باحراقها - كما في « شرح مسلم » - عقوبة وتقليط ، لوجره وزجر غيره عن
مثل هذا .

الحديث الثلاثون

٧٥ — ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز ، عن أنس
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا دعا أحدكم فليزم
في الدعاء ولا يقل : اللهم إن شئت فأعطني ، فإن الله
لا مستكره له .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) أي ابن عبيدة (عن عبد العزيز) أي
ابن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : إذا
دعا أحدكم معشر الأمة بخير محض من خيري الدنيا والآخرة (فليزم) بلام الأمر (في
الدعاء) وفي المسند أيضاً ، و «الصحيحين» و «النسائي» : فليزم المسألة بدل الدعاء ، أي
فليطلب طلباً جازماً لا شك فيه ، ويجتهد في عقد قلبه على الجزم بمحصول مطلوبه ،
فإن من لوازم الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب .

وقد روى الترمذي ، والحاكم ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
النبي ﷺ : أنه قال : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة ؛ واعلموا أن الله
لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه . قال الحاكم : مستقيم الاسناد .

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها بإسناد
حسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القلوب أوعية وبعضها أوعى
من بعض ، فإذا سألت الله عز وجل أيها الناس ؛ فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة ،
فإن الله لا يستجيب أمد دعاء عن ظهر قلب غافل (ولا) يلقه بنحو مشيئة ، فلا

(يقول : اللهم ! إن شئت فأعطني) بهمزة قطع ، من أعطى يعطي ، أي لا يشترط مشيئة الله تعالى في دعائه لمطأته ، فانه من اليقينيات ، فلا وجه لتعليقه بشرط (فان الله) لا يفعل إلا ما يشاء ؛ ف(لا مستكره له) فيستحيل أن يكرهه أحد على شيء . قال ابن عبد البر : لا يجوز لأحد أن يقول : اللهم ! أعطني إن شئت ، وغير ذلك من أمور الدنيا والدين ، لأنه كلام مستحيل لا وجه له ، فحمل النهي على التحريم .

وقال النووي : النهي محمول على الكراهة .

وفي رواية عند مسلم : ولكن ليعزم المسألة ، وليعظم الرغبة ، فان الله لا يتماظمه شيء .

وفي رواية للبخاري : إنه يفعل ما يشاء لا مكره له .

والدعاء شروط وآداب كثيرة ، ومن أهمها ما ذكره ؛ فذلك افرده بالذكر اهتماماً بشأنه .

ومن أهمها أيضاً ؛ أن يكون في أزمئة الاجابة ، فان الدعاء إذا كان عقب عبادة كان أرجى للقبول ؛ لأن النبي ﷺ أمر أن يكون دعاء الاستخارة عقب ركعتين ركعتين يركعها من غير الفريضة ، وقال : الدعاء لا يرد بين الأذان والاقامة ، فان وافق الدعاء وقتاً من أوقات الاجابة ، كالثالث الأخير من الليل ، وعند الأذان وبين الأذان والاقامة ، وادبار الصلوات ، وعند صمود الامام المنبر يوم الجمعة حتى تقضى الصلاة ، وآخر ساعة بعد العصر منه (١) ، وصادف خشوعاً في القلب ، وانكساراً بين يدي الرب ، وتضرعاً وعزماً في الدعاء ، ورقة وخضوعاً ، واستقبال الداعي القبلة ، وكان على طهارة ، فمثل هذا الدعاء لا يرد أبداً ، لا سيما حيث كان بالأدعية الماثورة عن سيد العالم ﷺ .

(١) أي من يوم الجمعة .

الحديث الواحد والثلاثون

٧٦ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز قال : سأل قتادة أنساً ، أي دعوة كان أكثر يدعوها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : كان أكثر دعوة يدعوها رسول الله ﷺ يقول : اللهم « ربنا آتنا ... » الآية ^(١) .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صبيب (قال : سأل قتادة) وهو ابن دعام بن قتادة ، أبو الخطاب السدوسي ، الأعمى الحافظ البصري الأكمه أحد الأعلام المشهورين ^(٢) بالحفظ والاتقان ، قال بكر ابن عبد الله المزني : من أراد أن ينظر الى أحفظ أهل زمانه فليُنظر الى قتادة ، ما أدركنا الذي هو أحفظ منه .

قال قتادة : ما سمعت أذنائي شيئاً قط إلا وعاء قلبي . وقال : لا يقبل قول إلا بعمل ، فمن أحسن العمل قبل الله قوله .

روى قتادة عن عبد الله بن سرجس ، وأنس ، وأبي الطفيل ، وسعيد ابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق من الصحابة والتابعين . وروى عنه أبو حنيفة ، وأيوب ، وشعبة ، وأبو عوانة ، ومسعر ، والاوزاعي ، وحماد ابن سلمة .

قال سعيد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد : كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرأ عليه

(١) سورة البقرة ، الآية ٢٠١ . وللفظ الآية : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » . (٢) في الاصل : المشهورة .

مصحفة جابر مرة واحدة فحفظتها، وكان من العلماء ، وقال غيره : كان قتادة يهتم بالقدر . ولد سنة ستين ، ومات سنة سبع عشرة ومائة بواسط ، رحمه الله تعالى ،
 (أنسا) مفعول سأل ، و قتادة الفاعل ، فقال قتادة لأنس رضي الله عنه (١) :
 (أي دعوة) من الدعوات (كان أكثر) دعوة (يدعوها النبي ﷺ)
 في غالب أوقاته ؟ (قال :) أنس رضي الله عنه (كان أكثر دعوة يدعوها رسول
 الله ﷺ) في غالب أوقاته وأكثر مهاته (يقول : اللهم ربنا) أي ياربنا (آتنا)
 بعد الحمزة ، أي أعطنا (الآية) (٢) بالنصب مفعول لفعل محذوف ، أي أقول
 الآية ، أو آتم الآية ، وبالرفع على أنها مبتدأ ، أو خبر لمبتدأ .

وفي رواية : ذكر الآية بتمامها ، كما في « الصحيحين » وغيرها ، وقد
 اختلفت عبارات السلف في تفسير الحسنة ، فقيل : هي العلم والعبادة في الدنيا ،
 وقيل : الرزق الطيب ، والعلم النافع ، وفي الآخرة الجنة ، وقيل : هي العافية في
 الدنيا والآخرة ، وقيل : الزوجة الصالحة ، وقيل : حسنة الدنيا الرزق الحلال
 الواسع ، والعمل الصالح ، وحسنة الآخرة المغفرة والثواب ، وقيل : حسنة
 الدنيا العلم والعمل به ، وحسنة الآخرة تيسير الحساب ودخول الجنة ، وقيل :
 من آتاه الله الاسلام والقرآن ، والأهل والمال والولد ، فقد آتاه الله في الدنيا
 حسنة وفي الآخرة حسنة .

ونقل الثعلبي عن سلف الصوفية أقوالاً حاصلها : السلامة في الدنيا والآخرة ،
 واقتصر في « الكشف » على ما نقل الثعلبي عن علي رضوان الله عليه ؛ أنها في

(١) وعلى هامش الاصل : لا يقال : هذا ليس بثلاثي لكون عبد العزيز أسند السؤال لقتادة ؛
 لأننا نقول : إن قتادة باشر سؤال أنس رضي الله عنه بحضور عبدالعزيز بن صهيب كما لا يخفى ؛
 فزال ما لعله يحتج في صدر من لم يتفهم . « المؤلف » .
 (٢) سورة البقرة ، الآية : ٢٠١ وتقدم لفظ الآية .

الدنيا المرأة الصالحة ، وفي الآخرة الحور ، وقوله : وقنا عذاب النار .
المرأة السوء .

وقال ابن كثير : الحسنة في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية ،
ودار رجة ، وزوجة حسنة ، وولد بارٍ ، ورزق واسع ، وعلم نافع ، وعمل
صالح ، ومركب هنيء ، وثناء جميل ، إلى غير ذلك مما اشتملته عباراتهم ، فإنها
كلها مندرجة في الحسنة في الدنيا .

وأما الحسنة في الآخرة ؛ فألاها دخول الجنة ، وتوابعه من الأمن من
الفرع الأكبر في المرصات ، وتيسير الحساب ، وغير ذلك من أمور الآخرة .
وأما الوقاية من عذاب النار؛ فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا، من اجتناب
الحارم ، وترك الشبهات . انتهى كما في « الفتح » .

وقيل: الحسنة في الدنيا : الصحة ، والأمن ، والكفاية ، والولد الصالح ،
والزوجة الصالحة، والنصرة على الأعداء، وفي الآخرة ؛ الفوز بالثواب، والخلاص من
العقاب (وكان أنس) بن مالك رضي الله عنه (إذا أراد أن يدعو بدعوة واحدة
(دعا بها) أي بهذه الدعوة لاشتغالها على خيري الدنيا والآخرة ، فإنه إذا فسرت
حسنة الدنيا بالسلامة أو العافية أو السعادة شملت كل خير ، وإذا فسرت حسنة
الآخرة بالفوز أو الفلاح ونحوهما فكذلك (و) كان (إذا أراد أن يدعو بدعاء)
كثير أكثر من دعوة (دعا بها) أي بالدعوة المذكورة ، وهي : اللهم ربنا ! آتنا
في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار (فيه) أي في ذلك
الدعاء محافظة من أنس على المأثور عن الرسول المعصوم ، ولكونها آية محكمة من
كلام رب العالمين ، ولا كثار النبي ﷺ من الدعاء بها . والمداومة على ذلك منه
تشعر بعزية هذه الدعوة ، والله الموفق .

الحديث الثاني والثلاثون

٧٧ - ثنا إسماعيل ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : كان معاذ يؤم قومه ، فدخل حرام وهو يريد أن يسقي نخله ، فدخل المسجد ليصلي مع القوم ، فلما رأى معاذاً طوّل ؛ تجوز في صلاته ولحق بنخله ، فلما قضى معاذ الصلاة ، قيل له : إن حراماً دخل المسجد .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : كان معاذ) بن جبل سيد الفقهاء وحامل لوائهم الى الجنة ، وتقدمت ترجمته مع شرح هذا الحديث في شرح الحديث الثامن عشر من «مسند جابر» بن عبد الله رضي الله عنها (يؤم قومه) بني سلمة (فدخل حرام) هكذا في سائر الروايات غير منسوب ، فظن بعضهم أنه حرام بن ملحان خال أنس ، وبذلك جزم الخطيب في «المبتهات» . قال في «الفتح» : ولم أره منسوباً في الرواية ، قال : ويحتمل أن يكون تصحيفاً^(١) من حزم بن أبي كعب . وفي «مبتهات البرماوي» أنه حرام - بالحاء المهملة والراء - بن ملحان خال أنس بن مالك .

واسم ملحان - بكسر الميم - : مالك بن خالد بن زيد بن حرام النجاري الانصاري . شهد بدرأً وأُحُدأً ، واستشهد يوم بشر ممونة مع المنذر بن عمرو ، وعامر بن فهيرة . قتله عامر بن الطفيل ، وكان ذلك في صفر من الرابعة^(٢) (وهو

(١) في الاصل : تصحيف ، وهو خطأ .

(٢) وعلى هامش الاصل : أقول : الذي حررناه خلاف ذلك .

أي حرام (يريد أن يسقي نخله) أي بصدد ذلك ، والجملة حالية (فدخل المسجد أي مسجد بني سلمة (ليصلي مع القوم) صلاة العشاء أو المغرب (فلما رأى) حرام (معاذاً طوّل) الصلاة بما ابتدأها به من قراءة سورة البقرة أو غيرها ، على ما في بعض الروايات أنها : « اقتربت » (تجوز) حرام (في صلاته) أي فارق معاذاً وصلى لنفسه صلاة خفيفة (ولحق بنخله) ليسقيه ، أو لكونه خاف على الماء في النخل ، فانه كان قد أرسله على النخل ، فخاف عدم استيعابه ، أو عدم حصول المقصود ، أو نحو ذلك ، وهذا مما يؤيد قول من قال : إنهما واقعتان ، فما مر في حديث جابر واقعة ، وما هنا في حديث أنس واقعة أخرى ، وأيضاً الاختلاف في الصلاة ، هل هي العشاء أو المغرب ؟ والاختلاف في السورة ، هل هي البقرة أو اقتربت ؟ وبالاختلاف في عذر الرجل ، هل هو لأجل التطويل فقط ؟ أو لأنه جاء من العمل وهو تعب ^(١) ؟ أو لكونه أراد أن يسقي نخله ؟ وقد استشكل هذا بأنه لا يظن بمعاذ رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم يأمره بالتخفيف ، ثم يمود إلى التطويل ، وبحاج عن هذا بأنه كان قرأ أولاً بالبقرة ، فلما نهاه قرأ باقتربت ، وهي طويلة بالنسبة إلى السور التي أمره أن يقرأ بها آخرأ (فلما قضى معاذ) رضي الله عنه (الصلاة قيل له) أي قال له بعض من حضره : (إن حراماً دخل المسجد) فيه طي ، تقديره : فدخل معك في الصلاة ، ثم فارقك ، وتجوز في صلاته ولحق بنخله . فقال معاذ : إنه منافق ، أيمجل في الصلاة من أجل سقي نخله ؟ قال : فجاء حرام إلى النبي ﷺ ومعاذ عنده ، فقال : يا نبي الله ! إني أردت أن أسقي نخلاً لي ، فدخلت المسجد لأصلي مع القوم ، فلما طوّل تجوّزت في صلاتي ، ولحقت بنخلي أسقيه . فزعم أنني منافق . فأقبل النبي ﷺ على معاذ فقال : أفتان أنت ؟ أفتان أنت ؟ لا تطول بهم . اقرأ بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، ونحوها . هذا تمام حديث أنس . رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح .

(١) في الأصل : ثعبان ، وهو خطأ . قال في « القاموس » : هو ثعب ومنتب

وروي أيضاً باسناد صحيح أيضاً عن بريدة الأسلمي - رضي الله عنه - أن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - صلى بأصحابه العشاء فقرأ فيها : اقتربت الساعة ، فقام رجل من قبل أن يفرغ فصلى وذهب ، فقال له معاذ قولاً شديداً ، فأتى النبي ﷺ واعتذر إليه وقال : إني كنت أعمل في نخل وخفت على الماء ، فقال رسول الله ﷺ - يعني لمعاذ - : هل بالشمس وضحاها ، ونحوها من السور ؟ .

وقول معاذ : إنه منافق ، من شدة غضبه عليه ، لظنه أنه آثر سقي نخله على الصلاة ، ولما علم النبي ﷺ بذلك لام معاذ رضي الله عنه ، وقال له : أفنان أنت ؟ ومعنى الفتنة هنا : ان التطويل يكون سبباً لخروجهم من الصلاة ، ولتكره الصلاة في الجماعة .

وقد روى البيهقي في «الشعب» باسناد صحيح ، عن أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ؛ أنه قال : لا تبغضوا الله الى عباده ، يكون أحدكم إماماً فيطيل على القوم الصلاة ، حتى يبغض اليهم ما هم فيه ، وبالله التوفيق .

الحديث الثالث والثلاثون

٧٨ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس قال : كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل الخلاء قال : أعوذ بالله من الخُبث والخبائث .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال) أنس : (كان نبي الله) محمد ﷺ إذا دخل الخلاء (أي أراد أن يدخل المكان المعد اقضاء الحاجة) قال : أعوذ

بالله من الخبث) بضم الخاء المعجمة ، والباء الموحدة ، فثلاثة جمع خبيث (والجباث) جمع خبيثة ، وتقدم هذا الحديث بعينه وشرحه في الثامن من «مسند أنس» ؛ لكن أخرجه هناك من حديث هشيم ، عن عبد العزيز ، عن أنس ، فلم يختلف من سنده إلا شيخ الامام رضي الله عنه ، فإنه هناك هشيم ، وهنا إسماعيل ابن إبراهيم بن علي ، ولفظه هناك : اللهم إني أعوذ بك .

الحديث الرابع والثلاثون

٧٩ — ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : كان رسول الله ﷺ يضحي بكبشين ، قال أنس : وأنا أضحي بكبشين .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : كان رسول الله ﷺ) تقدم ان كان هذه تفيد التكرار والدوام والكثرة (يضحي) أي يذبح أضحيته وقت الضحى ، والضحاء بالفتح والمد ، هو إذا علت الشمس الى ريع السماء فما بعده ، والضحوة ؛ ارتفاع أول النهار . والضحي بالضم والقصر ؛ فوّه ، وبه سميت صلاة الضحى . والأضحية فيها أربع لفات : ضم الهمة ، وكسرها ، وتشديد الياء ، وضحيّة بوزن سريّة ، والجمع ضحايا ، وأضحية . والجمع أضحي ، كأرطاة وأرطى . وقال الفراء : الاضحى يذكر ويؤنث ، تقول : دنا الأضحى ، ودنت الأضحى . والأضاحي : جمع أضحية أيضاً (بكشين) متعلق بيضحي ، والكبش : فحل الضأن في أي سن كان ، وقيل : هو كبش إذا أثنى ، وقيل : إذا أربع ، والجمع : أكبش ، وكباش . وتام الحديث كما هو عند الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ،

والسنن ، من حديث أنس رضي الله عنه : أملحين أقرنين ، فرأيته واضماً رجله على صفاحها يسمي ويكبر ، فذبحها بيده .

والأمّ ملح - بالحاء المهملة - الذي فيه سواد وبياض ، والبياض أكثر ، ويقال : هو الأغبر ، وقال الخطابي : الأمّ ملح هو الأبيض الذي في خلل صوفه طبقات سود . ويقال : هو الأبيض الخالص ، قاله ابن الأعرابي ، وبه تمسك علماؤنا فقالوا : الأفضل الأشهب ، وهو الأمّ ملح وهو الأبيض ، أو ما يياضه أكثر من سواده ، فأصفر ، فأسود .

قال الامام احمد رضي الله عنه : بمجني البياض ، وقال : أكره السواد . وقيل : المراد بالأمّ ملح : الذي ينظر في سواد ، ويأكل في سواد ويمشي ، في سواد ، ويرك في سواد ، أي ان مواضع هذه منه سواد ، وما عدا ذلك أبيض . واختلف في اختيار هذه الصفة ، فقيل : لحسن منظره ، وقيل : لشحمه وكثرة لحمه . واستدل بالحديث على اعتبار العدد في الأضحية ، ومن ثمّ (قال أنس) بن مالك رضي الله عنه : (وأنا أضحي بكبشين) اثنين اقتداء برسول الله ﷺ . ولهذا قال علماؤنا ومن وافقهم : زيادة عدد في جنس أفضل من المغلاة مع عدمه ، فبدنتان بتسمة أفضل من بدنة بمشرة ، ورجح شيخ الاسلام ابن تيمية البدنة والحالة هذه على البدنتين ، والخصي راجح على النعجة ، ورجح « الموفق » الكبش على سائر الغنم ، وسبع شياء أفضل من بدنة .

وأفضل ذبح الأضحية أول يوم من وقته ، ثم ما يليه ، وآخره آخر اليوم الثاني من أيام التشريق عندنا ، كالحنفة والمالكية . وقالت الشافعية : آخره آخر الثالث من أيام التشريق . وحكى الروياني من الشافعية : أن من أراد أن يضحي بأكثر من واحد ، فالمستحب له أن يفرق ذلك على أيام النحر ، قال الامام النووي : وهذا أرفق بالمساكين ، لكنه خلاف السنة . انتهى .

وفي الحديث دليل على كون التضحية بالذبح أفضل من الأثني ، وهو قول احمد والشافعي ، وفي اختلاف الأئمة ، امون الدين أبي المظفر ابن هبيرة : فحول كل جنس أفضل من إنائه . وفيه استحباب التضحية بالأقرن ، وأنه أفضل من الأجتم مع الاتفاق على جواز التضحية بالأجم ، وهو الذي لاقرن له . (فروع) :

الأول : أول وقت الأضحية يوم العيد بعد أسبق صلاة في البلد ، فأت فاتت الصلوات بالزوال ؛ ضحى إذن ، أو بعد قدرها بعد حلها في حق من لاصلاة في موضعه .

وقال أبو حنيفة : لايجوز لأهل الامصار الذبح حتى يصلي الامام العيد ، فأما أهل القرى فيجوز لهم بعد طلوع الفجر .

وقال مالك : وقت الذبح بعد الصلاة والخطبة وذبح الامام .
وقال الشافعي : وقته إذا مضى من الوقت مقدار ما يصلي فيه ركعتين ويخطب خطبتين بعدها .

واتفقوا على جواز ذبح الأضحية ليلا ونهاراً في وقتها المذروع لها ؛ إلا مالكا ، فانه قال : لايجوز ذبحها ليلا ، وأبو حنيفة يكرهه مع جوازه . قلت : وهكذا مذهبنا ، فانه يكره تنزيها ذبح الأضحية في ليلتي التشريق ، والله أعلم .

الثاني : لاتصح الأضحية إلا من الابل والبقر والغنم ، فلا تجزىء بالوحشي ولا بمن أحد أبويه وحشي ، وأفضلها : أحسن ، وأغلى ثمناً ، وذكر وأثنى سواء ، ولايجزىء إلا الجذع من الضأن وهو ماله ستة أشهر ، والثني مما سواء . فثني الابل ما كمل له خمس سنين ، وبقر سنتان ، وممّر ستة . وهذا المذهب بلا ريب .
وقالت الشافعية : جذع الضأن ماتم له سنة وطعن في الثانية ، وثني المعز كالقر ماتم له سنتان وطعن في الثالثة .

وقال العبادي منهم : لو أجذع ولد الضأن قبل السنة ، أي سقطت أسنانه ؛
أجزأ ، كما لو تمت السنة قبل أن يجذع ، ويكون ذلك كالبلوغ ، إما بالسن أو
الاحتلام . وهكذا قال البغوي : الجذع من الضأن : ما استكمل السنة أو
أجذع قبلها .

الثالث : الأضحية سنة مؤكدة ، ويكره تركها لقادر عليها ، وليست
واجبة إلا أن يندرها . وكانت واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال أبو حنيفة : هي واجبة على كل مسلم مقيم مالك لنصاب من أي
الاموال كان .

واتفق الثلاثة على كونها سنة ، إلا أن مالكاً قال : الحاج الذي بمنى
لا أضحية عليه ، وماعداء من المسلمين فعلى كل من قدر عليها من أهل الأمصار
والقرى والمسافرين . وقال : هي مسنونة غير مفروضة مع إيجابه لها على من ذكر .

الرابع : يُسن لمن ضحى أن يأكل ثلث أضحيته الأدون ، ويهدي ثلثها
الأوسط ولو لغني ، ويتصدق بثلثها الأفضل ولو منذورة أو معيّنة . قال الامام
أحمد رضي الله عنه : وكان من شعار الصالحين تناول لقمة من الأضحية من كبدها
أو غيرها تبركاً .

وأما إن كانت الأضحية ليتيم ، فلا يتصدق الولي ، ولا يهدي منها شيئاً ،
بل يوفرها له .

فإن أكل المضحي كل أضحيته ، أو أهداها كلها إلا أوقية تصدق بها ،
جاز ، لأنه تجب الصدقة بيمضها نيتاً على فقير مسلم .

وقال أبو حنيفة : له أن يأكل من أضحيته ، ويطعم الفقراء والأغنيا .
ويدخر ، ويستحب أن لا ينقص الصدقة عن الثلث .

وقال مالك : يأكل منها ، ويطعم فقيراً وغنياً ، وحرّاً وعبيداً ، ونبئاً ومطبوخاً ، ويكره أن يطعم منها يهودياً أو نصرانياً ، وليس لأى أكل منها ويطعم حد ، قال : والاختيار أن يأكل الاقل ، ويقسم الاكثر ، ولو قيل : يأكل الثلث ويقسم الباقي لكان حسناً . ومذهب الشافعي كمذهبننا . وقيل : عنده يأكل النصف ، ويتصدق بالنصف . والله أعلم .

تمة : في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سعى عند ذبح أضحيته وكبر ، أي قال : بسم الله والله أكبر ، وأنه صلى الله عليه وسلم وضع رجله الشريفه — أي اليمنى — على صفاحها — أي الكبشين — يعني على صفحة كل واحد منها عند الذبح .

والصفاح بكسر الصاد المهملة ، وتخفيف الفاء وآخره حاء مهملة : الجوانب والمراد الجانب الواحد من وجه الأضحية ، وإنما ثني إشارة الى أنه فعل ذلك في كل منها ، فهو من إضافة الجمع الى المثنى بارادة التوزيع .

وفي الحديث استحباب ذبح المضحي أضحيته بيده ، ولا خلاف في مشروعية ذلك ، وإنما الخلاف في وجوبه .

وقد اتفقوا على جواز التوكيل فيها ولو للقادر ؛ نعم عند المالكية رواية بعدم الاجزاء مع القدرة ، وعند اكثرهم يكره ، لكن يستحب أن يشهدها . ويجوز أن يوكل في ذبحها كتابياً مع الكراهة عند الثلاثة ، وقال مالك : لا يجوز أن يذبحها إلا مسلم .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : يستحب اذا ذبح أن يقول : وجهت وجهي الى قوله : وأنا من المسلمين . قال الامام أحمد : يسمي ويكبر حين يحرك يده بالذبح ويقول : اللهم هذا منك ولك . ولا بأس بقوله : اللهم تقبل من

فلان ، نض عليه الامام أحمد . وذكر بعضهم أنه يقول : اللهم تقبل مني كما تقبلت من ابراهيم خليلك ، والله أعلم^(١) .

الحديث الخامس والثلاثون

٨٠ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل) بن ابراهيم (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : من لبس الحرير) ومثل اللبس اقتراشه ، واستناده اليه ، واتكاؤه عليه ، وتوسده ، وتعليقه ، وستر الجدر به ، غير الكعبة المشرفة - زادها الله تشريقاً - وكلام أبي المصالي يدل على أنه محل وفاء . وذكر في « الفروع » ، أن تحريم نحو الاستناد والاتكاء خلاف الحنفية .

والحرير معروف ، وهو عربي ، وسمي بذلك لخلوصه ، يقال لكل شيء

(١) وجدنا الحديث التالي مكتوباً على هامش بحث الاضحية من المخطوطة ، بخط آخر ، وغير مندرج في سياق البحث :

وعن أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب الى الله من اهرق الدم ، وانها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض ، فطيبوها نفساً . رواه الترمذي وابن ماجه ، وحسنه الترمذي ، والحاكم وصححه . « المؤلف »

خالص : محرر ، وحررت الشيء خلصته من الاختلاط بغيره . وقيل : هو فارسي معرب (في) الحياة (الدنيا) من الرجال المكلفين لغير عذر ، (لم يلبسه) أي الحرير (في الآخرة) وفي رواية : إن يلبسه في الآخرة ، وزاد النسائي في رواية له : ومن لم يلبسه في الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى : « لباسهم فيها حرير »^(١) .

وهذه الزيادة مدرجة في الخبر ، وهي موقوفة على عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، كما بين ذلك النسائي . وكذا أخرجه الاسماعيلي من طريق علي بن الجعد ، عن شعبة ، ولفظه : فقال ابن الزبير - من رأيه - من لم يلبس الحرير في الآخرة لم يدخل الجنة ، وذلك لقوله تعالى : « ولباسهم فيها حرير »^(١) وقد جاء مثل ذلك عن ابن عمر أيضاً ، أخرجه النسائي من طريق حفصة بنت سيرين ، عن خليفة ابن كعب ، قال خطبنا ابن الزبير ، فذكر الحديث المرفوع ، وزاد ، قال : فقال ابن عمر : إذا والله لا يدخل الجنة ، قال الله : « ولباسهم فيها حرير »^(١) ؛ لكن أخرج الامام أحمد ، والنسائي وصححه الحاكم ، من طريق داود السراج ، عن أبي سميد ، فذكر الحديث وزاد : وإن دخل الجنة لبسه أهل الجنة ولم يلبسه هو . وهذا يحتمل أن يكون أيضاً مدرجاً ، وعلى تقدير ثبوته مرفوعاً ، فهو من الامام المخصوص بالمكلفين من الرجال ، للدلالة الاخرى بمجوازه للنساء .

وقد جاء الوعيد على لبس الحرير في عدة أحاديث : فمنها هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه عن أنس بن مالك ، متفق عليه .

ومنها ما في « الصحيحين » وغيرها من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا تلبسوا الحرير ، فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة .

(١) سورة الحج ، الآية : ٢٣

وفي « الصحيحين » من حديث عمر رضي الله أيضاً قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنما يلبس الحرير من لا خلاق له ، زاد البخاري ، وابن ماجه وغيرهما : في الآخرة .

والامام أحمد ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم ، عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعاً : من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة . وفي « صحيح البخاري » عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباغ ، وأن نجلس عليه .

وفي قوله : وأن نجلس عليه حجة قوية لمن قال بمنع الجلوس على الحرير ، وهو قول الجمهور ، خلافاً لابن الماجشون ، والكوفيين ، وبمض الشافعية . وأجاب بمض الحنفية بأن لفظة : نهى ليس صريحاً في التحريم ، وبمضهم باحتمال أن يكون النهي ورد عن مجموع الابس والجلوس ، لا عن الجلوس بمفرده . هذا مع أن ابن بطلال قال في « شرح البخاري » : هذا الحديث نص في تحريم الجلوس على الحرير . وقال في « الفتح » : بل هو ظاهر في التحريم وليس بنص .

وقد أخرج ابن وهب في « جامعه » من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : لأن أقعد على جمر الفضا أحب اليّ من أقعد على مجلس من حرير . وقد أخرج الامام أحمد ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : لا يستمتع بالحرير من يرجو أيام الله .

وروى الامام أحمد أيضاً ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، مرفوعاً : إنما يلبس الحرير في الدنيا من لا يرجو أن يلبسه في الآخرة .

قال الحسن : فما بال أقوام يلبسهم هذا عن نبيهم ، يجعلون حريراً في ثيابهم وبيوتهم ؟

وأخرج الامام أحمد أيضاً عن أبي أمامة رضي الله عنه ، مرفوعاً : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يلبس حريراً ولا ذهباً .

تنبيهه : أجمعت الأمة على تحريم لبس الحرير للرجال ، وإباحته للنساء . واختلف في علة تحريمه على الرجال على رأيين مختلفين : أحدهما : الخيلاء ، والثاني : كونه ثوب رفاهية وزينة ، فيليق بزي النساء دون شهامة الرجال . ويحتمل علة ثالثة وهي : التشبه بالمشركين . قال ابن دقيق العيد : وهذا قد يرجع الى الاول لانه من سمة المشركين ، والله الموفق .

الحديث السادس والثلاثون

٨١ - ثنا اسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : لزينب تصلي ، فإذا كسلت أمسكت به . فقال : حلّوه ، ثم قال : ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا كسل أو فتر فليقمعد .

قال رضي الله عنه : (ثنا اسماعيل) ابن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : دخل رسول الله ﷺ المسجد) أل فيه للهد ، أي مسجده الشريف (وحبل) وهو السبب الذي يربط به (ممدود) صفة لحبل ، والجملة حالية (بين ساريتين) من سواري المسجد . قال الجوهرى : هي الاسطوانة . والاسطوانة بالضم ، معرب استون ، أفعواله ، أو فملوانة . والمراد :

عمودين ، من قوائم المسجد (فقال) ﷺ (ما هذا ؟) أي الجبل الممدود ،
يعني لمن هذا ؟ ولأني شيء مد هذا الجبل بين هاتين الساريتين ؟ (قالوا) أي
من حضر وعلم من الصحابة رضي الله عنهم ، هذا (لزينب) أي بنت جحش ،
وتقدمت ترجمتها في الحديث الخامس من «مسند أنس» رضي الله عنها. ولأني داود ،
قالوا : لجنة بنت جحش ، ولابن خزيمة : ليمونة بنت الحارث قال في «الفتح» :
وهي رواية شاذة ، والرواية الصحيحة الأولى كما في «المسند» و«المصحيح» ، وأبي
داود ، والنسائي ، وابن ماجه (تصلي) ما دامت نشطة (فإذا كسلت) وفي
رواية : إذا فترت بالثناة ، بمعنى كسلت عن القيام لشدة تعبها ، وكثرة نصبها لربها
(أمسكت به) لتقوم وتستعين بذلك على طول القيام والعبادة (فقال) صلى
الله عليه وسلم : (حلوه) أي الجبل من بين الساريتين ، وفي رواية : لا ،
أي لا يكون هذا الجبل ، أولاً يحمد هذا الفعل ، هذا ان كانت لا نافية ،
ويحتمل أن تكون ناهية ، أي لا تفعلوا مثل هذا (ثم قال) صلى الله عليه وسلم
(ليصل) اللام للأمر و (أحدكم) فاعل (نشاطه) بفتح النون ، أي مدة
نشاطه ، يعني مدة خفته له ، وإيثار فعله بخفة وسرعة ورغبة من غير تكاف
ولا تخامل . قال في «القاموس» : نشط كسمع ، نشاطاً بالفتح فهو ناشط
ونشيط ؛ أي طابت نفسه للعمل . أي ليصل أحدكم ما طابت نفسه للعمل من غير
تكاسل ولا ثقل (فإذا كسل) عن الصلاة (أو فتر) أي صار ذا فتور ، وهو
ضعف وانكسار ، يقال : افتر الرجل فهو مفتر : إذا ضعفت جفونه وانكسر
طرفه (فليقم) أي ، فإذا فتر في أثناء قيامه فليقم ويتم صلاته قاعداً ، أو إذا
فتر بعد فراغ بعض تسليياته ؛ فليأت بما بقي من نوافله قاعداً ، أو فليترك حتى
يحدث له نشاط ، فلا يصلي إذا غلبه النوم حتى يعقل ما يقول ويفعل .

وفي «المصحيحين» ، و«أبي داود» ، و«الترمذي» ، و«النسائي» ، و«ابن

ماجة ، ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : إذا نمت أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم ، فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس ، لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه . ولفظ النسائي : إذا نمت أحدكم وهو يصلي فليتنصرف ، فلهله يدعو على نفسه وهو لا يدري .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : إذا نمت أحدكم في الصلاة فليمن ؛ حتى يعلم ما يقرؤه .

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : السنة - والذي لا إله إلا هو - بين الغالي والجاني ، فاصبروا عليها رحمكم الله ، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى ، وم أقل الناس فيما بقي ، الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم ، ولا مع أهل البدع في بدعهم ، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم . فكذلك إن شاء الله فكونوا .

وقد قال صلى الله عليه وسلم : إياكم والغلو في الدين ، فانما أهلك الذين من قبلكم بالغلو في الدين ، رواه الامام أحمد ، والنسائي .

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : لا تشددوا فيشدد الله عليكم ؛ فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ، فترك بقاياهم في الصوامع والأديار^(١) ، رهبانية ما كتبناها عليهم ، فهي رسول الله ﷺ عن التشدد في الدين ، وأخبر أن تشديد البعد على نفسه بالزيادة على المشروع ، هو السبب لتشديد الله عليه ، إما بالقدر وإما بالشرع ، فالتشديد بالشرع ؛ كما يشدد على نفسه بالنذر الثقيل ، فيأزمه الوفاء به ، وبالقدر ؛ كفعل أهل الوسوسة ، فانهم شددوا على أنفسهم فشددت عليهم بالقدر ، حتى استحکم ذلك وصار صفة لازمة لهم .

وقال أبي بن كعب : عليكم بالسبيل والسنة ، فانه ما من عبد على السبيل

(١) في الاصل الديارات . قال في «القاموس» : الدير : جمه أديار .

والسنة ذكر الله فاقشعر جلده من خشية الله إلا تحاثت عنه خطاياها كما يتحاث عن الشجرة اليابسة ورقها ، وإن اقتصاداً في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة ، فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصاداً أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم . وبالله التوفيق .

تنبه : هذا الحديث وما بعده مما ذكرناه ، أصل عظيم في الاقتصاد ، وهو التوسط والعدل بين جانبي الإفراط والتفريط من الفعل والقول ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية : دين الله تعالى بين الغالي والجاني والحققة هي المهلكة والحسنة بين سيئتين .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : يسيروا ولا تمسروا ، وبشروا ولا تنفروا .

وفي « سنن أبي داود » من حديث سهل بن أبي أمامة ، أنه دخل هو وأبوه على أنس بن مالك رضي الله عنه بالمدينة ، في زمان عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة ، فإذا هو يصلي صلاة خفيفة ذفيفة — أي بالذال المعجمة المفتوحة ، ففائين بينها تحنانية ، فهاء تأنيث — بمعنى خفيفة لا إطالة فيها ولا تكلف ولا رياء ، كأنها صلاة مسافر ، أو قريباً منها ، فلما سلم قال : يرحمك الله ، أرأيت هذه الصلاة المكتوبة ، أو شيء تنقلته ؟ قال : إنها للمكتوبة ، وإنها لصلاة رسول الله ﷺ ، ما أخطأت إلا شيئاً سهوت عنه ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا تشددوا ... الحديث .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : كانت عندي امرأة من بني أسد ، فدخل علي رسول الله ﷺ ، فقال : من هذه ؟ قلت : فلانة ، لا تنام من الليل ، تذكر من صلاتها . قال : مه ، عليكم من

الأعمال ما تطيقون ، فإن الله لا يملأ حتى تملأوا . وكان أحب الدين ما داوم (١)
عليه صاحبه .

وفي رواية لمسلم : أن الحولاء بنت تويت مرت بها (٢) وعندها رسول الله
ﷺ ، فقلت : هذه الحولاء بنت تويت ، وزعموا أنها لا تنام الليل ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : لا تنام الليل ! خذوا من العمل ما تطيقون ، فوالله
لا يسأم الله حتى تسأموا .

وفي «الموطأ» مرسلًا ، عن إسماعيل بن أبي حكيم ، أنه بلغه أن رسول
الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصلي ، فقال : من هذه ؟ قيل : الحولاء بنت تويت ،
لا تنام الليل ، فكره ذلك حتى عرفت الكراهية في وجهه ، ثم قال : إن الله
لا يملأ حتى تملأوا . اكلفوا من العمل ما لكم به طاقة .

قوله : الحولاء - هو بفتح الحاء المهملة ، وسكون الواو ، وبالمد . وتويت : بضم التاء
المثناة فوق ، وفتح الواو ، وسكون الياء التحتية ، فتاء فوقها نقطتان وهي الحولاء بنت
تويت ، ابن جبيب بن أسد بن عبد المزى بن قصي ، القرشية ، الأسدية . أسلت بعد
الهجرة ، وبايعت النبي ﷺ وهاجرت إليه ، وكانت من المتعبدات في العبادة .
روت عنها عائشة رضي الله عنها ، وقالت عائشة : إن الحولاء استأذنت على النبي
ﷺ ، فأذن لها وأقبل عليها ، فقلت : يا رسول الله ! أتقبل على هذه - هذا
الاقبال ؟! فقال : إنها كانت تأتينا في زمن خديجة ، وإن حفظ العهد من الإيمان ،
ويقال : إن هذا الحديث ورد في غير الحولاء والله تعالى أعلم .

وقوله : لا يملأ حتى تملأوا ، المراد بهذا الحديث : أن الله لا يملأ أبدًا ، ملتم أو لم تملأوا ،
فجري مجرى قولهم : حتى يشيب الغراب ، ويبيض الثمار ، وقيل معناه : إن الله لا

(١) في الاصل : ما دام .

(٢) أي بمانشة رضي الله عنها .

يطرَحكم حتى تتركوا العمل له ، وتزهدوا في الرغبة ، فسمى الفطيلين ملاء ، وكلاهما ليس بمل ، كمادة العرب في وضع الفعل اذا وافق معناه ، نحو قوله :

ثم أضحوا لئيب الدهر بهم وكذلك الدهر يودي بالرجال

فجعل إهلاكه إيام لباً ، وقيل معناه : أن الله لا يقطع عنكم فضله ، حتى تعلموا سؤاله ، فسمى فعل الله ملاء ، وليس بمل على جهة الازدواج ، كقوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه » ^(١) وكقوله : « وجزاء سيئة سيئة مثلها » ^(٢) وهذا سائق في العربية ، وكثير في القرآن ، ويسمى ما كان مثل هذا : مشكلة .

وروى الترمذي ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن لكل شيء شر ، ولكل شر فترة ، فإن كان ^(٣) صاحبها سدد وقارب فارجوه ، وإن أشير إليه بالأصابع فلا تعدوه .

وفي كتاب الحافظ أبي الحسن رزين بن معاوية البصري ، عن ابن عباس رضي الله عنها ، قال : كانت مولاة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خبر عنها أنها تقوم الليل وتصوم النهار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكل عامل شر ، ولكل شر فترة ، فمن صارت فترته الى سنتي ؛ فقد اهتدى ، ومن أخطأ فقد ضل .

وفيه أيضاً عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : لن ينجي أحدكم عمله ، قالوا : ولا أنت ؟ قال : ولا أنا ، إلا أن يتغمطني الله برحمته منه ، فسددوا وقاربوا ، أغدوا وروحوا شيئاً من الدلجة ، والقصد

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٩٣

(٢) سورة الشورى ، الآية : ٤٠

(٣) لم تكن كان في الاصل ، والتصحيح من « الترغيب والترهيب » .

القصـد تبلـغوا . وإن أحب الاعمال ، ما داوم عليه صاحبه وإن قل ، فاكملوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله لا يمل ؛ حتى تملوا .

وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :
خير الامور أوساطها .

ومعنى هذا : إن لكل خصلة محمودة طرفين مذمومين ، مثل السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والانسان مأمور أن يجتنب كل وصف مذموم ، وتجنبه بالتخلي عنه ، والبعد منه ، فكما ازداد منه بعداً ؛ ازداد منه تحلياً وتمرياً ، وأبعد الجهات والأماكن والمقادير من كل طرفين ، فانما هو وسطها ، لأن الوسط أبعد الجهات من الاطراف ، وهو غاية البعد عنها ، فاذا كان في الوسط ؛ فقد تمرى عن الاطراف المذمومة ؛ بقدر الامكان ، فلهذا كان خير الامور أوساطها . كما في « جامع الاصول » للعلامة ابن الاثير . رحمه الله تعالى .

وفي أواخر كتاب « الروح » للامام المحقق ابن القيم : الاقتصاد خلق محمود يتولد من خلقين : عدلٍ وحكمةٍ ، فبالعدل يعتدل في المنع والبذل ، وبالحكمة يضع كل واحد منها موضعه الذي يليق به ، فيتولد من بينهما الاقتصاد ، وهو وسط بين طرفين مذمومين . كما قال تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً »^(١) وقال تعالى : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً »^(٢) يعني كما أن التبذير مذموم ؛ فكذلك الشح مذموم ، وبين هذين الطرفين الجود والكرم . والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٢٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٧

الحديث السابع والثلاثون

٨٢ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : أقيمت الصلاة ورسول الله ﷺ نجيّ لرجل في المسجد ، فما قام للصلاة حتى نام القوم .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو بشر (إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) ابن صبيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : أقيمت) - بضم الهمزة - مبنياً للمجهول (الصلاة) بالرفع نائب الفاعل ، أي صلاة العشاء كما بينه حماد ، عن ثابت عن أنس (ورسول الله ﷺ نجيّ لرجل) وفي لفظ : يناجي رجلاً ، والواو في قوله : ورسول الله ، واو الحال . قال في « الفتح » : لم أقف على اسم هذا الرجل ، وذكر بعض الشراح ؛ أنه كان كبيراً في قومه ، فأراد أن يتألفه على الاسلام ، قال : ولم أقف على مُستند ذلك . انتهى . وتقدم الكلام على التجوى في الحديث الخامس من «مسند ابن عمر» رضي الله عنها ، فراجعه هناك تظفر بجملة أحكامها . وكان رسول الله ﷺ نجيّاً لذلك الرجل (في المسجد) أي في مسجده الشريف ، فذال ، فيه للمهد الذهني : (فما قام) ﷺ (للصلاة حتى نام القوم) وفي لفظ في « الصحيحين » : حتى نام بعض القوم ، زاد شعبة ، عن عبد العزيز : ثم قام أي البمض الذي نام فصلى . أخرجه مسلم ، وكذا هو عند البخاري في الاستئذان^(١) من «صحيحه» ، وكذا في مسند إسحاق بن راهوية ، وابن حبان من وجه آخر عن أنس ، وهو يدل على أن النوم المذكور لم يكن مستغرقاً ،

(١) أي في باب الاستئذان .

ويرشد الى كون النوم كان يسيراً ، أنه وقع بين إقامة الصلاة وبين الاحرام بها . وفي بعض الروايات : حتى نفس بعض القوم بين الإقامة والاحرام . وفي الحديث جواز الفصل بين الإقامة والاحرام لحاجة ، وأما اذا كان لغير حاجة فمكروه . قال الزين بن المنير : لفظ الخبر يشعر بأن المناجاة كانت لحاجة النبي ﷺ ، لقول أنس : والنبي ﷺ يناجي رجلاً ، ولو كانت لحاجة الرجل ؛ لقول أنس : ورجل يناجي النبي ﷺ . انتهى . واعترضه في « الفتح » : بأن هذا ليس بلازم ، وفيه غفلة منه عما في « صحيح مسلم » بلفظ : أقيمت الصلاة ، فقال رجل : لي حاجة ، فقام النبي ﷺ يناجيه .

الحديث الثامن والثلاثون

٨٣ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أخذ أبو طلحة بيدي ، فانطلق بي إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ! إن أنساً غلام كئيسٌ فليخدمك . قال : فخدمته في السفر والحضر . والله ما قال لي شيء صنعت لم صنعت هذا ، ولا شيء لم أصنعه لم لم تصنع هذا هكذا .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة) النبوية مهاجراً من مكة المشرفة إليها (أخذ أبو طلحة) واسمه زيد بن سهل بن الأسود ابن

خرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار ، الانصاري النجاري ، مشهور بكنيته ، شهد العقبة الأخيرة مع السبعين ، ثم شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد ، وهو زوج أم أنس ابن مالك ، كما تقدم في ترجمة « الضبيصاء » في الحديث السادس عشر من مسند أنس وكان أبو طلحة من الرماة المذكورين ، قال ﷺ : لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة . وفي لفظ : خير من مائة رجل ، وكان يسرد الصوم كثيراً ، بعد وفاة النبي ﷺ ، يقال : إنه سرد الصوم أربعين سنة . روي عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وزيد بن خالد ، وغيرهم . روي له عن النبي صلى الله عليه وسلم : اثنان وسبعون حديثاً ، اتفقاً على حديثين ، وانفرد البخاري بحديث ، ومسلم بآخر . مات أبو طلحة سنة إحدى وثلاثين ، وقيل : سنة اثنين وثلاثين ، وقيل : أربع وثلاثين ، وهذا يخالف كونه سرد الصوم أربعين سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، إلا أن يقال : إنه جبر الكسر .

روي أنس أن أبا طلحة رضي الله عنها ، قرأ سورة براءة ، فأثى على قوله تعالى : « انفروا خفافاً وثقالاً » (١) فقال : لا أرى ربنا إلا يستنفرنا شباباً وشيوخاً ، يابني جهزوني ، فقالوا : يرحمك الله ، لقد غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فدعنا ننفر عنك . فقال : لا ، جهزوني ، ففزا البحر فمات في البحر ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام ، فدفنوه فيها وهو لم يتغير .

قال النووي : رواه البيهقي بإسناد صحيح ، ورواه ابن أبي شيبة في « مصنفه » عن الحسن ، وعطاء . وقيل : إنه مات بالمدينة وهو ابن سبعين سنة . رحمه الله ورضي عنه « يدي » متعلق بأخذ (فانطلق) أبو طلحة (بي

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤١

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ! إن أنساً (يعني نفسه) غلام كتيّس) أي عاقل كما في « النهاية » .

وقال في « المصباح » : الكيس وزان قتلّس : الظرف والفتنة ، والكيتّس مثقلاً : اسم فاعل ، وجمه أكيّاس ، مثل جيد وأجّياد (فليخدمك) الفاء سببية ، واللام لام الامر ، وهي من الأدنى الى الأعلى ، فتكون دعائية ، أي فاتمخذه لك خادماً يخدمك ، فاتمخذه صلى الله عليه وسلم خادماً (قال) أنس رضي الله عنه (فخدمته) صلى الله عليه وسلم عشر سنين . كما عند الامام احمد والبخاري وغيرهما ، وهو كذلك في معظم الروايات .

ووقع عند « مسلم » ، من طريق إسحق بن أبي طلحة ، عن أنس رضي الله عنه ؛ والله لقد خدمته تسع سنين ، ولا مفارقة بينها ، لأن ابتداء خدمته كان بعد قدومه ﷺ المدينة ، وبعد تزويج أم سليم بأبي طلحة ، وإنما تزوجت أم سليم بأبي طلحة بعد قدوم النبي ﷺ بمدة أشهر ، كما في « الفتح » ، لأنها بادرت الى الاسلام ، ووالد أنس حي ، فعرف بذلك فلم يسلم ، فخرج في حاجة له فقتله عدوه له . وكان أبو طلحة قد تأخر إسلامه ، فانفق أنه خطبها ، فاشترطت عليه أنه يسلم ، فأسلم ، كما أخرجه ابن سعد باسناد حسن ، فعلى هذا تكون مدة خدمة أنس تسع سنين وأشهرًا ، فالنبي الكسر مرة وجبره أخرى ، هكذا في « الفتح » . (في السفر والحضر) أشار بالسفر إلى ما وقع في المغازي من البخاري وغيره عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ طلب من أبي طلحة لما أراد الخروج الى خيبر من يخدمه ، فأحضره أنساً ، فأشكل هذا الحديث على الحديث الاول ؛ لأن بين قدومه المدينة وبين خروجه الى خيبر نحو ست سنين . وأجيب بأنه طلب من أبي طلحة من يكون أسن من أنس وأقوى على الخدمة في السفر ، فعرف أبو طلحة من أنس القوة والكفاة على ذلك ، فأحضره ، فلهذا

قال أنس رضي الله عنه : فخدمته في الحضر والسفر (والله ما قال لي) أف قط .
قال الراغب : أصل الأف : كل مستقذر من وسخ ، كقلامة الظفر ،
وما يجري مجراها ، ويقال ذلك لكل مستخف به ، ويقال أيضاً عند تكره الشيء .
وعند التضجر من الغير ، واستعملوا منها الفعل كأفقت بفلان ، وفي أف عدة
لغات : الحركات الثلاث بغير تنوين ، وبالتنوين ، وقد وقعت هذه الرواية وهي :
ما قال لي : أف قط في « الصحيحين » وغيرهما ، لكن وقع في مسلم هنا : أفأ
بالنصب والتنوين ، وهي موافقة لبعض القراءة الشاذة ، وهذا كله مع ضم الهمزة
والتشديد ، وعلى ذلك اقتصر أكثر الشراح كما في « الفتح » .

قال : وذكر أبو الحسن الزناتي فيها لغات كثيرة : فبلغها تسماً وثلاثين ،
وقلها ابن عطية وزاد واحدة ، فأكملها أربعين ، وملخص ذلك الستة المتقدمة
وبالتخفيف كذلك ستة أخرى ، وبالسكون مشدداً ومخففاً ، وزيادة هاء
ساكنة في آخره مشدداً . وأفأ ، بالامالة ، وبينين ، وبلا إمالة : الثلاثة بلا تنوين ،
وأفو بضم ثم سكون . وأفى بكسر ثم سكون ، فذلك اثنتان وعشرون ، وهذا
كله مع ضم الهمزة ، ويجوز كسرهما وفتحها . فأما بكسرهما : ففي إحدى عشرة :
كسر الفاء وضما مشدداً مع التنوين وعدمه أربعة ، ومخففاً بالحركات الثلاث مع
التنوين وعدمه ستة ، وأفى بالامالة والتشديد . وأفأ بفتح الهمزة فهي ست : بفتح
الفاء وكسرهما مع التنوين وعدمه ، وبالسكون ، وبالف مع التشديد ، والتي
زادها ابن عطية : أفاه بضم أوله وزيادة ألف وهاء ساكنة ، وقرئ من هذه
اللغات ست : كلها بضم الهمزة ، فأكثر السبعة بكسر الفاء مشدداً بغير تنوين ،
ونافع وحفص كذلك ، لكن بالتنوين ، وابن كثير وابن عامر بالفتح والتشديد
بلا تنوين .

قال أنس رضي الله عنه : وما قال لي (لشيء صنعته لم) أي لأي شيء .

(صنعت هذا؟) زاد في لفظ كذا ، وفي لفظ : ما علمته ، قال لشيء صنعته لم فملت كذا وكذا؟ (ولا) قال (لشيء لم أصنعه : لم) أي لا شيء (لم تصنع هذا هكذا؟).

وفي لفظ : لم لم تصنع هذا كذا؟ ويستفاد من هذا ترك العتاب على ما فات ، لأن هناك مندوحة عنه باستئناف الامر به اذا احتيج اليه .
وفائده : تنزيه اللسان عن الزجر والذم ، واستئلاف خاطر الخادم بترك معاقبته ، وكل ذلك من الامور التي تتعلق بحظ الانسان .
وأما الامور اللازمة شرعاً فلا يتسامح فيها ، لأنها من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وفي رواية لمسلم : ولا قال لي لشيء : لم فعلت وهلا فعلت؟ وفي رواية له أيضاً : لشيء مما يصنعه الخادم .

وهذا من مكارم أخلاق النبي ﷺ ، ومحاسن شيمه وسمة كرمه وحله ، وتفويض أمره لعالم سره وجهره . وملاحظة تقدير ربه وإجراء الأمر على وفق إرادة مالك أمره وكسبه ، فانه عليه الصلاة والسلام كان أحسن الناس خلقاً وخلقاً ، وأكرمهم شيماً ، وأعرقهم صدقاً ، وناهيك من شهد له بمظم خلقه العليم الحكيم بقوله سبحانه : «وانك لعلی خلق عظیم» (١) .

قال الحسن البصري : حقيقة حسن الخلق بذل المعروف ، وكف الأذى ، وطلاقة الوجه .

وقال القاضي عياض : هو مخالطة الناس بالجميل .

وقال في «الفتح» : حسن الخلق : اختيار الفضائل ، واجتناب الرذائل .
وقد سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن ، يفضب لفضبه ويرضى لرضاه .

(١) سورة الفم ، الآية : ٤

وتفصيل هذا أنه كان ﷺ يتصف بكل صفة حميدة مذكورة فيه ،
 ويحتجب كل حصلة ذميمة مسطورة فيه .
 وعلى كل حال رسول الله ﷺ أحسن الناس خلقاً ، وأكرمهم شيئاً
 بلا محال ، والله ولي الفضل .

تنبيه : جوز الحافظ ابن حجر وغيره من الشراح أن عدم التأنيف
 والتمب والاعتراض على أنس رضي الله عنه من رسول الله ﷺ أنه من كمال
 أدب أنس ، وهذا بعيد جداً لأمر :

الاول : أن الحديث إنما ذكر في حسن أخلاق سيد العالم وصفوة بني
 آدم ، وعظيم حلمه ، وسعة باله ﷺ .

الثاني : أن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كما في « المسند » وغيره : ولا
 عاب عليّ شيئاً قط ، ولا أمرني بأمر وتوانيت عنه أو ضيقت فلامي ، ولا لامني
 أحد من أهله إلا قال : دعوه ، فلو قدر أو قضي كان .

وفي « صحيح مسلم » « كالمسند » عن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً ، فأرسلني يوماً لحاجة فقلت : والله لا
 أذهب ... الحديث .

الثالث : ان أنساً يومئذ غلام صغير ، عمره نحو عشر سنين ، يبعد أن
 يخدم عشر سنين مع صغر سنه ولا يقع منه ما يتوجب تأنيفه ولا لومه ولا
 تسنيفه ، وبالله التوفيق .

الحديث التاسع والثلاثون

٨٤ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز بن صهيب ، عن
 أنس بن مالك قال : اصطنع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتماً ،

فقال : إما قد اصطنعنا خاتماً ونقشنا فيه نقشنا ، فلا ينقش
أحد عليه .

قال رضي الله عنه (ثنا اسماعيل) هو ابن عليّة (ثنا عبد العزيز بن صهيب ،
عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : اصطنع) أي أمر (رسول الله ﷺ)
أن يصنع له الصانع (خاتماً) كما يقول : كتبت ، أي أمر أن يكتب له ، والطاء
بدل من تاء الافتعال لاجل الصاد ، وجزم الحافظ ابن سيد الناس أن اتخاذ
الخاتم للنبي ﷺ كان في السنة السابعة ، وجزم غيره بأنه كان في السادسة ،
ويجمع بأنه كان في أواخر السادسة وأوائل السابعة ؛ لأنه إنما اتخذهُ ﷺ عند
إرادته مكتبة الملوك ، وكان إرساله الكتب ^(١) في مدة الهدنة ، وكانت الهدنة
في ذي القعدة ، سنة ست ، ورجع إلى المدينة في ذي الحجة ، ووجه الرسل في
الحرم من السابعة ، وكان اتخاذ الخاتم قبل إرسال الرسل إلى الملوك (فقال)
ﷺ لأصحابه : (إما قد اصطنعنا خاتماً ونقشنا) أي أمرنا الصانع أن ينقش
(فيه نقشنا) وقوله اصطنعنا ونقشنا : بصيغة الجمع ، وهي للتعظيم هنا ، والمراد أنني
اتخذت ، والمراد نقشنا فيه اسمنا ، يعني أمرنا أن ينقش فيه : محمد رسول الله ، ثم
قال ﷺ : (فلا ينقش أحد) منكم (عليه) أي على نقشه ؛ يعني لا ينقش أحد
على خاتمه : محمد رسول الله ، وفي لفظ : فلا ينقش أحد على نقشه ، أي مثل
نقشه ؛ لئلا تفوت مصلحة نقش اسمه الشريف بوقوع الاشتراك .

وقد أخرج ابن أبي شيبة في « المصنف » عن ابن عمر رضي الله عنهما : أنه
نقش على خاتمه عبد الله بن عمر ، وكذا أخرج عن سالم بن عبد الله بن عمر :
أنه نقش اسمه على خاتمه ، وكذا القاسم بن محمد .

(١) في الاصل : وكان إرساله إلى الكتب .

وأخرج عن حذيفة وأبي عبيدة رضي الله عنهما : أنه كان نقش خاتم
كل منها : الحمد لله .

وعن علي : لله الملك . وعن إبراهيم النخعي : بالله . وعن مسروق : بسم الله .
وعن السهلي : لا بأس بنقش ذكر الله على الخاتم .

قال النووي : وهو قول الجمهور ، ونقل عن ابن سيرين وبعض أهل
العلم كراهته . انتهى .

وقد أخرج ابن أبي شيبة بسند صحيح ، عن ابن سيرين : أنه لم يكن يرى
بأساً أن يكتب الرجل في خاتمه : حسي الله ونحوها ؛ فهذا يدل على عدم ثبوت
الكراهة عنه ، ويمكن الجمع بين هذا وبين ما نقله النووي عنه ، بأن الكراهة
حيث يخاف عليه أن يحملة جنياً أو حائضاً ، أو في حالة الاستنجاء بالكف التي هو
فيها ، والجواز حيث حصل الأمن من ذلك ، فلا تكون الكراهة لذاتها ، بل
من جهة ما يعرض لذلك ، كما في « الفتح » ، وصرح علماؤنا بذلك .

وفي « منظومة الآداب » لابن عبد القوي :

ومن لم يضعه في الدخول إلى الخلاء فمن كتب قرآن وذكر به اصدد
والمراد منع كراهة ، يعني للتنزيه .

وفي « الاقناع » و « الناية » : يكره أن يكتب عليه يعني الخاتم ذكر الله
تعالى من قرآن أو غيره . زاد في « الناية » : وكذا على دراهم ، ولم يقيسدا
بدخول الخلاء .

وفي « الفروع » : نقل اسحق ، أظنه ابن منصور : لا يكتب فيه ذكر الله .
قال اسحق ابن راهويه : لا يدخل الخلاء فيه .

قال ابن قندس في « حواشي الفروع » : يحتمل أن تكون ما مصدرية ،
يكون المعنى لدخول الخلاء فيه . انتهى .

قال في « الفروع » : ولعل الامام أحمد رضي الله عنه كرهه لذلك . قال :
وعنه ، أي عن الامام أحمد : لا يكره دخول الخلاء بذلك ، فلا كراهة نصاً .
قال في « الفروع » : ولم أجد للكره دليل ، وهي تقتصر الى دليل ،
والأصل عدمه ، ونقل هذا في « الانصاف » ، وسوب عدم الكراهة . وفي حديث
منكر أنه ﷺ كان إذا دخل الخلاء وضع خاتمه . رواه ابن ماجه ، وأبو داود
وقال : حديث منكر

وقال الامام أحمد رضي الله عنه : الخاتم إذا كان فيه اسم الله يجهل في
باطن كفه ويدخل الخلاء .
ومذهب مالك والشافعي عدم الكراهة ، والله أعلم .

تنبيهان

الأول : كان نقش خاتمه ﷺ ثلاثة أسطر : محمد سطر ، ورسول سطر ،
والله سطر .

قال الحافظ ابن حجر والبدر البيني عن الاسماعيلي : إن محمداً سطر أول ،
والسطر الثاني رسول ، والثالث الله .

قلت : وبه تعلم فساد زعم من زعم أن لفظ الجلالة في السطر الاول ،
ورسول في السطر الثاني ، ومحمد في السطر الثالث ، وأن ذلك من خصوصياته
عليه الصلاة والسلام .

الثاني : ظاهر ما في « الصحيحين » ، وغيرها أنه لم يكن مكتوب على خاتمه
ﷺ سوى محمد رسول الله ، من غير زيادة على ذلك . لكن أخرج أبو الشيخ
في أخلاق النبي ﷺ ، من رواية عروة بن البرند ، بكسر الموحدة والراء
بمدها نون ساكنة ثم دال مهملة ، عن عذرة بفتح العين المهملة وسكون الزاي

بمدها راء ، ابن ثابت ، عن ثمامة ، عن أنس رضي الله عنه قال : كان فص خاتم رسول الله ﷺ حبشياً ، مكتوب عليه : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وعمره رضي الله عنه ، وزيادته هذه شاذة ، والذي « في الصحيحين » : أصح ، وتقدم الكلام على أحكام الخاتم في الحديث الثاني عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه ، وبالله التوفيق .

الحديث الأربعون

٨٥ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يوجز الصلاة ويكملها .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) بن عليّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (قال : كان النبي ﷺ يوجز) أي يخفف (الصلاة) ويقصرها ، ويقتصد فيها (ويكملها) بإدائها أركانها وواجباتها ، ومكملاتها من السنن القولية والفعلية ، فمن سلك طريقه ﷺ في الإيجاز والتمام فقد أحسن . وقد روى ابن أبي شيبة من طريق أبي مجلد ، قال : كانوا - أي الصحابة رضي الله عنهم - يتمون ويوجزون ، يبادرون الوسوسة . وتقدم هذا الحديث في الخامس والعشرين عن المعتمر ، عن حميد عن أنس ، ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتم الناس صلاة ، وأوجزهم . ومر شرحه هناك .

الحديث الواحد والأربعون

٨٦ - ثنا إسماعيل ، ثنا عبد العزيز ، عن أنس بن مالك ،
أن رسول الله ﷺ غزا خيبراً ، قال : فصلينا عندها صلاة الغداة
بنفلس ، فركب رسول الله ﷺ ، وركب أبو طلحة ، وأنا
رديف أبي طلحة ، فأجرى رسول الله ﷺ ، في زقاق خيبر ،
وإن ركبتى لتمس فخذ رسول الله ﷺ ، وانحسر الأزار
عن فخذ رسول الله ﷺ ، فاني لأرى بياض فخذ نبي الله
ﷺ ، فلما دخل القرية قال : الله أكبر ، خربت خيبر ؛
إنا إذا نزلنا ساحة قوم ، فساء صباح المنذرين ، قالها ثلاث
مرات . قال : وقد خرج القوم الى أعمالهم ، فقالوا : محمد ! قال
عبد العزيز : قال بعض أصحابنا . قال : فأصبتها عنوة ، فجمع
السبي ، قال : فجاء دحية فقال : يا نبي الله ! أعطني جارية
من السبي ، قال : اذهب فخذ جارية ، قال : فأخذت صفية بنت
حبيبي بن أخطب ، قال : فجاء رجل الى النبي ﷺ فقال :
يا رسول الله ! أعطيت دحية صفية بنت حبيبي سيدة قريظة

والنضير ، ما تصلحُ إلا لك ، قال : ادعوهُ بها ، فجاء دحيةُ بها ، فلما نظر اليها النبي ﷺ قال لدحية : خذْ لك جارية من السَّبِي غيرها . ثم إنَّ النبي ﷺ أعتَقَهَا فتزوجها . قال : فقال له ثابت : يا أبا حمزة ! ما أصدَقَهَا ؛ قال : نفسَهَا ، أعتَقَهَا ، حتى إذا كان بالطريق جهزتها أم سليم ، فأهدتها له أم سليم من الليل ، فأصبحَ النبي ﷺ عروساً ، فقال : من كان عنده شيءٌ فليجئني به ، وبسطَ نَظْمًا ، فجعل الرجل يجيئ بالتمر ، وجعل الرجل يجيئ بالسمن ، قال : وأحسَبُهُ قد ذكَرَ السَّوْبِقَ . قال : فحاسُوا حِينْساً ؛ فكانت وليمة رسول الله ﷺ .

قال رضي الله عنه : (ثنا إسماعيل) هو ابن إبراهيم ابن عليَّة (ثنا عبد العزيز) بن صهيب (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه : (أن رسول الله ﷺ غزا) أصل الغزو قصد العدو في دارم ؛ يقال : غزا يفرزو غزواً ، والاسم الغزاة ، فهو غازٍ ، والجمع غزاة ، وغزويٌّ — بفتح الغين المعجمة وضمها مع التشديد — (خيراً) — بفتح الخاء المعجمة ، فتحية ساكنة ، فوحدة مفتوحة ، فراء — وزن جعفر : اسم ولاية مشتملة على حصون ومزارع ونخل كثير ، على ثلاثة مراحل من المدينة ، على يسار الخارج من الشام . والخير بلسان اليهود : الحصن ، ولذا سميت خيبر ؛ كما في الشامية ، وقيل : إنها سميت باسم أول من نزَّلَهَا ، وهو خير أخو يثرب ، ابنا قينان ، بن مهلايل ، بن أرم ، بن عبيد ، وهو أخو عاد .

وكانت غزوة خيبر في أول السابعة ؛ كما جزم بذلك أئمة المغازي ، كابن إسحق ، وابن عقبة ، وابن القيم ، وغيرهم ، إما في محرم وإما في صفر ، والراجح أنه سار إليها في محرم من السنة السابعة ، خلافاً للإمام مالك وابن حزم ، حيث جملاه في السادسة ، واستخلف عليه السلام على المدينة نائلة - بضم النون وفتح الميم وسكون التحتية - ابن عبد الله اللبني ، كذا قال ابن هشام . والصحيح أنه استخلف سباع - بكسر السين المهملة - بن عرفة - بعين مهملة فراء ساكنة ، ففاء مضمومة ، فطاء مهملة ، كما رواه الإمام أحمد ، والبخاري في « التاريخ الصغير » ، وابن خزيمة والطحاوي والحاكم والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه . وأخرج صلى الله عليه وسلم معه من نسائه أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها .

وأخرج الامامان ؛ الامام الشافعي والامام أحمد ، وابن إسحق ، والشيخان من طرق عن أنس رضي الله عنه ، قال : سار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر ، فأنهى إليها ايلاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طرق قوماً لم يفر عليهم حتى يصبح ، فإذا سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً غار عليهم حين يصبح .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فصلينا عندها) أي عند خيبر (صلاة الغداة) أي الصبح . والغداة بالضم : ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس (بفلس) - بفتح الفين المعجمة واللام فسین مهملة - أي بظلمة . قال في « النهاية » : الفلس : الظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح ، وفيه حجة لمن يرى التخلّيس في صلاة الفجر ، وتقديمها في أول الوقت ، ولا سيما مع ما في « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الفجر فيشهد معه نساء من المؤمنات ، متلفعات بمروطهن ، ثم يرجعن الى بيوتهن ،

ما يعرفن أحد من النلس ، هذا مع ماورد من طول قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاة الصبح ، وهذا أظهر الروايتين من مذهب الامام أحمد ، وفاقاً لملك والشافعي . والذي استقر عليه المذهب : الأفضل التغليس ، وفي قول مرجوح عندنا : الاسفار ، وفاقاً لأبي حنيفة ، لغير حاج بمزدلفة . قال الحنفية في تعريف الاسفار ؛ بحيث يقدر على قراءة مسنونة ، وإعادتها ، وإعادة الوضوء قبل طلوع الشمس لو ظهر سهو ، ولهم في الاسفار بسنة الفجر خلاف .

ولن قال بالتغليس - وم الجمهور - حديث : أول الوقت رضوان الله ، وأوسط الوقت رحمة الله ، وآخر الوقت عفو الله . رواه ابن عدي والدارقطني وغيرها .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي برزة رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتل من صلاة الغداة حين يعرف أحداً جليسه .

واحتج الحنفية للاسفار بما رواه الترمذي عن رافع بن خديج رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أسفروا بالفجر فانه أعظم للأجر . ورواه الامام أحمد بلفظ : أصبحوا بالصبح فانه أعظم لأجوركم ، أو أعظم للأجر . قال الترمذي : حديث صحيح . وهو محمول عند من قال بالتغليس على ما إذا تأخر الجيران ؛ لما روى سعيد الأموي بإسناده في « المتأخر » ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً الى اليمن ، قال له : إذا كان الشتاء فصل الفجر في أول وقتها ، ثم أطل القراءة . وإذا كان في الصيف فأسفر بالصبح ، فان الليل قصير ، والناس ينامون .

وقد روى أبو داود من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه ﷺ أسفر بالصبح مرة ، ثم كانت صلاته بمد بالنلس حتى مات لم يمد الى أن يسفر .

وحمل الشافعي وغيره حديث : أسفروا بالفجر ، على أن المراد بذلك تحقق طلوع الفجر . وحمله الطحاوي على أن المراد الأمر بتطويل القراءة فيها حتى يخرج من الصلاة مسفراً . والله أعلم .

قال أنس رضي الله عنه : (فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد ما فرغ من صلاة الفجر دابته (وركب أبو طلحة) زيد بن سهل دابته ، قال أنس : (وأنا رديف أبي طلحة) على دابته . والرديف والردف : أن يكون راكباً خلف الراكب . وأصل الردف المعجز . ومنه أخذ ، يقال : ردفته أردفته ؛ ركبت خلفه . وأردفته ؛ أركبته خلفي (فأجرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في زقاق) كغراب ؛ سكة (خير) يذكر ويؤنث ، قال الاخفش والفراء : أهل الحجاز يؤنثون الزقاق ، والطريق ، والسبيل ، والصراط ، والسوق . وتميم تذكر ذلك كله ، والجمع أزقة ، وهي الطرق بين الدور نافذة كانت أو غير نافذة . قال أنس : (و) الحال (إن ركبتني) وهي موصل ما بين أسافل أطراف الفخذ وأعلى الساق . كما في « القاموس » . قال في « المطلع » : الركبة معروفة ، وجمها ركبات . بضم الكاف وفتحها وسكونها . وكذلك كل اسم على فملة صحيح المين غير مشدد ؛ وقد قرئ . بالثلاث قوله تعالى : « وم في الثرفات آمنون » ^(١) (لتحمس) أي تلمس ، والمس : مصدر مس الشيء . إذ لمسه . قال في « القاموس » : مسسته بالكسر ، أمسه مساً ومسيساً ، أي لمسته . وقال : لمسه يلمسه ويلمسه ، مسه يمسده ، والجارية جامعا (فخذ رسول الله ﷺ) قال في « المطلع » : الفخذ مؤنثة ، وهي بفتح الفاء وكسر الخاء المعجمة ، ويجوز فيها كسر الفاء ، كما قيل ، ويجوز إسكان الخاء مع فتح الفاء وكسرها ، قال ابن سيده وغيره من أهل اللغة : وهذه اللغات الأربع جارية في كل اسم أو فعل ثلاثي عينه حرف حلق مكسور ،

(١) سورة نبا ، الآية : ٣٧

كشده . وحروف الحلق ستة : الحاء ، والميم ، والغاء ، والنين ، والهمزة ، والهاء .
لا فيا لامة حرف حلق ؛ كبلم وسم ونحوها .

وهذا يشمر بشدة القرب من أبي طلحة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ .
قال أنس رضي الله عنه : (وانحسر) أي انكشف (الازار) وهو الملحفة ،
ويؤث . وهو المشزر ، كما في « القاموس » : المراد هنا ما يستر أسفل البدن ،
ويقابله الرداء وهو ما يستر أعلى البدن . ونقل الامام ابن القيم عن الواقدي : أن
إزار النبي ﷺ من نسج عمان . وكان طوله أربعة أذرع وشبرا ، في ذراعين . انتهى .
قال الامام أحمد رضي الله عنه : السراويل أستر من الازار ، ولباس القوم كان
الازار ، وجمع الازار : آزرة وازر (عن فخذ رسول الله ﷺ) لا أجرى الدابة
(فاني لا أرى بياض فخذ النبي ﷺ) وفي رواية في « الصحيحين » : ثم حسر
رسول الله ﷺ الازار عن فخذته حتى إني أنظر الى بياض فخذ النبي ﷺ ،
وبه تعلم عدم ثبوت ما رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي بسند ضعيف عن أنس
رضي الله عنه ، قال : كان رسول الله ﷺ يوم خيبر على حمار مخطوم برسن من
ليف ، وتحته إكاف من ليف ، قال ابن كثير : الذي ثبت في « الصحيح » أن
رسول الله ﷺ أجرى في زقاق خيبر حتى انحسر الازار عن فخذته . فالظاهر
من هذا أنه كان يومئذ على فرس لا على حمار ، قال : ولعل هذا الحديث — إن
كان ثابتاً — محمول على أنه ركبته في بعض الايام وهو محاصرها . انتهى .
وقد قيل : ان مدة إقامة النبي ﷺ بخيبر ستة أشهر .

روى الطبراني في « الاسط » عن ابن عباس رضي الله عنها ، أن رسول الله
ﷺ أقام بخيبر ستة أشهر يجمع بين الصلاتين . وروى البيهقي عنه أربعين يوماً ،
وسنده ضعيف . وعلى كل فلا يمد أن يكون ﷺ في بعض أيامه ركب حماراً
ولاسيما بعد ما غنموا من حير خيبر ما غنموا . (فلما دخل) ﷺ (القرية) وهي من
المساكن والأبنية : الضياع ، وقد تطلق على المدن ، ومنه حديث : أمرت بقرية

تأكل القرى : هي مدينته ﷺ ، ومنى أكلها القرى : ما يفتح على أيدي أهلها من المدن ، ويصيون من غنائمها .

وأول ما ابتدأ به ﷺ من حصون خيبر بأهل النطاة^(١) ، وأول حصن حاصره ﷺ من حصون النطاة حصن ناعم ، بالنون والعين المهملة ، فقاتل ﷺ يومئذ أشد القتال ، وظاهر بين درعين ، وبيضة ومغفر ، وهو على فرس له يقال له : الظرب ، وفي يده قناسة وترس . وهذا يؤيد حمل حديث أنس عند الترمذي على أن ركب الحمار كان في غير حالة القتال . وأول حصن فتحه - حصن ناعم ، ثم حصن الصمصم بن معاذ - من حصون النطاة ، وكان حصن الصمصم أكثر حصون خيبر طعاماً وودكا وماشية ومتاعاً ، وكان فيه خمسة آلاف مقاتل ، فأقام عليه صلى الله عليه وسلم عشرة أيام ، ثم فتحه الله تعالى على نبيه ، ولما قدم صلى الله عليه وسلم على خيبر وأجرى فرسه في زقاقها (قال : الله أكبر ، خربت خيبر) تفاؤلاً واستبشاراً بما وعده ربه جل وعلا في قوله : « وعدكم الله مغنم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه »^(٢) أي خيبر ، فإن هذه السورة - يعني سورة الفتح - نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين مكة والمدينة في قفوله من الحديبية ، فأعطاه الله تعالى فيها خيبر ، ولهذا قسم مغنمها على أهل البيعة من أهل الحديبية . ثم قال صلى الله عليه وسلم : (إنا إذا زلنا ساحة) أي فناء (قوم) والساحة : الموضع المتسع أمام الدار ، وقال الازهرري : هي فضاء بين دور الحي (فناء) أي بئس (صباح المنذرين) بفتح الذال المعجمة ، اسم مفعول . ولما كثرت الفارات في وقت الصباح ، وهجوم الأعداء ساعتئذ ، سمّوا الفارة نفسها صباحاً ، وإن وقت في وقت آخر . (قالها) أي قوله : إنا إذا زلنا ساحة قوم... الخ (ثلاث مرات) تفاؤلاً وإرهاباً للأعداء . (قال أنس) رضي الله عنه (و) كان (قد خرج القوم) من أهل خيبر . قال الواقدي : كانت يهود لا يظنون قبل ذلك أن رسول الله ﷺ يغزوم ؛ لمنهم وسلاحهم وعددهم ، فلما أحسوا بخروجه ﷺ إليهم ،

(١) النطاة : علم لخير ، وقيل : حصن بها ، واشتقاقها من النطو وهو البعد .

(٢) سورة الفتح ، الآية : ٢٠ .

كانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفواً، ثم يقولون : محمد يفزونا ؟ !
هيات ! هيات ! فكان ذلك شأنهم ، فلما نزل ﷺ بساحتهم لم يتحركوا تلك
الليلة ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفسدتهم تحف ،
وفتحوا حصونهم غادين ، معهم المساحي والكرازين والمكاتل .

والمساحي بمهملتين : جمع مسحاة ؛ آلة من آلات الحرث ، والميم زائدة ،
لأنه من السحي ، وهو الكشف والازالة . والكرازين جمع كرز - بفتح الكاف
والزاي ، وبكسرهما ، والنون ، ويقال بالميم عوضاً عن النون - الفأس . والمكاتل
جمع مكئل - بكسر الميم وفتح الفوقية - القفة الكبيرة التي يحول فيها التراب وغيره ،
سميت بذلك لتكئل الشيء فيها ، والتكئل : هو تلاصق بعض الشيء ببعض .

(الى أعمالهم) على عادتهم ، فلما نظروا الى رسول الله ﷺ وأصحابه
رضي الله عنهم وأثروا هارين الى حصونهم ، فقيل لهم : مالكم ويلكم (فقالوا محمد)
نازل بساحتكم قد صبحكم (قال عبد العزيز) ابن صهيب (قال بعض أصحابنا)
أراد به ثابت البناني فيما يظهر ، فإن مسلماً في « صحيحه » ذكره من طريق
عبد العزيز عن أنس ، فذكر قول عبد العزيز : قال بعض أصحابنا ، وأعقبه برواية
ثابت عن أنس ، قال : كنت رديف أبي طلحة يوم خيبر ، وقدمي تمس قدم رسول الله
ﷺ ، قال : فأتينا حين بزغت الشمس ، وقد أخرجوا مواشيهم وأخرجوا بفؤوسهم
ومكاتلهم ومرورهم ، فقالوا : محمد والخبيث .

قوله : ومرورهم ، أي حبالهم ، وفي « البخاري » : هذا محمد والخبيث ،
محمد والخبيث ، فلهجوا الى الحصن . وفي بعض طرقه : واه محمد . والخبيث بلفظ
اسم أحد أيام الأسبوع ، يروى بفتح السين المهملة ورفعها ، فالفتح على أنه مفعول
ممه ، والرفع على العطف ، والخبيث : هو الجيش العظيم ، ويسمى خبيثاً
لإقسامه الى مقدمة ، وساقة ، وميمنة وميسرة ويسميان الجناحين ، وقلب .

هذا هو الصحيح ، لا من أجل تخميس القيمة ، لان ذلك إسلامي ، وقد كان الجيش يسمى خميساً في الجاهلية قبل الاسلام كما هو معلوم ، والله أعلم . (قال) أنس رضي الله عنه : (فأصبناها) أي خير (عنوة) - بفتح العين المهملة ، وسكون النون ، وفتح الواو - أي قهراً وغلبة . وقد تكرر ذكره في الحديث ، وهو اسم من عنا يعنو ؛ إذا ذل وخضع . والعنوة : المرة منه ، كأن المأخوذ بها يخضع ويذل ، فانه صلى الله عليه وسلم بعد ما أخذ حصن الصعب ، تحولت يهود الى حصن الزبير بن العوام رضي الله عنه ، أي الذي صار في سهمه بعد ذلك وهو من حصون النطاة أيضاً ، وهو في رأس قلة ، فحاصروهم رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ، فجاء يهودي يدعى عزال ، فقال : يا أبا القاسم ! تؤمّنيني على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة ، وتخرج الى أهل الشق ، فان أهل الشق قد هلكوا رعباً منك ، فأئمنه صلى الله عليه وسلم على أهله وماله ، فقال اليهودي : لو كنت أقت شهرأ ما بالوا . لهم دبول ، وهي الأنهر الصغيرة تحت الأرض ، يخرجون بالليل فيشربون منها ، ثم يرجعون الى قلتهم فيمتنعون منك ، فان قطعت عنهم شربهم اصحروا لك ، فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى دبولهم فقطعها ، فلما قطع عليهم مشاربهم خرجوا وقاتلوا أشد قتال ، وقتل من المسلمين يومئذ نفر ، وأصيب من اليهود يومئذ عشرة ، وافتتحه رسول الله ﷺ ، فكان آخر حصون النطاة . ثم تحول ﷺ الى الشق ، وبه حصنات : حصن أبي ، وحصن البراء ، ويقال له : حصن الزال ، فبدأ ﷺ بحصن أبي فأخذه ، ثم حصن الزال فأخذه ، فتحول يهود الى حصون الكيبة ، بكاف فثناة فوقية ، وقال أبو عبيد : بناء مثلثة مكسورة ، فتحية ساكنة ، فوحدة ، فهاء تأنيث ، وقيل : إنها بالتصغير ، وهي ثلاثة حصون : القموص ، والوطيح ، والسلام ، وأعظمها القموص ، وكان حصناً منيعاً ، وهو بالقاف المفتوحة ، فميم مضمومة ،

فواو ، فصاد مهملة ، كصبور ، وقيل : بالفين والضاد المجتمعين ، وذكر ابن عقبة : أن رسول الله ﷺ حاصر القموص قريباً من عشرين ليلة ، ففتحه الله سبحانه وتعالى على يد سيدنا علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، ومنه سببت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها ، كما في « الفتح » ، و « سيرة ابن إسحاق » ، وغيرها ، وفي كلام بعض أهل السير ما يشمر أن صفية إنما سببت من السلام ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد القموص حاصر الوطيط والسلام ، ويقال له السلام أيضاً ، وهو حصن بن أبي الحقيق ، وكاناً من حصون الكتيبة ، ومكث على حصارها أربعة عشر يوماً ، وجملوا لا يخرجون من حصونهم . قال في « المهدي » : حتى تم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينصب عليهم المنجنيق ، وفي كلام بعضهم : أنه نصبه ولم يرم به ، فلما أيقنوا بالهلكة ، سألوه صلى الله عليه وسلم الصلح ، فأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله ﷺ : أنزل فأهلك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : نعم ، فنزل ابن أبي الحقيق ، فصالح رسول الله ﷺ على حقن دماء المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خير ونخلها وأرضها بذراريهم ، وعلى الصفراء والبيضاء ، أي الذهب والفضة ، والكراع والحلقة ، وعلى البرز ، إلا ثوباً على ظهر إنسان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئاً ، فقالوا : نعم ، فصالحوه على ذلك ، على أنهم إن كنتموه شيئاً فلا ذمة لهم ولا عهد ، فقبضوا الجلد الذي كان فيه حلي بني النضير ، وعقود الدر والجوهر الذي حلوا به . قال في « المهدي » : فقال رسول الله ﷺ لم حيي بن أخطب : ما فعل مسك - أي جلد - حيي ؟ يعني الذي جاء به من النضير ، قال : أذهبته النفاقات والحروب ، قال : المهد قريب ، والمال أكثر من ذلك ، وقال عليه الصلاة والسلام لكتانة والريبع ابني أبي الحقيق بعد أن كتماه الكنز : إنكما إن كنتماني شيئاً فاطلمت عليه استحللت

به دماء كما وذرازيكا؟ فقالا : نعم ، فأخبر الله عز وجل نبيه ورسوله ﷺ بموضمه ، فقال لكتانة : إنك لمخترباً بأمر السماء ، فدعا صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأنصار ، فقال : اذهب إلى قدامح كذا وكذا ، ثم انت النخل فانظر نخلة عن يمينك أو عن يسارك ، فانظر نخلة مرفوعة فأتني بما فيها ، فجاءه بالآنية والأموال ، فقومت بمشرة آلاف دينار ، ف ضرب أعناقها ، وسبا أهلها بالنكت الذي نكتاه . ولما جمع رسول الله ﷺ الغنائم التي غنمت قبل الصلح ، وأموال من انتقض عهدهم بالنكت ، وسبا الذراري والنساء (فجمع) صلى الله عليه وسلم (السبي) الذي سباه من أهل خير من الذرية والنساء (قال) أنس رضي الله عنه : (فجاء دحية) - بكسر الدال ، وسكون الحاء المهملتين ، وبالتحنية - وقال ابن ماكولا : هو بفتح الدال . ابن خليفة ، بن فروة ، بن فضالة ، بن زيد ، ابن امرئ القيس ، بن الخزرج ، وابن زيد مناة ، بن عامر ، بن بكر ، بن عامر الأكبر ، بن عوف ، بن غدره ، بن زيد اللات ، بن رفيدة ، بن ثور ، بن كلب ، الكلبي ، من كبار الصحابة ، لم يشهد بدرأ ، وشهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر في الهدنة في السادسة ، وهو الذي كان ينزل جبريل عليه السلام في صورته . نزل دحية الشام ، وبقي إلى أيام معاوية . روى عنه الشعبي ، وعبد الله بن شداد بن الهاد ، وخالد بن يزيد بن معاوية ، ومنصور وغيرهم (فقال : يا بني الله ! أعطني جارية من السبي) وكان ﷺ لا يرد سائلاً كما تقدم (قال) له النبي ﷺ : (اذهب فخذ جارية ، قال) أنس فذهب دحية ابن خليفة الكلبي (فأخذ صفية بنت حيي بن أخطب) قال في « الفتح » : قيل : وكان اسمها قبل ذلك زينب ، وإنما سميت صفية لأنها صارت من الصفي ، والصفي : ما كان يصطفيه رسول الله ﷺ لنفسه من الثمنمة قبل أن تقسم ، وكانت عروساً حديثة عهد بالدخول على كتانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، وكانت قبله عند سلام

ابن مشكم فطلقها ، فزوجها كنانة ، فقتله النبي ﷺ لنكته (قال) أنس (فجاء رجل إلى النبي ﷺ) قلت : لم أر من سمى هذا الرجل (فقال : يا رسول الله ! أعطيت دحية) الكلبي (صفية بنت حبي) ابن أخطب (سيدة) بني (قريظة و) بني (النضير) جمالاً وكالاً وشرفاً وحسباً ، والله (ما تصلح) لأحد (إلا لك) لجمالها وكالها وحسبها وأدبها (قال) ﷺ : (ادعوه) أي دحية (بها) أي بصفية بنت حبي ، فدعاء (فجاء) دحية (بها) أي بصفية (فلما نظر) أي أمعن النظر (إليها النبي ﷺ) أعجبته (فقال) لدحية : (خذ) لك (جارية من السي غيرها) وخل هذه عنك ، فأخذ دحية أخت كنانة بنت الربيع ، ثم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يذهب بصفية إلى رحله ، فربها بلال وسط القتلى ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقال : أذهبت الرحمة منك يا بلال ؟ وفي رواية : أن بلالا جاء بصفية وبنت عم لها ، فمر على قتلى يهود ، فلما رأتهم بنت عم صفية ، صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ، فلما رآها رسول الله ﷺ قال : غيوا عني هذه الشيطانة ، وقال لبلال : أنزعت منك الرحمة يا بلال حتى تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ ثم دفع بنت عم صفية لدحية الكلبي ، واصطفي صفية لنفسه بعد أن عرض عليها الاسلام فأسلمت (ثم إن النبي ﷺ أعقبها) أي صفية (فزوجها) روي عنها أنها قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إلي منه ؟ قتل أبي وزوجي وقومي ، فقال : يا صفية ! أما أنا أعترف إليك مما صنمت بقومك ، إنهم قالوا لي : كذا وكذا ، وقالوا في : كذا وكذا ، وما زال يستنر لي حتى ذهب ذلك من نفسي ، فلما قتلت من مقعدي ومن الناس أحد أحب إلي منه .

قال الامام ابن القيم في كتابه « روضة الهبين ونزهة المشتاقين » : دفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أم سليم تصنعها وتهينها وتمتد في بيتها ، يعني

خبأها كما رواء أبو داود ولفظه : قال : وقع في سهم دحية جارية جميلة ، فاشتراها رسول الله ﷺ بسبعة أرؤس ، ثم دفعها الى أم سليم تصنعها وتهيئها وتمتد في بيتها ، وهي صفية بنت حبي . انتهى . قلت : ورواه مسلم في « صحيحه » بلفظ حديث أبي داود ، إلا أنه قال : وأحسبه قال : وتمتد في بيتها ، وهي صفية بنت حبي . انتهى . (قال (١) فقال له) أي لأنس بن مالك (ثابت) البناني (يا أبا حمزة) بالحاء المهملة والزاي ، وتقدم في ترجمة أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ هو الذي كنأه بذلك ؛ ببقلة حريفة ، تسمى حمزة ، ويقال : إن فيها حموضة (ما أصدقها ؟) أي شبيهة أصدق صفية بنت حبي (قال أنس لثابت : أصدقها (نفسها أعتقها) فجعل عتقها صداقها ، وتقدم الكلام على هذا مستوفى في الرابع عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه (حتى إذا كان) رسول الله ﷺ (بالطريق) راجعاً من خير الى المدينة (جهزتها) أي هيأت صفية ، وصنعتهما بما يصلحها (أم سليم) بنت ملحان ، وهي أم أنس رضي الله عنهم ، والجهاز بفتح الجيم : اسم للشيء المعد ، ومنه قوله تعالى : « فلما جهزهم بجهازهم » (٢) ومنهم من أجاز كسر الجيم ، ومنهم من منعه ، وفي الحديث قام بجهازه ؛ يعني رحله ومتاع سفره . وتجهز رسول الله ﷺ : أعد جهازه للفرز ، من زاد وعدة وغير ذلك مما يصلحه ويحتاج اليه .

وفي بعض السير أنه ﷺ لما قطع ستة أميال من خير ، أراد أن يعرس بها ، فأبت ، فوجد في نفسه ، فلما وصل الصبأ مال الى دومة هناك ، فطاوعته . فقال لها : ما حملك على إباتك حين أردت في المنزل الأول ؟ قالت : يا رسول الله ! خشيت عليك قرب يهود ، وهذا الحل الذي أردت (فأهدتها له أم سليم من الليل ، فأصبح النبي ﷺ عروساً) يقال : أعرس الرجل فهو معرس ؛ إذا دخل

(١) أي عبد الزيز . كذا في الهامش .

(٢) سورة يوسف ، الآية : ٨٠

بأمراته عند بنائها ، قال في « النهاية » : يقال للرجل عروس ، كما يقال للمرأة .
فهو اسم لها عند دخول أحدهما بالآخر ، ولم تلحقه تاء التأنيث وإن كان مؤنثاً ؛
لقيام الحرف الرابع مقامه (فقال) ﷺ في صبيحة ذلك اليوم : (من كان) منكم
معشر الصحابة (عنده شيء) من الماء كول (فليجيء به) أي بذلك الشيء
الذي عنده من الماء كول (وبسط نطما) قال في « القاموس » : النطع بالكسر
وبالفتح وبالتحريك ، وكعنب : بساط من الأديم يعني الجلد ، والجمع أنطاع ونطوع
(فجعل الرجل يجيء بالتمر ، وجعل الرجل يجيء بالسمن ، قال) عبد العزيز :
(وأحسبه) أي أحسب أنس بن مالك رضي الله عنه (قد ذكر السويق) فقال :
وجعل الرجل يجيء بالسويق ، قال في « المطلع » « كالمطالع » : السويق : قمح أو شعير
يقلى ثم يطحن فيتزود ، قال ابن دريد : وبنو العنبر يقولونه بالصاد ، (قال :
فحاسوا حيساً) والحيس : هو أن يؤخذ التمر فينزع نواه ويخلط بالأقط أو
الدقيق أو السويق ، وإذا جعل فيه السمن لم يخرج عن كونه حيساً ، كما مر في الحديث
الخامس عشر من « مسند أنس » رضي الله عنه (فكأنت) هذه (وليمة رسول الله
صلى الله عليه وسلم) على صفة بنت حبي بن أخطب كما تقدم في الحديث المذكور .
وتقدم حكم الولىمة أيضاً في الحديث الخامس من « مسند أنس بن مالك » رضي
الله عنه ، وتقدم أن الصحابة رضي الله عنهم قالوا : هل اتخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم صفة سرية أو زوجة ؟ فقالوا : إن حججها فهي إحدى زوجاته ،
وإلا فهي مما ملكت يمينه ، فلما ركب صلى الله عليه وسلم جعل ثوبه الذي ارتدى
به على ظهرها ووجهها ، ثم شد طرفه تحته ، فتأخروا عنه في المسير ، وعلّموا أنها
إحدى نسائه . ولما قدّم رسول الله ﷺ فخذله ليحملها على الرحى ، أجلته
صفة أن تضع قدمها على فخذيه ، فوضعت ركبته على فخذيه ثم ركبت .

ولىمة بنائه ﷺ بها ، بات أبو أيوب ليلته قائماً قريباً من قبة ﷺ ،

أخذاً بقائم السيف حتى أصبح ، فلما رأى رسول الله ﷺ كبر أبو أيوب حين
 رآه قد خرج ، فسأله : مالك يا أبا أيوب ؟ قال له : أُرقت ليلتي هذه يا رسول الله
 لما دخلت بهذه المرأة ، ذكرت أنك قتلت أباهما وزوجها ؛ وعامة عشيرتها ، فخفت
 أن تقتالك ، فضحك ﷺ وقال له معروف . زاد بعضهم أنه قال يومئذ : اللهم !
 احفظ أبا أيوب كما بات محفظي ، قال السهيلي : فحرس الله أبا أيوب بهذه
 الدعوة ؛ حتى صارت الروم تحرس قبره ، فانه غزا مع يزيد سنة خمسين ، فلما
 بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب رضي الله عنه هناك ، فأوصى يزيد أن يدفنه
 بأقرب موضع من الروم ، فركب المسلمون ومشوا به ؛ حتى وجدوا مكاناً فدفنوه
 فيه ، فسألته الروم عن شأنهم ، فأخبرهم أن هذا من أكابر المسلمين ، من
 أصحاب النبي ﷺ ، فقالت الروم ليزيد : ما أحقك وأحق من أرسلك ! أمنت
 أن ننشه بمدك ؛ فنحرق عظامه ، فحلف لهم يزيد ؛ لئن فعلوا ذلك ؛ ليهدمنَّ
 كل كنيسة بأرض العرب ، وينبش قبور معظمتهم ، فحلفوا له بما يعطيونه ،
 ليكرمُنَّ قبره وليحرسُنَّه ما استطاعوا . وقد فتح الله القسطنطينية على يد السلطان
 محمد الثاني رحمه الله . وصار قبر أبي أيوب الآن في دار ومقر سلطنة الاسلام ،
 وكناته وبيضة الايمان ، ومقر سلطنة الدولة العثمانية معظماً مبجلًا ؛ بما لا مزيد
 عليه - والله الحمد - والله أعلم .

الحديث الثاني والأربعون

٨٧ - ثنا محمد بن فضيل قال : أنبأنا الأعمش ، عن
 أنس ، قال : كانت دِرْعُ النبي صلى الله عليه وسلم مرهونةً ،
 ما وجدَ ما يفكها حتى مات .

قال رضي الله عنه: (ثنا محمد بن فضيل) بضم الفاء وفتح الصاد المججمة وسكون التحتية ... بن غزوان الضبي مولا م ، هو المحدث الحافظ ، أبو عبد الرحمن الكوفي . روى عن أبيه ، وعن الأعمش ، وعطاء وإبراهيم المجري وغيرهم . وعنه الامام أحمد ، وإسحق والأشج وغيرهم ، وكان من علماء هذا الشأن . ذكره الحافظ الذهبي في «طبقات الحفاظ» وكذا الجلال السيوطي . وثقه يحيى ابن معين . وقال الامام أحمد : إنه حسن الحديث ، فيه تشيع ، وقال أبو داود : كان شيعياً . توفي سنة أربع وتسعين ومائة .

وقال ابن برداس الحنبلي في «نظم طبقات المحدثين والحفاظ» : مات سنة خمس وتسعين ومائة ، لأنه رمز بقصد لموت جماعة ، فقال : وابن فضيل هكذا يا صاحبي .

(قال) أي محمد بن فضيل (أنبأنا) سليمان بن مهران (الأعمش) الأسدي الكاهلي مولا م - وكاهل: بطن من أسد بن خزيمه - أبو محمد الكوفي أحد أعلام الاسلام ، وأئمة هذا الشأن . ولد سنة ستين بأرض الرمي ، فجاء به حميلا الى الكوفة ، فاشتره رجل من بني كاهل فأعتقه ، كذا في «جامع الاصول» للعلامة ابن الاثير . والذي في «وفيات الأعيان» لابن خلكان ، أن إبا الأعمش قدم الكوفة وامرأته حامل ، فولدته بها ، وان مولده سنة ستين ، وقيل : أنه ولد يوم قتل الحسين رضي الله عنه . وذلك يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين . قال : فكان أبوه حاضراً قتل الحسين . وعده ابن قتيبة في «المعارف» في جملة من حملت به أمه سبعة أشهر . رأى أنس ابن مالك وحفظ عنه ، وأبا بكرة ، وروى عن عبد الله بن أبي أوفى ، وزيد بن وهب ، وأبي واثل ، وزر بن حبيش ، ومجاهد ، وخلق . وروى عنه أبو حنيفة ، وأبو إسحاق السبيعي ، وشعبة ، والسفيانان . قال ابن المديني : حفظ العلم على أمة محمد ﷺ بالكوفة أبو إسحاق السبيعي ، والأعمش . وقال المجبلي : كان ثقة ، ثبتاً في الحديث ، وكان محدث أهل الكوفة في زمانه .

وقال الفلاس : كان الاعمش يسمى المصحف من صدقه . قال في « جامع الاصول » : هو أحد الأعلام المشهورين بعلم الحديث والقراءة ، وعليه مدار أكثر الكوفيين . قال صدقة ابن عبد الرحمن : ما أعلم أحداً أعلم بحديث ابن مسعود من الاعمش . قال وكيع : مكث الاعمش قريباً من سبعين سنة لم تفتسه التكبيرة الأولى . مات رضي الله عنه سنة ثمان وأربعين ومائة ، وهو ابن ثمان وثمانين سنة .

قال ابن خلكان : كان الاعمش مزاحاً ، جاءه أصحاب الحديث يوماً ليسمعوا عليه ، فخرج اليهم وقال : لولا أن في منزلي من هو أبغض إليّ منكم ؛ ما خرجت إليكم . قال : وجرى بينه وبين زوجته يوماً كلام ، فدعا رجلاً ليصلح بينها ، فقال لها الرجل : لا تنظري الى عمش عينيه ، وحموشة ساقيه ، فانه إمام ؛ وله قدر . فقال له الاعمش : أخزأك الله ، ما أردت إلا أن تعرفها عيوني . وقيل عنده يوماً : قال صلى الله عليه وسلم : من نام عن قيام الليل بال الشيطان في أذنه ، فقال : ما عمشت عيني إلا من بول الشيطان في أذني . وكانت له نوادر كثيرة . وقال أبو معاوية الضرير : بعث هشام بن عبد الملك الى الأعمش : أن أكتب لي مناقب عثمان ومساوي علي رضي الله عنها ، فأخذ الأعمش القرطاس وأدخلها في فم شاة ، فلا كتبها ، وقال لرسوله : قل له هذا جوابك ، فقال له الرسول : إنه قد آلى أن يقتلني إن لم آت به بجوابك ، وتحمل عليه باخوانه ، فقالوا له : يا أبا محمد ! نجيّه من القتل ، فلما ألحوا عليه ، كتب : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد ، يا أمير المؤمنين : فلو كانت لمثان رضي الله عنه مناقب أهل الأرض ما نفصتك ، ولو كانت لمعلي رضي الله عنه مساوي أهل الأرض ما ضرتك ، فمليك بخوبصة نفسك (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه . قال ابن خلكان : رأى الاعمش أنس بن مالك رضي الله عنه وكله ، ولكنه لم يرزق السماع عليه .

قال : وما يرويه عن أنس ؛ فهو إرسال أخذه عن أصحاب أنس رضي الله عنه ،
قال : وروى عن عبد الله بن أبي أوفى حديثاً واحداً . انتهى .

(قال) أنس رضي الله عنه : (كانت درع النبي صلى الله عليه وسلم) ، زاد
البخاري : من حديد ، قال ابن الأثير : الدرع : الزردية (مرهونة) عند يهودي على
ثلاثين صاعاً من شعير كما في « صحيح البخاري » ، و « مسند الامام أحمد » ، وغيرهما ،
وكانت درعه هذه تسمى : بذات الفضول لطولها ، أرسل اليه ﷺ بها
سمعت بن عبادة حين سار الى بدر ، واليهودي الذي كانت الدرع مرهونة عنده
اسمه أبو الشحم بن الأوس ، واسمه كنيته .

وروى الترمذي في « سننه » والنسائي ، أنها كانت مرهونة في عشرين
صاعاً من طعام أخذه لأهله ، وجمع بينها بأنه أخذ أولاً عشرين ، ثم عشرة . وقيل :
إنه كان دون الثلاثين ، فجبر الكسر تارة ، وألغى أخرى . ووقع عند ابن حبان ،
عن أنس ، أن قيمة الطعام كانت ديناراً . وفي حديث عائشة عند البخاري : أن
النبي ﷺ اشترى من يهودي الى أجل . وروى ابن حبان : أن الأجل سنة
(ما وجد) النبي ﷺ (ما) أي شيئاً (يفكها) بضم الفاء وتشديد الكاف ، أي
يخلصها من رهنها ، فاستمرت مرهونة عند اليهودي على ثمن الطعام المذكور (حتى
مات) النبي ﷺ ، وفيه إجماع الى فضيلة الفقر ، وأن الفقير الصابر
أفضل من الغني الشاكر ، والخلاف في ذلك طويل شهير . وفيه إجماع الى أنه
ﷺ لم يختار الدنيا ، ولم يحتفل لها ، وأنه اختار الفقر مع عرض الجبال أن تكون
ذهباً له من عند المولى ، فاختر عدم ذلك ، وأنه يشبع يوماً ويجمع يوماً ، فاذا شبع
شكر ، واذا جاع صبر . وذكر في « الأقضية النبوية » : أن أبا بكر الصديق
رضي الله عنه افكها بمسد النبي ﷺ ، وأن علي بن أبي طالب قضى ديونه .
وروى اسحق بن راهويه في « مسنده » عن الشعبي مرسل : أن أبا بكر افك

الدرع وسلمها الى علي رضي الله عنها . وأما من أجاب بأنه ﷺ افتكها قبل موته؛
فمعارض بحديث أنس في «صحيح البخاري» عن مسلم بن إبراهيم، عن هشام، عن قتادة
عن أنس . ومافي «المسند» وابن ماجة وغيرها . وقد روي هذا الحديث أيضاً
من حديث عائشة وأبي هريرة وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه «الجواب الصحيح لمن بدل دين
المسيح» : مات النبي ﷺ ولم يخلف درهماً ولا ديناراً ، ولا شاة ولا بيراً ، إلا
بقلته وسلاحه ، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين صاعاً من شير ابتاعها لأهله .
وفي الحديث جواز معاملة الكفار فيما لا يتحقق تحريم عين التعامل فيه ،
وعدم الاعتبار بفساد معتقدم ، وجواز بيع السلاح ورهنه وإجارته ولو من كافر
حيث لم يستمن به علينا ، بخلافها إذا كان حريباً . وفيه ثبوت مافي أيدي أهل
الذمة لهم . وفيه ما كان ﷺ متصفاً به من التواضع ، والزهد في الدنيا ،
والتقلل منها مع قدرته عليها ، والصبر على ضيق العيش ، والتقناعة باليسير .

قال بعض العلماء : والحكمة في عدوله ﷺ عن معاملة مياسير الصحابة
الى معاملة اليهود ؛ إما لبيان الجواز ، أو لأنهم لم يكن عندهم إذ ذاك طعام فاضل
عن حاجتهم ، أو خشي أنهم لا يأخذون منه ثمناً أو عوضاً ، فلم يرد التضيق عليهم ،
وكانه لم يطلع على ذلك مياسير أصحابه وقتئذ ، والله الموفق .

الحديث الثالث والأربعون

٨٨ - ثنا محمد بن فضيل ، عن مختار بن فلفل ، عن

أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : الكوثر
نهر في الجنة ، وعدنّه ربي عز وجل .

الحديث الرابع والاربعون

٨٩ - ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال : سمعت أنس بن مالك يقول : أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة ، فرفع رأسه متبسماً ، إمّا قال : قال لهم ، وإمّا قالوا له : لم ضحككت ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه أنزلت عليّ آتفاً سورة ؛ فقرأ : « بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر ... » حتى ختمها . قال : هل تدرون ما الكوثر ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هو سهر أعطانيه ربي في الجنة ، عليه خير كثير ، تردّ عليه أمي يوم القيامة ، آيته عدد الكواكب ، يُختلجُ العبد منهم ، فأقول : يا رب ! إنه من أمي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، قال : سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة) قال في « النهاية » : يقال : أغفى إغفاءً وإغفاءة ؛ إذا نام ، وقلما يقال : غفا ، قال الأزهرى : الالة الحيدة أغفيت ، ويقال أيضاً : غفوت غفوة ، أي نمت نومة خفيفة . انتهى . (فرغ) ولفظ مسلم ثم رفع (رأسه) من نومه حال كونه

(متبسماً) وهو مبادئ الضحك، فهو من الضحك بمنزلة السينة من النوم، ومنه قوله تعالى: «فتبسم ضاحكاً» (١) أي شاعراً في الضحك. وفي الحديث: كان ﷺ لا يضحك إلا تبسماً. وحمل على غاب أحواله، لأنه ورد: جل ضحكك التبسم، ولما ثبت أنه ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وقد قيل: إنه ما كان ﷺ يضحك إلا في أمر الآخرة، وأما في أمر الدنيا فلم يزد على التبسم (إما قال) أنس: (قال لهم، وإما قالوا) م، أي أصحابه (له: لم ضحكت؟) وفي «مسلم»، فقلنا: ما ضحكك يا رسول الله؟ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)، ولفظ مسلم قال: (إنه) أي الشأن والأمر، أو ضحكى (انزات)، ولفظ مسلم نزات (علي آناً) قال في «المطالع»: بالمد والقصر، قيدناه في الحديث، وقرأناه في القرآن، أي قريباً أو الساعة، وقيل: في أول وقت كنا فيه، وكله من الاستئناف والقرب (سورة) قال في «المطلع»: تهمز لشبهها بالسور الذي هو بقية الشيء، ولا تهمز لشبهها بسور المدينة. انتهى. قال في «القاموس»: السورة المنزلة من القرآن معروفة، سميت بذلك لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى (فقرأ) صلى الله عليه وسلم: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر) واستمر في قراءتها (حتى ختمها) عليه الصلاة والسلام، وقد قرأ ابن محيصن: «إنا أنطيناك» بالنون، وكذا قرأها طلحة بن مصرف. ثم (قال) صلى الله عليه وسلم: (هل) ولفظ مسلم: أ (تدرون ما الكوثر؟ قالوا:) ولفظ مسلم: قلنا: (الله ورسوله أعلم، قال:) عليه السلام (هو) أي الكوثر (نهر أعطانيه ربي) ولفظ مسلم: قال: فانه نهر وعدنيه ربي (في الجنة، عليه خير كثير) ولهذا فسر ابن عباس رضي الله عنهما، الكوثر بالخير الكثير الذي أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم، قال أبو بشير: قلت لسعيد بن جبير: فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، قال

(١) سورة النمل، الآية: ١٩

سميد : النهر الذي في الجنة من الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه . قال في «الفتح» : هذا تأويل من سميد بن جبير ، جمع بين حديثي عائشة أنه نهر في الجنة ، وابن عباس أنه الخير الكثير . (ترد عليه) أي الكوثر (أمي) ولفظ مسلم : هو حوض ترد عليه أمي (يوم القيامة) وفي «سنن الترمذي» ، من حديث ابن عمر رفعه : الكوثر نهر في الجنة ، حافتاه من ذهب ، ومجرأه على الدر والياقوت ... الحديث ، وقال : حسن صحيح . وحاصل ما قاله سميد بن جبير ؛ أن قول ابن عباس رضي الله عنهما : إنه الخير الكثير ، لا يخالف قول غيره : إن المراد به نهر في الجنة ، لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير . ولعل سميد أوما إلى أن تأويل ابن عباس أولى لسمومه ، لأنه يشمل كل خير كثير مفرط ، من علم وعمل ، وشرف الدارين ؛ لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ من عدة طرق عن عدد من الصحابة ؛ فلا معدل عنه ، لثبوت ذلك وصحته عن الذي أنزل عليه الوحي . قال في «البدور السافرة» للجلال السيوطي رحمه الله تعالى : ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابياً ، وهم الخلفاء الأربعة ، وأبي ابن كعب ، وأسامة بن زيد ، وأسيد بن حضير ، وأنس ، والبراء بن عازب ، وحذيفة ، وعائشة ، وعدم^(٢) وساق أحاديثهم رضي الله عنهم (آئنته) أي الحوض ، وهي جمع إناء ، كسقاء وأسقية ، وجمع الآنية أواني (عدد الكواكب) جمع كوكب ، يعني النجوم . والمراد - والله أعلم - التكثير .

وفي «صحيح البخاري» : عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، أنها سئلت عن قوله تعالى : « إنا أعطيناك الكوثر »^(١) قالت : نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم ، عليه در مجوف ، آئنته بعدد النجوم (يختلج) أي يقطع ويجتذب (العبد منهم) أي من أمي (فأقول : يارب ! إنه من أمي) أي فكيف يختلج ،

(١) سورة الكوثر ، الآية : ١

(٢) أي الجلال السيوطي :

ويقطع عن الورد على حوضي من بين نقي وهو منهم (فيقال) للنبي صلى الله عليه وسلم ، أي تقول له الملائكة ، أو الحق جسد شأنه : (إنك لا تدري ما أحدثوا) يعني هؤلاء المختلجين (بعدك) من البدع ، وتغيير السنّة . والطريقة الحسنة .

قال القرطبي : كل من ارتد عن دين الله ، أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به ، فهو من المطرودين عن الحوض ، قال : وأشدّهم طرداً من خالف جماعة المسلمين ، كالخوارج ، والروافض ، والمعتزلة ، على اختلاف فرقهم . فهؤلاء كلهم مبدّئون ، وكذا الظلمة المسرفون في الجور والظلم ، وطمس الحق ، وإذلال أهله ، والمعلنون بالكبائر ، المستخفون بالمعاصي ، وجماعة أهل الزيغ والبدع . ثم الطرد قد يكون في حال ، ثم يقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الاعمال ، ولم يكن في العقائد . وقد يقال : إن أهل الكبائر يردون ويشربون ، فإذا دخلوا النار بعد ذلك لم يعذبوا بالمعاش . انتهى .

وهذا على ما اختاره القرطبي من أن الحوض بعد الصراط ، والذي رجحه القاضي عياض : أن الحوض بعد الصراط ، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار .

وقال الحافظ ابن حجر : ظواهر الأحاديث أن الحوض بجانب الجنة لينصب فيه الماء من النهر الذي داخلها ، فلو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب من الكوثر فيه ، قال : وأما ما أورد عليه من الحديث ، أن جماعة يدفعون عن الحوض بعد أن يروه ويذهب بهم إلى النار ، فجوابه : أنهم يقربون من الحوض بحيث يرونه ويرون ، فيدفعون في النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط . انتهى .

قال القرطبي : المعنى يقتضي تقديم الحوض على الصراط ، فإن الناس

يخرجون من قبورهم عطاشاً ، فناسب تقديمه ، وقال القرطبي أيضاً : الصحيح أن للنبي ﷺ حوضين ؛ أحدهما في الموقف قبل الصراط ، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثراً . قال : ولا يخطر ببالك ، أو يذهب وهمك الى أن الحوض يكون على وجه هذه الارض ، وإنما يكون وجوده في الأرض المبدلة ، وهي أرض بيضاء كالفضة ، لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم عليها أحد قط .

تنبيهات

الأول : الحوض والكوثر ثابت بالنص ، وإجماع أهل السنة والجماعة ، حتى عدّه أهل السنة في المقائد الدينية ، لأجل الرد على أهل البدع والضلال .

وقد أخرج ابن أبي عاصم في السنّة ، والبيهقي ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سيأتي قوم يكذبون بالحوض ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقرن من النار .

وأخرج الحاكم ، وابن المبارك ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : دخلت على زياد وهم يتذاكرون الحوض ، فقالوا : ما تقول في الحوض ؟ فقلت : والله ما شعرت أن أعيش حتى أرى أمثالكم يشكّون في الحوض ، لقد ركت عجائز بالمدينة ما تصلي واحدة منهن صلاة إلا سألت ربها أن يوردها حوض محمد ﷺ وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه قال له عبيد الله بن زياد : إنما بعث اليك ليأسألك عن الحوض ، هل سمعت رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً ؟ قال أبو هريرة : لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، فمن كذب به فلا سقاء الله منه ، ثم خرج مغضباً . أخرجه أبو داود .

الثاني : ورد عن النبي ﷺ : أن حوضه مسيرة شهر ، وزواياه سواء ،

يعني عرضه مثل طوله . أخرجه الامام أحمد ، والبخاري ، من حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها .

وأخرج الطبراني في « الأوسط » من حديث البراء بن عازب رضي الله عنها ، مرفوعاً : حوضي ما بين أيلة الى صنعاء ، له ميزابان : أحدهما من ذهب ، والآخر من فضة .

وفي « الطبراني » عن أنس مرفوعاً : أن عرضه وطوله ما بين المشرق الى المغرب ، لا يشرب منه أحد فيظلم ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث ، لا يشربه من أخفر ذمتي ، ولا من قتل أهل بيتي .

وفي « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » من حديث أبي ذر مرفوعاً : والذي نفسي بيده ، لآئنته - يعني حوضه صلى الله عليه وسلم - أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحبة ، آنية الجنة ، من شرب منها لم يظلم ، آخر ما عليه بشخب^(١) ميزابان من الجنة ، عرضه مثل طوله ، ما بين عجمان الى أيلة ، وماؤه أشد بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل .

وفي « الصحيحين » و « الترمذي » ، من حديث أنس مرفوعاً : ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة . وفي رواية : مثل ما بين المدينة وعمسان . وفي أخرى : ما بين لاتي حوضي . وفي أخرى : ترى فيه أباريق الذهب والفضة ، كعدد نجوم السماء . وفي لفظ : أكثر من عدد نجوم السماء . وفي أخرى : إن قدر حوضي ما بين أيلة وصنعاء اليمن .

وفي « الصحيحين » أيضاً ، من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه ؛ أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال : حوضي ما بين صنعاء والمدينة ، فقال المستورد : ألم تسمعه قال : الأواني ؟ قال : لا ، قال المستورد : ترى فيه الآنية مثل الكواكب .

(١) الشخب : جريان اللبن في الإناء وقت الحلب .

وفي «مسلم» من حديث سمرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا إني فرطكم ^(١) على الحوض ، وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة ، كأن الأباريق فيه النجوم .

وفي «الصحيحين» من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه لا يظلم أبداً . وفي رواية : مسيرة شهر ، وزواياه سواء .

وفي «الصحيحين» و «أبي داود» ، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : إن أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جرباء وأذرح . قال بعض الرواة : هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال . ^(٢) وفي «مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سئل عن عرض حوضه ، فقال : من مقامي إلى عُمان .

وفي «الترمذي» عن أبي سلام الحبشي ، قال : بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد ، فلما دخلت عليه قلت : يا أمير المؤمنين ! لقد شق عليَّ مركبي البريد ، فقال : يا أبا سلام ! ما أردت أن أشق عليك ، ولكي بلغني عنك حديث تحدّثه عن ثوبان ، عن رسول الله ﷺ في الحوض ، فأحببت أن تشافني به ، فقلت : حدّثني ثوبان ، أن رسول الله ﷺ قال : حوضي مثل ما بين عدن إلى عَمَّانَ البلقاء ، ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج ، وأحلى من المسك ، وأكوابه بعداد نجوم السماء ، من شرب منه شربة لم يظلم بعدها أبداً . أول الناس وفوداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رُؤوساً ، الدنس ثياباً ، الذين لا ينكحون المنهات ، ولا تفتح لهم أبواب السدد . فقال عمر رضي الله عنه ^(٣) : قد أنكحت المنهات ؛

(١) الكلمة في الاصل مطموسة ، وما أثبتناه من «الصحيح» .

(٢) قال في «القاموس» : أذرح بضم الراء ، يجنب جرباء بالشام ، وغلط من قال :

بينها ثلاثة أيام . (٣) يعني عمر بن عبد العزيز .

هطمة بنت عبد الملك ، وفتحت إلي أبواب السدد ، لا جرم لا أغسل رأسي حتى يشمت ، ولا ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ .

الثالث : قال القرطبي : ظن بعض الناس ، أن اختلاف هذه التحديدات في الحوض اضطراب واختلاف ، وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات متعددة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة ، مخاطباً لكل طائفة : كانت تعرف من مسافات مواضعها ، وربما قدر ذلك بالزمان ، فيقول : مسيرة شهر ، والمعنى المقصود من ذلك كله ؛ أنه حوض كبير متسع الجوانب . وكان من حضره ﷺ ممن يعرف تلك الجهات يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها ، وبالله التوفيق .

الرابع : في « الصحيحين » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : أنا فرطكم على الحوض ، وليرفمن إلي رجال منكم ، إذا أهويت اليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول : أي رب ! أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك .

وفيها من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ليردن على الحوض رجال ممن صاحبي ، حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني ، فلا قولن : أي رب ! أصحابي أصحابي ، فليقالن لي : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . زاد في رواية : فأقول : سحقاً لمن بدل بعدي .

وفيها من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي ، أو قال : من أمتي ، فيحلون ^(١) عن

(١) قوله : فيحلون بضم التحتية وفتح الحاء المهملة : أي يدفعون عن الماء ويطردون عن وروده ، ومن رواه بالجيم بدل الحاء فهو من الجلاء ، وهو النفي عن الوطن ، ويرجع إلى معنى الطرد أيضاً « المؤلف » .

الحوض ، فأقول : يارب : أصحابي ، فيقول : إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك .
إنهم ارتدوا على أديارهم انقهري .

وفي مسلم ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهري أصحابه : إني على الحوض أنظر من يرد علي منكم ، فوالله ليتقطن دوني رجل ، فلاقولن : أي رب ! مني ومن أمي ؟ فيقول : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك . ما زالوا يرجعون على أعقابهم .

وفي حديث أسماء أختها ، رضي الله عنها في الصحيحين ، وغيرها : وسيؤخذ ناس دوني ؛ فأقول : يارب ! مني ومن أمي . وفي رواية فأقول : أصحابي ، فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم .

وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها في مسلم : قال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض ؛ فإياي ، ليأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال ؛ فأقول : فيم هذا ؟ فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ؛ فأقول : سحقاً .

وقد تقدم أن أهل البدع والفساد والظلم والارتداد لا يردون الحوض ، ولا يشربون منه . ولا ريب أن كثيراً من الأعراب ، ومن بني حنيفة ، ومن بني تميم ؛ ممن كان قد أسلم ووفد على النبي ﷺ قد ارتد لما توفي النبي ﷺ ، فقاتلهم الصديق الأعظم ، فأمر خالد بن الوليد فأتكا فيهم ، فنهزم من قتل ، ومنهم من حرق ، ومنهم من رجس إلى الاسلام ، الحديث من أعلام النبوة ، وبالله التوفيق .

الحديث الخامس والاربعون

٩٠ - ثنا محمد بن فضيل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : إِنَّ أَمَتَكَ لَا يَزَالُونَ يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ النَّاسَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟»**

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل) الضبي (عن المختار بن فلفل ، عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : **«إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ لِي : (فَيَكُونُ حَدِيثًا قَدْسِيًّا لِنَسَبِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ) (إِنَّ أَمَتَكَ)** يَا مُحَمَّدُ الْمَجِيبِينَ لَكَ ؟ الْمَتَّبِعِينَ مَا حَثَّ بِهِ مِنَ الدِّينِ الْقَوِيمِ ، وَالْمُهْدِي الْمُسْتَقِيمِ) (لَا يَزَالُونَ) أَي لَا يَنْفَكُونَ وَلَا يَبْرَحُونَ (يَتَسَاءَلُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ) عَنْ غَوَامِضِ الْمَسَائِلِ ، وَدَقَائِقِهَا - وَحَقَائِقِهَا ، مِنْ صَحِيحِهَا وَبَاطِلِهَا ، وَقَوِيْعِهَا وَغَاطِلِهَا (حَتَّى) يَتَوَصَّلُوا بِذَلِكَ ؛ إِلَى أَنْ يَسْأَلُوا عَنِ الْمَسَائِلِ الْمُسْتَحِيلَةِ فِي نَفْسِهَا ، بِأَنْ (يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ) جَلَّ شَأْنُهُ وَتَعَالَى سُلْطَانُهُ . الْإِشَارَةُ إِلَى الْمُسْتَحْضَرِ فِي الذَّهْنِ الْمَعْلُومِ ؛ لِلْمَسَائِلِ وَالْمَسْئُولِ ، أَي هَذَا اللَّهُ قَدْ عَرَفْتَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْأَشْيَاءَ ؛ وَلِهَذَا قَالَ : (خَلَقَ النَّاسَ) وَسَائِرَ الْخَلْقَاتِ ؛ مِنْ الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ (فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟) تَعَالَى وَتَنَزَّهَ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، فَانْهَ الْقَدِيمَ بِالذَّاتِ وَالصِّفَاتِ ، وَإِعْمَا يَصْدُرُ مِثْلَ هَذَا السُّؤَالِ مِنْ جَاهِلٍ بِالْوَجِبِ وَالْجَائِزِ وَالْمُسْتَحِيلِ ، فَقَلْبُهُ بِهِ مَرَضُ الْجَهْلِ الَّذِي لَا شِفَاءَ لَهُ مِنْهُ ، إِلَّا بِالسُّؤَالِ وَالتَّعَمُّقِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ ثَلَاثَةٌ : صَحِيحٌ سَلِيمٌ ، وَمَرِيضٌ سَقِيمٌ ، وَمَيِّتٌ رَمِيمٌ . فَالسَّلِيمُ : هُوَ الَّذِي لَا يَنْجُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ آتَى

الله به ، كما قال جل شأنه : « يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم » (١) وهو الذي سلم من الشهوات والشبهات ، فليس لله فيه شريك بوجه ما ، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى إرادةً ومحبةً وتوكلًا وإجابةً وإخباتًا وخشيةً وتقوىً ورجاءً . قد أخلص عمله لله ، فإن أحب فله ، وإن أبغض ففي الله ، وإن أعطى فله ، وإن منع فله ، ولا يسلم السلامة الأبدية ، وبجها الحياة السرمدية ، حتى يسلم من الاقبياد والانفعال لكل من عدا رسول الله ﷺ . فيعقد قلبه معه عقدًا محكمًا على الاقتداء به ، وحده دون غيره ، في الأقوال والأفعال والمقائد ، فيكون الحاكم عليه في ذلك كله دقيته وجلته ما جاء به الرسول ﷺ ، فلا يتقدم بين يديه بعقيدة ولا قول ولا عمل ، كما قال تعالى : « ولا تقبلوا دينهم بين يدي الله ورسوله » (٢) أي لا تقولوا حتى يقول ، ولا تفعلوا حتى يأمر ، ولهذا قال بعض السلف : ما من فلة وإن صمرت إلا ينثر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ أي لم فعلت ؟ وكيف فعلت ؟ فالأول : سؤال عن علة الشيء وباعته وداعيه من دفع مكروه ، أو جلب محبوب ، أم الباعث على ذلك القيام بحق العبودية ، وطلب التقرب إلى الرب سبحانه ، وابتغاء الوسيلة إليه ؟ ومحل هذا السؤال : أنه هل كان عليك أن تفعل هذا الفعل لمولاه ، أم فعلته لحظك وهواك ؟ .

والثاني : سؤال عن متابعة الرسول في ذلك التعبد ، أي هل كان ذلك العمل بما شرعته على لسان رسولي ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟ فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني عن المتابعة ، فلا يقبل الله عملاً إلا بهما ، فتنى أخلص العمل ، وحقق المتابعة ، كان قلبه سليماً ، وسيره قويمًا .

و ضد هذا القلب الميت الذي لا حياة به ، فهو لا يعرف ربه ، ولا يبصده

(١) سورة الشراء، الايتان : ٨٨-٨٩

(٢) سورة الحجرات ، الآية : ١

بأمره ؛ وبما يحبه الله ورضاه ، بل هو واقف مع شهواته وإرادته ، ولو كان فيها
سخط ربه وغضبه ، لعدم مبالاته إذا فاز بشهواته وحظوظه كيفما ما اتفق ؛
رضي ربه أم سخط ، فهو متمدد لغير الله ؛ حباً وخوفاً ، ورضى وسخطاً وتمظيلاً
وذلك ، فهو إن أحب أحب لهواه ، وإن أبغض أبغض لهواه ، وكذلك منعه
وإعطاؤه ، وتقريبه وإقصاؤه ، فهو أتر عنده من رضى مولاه ، فهو إنما يفكر
في تحصيل أغراضه ، ولو كان فيها هلاكه مع أمرائه ، لأن قلبه بحب الدنيا
والأمور الدنيوية مخور ، ولبه باقتناص المآجل دون الآجل مغمور ، فلسان حاله
يقول : برئة منقودة ، ولا درة مفقودة ، فإذا نادى به داعي الله ورسوله والدار
الآخرة ؛ فن مكان بعيد ، فلا يستمع للناصح ، ويتبع كل شيطان مريد ، فالدنيا
تسخطه وترضيه ، والهوى يقربه ويقصيه ، فهو مع الدنيا كما قيل :

عدو لمن عادت وسلم لأهلها ومن قرئت ليلي أحب وقرئاً

فخالطة صاحب هذا القلب سقم ، ومعاشرته سم . وبالله التوفيق .

والقلب الثالث : قلب له حياة وبه علة ، فله مادنان ؛ يعد بهذه مرة وبهذه
أخرى ، وهو لما غلب عليه منهما ، ففيه من محبة الله والایمان به ؛ والاخلاص له
والتوكل عليه ؛ ما هو مادة حياته ، وفيه من محبة الشهوات ؛ وإيثارها واحتراس
على تحصيلها ؛ والحرص والكبر والمجب وحب الملوك في الأرض بالرياسة ؛ ما هو
مادة هلاكه وعطبه ، فهو محتجج من داعيين ؛ داع يدعو الى الله ورسوله
والدار الآخرة ، وداع يدعو الى العاجلة ، فالقلب السليم ليس بينه وبين قبول
الحق ؛ وإيثاره سوى إدراكه ، فهو صحيح الإدراك ، تام الاقياد والقبول له ،
والقلب الميت القاسي لا يتقاده ولا يقبله ، والقلب المريض إن غلب عليه مرضه
التحق بالميت القاسي ، وإن غلبت عليه صحته التحق بالسليم ، فما يلقيه الشيطان
في الأسماع والأدهان من الألفاظ ، وفي القلوب من الشبه والشكوك والظنون

والجبال الناجية ، فتنبه لهذين القليلين ، أعني الميت ، والمريض السقيم ، وقوة النفس الحي السليم ، لانه رده ذلك ويكرهه ويبغضه ، ويعلم أن الحق في خلافه ، فيجبت للحق قلبه ، ويطمئن وينقاد ، ويعلم بطلان ما ألقاه الشيطان من سوء الاعتقاد ، فيزداد إيماناً بالحق محبة له ، وكفر بالباطل وكراهة له ، فهذا السائل لك هذه المسائل من ذوي القليلين ، لانه إما قلبه ميت رميم ، أو مريض سقيم .

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : قال رسول الله ﷺ : تعرض الفتن على القلوب كمرض الحصر عوداً عوداً ، فأني قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها ؛ نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تمود القلوب على قلبين ؛ قلب أسود مرّ ، بادي كالكور محجبا ؛ لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً ، إلا ما أشرب من هواه ؛ وقلب أبيض مشرق ، لا تضره فتنة ما دامت السموات والارض . فشبّه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً ، كمرض عيدان الحصر ، وهي طاقاتها . وقسم القلوب عند عرضها عليها الى قسمين ؛ قلب إذا عرض عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء ، فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه ، حتى يسود وينتسكس ؛ وهو معنى قوله : كالكور محجياً ؛ أي مكبواً منكوساً ، فإذا اسود وانتسكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان الى الهلاك : أحدهما اشتباه المعروف عليه بالمنكر ، فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، بل ربما استحكم فيه هذا المرض حتى يمتدد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؛ والسنة بدعة ، والبدعة سنة ؛ والحق باطلاً ، والباطل حقاً .

اثباتي : تحكيه هواه على ما جاء به الرسول ، والقيادة للهوى واتباعه له . وقلب أبيض أشرق فيه نور الإيمان ، وازهر فيه مصباحه ، فإذا عرضت عليه الفتن أنكرها وردّها ، فازداد نوره وإشراقه وقوته .

والفتن التي تمرض على القلوب هي أسباب مرضها ، وهي فتن الشهوات ؛ ومحن
الشبهات ؛ فالأولى توجب فساد القصد والارادة ؛ وتلبط عن مكارم الاخلاق
وحسن العبادة ، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد ؛ وتمدى بهما الى غير المراد ،
وهذا السائل القليل الضليل من هذا القبيل .

وقد صح عن حذيفة أيضاً رضي الله عنه ، أنه قال : القلوب أربعة : قلب أجرد
فيه سراج مزهر ، فذلك قلب المؤمن . وقلب أغلق فذلك قلب الكافر ، وقلب
منكوس . فذلك قلب المنافق ، عرف ثم أنكر ، وأبصر ثم عمي ، وقلب تمدد
مادتان : مادة إيمان ؛ ومادة نفاق ، فهو لما غلب عليه منها . فقلوله : أجرد ؛
أي متجرد عما سوى الله سبحانه وتعالى ، ورسوله ﷺ ؛ فقد تجرد وسلم
بما سوى الحق ، وفيه سراج يزهر ، وهو مصباح الايمان ، فأشار بتجرده الى
سلامته من شبهات الباطل ، وشهوات النفي* ، وبحصول السراج فيه الى إشراقه
واستنارته بنور العلم والايمان ، وأشار بالقلب الأغلف ؛ الى قلب الكافر ، لأنه
داخل في غلافه وغشائه ، فلا يصل اليه نور العلم والايمان ، كما حكى سبحانه عن
اليهود : « وقالوا قلوبنا غلف » (١) وهو جمع أغلف كأقلف وقلف ، وهي الأكنة
التي ضربها الله تعالى على قلوبهم عقوبة لهم على رد الحق ، والتكبر عن قبوله ، فهي
أكنة على القلوب ، ووقر في الاسماع ، وعمى في الابصار ، وهي الحجاب المستور
عن الميون ، في قوله تعالى : « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون
بالآخرة حجاباً مستوراً ، وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً » (٢)
فاذا ذكر لهذه القلوب تجريد التوحيد ، وتجريد المتابعة ، ولي أصحابها على
أدبارهم نفوراً ، وأشار بالقلب المنكوس وهو المكبوب ، إلى قلب المنافق كما قال

(١) سورة البقرة ، الآية ٨٨

(٢) سورة النساء ، الآية ٨٨

تمالى : « فإلکم فی المنافقین فتنین والله أُرکسہم بما کسبوا » (١) ، أي أنکسہم وردم فی الباطل الذی کانوا فیہ ، بسبب کسبہم وأعمالہم الباطلة ، وهذا شر القلوب وأخبثها ، فانه یتقد الباطل حقاً ویوالی أصحابہ ، والحق باطلا ویبادی أهلہ ، والله المستعان . وأشار بالقلب الرابع الذی لہ مادتان ، الی القلب الذی لم یتمکن فیہ الايمان ، ولم یزہر فیہ سراجہ لیدفع شہات الباطل ، وشہوات النہی ، کقلب هذا السائل ، فانه من عوام الأمة ورعاعها ، لم یتبصر بنور المعرفة ، ولا استضاء بشماعها ، بل فیہ مادة من الايمان ؛ وهو کونه یشهد لله بالوحدانية ولنبیہ ﷺ بالرسالة ، وإنه من أمته التابیین لظاهر شرعہ ، وفيہ مادة من خلافہ ، وهي ظلمات الجہل ، وغیم الشہات ، وهوی الشہوات الذی أطفأ مصباح بصیرتہ ، فلم یشر بما یجب لله ، وما یجوز علیہ ، ویستحیل فی حقہ ، حتی سأل سؤالہ المستحیل الذی لو أصر علیہ بعد التمریف ؛ استحل مالہ ودمہ ، لردتہ عن سواء السبیل .

تنبيهات

الأول : حدیث أنس هذا ؛ أخرجه مسلم فی « صحیحہ » من حدیث محمد بن فضیل ، عن المختار بن فلفل ، عن أنس ، وشیح مسلم فی هذا الحدیث من هذا الوجه ، عبد الله بن عامر . وأخرجه البخاری أيضاً ، ولفظه : عن أنس رضي الله عنه . قال : قال رسول الله ﷺ : لن یبرح الناس یسألون : هذا الله خالق کل شیء ، فمن خلق الله ؟

وفي « الصحیحین » وغیرہما ، من حدیث أبی ہریرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا یزال الناس یسألون ، حتی یقال : هذا خلق الله الخلق ،

(١) سورة النساء ، الاية : ٨٨

فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليقل : آمنت بالله . وفي لفظ آخر : يأتي الشيطان أحداً فيقول : من خلق السماء ؟ من خلق الأرض ؟ فيقول : الله . فذكر مثله ، وزاد : ورسله . وفي لفظ آخر : من خلق كذا وكذا ؟ حتى يقول : من خلق ربك ؟ فإذا بلغ ذلك ؛ فليستعذ بالله ، ولينته . وفي لفظ آخر : يأتي العبد الشيطان .

وفي « مسلم » عن محمد بن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يزال الناس يسألونكم عن العلم ، حتى يقولوا : هذا الله خلقنا ، فمن خلق الله ؟ قال وهو أخذ بيد رجل : فقال : صدق الله ورسوله ، قد سألتني اثنان ، وهذا الثالث ، أو قال : قد سألتني واحد ، وهذا الثاني . وفي لفظ : قال : قال لي رسول الله ﷺ : لا يزالون يسألونك يا أبا هريرة ؛ حتى يقولوا : هذا الله ؛ فمن خلق الله ؟ قال : فيبينا أنا في المسجد ، إذ جاءني ناس من الأعراب ، فقالوا : يا أبا هريرة ؛ هذا الله ، فمن خلق الله ؟ قال : فأخذ حصياً بكفه ، فرماه به ، ثم قال : قوموا ؛ صدق خليلي ﷺ . وفي لفظ : ليسألكم الناس عن كل شيء ؛ حتى يقولوا : إن الله خلق كل شيء ، فمن خلقه ؟ وفي رواية لابي داود ، والنسائي : فقولوا : قد هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ،^(١) ثم ليتفل عن يساره ثلاثاً ، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم . وفي لفظ للنسائي : فليستعذ بالله منه ومن فتنه .

وأخرج الامام أحمد باسناد جيد ، وأبو يعلى ، والبخاري ، عن عائشة رضي الله عنها ؛ أن رسول الله ﷺ قال : إن أحداً يأتيه الشيطان . فيقول : من خلقتك ؟ فيقول الله ، فيقول : من خلق الله ؟ فإذا وجد ذلك أحداً ، فليقل : آمنت بالله ورسوله ، فإن ذلك يذهب عنه . ورواه ابن أبي الدنيا في « مكائد

(١) سورة الاخلاص

الشيطان، ولفظه: إن الشيطان يأتي أحدكم... الحديث، ورواه الطبراني في الكبير،
و الأوسط، من حديث عبد الله بن عمرو، ورواه الإمام أحمد أيضاً من حديث
خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : جاء ناس من
أصحاب رسول الله ﷺ ، إلى رسول الله ﷺ ، فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما
يتماظم أحدنا أن يتكلم به ، قال : وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك
صريح الإيمان .

وأخرج أيضاً من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : سئل النبي ﷺ
عن الوسوسة ، فقال : تلك محض الإيمان .

وفي الصحيح ، أن أصحاب رسول الله ﷺ ، قالوا : يا رسول الله ! إن
أحدنا ليجد في نفسه ما لأن يخر من السماء إلى الأرض أحب إليه من أن يتكلم به ،
قال : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة .

وفي سنن أبي داود ، عن أبي زميل ؛ سمالك بن الوليد ، قال : سألت ابن
عباس رضي الله عنها فقلت : ما شئ . أجده في صدري ؟ قال : ما هو ؟ قلت :
والله لا أتكلم به ، قال : فقال لي : أشئ . من شك ؟ قال : وضعحك ، قال : مانجا
من ذلك أحد ، قال : حتى أنزل الله عز وجل : « فإن كنت في شك مما أنزلنا
إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبلك ، لقد جاءك الحق من ربك فلا
تكون من الممترين » (١) قال : فقال لي : إذا وجدت في نفسك شيئاً ، فقل : هو
الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شئ عليم .

وفي مسلم ، من حديث عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه ، أنه أتى النبي
ﷺ فقال : يا رسول الله ؛ إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي بلييها

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٤

عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذلك شيطان يقال له: خنزب، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتقل على يسارك ملاماً ، قال :فقطت ذلك ، فأذهبه الله عني. قوله: خنزب: هو بكسر الخاء المعجمة ، وسكون النون ، وفتح الزاي بعدها باء موحدة .

الثاني : إن كان هذا السؤال ونحوه من آدمي ؛ فيقطع بالبرهان ، وهو أن الله قديم أزليّ ، وهو دائم أبديّ ، فالحدوث مستحيل في حقه جل وعلا ، خلق الخلائق تفصيلاً وجملاً . وإن كان من إلقاء الشيطان ؛ فليقل ما تقدم ، وليتفضل عن يساره ملاماً ، فإذا التجأ الانسان الى الملك الديان في دفع وساوس الشيطان ، وما يلقيه في وهم البعد من الشبهات والبهتان ، فإنه جل شأنه وتعالى سلطانه ، يمنع عبده الملتجئ الىه من عدوه المتسلط عليه ، وقد قال تعالى : « فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ، (٢) ، ومعنى استعذ بالله ؛ امتنع به ، واعتصم به ، والجا إليه . ومن كلام العرب : أطيب اللحم عوده ، أي الذي عاذ بالمظم واتصل به ، فأمر سبحانه بالاستعاذة من الشيطان عند قراءة القرآن ، لأن القرآن شفاء لما في الصدور ، ويذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوسواس والشبهات والشهوات والارادات الفاسدة ، فهو دواء لا أثره فيها الشيطان ، فأمر أن يطرد مادة الداء ، ويجلي منه القلب ، ليصايف الدواء محلاً خالياً فيتمكن منه ، ويؤثر فيه . ولأن القرآن مادة الهدى والعم والخير في القلب ، كما أن الماء مادة النبات ، فالشيطان نار يحرق النبات ، فكما أحسن نبات الخير في القلب سعى في إفساده وإحراقه ، فأمر أن يستعذ بالله منه لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن ، ولأن الشيطان أحرص ما يكون على الانسان عندما يهم بالخير ويدخل فيه ، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه

عنه ، ويزين له الكلام الباطل ، والآراء المتهاضة ، والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الأذهان ، ونخالة الأفكار ، والزبد الذي تهذف به القلوب المظلمة المتحيرة التي تعدل الحق بالباطل ، والخطأ بالصواب ، وقد تقاذفت بها أمواج الشبهات ، ورائت عليها غيوم الخيالات ، فركبها القيل والقال ، والشك والتشكيك ، وكثرة الجدل . ليس لها حاصل من اليقين يؤكل عليه ، ولا معتد مطابق للحق يرجع إليه . يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً ، فقد اتخذوا لأجل ذلك القرآن مهجوراً ، وقالوا - من عند أنفسهم ، بما ألقاه الشيطان في قلوبهم - : مشكراً من القول وزوراً ، فهم في شكهم يعمهون ، وفي حيرتهم يتكهون^(١) ، قد نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبوا ما تسفوا الشياطين على قلوبهم من^(٢) الشبهات والشهوات ، فهم اليه يتحاضرون . قد فارقوا الدليل ، واتبوا من أضلهم عن سواء السبيل ، وقد قدم الشيطان للإنسان كل مقصد ، ورصده كل مرصد ، وألقى في وهمه الشبهات ، وأطفأ نور بصيرته بدخان الشهوات والتفصيلات ، فلا رادة لشهوته ، ولا كاشف لشبهته ، إلا بذكر الله . صدق الالتجاء اليه ، والاستعاذة به والتوكل عليه ، فانه جل شأنه يدبر أمر الممالك ، ويسلم من المخاوف والمهلك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت يحيي ، ويقضي ويمضي ، ويعز ويذل ، ويقلب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، وينشئ الدول ، فيذهب بدولة ويأتي بأخرى ، ورسد الملائكة ما بين ساعد بالأمر ونازل به . أوامره متعاقبة ، وآياته نافذة ، فما شاء كان كما شاء ، في الوقت الذي يشاء ، على الوجه الذي يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان ، ولا تقدم ولا تأخر ، وأمره وسلطانه نافذ في السموات وأقطارها ، وفي الأرض وما عليها وما تحتها ، وفي البحار والجو وسائر أجزاء العالم وذراته ، يقلبها ويصرفها

(١) المتكلم : من يركب رأسه لا يدري أين يتوجه .

(٢) كان الكلام مطموساً في الأصل .

عَـكِـفَ بَـشَاءَ ، وَبَحـدَثَ فِـيـهَا مَا بَـشَاءَ . قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَـلَـمًا ، وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ
 عَدَدًا ، وَوَسَّعَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَحِكْمَةً . قَدْ وَسَّعَ مَعَهُ الْأَصْوَاتُ فَلَا تَخْتَلِفُ
 عَلَيْهِ ، وَلَا تَشْتَبِهُ بَعْضُهَا ، بَلْ يَسْمَعُ ضَجِيجَهَا بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا ، عَلَى
 تَفْتِثِ حَاجَتِهَا ، فَلَا يَشْغَلُهُ سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ ، وَلَا تَقْلَطُهُ الْمَسَائِلُ ، وَلَا يَتَبَرَّمُ بِالْحَاحِ
 الْمَلْحِينِ . وَأَحَاطَ بِصَرِّهِ بِكُلِّ الرِّئَاسَاتِ ، فَيَرَى دَيْبَ النَّمَلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى
 الصَّخْرَةِ الصَّهَاءِ ، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلُمَاءِ ، فَالْتَبِيبُ عِنْدَهُ شَهَادَةٌ ، وَالسَّرُّ لَهُ عِلَانِيَةٌ ،
 يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَالْحَمْدُ ، وَلَهُ النِّعْمَةُ
 وَلَهُ الْفَضْلُ ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ . شَمِلَتْ قُدْرَتُهُ كُلَّ مُمْكِنٍ ، وَوَسَّعَتْ رَحْمَتُهُ
 كُلَّ شَيْءٍ ، وَسَبَّغَتْ نِعْمَتُهُ عَلَى كُلِّ حَيٍّ ، يَسْأَلُهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ يَوْمٍ
 هُوَ فِي شَأْنٍ ، وَهَذِهِ شُؤْنُونُ يَدَيْهَا لَا يَتَبَدَّى بِهَا ، بِفَرْجِهَا ، وَيَكْشِفُ غَمًّا ، وَيَجِيرُ كَسِيرًا ،
 وَيَغْنِي فَقِيرًا وَيَعْلَمُ جَاهِلًا ، وَيَهْدِي ضَالًّا ، وَيُرْشِدُ حَيْرَانًا ، وَيُنْثِقُ لَهْفَانًا ، وَيُرِدُّ
 غَائِبًا ، وَيَقْبِلُ تَائِبًا ، وَيَسْتَرْعِيزُ عَوْرَةً ، وَيُؤْمِنُ رَوْعَةً ، لَا يَنَامُ وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ ،
 يَخْفِضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يَرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ .
 حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سَبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بِصَرِّهِ مِنْ خَلْقِهِ .
 يَمِينُهُ مَلَأَتْهُ وَكَلَّنَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةً ، سَحَابًا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، قُلُوبَ الْبَسَادِ
 وَنَوَاصِيهِمْ يَدُهُ ، وَأَزَمَةُ الْأُمُورِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ ، وَقَدْرُهُ ، الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، لَا تُتَضَرُّهُ الذُّنُوبُ ، وَلَا تَنْفَعُهُ الطَّاعَاتُ ،
 فَلَوْ أَنَّ الْأَشْجَارَ مِنْ حَبِيبٍ وَجَدَتْ إِلَى اتِّقِضَاءِ الدُّنْيَا أَقْلَامَ ، وَالْبَحُورُ وَأَضْعَافُ
 أَضْعَافِهَا مِدَادَ ، فَكُتِبَ بِتِلْكَ الْأَقْلَامِ وَذَلِكَ الْمِدَادِ ، لَفَنِيَتْ الْأَقْلَامُ وَنَفِدَ
 الْمِدَادُ ، وَلَمْ تَنْفَدْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، وَكَيْفَ تَفْنَى كَلِمَاتُهُ وَهِيَ لَا بَدَايَةَ لَهَا وَلَا نَهَايَةَ ، فَهُوَ
 الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ ، وَالظَّاهِرُ الَّذِي
 لَيْسَ فَوْقَهُ شَيْءٌ ، وَالْبَاطِنُ الَّذِي لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ . أَحَقُّ مِنْ ذِكْرِهِ ، وَأَوَّلَى مِنْ

شكر ، وأحق من عبد ، وأحق من حمد ، وأرأف من ملك ، وأجود من سئل ،
وأعفا من قدر ، وأكرم من قصد ، وأنصف من حكم ، وأعدل من انتقم . هو
الملك لا شريك له ، والفرد فلا ند له ، والتقي فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له
ولا صاحبة . كل شيء هالك إلا وجهه ، وكل ملك زائل إلا ملكه ، وكل فضل
منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بأذنه وفضله ، ولن يعصى إلا بهله وعده ، يطاع
فيشكر ، ويعصى فيغفر ، كل نعمة منه فضل ، وكل تقمة منه عدل ، أقرب
شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ؛ وأخذ بالنواصي . إذا أراد شيئاً إنما
يقول له : كن فيكون . حارت العقول في قدرته ، وأذعنت الأبواب لحكمته ،
لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، فأين تقع الأوهام والظنون ؟ أم كيف تشرف
البصيرة على عموم قدرته ؛ وإرادته وحكمته وعلمه ، وهو الخالق ، وهي المخلوقة
الأنسية ؟ فلا سلامة لمن لا يسلم ، ولا فوز ولا فلاح لمن لا يذعن ؛ ويتقاد
لأوامر الملك الجواد ، فنسأله الهداية والمونة ، والكفاية والمؤونة ، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

الثالث : في الحديث دليل على كراهة كثرة السؤال عن مثل
هذه المسائل .

وفي « مسند الامام أحمد » و « سنن أبي داود » بإسناد حسن ، عن معاوية
رضي الله عنه ؛ نهى رسول الله ﷺ عن الأغلوطات . ومثله قول ابن مسعود
رضي الله عنه ؛ وأندرتكم صباب المنطق .

قال الجلال السيوطي في « الدر » : الأغلوطات والغلوطات — بفتح الهمزة —
المسائل التي يفاط بها العلماء ليزلوا ، فيهبج بذلك شروفتة وفي « الصحيحين »
وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه : إن الله حرم عليكم عقوق
الأمهات ، ووأد البنات ، ومنأ وهات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة

السؤال وإضاعة المال . قيل : المراد بكثرة السؤال عن المشكلات والمعضلات من المسائل الكلامية ، والأقيسة الجدلية ، لما في ذلك من التنطع والقول بالظن ، إذ لا يخلو صاحبه من الخطأ . وقد قال تعالى : « لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم » (١) لكن خصوا هذه الآية بزمن نزول الوحي ، ويشير إليه حديث : أعظم الناس جرماً عند الله من سأل عن شيء لم يحرم ؛ فحرم من أجل مسأله .

وأخرج أبو داود من حديث بريدة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : إن من البيان سحراً ، وإن من العلم جهلاً . قال الحافظ ابن رجب : فسر مصمصه بن صوحان قوله : إن من العلم جهلاً ؛ أن يتكلف العالم إلى علمه ما لا يعلم ، فيجهله ذلك . قال ابن رجب : ويفسر أيضاً بأن العلم الذي يضر ولا ينفع ؛ جهل ، لأن الجهل به ؛ خير من العلم به ، فإذا كان الجهل به خيراً منه ؛ فهو شر من الجهل ، وهذا كالسحر والعلوم المضرة في الدين .

وفي « السنن » حديث مرفوع : ما ضل قوم بعد هدى ؛ إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ : « ما ضربوه لك إلا جدلاً ، بل هم قوم خصمون » (٢) . وقد قال بعض السلف : إذا أراد الله بعبده خيراً ؛ فتح له باب العمل ، وأغلق عنه باب الجدل ، وإذا أراد بعبده شراً أغلق عليه باب العمل ، وفتح له باب الجدل .

وقال الامام مالك : أدركت أهل هذه البلدة ؛ وإنهم ليكرهون هذا الاكثار الذي فيه الناس اليوم ، يريد المسائل ، وكان يكره الجواب في كثرة المسائل ويقول : قال الله تعالى : « ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي » (٣) فلم يأتيه

(١) سورة المائدة ، الآية : ١٠١

(٢) سورة الزخرف ، الآية : ٥٨

(٣) سورة الاسراء ، الآية : ٨٥

في ذلك بجواب ، وقال : المرء في العلم يقسي القلب ، ويورث الضغن . قال الحافظ ابن رجب : وهذا سبيل الامام أحمد ؛ قال : وقد ورد النهي عن كثرة المسائل ، وعن أغلوطات المسائل .

وفي « أعلام الموقعين » للامام ابن القيم ، ذكروا المسائل عند معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنها . فقال : أنظلمون أن رسول الله ﷺ نهى عن عضل المسائل ؟

وروى ابن أبي خيثمة عن سهل ابن سعد رضي الله عنه ؛ قال : لعن رسول الله ﷺ المسائل وعابها .

وسئل الامام مالك عن قول رسول الله ﷺ : أنها كم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ؛ فقال : أما كثرة السؤال ؛ فلا أدري ، أهو ما أنتم فيه فما أنها كم عنه من كثرة المسائل ؟ فقد كره رسول الله ﷺ المسائل وعابها ، وقال ﷺ : ذروني ما تركتكم ، فأما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم ، واختلافهم على أنبيائهم .

وقد قال ابن عبال رضي الله عنها ؛ ما رأيت قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ؛ حتى قبض ﷺ ، كلهم في القرآن : « يسألونك عن الهيبض » (١) « يسألونك عن الشهر الحرام » (٢) « يسألونك عن اليتامى » (٣) ما كانوا يسألونه إلا عما ينفعهم . قال أبو عمر بن عبد البر : ليس في الحديث من الثلاث عشرة مسألة إلا ثلاث . قال ابن القيم : مراد ابن عباس رضي الله عنها ، ما سألوه إلا عن ثلاث عشرة مسألة ، المسائل التي حكاها الله في القرآن عنهم ، وإلا فالمسائل التي سألوه عنها ، وبين لهم أحكامها بالسنة ، لاتكاد تحصى ، ولكن إنما كانوا يسألون عن الواقعات ، ولم يكونوا يسألونه عن المقدرات ، والأغلوطات ، وعضل

(٢) سورة البقرة ، الآية : ٢١٧

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٢

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٢٠

المسائل ، ولم يكونوا يشتغلون بتفريع المسائل ، وتوليدها ، بل كانت لهمهم مقصورة على تنفيذ ما أمرهم به ، فإذا وقع بهم أمر سألوا عنه فأجابهم .

قلت : والمذموم من كثرة المسائل إنما يراد السؤال عن الكلام الباطل ، والآراء المتهافة ، والخيالات المتناقضة التي هي زبالة الأذهان ، ونحاة الأفكار ، لا عن المسائل الشرعية بأدلتها المرضية . ويدل على هذا كلام أئمة الدين من المتقدمين والمتأخرين ، ولهذا قال الامام مالك لابن وهب وهو ينكر كثرة المسائل والجواب عنها : يا عبد الله ! ما علمته قتل به ، ودل عليه ، وما لم تعلم فاسكت ، وإياك أن تقلد الناس قلادة سوء .

وقد روى ابن عبد البر بسنده الى عبدالله بن الامام أحمد بن حنبل ، عن أبيه رضي الله عنه ، قال :

دين النبي محمد آثار	نعم المطيئة للفق الأخبار
لا تمخذه عن الحديث وأهله	فالرأي كليل والحديث نهار
ولا يجادل الفق طرف الهدى	والشمس طالعة لها أنوار

والله أعلم .

الرابع : فيما ذكرنا من الأحاديث ، وكذا نفس الحديث المشروح ؛ دليل على ذم التفكير في ذات الله تعالى . وقد ورد ذلك صريحاً ، فأخرج الطبراني في الأوسط ، وابن عدي في « الكامل » والبيهقي في « شعب الإيمان » من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله . ورواه أبو الشيخ أيضاً .

وروى أبو نعيم في « الحلية » من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله .

وروى أبو الشيخ في كتاب « المظنة » عن ابن عباس أيضاً رضي الله عنهما ،

مرفوعاً : تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله ، فإن بين السماء والسابعة الى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك .

وأخرج أبو الشيخ أيضاً ، عن أبي ذر رضي الله عنه ، مرفوعاً : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فتهلكوا .

وقد صح عن بعض السلف أنه قال : تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة . قلت : وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة ، ولا يصح رفعه ، فإن سنده واهٍ ، بل موضوع .

قال ابن القيم في كتابه « مفتاح دار السعادة » : سأل رجل أم الدرداء عن أبي الدرداء رضي الله عنها بمد موته ، عن عبادته ، فقالت : كان نهاره أجمع في بادية الفكر . وقال الحسن : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . قال الفضيل : التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك . وقيل لأبراهيم بن آدم : إنك تطيل الفكرة ، فقال : الفكرة مع العقل . وقال عمر بن عبد العزيز : الفكرة في نعم الله من أعظم العبادة . وقال بشر الحافي : لو فكر الناس في عظمة الله ماعصوه .

والحاصل أن التفكير باب التذكر ، والتذكر ثمرة التبصر ، فالتبصرة : العقل . والذكرى : التذكر ، والفكر باب ذلك ومدخله ؛ فإذا فكر تبصر ؛ وإذا تبصر تذكر ؛ فالتفكير والتذكر أصل الهدى والصلاح ، وهما قطبا السعادة . قال الحسن البصري : مازال أهل العلم يمددون بالتذكر على التفكير ؛ والتفكير على التذكر ، ويناطقون القلوب حتى نطقت ؛ فإذا لها أسماع وأبصار ، فالتفكير طلب القلب ما لم يكن يحصل من العلوم من أمر هو حاصل منها ، هذا حقيقته ، فإنه لو لم يكن سمٌّ مراد يكون مورد الفكر ؛ استحالة الفكر ، لأن الفكر بغير منطلق متفكر فيه محال ، وتلك المواد هي الأمور الحاصلة ، ولو كان المطلوب بها حاصلاً

عنده لم يتفكر فيه ، فالتفكر ينتقل من المقدمات والمبادئ التي عنده الى المطلوب الذي يريد ، فاذا ظفر به ، وتحصّل له ، تذكر به وأبصر مواقع الفعل والترك ، وما ينبغي إثارة ، وما ينبغي اجتنابه ، فالتذكر : هو مقصود التفكير وثمرته ، فاذا تذكر ، عاد بتذكره على تفكره فاستخرج به ما لم يكن حاصلًا عنده ، فهو لا يزال يكرر بتفكره على تذكره ، وبتذكره على تفكره مادام عاقلًا ، لأن العلم والارادة لا يقفان به على حد ، بل هو دائماً سائر بين العلم والارادة . قال تعالى : « والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (١) فاذا عرف معنى كون آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى يتبصر بها من عمى القلب ، ويتذكر بها من غفلتسه . وعلى كل حال ، أحسن ما اتفقت فيه الأنفاس : التفكير في آيات الله ، وعجائب صنمه ، والانتقال منها الى تعلق القلب والهمة به دون شيء من مخلوقاته ، وبه التوفيق .

الحديث السادس والاربعون

٩١ - ثنا محمد بن فضيل ، ثنا المختار بن فلفل ، عن

أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقد انصرف من الصلاة ، فأقبل إلينا ، فقال : يا أيها الناس ! إني إمامكم ، فلا تسبقوني بالكوع ، ولا بالسجود ، ولا بالقيام ، ولا بالقعود ، ولا بالانصراف ، فاني أراكم من

(١) سورة ق ، الآيتان : ٧ و ٨

أمامي ، ومن خلفي ، وإيمُ الذي نفسي بيده ، لو رأيتم ما رأيتمُ
 لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً . قالوا : يا رسول الله ! وما
 رأيتم ؟ قال : رأيتمُ الجنة والنار .

قال رضي الله عنه : (ثنا محمد بن فضيل) الضبي قال : (ثنا المختار بن فلفل)
 الخزومي (عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ، (قال : قال رسول الله ﷺ
 ذات يوم) قيل : لفظه ذات مقحمة ، وفائدتها دفع مجاز المشارفة ، وقيل : ذات
 الشيء : نفسه وحقيقته ، والمراد بها ما أضيف إليه ، أي قال ﷺ يوماً ، فإن
 العرب يستعملون ذات يوم ، وذات ليلة ، ويريدون حقيقة المضاف إليه بنفسه
 في اليوم والليلة ، قال في المطالع ، : وتكون ذي صلة دعماً للكلام ، كقولهم :
 ذات يوم ، وذات ليلة .

وفي البخاري ، في الحديث : ذات يوم ، وذات ليلة ، ويصلح ذات بينهم ،
 فذات الشيء ، نفسه وحقيقته ، أي الذي هو كذا ، إذا لم يشر إليه ، وقد
 استعمل المتكلمون الذات بالأنف واللام ، وغلطهم في ذلك أكثر النحاة ، لأنها
 من المبهات ، وأجاز بعض النحاة قولهم : الذات ، وأنها كناية عن المعنى ، وحقيقة
 الشيء ، وعن الخلق والصفات . انتهى ملخصاً . (وقد انصرف) ﷺ (من
 الصلاة) الواو في قوله : وقد انصرف ، واو الحال . (فأقبل البنا) ولفظ مسلم :
 فلما قضى الصلاة أقبل علينا بوجه الشريف (فقال : يا أيها) وسقطت يا من
 رواية مسلم (الناس ! إني إمامكم) بكسر الهمزة ، فإذا علمت إني إمامكم ، وأنتم
 مقتدون بي (فلا تسبقوني) لأن الامام إنما جُمِلَ إماماً ليقتدى به ويتبع ، ومن
 شأن التابع أن لا يسبق متبوعه ، ولا يتقدم عليه في موقفه ، بل يراقب أحواله ،
 ويأتي على أثره . ومقتضى ذلك أن لا يتألفه في شيء من الأحوال . قال العلماء :

متابعة الامام واجبة في الأفعال الظاهرة ، وقد نبّه النبي ﷺ عليها بقوله .
 (بالركوع) وما عطف عليه ، والجار والمجرور متعلق بلا تسبقوني .
 وفي « الصحيحين » ، وغيرهما : فإذا ركع - أي الامام - فاركعوا ؛ فمقتضاه
 أن ركوع المأموم يكون بعد ركوع الامام ، إما بعد تمام انحناؤه ، وإما بأن
 يسبقه الامام بأوله ، فيشرع فيه بعد أن يشرع الامام . وزاد أبو داود من
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه : ولا تركعوا حتى يركع ، ولا تسجدوا حتى
 يسجد . وهي زيادة حسنة ، تنفي احتمال إرادة المقارنة من مفهوم قوله ﷺ : فلا
 تسبقوني ، وكذا من قوله : إذا كبر فكبروا ، في الحديث الآخر . (ولا)
 تسبقوني (بالسجود) لأن الاتهام يقتضي متابعة المأموم لامامه ، فتنتفي المقارنة
 والمسابقة والمخالفة .

وفي « الصحيحين » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال :
 وإذا سجد - أي الامام - فاسجدوا .

وفيهما من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما : وإذا رفع - يعني النبي ﷺ -
 رأسه من الركوع فقال : سمع الله لمن حمده ، لم نزل قياما حتى نراه قد
 وضع وجهه في الأرض فنتبسه . وفي لفظ : لم يحن منا أحد ظهره حتى يقع
 النبي ﷺ .

وفي « مسند الامام أحمد » ، حتى يسجد فيسجدون . واستدل به الامام
 الحافظ ابن الجوزي على أن المأموم لا يشرع في الركن حتى يتمه الامام ، وتعب
 بأن ليس في الحديث إلا التأخر حتى يتلبس الامام بالركن الذي ينتقل اليه ،
 بحيث يشرع المأموم بعد شروعه بالتلبس به ، وقبل فراغه منه .
 ووقع في حديث عمرو بن حريث عند مسلم : فكان لا يحني أحد منا ظهره
 حتى يستتم ساجداً .

ولابي يعلى من حديث أنس حتى يتمكن النبي ﷺ من السجود . وهذا واضح في انتفاء المقارنة (ولا) تسبقوني (بالقيام) من السجود ، ولا بالقيام من التشهد الى الركعة (ولا) تسبقوني (بالقعود) بأن يرفع أحدكم رأسه من السجدة الثانية فيقعد قبل رفع رأسي ليتشهد .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام ؛ أن يحول الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل صورته صورة حمار . وفي لفظ آخر : وجه حمار . قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : وهذه الروايات متفقة في المعنى ، لأن الوجه في الرأس ، ومعظم الصورة فيه ، وهو يطلق على الوجه أيضاً ؛ لكن رواية الرأس أكثر ، وهو أشمل ، فهي المستندة .

وظاهر هذا وغيره من الأحاديث ، يقتضي تحريم الرفع قبل الامام ، لكونه توعد عليه بالمسخ ، وهو أشد العقوبات ، وبه جزم أئمة مذهبنا وغيرهم ، قال في « شرح المقنع » : من فعل ذلك عامداً أثم ، وبطلت صلاته في ظاهر كلام الامام أحمد ، فانه قال : ليس لمن سبق الامام صلاة ، لو كان له صلاة لرجي له الثواب ، ولم يخش عليه العقاب . وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، أنه نظر الى من سبق الامام فقال : لا وحدك صليت ، ولا بامامك اقتديت . نعم ، إن رفع رأسه قبل إمامه ساهياً أو جاهلاً لم تبطل صلاته ، لأنه سبق يسير ، وأقوله ﷺ : عفي لآثمى عن الخطأ والنسيان ، وعليه أن يرجع آياي به بمسده ، ليكون مؤتماً بامامه ، فإن لم يفعل عالماً عمداً بطلت صلاته ، لتركه الواجب عمداً ، خلافاً للقاضي أبي يعلى ، وهو قول جمهور العلماء ؛ أنه يأنم ولا تبطل ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنها تبطل ، وكذا قال أهل الظاهر ، بناء على أن النبي يقتضي الفساد .

تفسيه : حذف في « صحيح مسلم » لفظ : ولا بالقيود (ولا) تسبقوني
(بالانصراف) أي من الصلاة ، فيحرم ، وتبطل به الصلاة من غير عذر يبيح
للمأموم مفارقة إمامه ، يعني إن تعمد السلام قبل الامام ، وكره إن وافقه فيه ،
وهذا كله في « صحيح مسلم » .

وروى البخاري من حديث أنس رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال :
إنما جعل الامام ليؤتم به ، فلا تكبروا حتى يكبر ، ولا تركعوا حتى يركع ،
ولا ترفعوا حتى يرفع . وأشهر الحديث باعتبار وجوب المتابعة في الانصراف من
الصلاة ، وذلك بالسلام ، كما جاء في الحديث : تحريمها - أي الصلاة - التكبير ،
وتحليلها التسليم .

قال في « بدائع الفوائد » : تحريم الصلاة : الباب الذي يدخل منه إليها ،
وتحليلها : بابها الذي يخرج منها ، فالتكبير باب الدخول ، والتسليم باب الخروج ،
لحكمة باطنة يفهمها من عقل عن الله ، وألزم نفسه بتأمل محاسن هذا الدين العظيم ،
وسافر فكره في استخراج حكمه وأسراره وبدائمه ، وتفرغ عن عالم المادة
والإلف ، فلم يقنع بمجرد الأشباح حتى يعلم ما يقوم بها من الأرواح ، ثم ذكر
أن المصلي لما كان قد تخلى عن الشواغل ، وقطع جميع العلائق ، وتطهر ، وأخذ
زيفته ، وتهايا للدخول على الله تعالى ومناجاته ، شرع له أن يدخل عليه دخول
المبيد على الملوك ، فيدخل بالتعظيم والاحلال ، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا
المعنى . وهو قول : الله أكبر ، فإن في هذا اللفظ من التنظيم والتخصيص
والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ؛ ما لا يوجد في غيره ، وبهذا كان السواد
أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه ، ولا يؤدي معناه ، ولا تعتقد الصلاة إلا

كما هو مذهب أهل الحديث من أهل المدينة ، والحنابلة ، والشافعية ، فإن القلب
متى استشعر أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال ، استحيى منه أن يشغل قلبه

في الصلاة بغيره ، فلا يكون موفياً لمعنى الله أكبر ، ولا مؤدياً لحق هذا اللفظ : ولا أتى البيت من بابه . بل الباب عنه مسدود ، وقد أجمع السلف أن ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها ، وما أحسن ما قال الامام الحافظ ابن الجوزي في بعض مجالس وعظه : حضور القلب أول منزل من منازل الصلاة ، فإذا نزلته انتقلت الى بادية المعنى ، فإذا رحلت عنها أنحت يباب المناجاة ، فكان أول قرى ضيف اليقظة ، كشف الحجاب عن عين القلب ، فكيف يطمع في دخول سكة من لا يخرج (١) إلى البادية بعد تشعب قلبك في كل واد ، فربما تفجأك الصلاة وليس قلبك عندك ، فتبث الرسول وراءه فلا يصادفه ، فتدخل في الصلاة بغير قلب ، والمقصود : أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه : الله أكبر ، وقد امتلأ قلبه بغير الله ، فهو بلا قلبه في الصلاة . ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها ، فلو قضى حق الله أكبر ، وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات ، فهذا الباب الذي يدخل منه المصلي وهو التحريم .

وأما الباب الذي يخرج منه ، فهو باب السلام المتضمن أحد الأسماء الحسنى ، فيكون مفتتحاً لصلاته باسمه تبارك وتعالى ، وغتماً لها باسمه ، فيكون ذا كراً لاسم ربه أول الصلاة وآخرها ، فأولها باسمه ، وآخرها باسمه ، فدخل فيها باسمه ، وخرج منها باسمه ، مع ما في اسم السلام من الخاصة والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله ، فإن المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه ، فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفّره ، بل هو في حمى من جميع الآفات والشور ، فإذا انصرف من بين يديه تعالى ، ابتدرته الآفات والبلايا والهن ، وتعرضت له من كل جانب ، وجاءه الشيطان ، بمصائده وجنده ، فناسب أن ينصرف من بين يدي الله مصحوباً بالسلام ، فلم يزل عليه حافظ من الله الى وقت (١) في الاصل : لا يخرج ، ولعله تصحيف .

الصلاة الأخرى ، فكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ، ويدوم له ، ويبقى معه ، فتدبر هذا السر الذي من تدبره حق تدبره ، وأعطاه حقه من التحقيق والتدقيق ، رقص القلب له فرحاً وسروراً ، وانشرح له الصدر بهجة وجوراً .

وقد روى الامام أحمد وأصحاب السنن ، وصححه الترمذي من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ كان يسلم عن يمينه وعن يساره ، السلام عليكم ورحمة الله ، السلام عليكم ورحمة الله ، حتى يرى بياض خده . وروى الامام أحمد ، ومسلم ، نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . ورواه أيضاً النسائي ، وابن ماجه ، ولفظه : كنت أرى النبي ﷺ ، يسلم عن يمينه وعن يساره ، حتى يرى بياض خده .

وروى أبو داود ، وابن ماجه ، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه ، قال : أمرنا رسول الله ﷺ : أن نسلم على أيماننا ، وأن نسلم بعضنا على بعض . ولفظ أبي داود : أمرنا أن نرد على الامام ، وأن نتحاب ، وأن يسلم بعضنا على بعض . والله أعلم .

تنبيهان

الأول : لا بد في صلاة الفرض من تسليمين عند الامام أحمد على معتد مذهبه ، ويخرج من صلاة النفل بتسليمة واحدة ، فالثانية في النفل سنة ، وهي في صلاة الجنائز مباحة .

وعند مالك ، والشافعي ، يخرج من الصلاة مطلقاً بتسليمة واحدة . وعند أبي حنيفة لا يعتبر التسليم ، فيخرج من الصلاة مطلقاً ولو بفعل نفسه بعد إتمام التشهد المعتبر عنده ، والله أعلم .

الثاني : يجب على المأموم متابعة الامام ، فلو كبر للإحرام معه لم تنفقد الصلاة ، وفاقاً لما لك ، والشافعي ، خلافاً لأبي حنيفة ، فمنده الأفضل تكبيره معه ، لأنه شريكه في الصلاة ، قال : وحقيقة المشاركة في المقارنة ، وعند أبي حنيفة : لو سلم قبل إمامه بلا عذر عمداً لم تبطل صلاته ، وقال الحنفية : معنى الاتهام الامتثال ، فمن فعل مثل ما فعل إمامه ، عدّ ممتثلاً . والله أعلم . (فاني) فيه إشارة الى سبب النهي عن المسابقة ، كأنه قال : إنما قلت لكم الذي قلته ، لأنني تحققت منكم المسابقة ، وذلك لأنني (أراكم من أمامي) بفتح الهمزة : نقيض الراء (ومن خلني) نقيض قدامي ، وفي لفظ في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : أقيموا الركوع والسجود ، فوالله إني لأراكم من بعدي ، وربما قال : من بعد ظهري ، إذا ركعتم وسجدتم . وفي بعض طرق البخاري ، عن أنس ، أنه ﷺ قال : إني لأراكم من ورائي ، كما أراكم يعني من أمامي .

وفي « الصحيحين » أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أنه ﷺ قال : إني والله لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي .

وقد اختلف العلماء في معنى ذلك ، ف قيل : المراد بذلك : العلم ، وفي هذا نظر ، لأن العلم لو كان مراداً لم يقيد بقوله : من وراء ظهري . وقيل : يرى عن يمينه ، ومن عن يساره ، ممن تدركه عينه مع التفات يسير في النادر ، ويوصف من هو هناك بأنه وراء ظهره ، وهذا ظاهر التكلف ، وفيه عدول عن الظاهر بلا موجب ؛ بل المختار حمله على ظاهره ، وأن هذا الإِبصار إدراك حقيقي خاص به ﷺ ، انخرقت له فيه المادة ، وعلى هذا يدل صنيع البخاري ، فإنه أخرج هذا الحديث في علامات النبوة ، وهو المنقول عن الامام أحمد وغيره ، ثم ذلك الإدراك يجوز أن يكون برؤية عينيه ، انخرقت له المادة فيه

أيضاً ، فكان يرى بها من غير مقابلة ، لأن الحق عند أهل السنة أن الرؤية لا يشترط لها - عقلاً - عضو مخصوص ، ولا مقابلة ، ولا قرب ، وإنما تلك أمور عادية ، ويجوز حصول الإدراك مع عدمها عقلاً ، ولذلك حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة ، خلافاً لأهل البدع ، لوقوفهم مع المادة ، وقيل : كانت له عين خلف ظهره يرى بها من وراءه دائماً ، وقيل : كان بين كتفيه عینان كسم الخياط يبصر بها لا يحجبها ثوب ولا غيره ، وقيل : بل كانت صورم تنطبع في حائط قبلته كما تنطبع في المرآة ، فيرى أمثلتهم فيها ، فيشاهد فطهم . والخيار كما في « الفتح » : أن المراد بالرؤية : الإبصار . قال : وظاهر الحديث أن ذلك يختص بحالة الصلاة ، ويحتمل أن يكون ذلك واقعاً في جميع أحواله ، وقد نقل ذلك عن مجاهد . وحكى بقي ، عن غلدة ، أنه ﷺ كان يبصر في الظلمة ، كما يبصر في الضوء . انتهى . قال القرطبي في « شرح مسلم » : حملها على ظاهرها أولى ، لأن فيه زيادة في كرامة النبي ﷺ . قال الزين ابن المنير : لا حاجة إلى تأويلها ، لأنه في معنى تمطيل لفظ الشارع من غير ضرورة . قال الحافظ ابن حجر في « فتح الباري » : الخيار حملها على الحقيقة ، خلافاً لمن زعم أن المراد بها خلق علم ضروري له بذلك ، أو نحو ذلك ، قال : وأغرب الداودي فحمل قوله ﷺ : فوالله إني لأراكم من بعدي على ما بعد الوفاة ، يعني أن أعمال الأمة تعرض عليه ، قال الحافظ : وكأنه لم يتأمل سياق حديث أبي هريرة ، حيث يثنى فيه سبب هذه المقالة ، ولا شك أن حديث أنس ، وحديث أبي هريرة ، يدلان على أن القضية واحدة .

وعند الامام أحمد : صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ، وفي مؤخر الصفوف رجل ، فأساء الصلاة . وعنده أيضاً من حديث أبي سعيد رضي الله عنه ، أن بعض الصحابة تمعد المسابقة ، لينظر هل يعلم به رسول الله ﷺ أو لا ، فلما

قضى الصلاة نهاء عن ذلك . واختلاف هذه الأسباب يُحمل على أن جميع ذلك صدر من جماعة في صلاة واحدة ، أو في صلوات ، والله أعلم .

ثم قال ﷺ : (وأيم الذي نفسي بيده) ، لفظة وأيم بألف الوصل ، من ألفاظ القسم . قال في «القاموس» : واليمين : القسم مؤنثة ، ومن ألفاظه : أبئمن ، وأيمان ، وأيمئن الله ، وأيم الله ، ويكسر أولهما ، وأيمئن الله ، بفتح الميم والمهمزة وتكسر ، وإيم : بكسر المهمزة والميم ، وقيل : ألفه ألف وصل ، وهيم الله ، بفتح الهاء وضم الميم ، وأم الله مثلثة الميم ، وإم الله بكسر المهمزة وضم الميم وفتحها ، ومُن الله بضم الميم وكسر النون ، ومُن الله مثلثة الميم والنون ، وفيها لغات أخر كلها ألفاظ قسم . والذي نفسه بيده هو الله جل شأنه ، وتعالى سلطانه . وأنى بالقسم ﷺ لمزيد التأكيد ، وإن لم يكن عند السامع فيه شك ، فدل على جواز الحلف ، ولا سيما على الأمر المهم توكيده .

قال الامام ابن القيم في كتابه « أعلام الموقعين » : يجوز للفق والمناظر أن يحلف على ثبوت الحكم عنده ، وإن لم يكن حلفه موجباً لثبوته عند السائل والمنازع ، ايشمر السائل والمنازع له أنه على ثقة ويقين بما قال ، وأنه غير شاك فيه ، فقد تناظر رجلان في مسألة ، فحلف أحدهما على ما يعتقد ، فقال له منازعه : لا يثبت الحكم بحلفك ، فقال : إني لم أحلف لأثبت الحكم عندك ، ولكن لأعلمك أنني على يقين وبصيرة من قولي ، وأن شبهتك لا تغير عندي في وجه يقيني بما أنا جازم به . قال : وقد أمر الله نبيه ﷺ أن يحلف على ثبوت الحق الذي جاء به في ثلاث مواضع من كتابه : أحدها قوله : « ويستنبؤونك أحق هو قل أي وربى إنه الحق » (١) ، الثاني قوله تعالى : « وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم » (٢) ، الثالث قوله : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن » (٣) .

(٢) سورة سبا ، الآية : ٣

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٣

(٣) سورة التباين ، الآية : ٧

وقد أقسم النبي ﷺ على ما أخبر به من الحق في أكثر من ثمانين موضعاً ، وهي موجودة في «الصحيح» و«السنن» و«المسانيد» ، وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحلفون على الفتاوى والرواية ، وقد حلف الامام أحمد رضي الله عنه على عدة مسائل من فتاويه^(١) ، وكذا الشافعي وغيرهما من أئمة الدين رضي الله عنهم أجمعين . وقد قال تعالى : « فرب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون »^(٢) ، وقال تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكيوك فيما شجر بينهم »^(٣) الآية ، وقد قال تعالى : « فربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون »^(٤) ، وكذلك أقسم بكلامه ، كقوله : « يسن القرآن الحكيم »^(٥) ، « ق والقرآن المجيد »^(٦) « ص والقرآن ذي الذكر »^(٧) ، وأما أقسامه تعالى بمخلوقاته التي هي آيات دالة عليه تعالى فكثيرة جداً ، وأقسم جل شأنه بحياة نبيه المصطفى ﷺ في قوله : « لعمرك إنهم لاني سكرتهم يعمهون »^(٨) وهذه مزية وتكرمة لنبينا ﷺ عظيمة ، ومنقبة جسيمة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . (لو رأيتم ما رأيتم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً) هذا جواب القسم الذي أقسم به ﷺ ، وهو قوله : وايم الذي نفسي بيده .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط ، فقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، فغضى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ، لهم خنين ، أي

(١) وقد قفنا بتحقيقها والتطبيق عليها برسالة خاصة باسم : « المسائل التي حلف عليها الامام

أحمد » وهي الآن تحت الطبع . (٢) سورة الذاريات ، الآية : ٢٣

(٣) سورة النساء ، الآية : ٦٤ (٤) سورة الحجر ، الايتان : ٩٢-٩٣

(٥) سورة يس ، الآية ١ (٦) سورة ق ، الآية ١

(٧) سورة س ، الآية ١ (٨) سورة الحجر ، الآية ٧٢

بفتح الخاء المعجمة ، بعدها نونان ، بينها ياء تحتية ، وهو البكاء مع غنة بالتشاق
الصوت من الأنف .

وروى الحاكم وصححه من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي
ﷺ ، أنه قال : لو تعلمون ما أعلم ، لبكيتم كثيراً ، واضحكتم قليلاً ، ولخرجتم
الى الصمدات تجأرون الى الله ، لاندرون تنجون أو لاتنجون . قوله : تجأرون ،
بفتح المثناة فوق ، وسكون الجيم ، بعدها همزة مفتوحة ؛ أي تضجون
وتستغيثون .

وروى نحوه البخاري ، والترمذي ، من حديث أبي ذر رضي الله عنه ،
وفيه : والله لو تعلمون ما أعلم ، لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً ، وما تلذذتم
بالنساء على الفرش ، ولخرجتم الى الصمدات تجأرون الى الله ، والله لوددت أني
شجرة تعضد . قوله : الصمدات ، هو بضم الصاد والعين المهملتين : الطرقات .
(قالوا) أي أصحابه ﷺ ، ورضي عنهم : (يا رسول الله ! وما رأيت ؟) استفهموا
عما هو " وخوف برؤيته (قال) ﷺ : (رأيت الجنة والنار) ، وفي رواية في
« الصحيحين » وغيرهما : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء ، فخطب فقال :
« عرضت عليّ الجنة والنار ، فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم ،
لضحكتم قليلاً ، ولبكيتم كثيراً فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد
منه ، غطوا رؤوسهم ولهم خنين .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال ﷺ : لقد
رأيت الآن منذ سليت لكم الجنة والنار عمثلين في قبلة هذا الجدار ، فلم أر كاليوم
في الخير والشر ، أي رأيتها مصورتين في جهة هذا المسجد المقابل لوجهه في
الصلاة ساعثن .

وروى البيهقي من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال :
يا مشر المسلمين ! اربغوا فيما رغبتكم الله فيه ، واحذروا ما حذركم الله منه .

وخافوا مما خوفكم الله به من عذابه وعقابه وجهنم ، فانها لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها حلتها لكم ، ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم .

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً : ما رأيت مثل النار نام هاربها ، ولا مثل الجنة نام طالبها ، وأخرجه البيهقي وغيره .

وروى البزار من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، مرفوعاً ، أن رسول الله ﷺ مر بقوم وهم يضحكون ، فقال : تضحكون وذكر الجنة والنار بين أظهركم ، قال : فما رئي أحد منهم ضاحكاً حتى مات . قال : ونزلت : « نبيء عبادي أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابي هو المذاب الآليم » (١)

وأخرج أبو يعلى من حديث ابن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ ، أنه خطب فقال : لا تنسوا العظيمين : الجنة والنار ، ثم بكى حتى جرى أو بل دموعه جانبي لحينه ، ثم قال : والذي نفس محمد بيده ، لو تعلمون ما أعلم من أمر الآخرة ، لمشتيم إلى الصيد ، ولحيتيم على رؤوسكم التراب .

وأخرج الامام أحمد من حديث أنس رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ أنه قال لجبريل : مالي لا أرى ميكائيل ضاحكاً ؟ قال : ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار .

وأخرج مسلم والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : يؤتى بالنار يوم القيامة لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها . وفي الحديث إشارة إلى فضيلة البكاء من خشية الله ، وخوف عقابه .

(١) سورة الجعر ، الآية : ٤٩

وفي «الصحيحين» ، وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : الامام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق بالمسجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه^(١) . وأخرج الحاكم وصححه من حديث أنس رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : من ذكر الله ففاضت عيناه من خشية الله ، حتى يصيب الأرض من دموعه لم يمدب يوم القيامة .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، عن أبي ربحانة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : حرمت النار على عين دمت أو بكت من خشية الله ، وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله . وأخرج الترمذي وحسنه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : عينان لا تسمهما النار : عين بكت من خشية الله ، وعين باتت تحرس في سبيل الله .

وروى الاصبهاني من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : كل عين باكية يوم القيامة ، إلا عين غضت عن محارم الله ، وعين سهرت في سبيل الله ، وعين خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله عز وجل .

وروى الترمذي وحسنه ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين ، وأثرين : قطرة دموع من خشية الله ، وقطرة دم يهراق في سبيل الله . وأما الاثران : فأثر في سبيل الله ، وأثر في فريضة من فرائض الله .

(١) كذا في الاصل ، سقطت السابعة ، وهي قوله صلى الله عليه وسلم : «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تلم شماله ما تلتق يمينه» .

وأخرج أبو داود واللفظ له ، والنسائي ، وابن خزيمة ، وابن حبان في « صحيحهما » عن مطرف ، عن أبيه ، قال : رأيت رسول الله ﷺ يصلي ولصدره أزيز كأزيز الرحى من البكاء وقال بعضهم : ولجوفه أزيز كأزيز المرجل ، أي لصدره صوت كصوت الرحى . يقال : أزت الرحى : إذا صوتت ، والمرجل في اللفظ الآخر : القدر ، ومعناه أن لجوفه خنيئاً كصوت غليان القدر إذا اشتد .

وروى الترمذي وحسنه ، وابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، من حديث عقبة ابن عامر رضي الله عنه ، قال : قلت يا رسول الله ! ما النجاة ؟ قال : أمسك عليك لسانك ، وليسمك يمينك ، وأبك على خطيئتك .

وروى نحوه الطبراني في « الصغير » ، و « الأوسط » ، من حديث ثوبان رضي الله عنه ، وأفظه : قال رسول الله ﷺ : طوبى لمن ملك لسانه ، ووسمه يمينه ، وبكى على خطيئته . وإسناده حسن .

وروى الحاكم وصححه ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : لما أنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » (١) تلاها رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه ، فخرق فتى مغشياً عليه ، فوضع النبي ﷺ يده على فؤاده فإذا هو يتحرك ، فقال رسول الله ﷺ : يا فتى : قل لا إله إلا الله ، فقالها ، فبشره بالجنة ، فقال أصحابه : يا رسول الله ! أمن بيننا ، فقال : أو ما سمعتم قوله تعالى : « ذلك أن خاف مقامي وخاف وعيد » (٢) والأخبار والأحاديث والآثار في ذلك كثيرة ، وفيها أثرنا إليه كفاية ، والله أعلم .

(١) سورة التحريم ، الآية : ٦

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ١٤

الحديث السابع والأربعون

٩٢ - ثنا محمد بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس : أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة في حُجْرته ، فجاءه أناس فصلوا بصلاته ، فنخف ، فدخل البيت ثم خرج فماد مراراً ، كل ذلك يصلي ، فلما أصبح قالوا : يا رسول الله ! صليت ، ونحن نحب أن أن تمدّ في صلاتك . قال : قد علمت بمكانكم ، وعمداً فملت ذلك .

قال رضي الله عنه (ثنا محمد) بن إبراهيم (ابن عدي) البصري السلمي ، الامام الحافظ ابو عمرو ، ويقال له : القسمي ، لنزوله في القسامة .
روى عن شعبة ، وابن عون ، وحميد الطويل ، وداود بن أبي هند ، وخاله الحذاء ، وعدة . وروى عنه الامام أحمد ، ويحيى ، وقتيبة ، وابنا أبي شيبة ، والفلاس ، وبندار ، ومحمد بن المثنى . وثقه أبو حاتم الرازي وغيره .
وأخرج له مسلم ، مات بالبصرة سنة أربع وتسعين ومائة (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ كان يصلي ذات ليلة) تقدم الكلام على لفظة ذات في صدر الحديث الذي قبل هذا (في حُجْرته) والجمع حجر ، بضم الحاء المهملة ، وهي البيوت ، وكل موضع سجر عليه بحجار فهو حجرة ، والحجار : الحائط ، والظاهر أنها حجرة عائشة رضي الله عنها ، لا في مسند الامام أحمد ، من حديثها قالت : كان الناس يصلون في المسجد في

رمضان أوزاعاً ، أي فرقا ، يكون مع الرجل الشيء من القرآن فيكون معه
 النفر الخمسة أو السبعة ، أو أقل من ذلك أو أكثر ، يصلون بصلاته ،
 قالت : فأمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصب له حصيراً على باب
 حجرتي ، ففعلت ، فخرج اليه بعد أن صلى عشاء الآخرة ... الحديث (ج ١٠)
 بالمد (أناس فصلوا بصلاته) ولفظ حديث عائشة : فاجتمع اليه من في المسجد
 فصلى بهم . وفي « المسند » و « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً ،
 أن النبي ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس (فخفف) ﷺ الصلاة
 وأتمها (فدخل البيت) فهذا يدل على أن صلاته كانت على باب الحجرة ؛ حيث
 نصبت له الحصير (ثم خرج) ﷺ (فماد) إلى دخول البيت بعد انصرافه من
 الصلاة ، فعل ذلك (مراراً ، كل ذلك) من خروجه من بيته (يصلي) فيصلي
 بصلاته أناس ، فيخفف فيدخل البيت (فلما أصبح قالوا : يا رسول الله ! صليت)
 بنا (ونحن نحب أن تمد في صلاتك) وتطيلها ، لنصلي بصلاتك ، ونستمع لقراءتك ،
 فلم تطل الصلاة ، وبادرت لدخول بيتك (قال) ﷺ : (قد علمت بمكانكم)
 وانتظاركم خروجي لأصلي بكم (وعمداً) أي وتعمدت التخفيف ، والمبادرة
 لدخول البيت ، وعدم خروجي إليكم ، عمداً (فطلت ذلك) والذي في « المسند »
 و « الصحيحين » أنه ﷺ صلى في المسجد ، فصلى بصلاته ناس ، ثم صلى الثانية
 ففكر الناس ، ثم اجتمعوا من الليلة الثالثة والرابعة ، فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ
 فلما أصبح قال : رأيت الذي صنتم ؛ فلم يمنني من الخروج اليكم ، إلا أنني
 خشيت أن تفرض عليكم . قالت : وذلك في رمضان . وفي رواية . قالت : كان
 الناس يصلون في المسجد ؛ في رمضان أوزاعاً ... الحديث ، وفيه : فاجتمع اليه من في
 المسجد فصلى بهم ، وذكرت القصة ؛ بمعنى ما تقدم ، غير أن فيها ؛ أنه لم يخرج
 إليهم في الليلة الثانية . رواه الامام أحمد .

وفي « الصحيحين » من حديث عائشة رضي الله عنها أيضاً : أن رسول الله ﷺ خرج من جوف الليل ؛ فصلى في المسجد ، فصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس يتحدثون بذلك ، فاجتمع أكثر منهم ، فخرج رسول الله ﷺ في الليلة الثانية ؛ فصلوا بصلاته ، فأصبح الناس يذكرون ذلك . فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة ؛ عجز المسجد عن أهله ، فلم يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، فطلق رجال منهم يقولون : الصلاة ، فلا يخرج اليهم رسول الله ﷺ ، حتى خرج لصلاة الفجر ، فلما قضى الفجر ؛ أقبل على الناس ، ثم تشهد . فقال : أما بعد ، فإنه لم يخف علي شأنكم الليلة ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل ؛ فتمجزوا عنها . زاد البخاري ، في بعض طرق هذا الحديث ، قالت عائشة : فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك .

وخرج البخاري أيضاً ؛ عن عبد الرحمن بن عبد القساري : أنه قال : خرجت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلة من رمضان إلى المسجد ، فإذا الناس أوزاع متفرقون ، يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل ؛ فيصل بصلاته الرهط ، فقال عمر رضي الله عنه : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل ، ثم عزم . فجمعهم على أبي بن كعب رضي الله عنه . قال : ثم خرجت معه ليلة أخرى ، والناس يصلون بصلاة قارئهم ، فقال عمر : نعمت البدعة هذه ، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون ، يريد بذلك آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله .

وأخرج مالك في « الموطأ » عن يزيد بن رومان ، قال : كان الناس في زمن عمر رضي الله عنه ، يقومون في رمضان ثلاث وعشرين ركعة .

تنبيهات

الاول : لم أر حديث أنس هذا في « الصحيحين » مع أن سنده على شرط مسلم ، إن لم يكن على شرطها ، فقد أخرج مسلم لأبن أبي عدي في « صحيحه » وأخرجا جميعاً لحمد ، فالسند صحيح ، والحديث صحيح ، وقد نهينا فيما ذكرنا من حديث عائشة ما يشهد لثبوته ، وإن كان في بعض ألفاظها تقارير يسير .

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : أن النبي ﷺ لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين ، وخمس وعشرين ، وسبع وعشرين ، ذكر أنه دعا أهله ونساءه ؛ ليلة سبع وعشرين خاصة ، وهذا يدل على تأكيد القيام في أوتار العشر الأخير من رمضان ، لأن ذلك أرجى لقيام ليلة القدر ، وأرجى ذلك ليلة سبع وعشرين .

الثاني : دل الحديث مع ما ذكرنا من الأحاديث على أصل مشروعية صلاة التراويح واستحبابها ، فهي سنة على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وقيل : فرض كفاية ، وهي عشرون ركعة عند الثلاثة ، وعند مالك ست وثلاثون ركعة . قال الامام ابن تيمية قدس الله روحه : له أن يصلها بزيادة وتقصان ؛ من ست وثلاثين إلى إحدى عشرة ، كما نص عليه الامام أحمد ، لعدم التوقيت ، فيكون تكثير الركعات وتقليلها ؛ بحسب طول القيام وقصره ، ويسن فعلها جماعة مع الوتر ؛ نص على ذلك الامام أحمد رضي الله عنه ، خلافاً للامام مالك . وعن أبي حنيفة رضي الله عنه : التراويح سنة ؛ لا يجوز تركها . وفي « جوامع الفقه » للحنفية : الجماعة فيها واجبة ، لكن الأشهر عندهم ؛ أنها سنة كسائر المذاهب ، ووقتها بعد سنة العشاء . وعن الامام أحمد رواية ؛ أو بعد العشاء ، جزم به في « الممعة » لاقبلها على الصحيح من المذاهب الأربعة ، الى الفجر الثاني ، لكن

فعلها أول الليل ؛ أفضل على الصحيح من المذاهب ، وجوزها جماعة قبل العشاء ، وأفتى به بعض متأخري علمائنا ؛ ممن كان في عصر الحافظ ابن الجوزي . قال شيخ الاسلام ابن تيمية : من صلاها قبل العشاء ؛ فقد سلك سبيل المبتدعة المخالفة للسنة . وفعلها في المسجد ، أفضل . كما جزم به في « المستوعب » وغيره من علمائنا ، وفاقاً لأبي حنيفة ، والشافعي . وقيل : في البيت أفضل وفاقاً لمالك . ويسن أن يستريح بعد كل أربع ركعات على الصحيح من المذاهب الأربعة ، وبه سميت صلاة التراويح ، وقيل : لا بأس بتركه ، وقيل : بل يدعو بعد كل أربع ركعات . كما يدعو في آخر الصلاة ، وكرهه الامام ابن عقيل من علمائنا . والله أعلم .

الثالث : لا يشكل على كون صلاة التراويح سنة ، بما تقدم من قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ نعمت البدعة ، لأن إطلاقه عليها بدعة بالنظر الى أنها لم تفعل قبل ذلك على تلك الهيئة ، وإن فعلها النبي ﷺ ، حيث صلى بأصحابه ثلاث ليال كما تقدم ، لكن على غير تلك الهيئة الاجتماعية ؛ بالقصد على إمام واحد ، أقامه الامام ، وهذه سنة عمرية ، وأصلها سنة نبوية ، وقد دلت الشريعة على أن لعمر سنة متبعة كسائر الخلفاء الراشدين من أبي بكر وعثمان وعليّ رضوان الله عليهم أجمعين ، وورد : إن الحق ينطق على لسان عمر وقلبه ، وقد أخرج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، وقاتل هو والصدّيق أهل الردّة ، وجمع الصدّيق المصحف الشريف ، وقاتل عليّ الخوارج ، وكما زاد في حد المسكر عمر رضي الله عنه وعنهم أجمعين .

وفي الحديث : اقتدوا بالثلاثين من بعدي : أبي بكر وعمر .

وفيه : عليكم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، وبالله التوفيق .

الحديث الثامن والاربعون

٩٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، ولهم يومان يلعبون فيها في الجاهلية ، فقال : إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منها ، يوم الفطر ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل عن أنس (بن مالك رضي الله عنه) قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة (المنورة مهاجراً من مكة إليها ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول ، سنة ثلاث عشرة من النبوة ، فخرج من مكة يوم الاثنين ، ودخل المدينة يوم الاثنين . قال الحاكم : توارت الأخبار أن خروجه ﷺ من مكة كان يوم الاثنين ، ودخول المدينة كان يوم الاثنين ؛ إلا أن محمد بن موسى الخوارزمي قال : إن خروجه من مكة كان يوم الخميس . وجمع الحافظ ابن حجر بينهما ، بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس ، وخروجه من التار كان ليلة الاثنين ، لأنه أقام فيه ثلاث ليالٍ (ولهم) أي لأهل المدينة من الأوس والخزرج (يومان يلعبون فيها في) زمن (الجاهلية) أي قبل إسلامهم ، واهتداهم بالنبي ﷺ ، واليومان اللذان كانوا يلعبون فيها : يوم النيروز ، أول يوم من السنة ، معرب نوروز . وقد روي أنه قدّم الى علي رضي الله عنه شيء من الحلوى ، فسأل عنه ، فقالوا : للنيروز . فقال : فيروزنا كل يوم . وكذا يوم المهرجان ، فانه لما جيء لعلي رضي الله عنه فيه بحلوى . قال أيضاً : مهرجانا كل يوم .

قال أصحاب الأوائل : أول من اتخذ النورور حمشيد الملك ، وفي زمانه
 بعث هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، إلى عاد وثمود ، ثم صالح عليها
 السلام ، وكان الدين قد تغير ، ولما ملك حمشيد جد الدين ، وأظهر العدل ،
 فسمي اليوم الذي جلس فيه على سرير الملك نيروزاً ، فلما بلغ من عمره إلى سبعمائة
 سنة ، ولم يمرض ، ولم يوجه رأسه ؛ تجبر وطني ، فاتخذ شكلاً على صورته
 وأرسلها إلى الممالك أعظموها ، فتمبدها العوام ، واتخذوا على مثالها الأصنام ،
 فجهجم عليه الضحاك الملواني من المماقة باليمن ، فقتله كما في التواريخ .

وأما المهرجان : فأول من اتخذهُ أفريدون لما ظهر على الضحاك الملواني
 المذكور آنفاً ، فإن الضحاك كان أرسله ابتداءً لقتال حمشيد ، وكان الضحاك
 ساحراً مريداً ، وعفريتاً عنيداً ، فلما ألف سنة على ما زعم علي دده في
 « أوائله » وكان ظالماً يتغذى بمضرة الناس ، كثير الحيل ، صاحب مكر وخداع ،
 ولم يسمع بمثله في السحر ، فسمي اليوم الذي ظهر فيه أفريدون وغلب على
 الضحاك والمهرجان . والمهر : الوفاء ، وجان : السلطان ، ممناه : سلطان الوفاء .
 فأقام أفريدون العدل ، وأظهر الدين الآدمي ، وقيل : بل كان على صلة إبراهيم
 عليه السلام ، فانه أدرك عهده ، وملك خمسمائة سنة . كما ذكره الغزالي والبيضاوي
 وغيرهما . وقيل : إن أول من اتخذ النيروز ازدشير ، ويمكن الجمع . والله أعلم
 (فقال) النبي ﷺ لأهل المدينة : دعوها ، لا تظهروها ، لأنهما من أعياد
 الكفار (إن الله عز وجل) (قد أبدلكم) معشر المسلمين (بهما) أي اليومين
 اللذين تلمبون فيهما ، وتظهرون تمظيها يومين (خيراً منهما) هما ؛ (يوم الفطر ،
 ويوم النحر) زاد في رواية : أما يوم الفطر ؛ فصلاة وصدقة ، وأما يوم
 الأضحى ؛ فصلاة ونسك . يريد عيد الفطر وعيد الأضحى .

والعيد : هو موسم الفرح والسرور ، ويسمى العيد عيداً ؛ لأنه يومود

ويتكرر لأوقاته ، وقيل : لعوده بالفرح على الناس ، وقيل : سمي عيداً تفاؤلاً ليعود ثانية . قال الجوهرى : إنما جمع بالياء ، يعني أنه يجمع على أعياد مع أن أصله الواو ؛ للزوم الياء في الواحد ، وقيل : للفرق بينه وبين أعواد الخشب . وأفراح المؤمنين وسرورهم ؛ إنما هو بمولاهم إذا فازوا بأكمال طاعته ، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته ، كما قال تعالى : « قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » ^(١) قال بعض العارفين : ما فرح أحدٌ بغير الله ؛ إلا بفلقته عن الله ، فالتافسل يفرح بلهوه وهواه ، والمائل يفرح بسيدته ومولاه ، فأبدل الله تعالى لهذه الأمة يومي اللب واللغو ، ويومي الذكر والشكر والمغفرة والعفو ، ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد : منها ؛ عيد يتكرر كل أسبوع ، وعيدان يأتيان كل عام مرة مرة .

فأما العيد الذي يتكرر كل أسبوع ؛ فيوم الجمعة ، فهو عيد الأسبوع ، وهو مترتب على إكمال الصلوات المكتوبات ، فإن الله تعالى فرض على عباده في كل يوم وليلة ؛ خمس صلوات ، وآيام الدنيا تدور على سبعة أيام ، فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا ، واستكمل المسلمون صلواتهم فيه ، شرع لهم في يوم استكمالهم . وهو اليوم الذي كمل فيه الخلق ، وفيه خلق آدم ، وأدخل الجنة وأخرج منها ، وفيه ينتهي أمر الدنيا فترزول ، وتقوم الساعة ، وفيه الاجتماع على سماع الذكر والموعظة ، وصلاة الجمعة ، فجعله تعالى لهم عيداً ، ولهذا نهى عن إفراذه بالصوم . وفي شهود الجمعة شبه من الحج ، وقد روي أنه حج المساكين .

وأما العيدان اللذان لا يتكرران ، وإنما يأتي كل واحد منهما في العام مرة .

(١) سورة يونس ، الآية : ٥٨

فأحدهما : عيد الفطر من صوم ، وهو مرتب على إكمال صوم رمضان ، وهو ثالث أركان الاسلام ومبانيه ، فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم ، استوجبوا من الله العتق والمغفرة ، فإن صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وآخره عتق من النار لمن استحقها بذنوبه . فتمسرع الله لهم عقب إكمالهم لصيامهم عيداً يجتمعون فيه على شكر الله ، وذكره وتكبيره على ما هدام ، وشرع لهم في ذلك العيد من الصلاة والصدقة ، وهو يوم الجوائز ، يستوفي فيه الصائمون أجر صيامهم ، ويرجعون من عيدهم بالمغفرة .

والثاني : عيد النحر ، وهو أكبر العيدين وأفضلهما ، وهو مرتب على إكمال الحج ، وهو رابع أركان الاسلام ومبانيه ، فاذا أكمل المسلمون حجهم غفر لهم ، وإنما يكمل بيوم عرفة ، والوقوف فيه برفة ، أعظم أركان الحج ، ولهذا قال ﷺ : الحج عرفة . ويوم عرفة هو يوم العتق من النار ، يعق الله من النار ؛ من وقف برفة ، ومن لم يقف بها من أهل الأمصار من المسلمين ، فلذلك صار العيد اليوم الذي يليه لجميع المسلمين في جميع أمصارهم ، من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده ، لا شترأ كهـم في العتق والمغفرة يوم عرفة . وشرع سبحانه للجميع التقرب اليه بالنسك ، وهو إراقة دماء القرابين ، فأهل الموسم يرمون الجرة ، ويشرعون في التحليل من إحرامهم بعد نحر نسائهم ، ويقضون نفثهم ، ويوفون نذورهم ، ثم يطوفون بالبيت الشيق . وأهل الأمصار والقرى يجتمعون على ذكر الله تعالى ، وتكبيره ، والصلاة له ، قال محنف بن مسلم وهو معدود من الصحابة رضي الله عنهم : الخروج يوم الفطر يعدل عمرة ، والخروج يوم الاضحى يعدل حجة . فأعياد المسلمين في الدنيا كلها عند إكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب ، وحيازتهم لما وعدهم من الأجر والثواب . وأما أعيادهم في الجنة فهي أيام زيارتهم لربهم عز وجل ، فانهم يزورنه كل جمعة ، ويسمى يوم المزيد .

وهذا للرجال ، دون النساء ، ويروونه في مثل يوم العيد ، فيشاركهم النساء في ذلك ، فهذا لموم أهل الجنة ، فأما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم فيه مرتين بكرة وعشبتاً ، وبالله التوفيق .

الحديث التاسع والاربعون

٩٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :
دخل النبي ﷺ حائطاً من حيطان المدينة لبني النجار ، فسمع صوتاً من قبر ، فسأل عنه ، متى دفنَ هذا ؟ قالوا : يارسول الله ! دفن هذا في الجاهلية ، فأعجبه ذلك ، وقال : لولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يسممكم عذاب القبر .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي) ، عن حميد (الطويل) (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : دخل النبي ﷺ حائطاً) أي بستاناً ، وأصل الحائط الجدار ، والجمع حيطان وحياط (من حيطان) كان القياس أن يقال : حوطان ، لأنه واوي ، والجمع يرد الأشياء الى أصولها ، ولكن لما كانت الباء في مفردة لازمة ، أو نزلت منزلة اللازمة جمع بها دون الواو (المدينة) أل في المدينة للمهد ، أي مدينة سيدنا ونبينا محمد ﷺ ، إذ صار هذا عليها علماً بالغلبة (لبني النجار) رهط أنس رضي الله عنه ، والتجار : أحد جدوده ، واسمه تيم اللات بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج ، سمي بالتجار ، قيل : لأنه اختن بقدم ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم . والخزرج هذا هو

الاكبر ، وهو أخو الأوس ، والانصار كلهم من أولاد الأوس والخزرج
(فسمع) النبي ﷺ (صوتاً من قبر) في ذلك الحائط (فسأل عنه) أي عن
صاحب ذلك القبر (متى دفن هذا) الميت في هذا القبر؟ (قالوا : يا رسول الله !
دفن هذا) الميت في هذا القبر (في) زمن (الجاهلية) وهي ما قبل الاسلام
(فأعجبه ذلك) أي سرّ بكون صاحب القبر من أهل الجاهلية ، وليس هو من
المسلمين ، لما كشف له عمّا هو فيه من العذاب والنكال (وقال) ﷺ لأصحابه
الكرام: (لولا) اعلم أن لو إذا دخلت على ثوبتين نقتهما ، أو نقيتين أثبتتهما ، أو نقي
وثبوت أثبتت المنفي ونفت المثبت ، وذلك لأنها تدل على امتناع الشيء . لامتناع
غيره ، وإذا امتنع النفي صار إثباتاً (أن لا تدافنوا) بحذف إحدى التائين
تخفيفاً ، أي أن لا تدافنوا ، أي لا يدفن بعضكم بعضاً (لدعوت الله) سبحانه
تعالى (أن يسمعكم عذاب القبر) فامتناعي من الدعاء باسماعكم لذلك ، وجود عدم
الدفن ، لكن التدافن لا بد منه ، فامتنعت من الدعاء أن يسمعكم الله ذلك . وهذا
الحديث رواه مسلم ، والنسائي من حديث أنس .

وأخرج مسلم ، وابن أبي شيبة ، من حديث زيد بن ثابت نحوه ، ولفظه :
قال زيد بن ثابت رضي الله عنه : بينا النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بئلة له
ونحن معه ، إذ حادت به فكادت تلقيه ، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة ، فقال:
من يعرف أصحاب هذه الاقبر ؟ فقال رجل : أنا ، فقال : متى مات هؤلاء ؟
قال : ماتوا في الاشرار ، فقال : إن هذه الأمة تبئلي في قبورها ، فلولا أن لا
تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع .

وأخرج الامام أحمد ، والبخاري ، عن جابر رضي الله عنه ، قال : دخل
رسول الله ﷺ فخلا لبني النجار ، فسمع أصوات رجال من بني النجار ماتوا

في الجاهلية ، يذبون في قبورهم ، فخرج فرعاً ، فأمر أصحابه أن يتمذوا من عذاب القبر .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : بينا رسول الله ﷺ في نخل لأبي طلحة ، وبلال يمشي وراءه ، فمر بقبر ، فقال : يا بلال ! هل تسمع ما أسمع ؟ صاحب هذا القبر يمذب ؛ فسئل عنه فوجد يهودياً . قال النووي في قوله ﷺ : لولا أن لاتدافنوا الخ : اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر ، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة ، قال الله تعالى : « النار يمرضون عليها غدواً وعشيا » (١) الآية . وتظاهرت به الأحاديث الصحيحة من رواية جماعة من الصحابة في مواطن كثيرة ، ولا يمتنع في العقل أن يبيد الله تعالى جزءاً من الجسم ويمذبه ، وإذا لم يمنحه العقل وورد الشرع به وجب قبوله واعتقاده . والمقصود أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر كما ذكرنا ، خلافاً للخوارج ، ومعظم المعتزلة ، وبعض المرجئة ، فانهم نفوا ذلك .

وقال الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب ، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو ممذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحياناً يحصل له منها النعيم والمذاب ، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الارواح الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العباد . ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى . انتهى .

قال أهل السنة من علمائنا وغيرهم : إن المذهب الجسد بينه ، أو بعضه بعد إعادة الروح إليه أو إلى جزء منه ، وخالف فيه محمد بن جرير ، وابن كرام ، وطائفة ،

(١) سورة غافر ، الآية : ٦٤

فقالوا : لا يشترط إعادة الروح ، والمعظم بل كل أهل السنة أفسدوا هذا القول ، لأن الآثم والاحساس إنما يكون في الحي ، وقد سئل شيخ الاسلام بن تيمية قدس الله روحه عن عذاب القبر ، هل هو على النفس والبدن أم لا ؟ قال : بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، وتنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها ، فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين . قال شيخ الاسلام : وهل يكون العذاب والنعيم لقبدين بدون الروح ؟ هذا فيسه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام ، ثم قال : وقال جماعة : عذاب القبر يجري على المؤمن من غير رد الروح إلى الجسد ، قالوا : والميت يجوز أن يألم ويحس ويعلم بلا روح ، قال : وهذا قول جماعة من الكرامية ، وقال بعض المعتزلة : إن الله سبحانه يذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم من الآلام وهم لا يشعرون ، فإذا حشروا وجدوا تلك الآلام وأحسوا بها ، قال : وسبيل المذنبين من الموتى سبيل السكران والمنعمى عليه ؛ لو ضربوا (١) لم يجدوا الآلام ، فإذا عاد إليهم العقل أحسوا بألم الطرب ، قال : وأنكر جماعة منهم عذاب القبر رأساً ، مثل ضرار بن عمر ، ويحيى بن كامل ، وهو قول بشر المريسي . قال شيخ الاسلام : فهذه أقوال أهل الحيرة والضلال . قال ابن القيم في « الروح » : وهذا ، أي القول بثبوت عذاب القبر ، كما أنه مقتضى السنة الصحيحة فهو المتفق عليه بين أهل السنة . قال المروزي : قال أبو عبد الله - يعني الإمام أحمد رضي الله عنه - : عذاب القبر حق لا ينكره إلا ضال مضل ، وقال حنبل : قلت لأبي عبد الله في عذاب القبر فقال : هذه أحاديث صحاح تؤمن بها وقر بها ، كل ما جاء عن النبي ﷺ بإستاد جيد أقررنا به ، إذا لم نقر بما جاء به الرسول ، ودفعناه ورددناه رددنا على الله أمره ، قال تعالى : « ما آتاكم الرسول فخذوه » (٢)

(١) في الاصل : ضربه . (٢) سورة الحشر ، الآية : ٧

قلت له : وعذاب القبر حق ؟ قال : حق يذبون في القبور . قال حنبل : وسمعت
أبا عبد الله يقول : تؤمن بعذاب القبر ومنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر ،
قلت : يقولون : ليس في الحديث منكر ونكير ، قال : هو هكذا - يعني أنها
منكر ونكير - ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم : قال كثير من
المعتزلة : لا يجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير ، وإنما المنكر ما يبدو من تلجج
المسؤول إذا سئل ، والنكير تقريع الملكين له ، وقال شيخ الاسلام وابن القيم :
ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ ، فكل من مات وهو مستحق
للعذاب نال نصيبه منه قبر أو لم يقبر ، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار
رماداً ونسف في الهواء أو صلب أو غرق في البحر ، وصل إلى روحه وبدنه من
العذاب ما يصل إلى القبور ، فإن قيل : نحن نشاهد الميت على حاله في قبره ، فكيف
يسأل ويقعد ويضرب بمطارق من حديد ولا يظهر لذلك أثر ؟ فالجواب أن ذلك
غير محتج ، بل له نظير في المادة ، فالتألم بمجد لذة وآلاماً ، ولا نحس نحن شيئاً
منها ، وقد أطنب ابن القيم في الجواب عن ذلك وأجلب ، ومن جملة ما أجاب به
أن الله سبحانه جعل الدور ثلاثة : دار الدنيا ، ودار البرزخ ، ودار القرار ،
وجعل سبحانه لكل دار أحكاماً تختص بها ، وركب هذا الإنسان من بدن
ونفس ، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها ، ولهذا جعل
أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح ، وإن أضمرت
النفس خلافاً ، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً ، فكما تبعت
الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا ، فتألمت بألمها والتذت براحتها ، وكانت هي التي
باشرت أسباب النعيم والعذاب ، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها ،
والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم ، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح
خفية ، والأبدان كالقبور لها ، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها ،

تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا ، قال :
فأحاط بهذا الموضع علماء ، وأعرفه كما ينبغي يزول عنك كل إشكال يرد من
داخل أو خارج ، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك النموذجًا
في الدنيا من حال النائم ، فإن ما ينعم به أو يمدب به في نومه يجري على روحه
أصلا والبدن تتبع له ، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً ، فيرى النائم
في نومه أنه ضرب ، فيصبح وأثر الضرب في جسمه ، ويرى أنه قد أكل أو شرب ،
فيستقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ، ويذهب عنه الجوع والظما ،
وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه
يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك ، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح
استمات بالبدن من خارجه ، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس ، فإذا كانت الروح
تألم وتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستنباع ، فهكذا في البرزخ بل أعظم ،
فإن تجرد الروح هناك أكل وأقوى ، وهنا متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع ،
فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم ، صار الحكم والنعم
والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً ، فتى أعطيت هذا الموضوع
حقه تبين لك أن كل ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقة وسمته
وضمه ، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل ، وأنه
حق لا مرية فيه ، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه آني ،
كما قيل :

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم

قال : وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد ، وهذا روحه
في النعم فيستيقظ وأثر النعم على بدنه ، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر
العذاب على بدنه ، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر ، فأمر البرزخ أعجب
من ذلك ، وأطال في رد شبه أهل الضلال المقال ، والله ولي الفضل .

تنبيهات

الأول : ظاهر قوله **ﷺ** : «لولا أن لا تدافنوا الخ...» مشكل ، لأن الصحابة رضي عنهم يؤمنون بمذاب القبر ونعيمه ، ومصدقون بأن كل ما أخبر عنه النبي **ﷺ** أنه حق ثابت لا مرية فيه ، فكيف مع هذا يستقيم لهذا الكلام معنى ؟ والجواب عن هذا من وجوه : الأول أن المراد : لولا أن تموتوا من سماعه ، أشدة فظاعته وعظيم بشاعته ، فتصدقون لوقتهم . الثاني : أن معناه لأنكم إذا سمعتم ذلك تركتم دفن الموتى استهانة بهم ، لكون ما لهم إلى ما سمعوا من المذاب والنكال . الثالث : أن ذلك لمجزئ الأحياء عن دفن الموتى ودهشتهم بما سمعوا ، أو لخيرتهم وفزعهم وعدم قدرتهم على الدفن ، أو لئلا يحكموا على كل من اطلعوا على تمذيبه في قبره ، أنه من أهل النار ، فيتركوا الترحم عليه ، وترجي العفو عنه ، أو نحو ذلك ، والله أعلم .

الثاني : أشعر الحديث بأن أهل الجاهلية يمدبون في قبورهم ، وأنهم ليسوا بناجين ، وفي ذلك خلاف مشهور .

الثالث : أشعر الحديث أيضاً بأن عذاب القبر ، ليس مختصاً بهذه الأمة وهو كذلك ، وكذلك سؤال الملكين الميت ليس مختصاً بهذه الأمة على الصحيح المعتمد ، بل يسأل عن كل نبي ، فكل نبي مع أمته كنبينا **ﷺ** مع أمته ، وهذا اختيار الامام ابن القيم في «الروح» ، والأشيبلي في «العاقبة» ، والقرطبي في «التذكرة» . وقال الحكيم الترمذي : السؤال مختص بهذه الأمة ، وقيل بالوقف ، وعليه ابن عبد البر ، والله تعالى أعلم .

الحديث الحسن

٩٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دخلت الجنة ، فإذا أنا بنهر
حافتيه خيام اللؤلؤ ، ففصرت يدي إلى ما يجري فيه الماء ، فإذا
مسك أذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي
أعطاك الله تعالى .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ،
(عن أنس) رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) إما
بقطة وإما مناماً (فإذا أنا بنهر) فيها (حافتيه) أي جانبيه ، كذا رويناه بإياه ،
وقرأناه على عدة مشايخ ، وفي أكثر الأصول حافتاه - بالرفع على الابتداء
والاول إما تباً لنهر ، أو منصوباً بنزع الحافض ، أي على حافتيه (خيام اللؤلؤ)
أي خيام من اللؤلؤ ، وهو الدر ، واحده بهاء (ففصرت يدي إلى ما يجري فيه
الماء) الذي في النهر (فإذا) هو (مسك) - بكسر الميم وسكون السين المحملة
قال في « المطلع » : المسك فارسي معرب ، وكانت العرب تسميه المشوم ، وهو
مذكر ، وقد جاء تأنيثه في الشعر ، وتألوله على إرادة الرائحة ، قال في
« القاموس » : المسك - بالكسر - معروف ، والقطعة منه مسكة ، والجمع
كسب مقول للقلب ، نافع للحققان والرياح الغليظة في الأمماء والسوم والسدد
(أذفر) الذفر - محرّكة - شدة ذكاء الريح كالذفرة ، يقال : ذفر وأذفر ،

ومسك أذفر ، وذفر جيد إلى الناية (قلت : ما هذا يا جبريل ؟) وهذا يدل أنه كان ليلة الاسراء (قال : هذا الكوثر الذي أعطاك الله تعالى) في قوله : (إنا أعطيناك الكوثر)^(١) وفي « الترمذي » من حديث ابن عمر رفعه : « الكوثر نهر في الجنة ، حافته من ذهب ومجرأه على الدر والياقوت ... الحديث » ، وفي « البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « بينا أنا أسير في الجنة ، إذا أنا بنهر حافته قباب الدر المجوف ، قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذي أعطاك ربك ، فإذا طيبه وطينه مسك أذفر » ، وفي الحديث : « فأهوى الملك يده فاستخرج من طينه مسكاً أذفر » ، وتقدم في الحديث الثالث والاربعين والرابع والأربعين ما أغنى عن الاعداد .

الحديث الواحد والخمسون

٩٦ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك ، فدنا من المدينة . قال : إن بالمدينة قوماً ، ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً ، إلا كانوا معكم . قالوا : يا رسول الله ! وهم بالمدينة ؟ قال : وهم بالمدينة ، حبسهم العذر .

قال رضي الله عنه : (ثنا ابن أبي عدي) قال : (ثنا حميد ، عن أنس) رضي الله عنه (قال : لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة تبوك) - بفتح الفوقية وضم الموحدة - وهي اسم للمكان المعروف في طرف الشام من جهة القبلة ، وبينها وبين المدينة اثنتا عشرة مرحلة ، وبينها وبين دمشق كذلك ، قال

(٢) سورة الكوثر ، الآية : ١

في «الروض» تبعاً لابن قتيبة : سميت الغزوة بعين تبوك ، وكانت غزوة تبوك في رجب سنة تسع قبل حجة الوداع (فدنا) أي قرب (من المدينة) النبوية - على ساكنها الصلاة والسلام - (قال) عليه الصلاة والسلام : (إن بالمدينة المنورة) (قوماً) من أصحابي من المسلمين (ما سرتهم) معشر أصحابي الذين معي (مسيراً) من ليل ولا نهار (ولا قطعتم وادياً) ولا سلكتم شعباً (إلا كانوا معكم) . وفي لفظ من «صحيح البخاري» من حديث أنس أيضاً ، أنه ﷺ قال : «إن أقواماً بالمدينة خلفنا ، ما سلكنا شعباً ولا وادياً إلا وهم معنا فيه ، أي في ثوابه ، يعني أنهم شركاء في الثواب ، وفي لفظ : «إلا وهم معكم فيه ، بالنيه ، وفي رواية ابن حبان وأبي عوانة ، من حديث جابر رضي الله عنه : «إلا شركوكم في الأجر» بدل قوله : «إلا كانوا معكم» . (قالوا : يا رسول الله : وهم بالمدينة ؟) استبعاداً واستمظاناً لما ذكر أنهم مع كونهم في وطنهم على فرشهم مع أهلهم ، لم يكابدوا مشقة السفر ، ومفارقة الوطن والسكن ولين العيش ، ويحصل لهم من الأجر والثواب مثل ما لنا ، وقد قطعنا الأودية ، وسلكنا الشباب ، وتبحشنا المفاوز ، واقتحمتنا العقاب ، (قال) ﷺ : نعم يحصل لهم مثلكم من الأجر ، ويشر كونكم في أصل الثواب (وهم بالمدينة) في وطنهم وعظمتهم ، ثم بين لهم صلى الله عليه وسلم وجه ما أشكل عليهم فقال : (حبسهم) عن المسير معكم (المعذر) من المرض وعدم القدرة على السفر . وفي «مسلم» من حديث جابر : «حبسهم المرض» فدل الحديث أن من حبسه المعذر عن أعمال البر مع نيته فيها أنه يكتب له أجر العامل بها ، كما قال ﷺ فيمن غلبه النوم عن صلاة الليل : «إنه يكتب له أجر صلاته ، وكان نومه صدقة عليه» . وفي «سنن أبي داود» أن النبي ﷺ قال : «لقد تركتم بالمدينة أقواماً ، ما سرتهم مسيراً ، ولا أنفقتم من نفقة ، ولا قطعتم من وادٍ ، إلا وهم معكم ، قالوا :

يا رسول الله ! وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة ؟ قال : حبسهم المرض ، وأنشد
في « الطائف » وغيره :

يا سائرين الى البيت العتيق لقد سرتهم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقننا على عذر ومن عدم ومن أقام على عذر كمن راحا

فالتخلف لعذر شريك للسائر في الأجر ، وربما سبق من سار بقلبه
وهمته وعزمه بعض السائرين يبدنهم ، كما رأى بعض الصالحين في منامه عشيّة
عرفة قائلاً يقول له : ألا ترى هذا الزحام بالموقف ! ما الشأن فيمن سار يبدنه ،
إنما الشأن فيمن قعد يبدنه وسار بقلبه ، حتى سبق الركب . وفي « صحيح
البخاري » و « سنن أبي داود » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان
يعمل مقيماً صحيحاً » .

وأخرج الامام أحمد واللفظ له ، والحاكم وقال : صحيح على شرطها ، من
حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من أحد
من الناس يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله عز وجل الملائكة الذين يحفظونه ؛
قال : اكتبوا لعبد في كل يوم ليلة ما كان يعمل من خير ؛ ما كان في وثاق ،
وفي رواية للامام أحمد قال ﷺ : « إن العبد المسلم إذا كان على طريقة حسنة
من العبادة ثم مرض ، قبل الملك الموكل فيه : اكتب له مثل عمله إذ كان طليقاً
حتى أطلقه أو أكفته إلي » ، وإسناد هذه الرواية حسن . قوله : أكفته إلي
- بكاف ثم فاء ثم باء مثناة فوق - معناه : أضمه إلي وأقبضه .

وروى الامام أحمد بسند رواه ثقات ، من حديث أنس رضي الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا ابتلى الله عز وجل العبد المسلم ببلاء في

جسده قال الله عز وجل للملك : اكتب له صالح عمله الذي كان يعمل ، وإن شفاء غسله وطهره ، وإن قبضه غفر له ورحمه .

وروى ابو يعلى وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : ما من عبد يمرض مرضاً ؛ إلا أمر الله حافظه أن ما عمل من سيئة فلا يكتبها ، وما عمل من حسنة أن يكتبها عشر حسنات ، وأن يكتب له من العمل الصالح كما كان يعمل وهو صحيح ، وإن لم يعمل .

وروى ابن أبي الدنيا والطبراني في « الأوسط » والبخاري باختصار ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « عجب للمؤمن وجزعه من السقم ، ولو كان يعلم ما له من السقم أحب أن يكون سقياً الدهر ، ثم إن رسول الله ﷺ رفع رأسه الى السماء فضحك ، فقبل : يا رسول الله ! مم رفعت الى السماء فضحكت ، فقال : عجبت من ملكين ، كانا يلتزمان عبداً في مصلى كان يصلي فيه فلم يجدا ، فرجما فقالا : ياربنا ! عبدك فلان كنا نكتب له في يومه وليته عمله الذي كان يعمل ، فوجدناه حبسته في جبالك ، قال الله تبارك وتعالى : اكتبوا لعبدي الذي كان يعمل في يومه وليته ولا تنقصوا منه شيئاً ، وعليّ أجره ما حبسته ، وله أجر ما كان يعمل . »

وروى الامام أحمد والطبراني في « الكبير » و « الأوسط » من حديث شداد ابن أوس رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يقول : إذا ابتليت عبداً من عبادي مؤمناً فحمدني على ما ابتليته ؛ فاجروا له كما كنتم تجرون له ، وهو صحيح . وفي المنى أحاديث كثيرة ، وفيها ذكرنا كفاية والله الوفي . »

الحديث الثاني والخمسون

٩٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ تسمى المضباء ، وكانت لا تسبق ، فجاء أعرابي على قعود فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فلما رأى ما في وجوههم ، قالوا : سُبِحت المضباء . فقال : إن حقاً على الله أن لا يرفع شيئاً في الدنيا إلا وضعه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ، (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كانت ناقة رسول الله ﷺ) الناقة الاتى من الابل ، قال الجوهري : الناقة تقديرها فملة - بالتحريك - لانها جمعت على نوق ، مثل بدنة وبدن ، وخشبة وخشب ، وفملة - بالنسكين - لا تجمع على ذلك ، وقد جمعت أيضاً على أنوق ، ثم استقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا : أنوق ، حكاها يتقرب عن بعض الطائيين ، ثم عوضوا من الواو ياءً فقالوا : أبنق ، جموها على أيانق ، وقد تجمع الناقة على نياق ، مثل ثمرة وثمار ، إلا أن الواو صارت ياء لكسر ما قبلها . وأنشد أبو زيد :

أبعدكن الله من نياق إن لم تنجبن من الوثاق

ويقال : بعير منوق ، أي مذلل مروض ، وناقة منوقة (تسمى المضباء) هو علم لها منتول من قولهم : ناقة مضباء ، أي مشقوقة الأذن ، ولم تكن ناقة النبي ﷺ مشقوقة الأذن ، وقال بعضهم : إنها كانت مشقوقة الأذن ، والأول أكثر ،

وقال الزمخشري: هو منقول من قولهم: ناقة عضباء، وهي القصيرة اليد، ويقال لها: القصواء أيضاً. قال ابن التين: ضبطت القصوى - بضم القاف والقصر - وهي عند أهل اللغة بالفتح والمد. وفي «المطالع»: القصواء: هي المقطوعة ربع الأذن، وهي التي هاجر النبي ﷺ عليها، ابتاعها من الصديق الأعظم رضي الله عنه من نعم بني الحريش، وكانت شهباء. قال ابن فارس: المضباء لقب لها، وقال الكرمانلي في «شرح البخاري»: وأما ناقة النبي ﷺ التي كانت تسمى المضباء إنما كان ذلك لقباً لها، ولم تكن أذنهما مشقوقة (وكانت لا تسبق) - بضم الفوقية، وسكون المهلة، وفتح الموحدة - مبنياً للمفعول، أي لا يسبقها بعير ولا ناقة، وفي لفظ: قال حميد: أو لا تكاد تسبق (فجاء أعرابي) لم أقف على من سمّاه، ويئض له ابن البلقيني في «الافهام» لا في البخاري من الإبهام، ولم يسمه (على قمود) - بفتح القاف - هو ما استحق الركوب من الابل ويقال: القمود من الابل ما يبعده الإنسان للركوب والجلد، وقال الأزهري عن الليث: القمود والقمود من الابل خاصة؛ قال الأزهري: ولم أسمع قموداً بالهاء، لغير الليث، ولا يكون إلا المذكر، فلا يقال للأنثى: قمود، وفي «شرح البخاري» للبدر الميني: أخبر المنذري أنه قرأ بخط أبي الهيثم: ذكر الكسائي أنه سمع من يقول: قمود للقلوص، وللمذكر قمود، وفي «حياة الحيوان» للدميري: القمود من الابل ما اتخذ الزاعي للركوب وحمل الزاد، والجمع أقمود وأقمد وقمدان وقمائد^(١) وقيل: القمود: القلوص، وقيل: البكر قبل أن يثني، ثم هو جمل، والقلوص من النوق: الشابة، وهي بمنزلة الجارية من النساء، وجمعها: قلوص وقلانص، مثل قديم وقدم وقدام، والبكر: الفتى من الابل، والآنثى بكرة، والجمع بكار

(١) قال في «القاموس»: والجمع: أقعدة، وقمد، وقمدان، وقمائد. ولم

يذكر: أقمد.

مثل فرخ وفراخ ، وقد يجمع في القلة على أبكر . قال أبو عبيدة : البكر من الابل . بمنزلة الفق من الناس ، والبكرة بمنزلة الفتاة ، والبكير بمنزلة الانسان ، والجل بمنزلة الرجل ، والناقة بمنزلة المرأة . قال الجوهري في القمود والبكر : أقل ذلك أن يكون ابن سنتين إلى أن تدخل السادسة ؛ فيسمى حملاً (فسبقها) أي فسبق (ذلك) القمود المضياء (فشق) أي صعب (ذلك) أي سبق قمود الاعرابي المضياء (على المسلمين) زاد في البخاري من حديث زهير ، عن حميد ، عن أنس : حتى عرفه ، أي حتى عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أي كونه شق عليهم ، ويقال : حتى عرف أثر المشقة (فلما رأى) النبي صلى الله عليه وسلم (مافي وجوههم) من أثر المشقة و (قالوا : سبقت) - بالبناء للمفعول - (المضياء) - بالرفع - نائب الفاعل ، أي استعظم المسلمون ذلك وهاهم ، فقال (ﷺ) مسلماً لهم ومهيناً عليهم ما استعظموه : (إن حقاً على الله) عز وجل (أن لا يرفع شيئاً في) هذه (الدنيا) ولفظ البخاري : « أن لا يرفع شيء من الدنيا ، وعند النسائي : « أن لا يرفع شيء نفسه في الدنيا » (إلا وضعه) وإذا كان الارتفاع في هذه الدنيا يمتنع الضمة ، والمزة يخلطه الذال ؛ فخري أن يزهدها فيها وفي ارتفاعها ، إذ لا يرفع فيها شيء إلا ويتنضع . قال ابن القيم في كتابه « الفروسية الحمديّة » : تأمل قوله ﷺ في لفظ : أن لا يرفع شيء ، وأن لا يرفع شيء من الدنيا إلا وضعه ، فجعل الوضع لا يرفع أو ارتفع ، لا لما رفعه سبحانه ، فإنه إذا رفع عبده بطاعته وأعزه بها ، لا يضعه أبداً . انتهى . وهذا على هاتين الروايتين ، وأما على رواية « إن حقاً على الله تعالى أن لا يرفع شيئاً من أمر الدنيا إلا وضعه » ، رواه الامام أحمد والبخاري وأبو داود والنسائي من حديث أنس رضي الله عنه ، بنصب شيئاً على أنه مفعول يرفع ، والفاعل ضمير يعود على الله ، فلا يتأتى قوله إلا بضرب من التكلف ؛ بأن يقال : قوله : من أمر

الدنيا يشمر بذلك أيضاً ، بخلاف المرتفع من أمر الدين والديانة والتقوى والأمانة ،
فهذا لا يضمه الله أبداً .

وفي الحديث دليل على المسابقة بالابل . واعلم أن المسابقة بلا عوض ؛ تجوز
على الأقدام ، وبين سائر الحيوانات ، من ابل وخيل وبغال وحمير وفيلة وطيور حتى
سحائم ، وبين سفن ومزاريق^(١) ونحوها ، ومجانيق^(٢) ورعي أحجار بيد ومقاليع ،
وأما بموض فلا تجوز إلا في الخيل والابل والسهم ، وهذا يعني جواز الرهان على
هذه الأشياء الثلاثة متفق عليه في الجملة . واختلف أهل العلم في مسائل : منها
المسابقة على البغال والحمير بموض ؛ فقال الثلاثة : لا يجوز ذلك ، وقال أبو حنيفة ؛
يجوز ، وهو قول للشافعي . ومنها المسابقة على الحمام والفيل والسفن بموض ،
فمنعه الامام أحمد ومالك وأكثر الشافعية ، وأجازة أصحاب أبي حنيفة ؛ وبعض
الشافعية ، وبعض أصحاب أحمد في الفيل والحمام الناقلة للأخبار . ومنها المسابقة
على الأقدام بموض ، فمنه الثلاثة ، وأجازة الحنفية وبعض الشافعية ، وهو مخالف
لنص الامام الشافعي . ومنها المسابقة بالسباحة ، منعه الاكثرون ، وجوزوه
بعض الحنفية والشافعية . ومنها الصراع ، منعه — أي بموض — الثلاثة ، وجوزوه
بعض الشافعية والحنفية . ومنها المشابكة بالأيدي ؛ لا تجوز بموض عند الجمهور ،
وفيها وجه للشافعية بالجواز ، ومقتضى مذهب أصحاب أبي حنيفة جوازه ، فانهم
جوزوه في الصراع والمسابقة بالأقدام ، والمثالب في مسائل العلم . ومنها المسابقة
بالسيف والرمح والعمود ، منها بموض الامامان : مالك وأحمد ، وجوزها أصحاب
أبي حنيفة ، وللشافعية فيها وجهان ، ومنها المسابقة بالمقاليع على عوض ، منعهما

(١) قال في «القاموس» المزارق : رمح قصير ، وزرقه به : رماه .

(٢) في الاصل : مناجيق ، وهو خطأ . قال في «القاموس» : المتجنيق : جمعه منجنقات ،
ومحائق ، ومجانيق .

الجمهور ، والشافعية فيها وجه ، ومقتضى مذهب الحنفية الجواز . ومنها الخاتبة
بشبل الأتقال كالحجار ؛ فالجمهور لا يجوزون الموض فيها ، وكذا المتأقفة^(١) ؛
لا تجوز بموض عند الجمهور ، وأباحها بموض بعض الشافعية ، وهو مقتضى
مذهب الحنفية . ومنها المسابقة على حفظ القرآن والحديث والفقه ، ونحو ذلك من
العلوم التأقفة ، والإصابة في المسائل ، منعه بموض الثلاثة ، وجوزّه أصحاب أبي
حنيفة وشيخ الاسلام ابن تيمية من أئمة علمائنا ، وحكاها ابن عبد البر عن الشافعي ،
وهو أولى من الشباك والصراع والسياحة ، كما في « الفروسية الحمديّة » وقد
علت أن معتمد مذهب الامام أحمد ومن وافقه من العلماء ؛ اختصاص الموض
بالمسابقة على الخيل والابل والسهم ، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « لا سبق إلا في خف أو نصل أو حافر » رواه الامام أحمد
وأصحابه السنن الأربع ، ولم يذكر فيه ابن ماجه : أو نصل .

ويشترط لصحة أخذ الموض والرهان خمسة شروط :
أحدها : تعيين المركوبين بالرؤية وتساويهما في ابتداء العدو وانهاؤه ،
وتعيين الرماة ؛ سواء كانا اثنين أو جماعتين ، ولا يشترط تعيين الراكبين ولا
القوسين ولا السهم ، ولو عنها لم تتعين .

الثاني : أن يكون المركوبان أو القوسان من نوع واحد ، فلا يصح
بين عربي وهجين ، ولا بين قوس عربية وفارسية .

الثالث : تحديد المسافة والغاية ومدى الرمي بما جرت به العادة ، ويعرف
ذلك بالمشاهدة أو بالقرع نحو مائة ذراع ، أو مائتي ذراع ، وما لم تجز به عادة ،
وهو ما زاد في الرمي على ثلثمائة ذراع فلا يصح ، ولا يصح تناضلها على أن السابق
لأبدهما رمياً على معتمد مذهب الامام أحمد والامام مالك ومن وافقهما .

(١) يقال تأقفة : لاعبه بالسلاح ، غالبه في الحق .

الرابع : كون الروض معلوماً بالمشاهدة ، أو بالقدر ، أو بالصفة .

الظاهر : الخروج عن شبه القمار ؛ بأن لا يخرج جميعهم ، فإن كان الجمل من الامام من ماله ، أو من بيت المال ، أو من أحدهما ، أو من غيرهما ؛ على أن من سبق أخذه؛ جاز ، فإن جاء مماً فلا شيء لهما ، وتفصيل ذلك مذكور في كتب الفقه . وإن أخرج المتسابقان مماً ؛ لم يحجز ، وكان قماراً ، لأن كل واحد منهما لا يخلو : إما أن يضم أو يفرم إلا بمحطل ، وهذا مذهب أحمد والشافعي ، وعند مالك لا يكون المخرج إلا ثالث ؛ ليس أحد المتسابقين ، فإن جرى المخرج متهما فسبق ؛ فالسبق طعم لمن حضر ، وإن كانت خيل الحلبة^(١) كثيرة ، وقد سبق مخرج أعطي سبقه لمن يليه ، وهو المصلئ^(٢) ، وعند ابن تيمية : لا يعتبر الحلل ، والله أعلم .

نكتة : ذكر الدميري في « حياة الحيوان » أن هارون الرشيد كان يمجبه الحمام واللوبه ، فأهدي له حمام ، وعنده أبو البخخري وهب بن وهب بن وهب القاضي ، فزوى له بسنده الى أبي هريرة رضي الله عنه ؛ أن النبي ﷺ قال : لا سبق إلا في خف أو حافر أو جناح ، فزاد : أو جناح ، وهي افقطة وضما للرشيد ، فأعطاه جائزة سنية ، فلما خرج قال الرشيد : والله لقد علمت أنه كذب ، ثم إنه أمر بالحمام أن تذبح فذبحت ، فقبل له : وما ذنب الحمام ؟ قال : من أجله كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فترك العلماء حديث أبي البخخري لذلك واقبره من موضوعاته . قال ابن قتيبة : هو وهب بن وهب بن وهب ، بثلاثة أسماء على نسق ، ومثله في ملوك الفرس بهرام بن بهرام بن بهرام ، وفي الملويين : الحسن بن حسن بن حسن ، وفي غسان الحارث الأصغر ابن

(١) الحلبة : خيل تجمع للسباق من كل أوب ، أي من كل ناحية .

(٢) المصلئ : قال السابق .

الحارث الأعرج ابن الحارث الأكبر . وكان أبو البختري المذكور قاضي مدينة النبي ﷺ بعد بكار بن عبد الله الزبيري ، ثم ولي قضاء بغداد بعد أبي يوسف صاحب أبي حنيفة ، وتوفي أبو البختري المذكور سنة مائتين في خلافة المأمون .

وقال ابن أبي خيثمة والشيخ تقي الدين القشيري في « الاقتراح » : واضع حديث الحمام غياث بن إبراهيم ، وضعه للمهدي لا للرشيد . قلت : وبهذا جزم الحافظ العراقي في « شرح ألفيته » فقال : غياث بن إبراهيم وضع للمهدي في حديث : « لاسبق إلا في نصل أو خف أو حافر » ، فزاد فيه : أو جناح ، وكان المهدي إذ ذاك يلعب بالحمام فتركها بعد ذلك ، وأمر بدمجها ، وقال : أنا حملته على ذلك . انتهى . وفي « تاريخ ابن خلكان » : قال الخطيب في « تاريخه » : قال إبراهيم الحربي : قيل للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه : تعلم أحداً روى : لاسبق إلا في خف أو حافر أو جناح ؟ فقال : ماروى هذا إلا ذاك الكذاب ، أبو البختري . قال ابن خلكان : وأبو البختري - بفتح الباء الموحدة وسكون الخاء المعجمة وفتح التاء المثناة الفوقية وبمدها راء - مأخوذ من البخترة التي هي من الخيلاء . وروى الخطيب أيضاً في « تاريخه » : أن هارون الرشيد لما قدم المدينة أعظم أن يرقى منبر النبي ﷺ بقاء ومنطقة ، فقال أبو البختري : حدثني جعفر بن محمد - يعني جعفر الصادق - عن أبيه قال : نزل جبريل على النبي ﷺ وعليه بقاء ومنطقة مخنجر مخنجر . قوله : مخنجر مخنجر ، قال في « المطالع » : الخنجر - بفتح الخاء المعجمة والهمزة ، وضبطه بعضهم بكسر الخاء وفتح الهمزة - وهو نوع من السكاكين الكبيرة . انتهى . فقال المعافى التميمي في ذلك :

ويل وعول لأبي البختري إذا أتوا للناس في المشر
من قوله الزور وإعلانه بالكذب في الناس على جعفر

والله ما جالسه ساعة للفقه في بدو ولا محضر
ولا رآه الناس في دهره يمر بين القبر والمنبر
يا قاتل الله ابن وهب لقد أعلن بالزور والمنكر
يزعم أن المصطفى أحداً أنه جبريل النقي السري
عليه خف وقباء أسود مخنجرأ في الخلف بالخنجر

وحكى جعفر الطيالسي أن الامام يحيى بن معين وقف على حلقة وهو يحدث هذا الحديث عن جعفر الصادق ، فقال له : كذبت يا عدو الله على رسول الله ﷺ ، قال : فأخذني الشرط ، قال : فقلت لهم : هذا يزعم أن رسول رب العالمين نزل على النبي ﷺ وعليه قباء ، قال : فقالوا لي : هذا والله قاض كذاب ، وأفرجوا عني . وأخبار أبي البخري كثيرة ، وهو مطلي ، وكان جعفر الصادق تزوج بأمه ، واسمها عبدة بنت علي بن زيد بن ركانة بن عبد زيد ، وأما بنت عقيل بن أبي طالب ، والله أعلم .

الحديث الثالث والخمسون

٩٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أقيمت الصلاة ، فقام النبي ﷺ فأقبل علينا بوجهه ، فقال : أقيموا صفوفكم وتراصوا ، فاني أراكم من وراء ظهري .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو عمرو محمد (بن أبي عدي) البصري (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أقيمت) بضم الهمزة وكسر القاف مبنياً للمفعول (الصلاة) بالرفع نائب الفاعل (فقام النبي ﷺ)

في القبلة للصلاة (فأقبل علينا) معشر الصحابة المؤمنين به وقتئذ (بوجهه) الشريف (فقال : أقيموا) أي عدلوا ، يقال : أقام المود ، إذ عدله وسواه (صفوفكم) معشر المصلين (وراسوا) بتشديد الصاد المهملة ، أي تلاصقوا بغير خلل ، ويحتمل أن يكون تأكيداً لقوله : أقيموا ، والمراد بأقيموا : سوا كما وقع في رواية عن حميد ، عند الاسماعيلي ، بدل أقيموا : اعتدلوا . وفي الحديث دليل على جواز الكلام بين الإقامة والدخول في الصلاة ، ومراعاة الامام لرعيته ، والشفقة عليهم ، والحث على تسوية الصفوف . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث :

ففي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : سوا صفوفكم فإن تسوية الصف من تمام الصلاة . وفي رواية للبخاري : فإن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة . ورواه أبو داود ؛ ولفظه : إن رسول الله ﷺ قال : رصوا صفوفكم ، وقاربوا بينها ، وحاذوا بالاعناق ، فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل من خلل الصفوف كأنه ^(١) الحذف ، ورواه النسائي ، وابن خزيمة وابن حبان في « صحيحهما » نحو رواية أبي داود . والخلل بفتح الخاء المعجمة واللام أيضاً - : هو ما يكون بين الاثنين من الاتساع عند عدم التراص ، والحذف بالحاء المهملة ، والذال المعجمة مفتوحين ، وبمدهما فاء : أولاد الضأن الصغار .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : أقيموا الصفوف ؛ وحاذوا بين المناكب ، وسدوا الخلل ، ولبنوا بأيدي إخوانكم ، ولا تذروا فرجات الشيطان ، ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفاً قطعه الله . الفرجات : جمع فرجة ، وهي المكان الخالي بين الاثنين (فإني أراكم من وراء ظهري) قال الحافظ ابن حجر : في

(١) في الاصل كأنها ، وهو خطأ ، والتصويب من « سنن أبي داود »

إشارة الى سبب الأمر بذلك ، أي إنما أمرت بذلك لأنني تحققت منكم خلافه .
وتقدم في الحديث السادس والأربعين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، أن
المختار حمل رؤيته ﷺ من ورائه على الحقيقة بعيني رأسه ، وقد روى الشيخان
حديث أنس هذا بلفظه المذكور . وفي رواية للبخاري : قال أنس : فكان أحدهما
يلتزم منكبه بمنكب صاحبه ، وقدمه بقدمه .

وأخرج الامام أحمد ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي
ﷺ قال : أحسنوا إقامة الصفوف في الصلاة .

وفي « أوسط الطبراني » من حديث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
رضوان الله عليه مرفوعاً : استووا تستو قلوبكم ، وتماسوا تراحموا . قال
شريح : تماسوا ، يعني ازدحموا في الصلاة ، وقال غيره : تماسوا ، تواصلوا .
وفيه من حديث عائشة الصديقة رضي الله عنها مرفوعاً : من سدّ فرجة ،
رفعه الله بها درجة ، وبنى له بيتاً في الجنة .

والبزار بإسناد حسن ، عن أبي جحيفة رضي الله عنه ، أن رسول الله
ﷺ قال : من سدّ فرجة في الصف غفر له . وأبو جحيفة - بضم الجيم وفتح
الحاء المهملة ، وسكون التحتية ، وبالفاء اسم : وهب بن عبد الله السوائي .

الحديث الرابع والخمسون

٩٩ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد قال : سئل أنس عن صلاة
رسول الله ﷺ من الليل ، فقال : ما كنا نشاء أن نراه من
الليل مصلياً إلا رأيناه ، وما كنا نشاء أن نراه نائماً إلا رأيناه ،

وكان يصوم الشهر حتى نقول : لا يفطر منه شيئاً ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم منه شيئاً .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (قال : سئل) بضم السين المهملة ، وكسر الهمزة ، مبنياً للمجهول (أنس) بن مالك رضي الله عنه ، رفع أنس نائب الفاعل (عن صلاة رسول الله ﷺ من الليل فقال) أنس رضي الله عنه ، مجيباً لمن سأله : (ما كنا) معشر أصحابه المطلقين عليه في نومه وخلواته (نشاء) أي زيد (أن زاه) ﷺ (من الليل مصلياً إلا رأينا مصلياً) إشارة الى كثرة صلاته من الليل ﷺ ، وعدم تركه وإهماله لها (وما كنا نشاء أن زاه) ﷺ (نائماً) من الليل (إلا رأينا) نائماً ، يريد أنه ما كان يحل بقيام الليل ، إلا أنه لا يقومه كله .

وفي « الترمذي » من حديث أنس رضي الله عنه : « كنت لا تشاء أن تراه ﷺ من الليل مصلياً ، إلا رأيته مصلياً ، ولا نائماً إلا رأيته نائماً . وتقدم الكلام على الاقتصاد في السادس والثلاثين من « مسند أنس » رضي الله عنه .

ودل هذا الحديث على قيام رسول الله ﷺ من الليل وتهجده ، وهذا مذهب الجمهور ، ويدل عليه من الكتاب العزيز قوله تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » (١) وقال تعالى : « والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً » (٢) وقال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً وما رزقناهم ينفقون ، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءاً بما كانوا يعملون » (٣) والآيات في هذا كثيرة .

(١) سورة الاسراء ، الآية : ٧٩

(٢) سورة الفرقان ، الآية : ٦٤

(٣) سورة السجدة ، الايتان : ١٦ - ١٧

والتهدج : اسم لدفع النوم بالتكلف ، والتهدج ؛ هو النوم . يقال : هجد إذا نام ، وتهدج : إذا أزال النوم . وقيل : التهدج : هو صلاة التطوع بالليل . وقيل : الصلاة بعد النوم . ونقل عن الامام أحمد رضي الله عنه أنه قال : قيام الليل من المغرب الى طلوع الفجر ، يعني وأما التهدج : فما كان بعد النوم والناشئة ؛ ما كان بعد رقدة لطيفة .

وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : قام رسول الله ﷺ حتى تورمت قدماءه ، فقيل له : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر . قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ وروى الامام أحمد ، ومسلم ، وأصحاب « السنن الأربع » عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ ، أي الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : الصلاة في جوف الليل . فقيل : فأَي الصيام أفضل بعد رمضان ؟ قال : شهر الله المحرم .

وروى الترمذي ؛ وصححه من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه ، أنه سمع النبي ﷺ يقول : أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الآخر ، فإن استطلعت أن تكون بمن يذكر الله في تلك الساعة فكن .

وأخرج الامام أحمد ، ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين .

وأخرج أيضاً ، وأبو داود ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح صلاته بركعتين خفيفتين . وفي رواية أخرى : ثم ليطول بعدها ما شاء » .

والحكمة في تخفيفها : سرعة المبادرة الى العقيدة الثالثة من المقصد التي يعقدها الشيطان على قافية رأس النائم ، وهي مؤخره ، ومنه سمي آخر بيت

الشعر : قافية ، وذلك لما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « يقعد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدة ، يضرب على كل عقدة ، عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ فذكر الله تعالى ؛ انحلَّت عقدة ، فإن توضأ انحلَّت عقدة ، فإن صلى انحلَّت عقدة كلها ، فأصبح نشيطاً طيب النفس ، وإلا أصبح خبيث النفس كسلان » . رواه الامام مالك ، والشيخان ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه وقال : فيصبح نشيطاً طيب النفس قد أصاب خيراً ، وإن لم يفعل أصبح كسلان خبيث النفس لم يصب خيراً . . . ورواه ابن خزيمة في « صحيحه » ، وزاد في آخره : فحلوا عقد الشيطان ولو بركتين .

وأخرج الترمذي . وقال : حسن صحيح ، وابن ماجه ، والحاكم وقال : على شرط الشيخين ، من حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس ، أي أسرعوا اليه . ومضوا كلهم ، وهو بالجم . قال : فكنت فيمن جاءه ، فلما تأملت وجهه واستتبته ، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب . قال : فكان أول ما سمعت من كلامه أن قال : أيها الناس ! أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ؛ تدخلوا الجنة بسلام .

وفي « الصحيحين » ، وغيرها ، من حديث عبد الله بن عمرو بن الماس رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : « أحب الصلاة الى الله صلاة داود ، وأحب الصيام الى الله صيام داود ، كان ينام نصف الليل ، ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، ويصوم يوماً ، ويفطر يوماً . . . »

و عن أبي أمامة وسلمان الفارسي رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة الى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الآثم » زاد في حديث سلمان : « ومطرده للداء عن الجسد . . . » رواه الترمذي ، والحاكم وصححه ، وغيرهما .

وروى الطبراني ، من حديث إياس بن معاوية المزني رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا بد من صلاة بليل ولو حلب شاة ، وما كان بعد صلاة العشاء فهو من الليل » .

وروى أبو يعلى - ورواه محتج بهم في الصحيح - من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : فذكرت قيام الليل ، فقال بعضهم : إن رسول الله ﷺ قال : نصفه ، ثلثه ، ربه ، فواق حلب ناقة ؛ فواق حلب شاة . وفواق الناقة - بضم الفاء هنا - قدر ما بين رفع يدك عن الضرع وقت الحلب وضما .

وروى الطبراني في « الكبير » و « الأوسط » عنه : أمر رسول الله ﷺ بصلاة الليل ، ورغب فيها حتى قال : « عليكم بصلاة الليل ولو ركعة » .

وفي حديث سهل بن سعد رضي الله عنه مرفوعاً : « شرف المؤمن قيام الليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . رواه الطبراني في « الأوسط » بإسناد حسن وروى ابن أبي الدنيا ، والبيهقي ، عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً : أشرف أمتي حملة القرآن ، وأصحاب الليل .

وروى الطبراني في « الكبير » موقوفاً بإسناد لا بأس به ، ورفعه جماعة ، عن طارق بن شهاب أنه بات عند سلمان الفارسي رضي الله عنه ، لينظر ما اجتهد به قال : فقام يصلي من آخر الليل ، فكان لم ير الذي كان يظن ، فذكر ذلك له فقال سلمان : حافظوا على هذه الصلوات الخمس ، فانهن كفارات لهذه الجراحات ما لم يصب المقتلة ، فإذا صلى الناس العشاء صددوا على ثلاث منازل ، منهم من عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، ومنهم من لا له ولا عليه . فرجل اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فركب فرسه في الماصي ، فذلك عليه ولا له ، ومنهم من له ولا عليه ، فرجل اغتم ظلمة الليل وغفلة الناس ، فقام يصلي ؛ فذلك له ولا عليه . ومن لا له ولا عليه ، فرجل صلى ثم نام فذلك لا له ولا عليه ، إياك والحققة ، وعليك

بالقصد ودوامه . قوله : الحقيقة — بحائين مهملتين مفتوحتين ، وقافين ، الاولى ساكنة ، والثانية مفتوحة — هي أشد السير . وقيل : هو أن يجتهد في السير ويلج فيه حتى تمطب راحلته ، أو تقف . وقيل غير ذلك .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « من قام بمشر آيات لم يكتب من الغافلين ، ومن قام بمائة كتب من القاتنين ، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين » . رواه أبو داود ، وابن خزيمة في « صحيحه » ، كلاهما من رواية أبي سوية ، عن أبي جحيرة ، عن عبد الله بن عمرو . وقال ابن خزيمة : إن صح الخبر فاني لا أعرف أبا سوية بعدالة ولا جرح . ورواه ابن حبان في « صحيحه » من هذه الطريق أيضاً ، إلا أنه قال : « ومن قام بمائتي آية كتب من المقنطرين » ، أي ممن كتب له قنطار من الأجر .

وروى ابن حبان في « صحيحه » عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « القنطار : اثنا عشر ألف أوقية ، الأوقية خير مما بين السماء والأرض » . قال الحافظ المنذري : من سورة : « تبارك الذي بيده الملك » (١) الى آخر القرآن ألف آية .

قال علماؤنا : كان قيام الليل واجباً على النبي ﷺ ولم ينسخ . قالوا : ولا ينبغي أن يقوم الانسان كل الليل ، إلا ليلة عيد ، يعني وقدر ، ونحوهما . قالوا : ويكره مداومة قيامه كله ، ويستحب أن يكون له تطوعات يداوم عليها ، وإذا فاتت يقضيها .

وقد استحب الامام أحمد رضي الله عنه ، أن يكون له ركعات معلومة من الليل والنهار ، فإذا نشط طوّلها ، وإذا لم ينشط خفّفها .

قالت أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها لرجل : لا تدع قيام الليل ،

(١) سورة الملك ، الآية : ١

فان رسول الله ﷺ كان لا يدعاه ، وكان إذا مرض - أو قالت : كسل - صلى قاعداً .

وفي رواية أخرى عنها رضي الله عنها قالت : بلغني عن قوم يقولون : إذا أذينا الفرائض لم نبالي أن لا نزداد ، ولعمري لا يسألهم الله إلا عما افترض عليهم ، ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار ، وما أنتم إلا من نبئكم ، وما نبئكم إلا منكم ، والله ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل .

ونزعت كل آية فيها قيام الليل ، فأشارت رضي الله عنها الى أن قيام الليل فيه فائدتان عظيمتان : الاقتداء بسنة المصطفى ﷺ ، والتأسي به . وقد قال تعالى : « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » (١) ، وتكفير الذنوب والخطايا ، فان بني آدم يخطئون بالليل والنهار ، فيحتاجون الى الاستكثار من مكفريات الخطايا ، وقيام الليل من أعظم المكفريات ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه : « قيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة » ، ثم تلى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » (٢) الآية ، أخرجه الامام أحمد .

وقد روي أن المهجدين يدخلون الجنة بغير حساب ، روي عن شهر ابن حوشب ، عن أسماء بنت يزيد رضي الله عنها ، عن النبي ﷺ قال : « إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة جاء منادي ينادي بصوت يسمع الخلائق : سيعلم الخلق اليوم من أولى بالكرم ، ثم يرجع فينادي : أين الذين كانوا لا تلبهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي : ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء ، فيقومون وهم قليل ، ثم يرجع فينادي :

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٢١

(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٦

ليقيم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ؛ فيقومون وهم قليل ، ثم يحاسب سائر الناس . أخرجه بن أبي الدنيا وغيره .

ويروى عن ابن عباس من قوله ، ويروى أيضاً عن عقبة بن عامر رضي الله عنهم مرفوعاً وموقوفاً . ويروى نحوه عن عبادة بن الصامت ، وريمة الجرشي ، والحسن البصري ، وكعب الأحمبار ، وغيرهم من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين .

وقد قال بعض السلف : قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة ، ويكفي المهجدين أن الله تعالى يحبهم ، ويباهي بهم الملائكة ، ويستجيب دعاءهم . وفي ذلك أحاديث كثيرة ، والله الموفق .

قال أنس بن مالك رضي الله عنه : (وكان) رسول الله ﷺ (يصوم الشهر حتى نقول) معشر أصحابه : إنه (لا يفطر منه شيئاً) لكثرة صومه منه على فطره فيه (ويفطر) الشهر الآخر (حتى نقول : لا يصوم منه) أي ذلك الشهر (شيئاً) لكثرة فطره فيه على صيامه منه .

وفي « الصحيحين » ، و « سنن أبي داود » ، وغيرها ، من حديث أم المؤمنين عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول : لا يفطر ، ويفطر حتى نقول : لا يصوم ، ومارأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط ، إلا صيام رمضان ، ومارأيت في شهر أكثر صياماً منه في شعبان .

وفي رواية عند البخاري ومسلم : وكان ﷺ يقول : « خذوا من العمل ما تطيقون ، فإن الله تعالى لا يعمل حتى تملاوا » .

وكان أحب الصلاة إلى النبي ﷺ ما دووم عليه وإن قلت ، وكان إذا صلى صلاة داوم عليها .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال :
أوصاني خليلي ﷺ بثلاث : صيام ثلاث من كل شهر ، وركعتي الضحى ، وأن
أوتر قبل أن أنام . ورواه مسلم أيضاً عن أبي الدرداء مثله سواء .

وفي « الصحيحين » وغيرها ، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم ثلاثة أيام من كل شهر صوم
الدهر كله » . وروى الامام أحمد بإسناد صحيح ، والبيهقي ، والطبراني ، وابن
حبان في « صحيحه » عن قرة بن إياس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وإفطاره » .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ، فإنه لي
وأنا أجزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرث ، ولا
يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل : إني صائم ، إني صائم ، والذي نفس
محمد بيده : لخلخوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان
يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » . وفي رواية
للبخاري : « يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي » .

قوله : خلخوف فم الصائم . الخلوف ، بضم الخاء المعجمة واللام ، وسكون
الواو ، وبمدها فاء . قال القاضي عياض : هكذا الرواية الصحيحة ، وبعض
الشيوخ يقولون بفتح الخاء . قال الخطابي : وهو خطأ . وحكى القاسمي الوجهين .
وبالغ النووي في « شرح المذهب » فقال : لا يجوز فتح الخاء . واحتج غيره لذلك ،
بأن المصادر التي جاءت على فمول - بفتح أوله - قليلة . ذكرها سيبويه وغيره ،
وليس هذا منها .

قلت : ومن قال بفتح الخاء المعجمة ، الحافظ المنذري في كتابه : « الترغيب

والترهيب ، ، وهو تزيير رائحة الفم من الصوم ، وقد سئل سفيان بن عيينة رحمه الله ورضي عنه ، عن قوله : كل عمل ابن آدم له إلا الصوم ؛ فإنه لي . فقال : إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عز وجل عبده ، ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله حتى لا يبقى إلا الصوم ؛ فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ، ويدخله بالصوم الجنة . هذا كلامه ، واستغفره المنذري ؛

قال الحافظ ابن رجب في كتابه : « لطائف المعارف » : وعلى هذا فيكون المعنى : أن الصيام لله عز وجل ؛ فلا سبيل لأحد إلى أخذ أجره من الصيام ، بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عز وجل ؛ فلا يسقط ثواب الصوم بمقاصة ولا غيرها ، بل يوفّر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة ، فيوفى أجره فيها .

وأما قوله : فإنه لي ؛ فخص سبحانه الصيام بإضافته إلى نفسه دون سائر الأعمال ، وقد كثر القول في معنى ذلك من الفقهاء والصوفية وغيرهم ، وذكروا فيه وجوهاً كثيرة ، ومن أحسن ما ذكروا وجهان :

أحدهما : أن الصيام مجرد ترك حظوظ النفس ، وشهواتها الأصلية التي جبلت على الميل إليها ، لله عز وجل ، ولا يوجد ذلك في عبادة أخرى غير الصيام ، خصوصاً في نهار الصيف ، مع شدة حرّه وطوله ؛ ولهذا روي : من خصال الإيمان الصوم في الصيف .

الثاني : أن الصيام سر بين العبد وربه ، لا يطلع عليه غيره ؛ لأنه مركب من نية باطنة لا يطلع عليها إلا الله ، وترك لتناول الشهوات التي يستخفي بتناولها في العادة ؛ ولذا قيل : لا تكتبه الحفظة . وقيل : إنه ليس فيه رياء ، كذا قاله الامام أحمد وغيره رضي الله عنه . وفي فضائل الصيام أحاديث كثيرة جداً وبالله التوفيق .

الحديث الخامس والخمسون

١٠٠ - ثنابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان يعجبنا أن يجيء الرجل من البادية فيسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء أعرابي فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟ وأقيمت الصلاة ، فصلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟ قال : أنا يا رسول الله . قال : وما أعددت لها ؟ قال : ما أعددت لها من كبير عمل صلاة ولا صيام ، إلاّ أني أحب الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب . قال أنس : فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الاسلام بشيء ما فرحوا به .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه ، أنه (قال : كان يعجبنا) معشر أصحاب النبي ﷺ زمن حياته (أن يجيء الرجل) أي الشخص ، أي كنا نحب ذلك ونوده ونطلبه (من البادية) بغير همز كالبدو ، من بدا الرجل بدواً إذا خرج الى البادية ، فنزلها ، وهي خلاف الحضر . والاسم : البداوة ، بفتح الباء وكسر ها ، هذا هو المشهور . وحكي : بدأ بالهمز يبدو ، وهو قليل ، كما في « المطالع » (فيسأل رسول الله ﷺ) ينصب رسول الله مفعول يسأل ، والفاعل ضمير يعود على

الرجل . قال : (فجاء أعرابي) اختلف في اسمه ، فقيل : إنه ذو الخو بصره .
اليمني ، كما هو في « أفهام ابن البلقيني » . وفي بعض النقاظ « الصحيحين » وغيرها :
أن رجلاً سأل النبي ﷺ عن الساعة (فقال : يا رسول الله ! متى قيام الساعة ؟)
أي الكبرى .

قال ابن بشكوال : هذا الرجل إن شاء الله هو أبو موسى الأشعري ،
أو أبو ذر ، واحتج في ذلك بمحدثين لا حجة فيها ، فلفظ حديث أبو موسى .
قلت : يا رسول الله ! المرء يجب القوم ولما يلحق بهم ؟ فقال رسول الله ﷺ :
« المرء مع من أحب » . ولفظ حديث أبي ذر . قلت : يا رسول الله ! الرجل يجب
القوم ولا يستطيع أن يعمل بمثلهم ؟ قال : « أنت يا أبا ذر مع من أحببت » . وأين
هذا من حديث أنس : فجاء أعرابي ، فان أبا موسى وإن جاز أن يهيم نفسه فيقول :
أتى رجل ؛ فقير جائز أن يصف نفسه بأنه أعرابي ، وكذا أبو ذر ، كما أشار
إلى ذلك في « الفتح » ، وذكر أنه يحتمل أن يكون صفوان بن قدامة .

فقد أخرج الطبراني ، وصححه أبو عوانة ، من حديثه قال : قلت : يا رسول
الله ! إني أجبك . قال : « المرء مع من أحب » .

وفي رواية في « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه : متى الساعة ؟
ووقع في رواية . قال : أنس : بينما أنا ورسول الله ﷺ خارجين من المسجد ،
فلقينا رجلاً عند سدة المسجد ، فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ وفي أخرى :
خرج رسول الله ﷺ ، فعرض له أعرابي . أخرجه أبو نعيم . وله أيضاً عن
أنس : دخل رجل والنبي ﷺ يخطب .

وفي رواية عن حميد ، عن أنس : جاء رجل فقال : متى الساعة ؟ (وأقيمت)
بالبناء للمجهول (الصلاة ، صلى) وفي رواية : قام (النبي ﷺ) إلى الصلاة ،
ثم صلى (فلما فرغ من صلاته قال : أين السائل عن الساعة ؟) ويجمع بينه وبين

ما قبله ، بأنه سأل والذي ﷺ بخطب فلم يجبه حينئذ ، فلما انصرف من الصلاة وخرج من المسجد رآه فذكر سؤاله ، أو علوه الاعرابي في السؤال ؛ فاستفسر عن السائل عن الساعة . فـ (قال) الاعرابي : (أنا) هو (رسول الله . قال) ﷺ له : (وما أعددت لها) أي للساعة التي تسأل عنها من العمل الصالح والكدر الناجح ، قال الكرمانى : سلك مع السائل الأسلوب الحكيم ، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمله ، أو هو أم . (قال) الاعرابي : (ما أعددت لها) أي للساعة (من كبير عمل صلاة ولا صيام) زاد في رواية : ولا صدقة (إلا أني أحب الله) سبحانه وتعالى (ورسوله) ﷺ . وفي لفظ : ولكي أحب الله ورسوله .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه « استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس » : محبة الله واجبة تستلزم امتثال طاعته ، واجتناب ممصيته ، وكذلك محبة الرسول ﷺ ، وأصحابه ، والتابعين لهم باحسان ؛ فالهبة الصحيحة لهم ، تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم وإن عجز عن بلوغ غايته ، ولهذا قال السائل : ما أعددت لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ؛ فدل على أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه ، ولم يأت بأزيد من ذلك (فقال رسول الله ﷺ : المرء) وهو بتثليث الميم : الانسان ، أو الرجل . ولا يجمع من أفضله ، أو سمع مرثون ، والذئب ، وهي بهاء (١) .

وفي امرئ مع ألف الوصل ثلاث لغات : فتح الراء دائماً ، وضمها دائماً ، وإعرابها دائماً (٢) . ونقول : هذا امرؤ ومرؤ ، ورأيت امرءاً ومرءاً ،

(١) لم تكن كلمة الذئب في الاصل ، ولا يستقيم المعنى بدونها . والتصحيح من « القاموس »

(٢) وعلى هامش الاصل ، بخط الشيخ عبد القادر بدران ما نصه :

ما ذكره الشارح من قوله : وإعرابها دائماً ، إنما يتشبه على مذهب الكوفيين الغائلين بأن امرءاً معرب من مكانين . وأما على مذهب البصريين : فحركة الراء إتيان للآخر ، والاعراب على الآخر فقط . وأدنى طالب قرأ « الازهرية » لا يشبه عليه ذلك ؛ فتأمل . اهـ . بدران

ومررت بامرئ وبمرى، معرباً من مكانين، كما في «القاموس»، (مع من أحب).
وفي «البخاري»: «قلنا: ونحن كذلك؟ قال ﷺ: نعم». قال في
«الفتح»: «وقد جمع أبو نعيم طرق هذا الحديث في جزء سماه: «كتاب المحبين
مع المحبوبين»، فبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين. وفي رواية أكثرهم
بهذا اللفظ.

وفي لفظ من حديث أنس في «البخاري»، وغيره: «أنت مع من أحببت»،
زاد ابن الصبيان، عن ثابت، عن أنس: «إنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت»
أخرجه أبو نعيم. وله مثله من طريق قرّة بن خالد، عن الحسن، عن أنس.
وأخرج أيضاً من طريق أشعث، عن الحسن، عن أنس: «المرء مع من أحب»،
وله ما اكتسب، وفي رواية: «أنت مع من أحببت، وعليك ما اكتسبت، وعلى
الله ما احتسبت»:

(قال أنس) رضي الله عنه: (فما رأيت المسلمين فرحوا بعد الإسلام
بشيء ما فرحوا به) أي بقوله ﷺ: «المرء مع من أحب». وروى
هذه الزيادة مسلم ولفظه: قال أنس: «فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً
أشد من قوله: «أنت مع أحببت».

وفي رواية للبخاري، قلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم، فرحنا يومئذ
بذلك فرحاً شديداً.

قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحب الله عز وجل، ورسول الله ﷺ،
وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم قال بعض
العارفين: يكفي للمحبين شرفاً هذه الميعة.

قال عبيد بن عمير: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله!
الرجل يحب المصلين ولا يصلي إلا قليلاً، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلاً،

ويحب الأكرين ولا يذكر إلا قليلا ، ويحب المصدقين ولا يتصدق إلا قليلا ،
ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلا ، وهو في ذلك يحب الله ورسوله ، قال : وهو
يوم القيامة مع من أحب .

وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : ابن آدم لا تغتر بقول من يقول :
المرء مع من أحب ، إنه من أحب قوماً اتبع آثارهم ، ولن تلحق بالارار حتى
تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنتهم ، وتصبح وتمسي وأنت على
منهاجهم ، حريصاً على أن تكون منهم ؛ فتسلك سبيلهم ، وتأخذ طريقهم ، وإن
كنت مقصراً في العمل ؛ فاعلم أنك لا تكون على استقامة ، أما رأيت
اليهود ، والنصارى ، وأهل الأهواء الردية ، يحبون أنبياءهم وليسوا معهم ؛
لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير طريقهم ؛ فصار موردتهم النار ،
نموذ بالله من ذلك .

وقال عتبة الغلام : من عرف الله أحبه ، ومن أحبه أطاعه ، ومن أطاع الله أكرمه
الله ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره ، ومن أسكنه في جواره ؛ فطوباه
وطوباه وطوباه ، فلم يزل يكررها ويقول : وطوباه وطوباه ، حتى خر ساقطاً
مقشياً عليه .

وقال فرقد السنجي : قرأت في بعض الكتب : الحب لله أمير مؤمر على
الأمراء ، زمرته أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيما هناك .
خرجه والذي قبله إبراهيم بن الجنيد .

تنبيهات

الأول : محبة الله سبحانه وتعالى على درجتين :
إحداهما : فرض لازم ، وهي أن يحب الله سبحانه محبة توجب له محبة

ما فرض عليه ، وبفض ما حرمه عليه ، ومحبة رسوله المبلّغ أمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين أيضاً ، والرضى بما بلّغه عن الله من الدين ، وتلق ذلك منه بارضى والتسليم ، ومحبة الأنبياء والرسل والمؤمنين لهم بأحسن جملة وعموماً لله عز وجل ، وبفض الكفار والفجار جملة وعموماً لله عز وجل ؛ فهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب . ومن أحل بشيء منه ؛ فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك . قال الله تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلووا تسليماً » (١) .
وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أحل به من ذلك ؛ فإن المحبة الواجبة تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

وروى أبو نعيم ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت النبي ﷺ يقول : « إن سالماً - يعني مولى أبي حذيفة - شديد الحب لله ، لو كان لا يخاف الله ما عصاه ، يشير الى أن محبته تمنعه من أن يمسه . وذكر أبو عبيد في « غريبه » : أن عمر رضي الله عنه قال : نعم المبد صهيب لو لم يخف الله لم يمسه .

وقال الحسن بن آدم : أحب الله يحبك الله ، واعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته .

وسئل ذو النون : متى أحب ربي ؟ قال : إذا كان ما يفيضه ، عندك أمر من الصبر . وقال يحيى بن معاذ : ليس بصادق من ادعى محبة الله عز وجل ولم يحفظ حدوده .

وأخرج الترمذي من حديث معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « من أعطى الله ، ومنع الله ، وأحب الله ، وأبغض الله ؛ فقد

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥

استكمل إيمانه . وخرجه الامام أحمد وزاد فيه : وأنكح الله .
وفي لفظ له أيضاً ، أن النبي ﷺ سئل عن أفضل الايمان ؟ قال : أن
تحب الله ، وتبغض الله ، وتعمل لسانك في ذكر الله .

وأخرج نحوه أبو داود ، من حديث أبي أمامة ، وأبي ذر رضي الله عنهما .
وأخرج الامام أحمد من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما ، عن النبي
ﷺ أنه قال : « إن أوثق عرى الايمان : أن تحب في الله ، وتبغض في الله » .

وأخرج أيضاً من حديث عمرو بن الجوح رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال : لا يحق المبد حق صريح الايمان ، حتى يحب الله ، ويبغض الله ، فإذا أحب
الله وأبغض الله ؛ فقد استحق الولاية من الله ، ان الله تعالى يقول (١) : « إن
أولياي من عبادي وأحبابي من خلقي ، الذين يذكرون مذكرتي ، وأذكر
بذكرهم .

وروى ليث عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أحب في الله ،
وأبغض في الله ، ووال في الله ، وعاد في الله ؛ فالما تنال ولاية الله بذلك ، لن يجد
عبد طعم الايمان وإن كثرت صلاته وصومه ؛ حتى يكون كذلك . وقد صارت
عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . أخرجه ابن
جرير الطبري ؛ فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم ، وهي درجة
المقتصدین أصحاب اليمين .

الدوجة الثانية : درجة السابقين المقربين ، وهي أن ترتقي المحبة الى محبة
ما يحبه الله من نوافل الطاعات ، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، والى

(١) عبارة : إن الله تعالى يقول . لم تكن في الاصل . ولا يستقيم المعنى بدونها . وقد
رأينا على هامش الاصل : الله : إن الله تعالى يقول ، ونحو ذلك .

الرضى بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات ، وهذا فضل مشغب مندوب اليه .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عز وجل : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته ؛ كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، واثني سألتني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذته ، ... الحديث .

وأما من انهمك في الذنوب والمعاصي ، فإله ودعوى المحبة ؟ وما أحسن قول من قال .

تعصي الآله وأنت تزعم حبه هذا لعمرى في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع
وكذلك محبة الرسول ﷺ على درجتين :

أحدهما : فرض لازم ، وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله ، وتلقيه بالمحبة والتعظيم ، والرضى به والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية ، ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه ، من تصديقه في كل ما أخبر ، وطاعته فيما أمر به من الواجبات ، والانهاء عما نهى عنه وزجر من المحرمات ، ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة ، فهذا القدر لا بد منه ، ولا يتم الايمان بدونه .

والدوجة الثانية : فضل ، وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته ، في أخلاقه ، وآدابه ، ونوافله ، وتطوعاته ، وأكله ، وشربه ، ولباسه ، وحسن معاشرته لأزواجه ، وغير ذلك من آدابه الكاملة ،

وأخلاقه الطاهرة . والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه ، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره ، وكثرة الصلاة عليه ؛ لما سكن في القلب من محبته ، وتنظيمه ، وتقديره ، ومحبة استماع كلامه . وإثاره على كلام غيره من المخلوقين . ومن أعظم ذلك ، الاقتداء به في زهده في الدنيا ، والاجتزاء باليسير منها ، ورغبته في الآخرة .

قال سهل التستري : من علامة حب الله حب القرآن ، وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ ، وعلامة حب النبي ﷺ حب السنة ، وعلامة حب السنة حب الآخرة . ومن علامة حب الآخرة ، بغض الدنيا ، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زاداً يبلّغه الى الآخرة .

الثاني : في إعراض النبي ﷺ عن إجابة سؤال الأعرابي عن الساعة ، الى قوله : ما أعددت لها ؟ دليل على أن من سأل عما ليس بما يهمه لا يستحق الجواب عنه ، ويفتقر بما يهمه أو هو أهم مما سأل عنه ، ويسمى هذا في البديع : الأسلوب الحكيم .

وقد دل القرآن العظيم ، وحديث النبي الكريم ، على أن البارئ جل وعلا انفرد بعلم محبي الساعة ، ومتى يكون ذلك ، فالحق جل شأنه استأثر بعلمها . وفي حديث جبريل الذي في « الصحيحين » ، وغيرها ، لما سألته متى الساعة ، أي متى تقوم الساعة ؟ والمراد يوم القيامة ؛ أي متى علم وقت الساعة ؟ يعني مجيئها . فقال ﷺ : « ما المسؤول بأعلم من السائل » . وفي لفظ : « ما المسؤول عنها بأعلم من السائل » . وفي رواية لما قال له : متى الساعة ؟ نكس فلم يجبه ، ثم أعاد فلم يجبه ، ثلاثاً ، ثم رفع رأسه فقال : ما المسؤول بأعلم من السائل . يعني أن الله تعالى استأثر بعلمها ، فلم الخلق كلهم في وقت الساعة سواء .

ولهذا قال ﷺ ، كما في حديث أبي هريرة في « الصحيحين » ، وغيرها ،

في : خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم تلى : « إن الله عنده علم الساعة ، وينزل الغيث ، ويعلم ما في الأرحام ، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدري نفس بأي أرض تموت ، إن الله عليم خبير » (١) .

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، فقال : سبحان الله ، خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله ؛ ثم تلى الآية .

قال النووي : يستنبط منه أن العالم إذا سئل عما لا يعلم يصرح بأنه لا يعلم ، ولا يكون في ذلك قصص من رتبته ، بل يكون ذلك دليلاً على مزيد ورعه .

قال القرطبي : مقصود هذا السؤال ، كف السامعين عن السؤال عن وقت الساعة ؛ لأنهم كانوا قد أكثروا السؤال عنها ، كما ورد في كثير من الآيات ، والأحاديث ، كقوله تعالى : « يسألونك عن الساعة أيّات مرساها ، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بشفة » (٢) .

وفي حديث ابن عمر عند الامام أحمد والبخاري ، أن النبي ﷺ قال : « مفاتيح الغيب خمس ، لا يعلمها إلا الله » ثم قرأ هذه الآية ، يعني ، « إن الله عنده علم الساعة » (١) الآية . ولفظ الامام أحمد : أن النبي ﷺ قال : أوتيت مفاتيح كل شيء إلا الخمس : « إن الله عنده علم الساعة » (١) .

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال : أوتي نبيكم ﷺ مفاتيح كل شيء غير خمس : « إن الله عنده علم الساعة » الآية .

وقد أخرج الحميدي في «نواره» : حدثنا سفيان ؛ حدثنا مالك بن مغول ،

(١) سورة لقمان ، الآية : ٣٤

(٢) سورة الاعراف ، الآية : ١٨٦

عن اسماعيل بن رجا ، عن الشعبي قال : سأل عيسى بن مريم جبريل عليها السلام عن الساعة . قال : فانتفض بأجنحته وقال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل . وقد فسر النبي ﷺ مفاتيح الغيب بالخمس المذكورة في الآية .

قال في « شرح البخاري » : من ادعى علم شئ منها غير مستند إلى رسول الله ﷺ كان كاذباً في دعواه .

قال القرطبي : وأما ظن الغيب من نحو المنجم إذا كان عن أمر عادي ؛ فليس ذلك بعلم . وقد نقل بن عبد البر الإجماع على تحريم أخذ الأجرة والجرم ، وإعطائها في ذلك .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : التنجيم كالأستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية من السحر . قال : ويحرم إجماعاً .

وفي « الاقتاع » : لو أوم قوماً بطريقته أنه يعلم الغيب ، فلامام قتلة لسميه بالفساد . ومن كلام الامام ابن عبد البر : « وأكثر الناس ينسبها لعلي رضي الله عنه ، وإنما هما لابن عبد البر ، كما في « الوافي بالوفيات » ، للصلاح الصفدي :

امتنحلي النجوم أحلتهمونا على علم أدق من الهباء
علوم الأرض ما أحكمتوها فكيف بكم إلى علم السماء

الثالث : كل الأحاديث الواردة في أن مدة الدنيا من أولها إلى آخرها سبعة آلاف سنة ، لا أصل لشئ من ذلك يصلح للاحتجاج به والاعتماد عليه ، وإن ذكرها من العلماء من ذكرها حتى إن الحافظ السيوطي ألف جزءاً سماه : « الكشف في مجاوزة هذه الأئمة الألف » ، وذكر هذه الأحاديث ، وزعم أن أبا جعفر الطبري صحح هذا الأصل ، وعضده بآثار . انتهى .

والحال أن كل هذه الآثار ، وما ورد في ذلك من الأحاديث والأخبار ؛ أدق من هباء الغبار عند الأئمة الأخيار .

قال الحافظ ابن حجر في «الاصابة» عند حديث ابن زمل الجبني : تفرد بروايته سليمان بن عطاء القرشي الحراشي ، عن مسلمة بن عبد الله الجبني وسليمان بن عطاء .

قال الذهبي في «المفني» هالك اتهم بالوضع . وقال الحافظ ابن حجر في «التقريب» : منكر الحديث ، وأورده الحافظ ابن الجوزي في الأحاديث الواهية ، ووصف بعض رجاله بوضع الحديث . وقال ابن الأثير : ألفاظه مصنوعة ملفقة . وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : إسناده ضعيف جداً ، وهذا الحديث ، هو أن ابن زمل الجبني قص على رسول الله ﷺ رؤيا قال فيها : رأيته يارسول الله على منبر له سبع درجات ، وإلى جنبك ناقة عجفاء ، كأنك تبسمها . ففسر له رسول الله ﷺ الناقة بقيام الساعة أنذر بها ، وقال في المنبر والدرجات : الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفاً ... الحديث . وقد سمى بعض العلماء ابن زمل عبد الله ، وبعضهم : الضحاك ، وبعضهم : عبد الرحمن ، وضوب الأول في «الاصابة» . روى هذا الحديث الطبراني في «الكبير» وفيه : فإذا أنا بك يارسول الله على منبر فيه سبع درجات ، وأنت في أعلاها درجة . وأخرجه البيهقي في «الدلائل» . وقد جاء في ذلك عدة أحاديث ، من حديث أبي هريرة ، وأنس بن مالك ، وابن عباس رضي الله عنهم .

قال الامام الحق ابن القيم في كتابه : «المنار المنيف»^(١) ومن العلامات التي يعرف بها الأحاديث الموضوعة ، مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا ، وأنها سبعة آلاف سنة ، وتحجيء في الألف السابعة . قال : هذا من أبين الكذب ؛ لأنه لو كان صحيحاً لكان كل عالم يعلم أنه قد بقي للقيامة من وقتنا هذا - يعني وقت الامام ابن القيم نفسه ، وكان في المائة الثامنة ؛ فانه توفي

(١) في بيان الحديث الضعيف ، وقد طبع أخيراً باسم «المنار» فقط ، في مطبعة انصار السنة .

رضي الله عنه سنة إحدى وخمسين وسبعمائة ، عن اثنين وستين سنة ، رحمه الله
ورضي عنه - نحو مائتي سنة ، فيكون في عصرنا هذا ، وهو عصر ثمان وستين
ومائه وألف من الهجرة ، قد مضى من الزيادة على ما زعموا مائة وثمانية وستون
سنة ، هذا مع أن الكتب القديمة ، كالتوراة اليونانية التي يعتمد على النقل عنها
من اعتنى بأخبار الأول ، والتواريخ السالفة من علماء الاسلام ، أن من هبوط
آدم عليه السلام إلى هجرة النبي ﷺ ستة آلاف سنة ومائتان وستة عشر سنة ؛
فيكون جملة ذلك إلى عصرنا هذا ، سبعة آلاف سنة وثلاثمائة سنة وأربعة
وثمانين سنة ؛ فعلى كل حال قد بان زيف ما زخرفه ذوو الحال . والله
تعالى الموفق .

الحديث السادس والخمسون

١٠١ - ثنا ابن أبي عدي ، ثنا حميد ، عن أنس ، قال :
أقيمت الصلاة وقد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين نسائه
شيء ، فجعل يردّ بعضهن عن بعض ، فجاء أبو بكر ،
فقال : أحت يا رسول الله في أفواههن التراب ، وأخرج
إلى الصلاة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أقيمت) بضم الهمزة وكسر القاف مبنيًا
لما لم يسم فاعله (الصلاة) بالرفع نائب فاعل ، والمراد صلاة المشاء ، كما هو ظاهر

حديث مسلم (وقد كان) الواو للحال ، والجملة حالية (بين النبي ﷺ وبين نسائه) رضي الله عنهن (شئىء) اسم كان مؤخر ، وخبرها متعلق الظرف الذي هو بين ، ولفظ حديث مسلم ، عن أنس رضي الله عنه : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، فكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة إلا في تسع ، أي من الليالي والأيام ، إلا يوم وإيلة لتجيء نوبتها ، يعني وشق ذلك عليهن إذا لم يجتمعن بالنبي ﷺ ، ولم تره كل واحدة منهن إلا في كل تسع ليال ؛ فكان يجتمعن كل ليلة في بيت التي يأتيها ، أي صاحبة النوبة ؛ فكان ﷺ في بيت عائشة رضي الله عنها في نوبتها ، فجاءت زينب بنت جحش رضي الله عنها ، فمد يده إليها ، فقالت ، أي عائشة : هذه ، أي التي مددت يدك إليها زينب ، وليست النوبة لها ؛ فكف النبي ﷺ يده فتناولتا ، أي صار بين عائشة الصديقة ، وزينب بنت جحش رضي الله عنها مقالة ، أي فكل واحدة منها صارت تقول وتكلم في الرد على صاحبها والانتصار لنفسها ، حتى استخبتا - بسكون السين المهملة ، وفتح المثناة الفوقية ، وفتح الخاء الممجمة أيضاً ، والباء الموحدة المفتوحة ، ثم تاء مثناة فوقية - من السخب وهو اختلاط الأصوات وارتفاعها للخصام . ويقال أيضاً : صخب بالصاد المهملة . وفي حديث كعب في التوراة في صفة النبي ﷺ : محمد عبدي ، لبس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صخوب . وفي لفظ : ولا صخب في الأسواق .

قال في « النهاية » : السخب ، والصخب : الضجة واضطراب الأصوات للخصام ، افتعال وفعل للبالغة ، ومنه حديث خديجة ، بأن لها بيتاً في الجنة من قصب ، لا صخب فيه ولا نصب . انتهى . والصاد تقلب سيناً إذا أعقبها في كلماتها حرف من حروف أربع : الخاء ، أو الطاء ، أو التين ، أو القاف ، كما هو مقرر في محاله .

قال أنس رضي الله عنه : وأقيمت الصلاة ، فرأى أبو بكر رضي الله عنه

على ذلك فسمع أصواتها ، أي عائشة وزينب رضي الله عنها (فجعل) النبي ﷺ (يرد بعضهن عن بعض) ليسكنهن عن الصخب والضجة (فجاء أبو بكر) رضي الله عنه (فقال) للنبي ﷺ : (احث يارسول الله في أفواههن التراب واخرج إلى الصلاة) ولفظ مسلم فقال : يارسول الله ! اخرج إلى الصلاة ، واحث في أفواههن التراب ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة : الآن يقضي النبي صلى الله عليه وسلم صلاته فيجيء أبو بكر فيفعل ويفعل ، تمنى أنه يهددها ويتكلم عليها ؛ لأجل ما تكلمت به في حضرة النبي ﷺ ، فلما قضى صلاته ؛ أتى أبو بكر رضي الله عنه عائشة ، فقال لها قولاً شديداً ، وقال : أتصنعين هذا ، أي في حضرة النبي ﷺ .

قوله : احث - هو بضم الهمزة والمثلثة بينها حاء مهملة ساكنة - أمر ، من حثا يحثو حثواً ، كناية عن الخيبة والحرج ، أو المعنى قل لمن : بأفواهكن التراب ، والعرب تستعمل هذا لمن تكره ؛ إذا فعل ما يكره فعله ، وإعماقال الصديق ذلك غيرة واحتراماً لمنصبه الشريف ﷺ ، وحماية ورعاية لملو درجة النبوة وغمامة شأنها ، وأنه لا يحسن ولا يجمل من نسائه ﷺ أن يصخبن وترفع أصواتهن في حضرة الشريف ﷺ .

قوله : في أفواههن ، جمع فاه - والفاء والفوه بالضم ، والفيه بالكسر - والفم ؛ سواء ، والجمع أفواه وأفام ؛ لأن فماً أصله فوه ، حذفت منه الهاء . كما حذفت من سنة ، وبقيت الواو طرفاً متحركة ؛ فوجب إبدالها ألفاً ؛ لانفتاح ما قبلها ؛ فبقي فاً ، ولا يكون الاسم على حرفين أحدهما التنوين ؛ فأبدل مكانها حرف مشاكل لها . وهو الميم ، لأنها شفيتان^(١) ، وفي الميم هَوِيٌّ في الفم ؛ يضارع امتداد الواو ، والفوه محركة : سمة الفم ، وبشر فوها : واسمة الفم ، وقاه به نطق كنفوه . والتراب فيه لفات^(٢) : تراب ، وتوراب ، وتورب ، وتثرب ، وتربة ،

(١) في الامل : شفيتان ، والتصويب من «القاموس» (٢) في الامل : لفتان ، وهو خطأ .

وترباه ، وجمع التراب : آتربة ، وتربان . وذكر النحاس للتراب خمسة عشر اسماً .

تسميات

الأول : دلّ الحديث على جواز إقامة الصلاة والامام في منزله ، إذا كان يسممها .

قال القرطبي : ظاهر الحديث أن الصلاة كانت تقام قبل أن يخرج النبي ﷺ من بيته ، وهو معارض لحديث جابر بن سمرة : أن بلالاً كان لا يقيم حتى يخرج النبي ﷺ ، ويجمع بينهما بأن بلالاً كان يراقب خروج النبي ﷺ ، فأول ما يراه يشرع في الإقامة قبل أن يراه غالب الناس ، ثم إذا رأوه قاموا ، فلا يقوم ﷺ في مقامه حتى تتدل صفوفهم ، وهذا الجمع لا يناسب الحديث المذكور ، إلا أن يقال : إن بلالاً رأى النبي ﷺ لما قام من حجرة عائشة رضي الله عنها ، ثم عرض له ما أشغله عن المبادرة للخروج من مقابلة نسائه ، وربما كان سبب النهي عن المبادرة لقيام المصلين في حديث أبي قتادة ، وأنهم كانوا يقومون ساعة تقام الصلاة ، ولم يخرج النبي ﷺ ؛ فنهاهم عن ذلك لاحتمال أن يقع له شغل يبطئ فيه عن الخروج فيشق عليهم انتظاره ، فقال : لا تقوموا حتى تروني ، أي خرجت ، وصرح به عبد الرزاق وغيره . وفي لفظ : حتى تروني خرجت اليكم ، وتقدم في الحديث السابع والثلاثين الإشارة الى جواز الفصل بين الإقامة والاحرام لحاجة ، والله أعلم .

الثاني : قوله في حديث أنس عند مسلم : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، اعلم أنه لما قدم النبي ﷺ المدينة لم يكن تحته امرأة سوى سودة بنت زمعة ، ثم بنى بمائسة الصديقة أول مقدمه في الأولى . قلت : وتقدم أن الذي يظهر أنه ﷺ

زوج أم حبيبة قبل السابعة ، وتزوج جويرية في الخامسة ، ثم تزوج أم سلمة وحفصة وزينب بنت خزيمة في الثالثة والرابعة ، ثم تزوج زينب بنت جحش في الخامسة ، ثم جويرية في الخامسة أو السادسة ، ثم صفية وأم حبيبة وميمونة في السابعة ، ولم تلبث زينب بنت خزيمة عند النبي ﷺ إلا يسيراً ، شهرين أو ثلاثة ، حتى توفيت رضي الله عنها في حياته ﷺ .

فقوله : كان للنبي ﷺ تسع نسوة ، أي عند موته ، ومات عليه الصلاة والسلام وهن في عصمته ؛ فكان يقسم ثلثان ، وأما سودة فوهبت نوبتها لعائشة رضي الله عنها ؛ فكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة ، وكان نساؤه ﷺ حزينين : عائشة وسودة وحفصة وصفية حزن ، وأم سلمة وزينب بنت جحش وأم حبيبة وميمونة وجويرية حزن ، وكان نساؤه خمسة من قريش : عائشة ، وحفصة ، وأم حبيبة ، وسودة ، وأم سلمة . وأربع من غير قريش ، وهن : صفية بنت حيي الخبيرية ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش الأسدية ، وجويرية بنت الحارث المصطلقية . والله تعالى الموفق .

الحديث السابع والخمسون

١٠٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين أحدكم الموت لضرٍ نزل به ولكن ليقل : اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : لا يتمنين) نبي كراهة ، والنون فتاً كيد (أحذكم) مصير الأمة (الموت) لما في ذلك من الاعتراض ، ومراغمة القدر (لضر نزل به) من فاقة أو محنة بمدو ، ونحوه من آفات الدنيا ومشاقها . وأما إن خاف فتنة في دينه ؛ فلا كراهة فيه ؛ لمضوم هذا الحديث (ولكن) إن كان ولا بد متمنياً الموت فـ (ليقبل) أمر إرشاد وندب : (اللهم أحيني ما كانت الحياة) أي مدة دوام كون الحياة (خيراً لي) من الموت ، أي ما دامت الحياة متصفة بالخيرية (وتوفي) أي أمتي (إذا كانت الوفاة خيراً لي) من الحياة .

قال المراقبي : لما كانت الحياة حاصلة ، وهو متصف بها ؛ حسن الاتيان بما ، ولما كانت الوفاة معدومة في حال التحني ؛ لم يحسن أن يقول : ما ، بل أتى بأذا الشرطية ، أي إذا آل الحال الى أن تكون الوفاة بهذا الوصف وتقدم هذا الحديث وشرحه في الثامن والعشرين من « مسند أنس » رضي الله عنه ، لكنه رواه الامام هناك من حديث إسماعيل بن عليّة ، عن عبد العزيز بن صهيب عنه ، والله الموفق .

الحديث الثامن والخمسون

١٠٣ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يكثر الصوم على عهد النبي ﷺ ، فلما مات النبي ﷺ كان لا يفطر إلا في سفرٍ أو مرضٍ .

قال رضي الله عنه : (ثنائين أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس) رضي الله عنه (قال : كان أبو طلحة) زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري البخاري ، وهو القائل : أنا أبو طلحة ، واسمي زيد ، وكل يوم في سلاحي صيد ، وقدمت ترجمته في الحديث الثامن والاربعين من حديث أنس رضي الله عنهما (يكثر الصوم على عهد النبي) أي في حياة النبي (ﷺ) لما تقدم من الإشارة إلى فضل الصيام .

وفي « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن في الجنة باباً يقال له : الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ، ورواه الترمذي وزاد : « ومن دخله لم يظمأ أبداً » . ورواه ابن خزيمة إلا أنه قال : « فإذا دخل أحدهم أغلق ، ومن دخل شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً » .

وأخرج الامام أحمد والبيهقي ، من حديث جابر رضي الله عنه ، عن نبي الله ﷺ قال : « الصيام جنة يستجن بها العبد من النار » . وفي حديث سلمة ابن قيصر ، أن رسول الله ﷺ قال : « من صام يوماً ابتغاء وجه الله ، باعد الله من جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرماء » . ورواه أبو يعلى والبيهقي . ورواه الطبراني فسماه سلامة بزيادة الف . ورواه الامام أحمد ، والبرار ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي إسناده رجل لم يسم .

وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، من حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله تعالى ؛ إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً » (فلما مات النبي ﷺ كان) أبو طلحة رضي الله عنه (لا يفطر) أي سَرَدَ الصوم بعد وفاة النبي ﷺ ، فكان لا يفطر

(إلا) أن يكون (في سفر) من غزو وغيره (أو) يكون في (مرض) لقوله تعالى : «فإن كنتم مرضى أو على سفر» (١) .

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «اللطائف» : «ومن سرد الصوم عمر ، وأبو طلحة ، وعائشة ، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم ، وخلق كثير من السلف . قال ابن الأثير في «جامع الأصول» : يقال : إن أبا طلحة رضي الله عنه سرد الصوم أربعين سنة ، ثم نظر فيه ، أي لأنه إنما عاش بعد النبي ﷺ اثنين ، أو ثلاث ، أو أربع وعشرين سنة ، كما قدمنا في ترجمته رضي الله عنه .

الحديث التاسع والخمسون

١٠٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان النبي ﷺ إذا كان مقيماً ، اعتكف العشر الأواخر من رمضان ، فإذا سافر اعتكف من العام المقبل عشرين . قال أبو عبد الرحمن بن الإمام أحمد : قال أبي : لم أسمع هذا الحديث إلا من ابن أبي عدي عن حميد عن أنس .

قال رضي الله عنه : (ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) ابن مالك رضي الله عنه (قال : كان النبي ﷺ إذا كان في المدينة المنورة (مقيماً) غير مسافر لغزو أو غيره (اعتكف العشر الأواخر من) شهر (رمضان) المعظم .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٣ وسورة المائدة ، الآية : ٦

والاعتكاف في اللغة : الزوم للشئ ، والأقبال عليه . وفي الشرع : لزوم مسجد لطاعة الله تعالى .

قال ابن سيدة : يقال : عكف يمكف ويمكف - يعني بضم الكاف وكسرهما عكفاً وعكوفاً ، واعتكف : لزوم المكان ، والمكوف : الإقامة في المسجد .

وإنما كان ﷺ يخص العشر الآخر من رمضان بالاعتكاف ؛ لأنه العشر الذي تطلب فيه ليلة القدر ، قطعاً لاشتغاله ، وتفريقاً لباله ، وتحلياً بمناجات ربه ، وذكره ودعائه ، وكان يحتجر حصيراً يتخلى فيها عن الناس ، فلا يخاطبهم ولا يشتغل بهم .

ولهذا ذهب الامام أحمد رضي الله عنه إلى أن المعتكف لا تستحب له مخالطة الناس ، ولا تعليم علم ولا إقراء قرآن ، بل الأفضل له الانفراد بنفسه ، والتخلي لمناجاة ربه وذكره ودعائه .

وهذا الاعتكاف الذي على هذا الأسلوب هو الخلوة الشرعية ، وإنما تكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات ، فإن الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها .

وقد سئل ابن عباس رضي الله عنها عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة . قال : هو في النار ؛ فالخلوة المشروعة لهذه الأمة هي الاعتكاف في المساجد ، خصوصاً في شهر رمضان ، خصوصاً في العشر الآخر منه ، كما كان النبي ﷺ يفعله ؛ فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره ، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه ، وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه زلفى ؛ فما بقي له م سوى الله وما يرضيه عنه ، كما كان داود الطائي - رحمه الله تعالى - يقول في ليله :

لمحك عطل عليّ المسموم وخالف بيني وبين السهاد ، وشوقي إلى النظر إليك
أوبق من اللذات ، وحال بيني وبين الشهوات . وأنشد :

مالي شغل سواء مالي شغل ما يصرف عن هواه قلبي عذل
ما أصنع إن جفا وخاب الأمل مني بدل ومنه مالي بدل

فمنى الاعتكاف وحقيقته : قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق
(فلذا سافر) عليه السلام لنحو غزو في الشهر الآخر من رمضان في عام (اعتكف
من العام المقبل عشرين) يوماً بلبايلها ، عشرين عن الشهر من العام الماضي لكونه
لم يشكفها ، لكونه مسافراً ، وعشرين عن عامه الذي هو فيه .

(قال) الإمام الحافظ المتقن (أبو عبد الرحمن) عبدالله (ابن الإمام أحمد)
ابن حنبل رضي الله عنها ، أخذ عن أبيه سائر مؤلفاته ، وروى عن يحيى بن معين ،
وخلق . وروى عنه النسائي ، وابن حاعد ، وأبو عوانة ، والطبراني ، والقطيعي ،
وأبو بكر الشافعي ، وأبو بكر النجار ، وخلق . ولم يكتب عن أحد إلا عن
أمره أو به أن يكتب عنه .

قال الخطيب : كان - يعني عبد الله بن الإمام أحمد - ثقة ثبتاً فهماً . ولد
رضي الله عنه سنة ثلاث عشرة ومائتين ، ومات سنة تسعين ومائتين .

قال عبد الله بن الإمام أحمد رضي الله عنها (قال أبي) الإمام أحمد بن محمد ،
ابن حنبل رضي الله عنه : (لم أسمع هذا الحديث) يعني الذي مر آنفاً (إلا من)
محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ، وهو إمام ثقة ، إلا أنه مدلس (عن أنس)
ابن مالك رضي الله عنه .

قلت : وإسناده حسن ، كما رمز إليه الجلال السيوطي ، وقاله المناوي في
« شرح الجامع الصغير » : وقد رواه الترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه ،
ولفظه : إن رسول الله ﷺ كان يشكف الشهر الآخر من رمضان ، فلم

يمتلك عاماً ، فلما كان من العام المقبل اعتكف عشرين . قال الترمذي حديث حسن غريب صحيح . ورواه أبو داود من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه . وأخرج الشيخان وغيرهما ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ كان يمتكف العشر الأواخر من رمضان . زاد مسلم في رواية : قال نافع : وقد أراني ابن عمر المكان الذي كان يمتكف فيه رسول الله ﷺ من المسجد ، وكذا أخرجه أبو داود .

وفي « صحيح البخاري » ، و « سنن أبي داود » ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ كان يمتكف من كل رمضان عشرة أيام ، فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين .

وقد روى البيهقي ، من حديث علي بن الحسين ، عن أبيه رضي الله عنها مرفوعاً : « من اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأثله رجل ، فسلم عليه ، ثم جلس . فقال له ابن عباس : يا فلان ! أراك مكتئباً حزيناً قال : نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ لفلان علي حق ، ولا وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه . قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أجبت . قال : فافعل ابن عباس ، ثم خرج من المسجد ، فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ؟ قال : لا ، ونكيتي سمعت صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم — والمهد به قريب ، فدمت عيناه — وهو يقول : « من مشى في حاجة أخيه وبلغ فيها ؛ كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين » ، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جمل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبداً ما بين الخافقين . رواه الطبراني في « الأوسط » ، والبيهقي واللفظ له ، والحاكم مختصراً ، وقال : صحيح الإسناد .

تنبيهات

الأول : الاعتكاف سنة إجماعاً ، وأقله ساعة ، فلو نذر اعتكافاً وأطلق؛ أجزأته . ويستحب أن لا ينقص عن يوم وليلة ، ويجب بنذر إجماعاً ، ولا يختص بزمان ، وآكده في رمضان ، وآكده العشر الأخير منه إجماعاً ، وإن علقه أو غيره من التطوعات بشرط ؛ فله شرطه : نحو لله علي أن أعتكف شهر رمضان ، إن كنت مقيماً أو مافياً ، فلو كان فيه مريضاً أو مسافراً ، لم يلزمه شيء .

الثاني : يصح الاعتكاف بغير صوم على معتمد مذهب الامام أحمد ، وفاقاً للشافعي ؛ لأن عمر رضي الله عنه سأل النبي ﷺ : إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة . وفي لفظ لمسلم : يوماً في المسجد الحرام قال : « أوف بنذرك » ، زاد البخاري : فاعتكف ليلة . ولحديث ابن عباس رضي الله عنهما : ليس على المتكف صيام إلا أن يجعله على نفسه . رواه الدارقطني وقال : رفعه أبو بكر السوسني ، وغيره لا يرفعه .

قال الامام المجدد : هو ثقة . فيقبل رفعه وزيادته .

قال الخطيب : دخل بغداد وحدث أحاديث مستقيمة . وأما حديث عبد الله بن بديل ، أنه ﷺ قال لعمر : اعتكف وصم ، فبديل تفرد بهذه الزيادة ، وله مناكير . ورواه أبو داود وضعفه ، وضعف زيادته أبو بكر النيسابوري ، والدارقطني ، وغيرهما .

وقال أبو حنيفة ومالك : لا يصح الاعتكاف بغير صوم ، وهو رواية عن أحمد ، فعلى هذا لا يصح الاعتكاف ليلة مفردة ، ومعتمد المذهب يصح .

ويصح الاعتكاف أيضاً في أيام النهي التي لا يصح صومها . وعند أبي حنيفة

ومالك : لا يصح اعتكافها نذراً أو نفلاً ، ولا يشترط أن يصوم للاعتكاف ما لم ينذر له الصوم ، فمن نذر أن يعتكف سائماً ، أو يصوم معتكفاً ، أو باعتكاف أو يعتكف بصوم ؛ لزماً .

الثالث : يشترط لصحة الاعتكاف ستة شروط : النية ، والاسلام ، والعقل ، والتمييز ، وعدم ما يوجب النسل ، وكونه بمسجد .

ويُزاد في حق من تلزمه الجماعة : أن يكون المسجد مما تقام فيه (١) .

ويبطل الاعتكاف : بالخروج من المسجد بلا عذر ، وبالوطء في الفرج ، وبالأزال بالباشرة دون الفرج ، وبالردة ، وبالسكر .

وكذا يبطل الاعتكاف بنية الخروج منه ، أي بأن ينوي إبطاله وإن لم يخرج منه ، إلحاقاً له بالصلاة ، والصيام .

وتوم الشيخ مرعي في « غايته » و « دليله » ، فظن أن المراد بالخروج من المسجد ، وليس كذلك ، فإن من نوى الخروج من المسجد ، لم يبطل الاعتكاف حتى يخرج ؛ لأنه فرق بين أن ينوي إبطال المادة أو ينوي فعلها مبطلاً لها ، فإن نوى إبطالها بطلت في الحال ، وإن نوى فعل مبطل لم تبطل حتى يفعله ، كما بين ذلك في « الاقناع » وغيره بياناً شافياً لا يحتمل التأويل ، والله تعالى الموفق .

الرابع : دل الحديث على أن السنن تقضى إذا قاتت ؛ لأنه **وَلَا يَجُوزُ** قضي الاعتكاف الذي قاته من السنة الماضية في السنة المقبلة ، وفيه تحريري الزمان الفاضل ؛ لأنه كان يمكنه الاعتكاف في غير رمضان ، فأخر القضاء إليه لمزبته على غيره ، وبالله التوفيق .

(١) أي الجماعة .

المحدث الستون

١٠٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
مرّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه وصبي في الطريق ؛ فلما
رأت أمه القوم ، خشيت على ولدها أن يوطأ ، فأقبلت تسمى
وتقول : ابي ! ابي ! وسعت فأخذته . فقال القوم : يا رسول
الله ! ما كانت هذه لتلقي ابنها في النار . قال : فخفضهم النبي
صلى الله عليه وسلم ، فقال : لا والله لا يبقى حبيبه في النار .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل
(عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : مرّ النبي ﷺ في نفرٍ من أصحابه)
قال في « القاموس » : النفر : الناس كلهم ، وما دون المشرة من الرجال ،
والجمع : أنظار .

وفي « النهاية » ، في حديث أبي ذر رضي الله عنه : لو كان ههنا أحد من
أنفارنا ، أي من قومنا ، جمع نفر ، وهم وسط الإنسان ومشيرة . قال : وهو
اسم جمع يقع على جماعة من الرجال خلصة ، ما بين الثلاثة إلى العشرة ، ولا واحد
له من لفظه (وصي) الواو للحال ، والصبي من لم يفطم بعد ، كما في « القاموس » .
ويجمع على صبوة وصبية ، والواو القياس ، وإن كانت الياء أكثر استعمالاً ، كما
في « النهاية » ، (في الطريق) وجمه أطرقة ، كرهيف وأرغفة . هذا على
التذكير ، فإن الطريق يذكر ويؤنث ، وجمه على التأنيث أطرق ، كمين

وأعين (فلما رأت أمه) أي أم الصبي (القوم) وهم نفر الذين مع النبي ﷺ من أصحابه رضي الله عنهم . والقوم في الأصل : مصدر قام ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، سوا بذلك ، لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها ، كذا في « النهاية » .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التسمية ، ويؤنث ، والجمع : أقوام ، وجمع الجمع : أقاوم ، وأقاويم ، وأقايم (خشيت) أي خافت (على ولدها أن يوطأ) من وطئ . بكسر الطاء المهملة مهموزاً ، أي أن تداس . يقال : وطئه يوطؤه ، داسه ، كوطاه وتوطأه .

قال في « النهاية » : الوطء في الأصل : الدوس بالقدم (فأقبلت) المرأة نحو ابنها (تسمى) من سمى - كرمى - يسمى سميّاً ، أي قصد وعمد ومشى وعدا ، وهذا المراد هنا ، يعني أن أم الصبي أقبلت تعدو نحو ابنها (وتقول) في حال سميها : (ابني ! ابني !) ، تكرر هذا اللفظ ، يصح أن يكون مرفوعاً على أنه مبتدأ خبره محذوف ، أو خبر مبتدأ محذوف ، أي ابني هذا ، أو هذا ابني . ويصح أن يكون منصوباً ، أي اتقوا ابني ، أو انظروا ونحوه ، أو على الإغراء والخطاب لنفسها ، أي ابني يا نفس . (وسمت) أي مشت وعدت مسرعة (فأخذته) من طريق القوم ، ولم تدعه يوطأ ويداس بأقدامهم ، أو بدوابهم إن كان مهم وقثند دواب (فقال القوم) من أصحاب رسول الله ﷺ : (يا رسول الله ؟) والله (ما كانت هذه) المرأة (لتلقي) - اللام لام التعليل - أي لترمي (ابنها في النار) وقد رأينا حرصها وسميها نحوه ؛ مجتهدة على استنقاذه بما هو أقل وأحق من ذلك ، وهو خوف أن يوطأ بالأقدام فيتأذى ، فبادرت تعدو حتى أخذته ، ونحنته عما تخشى عليه من الأذى منه .

(قال) أنس رضي الله عنه : (غفصهم النبي ﷺ) أي ليثن الأمر عليهم وسهله ، ومنه خفيض القول يا فلان ، أي ليثنه وسهله ، وخفص الأمر ، أي هوئته (فقال) ﷺ : (ولا والله) - سبحانه وتعالى الجواد الكريم - يفعل ذلك ، فإنه من رحمته وكرمه (لا يلقي) أي يرمي ويكب (حبيبه) وهو عبده المؤمن (في النار) .

وروى هذا الحديث أبو يعلى ، والبخاري بسند صحيح ، ومحبة الله تعالى لمبادء صفة من صفاته ، كالغضب والرضى والرحمة ، ونحو ذلك ، وهذا قول أئمة السلف ، وعلماؤ الأمة ، وهي من التشابه عند قوم . قال تعالى : « يحبه ويحبونه » (١) وقال : « وألقيت عليك محبة مني » (٢)

وقال جمهور المتكلمين والمعتزلة : المحبة : ميل القلب الى ما يلائم الطبع ، والله منزّه عن ذلك ، وإنما يراد منها غايتها ، وهي إرادة اللطف بالعبد والاحسان اليه ، ومحبة العبد لله : هي محبة طاعته ، وخدمته ، أو يحب ثوابه وإحسانه .

قال العلامة الطوفي من محقق علمائنا : ذهب طوائف من المتكلمين والفقهاء الى أن الله تعالى لا يحب ، وإنما محبته محبة طاعته وعبادته . وقالوا : هو أيضاً لا يحب عباده ، وإنما محبته إرادته الاحسان اليهم . قال : والذي دل عليه الكتاب والسنة ، واتفق عليه سلف الأمة وأئمتها ، وجميع مشايخ الطريق : أن الله تعالى يحب ويحب لذاته ، وأما حب ثوابه فدرجة نازلة . قال : وأول من أنكر المحبة في الاسلام ، الجعد بن درهم ، أستاذ الجهم بن صفوان ، فضحى به خالد بن عبد الله القسري ، فقال : أيها الناس ! ضحوا تقبل الله ضحاياكم ؛ فاني مضح بالجعد بن درهم ، إنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً ، ولم يكلم موسى تكليماً ، ثم نزل فذبجه برضى علماء الاسلام .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٤

(٢) سورة طه ، الآية ٣٩

قال : وهؤلاء الذين ينكرون حقيقة محبة الرب ؛ ينكرون التلذذ بالنظر اليه ، ولهذا ظن كثير من المتفقه والمتصوفة والمتكلمة أن الجنة ليست إلا التمتع بالخلق من الأكل والشرب واللباس والزكاح ، وسماع الأصوات الطيبة ، وشم الروائح الطيبة ، لا نعيم عندهم في الجنة غير ذلك ، ثم من هؤلاء من أنكر أن يكون المؤمنون يرون ربهم في الجنة ، كالجمجمة والممثلة ، ومنهم من أقر بالرؤية ، إما بالرؤية التي أخبر بها النبي ﷺ ، كأهل السنة والجماعة ، وإما برؤية هي زيادة كشف أو علم ، أو بحاسة سادسة ، ونحو ذلك من الأقوال .

وأحباب الله عز وجل : أهل طاعته من عباده .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه .

وروى نحوه الامام أحمد ، من حديث عائشة ، والطبراني من حديثها ، وحديث أبي أمامة ، فدل هذا الحديث أنه لا طريق يوصل إلى التقرب إلى الله وولايته ومحبته سوى طاعته التي شرعها على لسان رسول الله ﷺ ، من أداء الفرائض ، واجتناب المحارم ، والاهتمام بنوافل العبادات الموصلة لمحبة الله تعالى ؛ فمن أحبه الله سبحانه ؛ رزقه محبته وطاعته والاشتغال بذكره وخدمته .

وروى إبراهيم بن الجنيد في كتاب « المحبة » بإسناده عن أبي الزاهدية قال : كان داود عليه السلام يقول : اللهم اجعلني من أحبائك ؛ فانك إذا أحببت عبداً غفرت ذنبه وإن كان عظيماً ، وقبلت عمله وإن كان يسيراً .

وروى الترمذي وحسنه ، والحاكم ، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : كان من دعاء داود عليه السلام : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك ، والعمل الذي يبلغني حبك ، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي وأهلي ، ومن الماء البارد . قال : كان داود أعبد البشر .

وروى الترمذي وحسنه ، من حديث عبد الله الخطمي الانصاري رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول في دعائه : اللهم ارزقني حبك ، وحب من ينفعني حبه عندك ، اللهم مارزقني مما أحب فأجعله قوة لي فيما تحب ، اللهم وما زويت عني مما أحب فأجعله فراغاً لي فيما تحب .

وروي ابن أبي الدنيا وغيره ، من رواية أبي بكر بن أبي مريم ، عن الهيثم بن مالك الطائفي ، أن النبي ﷺ كان يدعو : اللهم اجعل حبك أحب الأشياء إليّ ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندي ، واقطع عني حاجات الدنيا بالاشوق الى لقاءك ، وإذا أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فاقصر عيني من عبادتك ، وهذا مرسل .

قال بعض السلف : العمل على الخافة قد يغيره الرجاء ، والعمل على المحبة لا يدخله الفتور . وقال فرقد السنجي رحمه الله تعالى : قرأت في بعض الكتب : من أحب الله لم يكن عنده شيء آثر من هواه ، ومن أحب الدنيا لم يكن عنده شيء آثر من هوى نفسه ، والمحبة لله تعالى أمير مؤثر على الأمراء ، زمرة أول الزمر يوم القيامة ، ومجلسه أقرب المجالس فيها هنالك ، والمحبة منتهى القربة والاجتهاد ، ولن يسأم المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل ، يحبونه ويحبون ذكره ، ويحبونه الى خلقه ، يمشون بين عبادته بالنصائح ، ويخافون عليهم من أعمالهم يوم تبدو الفضائح ، أولئك أولياء الله وأحباؤه ، وأهل صفوته ، أولئك الذين لا راحة لهم دون لقائه .

وروي ابراهيم ابن الجنيد في كتاب « المحبة » باسناده عن صالح بن مسمار قال : بلغنا أن الله عز وجل أرسل الى سليمان بن داود عليه السلام بعد موت داود ملكاً من الملائكة ، فقال له الملك : إن ربي جل وعز أرسلني اليك لتسأله حاجة . قال سليمان بن داود عليه السلام : فاني أسأل ربي أن يجعل قلبي يحبه . كما كان قلب أبي داود يحبه ، وأسأل الله تعالى أن يجعل قلبي يخشاه ، كما كان قلب أبي داود يخشاه . فقال الرب تبارك وتعالى : أرسلت الى عبيدي ليسألني حاجة ، فكانت حاجته إليّ أن أجعل قلبه يحبني ، وأجمل قلبه يخشاني ، وعزتي لا كرمته ، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، ثم قال : « هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » (١) .

لطيفة : ذكر العلامة ابن خلكان في « تاريخه وفيات الاعيان » في ترجمة ابي الفضل الربيع بن يونس ، صاحب أبي جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، وكان الربيع وزيره ، وكان المنصور كثير الميل اليه ، حسن الاعتماد عليه . فقال يوماً المنصور للربيع المذكور : سل حاجتك . قال : حاجتي أن تحب الفضل ابني ، فقال له : ويحك إن المحبة تقع بأسباب . فقال له : قد أمكنك الله من إيقاع تسببها . قال : وما ذاك ؟ قال : تفضل عليه ، فانك إذا فلت ذلك أجبك ، وإذا أجبك أحببته . قال : قد والله حببته إليّ قبل إيقاع السبب ، ولكن كيف اخترت له المحبة دون كل شيء . قال : لأنك إذا أحببته **كبر** عندك صغير إحسانه ، وصغر عندك كبير إساءته ، وكانت ذنوبه كذنوب الصبيان ، وحاجته اليك حاجة الشفيع المريان .

أشار بذلك الى قول الفرزدق :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤزراً مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

(١) سورة ص ، الآية : ٣٩

وهذا البيت من جملة آيات في عبد الله بن الزبير رضي الله عنها في أيام ولايته على الحجاز والمراق .

وكان الفرزدق قد اختصم هو وزوجته النُّوار ، ففضيا من البصرة إلى مكة ليفصل الحكم بينهما عبد الله بن الزبير رضي الله عنها ، فنزل الفرزدق عند حمزة ابن عبد الله ، ونزلت النوار عند زوجة عبد الله ، وشفع كل واحد لنزله ، فقضى عبد الله للنوار ، وترك الفرزدق . فقال الأبيات المذكورة ، فصار الشفيع المريان مثلاً يضرب لكل من تقبل شفاعته ، والله تعالى الموفق .

وفي الحديث دليل على سمة رحمة الله عز وجل . وقال تعالى : « قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً » (١) . وقال تعالى : « نبي عبادي أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم » (٢) . وما ينبغي أن يعلم أن الله تعالى أرحم بعباده من الأم المشفوقة على ولدها .

وفي « الصحيحين » وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة ، فأمسك عنده تسعة وتسعين رحمة ، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة ، ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار .

وفي « الصحيحين » من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : قدم على رسول الله ﷺ سبي ، فإذا امرأة من السبي تبغي ، إذ وجدت صبياً من السبي أخذته وألصقته بيطنها وأرضعته . فقال رسول الله ﷺ : « أرون هذه

(١) سورة الزمر ، الآية : ٥٣

(٢) سورة الجعر ، الآية : ٤٩

المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا : لا والله ، وهي تقدر على أن لا تطرحه .
فقال رسول الله ﷺ : « الله أرحم بعبده من هذه بولدها » .

وأخرج البزار بسند صحيح ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أن
النبي ﷺ كان في بعض مغازيه ، فيبناهم يسرون ، إذ أخذوا فرخ طائر ،
فأقبل أحد أبويه حتى سقط في أيدي الذين أخذوا الفرخ . فقال رسول الله ﷺ :
« ألا تمجبون إلى هذا الطائر أخذ فرخه ، فأقبل حتى سقط في أيديهم . فوالله
لله أرحم بخلقه من هذا الطير بفرخه » . ورواه محمد بن عمر الواقدي ، وأبو نعيم
من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، وفيه : « أتمجبون من هذا الطائر
أخذتم فرخه ، فطرح نفسه رحمة لفرخه ، والله لربكم أرحم بكم من هذا الطائر
بفرخه » . وعيننا الغزوة ذات الرقاع .

وفي « سنن أبي داود » في أوائل كتاب الجنائز ، من حديث عامر
الرام أخى الخضر — بفتح الخاء وإسكان الضاد المجهتين فراء — في الأسماء
قال : بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل رجل عليه كساء ، وفي يده شيء
قد انتف عليه . فقال : يا رسول الله ! إني لما رأيته أقبلت ففرت بنفيسة شجر ،
فسمعت فيها أصوات فراخ طائر ، فأخذتهن فوضعتن في كسائي ، فجاءت أمهن
فاستدارت على رأسي ، فكشفت لها عنهن ، فوقعت عليهن معن^(١) ، فلففتن بكسائي فهن
أولاء معي^(٢) . فقال : ضعن^(٣) عنك ، فوضعتن ، فأبت أمهن إلا لزومهن ، فقال رسول
الله ﷺ : « أتمجبون لرحمة أم هؤلاء عليهن ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . فقال :
فوالذي بعثني بالحق ، لله أرحم بعباده من أم الفراخ بفراخها ، إرجع بهن حتى
تضمن من حيث أخذتهن وأمن معن » . فرجع بهن .

وروى أبو داود الطيالسي ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد ، عن ابن
مسعود رضي الله عنه قال : كنا عند رسول الله ﷺ في سفر ، فدخل رجل

(١) في الأصل : فلبثت معن ، والتصحيح من « سنن أبي داود » .

(٢) « : أولائي ، » « » « » « »

(٣) « : دعهن ، » « » « » « »

غبيضة ، فأخرج منها بيض حمرة^(١) فجاءت الحمرة ترف على رسول الله ﷺ وأصحابه . فقال رسول الله ﷺ : « أيكم فجع هذه ؟ فقال رجل : أنا يا رسول الله أخذت بيضها . وفي روايه الحاكم : فرخها . فقال رسول الله ﷺ : « رده رده رحمة لها » .

قال بعض العلماء : والحكمة في الأمر رد الفرخ ، أنه يحتمل أنهم كانوا محرمين ، أو لأنها لما استجارت به ﷺ أجارها ؛ فكان الارسال في هذه الحالة واجبا ، وإلا فقد منع الفقهاء إعتاق الطيور .

وقال ابن عقيل : لا يجوز أعتقتك في حيوان مأكول ؛ لأنه فمل الجاهلية . وفي « الفروع » : وتبعه في « الاقناع » .

وإذا أرسل سيد أو قال : أعتقتك ؛ لم يزل ملكه عنه . وفي « حياة الحيوان » للمديري من الشافعية : لا يجوز عتقها ، يعني الطيور على الأصح . وقيل : يجوز ؛ لما روى الحافظ أبو نعيم ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه ، أنه كان يشتري المصافير ويرسلها .

قال ابن الصلاح : والخلاف فيما يملك بالاصطياد ، وأما البهائم الانسية فاعتاقها من قبيل السوائب الجاهلية ، وذلك باطل قطعاً . انتهى .

والغبيضة - بفتح الغين المعجمة وسكون المثناة تحت وفتح الصاد المعجمة - جمعها غياض : الشجر الملتف .

وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : « إن لله مائة رحمة ، قسم منها رحمة في دار الدنيا ، فمن ثم يعطف الرجل على ولده ، والطير على فراخه ، فإذا كان يوم القيامة صيرها مائة رحمة فماد بها على الخلق .

(١) الحمرة : نوع من أنواع الطيور .

قال أيوب السخيتاني : إن رحمة الله ما هو أكثر من ذلك إن شاء الله ،
إن لله مائة رحمة ، واحدة بين الجن والانس والبهائم والموام ؛ فيها يتعاطفون ،
وبها يتراحمون ، وبها تمطف الوحش على ولدها ، وأختر تسماً وتسمين رحمة
يرحم بها عباده يوم القيامة .

وكذا رواه البخاري أيضاً بلفظ : « جعل الله الرحمة مائة جزء ، فأمسك
عنده تسعة وتسعين ، وأزل في الارض جزءاً واحداً ، فمن ذلك الجزء تتراحم
الخلائق حتى ترفع الفرس خافرها عن ولدها خشية أن يصيبه » .

وأخرج مسلم من حديث سلمان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :
« إن الله خلق يوم خلق السموات والارض مائة رحمة ، كل رحمة طباق ما بين
السما إلى الارض ، فجعل منها في الارض رحمة ، فيها تمطف الوالدة على ولدها ،
والوحش والطير بعضها على بعض ، فاذا كان يوم القيامة أكلها بهذه الرحمة » .
وفي حديث ابن عباس رضي الله عنها مرفوعاً : إذا فرغ الله من القضاء بين
خلقه ، أخرج كتاباً من تحت العرش : إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم
الراحمين . قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة . قال : وأكثر ظني أنه قال :
مثلي أهل الجنة ، مكتوب بين أعينهم عتقاء الله . رواه أبو القاسم .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، أن
النبي ﷺ قال : فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة ، وشفعت النبيون ، ولم يبق
إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا
حمماً ، فيلقيهم في نهر في أفواء الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في
حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما تكون إلى الشمس
أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل تكون أبيض . قال : فيخرجون

كالقؤلؤ، في رقابهم الخواتيم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الجنة بنير عمل عملوه ولا خير قدموه ... الحديث .

وفي «مسند الامام أحمد» ، والبخار ، وأبي يعلى ، وابن حبان في «صحيحه» ، وهو حديث عظيم شريف ، من حديث أبي بكر الصديق رضوان الله عليه ، في حديث الشفاعة ، ثم يقول : ادعوا الصديقين فيشفعون ، ثم يقال : ادعوا الانبياء ، فيجيب النبي معه المصابة ، والنبي معه الخمسة والستة ، والنبي ليس معه أحد ، ثم يقال : ادعوا الشهداء ، فيشفعون فيمن أرادوا ، فاذا فلت الشهداء ذلك بقول الله جل وعلا : أنا أرحم الراحمين ، أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً ، فيدخلون الجنة ... الحديث . والله أعلم .

الحديث الحادي والستون

١٠٦ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، قال : سُئِلَ أنس : هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟ فقال : قيل له يوم الجمعة : يا رسول الله ! قحط المطر ، وأجذبت الأرض ، وهلك المال . قال : فرفع يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فاستسقى ؛ ولقد رفع يديه وما نرى في السماء سحابة ، فما قضينا الصلاة حتى إن قريب الدار الشاب ليهمه الرجوع إلى أهله . قال : فلما كانت الجمعة التي تليها ، قالوا يا رسول الله ! تهدمت البيوت ،

واحتبست الركبان . فتبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملالة
ابن آدم . فقال رسول الله ﷺ : اللهم حوالينا ولا علينا ،
فكشطت عن المدينة .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (قال :
سئل) بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبشياً للمجهول (أنس) هو ابن مالك
رضي الله عنه (هل كان رسول الله ﷺ يرفع يديه ؟) ثلثية يد أصلها يدي ، ولم
تبن مع كونها على حرفين ؛ لأن الحرف الثالث يعود اليها في الثلثية والجمع ،
كقول الشاعر :

يديان يضاوان عند محرق
وكا في الحديث .

وقوله تعالى : « غلت أيديهم » ^(١) ، « وأيديكم الى المرافق » ^(٢) .

واليد حقيقة في اليد الى المنكب ، ثم تستعمل في غير ذلك بقرينة ؛ ففي
الوضوء خرج ما فوق المرفق بقوله تعالى : « الى المرافق » ^(٣) .

وفي القلع في السرقة الى الكوع ، بقرينة قطعه ﷺ ، والمراد هنا رفع
اليد من أصلها على الحقيقة مع بسط الكفين في الدعاء .

(فقال) أنس رضي الله عنه : (قيل) بالبناء للمجهول (له) أي النبي
صلى الله عليه وسلم .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أنس رضي الله

(١) سورة المائدة ، الآية : ٦٤

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٦

عنه أن رجلاً دخل المسجد (يوم الجمعة) من باب كان نحو دار القضاء ، وكان رسول الله ﷺ قائماً ، أي يخطب على منبره .

قال في « المطالع » : دار القضاء : هي دار مروان بالمدينة ، كانت لعمير فبيعت في قضاء دينه بعد موته . قال : وغلط بعضهم في تفسيرها ، فقال : هي دار الامارة ، قال ابن قرقول : وهذا محتمل ، لأنها صارت لأهل المدينة . انتهى .

والرجل الداخل للمسجد ورسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب خطبة الجمعة ، هو مرة بن كعب . وذكر بعضهم أنه العباس ، وهو منكسر مردود ؛ لما في بعض روايات « الصحيحين » وغيرها : جاء أعرابي . وفي بعضها أتى رجل أعرابي من أهل البدو ، والعباس لا يقال فيه ذلك ، ويمد تمدد القضية ، على أن في بعض طرق البخاري : فقام الناس فصاحوا : يا رسول الله ! ... الحديث ويمكن الجمع بأن الرجل ابتدأ أولاً بالسؤال ، ثم تابعه الناس .

وفي « شرح البخاري » لابن التين : فقام الناس ، إن كان محفوظاً فقد تكلم الرجل ، ثم صاحوا . ويحتمل أن يعني بالناس الرجل ؛ لأنه متكلم عنهم وم حضور ، أو لطمهم صاحوا وتكلم عنهم . انتهى .

وفي « الصحيحين » وغيرها : أن الرجل استقبل رسول الله ﷺ قائماً ، ثم قال : (يا رسول الله قحط المطر) .

قال في « النهاية » : قحط المطر ، وقحط إذا احتبس وانقطع ، وأقحط الناس إذا لم يعطروا .

وقال في « المطالع » : قحط المطر - بفتح الحاء المهملة وكسر هاء - إذا احتبس ، عن الجوهرى . ويقال : قحط الناس - بضم القاف وفتحها - وأقحطوا - بضم الهمزة وفتحها - حكى الأريب أبو عثمان في أفعاله . انتهى .

وفي « القاموس » : القحط الضرب الشديد واحتباس المطر ، قحط العام ،

كنع وفرح ، ثم قال : وقحطوا وأقحطوا بضمها قليلتان . والمطر ماء السحاب ، والجمع أمطار .

(وأجذبت الأرض) - بالدال المهملة - أي أصابها الجذب ، وهو ضد الخصب .

قال في « القاموس » : الجذب : الحبل . قال في « المطالع » : يقال أجذبت الأرض ، وجذبت - بفتح الدال المهملة وضمها وكسرها ، أربع اقات ، وكلها بالدال المهملة - إذا أصابها الجذب .

قال الجوهري : وهو تقيض الخصب . وفي « المطالع » : أجذبها جذبة - أي بكسر الدال المهملة ، وجذبة بسكونها أيضاً - لانبات فيها ، والأرض مؤنثة ، اسم جنس أو جمع بلا واحد ، ولم يسمع أرضة ، والجمع أرضات ، وأروض وأرضون ، وأراض كما في « القاموس » .

(وهلك المال) وفي لفظ في « الصحيحين ، وغيرهما : هلكت الاموال ، أي الحيوانية والنباتية من الجذب الناشئ عن عدم - أو قلة - المطر .

قال في « القاموس » : هلك - كضرب ومنع وعلم - هلكاً بالضم ، وهلاكاً بالفتح ، وتهلوكا وهلوكا بضمها ، ومهلكة وتهلكة مثلثي اللام . مات .

وأصل المال : ما ملكته من كل شيء ، والجمع أموال . وفي رواية : قال : يارسول الله ! هلكت الاموال ، وانقطعت السبل جمع سبيل ، أي الطرق ، فادع الله يضيئنا كما في « الصحيحين ، وغيرهما .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فرفع) رسول الله ﷺ (يديه) وبالنخ في رفهما (حتى رأيت بياض إبطيه) تثنية إبط ، وهو باطن المنكب ، بفتح الهمزة وكسرها ، وقد يؤنث كما في « القاموس ، والجمع آباط (فاستسقى) رسول الله ﷺ ، استفمال من السقيا .

قال القاضي عياض : الاستسقاء : الدعاء بطلب السقيا ، فكأنه قال : دعا الله تعالى بطلب المطر .

قال أنس رضي الله عنه : (ولقد) الواو للقسم ، واللام في جوابه ، فكأنه قال : والله لقد (رفع) رسول الله ﷺ (يديه) لطلب السقيا (وما نرى في السماء سحابة) الواو للحال ، والجملة حالية ، والسحابة : الغيم ، والجمع سحب . وسحب وسحائب .

قال أنس رضي الله عنه : (فما قضينا) أي أدبنا (الصلاة) أي صلاة الجمعة ، أي ما أتمناها وأنهيناها (حتى) أي الى أن صار من المطر بدعاء النبي ﷺ الى حالة هو (أن قريب الدار) من الرجال ، فضلا عن بعيدها (الشاب) فضلا عن الكهل أو الشيخ (ليهمه) أي يصعب عليه ويحزنه ويمجزه (الرجوم) أي الانقلاب (الى أهله) من شدة المطر .

وفي الصحيحين ، وغيرهما : أنه ﷺ قال بمدرفع يديه : اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا - بالهمز - من الاغاثة ويقال فيه : غاثه يغثه ، وهو قليل ، وإنما هو من الغيث لا الاغاثة . ومنه الحديث : قادم الله يغثنا - بفتح الباء - يقال : غاث الله البلاد يغثها ، إذا أرسل عليها المطر .

قال أنس رضي الله عنه : فلا والله ما نرى في السماء من سحب ولا قرعة^(١) وما بيننا وبين سلع^(٢) من دار ولا بيت - قال : - فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس ، فلما توسطت السماء ، انتشرت ثم أمطرت . قال : فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً .

فدل الحديث على استحباب رفع اليدين في دعاء الاستسقاء ، فمن الناس

(١) القرع : قطع من السحاب . واحده : قرعة .

(٢) سلع : جبل في المدينة .

من حص رفع اليدين بذلك ، وتركوا رفع اليدين في سائر الأدعية ، ومنهم من عداه إلى كل دعاء ، ومنهم من فرق بين دعاء الرغبة ودعاء الرهبة ، فقال : في دعاء الرغبة يجعل باطن كفيه إلى السماء ، وظاهرهما إلى الأرض ، وفي دعاء الرهبة بالعكس . قالوا : الراغب كالمستطعم ، والراهب كالمستجير .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : والصحيح الرفع مطلقاً ، فقد تواتر في « الصحاح » : أن الطفيل قال : يا رسول الله ! إن دوساً قد عصت وأبت فادع عليهم ؛ فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم اهد دوساً وأت بهم .

وفي « الصحيح » أنه عليه السلام لما دعا لآبي عامر ، رفع يديه . وفي حديث عائشة رضي الله عنها لما دعا النبي ﷺ لأهل البقيع رفع يديه ثلاث مرات . رواه مسلم . وفيه : أنه صلى الله عليه وسلم رفع يديه فقال : أمي أمتي . وفي آخره : قال الله تعالى . إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك . وفي قصة بدر : لما رأى المشركين صلى الله عليه وسلم مد يديه وجعل يهتف بربه ، فما زال يهتف بربه ماداً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه . وفي حديث قيس بن سعد رضي الله عنهما : فرفع يديه ﷺ وهو يقول : « اللهم اجعل صلاتك ورحمتك على آل سعد بن عباد » وبعث جيشاً فيه علي رضي الله عنه ، فرفع يديه وقال : « اللهم لا تمتني حتى تريني علياً » ، وفي حديث القنوت : رفع يديه . وأما حديث أنس رضي الله عنه : كان النبي ﷺ لا يرفع يديه في شيء من دعائه ؛ إلا في الاستسقاء ، متفق عليه .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه : والجمع بين حديث أنس هذا وسائر الأحاديث ما قاله طوائف من العلماء ، وهو أن أنساً ذكر الرفع الشديد الذي يرى فيه بياض إبطيه ، وينحني فيه بدنه ، وهذا الذي سماه ابن عباس الابتهاال ، فجعل المراتب ثلاثة : الإشارة بأصبع واحدة ، كما كان يفعل يوم الجمعة

على المنبر : والثانية : المسألة ، وهو أن يحمل يديه حذو منكبيه ، كما في أكثر الأحاديث . والثالث : الابتهاال ، وهو الذي ذكره أنس ، ولهذا قال : كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه ، وهذا الرفع إذا اشتد كان بطون يديه مما يلي وجهه والأرض ، وظهورها مما يلي السماء ، ويؤيد هذا التأويل ما روى أبو داود في مراسيله ، من حديث أبي أيوب سليمان بن موسى الدمشقي رحمه الله قال : لم يحفظ من رسول الله ﷺ ؛ أنه رفع يديه الرفع كله ، إلا في ثلاثة مواطن : الاستسقاء ، والاستنصار ، وعشية عرفة ، ثم كان بعد رفعاً دون رفع .

قال : وقد يكون أنس أراد بالرفع على المنبر يوم الجمعة ، كما في « مسلم » وغيره : أنه كان لا يزيد على أن يرفع أصبعه المسبحة . قال : وفي هذه المسألة قولان ، هما وجهان في مذهب الامام أحمد ، يعني في رفع الخطيب يديه . قيل : يستحب ، قاله ابن عقيل . وقيل : لا بل يكره . قال : وهو أصح . قال إسحق : هو بدعة لخطاب ، إنما كان النبي ﷺ يشير بأصبعه إذا دعا .

قال في « الاقناع » : ويكره للامام رفع يديه حال الدعاء في الخطبة . قال المجد : هو بدعة ، وفاقاً للمالكية والشافعية وغيرهم ، ولا بأس بأن يشير بأصبعه فيه ، ورأى عمارة بن روية بشر بن مروان ؛ رفع يديه في الخطبة فقال : قبَّح الله هاتين اليدين ، لقد رأيت رسول الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا ، وأشار بأصبعه المسبحة . رواه الامام أحمد ومسلم .

وفي حديث الامام أحمد : لعن الله هاتين اليدين ، فلعن أنساً أراد نفي رفع اليدين في الخطبة على المنبر ؛ لأن عبد الملك كان قد أحدث ذلك ، وأنس رضي الله عنه أدرك هذا العصر ، وقد أنكر على عبد الملك عصف بن الحارث ؛ فيكون أنس رضي الله عنه أخبر بالسنة التي أخبر بها غيره ، من أن النبي ﷺ

لم يكن يرفع يديه ، يعني على المنبر ، إلا في الاستسقاء ، وهذا يشمر بأن الاستسقاء مخصوص بمزيد الرفع ، وهو الابتهاال ، كما تقدم آنفاً . وحينئذ يزول الاختلاف من بين الأحاديث ، والله الحمد .

وقال العلامة أبو بكر بن داود في أدلة أوراد والده ، وهو من علمائنا : قد ذم الله تعالى قوماً بقوله : « يقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم » (١) .

قال بعض المفسرين : يقبضون أيديهم ، أي لا يمدونها إلينا في السؤال . وروى الحاكم في « المستدرک » من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً : رفع الأيدي من الاستكالة التي قال الله تعالى : « فما استكانوا لرهبهم وما يتضرعون » (٢) . وروى الحاكم أيضاً وغيره ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله رحيم كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ؛ ثم لا يضع فيهما خيراً » قال الحاكم ؛ صحيح الاسناد .

وفي « صحيح البخاري » من حديث أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ إذا رفع يديه في الدعاء لم يردّها حتى يمسح بهما وجهه .

وفي « سنن أبي داود » وابن ماجه والحاكم ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سألت الله فسلوه يبطون أكفكم ، ولا تسألوه بظهورها ، وامسحوا بها وجوهكم » .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية طيب الله ثراه : المطلوب في رفع اليدين أن تكون بطونهما إلى الأعلى . وقال : من ظن أنه ﷺ قصد توجيه ظهر يديه إلى السماء ؛ فقد أخطأ ، فانه قال ﷺ : « إذا سألت الله فسلوه يبطون أكفكم » ... الحديث . وأما حديث أنس رضي الله عنه : إنما هو لشدة الرفع انحنت يده ،

(١) سورة التوبة ، الآية : ٦٧

(٢) سورة المؤمنون ، الآية : ٨٦

فصار كفه مما يلي السماء لشدة الرفع ، لا قصداً لذلك ، كما جاء ؛ أنه رفعها
حذاء وجهه .

وفي الحديث عن أنس أيضاً : أنه رأى ﷺ يدعو بباطن كفيه وظاهرهما ،
كما بينت ذلك في « شرح المدة » .

قال العلماء : إنما شرع رفع اليدين في الدعاء لزيادة التذلل ؛ فيجتمع
للإنسان أحوال الضراعة في مقام العبودية ، وأيضاً فإن العبد ربما عجز عن إيقاظ
قلبه من الغفلة ، وله قدرة على حركة اليد واللسان فيهما ؛ فكان ذلك وسيلة إلى
خشوع القلب . وقد قالوا : حركات الظواهر توجب بركات السرائر ، وهو نظير رفع
السبابة في تشهد الصلاة ، فيوحد الجنان ^(١) ، وترجم اللسان ، وتركبه الأركان .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فلما كانت الجمعة التي تليها) بعد ما مكثت
سبتاً تمطر .

وفي بعض طرق « البخاري » قال أنس : وما خرجنا من المسجد حتى
مطرنا ، فلما زلنا تمطر حتى كانت الجمعة الأخرى . وفي لفظ : لم نزل نمطر إلى
الجمعة التي تليها . وفي لفظ آخر : فرفع ﷺ يديه ، وما نرى في السماء قزعة ،
فوالذي نفسي بيده ، ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال ، ثم لم ينزل عن
منبره ؛ حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته . وفي لفظ : فلا والله ما رأينا الشمس
سبتاً ، أي جمعة ، فلما رأوا ذلك (قالوا : يا رسول الله) وفي رواية في
« الصحيحين » و « السنن » وغيرها : ثم دخل رجل من ذلك الباب ، أي الذي
كان دخل منه الرجل في الجمعة الأولى ، فطلب الدعاء بالغيث . وفي بعض طرق
البخاري : فأتى الرجل في الجمعة المقبلة ورسول الله ﷺ قائم يخطب ، فاستقبله
قائماً فقال : يا رسول الله (تهدمت البيوت) الهدم — بفتح الهاء وسكون الدال

(١) الجنان : القلب

هجلة فيم - نقض البناء كالتهديم ، والبيوت : جمع بيت ، ويجمع على أليات
أيضاً ، وجمع الجمع أبايت ، وبيونات ، وتصغير البيت : بيت ، ولا تقل : بيت ،
وهو الشمر والمدر ، والمراد هنا الثاني ، أي تهدمت الأبنية من كثرة الامطار ،
(واحتسبت الركبان) من كثرة الامطار ، فلم تأت بالميرة والجلب .

وفي « الصحيحين » : هلك الأموال ، أي من كثرة المطر ؛ لدمد بروز
الحوانات للرعى ، وانقطعت السبل ، أي لدمد قدرة الناس على الخروج . وفي
لفظ : تهدمت البيوت ، وانقطعت السبل ؛ فادع الله تعالى بمسكها . وفي لفظ :
يحبسها عنا (فتبسم رسول الله ﷺ) تمجيباً (من سرعة ملالة) مصدر مللته
ومللت منه - بالكسر - ملأ وملأ وملالة وملالاً ، إذا سئمت (ابن آدم) أبي البشر
عليه السلام ، فإن الملل مركوز في طباعهم لما ظهر منهم من الملح في الاستسقاء
والاستصحاء ، ونسبهم الى الالب الاول ؛ إشارة الى أن الملل قد عمّ النوع
الانساني ، إلا من وقفه الله بهذيب نفسه ورياضة طبعه ، حتى انقاد بسلسلة التسليم
الى ما قدره العليم الحكيم ، هذا مع أن حكمة الحكيم العليم اقتضت إنزال المطر
بقدر الحاجة ، حتى إذا أخذت الأرض حاجتها منه أقلمه عنها ، فلو تابعه عليها بعد ذلك
لضرها ، فيمقب المطر بالصحو ؛ فيها ممتقبان على العالم لما فيه ، أي التماقب من ملاحه ، أي
العالم ، ولو دام أحدهما ؛ لكان فيه فساد ، إذ لو توالى الأمطار أهلك ما على الأرض ،
ولو زادت على الحاجة أفسدت الحبوب والثمار ، وعفنت الزروع والخضراوات ،
وأرخت الأبدان ، وحدث ضروب من الأمراض ، وفسد أكثر المأكول ،
وتقطعت المسالك والسبل ، ولو دام الصحو لجفت الأبدان ، وغيض الماء ،
وانقطع معين الميون والآبار والأنهار ، وعظم الضرر ، واحتدم الهواء ، فبیس
ما على الأرض ، وجفت الأبدان ، وغلب الییس ، وأحدث ذلك ضروباً من
الأمراض ؛ فاقنضت حكمة اللطيف الخبير أن عاقب بين الصحو والمطر على هذا

العالم ؛ فاعتدل الأمر ، وصح الهواء ، ودفع كل واحد منها غائلة الآخر ، فاستقام أمر العالم وصلاح .

والتبسم : مبادئ الضحك ، والضحك - بالفتح والكسر وبكسرتين ، وككتف - انبساط الوجه حتى تظهر الأسنان من البرور ، فان كان بصوت مسموع ؛ فقهقه ، وإلا فالضحك . وإن كان بلا صوت ؛ فهو التبسم .

وقد روى الترمذي وصححه ، وابن سعد عن الحارث بن جزء رضي الله عنه قال : ما رأيت أحداً كان أكثر تبسماً من رسول الله ﷺ . وفي رواية : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، فجعل التبسم من الضحك ، واستثنى منه ؛ فان التبسم من الضحك بمنزلة السنة من النوم ، ومنه قوله تعالى : « فبسم ضاحكاً » (١) أي شارعاً في الضحك .

وروى الامام أحمد ، والبخاري ، ومسلم ، وأبو داود ، وغيرهم ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى ترى لهواه (٢) إنما كان يتبسم .

قال في « النهاية » : اللهوات ، جمع لهات : هي اللحمتان في سقف أقصى الفم . وقولها : إنما كان يتبسم . وفي الحديث الذي قبله : ما كان ضحك رسول الله ﷺ إلا تبسماً ، هذا الحصر يحمل على غالب أحواله ؛ لما في الحديث الآخر : كان جلُّ ضحكه التبسم . وفي حديث آخر : ضحك ﷺ حتى بدت نواجذه . وقيل : ما كان يضحك ﷺ إلا في أمر الآخرة ، كما مر . وأما في أمر الدنيا ؛ فلم يزد على التبسم . وروي أنه ﷺ كان إذا ضحك يتلأأ في الجدر - بضم أوله - أي يشرق نوره إشراقاً كإشراق الشمس .

(١) سورة النمل ، الآية : ١٩

(٢) اللهاة : اللعنة المثرقة على الخلق ، جمها : لهوات .

وفي « الترمذي » ، و « البيهقي » ، من حديث هدد بن أبي هالة رضي الله عنه قال : كان جدّ ضحك رسول الله ﷺ التبسم ، ويفتر عن مثل حب الغمام . وعن عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ضحّاكاً بسّاماً . رواه الخرائطي .

(فقال رسول الله ﷺ) بعد أن رفع يديه مستضحياً : (اللهم حوالينا) أي أنزل الغيث حوالى المدينة ، حيث مواضع النبات (ولا) تنزله (علينا) في المدينة ولا غيرها من المباني والمساكن . يقال : حوله ، وحوليه ، وحواليه ، وحواله . زاد في « الصحيحين » وغيرها : اللهم على الآكام ، والظّراب ، وبطون الأودية ، ومنايات الشجر .

قوله : على الآكام - بفتح الهمزة ممدودة - على وزن آصال ، وبكسر الهمزة بغير مد ، على وزن جبال ، فالأول جمع أكم ، ككتب . وفي « المطلع » : الأكمة : مفرد ، جمع أربع مرات : أكم بفتحين ، وبضمتين ، وكأجبل ، وجبال ، وأجبال .

قال القاضي عياض : وهو ما غلظ من الأرض ولم يبلغ أن يكون جبلاً ، وكان أكثر ارتفاعاً مما حوله ، كالتلّول ونحوها .

وقال مالك : هي الجبال الصفار . وقال غيره : هو ما اجتمع من التراب أكثر من الكدى ودون الجبال . وقال الخليل : هي أي الأكمة ، حجر واحد . وقيل : فوق الراية ودون الجبل ، ونحوه في « القاموس » .

قوله : والظّراب : جمع ظرب ككتف ، ما نتأ من الحجارة ، أو الجبل المنبسط ، أو الصغير .

وفي « المطلع » : الظراب : الروابي الصفار . وقال مالك : الجبيل وبطون

الأودية : مجرى المياه منها ، ومنابت الشجر حيث قامت أصول الشجر فيه
ليحصل النفع من غير أن يؤثر ضرراً .

قال أنس رضي الله عنه : (فكشطت) السماء من السحاب (عن) مسامحة
(المدينة) المشرفة ببركة دعاء النبي ﷺ .

قال في « القاموس » : « وإذا السماء كشطت » (١) : قلعت كما يقلع السقف .
قال : والكشط : رفك الشيء عن شيء . قد غشاه ، ومثله القشط . يقال :
انكشطت السماء وتكشطت : أصحت .

وفي « النهاية » في حديث الاستسقاء : فكشط السحاب ، أي تقطع
وتفرق . قال : والكشط والقشط سواء في الرفع والازالة والقلع
والكشف . انتهى .

وفي رواية في « المسند » و « الصحيحين » وعيرهما : فأقلعت ، يعني السماء
لما دعا ﷺ بالاستسقاء .

قال أنس : وخرجنا نحمي في الشمس . قال شريك ابن عبد الله بن أبي
نمر القرشي : وقال الواقدي اللبثي من أنفسهم : فسألت أنساً رضي الله عنه ،
أهو ، يعني الرجل الذي سأل النبي ﷺ لما أكثر المطر الرجل الأول ، أي الذي سأل
الاستسقاء ؟ فقال أنس رضي الله عنه : لا أدري ، لكن في بعض طرق البخاري
ما يدل على أنه الأول ، كما تقدم .

تفہیمات

الأول : دلّ هذا الحديث على مشروعية الاستسقاء ، وهو على ثلاثة أضرب :
أحدها : استسقاء الامام يوم الجمعة على المنبر ، كما في هذا الحديث ، وهذا

(١) سورة التکویر ، الاية : ١١

مذهب أبي حنيفة ، وأنكر صلاة الاستسقاء مع ثبوتها في « الصحاح »
و « السنن » و « المسانيد » .

ولا ينافي مشروعية الصلاة أن يقع مجرد الدعاء في حالة أخرى . وإنما
كان هذا الذي جرى في الجمعة مجرد دعاء بطلب السقيا ، وهو مشروع إذا احتج
إليه ، ولا ينافي مشروعية الصلاة في حالة أخرى إذا اشتدت الحاجة إليها .
وقد خالف أبا حنيفة أصحابه ، فوافقوا الجمهور ، فهذان ضربان .

والثالث : أن يدعوا الله عقب صلواتهم . وفي « الصحيحين » من حديث
أبي محمد عبد الله بن زيد بن عاصم رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ
يستسقي ، فتوجه الى القبلة يدعو ، وحوّل رداءه ، ثم صلى ركعتين جهر فيها
بالقراءة . وفي لفظ : خرج الى المصلى .

وروى أبو داود ، من حديث عائشة رضي الله عنها ، قالت : شكى الناس
الى رسول الله ﷺ قحوط المطر ، فأمر بمنبر فوضع له في المصلى ، ووعد
الناس يوماً يخرجون فيه . قالت عائشة : فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب
الشمس ، فقام على المنبر ، فكبّر ، وحمد الله عز وجل ، ثم قال : « إنكم
شكوتهم جذب دياركم ، واستنخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم الله
عز وجل أن تدعوه ، ووعدكم أن يستجيب لكم » ، ثم قال : « الحمد لله رب العالمين ،
الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله ،
لا إله إلا أنت الغني عن الفقراء ، اللهم أنزل علينا الغيث ، واجعل ما أنزلت لنا
قوة وبلاغاً الى حين » ، ثم رفع يديه فلم يزل في الرفع حتى بدا بياض إبطيه ،
ثم حول الناس ظهره ، وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه ، ثم أقبل على
الناس ، ونزل فصلى ركعتين ، فأنشأ الله سبحانه ، فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت
بإذن الله ، فلم يأت مسجده حتى سالت السيول . فلما رأى صلى الله عليه وسلم

سرعتهم الى الكن ؛ ضحك حتى بدت نواجذه ، فقال : أشهد أن الله على كل شيء قدير ، وأني عبد الله ورسوله .

وروى الامام أحمد ، وابن ماجه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
خرج نبي الله ﷺ يوماً يستسقي ، فصلى ركعتين بلا أذان ولا إقامة ؛ ثم خطبنا
ودعا الله عز وجل ، وحوّل وجهه نحو القبلة رافعاً يديه ، ثم قلب رداءه فجعل
الأيمن على الأيسر ، والأيسر على الأيمن .

وروى الامام أحمد ، من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه قال : خرج
رسول الله ﷺ الى المصلى ، فاستسقى وحوّل رداءه حين استقبال القبلة . وبدأ
بالصلاة قبل الخطبة ، ثم استقبال القبلة فدعا .

الثاني : ممتد مذهب الامام أحمد ، أن لصلاة الاستسقاء خطبة واحدة
بعد الصلاة . قال أبو بكر : انفقوا عن أبي عبد الله ، أن في صلاة الاستسقاء
خطبة وصعوداً على المنبر ، والصحيح أنها بعد الصلاة . وبه قال مالك ، والشافعي ،
ومحمد بن الحسن . قال ابن عبد البر : وعليه جماعة الفقهاء ؛ لقول أبي هريرة
رضي الله عنه : ثم خطبنا ، ولأنها صلاة ذات تكبير ، فأشبهت صلاة العيدين .
قال في «شرح المقنع» : والمشروع خطبة واحدة ، وبهذا قال عبد الرحمن بن مهدي .
وقال مالك ، والشافعي : يخطب خطبتين كخطبتي العيد ، لقول ابن عباس
رضي الله عنهما : صنع رسول الله ﷺ كما صنع في العيد ، ولأنها أشبهتها في صفة
الصلاة ، فكذا في صفة الخطبة . ولنا قول ابن عباس رضي الله عنهما : لم يخطب
النبي ﷺ خطبتكم هذه ، ولكن لم يزل في الدعاء والتكبير ، وهذا يدل على أنه
مافصل بين ذلك بسكوت ولا جلوس ، ولأن كل من تقل الخطبة لم ينقل خطبتين
والصحيح من حديث ابن عباس أنه قال : صلى ركعتين كما كان يصلي في العيد .
الثالث : يستحب أن يدعو بدعاء النبي ﷺ ، ومنه : «اللهم اسقنا غيثاً

مضيئاً هنيئاً مريئاً غدقاً مجللاً سحاً عاماً طبقاً دائماً ، اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم إن بالعباد والبلاد من اللاؤا والجهد والضنك ما لا نشكوه إلا إليك ، اللهم أنبت لنا الزرع ، وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء ، وأنزل علينا من بركاتك ، اللهم ارفع عنا الجهد والجوع والعري ، واكشف عنا من البلاء ما لا يكشفه غيرك .

ويكثر في دعائه من الاستغفار وقراءة آيات تضمنته ، وبالله التوفيق .

الحديث الثاني والستون

١٠٧ - ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
لما سمع المسلمون النبي وهو ينادي على قليب بدر : يا أبا جهل !
يا عتبة بن ربيعة ! يا شيبة بن ربيعة ! يا أمية بن خلف ! هل
وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فاني وجدت ما وعدني ربي
حقاً . قالوا يا رسول الله ! تُنادي قوماً قد جيفوا ، قال :
ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يستطيعون
أن يجيبوا

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لما سمع المسلمون) ممن كان حضر وقعة
بدر العظمى من الصحابة رضي الله عنهم ، وعدتهم ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ،

معه فرس واحدة لقداد بن الأسود ، وقيل : وثانية للزبير بن العوام (النبي)
ﷺ وهو منصوب على أنه مفعول لسمع (وهو ينادي) الواو للحال ، أي في
حال ندائه (على) شفير (قلب) .

قال في « النهاية » : القلب : البئر التي لم تطو ، تذكر وتؤنث . انتهى .
وفي « السيرة الشامية » : قال الأزهري : القلب عند العرب البئر العادية
القديمة ، مطوية كانت أو غير مطوية . قال : وهو مذكر .
وفي « القاموس » : القلب : البئر أو العادية القديمة منها ، ويؤنث ، والجمع
أقلبة وقلب ، بإسكان اللام وضمها . انتهى .

(بدر) وهي قرية مشهورة ، ولم تزل من يومئذ بأهل الاسلام معمورة ،
وهي على نحو أربعة مراحل من المدينة النبوية . قيل : نسبت الى بدر بن خالد بن
النضر بن كنانة . وقيل : الى بدر بن الحارث بن كعدة . وقيل : بدر : اسم البئر
التي بها سميت بذلك ، لاستدارتها ، أو لصفائها ، فكان البدر يرى فيها . وأنكر
ذلك غير واحد من شيوخ بني غفار . وقال : هي ماؤنا ومنازلنا ، وما ملكها
أحد قط يقال له : بدر ، وإنما هو علم عليها ، كغيرها من البلاد . وقال البغوي :
وهو قول الأكثر .

وكان ﷺ يقول في ندائه على شفير قلب بدر : (يا أبا جهل) واسمه
عمرو بن هشام الخزومي ، وكان يكنى : أبا الحكم ، فكانه رسول الله ﷺ بأبي
جهل . قتل يوم بدر ، وكانت في رمضان في الثانية ، قتله ابنا عفراء رضي الله عنها
وقضى ﷺ بسلبه لماذ بن عمرو بن الجوح منها ، والآخر معاذ بن عفراء . وقد
أطلق عليه ﷺ بأنه فرعون هذه الأمة ، ولما التمسوا أبا جهل في القتلى فلم
يوجد ، فمرف ذلك في وجه النبي ﷺ وقال : اللهم لاتمجنني فرعون هذه الأمة .
وقال ﷺ : من ينظر لنا ماصنع أبو جهل ؟ وإن خفي عليكم في القتلى ؟ فانظروا

الى اثر جرح في ركبته ، فاني اردحت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله بن جدعان ونحن غلمان ، وكنت أسن منه ييسير ، فدفعته فوق علي ركبته فججشت^(١) جحشاً لم يزل أثره به ، فالتمس عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، فوجده بآخر رمق . قال : فمرفقه ، وكان مقنماً بالحديد ، واضماً سيفه على فخذه ، ليس به جرح ، ولا يستطيع أن يحرك منه عضواً ، وهو منكب ينظر الى الأرض ، فلما رآه ابن مسعود رضي الله عنه طاف حوله ليقتله ، فأراد أن يضربه بسيفه ، فخشي أن لا يفي سيفه شيئاً ، فأناه من ورائه ، فجعل ينقف^(٢) رأسه بسيفه وهو رث ، فضمعت يد أبي جهل فأخذ سيفه منه وهو جيد ، فرفع رأسه فقال : علي من كانت الدبرة ؟ وفي لفظ : لمن الدابة ؟ قال : قلت لله ورسوله ﷺ ، فأخذت بلحيته وقلت : الحمد لله الذي أخزأك الله يا عدو الله . وفي لفظ : هل أخزأك الله يا عدو الله ؟ قال : بماذا أخزاني ؟ هل أغدر ؟ وفي لفظ : هل عدا ؟ وفي آخر هل أعمد ؟ أي أزيد على رجل قتله قومه ، أو غير أكار قلتي ؟

والأكار : الزراع ، وعنى بذلك الانصار رضي الله عنهم ؛ لأنهم أصحاب زرع ، وأشار بذلك الى تنقيص من قتله ، وقال لابن مسعود رضي الله عنه لما أراد أن يجهز عليه : لقد رقيت مرتقي صعباً يارومي الغنم . قال : فرفمت سائمة الببيضة عن قفاء فضربته فوق رأسه بين يديه . وفي رواية : فوضع رجله على عنقه وقد روى ابن عائذ ، عن قتادة مرسلأ : أن رسول الله ﷺ قال : « إن لكل أمة فرعون ، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل ، قتله شر قتلة ، قتله ابناء عفرات ، وقتله الملائكة ، وذفقه^(٣) ابن مسعود ، فلما جاء ابن مسعود برأس أبي جهل إلى

(١) الجحش : سحق الجلد وقشره من شيء يصيبه ، كالخدش .

(٢) النقف : كسر الهامة عن الدماغ .

(٣) أي أجهزه وأسرع في قتله .

رسول الله ﷺ ، فقال له : يا رسول الله ، هذا رأس أبي جهل فقال ﷺ :
 « الله الذي لا إله غيره » . قال ابن مسعود : وكانت يمين رسول الله ﷺ . قال :
 قلت : نعم والله الذي لا إله غيره ، ثم ألقيت رأسه بين يدي رسول الله ﷺ ، فحمد الله
 الذي أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات ، وخر رسول الله ﷺ ساجداً ، ثم سجد أبو جهل
 وأعيان قتي مشركي قريش ، وألقوا في قلب بدر ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ، فانه
 انتفخ في درعه فلاها ، فذهبوا ليحركوه ، فترايل ، فأقروه وألقوا عليه ماغيه
 من التراب والحجارة . وذكر السهيلي : أن الذي حفر هذه البئر ، يعني التي
 ألقوا فيها ، رجل من بني النار ، فكان ذلك فالاً مقدماً لهم . ولما جيء بأبي جهل
 يُجر إلى القلب . قال رسول الله ﷺ : لو كان أبو طالب حياً لم أن أسافنا
 قد التبت بالأماثل . ولفظ الطبراني وغيره : ولذلك يقول أبو طالب :

كذبتهم ويت الله نبي (١) محمداً	ولما نطاعن حوله ونناضل
ونسله حتى نصرع حوله	ونذهل عن أنبائنا والحلائل (٢)
وينهض قوم في الحديد إلبيكم	نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى يرى ذا الضغن يركب رده	عن الطعن فعل الأنكب المتجامل
ولما لصم الله إن جد ما أرى	لتلتبس أسافنا بالأماثل

قال أهل السير : ولما أمر رسول الله ﷺ بهم أن يلقوا في القلب - كما
 قال ابن إسحاق وغيره - أخذ عتبة ابن ربيعة ، فسحب إلى القلب ، فنظر رسول الله
 ﷺ - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ، فاذا هو كئيب قد تغير .
 فقال : يا أبا حذيفة : لملك قد داخلك من شأن أبيك شيء . فقال : لا والله
 يا رسول الله : ما شككت في أبي ولا في مصرعه ، ولكني كنت أعرف من أبي
 رأياً وحلاً وفضلاً ؛ فكنت أرجو أن يهديه ذلك إلى الاسلام ، فلما رأيت ما أصابه ،
 وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنت أرجو له ؛ أخزني ذلك ، فدعا

(١) أي نسله ونقلب عليه ، أراد : لا يبري ، فعذف لا من جواب القسم ، وهي مرادة .

(٢) الحلائل : الزوجات ، واحدها : حليلة .

له رسول الله ﷺ بخير ، وقال له خيراً . (يا عتبة بن ربيعة) وينادي أخاه شيبه فيقول : (يا شيبه بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف ، وبه يتصل نسبه بنسب النبي ﷺ ؛ فربيعة أخو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وكان عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه من سادات قريش ، وعتبة هو أبو هند أم معاوية رضي الله عنه ، وينادي رسول الله ﷺ على شفير القليب : (يا أمية بن خلف) الجحفي ؛ فان خلف بن وهب ابن حذافة بن جمح ، يجمع نسبه بنسب النبي ﷺ في كعب بن لؤي ، وكان من سادات قريش (هل وجدتم) بعد موتكم (ما وعدكم ربكم) عز وجل (حقاً) من أمر نبوتي وما وعدتم به على لساني ، من أمور الآخرة ، والخزي والنكال المد لأهل الكفر والضلال ؛ (فاني وجدت ما وعدني ربي) من النصر والتأييد ، وإعلاء كلمة أهل الايمان والتوحيد (حقاً) لا مزية فيه ، ولا زوال عنه ، ولا شك بعترية .

(قالوا) ، أي الصحابة الكرام ممن كان في ذلك المقام : (يا رسول الله) كيف (تنادي قوماً قد جيئوا) أي صاروا جثثاً مروحة لمفارقها أرواحها ؛ فهم جيف منتنة ، وأجساد مروحة لا أرواح فيها ولا إدراك لها .

(قال) ﷺ : (ما أنتم) مشر الأحياء (بأسمع لما أقول) من حقيقة ما وعدم الله ووعدني منهم ، لأن السر صار عندهم علانية ، واطلعوا من أمور الآخرة ما لا اطلعهم عليه بعد ، وإن كنتم على غاية من الايمان والتصديق ، إلا أنه ليس الخبر كما كعيان (منهم) بل هم يسمعون كلامي كما تسمعون ، ويعلمون حقيقة ما أقول لهم في مقامي كما تعلمونه (ولكنهم لا يستطيعون) أي لا يقدرُونَ (أن يجيبوا) سؤالي وأنتم تستطيعون .

وفي « الصحيحين » من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن أبي طلحة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه كان إذا ظهر على قوم أقام بالمرصة ثلاث

ليال . وفي لفظ : أنه ﷺ أمر بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريش ، فألقوا في طوى من طوى بدر خبيث مخبث ، فلما كان اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ، ثم مشى واتبه أصحابه . قالوا : ما نرى ينطلق إلا ابعض حاجته ، حتى قام على شفة الرءى (١) فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم ، يا فلان ابن فلان يا فلان بن فلان ! أيسركم أنكم أطعم الله ورسوله ؟ فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؟ فقال عمر رضي الله عنه : يا رسول الله ! ما تكلم من أجساد لا أرواح لها ؟ فقال النبي ﷺ : « والذي نفس محمد بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » .

قال قتادة : أحياهم الله عز وجل حتى أسمعهم قوله تويخاً وتصغيراً وقمة وحسرة وندماً ، واللفظ الذي ذكره الامام أحمد من حديث أنس ، أخرجه مسلم أيضاً بلفظه ، وفي آخره : فسمع عمر رضي الله عنه قول النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! كيف يسمعون ، أو أتى يحييون وقد جيئوا . قال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، ولكنهم لا يقدرُونَ أن يحييوا » .

وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : وقف النبي ﷺ على قلب بدر ، فقال : « هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟ » ثم قال : « إنهم الآن يسمعون ما أقول لهم » : فذكر لمائشة فقالت : إنما قال : « إنهم ليعلمون أن الذي كنت أقول لهم هو الحق » ثم قرأت : « إنك لا تسمع الموتى » (٢) حتى قرأت الآية . وفي رواية عند الامام أحمد عن عائشة ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أنتم بأفهم لقولي منهم ، أو « لهم أفهم لقولي منكم » .

والحاصل : أن الرواية بقوله ﷺ : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » ،

(١) قال في اللسان : الركي : جنس للركية ، وهي البئر ، وجهه ركي وركايا .

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٠ .

صحيحة ، والأخبار بذلك صريحة ، وقد نقلها الجم الفقير ، والجمع الكثير ، ورويت عن عدة من أصحاب البشير النذير ، فمن كان حاضراً ذلك المقام العظيم الخطير ، وصرح بالسماح كما في « السنن » ، و « المسند » ، و « الصحيح » ؛ فلا جرم هو حق صحيح ، ونبأ ثابت صريح ، ولذا قال الحافظ السيوطي رحمه الله تعالى :

سماع مولى كلام الخلق سلمه جاءت به عندنا الآثار في الكتب

وآية النبي ، معناها سماع هدى ، لا يقبلون ولا يصفون للأدب ، فقد اتفق عمر ، وأبو طلحة ، وابن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، أن رسول الله ﷺ لما قال له المسلمون : يا رسول الله ! كيف تخاطب أمواتاً ، فقال : « والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . والثلاثة الأول شاهدوا القصة وحضروها ، وسموا هذا الكلام من خير الأنام نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم السلام . ولفظ ابن مسعود رضي الله عنه ، قال : يسمعون كما تسمعون ، ولكن لا يجيبون . رواه الطبراني بإسناد صحيح .

قال الاسماعيلي : كان عند عائشة رضي الله عنها من الفهم والذكاء وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه ، لكن لا سبيل الى رد كلام الثقة إلا بنص يدل على نسخه ، أو تخصيصه ، أو استمالته ؛ فكيف والجمع بين الذي أنكرته وأثبتته غيرها ممكن ؛ لأن قوله تعالى : « إنك لا تسمع الموتى » (١) لا ينافي قوله ﷺ : « إنهم الآن يسمعون » ، لأن الاسماع هو إبلاغ الصوت من المسمع في آذان السامع ، والله تعالى هو الذي أسمعهم ، بأن أبلغهم صوت نبيه ﷺ .

وأما روايتها : أنه ﷺ إنما قال : « إنهم ليعلمون » . فإن كانت سمعت ذلك ؛ فلا ينافي روايته : يسمعون ، بل يؤيدها .

قال البيهقي : العلم لا يمنع من السماع ، على أن الامام أحمد ، روى بأسناد حسن ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنه ﷺ قال : « ما أنتم بأسمع لما أقول منهم » . ورواه ابن اسحاق في « المغازي » ، من رواية يونس بن بكير ، بأسناد جيد . فإن كان محفوظاً ، فكأن عائشة رضي الله عنها رجعت عن الانكار ، لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة ؛ لكونهم شهدوا القصة دونها رضي الله عنهم .

وقال الامام الحق ابن القيم في كتابه « الروح » : قول الصحابة رضي الله عنهم للنبي ﷺ في قتلى بدر : كيف نتخاطب قوماً قد جيئوا ، مع إخباره بسماعهم كلامه . قال : فالتخاطب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد التي قد فسدت ؛ فإن الله تعالى قد رد أرواحهم إلى أجسادهم ذلك الوقت رداً يسمون به خطاباً ، والأجساد قد جيئت ؛ فالتخاطب للأرواح المتعلقة بتلك الأجساد .

قال : وأما قوله تعالى : « وما أنت بمسمع من في القبور » ،^(١) فسياق الآية يدل على أن المراد منها أن الكافر ميت القلب ، لا يقدر على إسماعهم كما أن من في القبر لا يقدر على إسماعهم سمعاً ينتفون به ، ولم يرد سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئاً البتة ، كيف وقد أخبر النبي ﷺ أنهم يسمعون خفق نعال المشيمين ، وأخبر أن قتلى بدر يسمون كلامه وخطابه ، وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع ، وأخبر أن من سلم على أخيه المؤمن رد عليه السلام ، وهذه الآية نظير قوله : « إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين » ،^(٢) .

وقد يقال : نفي إسماع الصم مع نفي إسماع الموتى ، يدل على أن المراد عدم

(١) سورة فاطر ، الآية : ٢٢

(٢) سورة النمل ، الآية : ٨٠

أهلية كل منها للسمع ، وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماً كان إسماعها ممتنعاً ، بمنزلة خطاب الميت والأصم ، وهذا حق ، ولكن لا ينفي إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تملقها بالأبدان في وقت ما ، فهذا غير الإسماع المنفي .

قال : وحقيقة المعنى : أنك لا تستطيع أن تسمع من لم يشأ الله أن يسمعه ، إن أنت إلا نذير ، إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذي كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه ، وأطال الاستدلال على مثال هذا المنوال ، والله ولي الفضل .

الحديث الثالث والستون

١٠٨ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : يامعشر الانصار ! ألم آتكم ضلّالاً فهذاكم الله بي ، ألم آتكم متفرقين فجمعكم الله بي ، ألم آتكم أعداء فألّف الله بين قلوبكم . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : أفلا تقولون : جئتنا خائفاً فأمنّاك ، وطريداً فأوينّاك ، ومخذولاً فنصرناك . فقالوا : بل الله المنّ علينا ورسوله .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ) لما أصاب غنائم حنين ، وقسم للمؤلفين من قريش وسائر العرب ما قسم . وفي رواية : قسم في المهاجرين

والطلاق . وفي رواية : طفق يغطي رجالاً المائة من الابل ، ولم يغط الأنصار شيئاً وجد^(١) هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت فيهم القالة ، فقالوا : إذا كانت الشدة فنحن ندعى ، ويعطي الغنائم غيرنا ؟ حتى قال قائلهم : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، إن هذا هو العجب ؛ يغطي قريشاً . وفي لفظ : الطلقاء والمهاجرين ، ويتركنا تقطر سيوفنا من دماهم ! وددنا أن نعلم بمن كان هذا ؟ فان كان من أمر الله صبرنا ، وإن كان من رأي رسول الله ﷺ استعبتناه . وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند الامام أحمد وابن اسحاق : فقال رجل من الأنصار لاصحابه : لقد كنت أحدثكم أن لو استقامت الأمور لقد آثر عليكم ، فردوا عليه رداً عنيفاً .

قال أنس رضي الله عنه ، كما في « الصحيحين » و « المسند » وغيرها : فحدث رسول الله ﷺ بمقاتلتهم . وفي لفظ : فبلغه رسول الله ﷺ ذلك .

وفي حديث أبي سعيد : فشى سعد بن عباد إلى رسول الله ﷺ ، فقال : يا رسول الله ! إن هذا الحي من الأنصار ، قد وجدوا عليك في أنفسهم . قال : فيم ؟ قال : فيما كان من قسمك هذه الغنائم . فقال رسول الله ﷺ : « فأين أنت يا سعد ؟ » فقال : ما أنا إلا امرؤ من قومي . فقال رسول الله ﷺ : « فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . » وفي لفظ : القبة « فاذا اجتمعوا فاعلني » فخرج سعد بصرخ فيهم حتى جمعهم في تلك الحظيرة . وفي حديث أنس : فأرسل رسول الله ﷺ إلى الأنصار ، فجمعهم في قبة من آدم ، ولم يدع غيرهم ، فجاء رجل من المهاجرين فأذن له فيهم ، فدخل ، وجاء آخرون فردم ، حتى إذا لم يبق من الأنصار أحد إلا اجتمع له ، أنه سعد فقال : يا رسول الله ! قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار حيث أمرتني أن أجمعهم ، فخرج رسول الله ﷺ إليهم ، فقال : « هل فيكم أحد من غيركم » . قالوا :

(١) أي غضب .

لا يارسول الله ! إلا ابن أختنا . قال ﷺ : « ابن أخت القوم منهم » .

قال ابن البلقيني في « مباهات » : هذا هو النعمان بن مقرن كما رواه أحمد بن منيع في « مسنده » من حديث أنس بن مالك ، قال شعبه : عن معاوية بن قرة . قال قلت له : أسمعت أنساً يحدث عن النبي ﷺ أنه قال في النعمان بن مقرن : « ابن أخت القوم منهم » ، أو من أنفسهم ؟ . قال : نعم . فقام رسول الله ﷺ خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم (قال : يا مشر الانصار) .

قال في « القاموس » : المشرك كسكر : الجماعة ، وأهل الرجل . والآنصار : جمع ناصر ، كأصحاب وصاحب ، أو جمع نصير ، كأشراف وشريف ، واللام فيه للهد ، أي أنصار رسول الله ﷺ ، والمراد الأوس والخزرج ، وكانوا قبل ذلك يعرفون بابني قيلة ، اسم امرأة ، بقاف مفتوحة ، وباء تحتانية ساكنة ، وهي الأم التي تجمع القبيلتين ، فسماهم النبي صلى الله عليه وسلم الآنصار ، فصار علماً عليهم ، وأطلق ذلك على أولادهم وحلفائهم ومواليهم ، وخصوا بهذه المنقبة العظمى لما فازوا به دون غيرهم من القبائل ؛ من إيواء النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه ، وإتيانهم بأمرهم ، ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم ، وإيثارهم إياهم في كثير من الأمور على أنفسهم ؛ فكان صنعم ذلك موجباً لمعاداتهم جميع الفرق من عرب وعجم ، وكان ما اختصوا به مما ذكر موجباً للحسد ، وهو يحجر البغض ؛ فلهذا جاء التحذير من بغضهم ، والترغيب في حبهم ، حتى جعل ذلك آية الإيمان والنفاق ، كما تقدم — تنوياً بعظم فضلهم ، وتنبيهاً على كريم فعلهم — في شرح الحديث الأول من « مسند أنس » رضي الله عنه (ألم) استفهام تقرير (أنكم) في حال كونكم (ضلّالاً) - بضم الضاد المعجمة ، وتشديد اللام الأولى - أي بالشرك وعبادة الأوثان ، جمع ضال ، وهو الضائع ،

والضلال ضد الهدى (فهذا كم الله) سبحانه وتعالى (بي) فكنت السبب في إقناذكم من الضلال العظيم الى الهدى ، الى الصراط المستقيم . والهداية : الدلالة سواء أوصلت الى المطلوب أو لا .

قال الامام ابن القيم في كتابه « بدائع الفوائد » : الهداية أربعة أنواع : أحدها : الهداية العامة المشتركة بين الخلق ، المذكورة في قوله تعالى : « الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى » (١) . أي أعطى كل شيء صورته التي لا يشبه فيها بغيره ، وأعطى كل عضو شكله وهيئته ، وأعطى كل موجود خلقه المختص به ، ثم هداه الى ما خلقه له من الأعمال ، وهذه الهداية تتم هداية الحيوان المتحرك برادته ، الى جلب ما ينفعه ودفع ما يضره . وكل شيء له هداية تليق به وتخصه ، من الحيوان والاعضاء وغيرها .

الثاني : هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي (٢) الخير والشر ، وطريقي النجاة والهلاك ، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام ؛ فانها سبب وشرط ، لا موجب . ولهذا ينتفي الهدى منها ، كقوله تعالى : « وأما نوح فهديناها فاستجبوا أسمى على الهدى » (٣) ، أي يبتأ لهم وأرشدناهم ودللناهم ؛ فلم يهتدوا ، ومنه قوله : « وإنك تهدي الى صراط مستقيم » (٤) .

الثالث : هداية التوفيق والالهام ، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء ؛ فلا يتخلف عنها ، وهي المذكورة في قوله تعالى : « يضل من يشاء ويهدي من يشاء » (٥) . وفي قوله تعالى : « إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل » (٦)

(١) سورة طه ، الآية : ٥٠

(٢) النجد : الطريق المرتفع ، ومنه قوله تعالى : « وهديناها النجدين » أي : طريق

الخير وطريق الشر . (٣) سورة فصلت ، الآية : ١٧

(٤) سورة الشوري ، الآية : ٥٢ (٥) سورة البقرة ، الآية : ٢٦

(٦) سورة النحل ، الآية : ٣٧

وفي قول النبي ﷺ : « من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . » وفي قوله تعالى : « إنك لا تهدي من أحببت » (١) فنفي عنه الهداية وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله : « وإنك تهدي الى صراط مستقيم » (٢) ، ومن هذا النوع ما في الحديث .

الرابع : غاية هذه الهداية ، وهي الهداية الى الجنة والنار إذا سبق أهلها إليها . قال تعالى : « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم » (٣) وقال أهل الجنة فيها : « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » (٤) انتهى ملخصاً .

قال المحققون من أهل الكلام والنظار : الهداية : الدلالة بلطف ، ولهذا تستعمل في الخير . وأما قوله تعالى : « فاهدوم الى صراط الجحيم » (٥) فهكم . وهداية الله تعالى تنوع أنواعاً لا يحصوها عد ، كما قال تعالى : « وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها » (٦) ، وبالله التوفيق . (ألم آتكم) في حال كونكم (متفرقين) يضرب بعضهم بعضاً ، ويقتل بعضهم بعضاً ، وقد كان بين هذين الحيتين : الأوس والخزرج ، من المداوة والحروب ما هو مشهور في كتب المتقدمين ، ولهم أيام مخبورة ووقعات مسطورة ، ومن ذلك يوم بُعث ، بضم الموحدة وعين مهملة على المشهور . وحكي عن الخليل بالمعجمة ؛ وقيد الأصيلي بالوجهين ، وعند القاسبي بنين معجمة ، وآخره ثاء مثلثة بلا خلاف ، وهو موضع من المدينة على ليلتين ، وقد امتن الله على رسوله ﷺ في قوله : « هو الذي أيدك بنصره »

(١) سورة القصص ، الآية : ٥٦ (٢) سورة الشورى ، الآية : ٥٢

(٣) سورة يونس ، الآية : ٩ (٤) سورة الأعراف ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الصافات ، الآية : ٢٣ (٦) سورة ابراهيم ، الآية : ٣٤

والمؤمنين وألف بين قلوبهم ، (١) مع ما فيهم من العصبية والضغائن في أقدارهم ،
 والتهالك على الانتقام ، بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان ، حتى صاروا كنفس
 واحدة ، وهذا من معجزاته ﷺ وبيانه . قال الله تعالى : « لو أنفقت ما في
 الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم » (٢) لتناهي عداوتهم ، والاحن والضغائن
 الكائنة بينهم ، ولكن الله ألف بينهم بقدرته البالغة ، لأنه المالك للقلوب ، بقلبها
 كيف يشاء إنه عزيز حكيم ؛ فزلت هذه الآية الامتتان على سيد ولد عدنان في
 تأليف الله تعالى بين قلوب الأوس والخزرج ، لما كان بينهم من الاحن التي
 لا مدى لها ، والوقائع التي هلكت فيها ساداتهم ، فأنسام الله تعالى ذلك ، وألف
 بينهم بالاسلام حتى تصادقوا وصاروا أنصاراً ؛ ولهذا قال لهم النبي ﷺ : (جتمع
 الله) تعالى (بي) بعد الفقرة العظيمة ، ثم قال ﷺ لهم : (ألم آتكم) في حال
 كونكم (أعداء) أي بمضكم عدو لبعض ، بل بينكم من المداوة والبغضاء
 ما خرج عن حد الاحصاء (فألف الله) تعالى (بين قلوبكم) بي ، فصرتم
 كنفس واحدة ، وأضاف الفعل الى الله تعالى : لأنه الفاعل الحقيقي ، والنبي
 ﷺ سبب ذلك كله . وزاد في رواية : وعالة فأغناكم الله (قالوا : بلى يا رسول
 الله) وفي رواية : فما قال رسول الله ﷺ شيئاً إلا قالوا : الله ورسوله أمن ،
 أي أعظم منة ، وأكثر نعمة ، ثم (قال) رسول الله ﷺ لهم : (أفلا تقولون)
 أنتم (جئتنا) أنت في حال كونك (خائفاً فأمشاك) بمناصرتنا لك ، وقيامنا
 بنصرتك (و) جئتنا (طريداً) من بلدك ، قد آذاك قومك وطرودك . يقال :
 أطرده السلطان ، وطرده ، إذا أخرجه عن بلده . وحقيقته : أنه صيره طريداً ،
 وطردت فلاناً طريداً ، إذا أبعدته ؛ فهو مطرود وطريد (فأوبناك) ومن ممك

(١) سورة الأنفال ، الآيتان : ٦٢ و ٦٣

(٢) سورة الانفال ، الآية : ٦٣

من معك من المهاجرين ، وآثرناكم على أنفسنا وأهلينا . والايوآء ممدود : الدخول الى المسكن ، أي آويناك الى منازلنا ، وضمنا شملك بأصحابك ، فصار لكم في المدينة مواطن ومساكن تأوون اليها (و) جئتنا (مخذولاً) غير منصور . يقال : خذله خذلاً وخذلاً بالكسر ، ترك نصرته (فنصرناك) على من عاداك ووازرناك على من ناوأك ، كما قال تعالى : « والذين آووا ونصروا » (١) (فقالوا) أي قال فقهاء الأنصار ومنكلموهم للنبي ﷺ : (بل) إضراب عما قال صلى الله عليه وسلم ، وعدد من أيديهم ومنهم (لله) سبحانه وتعالى (المن) علينا ولرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، إذ هدانا الله تعالى به الى الدين القويم ، والصراط المستقيم . والمن - بفتح الميم ، وتشديد النون - المطاء والاحسان ، ومن أسمائه تعالى : المَنَّان ، وهو المنعم المطي من المن الذي هو المطاء ، لا من المِنَّة ، كما في النهاية ، وهو من أبنية المبالغة ، كالفأك والوهاب . والمن من غير الله مذموم ، بل هو من الكبار ، ويبطل به الثواب ، وهو تعداد ما أحسن به وأعطاه . والمَنَّان الذي لا يعطي شيئاً إلا منته ، واعتد به على من أعطاه ، وهو مذموم ؛ لأن المنة تفسد الضميمة . وفي رواية : أن النبي ﷺ قال للأنصار : « ألا تحببون يا معشر الأنصار ، قالوا : وما تقول يا رسول الله ! وماذا نحببك ؟ المن لله تعالى ولرسوله ﷺ قال : « والله لو شتمت لقتلتم ، فصدقتم وصدقتم ، جئتنا طريداً فأويناك ، وعائلاً فأسيناك ، وخائفاً فأمنناك ، ومخذولاً فنصرناك ، ومكذباً فصدقناك . قالوا : المن لله تعالى ولرسوله . فقال ﷺ : « ما حديث بلغني عنكم ، فسكتوا ، فأعاد عليهم ذلك . فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا فلم يقولوا شيئاً ، وأما أناس منا حديثه أسنانهم ، قالوا : يغفر الله تعالى لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ؟ ! فقال ﷺ : « إني

لأعطي رجالاً حديثي عهد بكفر فأتألفهم^(١) . وفي رواية : أن قريشاً حديثوا عهد بمجاهلية ومصيبة ، وإنني أردت أن أجبرهم وأتألفهم ، أوجدتم^(٢) يا معشر الانصار في نفوسكم في لعاعة من الدنيا ألفت بها قوماً أسلموا ، وولكنكم الى ما قسم الله لكم من الاسلام . والألماعة - بضم اللام وبمعنيين مهملتين - بقلة خضراء ناعمة ، شبه بها زهرة الدنيا ونسيمها في قلة بقاءها ، والتألف : الإدارة والائناس ليدوموا على الاسلام رغبة فيما يصل اليهم من المال ، ثم قال ﷺ : وأفلا ترضون يا معشر الانصار أن يذهب الناس الى رحالهم بالشاة والبمير . وفي لفظ : بالدنيا ، وتذهبون رسول الله ﷺ الى رحالكم تحوزونه الى بيوتكم ، فوالله لا تغلبون به خير مما ينقلبون به ، فوالذي نفسي بيده ، لو أن الناس سلكوا شعباً ، وسلكت الانصار شعباً ؛ اسلكت شعب الانصار ، أنتم الشعار والناس دثار ، الانصار كرشى وعبيتي ، ولولا الهجرة لكنت امرأة من الانصار ، اللهم ارحم الانصار ، وأبناء الانصار ، وأبناء أبناء الانصار ، فبكي القوم حتى أخضلوا لحام ، وقالوا : رضينا بالله ورسوله ؛ حظاً وقسماً : وذكر الواقدي : أن رسول الله ﷺ أراد حين دعاهم أن يكتب لهم بالبحرين يكون لهم خاصة بعده دون الناس ، وهي يومئذ أفضل ما فتح عليه من الأرض ، فأبوا وقالوا : لا حاجة لنا بالدنيا بعدك . فقال رسول الله ﷺ لهم : إنكم ستجدون بعدي أثره شديدة ، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض .

قوله : أنتم الشعار والناس دثار . الشعار - بكسر الشين المعجمة فمعين مهملة - الثوب الذي يلي الجسد . والدثار - بكسر الدال المهملة وبالتاء المثناة - ما يجمل فوق الشعار ، أي إن الانصار بطائفة وخاصته الذين يلونه ، وإنهم أحق الناس به وأقربهم اليه ، وهو تشبيه بليغ .

(١) في الاصل : فالفهم .

(٢) أي أغضبتم .

وقوله: الانصار كرهني وعييتي، أي بطاقتي وموضع سري، وتقدم شرحه في الحديث الاول من « مسند أنس » رضي الله عنه .

وقوله : حتى أخضلوا لحام - بفتح الهمزة وسكون الخاء وفتح الضاد المجنين - أي بلثوها بالدموع .

وقوله : ستجدون بعدي أثره - بفتح الهمزة ، وسكون ، والياء المثلثة ، وبضم الهمزة وسكون المثلثة أيضاً وبفتحتين ، ويجوز كسر أوله مع إسكان ثانيه - أي يستأثر عليكم بما لكم فيه حق ، والمراد يعطي غيركم أكثر منكم ، ويفضل غيركم عليكم .

وقوله : تلقوني على الحوض ، أي يوم القيامة ؛ فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم ، وتظهر حينئذ مزييتكم على غيركم مع ما يحصل لكم من اثواب الحزب على الصبر الجميل ، وبالله التوفيق .

الحديث الرابع والستون

١٠٩ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : لما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر ، خرج فاستشار الناس ، فأشار عليه أبو بكر ، ثم استشارهم ، فأشار عليه عمر ، فسكت . فقال رجل من الانصار : إنما يريدكم . قالوا : يا رسول الله ! والله لا نكون كما قالت بنو إسرائيل لموسى ، ولكن والله لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد لكنا معك .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : لما سار رسول الله ﷺ الى غزوة بدر) وهي الوقعة العظمى التي أعز الله تعالى بها الاسلام ، ودمغ الكفر ، ووقع عبدة الأوثان والأصنام .

(خرج) رسول الله ﷺ من المدينة في رمضان .

قال ابن سعد : يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت منه . وقال ابن هشام : لثمان ، وضرب عسكره يثرب أبي عتبة - بكسر العين وفتح النون - بلفظ واحدة العنب المأكول ، وهي على ميل من المدينة ، فمرض أصحابه ، ورد من استنصر منهم ، ودفع لواءه الى مصعب بن عمير رضي الله عنه ، وكان أبيض ، وبين يدي رسول الله ﷺ رايتان سوداوان .

إحدهما : مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، يقال لها : العقاب :
والأخرى : مع بعض الأنصار .

وقال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب ، ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . وجزم بهذا الامام ابن القيم في « الهدى » .

واستخلف رسول الله ﷺ ابن أم مكتوم على الصلاة بمن في المدينة ، وكان مع الصحابة يومئذ سبعون يميزاً يتقبونها ، وكان معهم فرسان : فرس المقداد ابن الأسود ، وفرس للزبير بن العوام . وزاد بعضهم : ثلاثة لمرثد الضوي .

ولما سار رسول الله ﷺ ، صام يوماً أو يومين ، ثم نادى : إني مفطر فأفطروا ، فلما استقبل الصفراء ، تركها بيسار ، وسلك ذات اليمين ، على وادٍ يقال له : ذفران ، ثم نزل وأناه الخبر بمسير قريش ليمنعوا عيرهم .

(فاستشار) ﷺ (الناس) أي طلب المشورة منهم ؛ إمثالا لقوله تعالى :
« وشاورهم في الأمر » ، (١) .

قال ابن الجوزي في قوله تعالى : « وشاورهم في الأمر » ، (١) معناه : استخرج
آراءهم واعلم ما عندهم . ويقال : إنه من شرت المسل : اذا استخرجته من
الخليه ، وأنشدوا :

وقاسمها بالله حقاً لأنتم
قال الزجاج : يقال : شاورت الرجل مشاورة وشواراً ، والاسم :
المشورة ، وبمضمهم يقول : الشورة . ومعنى قولهم : شاورت فلاناً : أظهرت
ما عندي وما عنده ، وشرت الدابة اذا اتحننتها ، فعرفت هيشتها في سيرها ، وشرت
المسل اذا أخذته من مواضع النحل ، وعسل مشار .
قال الأعشى :

كان القرنفل والزنجبيل باتا بفها وأرياً مشاراً (٢)
والأري : المسل .

قال ابن الجوزي : اختلف العلماء ، لأي معنى أمر الله نبيه ﷺ بمشاورة
أصحابه رضي الله عنهم ، مع كمال رأيه وتدييره . فقيل : ليستن به من بمده ،
قاله الحسن ، وسفيان بن عيينة . وقيل : لتطيب قلوبهم ، قاله قتادة ، والزيبي ،
وابن إسحاق ، ومقاتل .

وقال الشافعي : نظير هذا قوله : البكر تستأمر في نفسها ، إنما أراد
استطابة نفسها ، فانها لو كرهت كان للأب أن يزوجه ، وكذلك مشاورة إبراهيم
لابنة عليها السلام حين أمر بذبحه .

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٥٩ (٢) في الاصل : وأري مشاراً

قال ابن الجوزي : من فوائد المشاورة أن المشاور إذا لم ينجح أمره ؛ علم أن امتناع النجاح محض قدر ؛ فلم يلم نفسه .

ومنها : أنه قد يعزم على أمر يتبين له الصواب في قول غيره ، فيعلم عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح .

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر من استغنى برأيه . والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم . وقال بعض الحكماء : ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ، ولا حصنت النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر .

واعلم أن النبي ﷺ إنما أمر بمشاورة أصحابه فيما لم يأت فيه وحي . وعمهم بالذكر ، والمقصود أرباب الفضل والتجارب منهم .

قال القاضي أبو يعلى : أمر بمشاورتهم في أمر الدنيا ، والاصح : والدين : وقرأ ابن مسعود : وشاورم في بعض الأمر .

وذكر ابن عبد البر الخبر : المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « ماشاور قوم إلا هدام الله لأرشد أمورهم » . والمروي عنه أيضاً : « لن يهلك امرؤ عن مشورة » . والخبر المشهور : « المستشار مؤتمن » . رواه الترمذي من حديث أم سلمة رضي الله عنها . ومن حديث أبي هريرة ، رواه الإمام أحمد ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه . قال ابن مفلح في « الآداب » : هو حديث جيد الاسناد .

قال الحسن البصري رحمه الله : إن الله لم يأمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه حاجة منه إلى رأيهم ، ولكن أراد الله أن يعرفهم مافي المشورة من البركة . وعن النبي ﷺ قال : « من نزل به أمر فشاور فيه من هو دونه تواضعاً عزم له على الرشد » .

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : شاور في أمرك من يخاف الله عز وجل . وكان أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب رضي الله عنه يقول : رأي الشيخ خير من مشيد السلام . ومر حارثة بن زيد بالأخنف بن قيس رضي الله عنه ، فقال : لولا أنك عجلان لساورتك في بعض الأمر . قال : يا حارثة ! أجل : كانوا لا يشاورون الجائع حتى يشبع ، والمطشان حتى ينقع ^(١) ، والاسير حتى يطلق ، والمضل حتى يجد ، والراغب حتى يمنح .

وكان يقال : استشر عدوك العاقل ، ولا تستشر صديقك الأحمق ، فإن العاقل يتقي على رأيه الزلل ، كما يتقي الورع على دينه الحرج .
وكان يقال : لا تدخل في رأيك بخيلاً فيقصر فملك ، ولا جباناً فيخوفك مالا يخاف ، ولا حريصاً فيبعدك عما ترجى .
قال الشاعر :

إن اللبيب إذا تفرق أمره فتق الأمور مناظراً ومشاوراً
وأخو الجهالة يستبد برأيه فتراه يمتسف الأمور مخاطرأ
وفي « سنن ابن ماجه » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها مرفوعاً :
« إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه » . وفي « معجم الطبراني الصغير » من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « ما خب من استخار ، ولا ندم من استشار ، ولا عال من اقتصد » . فلكايات القرآنية ، والأخبار النبوية ؛ استشار خير البرية أصحابه عند مسيره للقاء أعدائه (فأشار عليه أبو بكر) الصديق رضي الله عنه (ثم استشارهم) ثانياً (فأشار عليه) عليه السلام (عمر) الفاروق رضي الله عنه .
وفي رواية : أنه عليه السلام استشار الناس ، فتكلم المهاجرون فأحسنوا ، ثم استشارهم .

وفي رواية : فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر

(١) يقال : نقع الماء العطش ، أي سكنه .

ابن الخطاب رضي الله عنه فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن الأسود رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله فنحن معك ، والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكم مقاتلون ، عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ، والذي بعثك بالحق : لو سرت بنا برك النجاد لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فأشرك وجه رسول الله ﷺ وقال له خيراً ، ودعاه . وذكر موسى بن عقبة وابن عابد : أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله : إنها قريش وعزها ، والله ما دلت منذ عزت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لتقاتلنك ، فتأهب لذلك أهبة ، وأعد لذلك عدته (فسكت) رسول الله ﷺ ، ثم استشارهم ناكثاً (فقال رجل من الانصار) رضي الله عنهم : (إنما يريدكم) يامشتر الانصار . وفي رواية : ففهمت الانصار أنه يعينهم ، وذلك أنهم عدد الناس ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه وجزاه خيراً ، فقال : وفي رواية الامام (قالوا) أي الانصار ، والمراد بعضهم ، وقد فهم أنه سعد بن معاذ (يا رسول الله) كأنك تمرّض بنا . قال : أجل ، وإنما عناء لانهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم ، فاستشارهم ليعلم ما عندهم ، فقال سعد رضي الله عنه : يا رسول الله ! قد آمانا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ؛ فامض لما أردت ، ولعلك يا رسول الله تحشى أن تكون الانصار ترى عليها أن لا ينصروك إلا في ديارهم ، وإني أقول عن الانصار وأجيب عنهم ؛ فاطمن حيث شئت ، وصل جبل من شئت ، واقطع جبل من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، وأعطنا ما شئت وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت ، وما أمرت فيه من أمر ، فأمرنا تبع لأمرك (والله لانكون كما قالت بنو إسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (لموسى) بن عمران عليه السلام لما قال لهم : د يا قوم ! ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على

أدباركم فتقبلوا خاسرين ، قالوا : يا موسى إن فيها قوماً جبارين ، وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فإن يخرجوا منها فإنا داخلون. قال رجلان من الذين يخافون ، وهما (١) كالب ويوشع : « أنعم الله عليها ، بالإيمان والتثبت - : » وادخلوا عليهم الباب ، فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ، وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين قالوا : يا موسى إنا لن ندخلها ، أي بيت المقدس « أبداً ما داموا فيها ، فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ، » (٢) قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله ، وعدم مبالاهم بها ، وقصة ذلك مشهورة (ولكن) تقول : « اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم متبعون ، » (والله لو ضربت أكبادها) أي الابل ، والأكباد جمع كبِد بالفتح والكسر وككتف - مؤنثة ، وقد يذكر وهي معروفة ، وكبِد كل شيء وسطه ، والجوف بكاله .

وفي « القاموس » : نضرب إليه أكباد الابل ، أي يرحل إليه في طلب العلم وغيره (حتى تبلغ) في سيرك (برك الغنم) زاد في رواية : من ذي يمن (لكننا معك) وفي رواية : فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان ، والله لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى عدونا غداً ، إنا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، ولعلك خرجت لا أمر فأحدث الله غيره ، فسر بنا على بركة الله ، فنحن على يمينك وشمالك ، وبين يديك وخلفك ، فأشرق وجه رسول الله ﷺ ، وسر بقول سعد رضي الله عنه .

وبرك الغنم - بفتح الباء لاكثر الرواة ، وبعض الرواة : بكسر ها ، وهو موضع في أقاصي هجر ، قاله في « المطالع » .

وقال النووي : ذكر جماعة من أهل اللغة بالكسر لا غير .

(١) في الاصل : وم ، وهو خطأ . (٢) سورة المائدة ، الايات : ٢١ - ٢٥

قال الزمخشري : هو من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل
نما يلي البحر .

والغناد - بضم النين المعجمة وبالذال المهملة .

وفي « القاموس » بتثنية النين ، والفتح عن الفراء^(١) : موضع في أقصى
معمور الأرض ، و« غندان ، كعثان ، قصر في اليمن ، بناء يشترخ بأربعة
وجوه : أبيض ، وأحمر ، وأصفر ، وأخضر . وبني داخله قصراً تسمة سقوف
ين كل سقفين^(٢) أربعون ذراعاً ، قاله في « القاموس » .

وفي « النهاية » : غندان - بضم النين وسكون الميم - البناء العظيم بناحية
سنة اليمن . قيل : هو من بناء سليمان عليه السلام .

تنبية : وقع في « صحيح مسلم » و « سنن أبي داود » من حديث أنس
رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان . قال :
فتكلم أبو بكر ، فأعرض عنه ، ثم تكلم عمر رضي الله عنه ، فأعرض عنه ، فقام
سمد بن عباد رضي الله عنه ، فقال : إنا نريد يا رسول الله ، والذي نفسي بيده ،
لو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغنادر لقمطنا ، فندب رسول الله ﷺ
الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بيدر ، وذكر الحديث .

قال ابن سيد الناس في « عيون الآثار » : وهذا القول إنما يعرف عن سمد
ابن معاذ ، كما رواه ابن عقبة ، وابن إسحاق ، وابن سمد ، وابن عائذ ، وغيرهم .
والصحيح عند أهل السير والمغازي : أن سمد بن عباد لم يشهد بدرأ .
قال ابن سمد : كان تهباً للخروج ، فنهش^(٣) قبل أن يخرج ، فأقام .

وذكر الحافظ في « الفتح » نحوه ، ثم قال : ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ
استشارهم في غزوة بدر مرتين :

(١) في الأصل : القزار والتصحیح من « القاموس » . (٢) في الأصل : كل سقف ،

وفي « القاموس » : بين كل سقفين (٣) يقال : نهشته الحبة ، أي لسته .

الأولى : وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان ، وذلك يسن في رواية مسلم .

والثانية : بعد أن خرج ، كما في حديث ابن مسعود في « الصحيح » .
وحينئذ قال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما قال .

ووقع عند الطبراني ، أن سعد بن عباد قال ذلك بالحديبية ، وهذا أولى بالصواب ، والله تعالى الموفق .

الحديث الخامس والستون

١١٠ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : دعوتُ المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ صبيحة بني بربكة بنت جحش ، فأشبع المسلمين خبزاً ولحماً ، ثم صنع كما كان يصنع ، فأتى حجر نساءه ، فهم عليهن ، فدعون له . قال : ثم رجعت إلى بيته وأنا معه ، فلما انتهى إلى البيت إذا رجلان قد جرى بينهما الحديث في ناحية البيت ، فلما بصر بهما ولياً راجعاً ، فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد ولياً عن بيته ؛ قاما مسرعين ؛ فلا أدري ، أنا أخبرته - أو آخر - به ، ثم رجعت وأرخت الستر بينه وبينني ، وأنزلت آية الحجاب .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد الطويل) عن أنس (ابن مالك رضي الله عنه) قال : دعوت المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ (الى وائمة رسول الله ﷺ صبيحة) ليلة (بنى) فيها رسول الله ﷺ أي عرس (زينب بنت جحش) .

وفي رواية قال أنس : أنا أعلم الناس بشأن الحجاب ، وكان في مبتدى رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، أصبح بها عروساً ، فسدوا القوم . وفي لفظ : لما أهديت زينب بنت جحش الى النبي ﷺ ، صنع طعاماً ، وإن أنساً هو كان الداعي الى الطعام (فأشبع) النبي ﷺ (المسلمين خبزاً ولحماً) .

قال أنس : فكان يجي . قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجي . قوم فيأكلون ويخرجون ، قال : فدعوت حتى ما أجد أحداً ، فقلت : يا رسول الله ! والله ما أجد أحداً . قال : فارموا طعامكم . زاد الاسماعيلي في روايته : وزينب جالسة في جانب البيت . قال : وكانت امرأة قد أعطيت جمالاً (ثم صنع) رسول الله ﷺ (كما كان يصنع) قبل ذلك ، وفسر ذلك الصنع الذي كان يصنعه بقوله : (فأنى حجر) جمع حجرة ، وهي بيوت (نسائه) رضي الله عنهن (فسلم عليهن) أي واحدة بعد واحدة (فدعون له) بالبركة في أهله .

(قال) أنس رضي الله عنه : (ثم رجس) ﷺ (الى بيته) الذي فيه زينب بنت جحش (وأنا معه) الواو للحال وجملة المبتدأ وخبره حالية .

(فلما انتهى) ﷺ (الى البيت) الذي فيه زينب رضي الله عنها ، إذا رجالان (من بقية الذين دعوا الى الولاية) (قد جرى بينها الحديث) وهما (في ناحية البيت) الذي فيه زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ . وفي رواية : وبقي في البيت ثلاثة جلسوا يتحدثون . وفي رواية أبي قلابة : أن النبي ﷺ جعل يخرج ثم يرجع ، وم قعود يتحدثون . وفي رواية : أنه ﷺ لما أمر برفع الطعام ،

واذا هو كأنه يتهباً للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ، فلما قام ؛ قام من قام ، وقعد ثلاثة نفر ، ويجمع بين كونهم ثلاثة ، ورواية رجلين ، بأنه أول ما قام ﷺ ، وخرج من البيت كانوا ثلاثة ، وفي آخر ما رجع توجه واحد منهم في أثناء ذلك ؛ فصاروا اثنين ، وهذا أولى من جزم ابن التين بأن إحدى الروايتين وهم ، كما قاله في « الفتح » ، قال : ولم أقف على تسمية أحد منهم . انتهى .

(فلما بصر) رسول الله ﷺ (بها) أي الرجلين يتحدثان في ناحية البيت (وليّ راجعاً) من حيث جاء (فلما رأى الرجلان النبي ﷺ قد وليّ عن بيته) فطنا لأنفسهما ، وأنهما قد غفلا عن حالهما ، وفلا من الثقلة ما لا يحمل (قاما) من البيت (مسرعين) وعلمنا أنهما أساءا الأدب .

قال أنس رضي الله عنه : (فلا أدري أنا أخبرته) بذهابها (أو آخر) هو (به) .

وفي « الصحيحين » : فانطلقت فجئت ، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا ، هكذا وقع الجزم في رواية ، وانفق عبد العزيز بن صهيب وحيد الطويل على أن أنساً كان يشك في ذلك . وفي لفظ أحدهما : فلا أدري أنا أخبرته بخروجها ، أم أخبر وهو مبني للمجهول ، أي أخبر بالوحي (ثم رجع) النبي ﷺ (إلى منزله) فذهبت أدخل ، فدخل ﷺ (وأرخى الستر بينه وبين) وفي رواية : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه (وأرخى الحجاب) وفي رواية : فأنزل الله : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتهم إلا أن يؤذن لكم » (١) إلى قوله : « من وراء حجاب » (٢) فضرِب الحجاب . (٣) عبد العزيز ، عن أنس : حتى إذا رضع رجله في أسكعة الباب داخلة رضى خارجة ؛ أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣

قال الحافظ ابن حجر في « الفتح » : ومحصل القصة أن الذين حضروا
الوايمة جعلوا يتحدثون ، واستحى النبي ﷺ أن يأمرهم بالخروج ، قهراً للقيام
ليفطنوا لمراده فيقوموا بقيامه ، فلما ألهم الحديث عن ذلك ؛ قام وخرج ،
فخرجوا بخروجه ، إلا الثلاثة الذين لم يفطنوا لذلك ، لشدة شغل بهم ، بما كانوا
فيه من الحديث . وفي غضون ذلك كان النبي ﷺ يريد أن يقوم من غير مواجهتهم
بالأمر لشدة حيائه ، فيطيل الغيبة عنهم بالتشاغل بالسلام على نسائه وم في
شغل بهم .

وكان أحدهم في أثناء ذلك أفاق من غفلته ، فخرج وبقي الاثنان ، فلما طال
ذلك ووصل النبي ﷺ إلى منزله ، فرأى فرجع ؛ رآياه ففطنوا فخرجوا ، فدخل
النبي ﷺ ، وأنزلت الآية ، فأرعى السترينه وبين أنس خادمه أيضاً ، ولم يكن
له عهد بذلك .

وفي هذا الحديث من الفوائد : مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين .

قال القاضي عياض : فرض الحجاب بما اختصن به ؛ فهو فرض عليهن بلا
خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لمن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ، ولا
إظهار شخصهن وإن كن مستترات ، إلا ما دعت إليه ضرورة من براز ، ثم
استدل بما في « الموطأ » أن حفصة رضي الله عنها لما توفي عمر سترها النساء عن
أن يرى شخصها ، وأن زينب بنت جحش جملت لها القبة فوق نمشها ليستتر
شخصها . انتهى .

قال في « الفتح » : وليس فيما ذكره دليل على ادعاء من فرض ذلك عليهن ،
وقد كن بعد النبي ﷺ يحججن ويطنن ، وكان الصحابة من بدهن يسمعون
الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص .

قلت : والذي ذكره علماؤنا كمصاحب « الاقناع » وغيره : أن من خصائصه

ﷺ أن أزواجه لا يحل أن يسألن شيئاً إلا من وراء حجاب ، ويجوز أن يسأل غيرهن مشافهة ، لقوله تعالى : « وإذا سألتوهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب » (١) وقد ذكروا لنزول آية الحجاب أسباباً (٢) غير هذا ، منها ما أخرجه النسائي ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت آكل مع النبي ﷺ حيساً في قعب ، فمر عمر ، فدعاه فأكل ، فأصاب أصبعه أصبعي ، فقال : حس (٣) أو أوة لو أطاع فيمكن مارأتكن عين ، فنزل الحجاب ، ويمكن الجمع بأن ذلك وقع قبيل قصة زينب ، فلقرها منها أطلقت نزول الحجاب بهذا السبب ، ولا مانع من تعدد الأسباب ، وبالله التوفيق .

الحديث السادس والستون

١١١ — ثنا بن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : كان أبو طلحة يرمي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه من خلفه لينظر إلى مواقع نبه . قال : فيتناول أبو طلحة بصدره أتى به رسول الله ﷺ وقال : نحري دون نحرك .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله (قال : كان أبو طلحة) زيد بن سهل بن الأسود

(١) سورة الاحزاب ، الآية : ٥٣ وكلمة : متاعاً في الآية سقطت من الاصل .

(٢) في الاصل : أسباب ، وهو خطأ . (٣) الحس : وجع يأخذ النساء بعد الولادة .

الانصاري البخاري رضي الله عنه (يرمي) بنبله عن قوسه (بين يدي رسول الله ﷺ) لا انهزم الناس عنه يوم أحد .

ففي « الصحيحين » ، وغيرها ، عن أنس رضي الله عنه قال : لما كان يوم أحد انهزم الناس عن رسول الله ﷺ ، وأبو طلحة بين يدي رسول الله ﷺ محبوب بفتح التحتية والجيم والموحدة - أي يلف ، ويمنع الناس عنه ، وروي : محبوب ، أي مترس . وقد جاء مفسراً في حديث آخر : يترس مع النبي ﷺ بترس واحد ، والجوب : الترس . ورواه بعضهم : محذب - بالميم والحاء والdal المهملتين ، فوحدة - والحدب : الخنوق والاشفاق ، كما في « المطالع » ، عنه ، بحجفة بحاء مهملة فجيم ففاء مفتوحات الترس الصغير يطارق بين جليدين ، وكان أبو طلحة رجلاً رامياً شديداً الرمي . وفي لفظ : النزح : فنثر كثنائه بين يدي رسول ﷺ ، وكسر يومئذ قوسين أو ثلاثة ، وكان الرجل يمر بالجعبة من النبل فيقول رسول الله ﷺ : انثرها لأبي طلحة (وكان رسول الله ﷺ يرفع رأسه) الشريف (من خلفه) أي من خلف أبي طلحة رضي الله عنه ؛ لأنه ﷺ كان قد تترس به ، وإنما كان يرفع رأسه (لينظر الى مواقع نبله) أي المحال التي يقع بها نبل أبي طلحة . وافظه في « الصحيحين » ، وغيرها : ويشرف رسول الله ﷺ ينظر الى القوم .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فيتناول^(١) أبو طلحة) أي يرتفع (بصدره بقي) أي ابقى (به) أي بذلك التناول (رسول الله ﷺ) أي ليكون وقاية له من نبل الأعداء .

وفي « الصحيحين » ، وغيرها : فيقول أبو طلحة : يا بني الله ، بأبي أنت وأمي : لا تشرف بصبك سهم من سهام القوم (وقال) أبو طلحة رضي الله عنه : (نحري) أي عنقي وصدري (دون) أي أقرب لما يحدث ويفوق من سهام أعداء

(١) في الاصل : فيتناول .

الله ونبلهم من (نحرك) الشريف ، أي أنا وقاية عنك ، أفديك بنفسي .
قال في القاموس : نحر الصدر : أعلاه ، أو موضع القلادة ، وهو
مذكر ، والجمع : نحور . يقال : نحره - كمنه - نحراً ونحاراً ، أصاب نحره ،
وهذا يعني وقاية رسول الله ﷺ بالنفس ، وبكل ممكن لازم ، واجب على
كل مسلم .

وقد بذل جماعة من الصحابة يومئذ أنفسهم دونه ﷺ . فروى الامام
أحمد ومسلم ، من حديث أنس رضي الله عنه أن المشركين لما أَرهقوا رسول الله
ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش . قال : من يردم عنا هو
رفيق في الجنة ، فجاء رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل ، ثم رَهَقوه أيضاً
فقال : « من يردم عنا وله الجنة ، أو هو رفيق في الجنة » . فتقدم رجل من
الأنصار فقاتل حتى قتل ، إلى أن قتل السبعة من الأنصار . فقال رسول الله
ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » . وروى نحوه الامام أحمد ، وابن أبي
شيبه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . وفيه : أفرد رسول الله ﷺ في
سبعة من الأنصار ورجلين من قريش ، وهو عاشرهم ، فلما أَرهقوه قال : « رحم
الله رجلاً رَدَمَ عنا » فذكر نحوه . وقاتل علي رضي الله عنه من ناحية ، وأبودجانة
رضي الله عنه من ناحية ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه من ناحية ، وانفرد
علي رضي الله عنه بفرقة من المشركين ، فيها عكرمة بن أبي جهل ، فدخل وسطهم
بالسيف يضرب به ، وقد اشتعلوا عليه حتى أقضى إلى آخرهم ، ثم كرم ثانياً
حتى رجع من حيث جاء رضي الله عنه . وتقدم بعض هذا ، والله أعلم .

الحديث السابع والستون

١١٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألا أخبركم بخير دور الأنصار : دار بني النجار ، ثم دار بني عبد الأشهل ، ثم دار بني الحارث بن الخزرج ، ثم دار بني ساعدة ، وفي كل دور الأنصار خير .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال) وهو في مجلس عظيم من المسلمين ؛ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند مسلم : (ألا) - بفتح الهمزة ومخفيف اللام - حرف افتتاح ، معناه التنبيه (أخبركم) معشر المسلمين (بخير دور الأنصار) جمع دار ، وهو المحل الذي يجمع البناء والقبيلة ، وهو المراد هنا ، أي خير قبائل الأنصار وبطونها ، فكأنهم قالوا : بلى يا رسول الله ! أخبرنا بذلك لنعلم ذلك ، فنمرف لهم فضلهم وتقدمهم على غيرهم . قال ﷺ : « خير دور الأنصار (دار بني النجار) - بفتح النون ، وتشديد الجيم ، فراء قبلها ألف - واسمه : تيم اللات بن ثعلبة ، بن عمرو ، بن الخزرج ، وإنما سمي بالنجار ، لأنه اختن بقدم النجار ، وقيل : لأنه ضرب رجلاً بقدم (ثم) الأفضل بمد دار بني النجار (دار بني عبد الأشهل) - بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة ، فهاء مفتوحة فلام - وعبد الأشهل ، هو ابن جشم ، بن الخزرج ، بن عمرو ابن

مالك بن الأوس ، منهم أسيد بن حضير أحد النقباء ، وسيدهم سعد بن معاذ ابن النعمان ، بن امرئ القيس ، بن زيد ، بن عبد الأشهل الأنصاري الأشيلي الأوسي رضي الله عنه وعنهم أجمعين . (ثم) الأفضل بعد دار بني عبد الأشهل (دار بني الحارث بن الخزرج) بن النبيت ، وهو عمرو بن مالك ، بن الأوس الأنصاري ، منهم البراء بن عازب وغيره . (ثم) الأفضل بعد دار بني الحارث ابن الخزرج (دار بني ساعدة) بن كعب بن الخزرج ، وسيدهم بل سيد الخزرج سعد بن عباد ، بن دليم بن حارثة ، ثم قال ﷺ : (وفي كل دور الأنصار خير) بحسب مسابقتهم ، وبذل مجهودهم في إعلاء كلمة الله ؛ فلكل أحد منهم نصيب من الخيرية على قدر ما رزقهم الله تعالى من النصح ، وموالاة الرسول ، وبذل الأموال والأنفس دونه ، لتكون كلمة الله العليا .

وأخرج هذا الحديث الشيخان ، والترمذي . ولفظ الترمذي : قال ﷺ : « ألا أخبركم بخير دور الأنصار . قالوا : بلى يا رسول الله . قال : « بنو النجار ، ثم الذين يلونهم بنو عبد الأشهل ، ثم الذين يلونهم بنو الحارث بن الخزرج ، ثم الذين يلونهم بنو ساعدة » . ثم قال ﷺ بيده ، فقبض أصابعه ، ثم بسطهن كالرامي بيده : قال : « وفي دور الأنصار كلها خير » . قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

قال أبو عيسى الترمذي : وقد روي هذا الحديث ، عن أنس ، عن أبي أسيد الساعدي ، وهو أبو أسيد مالك بن ربيعة الساعدي الأنصاري . ورواه الشيخان والترمذي وغيرهم أيضاً ، من حديث أبي أسيد المذكور ، وفي آخره : قال سعد ، هو ابن عباد : ما أرى رسول الله ﷺ إلا قد فضل علينا . فقيل : قد فضلكم على كثير . وفي رواية زاد بعد قوله : وفي كل دور الأنصار خير . قال أبو سلمة : قال أبو أسيد رضي الله عنه : أنهم أنا على رسول الله ﷺ ، لو

كنت كاذباً لبدأت بقومي بني ساعدة . قال : وبلغ ذلك سعد بن عباد ، فوجد في نفسه وقال خلفنا فكنا في آخر الأربع : أسرجوا لي حماري ، أتى رسول الله ﷺ فكلمه ابن أخيه سهل بن سعد ، فقال : أتذهب لترده على رسول الله ﷺ ، فرسول الله ﷺ أعلم ، أو أيس حسبك أن تكون رابع أربع ؟ فرجع وقال : الله ورسوله أعلم ، وأمر بمجاره فحل عنه . ورواه مسلم أيضاً ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وفي آخره : قالوا : ثم من يارسول الله ؟ قال : ثم في كل دور الانصار خير ، فقام سعد بن عباد منضياً ، فقال : أنحن آخر الأربع حين سمي رسول الله ﷺ دارم ؟ فأراد كلام رسول الله ﷺ ، فقال له رجال من قومه : اجلس ، ألا ترضى أن سمي رسول الله ﷺ دارك في الأربع الدور التي سمي ، فمن ترك فلم يسم أكثر ممن سمي ، فأنهى سعد بن عباد عن كلام رسول الله ﷺ .

تنبيهه : تأملت حكمة تنصيب النبي ﷺ على هذه الدور الأربع ، من بين سائر دور الانصار رضي الله عنهم ، فرأيت ذلك لكونها رأس دور الانصار وعينها ، وهي منها بمنزلة السمع والبصر ، ولا يخفى أن الانصار من حيث هم قبيلتان : الاوس والخزرج ، فذكر ﷺ من كل قبيلة منها بطنين ، وبدأ من بني الخزرج بيني التجار لخواتهم له ﷺ ، فانهم أحوال عبد المطلب ؛ فلم مزية من هذه الحبيبة ، ولما فيهم من عطاء الصحابة . ولما بدأ بيني التجار بدأ (١) بيني عبد الأشهل ، وبينني الحارث بن الخزرج من الاوس ، ثم ختم بيني ساعدة من الخزرج ، فحصل التبادل بين القبيلتين من جهة التنصيب ، ومن جهة التقديم والتأخير ، كما لا يخفى على تحرير . ولما كان التنصيب على جميع دور الانصار مما يصير ، وربما حصل لبعض من يتأخر في الذكر نوع انكسار

(١) في الاصل : بين .

قلب ؛ ذكر عليه السلام كلمة جامعة مرضية لكل ، فقال عليه السلام : « وفي كل دور الانصار خير » ، فما بقيت دار إلا وقد شملها قوله عليه السلام ، ودخلت تحت عموم لفظه ؛ فلكل دار من دور الانصار من الخير نصيب وافر ، وحظ كبير ، فأرضى الجميع ، وهو الطبيب الناصح ، والخبر الصادق ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم ، ورضي الله عن الانصار وأبنائهم وأزواجهم وحلفائهم ، وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، والله أعلم .

الحديث الثامن والستون

١١٣ -- ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلوباً . قال : فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون يقولون : غداً نلقى الأحبة محمدًا وحزبه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم) — بفتح التحتية وسكون القاف وضم الدال المهملة والميم — (عليكم) معشر الصحابة وافد (أقوام) جمع قوم ، وهم الجماعة من الرجال .

قال في « النهاية » : القوم : مصدر قام فوصف به ، ثم غلب على الرجال دون النساء ، وسموا بذلك ؛ لأنهم قوامون على النساء بالأمور التي ليس للنساء أن يقمن بها .

وفي « القاموس » : القوم : الجماعة من الرجال والنساء معاً ، أو الرجال خاصة ، أو يدخله النساء على التسمية . (م) أي أولئك الاقوام (أرق منكم قلوباً) نصباً على التمييز ، أي قلوبهم أرق من قلوبكم .

قال في « المطالع » : الرقة : اللين ، والمراد هنا ضد القسوة والشدّة التي وصف بها غيرهم . وقال بعضهم : الرقة : صفاء القلب ، وإدراكه من المعرفة ما لا يدركه من ليس قلبه كذلك ، وأن ذلك موجب لقبولهم وسرعة إجابتهم . وقيل : إنه ﷺ إنما وصفهم برقة القلب ، إشارة إلى الشفقة على الخلق ، والعطف والرحمة ، والمراد أن قلوبهم رقيقة صافية تدرك الماني والمارف ، وهي مع ذلك صلبة قوية ؛ فهي كالزجاجة تدرك الحقائق بصفائها ، وتدفع الشبهات بصلابتها ؛ ولهذا ضرب الله جل ثناؤه لنوره في قلب عبده المؤمن ومحله وحامله ومادته مثلاً بالمشكاة ، وهي الكوة في الحائط ؛ فهي مثل للصدر . وفي تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، حتى شبهت بالكوكب الدرّي في بياضه وصفائه ، وهي مثل القلب .

وإنما شبه القلب بالزجاجة ؛ لأنها جمعت أوصافاً هي في قلب المؤمن ، وهي : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ؛ فيرى الحق والهدى بصفائه ، ويحصل منه الرأفة والرحمة والشفقة برقته ، ويجاهد أعداء الله ويغلظ عليهم ، ويشد في الحق ، ويصلب فيه بصلابته ؛ فلا تبطل صفة منه صفة أخرى ، ولا تعاديها ، بل تساعد وتعاوضها . « أشداء على الكفار رحماء بينهم » ^(١) وقال تعالى : « فبأرحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا من حولك » ^(٢)

« ١ » سورة الفتح ، الآية : ٢٩

« ٢ » سورة آل عمران الآية : ١٥٩

وفي أثر: القلوب آنية الله في أرضه فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها .
وبازاء هذا القلب قلبان مذمومان في طرقي تقيض :

أحدهما : قلب حجري قاسٍ لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا لين ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل جبّار جاهل ، لا علم بالحق ، ولا رحمة للخلق .

والثاني : قلب ضعيف مائي ؛ لا قوة فيه ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير في غيره ، وكل ما خالطه أثر فيه ، من قوي وضعيف ، وطيب وخبيث .

والمقصود: أنه ﷺ وصف قلوبهم بالركة والصفاء ، أي مع الصلابة الدافعة لكل شبهة مضلة ، أو شهوة محرمة ، وبالله التوفيق .

(قال) أنس بن مالك رضي الله عنه : (فقدم) علينا (الأشعميون) - بهمزة مفتوحة ، فشين معجمة ساكنة ، فعين مهملة مفتوحة ، فتحتية مشددة مرفوعة ، فواو ، فنون - هم قبيلة من قبائل اليمن ، منسوبون لأشعر ؛ لقب بذلك لأنه ولد وعليه شعر (فيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس بن عامر (الأشعمري) - بفتح الهمزة ، وسكون الشين المعجمة ، وفتح السين المهملة - نسبة إلى الأشعر ، واسمه نبت ، بفتح النون ، وسكون الباء الموحدة ، ثم مثناة فوقية - بن أدّ - بضم الهمزة ، بوزن عمر - بن زيد ، قدم مكة ؛ خالف سعيد بن العاص ابن أمية ، ثم أسلم بمكة ، وهاجر إلى أرض الحبشة ، ثم قدم مع أهل السفينتين ورسول الله ﷺ بخيبر ، فأسهم لهم منها ، وكذلك أسلمت أم أبي موسى طيبة بنت وهب ، وتوفيت بالمدينة .

وفي « تجريد الذهبي » : قيل : إنها أمه . انتهى .

ويقال : إن أبا موسى الأشعمري أسلم بمكة قديماً ، ثم رجع إلى بلاده ، ولم

يزل بها حتى قدم هو وناس من الأشعرين على رسول الله ﷺ ، فوافق قدومه قدوم أهل السفينتين - جعفر بن أبي طالب وأصحابه - من الحبشة .

قال الامام ابن الحافظ أبو بكر بن أبي داود صاحب السنن : كان لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه مع حسن صوته بالقراءة فضيلة ليست لأحد من الصحابة ، هاجر ثلاث هجرات : هجرة من اليمن الى رسول الله ﷺ بمكة ، هجرة من مكة الى الحبشة ، وهجرة من الحبشة الى المدينة :

قال غيره : واستعمله النبي ﷺ على زيد وعدن وساحل اليمن ، وولاه عمر بن الخطاب البصرة حين عزل عنها المغيرة بن شعبة ؛ فافتتح أبو موسى الأهواز ، ولم يزل على البصرة الى صدر من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ثم عزل عنها فانتقل الى الكوفة وأقام بها ، فلما دفع أهل الكوفة سعيد بن العاص عنهم ؛ ولواً أبا موسى الأشعري عليهم ، فأقره عثمان على الكوفة ، ولم يزل عليها إلى أن قتل عثمان ، ثم انقبض أبو موسى الى مكة بعد التحكيم وما كان منه ، فلم يزل بها الى أن مات سنة اثنين وخمسين ، كما رجحه ابن الأثير .

وقال النووي : سنة خمسين ، وله نيف وستون سنة . وقال ابن أبي شيبة : وله ثلاث وستون سنة . وقيل : بل مات في الكوفة ، ودفن بالتربة التي على ميلين منها . روي له عن النبي ﷺ ؛ ثلثمائة وستون حديثاً ، انفقا على خمسين ، وقال الحافظ ابن الجوزي : تسعة وأربعين ، وانفرد البخاري بأربعة ، ومسلم بخمسة عشر ، رضي الله تعالى عنه (فلما دنوا) يعني الأشعرين (من المدينة) النبوية على ساكنها الصلاة والسلام (كانوا يرتجزون) أي ينشدون أرجوزة من الشعر . والرجز - بالتحريك - ضرب من الشعر ، وزنه مستفعل : ست مرات ، سمي بذلك لتقارب أجزائه ، وقلة حروفه .

وزعم الخليل أنه ليس من الشعر ، وإنما هو أنصاف أبيات ، كما في « القاموس » .

وفي « المطالع » : ارتجز . قال الرجز ، وهو ضرب من الشعر القصير الفصول . وقد قيل : ليس من الشعر ، بل هو من السجع . وقاله الخليل . قال : وأما المنهوك منه والمشطور ؛ فليسا بشعر ، وما عدا هذين النوعين فهو شعر .

(يقولون) بني الأشعرين في ارتجازهم (غداً نلقى الأُحبة محمداً وحزبه) الحزب — بالكسر — الورد والطائفة والسلاح ، وجماعة الناس ، وهو المراد هنا . والأحزاب جمعه ، وجمع كانوا تألبوا وتظاهروا على حرب النبي ﷺ ، وجند الرجل وأصحابه الذين على رأيه كما هنا .

الحديث التاسع والستون

١١٤ — ثنا يحيى ، عن حميد ويزيد قال : أنا حميد ، عن أنس قال : قال رسول ﷺ : يقدم عليكم أقوام أرق قلوباً منكم ، أرق منكم أفئدة ، فقدم الأشعريون فيهم أبو موسى ، فجعلوا لما دنوا من المدينة يرتجزون : غداً نلقى الأُحبة محمداً وحزبه .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان الإمام الحافظ الثبت الحجة ، أبو سعيد البصري التيمي الأحول ، أحد الأئمة .

زوني عن جعفر الصادق ، ومالك ، وخميد الطويل ، وهشام بن عروة ،
وعطاء بن السائب ، وحسين المعلم ، وخلق .

وعنه الامام أحمد ، وابن المديني ، وابن مهدي ، ومسدد ، وخلق .

قال الامام أحمد : لم يكن في زمانه مثله . وقال أبو زرعة : من الحفاظ الثقة
وقال ابن منجيويه : كان من سادات زمانه حفظاً وورعاً وفهماً وفضلاً وديناً
وعلماً ، وهو الذي مهد لأهل المراق رسم الحديث ، وأمعن في البحث عن
الثقة ، وترك الضعفاء . مات رضي الله عنه ورحمه سنة ثمان وتسمين ومائة .

قال يحيى بن سعيد : (عن حميد) الطويل (و) عن أبي خالد (يزيد)
بن هارون بن زاذان الواسطي السلمي ، أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والجهاديين ، وابن إسحاق ، وخلق .

وعنه الامام أحمد ، ويحيى بن معين ، وإسحق بن راهوية ، وابن

المديني ، وخلق .

قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث . وقال ابن المديني :
مارأيت رجلاً قط أحفظ منه . وقال المجلي : ثقة ثبت متمدد ، حسن الصلاة
جداً ، وكان قد عمي .

قال أبو نافع ، سبط يزيد بن هارون : كنت عند الامام أحمد بن حنبل
وعنده رجلان ، فقال أحدهما : رأيت يزيد بن هارون في المنام ، فقلت : ما فعل
الله بك ؟ قال : غفر لي وشفعني وعاقبني ، وقال : أتحدث عن حريز - بفتح
الحاء المهملة وكسر الراء ، وبالأزاي - بن عثمان ؟ قلت : يارب ما علمت إلا خيراً .
قال : إنه كان يبنض علياً . وقال الآخر : رأيت في المنام فقلت له : هل أتاك منكراً
ونكير ؟ قال : أي والله ، وسألاني : من ربك ، وما دينك ، ومن نبيك ؟ فقلت :

أثلي يقال هذا ، وأنا كنت أعلم الناس هذا في دار الدنيا ؟ فقالا : صدقت . توفي رحمه سنة ست ومائتين . روى له الجماعة .

(قال) يزيد بن هارون (أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : يقدم عليكم) معشر المؤمنين من أصحابي (أقوام) جمع قوم ، وتقدم آتفاً (أرق قلوباً منكم ، أرق أفئدة) جمع فؤاد .

قال في « النهاية » : الفؤاد : القلب . وقيل : وسطه . وقيل : الفؤاد : غشاء القلب ، والقلب : حبه وسوداؤه . انتهى .

وقال ابن الصلاح : المشهور أن الفؤاد هو القلب ، فكرره بلفظين ، ووصفه بوصفين ، يعني الرقة والضعف ، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين وغيرهما رفوعاً : « أنا كم أهل اليمن ، هم أضعف قلوباً ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية » . والمعنى أنها ذات خشية واستكانة ، سرية الاستجابة والتأثر بقوارع التذكير ، سالمة من الشدة والقسوة والغلظ (تقدم الأشمريون فيهم أبو موسى) عبد الله بن قيس رضي الله عنه وعنهم أجمعين (فاجملوا لما دنوا) أي قربوا (من المدينة) المنورة (يرتجزون) يقولهم : (غداً نلقى الأخية محمداً وحزبه) ورواه ابن سعد والبيهقي .

وذكر الامام ابن القيم - في كتابه « زاد المماد في هدي خير العباد » ﷺ - عن يزيد بن هارون ، عن ابن أبي ذئب ، عن الحارث بن عبد الرحمن ، عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فقال : « أنا كم أهل اليمن كأنهم السحاب ، هم خيار من في الأرض » . فقال رجل من الأنصار : « إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : إلا نحن يا رسول الله ؟ فسكت ثم قال : « إلا أنتم » ، كلمة ضيفة . قال : ولما لقوا رسول الله ﷺ أسلموا

وبايعوا . فقال رسول الله ﷺ : « الأشمريون في الناس كصورة فيها مسك » .
وروى عبدالرزاق قال : أخبرنا معمر ، قال : بلغني أن رسول الله ﷺ كان
جالساً مع أصحابه يوماً ، فقال : « اللهم أنج أصحاب السفينة » ثم مكث ساعة
فقال : « قد استمدت » ، فلما دنوا من المدينة قال : « قد جاؤوا يقودهم رجل صالح » .
قال : « والذين كانوا في السفينة الأشمريون » ، والذي قادم عمرو بن الحلق الخزاعي
فقال رسول الله ﷺ : « من أين جئتم » ؟ قالوا : « من زيد » . قال : « برك الله
في زيد » ، قالوا : « وفي زعم » ؟ قال : « برك الله في زيد » ، قالوا : « وفي زعم » ؟ قال في
الثالثة : « وفي زعم » .

قال في « القاموس » : زيد كأمير : بلد باليمن .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « إني لأعرف أصوات رفقة الأشمريين بالقرآن حين
يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وإن كنت لم أر
منازلهم حين نزلوا بالنهار ، ومنهم حكيم ، إذا لقي الخيل - أو قال العدو - قال
لهم : إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم . وفيما عنه رضي الله عنه (١) ، أن رسول الله
ﷺ قال : « إن الأشمريين إذا أرموا في الفزو ، وقل طعام عيالهم بالمدينة ،
جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه في إناء واحد بالسوية » ، فهم مني
وأنا منهم » .

وأخرج الترمذي ، وقال غريب ، من حديث أبي عامر الأشعري
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « نعم الحي الأسد ، والأشمريون
لا يفرون في القتال ولا يفلون ، هم مني وأنا منهم » . قال عامر ابنه : فحدثت بذلك
معاوية فقال : ليس كذا قال رسول الله ﷺ ، قال : « هم مني وإلي ، فقلت :
ليس هكذا حدثني أبي ، ولكنه حدثني قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« هم مني وأنا منهم » ، فقال : أنت أعلم بحديث أبيك ، والله الموفق .

(١) أي في « الصحيحين » عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الحديث السبعون

١١٥ - ثنا ابن أبي عدي ، ويزيد بن هارون ، قالا :
أنا حميد ، عن أنس ، أن رسول الله ﷺ كان عند بعض نسائه .
قال : أظنها عائشة ، فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها
بقصعة فيها طعام . قال : فضربت الأخرى بيد الخادم ، فكسرت
القصعة بنصفين ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : غارت أمكم .
قال : وأخذ الكسرتين ، فضم إحداها الى الأخرى ، فجعل
فيها الطعام ، ثم قال : كلوا ، فأكلوا ، وجلس الرسول والقصعة حتى
فرغوا ، فدفن الى الرسول قصعة أخرى ، وترك المكسورة مكانها .
قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، ويزيد بن هارون ، قالا :
أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ
كان عند بعض نسائه . قال) يعني أنس بن مالك رضي الله عنه : (أظنها) أي
الكاثر عندها (عائشة) الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها (فأرسلت إحدى
أمهات المؤمنين) .

قال الحافظ ابن حجر : هي زينب بنت جحش رضي الله عنها
وقد صرح بعض رواة « الصحيحين » بتمام حميد للحديث من أنس ،
ويشأن أن التي كان في بيتها ، عائشة رضي الله عنها (مع خادم لها) أي لزينب
المرسلة . وقيل : إن المرسلة أم سلمة . وقيل : صفية . وقيل : حفصة . ولم أر من
سمى الخادم (بقصعة) متعلق بأرسلت . والقصعة - بفتح القاف وسكون

الصاد وفتح العين المهملتين - : الصفحة ، والجمع قصصات - بفتح الصاد المهملة -
وكنب وجبال . والقصة - كجبهة - تصغيرها (فيها) أي في تلك القصة
المرسلة (طعام) ..

وفي « المحلى » لابن حزم : أنه كان جفنة من حيس .

وفي « الطبراني » ، من حديث أنس رضي الله عنه : صحفة خبز ولحم من
بيت أم سلمة ، ولفظه : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنهم كانوا يوماً عند
رسول الله ﷺ في بيت عائشة زوج النبي ﷺ ، فبينما نحن عند رسول الله
ﷺ إذ أتى بصحفة خبز ولحم من بيت أم سلمة ، فوضعت بين يدي النبي ﷺ
قال : ضموا أيديكم ، فوضع نبي الله ﷺ يده ، ووضعنا أيدينا فأكلنا . قال :
وعائشة تصنع طعاماً عجلة ، قد رأت الصحفة التي أتى بها . فلما فرغت من
طعامها جاءت به فوضعت ، ورفعت صحفة أم سلمة فكسرتها .

(قال) أنس رضي الله عنه : (فضربت) المرأة (الأخرى) يعني عائشة
رضي الله عنها (بيد الخادم) الذي جاءنا بالقصة من عند بعض أزواجه ﷺ
(فكسرت القصة) التي في يد الخادم (بنصفين) فهذا ظاهر في أن كسرها
للقصة قبل الأكل منها ؛ ولهذا قال : (فجعل رسول ﷺ) .. الحديث ،
بخلاف ما في الطبراني ، فإنه صريح بأن الكسر كان بعد أكل القوم . ويمكن الجمع
بأن القصة بقي فيها طعام ، فدفعها للخادم فكسرتها من يد الخادم بعد أكل القوم ،
ثم جمع الطعام الذي كان فيها ، فوضعه في شقفتها ، فأمرهم بأكله أو بأكل ما جاء به
عائشة رضي الله عنها تطيباً لقلوبهم ، وحينئذ جعل ﷺ (يقول : غارت
أمكم) الخطاب لمن حضر ، والمراد بالأم هي التي كسرت الصحفة ، وهي من
أمهات المؤمنين ، وتقدم أنها عائشة رضي الله عنها .

وأغرب الداودي فقال : المراد بقوله : أمكم ، سارة . وكان معنى الكلام

عنده: لا تتمجبوا عما وقع من هذه الغيرة؛ فقد غارت قبل ذلك أمكم ، حتى أخرج إبراهيم ولده إسماعيل وهو طفل مع أمه الى وادي غير ذي زرع .

قال في « الفتح » : وهذا وإن كان له بمض توجيه ، لكن المراد خلافه ، وإن المراد كاسرة الصحيفة ، وعلى هذا حمله جميع من شرح هذا الحديث ، وقالوا : فيه إشارة الى عدم مؤاخذه الغيري بما يصدر منها ، لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة .

وقد أخرج أبو يعلى بسند لا بأس به ، عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « إن الغيري لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه » ، قاله في قصة .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : « إن الله كتب الغيرة على النساء ، فمن صبر منهن كان لها أجر شهيد » . أخرجه البزار وأشار الى صحته ، رجاله ثقات ، لكن اختلف في عبيد بن الصباح منهم . وفي إطلاق الداودي على سارة أنها أم الخطاطيين نظر ، فانهم إن كانوا من بني إسماعيل ، فأهم هاجر ، لا سارة . ويبعد أن يكونوا من بني اسرائيل حتى يصح أن أهم سارة . انتهى .

قوله **وَاللَّهُ** : « غارت أمكم » من الغيرة بفتح الغين المعجمة وسكون التحتية بمد هاء راء — قال القاضي عياض وغيره : مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص ، وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين ، هذا في حق الآدمي ، وأما في حق الله تعالى ؛ فقال الخطابي : أحسن ما يفسر به ما فسر به في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو قوله : « وغيره الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه » .

وقال القاضي عياض : ويحتمل أن تكون الغيرة في حق الله الإشارة الى تغيير حال فاعل ذلك . وقيل : الغيرة في الاصل : الحمية والألفة ، وهو تفسير

بلازم التفسير ؛ فرجع الى الفضب. وقد نسب سبحانه وتعالى الى نفسه في كتابه
الفضب والرضى .

وقال ابن الاعرابي : التغير محال على الله بالدلالة القطعية ؛ فيجب تأويله
بلازمه ، كالوعيد ، أو إيقاع العقوبة بالفاعل ، ونحو ذلك . انتهى .

ومذهب السلف : الايمان بما أخبر على الوجه الذي يليق به تعالى ، لا كما
يخطر في عقول البشر من التشبيه والتمثيل . ومن غيرته تعالى : اختصاصه قوماً
بمعصيته . وأشد الآدميين غيرة رسول الله ﷺ ؛ لأنه كان يفار الله ولدينه ،
ولهذا كان لا ينتقم لنفسه .

وأصل غيرة النساء غير مكتسب لهن ، لكن إذا أفرطت المرأة في ذلك
بقدر زائد تلام عليه . وضابط ذلك ، ما ورد في حديث جابر بن عتيك الأنصاري
رفعه : « إن من الغيرة ما يحب الله ، ومنها ما يبغض الله ؛ فاما الغيرة التي يحب
الله ؛ فالغيرة في الرية ، وأما الغيرة التي يبغض الله ؛ فالغيرة في غير رية . وهذا
التفصيل يتمحض في أحوال الرجال ؛ لضرورة امتناع اجتماع زوجين للمرأة
بطريق الحل . وأما المرأة ؛ فحيث غارت من زوجها في ارتكاب محرم ، إما بالزنا
مثلاً ، وإما بنقص حقها ، وجوره عليها أضرارها ، وإيثارها عليها ، فإذا تحققت
ذلك ، أو ظهرت القرائن فيه ؛ فهي غيرة مشروعة . فلو وقع ذلك بمجرد الوهم
عن غير دليل ؛ فهي الغيرة في غير رية . وأما إذا كان الزوج مقسطاً عادلاً ،
وأدى لكل من الزوجين حقها ؛ فالغيرة منها إن كانت لما في الطباع البشرية التي
لم يسلم منها أحد من النساء ؛ فتعذر فيها ، مالم تتجاوز إلى ما يحرم عليها من قول أو
فعل ، وعلى هذا يحمل ما جاء عن السلف الصالح من النساء في ذلك ، كما
في « الفتح » .

وقال الامام ابن القيم في كتابه : « روضة المحبين ونزهة المشتاقين » : ملاك

الفيرة وأعلاها ، ثلاثة أنواع : غيره المبدل به أن تنتهك محارمه وتضيع حدوده ،
وغيره على قلبه أن يسكن إلى غيره وأن يأنس بسواه ، وغيره على حرمة (١) أن
يتطلع إليها غيره . وما عداها إما من خدع الشيطان ، وإما بلوى من الله ، كفيرة
المرأة على زوجها أن يتزوج عليها .

(قال) أنس رضي الله عنه : (وأخذ) رسول الله ﷺ (الكسرتين)
من القصعة المكسورة (فضم إحداها) أي إحدى الكسرتين (إلى) الكسرة
(الأخرى) منها (فجعل فيها) أي في القصعة بعد أن ضم كسرتها (الطعام)
لأنه لم يتنجس بمسه الأرض ، إما لطهارة الأرض ، وإما لجفاف الطعام والأرض .
(ثم قال) ﷺ (للقوم : (كلوا) إما من الطعام الذي جعله في كسرتي
القصعة المهداة ، وهو الظاهر ، أو من الطعام الذي صنفته عائشة رضي الله عنها
(فأكلوا) من ذلك الطعام حاجتهم (وجس) النبي ﷺ (الرسول) الذي
هو الخادم الذي جاء بالقصعة التي كسرتها عائشة رضي الله عنها (و) جس ، يعني
أمسك عنده وأبقى (القصعة) التي كسرتها عائشة رضي الله عنها ، ولم يزل
حابس الخادم والقصعة (حتى فرغوا) من الأكل (فدفع) ﷺ (إلى الرسول ،
قصعة أخرى) صحيحة من بيت عائشة مكان القصعة التي كسرتها إقامة للمدل ،
ليردها الرسول إلى ربها (وترك) ﷺ القصعة (المكسورة مكانها) في بيت
عائشة رضي الله عنها .

فإن قلت : هذا منه ﷺ تضمين للتقويم بمثله .

فالجواب : إن هذا وهم ، لأن القصعتين ملكه ﷺ ، وإنما لكل واحدة
من زوجتيه الاختصاص بالانتفاع بكل واحدة منها ، فلما كسرت عائشة القصعة
التي نفعا مخض بزئب ، أو غيرها من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ؛ أرسل
لها القصعة التي نفعا مخض بعائشة ؛ لكونها أبطلت اختصاص الأخرى بتلك

(١) أي على امرأته .

القصة ؛ فلا حجة لمن تعلق بذلك ، كما لا يخفى على ذي فهم .
وفي الحديث دليل على أخذ الطعام الساقط على الأرض حيث لم ينجس .
وفي مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : « إذا سقطت لقمة أحدكم ؛
فليط ما أصابها من أذى ، وليأكلها » . وفي بعض ألفاظه : « إذا وقعت لقمة
أحدكم ؛ فليط ما كان بها من أذى ، ولا يدعها للشيطان » والله أعلم .

الحديث الحادي والسبعون

١١٦ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
اشتكى ابنُ لَآبِي طلحة ، فخرج أبو طلحة إلى المسجد ، فتوفي
الغلام ، فهيات أم سليم الميت وقالت لأهلها : لا يخبرنَّ أحدٌ
منكم أبا طلحة بوفاة ابنه ، فرجع إلى أهله ومعه ناس من أهل
المسجد من أصحابه . قال : ما فعل الغلام ؟ قالت : خير ما كان ،
فقرَّبَت إليهم عشاءهم فتمشوا ، وخرجَ القوم وقامت المرأة إلى
ما تقوم إليه المرأة ، فلما كان آخر الليل قالت : يا أبا طلحة !
ألم ترَ إلى آل فلان ، استماروا عارية ، فتمتعوا بها ، فلما طُلبت ،
كأنهم كرهوا ذلك . قال : ما أنصفوا . قالت : فإن ابنك قد
كان عارية من الله ، وإن الله تبارك وتعالى قبضه ، فاسترجع

وحمد الله ، فلما أصبح غدا على رسول الله ﷺ ، فلما رآه قال :
 بارك الله لكما في ليلتكما ، فحملت بعبد الله ، فولدته ليلاً ،
 وكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله ﷺ . قال :
 فحملته غدوة ومعي تمرات ، فوجدته يهنأ أباعر له ، أو يسمها .
 فقلت : يا رسول الله ! إن أم سليم ولدت الليلة ، فـكـرـهـت
 أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله . فقال : أمك شبيء ؟
 قلت : تمرات عجوة ، فأخذ بعضهن فمضغن ، ثم جمع بزاقه
 فأوجره إياه ، فجعل يتلمّظ . فقال : حب الأنصار التمر .
 قال : قلت : سمّيه يا رسول الله ! قال : هو عبد الله . قال عبد الله :
 ثنا بندار ، قال : ثنا ابن أبي عدي يبعض هذا الحديث . قال :
 فأنبته وعليه بردة .

قال رضي الله عنه (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
 أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : اشتكى ابن لابي طلحة) زيد بن سهل
 رضي الله عنه ، وهو أخو أنس لأمه ، وهو أبو عمير بالتصغير ، الذي كان يداعبه
 النبي ﷺ . وفي رواية لحميد عند الامام أحمد : وكان لها ، أي أم سليم ، ابن
 من ابي طلحة يكنى أبا عمير . وفي رواية عبارة بن زاذان ، عن ثابت عند ابن سعد :
 أن أبا طلحة كان له ابن . قال : أحسبه فطياً ، أي انتهى إرضاعه .

قال في « الفتح » : ولم أر عند من ذكر أبا عمير في الصحابة ، له غير قصة النغير ، يعني قول النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا عمير ما فعل النغير » بنون وغين معجمة ، مصغراً لنغير كان يلعب به ، وهو طير صغير ، واحدة نُغْرَة ، وجمعه نِغْرَان . قال الخطابي : طوير له صوت . ونظر فيه في « الفتح » بأنه ورد في بعض طرقه بأنه الصمو — بمهملتين — بوزن المفو ، كما في رواية ربي . فقالت أم سلمة رضي الله عنها : ماتت سموته التي كان يلعب بها . فقال ، أي أبا عمير ! مات النغير ؟ فدل على أنها شيء واحد . والصمو لا يوصف بحسن الصوت .

قال الشاعر :

كالصمو يرتع في الرياض وإنما حبس الهزار^(١) لأنه يترنم
وقال عياض : النغير : طائر يشبه المصفر ، وهي فراخ المصافير ، وقيل :
نوع من الحمير - بضم المهملة وتشديد الميم ثم را - قال : والراجح أن النغير
طائر أحمر المنقار .

قال في « الفتح » : ولا ذكروا له ، أي لأبي عمير اسماً ، بل جزم ببعض
الشرح بأن اسمه كنيته . لكن قد يؤخذ من قول أنس في رواية ربي ابن
عبد الله : يكنى أبا عمير ؛ أن له اسماً غير كنيته .

وذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي في كتابه « آداب النساء » ، أن اسمه
حفص ؛ فقد ذكر في الباب العاشر بعد المائة في آخر الكتاب المذكور في ترجمة
أم سليم رضي الله عنها ، عن أنس رضي الله عنه ؛ أن أبا طلحة رضي الله عنه
زوج أم سليم رضي الله عنها ؛ كان له ابن منها يقال له : حفص ، غلام قد ترعرع ،
فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله ، فذكر القصة بنحو قصة ما في هذا

(١) الهزار : طائر حسن التفريد .

الحديث . وسأذكرها إن شاء الله بعد ، فلم أن اسم أبي عمير حفص ، وهو وارد على من صنف في « المبهات » .

وقوله : اشتكى ابن لأبي طلحة ، أي مرض .

قال في « القاموس » : الشكو والشكوى والشكاة : المرض ، والشاكي : من عرض له أقل مرض وأهونه ، وهذا يمرض ما أخرجه ابن الجوزي في « آداب النساء » من طريق محمد بن عمرو ، وهو أبو سهل البصري — وفيه مقال — عن حفص بن عبيد الله ، عن أنس رضي الله عنه ، أن أبا طلحة كان له ابن منها يقال له : حفص ، غلام قد ترعرع ، فأصبح أبو طلحة وهو صائم في بعض شغله ، فأقبلت أم سليم على ذات بيتها ، فخرج الغلام يلعب مع الصبيان ، فلما جاء الغلام الفداء اضطجع على فراش فترمل قطيفة لهم ، فلما صنعت أم سليم غداء بيتها ؛ جلست تصرخ تناديه فلا يستجيب لها ، فلما غلبها شأنه كشفت عن وجهه فوجدته قد قبض في منامه ، فزملته كهيئته ، وأقبلت على ذات بيتها ، حتى إذا أمست جاء زوجها أبو طلحة ... الحديث .

وهذا يخالف لما في « المسند » و « الصحيحين » وغيرها ، ويمكن الجمع بأنه قد كان شاكياً ، وحصل له الشفاء وترعرع من مرضه . يقال : ترعرع الصبي : تحرك ومشى ، ثم إنه خرج ليلعب مع الصبيان ، ثم عاد فاضطجع على الفراش وتنطى بالقطيفة ؛ فمات في نومته تلك .

قال أنس رضي الله عنه : (فخرج أبو طلحة الى المسجد) النبوي (فتوفي الغلام) أي حفص المكنى بأبي عمير (فبيات أم سليم) — بضم السين المهملة وفتح اللام — سهلة بنت ملحان رضي الله عنها (الميت) أي أصلحته ، بأن سجنه وغطته (وقالت لا أهلها) ممن اطلع على الحال : (لا يخبرن) نهي مؤكدة بنون التثنية كيد الثقيلة (أحد منكم أبا طلحة ب وفاة) أي موت (ابنة) حتى أكون

أنا التي (١) أخبره بذلك ، ففعلوا (فرجع) أبو طلحة رضي الله عنه من المسجد (إلى أهله وومه ناس من أهل المسجد من أصحابه . قال) أبو طلحة لأم سليم : (ما فعل الغلام) يعني ابنه أبا عمير (قالت : خير ما كان) وفي رواية : إنها قالت له : هداً تفتسه ، وأرجو أنه يكون قد استراح ، وهذا منها من المماريض .

وفي « الأدب المفرد » للبخاري ، من طريق قتادة عن مطرف بن عبد الله قال : صحبت عمران بن حصين من الكوفة إلى البصرة ، فما أتى عليه يوم إلا أنشدنا فيه شعراً ، وقال : إن في ماريض الكلام مندوحة عن الكذب . وأخرجه الطبري في « التهذيب » والطبراني في « الكبير » ، ورجاله ثقات . وأخرجه ابن عدي من وجه آخر عن قتادة مرفوعاً ، ووهاه . وأخرجه أبو بكر ابن كامل في « فوائده » ، والبيهقي في « الشعب » من طريقه كذلك . وأخرجه ابن عدي أيضاً من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً بسندٍ واهٍ أيضاً .

وأخرج البخاري في « الأدب المفرد » من طريق عثمان النهدي ، عن عمر رضي الله عنه أنه قال : أما في الماريض ما يكفي المسلم عن الكذب ؟ والماريض والمعارض ، بإثبات الباء وبمحذوها : جمع معراض ، من التمريض بالقول .

قال الجوهري : هو خلاف التصريح ، وهو التورية بالشئ عن الشئ . وقال الراغب : التمريض كلام له وجهان في صدقه وكذبه ، أو باطن وظاهر .

وفي « الفتح » : الأولى : كلام له وجهان : يطلق أحدهما ، والمراد لازمه ؛ ففهم أبو طلحة من ذلك أن الصبي المريض تماهى ؛ لأن قولها : هداً - مهموزاً - بوزن سكن ومعناه . والنفس - بفتح الفاء - شعر بالنوم ، والمليل إذا نام ؛

(١) في الأصل : الذي

أشعر بزوال مرضه أو خفته ؛ وأرادت هي أنه قد انقطع بالكلية بالموت ، وكذا قولها : وأرجو أنه قد استراح ؛ فهم منه أنه استراح بالنوم وبالراحة ، ومرادها أنه استراح من نكد الدنيا ، وألم المرض ؛ فهي صادقة باعتبار مرادها ، وخبرها بذلك غير مطابق للأمر الذي فهمه أبو طلحة ؛ فمن ثم قال الراوي : وظن أنها صادقة ، أي باعتبار ما فهم هو (فقربت) أم سليم (إليهم) أي إلى أبي طلحة ومن معه من أصحابه (عشاء) الذي ^(١) كانت صنمته لهم (فتمشوا) أي وذلك بعد ما غربت الشمس ؛ لأن أبا طلحة كان صائماً .

(وخرج القوم) إلى المسجد (وقامت المرأة) التي هي أم سليم رضي الله عنها (إلى ما) أي الأمر الذي (تقوم إليه المرأة) من التهيؤ إلى زوجها والتصنع له ، فلما كان بعد العشاء دنا منها وأصاب منها ما يصيب الرجل من امرأته (فلما كان آخر الليل قالت) أم سليم : (يا أبا طلحة) إنما نادته بيا المفيدة لنداء البعيد مع كونه مضاجعاً لها ، تنزيلاً له منزلة البعيد ، وإشارة إلى بعد مضمون القصة ، وللتنبية لما تلقى (ألم تر إلى آل فلان) آل الرجل : أهله ، والصواب جواز إضافته إلى الضمير ، خلافاً لمن أنكروه ، وفلان وفلانة كناية عن الذكر والأنثى من الناس ، فإن كنيت بها عن غير الناس . قلت : الفلان والفلانة ، قاله في النهاية .

وفي « القاموس » : فلان وفلانة ... مضمومتين كناية عن أسماءنا ^(٢) وبأل عن غيرنا . وقد يقال : للواحد : يافلٌ ، وللاتين : يافلان ^(٣) والجمع : يافلون . وفي المؤنث : يافلةٌ ويافلتان ويافلاتٌ (استماروا عارية) من غيرهم (فتمتموا بها)

(١) في الأصل : التي .

(٢) في الأصل : أسماءهن ؛ والتصحيح من « القاموس »

(٣) ما بين الواحد والجمع لم يكن في الأصل ، والتصحيح من « القاموس »

أي تلك العارية مئة ، واتفقوا بها زماناً (فلما طلبت) - بضم الطاء المهملة
وكسر اللام مبيناً للمجهول - أي لما طلب أهل العارية ؛ العارية (كأنهم) أي
الذين استعاروها (كرهوا ذلك) أي طلب أهلها لها ، وما بادروا بدفعها لالكها
لكونهم ألقوها ؛ فشق عليهم انزعاجها منهم .

(قال) أبو طلحة رضي الله عنه مجيباً لأم سليم رضي الله عنها عما سأله
عنه من أمر العارية ، وتبرم المستعيرين لها من رجوعها لأهلها (ما أنصفوا) في
ذلك ، لأن الواجب عليهم المبادرة لرد العارية لأهلها ؛ حيث طلبوها ، ولا يحسن
التعاس عن ذلك ولا التبرم والمماطلة فيما هناك .

(قالت) أم سليم لأبي طلحة رضي الله عنها : (يا) ذا أفتيت بذلك فاعلم أن
ابنك قد كان عارية من الله (عز وجل) وإن الله تبارك وتعالى قبضه (بعد أن
تمتلك به برهة من الزمان ؛ فاسترجع واحمد الله تعالى) (فاسترجع) أبو طلحة
رضي الله عنه ، أي قال : د إنا لله وإنا اليه راجعون ،^(١) فلا استرجاع : استفعال ،
وهو قول المصاب : د إنا لله وإنا اليه راجعون ،^(٢) . وقد جعل الله جل ثناؤه
هذه الكلمات ملجأً وملاذاً لقوي المصائب ، وعصمة للمتحنين من الشيطان ، أثلا
ينسلط على المصاب فيوسوس له بالأفكار الرديئة ، فبهيج ماسكن ، ويظهر ما كمن ،
فاذا لجأ الى هذه الكلمات الجامعات لمعاني الخير والبركة ، أمن من ذلك ، ونجا من
المهلك ، فإن قوله : د إنا لله ،^(٣) توحيد وإقرار بالبودية والملك .

وقوله : د وإنا اليه راجعون ،^(٤) إقرار بأن الله يهلكنا ثم يبعثنا ، فهو
إيمان بالبعث بعد الموت ، وهو إيمان أيضاً بأن له الحكم في الأولى ، وله المرجع في
الأخرى ، فهو من اليقين أن الأمر كله لله ؛ فلا ملجأ منه إلا إليه .

وروى مسلم في « صحيحه » من حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت :

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مامن مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : « إنا لله وإنا إليه راجعون » (١) اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها ، إلا أجره الله في مصيبته ، وأخلف له خيراً منها . » وقد يجعل للعبد بكلمات الاسترجاع منزلة عالية وثواباً جزيلاً (وحمد الله) تعالى أبو طلحة . وفي رواية أن أم سليم تصنمت له حتى واقمها ، ثم قالت : يا أبا طلحة ، أرايت قوماً أودعوا قوماً وديمة ، ثم طلبوها منهم ، أفما يجب أن يؤدوها إليهم ؟ قال : بلى . قالت : فاحتسب ابنك ، ففضب لما صنمت به ، وإنما حمد الله تعالى ، أبو طلحة ؛ امتثالا لما في حديث أبي موسى ، وفيه : « فيقول الله تعالى للأنثى : ماذا قال عبيدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تبارك وتعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد . » رواه الترمذي ، وحسنه ، وابن حبان في « صحيحه » .

والحاصل أن على العبد أن يتحقق أن نفسه وأهله وماله وولده ملك لله عز وجل حقيقة ، وقد جعله الله عند العبد عارية ، فإذا أخذه منه ؛ فهو كالملير يأخذ عاريتاً من المستعير .

وأيضاً فليعلم أنه محفوف بدمعين : عدم قبله ، وعدم بعده ، وملك العبد له متعة معارة في زمن يسير ، إذ العبد لم يوجد ذلك الولد مثلاً ، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده ، ولا يبقى عليه وجوده ، فليس له تأثير ولا ملك حقيقي ، بل هو عارية مستردة .

وفي رواية : قال أنس : فلما أصبح أبو طلحة اغتسل ، فلما أراد أن يخرج أعلمته أنه قد مات .

(فلما أصبح ، غدا) أبو طلحة رضي الله عنه (على رسول الله ﷺ) فصلى معه ، ثم أخبره بما كان منها (فلما رآه) النبي ﷺ وقص عليه خبر أم سليم .
(قال) ﷺ : (بارك الله لكما) أي لآبي طلحة وأم سليم (في ليلتكما) .

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٦

وفي رواية في صحيح البخاري ، : فقال رسول الله ﷺ : « لعل الله يبارك لها في ليلتها ، وكأنه دعا لها أولاً ، ثم رَجَى ﷺ أن تكون الدعوة قد استجيت لها ، وفي رواية : فلما كان الصباح ذهب الى رسول الله ﷺ يشكوها إليه ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « بارك الله لكما في غابر ليلتكما ، (فحملت) أم سليم رضي الله عنها من تلك الليلة (ب) ابنها (عبدالله) بن أبي طلحة (فولدته ليلاً ، وكرهت) أم سليم (أن تحنكه) هي أو أحد من قومها (حتى يحنكه رسول الله ﷺ) بتشديد النون وتخفيفها ، كما حكاه الهروي ، ومعنى التحنيك : أن يعضغ تمره ويحمله في في الصبي ويحك بها حنكه بسبابته حتى تعطل في حلقه . والحنك أعلى داخل الفم .

قال أنس رضي الله عنه : (فحملته) أي المولود (غدوة) - بضم الغين المعجمة وسكون الدال المهملة وفتح الواو - أي بكرة ، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس ، كالغداة والغدية ، والجمع : غدوات وغديات (ومعي تمرات) جمع تمر (فوجدته) ﷺ (يهنأ) بتثنية التون أي يطلي (بأعمره) ﷺ جمع بعر - بفتح الباء الموحدة ، وقد تكسر - الجمل البازل ، أو الجذع . وقد يكون للأثني ، ويجمع أيضاً على أبرة وأباعر ، وبران - بضم الباء وكسرها - بالهناء ، ككتاب : القطران ، كما في « القاموس » .

وقال في « النهاية » : هنأت البعر أهنؤه - إذا طليته - بالهناء ، وهو : القطران .

ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما في مال اليتيم : إن كنت تهنأ جرباها ، أي تماذج جرب إبله بالقطران .

(أو) قال أنس رضي الله عنه : (بسمها) أي الأباعر ، أي يعلم عليها بالكي . يقال : وسمه بسمه وسماً وسمه ، إذا أثر فيه يكي . والميسم الحديدية التي يكوى

ها، وأصله موسم ، فقلبت الواو ياءً لكسرة الميم . قال أنس رضي الله عنه (فقلت : إرسول الله : إن أم سليم) يعني والدته (ولدت الليلة ، فكرهت أن تحنكه حتى يحنكه رسول الله) ﷺ ، التفت من الخطاب الى الفيبة ؛ تعظيماً له صلى الله عليه وسلم واحتراماً .

(فقال) عليه الصلاة والسلام لأنس رضي الله عنه : (أملك شيئاً) من التمر لتحننكه به .

(قلت) : معي (تمرات عجوة) وهو نوع من تمر المدينة ، أكبر من الصيحاتي ، يضرب الى السواد .

قال في « النهاية » : هو من غرس النبي ﷺ . انتهى . (فأخذ) ﷺ (بمضن) أي التمرات (فمضنهن) أي لاكن .

يقال : مضنه كمنه : لاكه بسنه ، والمضاعة بالضم : مامضغ ، والمضفة بالضم : قطعة لحم وغيره (ثم) بمد مضغه صلى الله عليه وسلم التمرات (جمع بزاقه) أي ريقه الشريف (فأوجره إياه) أي جرعه مامضغه من التمرات المختلطات بريقه .

والوجور : الدواء يوجر في الفم ويضم . وتوجر الدواء بلمه ، والماء شربه كارهاً (فجعل) الصبي (يتلظ) أي يدير لسانه في فيه ويحركه ، يتسع أثر التمر ، واسم ما يبقى في الفم من أثر الطعام لماظلة (فقال) رسول الله ﷺ (حب) أي محبوب (الأنصار التمر) لكثرة عندم واعتيادهم لأكله وإدماهم على الاقتيات به والتفكه برطبه وبسره ، فهم من أشرف الناس بأكله والخبرة به ومعاطاته ، فلهم مزيد الاعتناء به ومزية النسبة إليه .

(قال) أنس رضي الله عنه : (قلت : سمع) بفتح السين المحلة وتشديد الميم : (يا رسول الله ! قال : هو) أي اسمه (عبدالله) وهو عبدالله بن أبي طلحة . قال أنس : سمع النبي ﷺ ردعاه . قال : وما كان في الأنصار ناشئاً .

أفضل منه ، وهو أخو أنس لأمه ، ولد لعبد الله هذا عشر بنين كلهم قرأ القرآن وروى عنه . منهم إسحاق ، وعبد الله ، وعمر . وأشهر بنيه أبو يحيى إسحاق ابن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري المدني من ثقات المدنيين ، تابعي مشهور ، وإخوته عبد الله ويعقوب وإسماعيل وعمر ، وغيرهم ، وأشهرهم إسحاق ، وهو أكبرهم ، وهم الأخوة المشهورون بالقراء ، والأول الذي مات هو أبو عمير الذي كان رسول الله ﷺ يداعبه ويقول له : يا أبا عمير ما فعل النغير ، أي ما فعل عصفورك ؟

ففي هذا الحديث : مظهر من أم سليم رضي الله عنها من الصبر العظيم مما أبهر العقول ، وتحلت به النقول ، وصار منقبة لها إلى آخر الدهر ، مع ما أخلف الله لها خيراً من الذي أصيبت به ، فاذا نظر من أصيب بمصيبة إلى امرأة قد فطنت عند مصيبتها أمراً لا يكون إلا عند السرور والأفراح ؛ فقلبه أن يتأسى بها ويخبر أو صاف السابقين الأولين ، ويعلم أن الرجال أولى بهذا الصنيع والصبر من النساء .

وقد روى الامام مالك رضي الله عنه في «الموطأ» عن يحيى بن سعيد ، عن القاسم بن محمد قال : هلك امرأة لي ، فأتاني محمد بن كعب القرظي يمزيني بها ، فقال : إنه كان في بني إسرائيل رجل فقيه عالم عابد مجتهد ، وكانت له امرأة ، وكان بها معجباً ، ولها محباً ، فماتت ، فوجد عليها جداً شديداً ، وتأسف عليها أسفاً شديداً ، حتى خلى في بيت ، وعلق على نفسه ، واحتجب عن الناس ؛ فلم يكن يدخل عليه أحد ، وإن امرأة ماتت به ، فجاءته فقالت : إن لي إليه حاجة أستفتيه فيها ، ليس يجزئي إلا ما أفهته ، فذهب الناس ولزمت بابه . وقالت : ما لي منه بد ، فقال له قائل : إن ما هنا امرأة أرادت أن تستفتيك قال : ائذنوا لها ، فدخلت ، فقالت : إني استمرت من جارة لي حلياً ، فكأن أبسه وأعيره زماناً ، ثم إنهم أرسلوا إلي فيه ، فأؤديه إليهم ؟ فقال : نعم والآل . قالت : إنه مكث عن زماناً . قال : فذاك أحق لردك إياه إليهم حين أعاروكيه

زماناً . فقال : فقالت : أي يرحمك الله ، أفتأسف على ما أعارك الله ، ثم أخذه منك ، وهو أحق به منك ؟ فأبصر ما كان فيه ونفعه الله بقولها ، والله تعالى الموفق .

(قال) الامام بن الامام أبو عبد الرحمن (عبد الله) بن الامام أحمد رضي الله عنهما (ثنا بNDAR) هو محمد بن بشار بن عثمان البغدادي أبو بكر البصري الحافظ ، ذكره الحافظ الذهبي ، ثم ابن برداس الحنبلي ، ثم الحلال السيوطي في « طبقات الحفاظ » .

روى عن مهدي ، وأبي حاتم ، وابن عون ، ويحيى القطان ، وعفان وغيرهم . وعنه الأئمة الستة ، وإبراهيم الحاربي ، وابن خزيمة ، وأبو حاتم ، وأبو زرعة ، وخلق .

قال أبو داود : وكتبت عن بNDAR نحواً من خمسين ألف حديث ، وكتبت عن أبي موسى شيئاً ، وهو أثبت من بNDAR . وقال المجلي : إنه ثقة كثير الحديث ، مات في رجب سنة ثنتين وخمسين ومائتين ، وله خمس ومئتان سنة رحمه الله .

(قال : ثنا) محمد (ابن أبي عدي) شيخ الامام أحمد في هذا الحديث (يمسح هذا الحديث) الذي تقدم (قال) فيه ، يعني أنس بن مالك رضي الله عنه (فأثبتته) أي النبي ﷺ (وعليه بردة) أي ، والحال أن على رسول الله ﷺ بردة ، والمرد من ذكر هذه الطريق مزيد التأكيد . وتمام الحفظ . والحديث صحيح ، رواء البخاري في « صحيحه » وغيره ، والله تعالى الموفق .

الحديث الثاني والسبعون

١١٧ - ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمعي ، عن حميد
وزيد بن هارون قال : أنا حميد ، عن أنس قال : قدم رسول
الله ﷺ المدينة ، ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها ، فقال :
قدمت عليكم ولكم يومان تلعبون فيها ، وإن الله قد أبدلكم
يومين خيراً منها : يوم الفطر ، ويوم النحر .

قال رضي الله عنه : (ثنا سهل بن يوسف ، يعني المسمعي عن حميد
الطويل (و) حدثنا (يزيد ابن هارون) بن زاذان الواسطي السلمي أبو خالد
أحد الأئمة .

روى عن شعبة ، والثوري ، ومالك ، والحماديين ، وابن إسحاق ، وخلق .
وروى عنه الامام أحمد ، ويحيى ، وإسحاق ، وابن المديني ، وخلق .
قال الامام أحمد : كان حافظاً متقناً صحيح الحديث ، وتقدمت ترجمته في
الثامن والستين من حديث أنس رضي الله عنه .

(قال) أبو خالد يزيد بن هارون (أنا حميد) الطويل (عن أنس) ابن
مالك رضي الله عنه (قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة) النبوية مهاجراً إليها
من مكة (ولأهل المدينة يومان يلعبون فيها) جملة : ولأهل المدينة من المبتدأ
والخبر والصفة ؛ حالية (فقال) لهم رسول الله ﷺ : أي (قدمت عليكم)
مهاجراً (ولكم) يا مشرك الأنصار (يومان) وهما النيروز والمهرجان (تلعبون)

وتلهون (فيها) وتظهرون فيها الفرج والسرور مع أنها عيدان للكفار . (وإن الله) جل شأنه (قد أبدلكم) معشر المسلمين (يومين خيراً منها) لأن ذنك من إحداث الكفار والملوك الماضين^(١) ، وهما يعني اليومين اللذين أبدلكم الله بمشروعيتها (يوم) عيد (الفطر) من صوم رمضان (ويوم) عيد (النحر) عند انقضاء النسك ؛ فيها عيدان مشروعان للذكر والعبادة ، وإظهار الفرج والسرور ؛ لأن كل واحد منها على إر ركن من أركان الاسلام ، وقد تقدم الكلام على شرح هذا الحديث مستوفى في الثامن والاربعين من « مسند أنس » بن مالك رضي الله عنه .

الحديث الثالث والسبعون

١١٨ - ثنا سهل ، قال : أنا حميد ، عن أنس ، أن رجلاً اطلع على النبي ﷺ من خلل ؛ فسدد له النبي ﷺ بمشقص ، فأخرج الرجل رأسه .

قال رضي الله عنه : (١٠٩ سهل) بن يوسف المسمعي (قال : أنا حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رجلاً) قيل : هو الحكم ابن أبي العاص بن أمية ، والد مروان . وقيل : سعد ، غير منسوب ، وجزم بالأول ابن البلقيني في « مبهاته » .

(اطلع) بتشديد الطاء المهملة (على النبي ﷺ) وهو في بعض حجر نسائه (من خلل) أي من فرجة ، وفي لفظ : من حجر - بضم الجيم وسكون الحاء المهملة - وهو ثقب مستدير في أرض أو حائط ، وأصلها مكانم الوحش .

(٢) في الاصل : الماضية .

وفي لفظ آخر : من حجر - بضم الحاء المهملة وفتح الجيم - جمع حجرة ، وهي ناحية من البيت . ووقع في رواية الكشميني للبخاري : حجرة بالافراد (فسدد) بفتح السين وتشديد الدال وفتحها المهملتين ، أي قوم ، وصوب (له) أي للرجل المطلع من خلل البيت (النبي ﷺ) أي عمد اليه مسدداً بأزاء عينه (بمشقص) وفي لفظ : مشاقص ، والمشقص بكسر الميم والشين المعجمة الساكنة ، وفتح القاف فصاد مهملة هو فصل السهم اذا كان طويلاً غير عريض ، كذا في « الفتح » .

وفي « القاموس » : المشقص كبير فصل عريض ، أو سهم فيه ذلك ، والنصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش . يريد ﷺ أن يطمئن الرجل به ، وهو غافل (فأخرج الرجل رأسه) من الخلل الذي كان يتطلع منه على رسول الله ﷺ . وفي رواية من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه في « الصحيحين » ، وغيرهما ، أن رجلاً اطلع من حجر في دار النبي ﷺ ، والنبي ﷺ يحك رأسه بالمِدرى (١) فقال ، أي النبي ﷺ : « لو علمت أنك تنظر لطعنت بها في عينك ، إنما جعل الاذن من قبل الابصار . وفي لفظ : من قبل البصر . وفي آخر : إنما جعل الاذن من أجل النظر .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه ، أن رجلاً اطلع من بعض حجر النبي ﷺ ، فقام اليه بمشقص له ، فكأنه أنظر الى رسول الله ﷺ فمخّله ليطمنه - بفتح الياء المثناة تحت وسكون الخاء المعجمة وكسر المثناة الفوقية - كما في « الفتح » ، والمِدرى في حديث سهل - هو بكسر الميم وسكون الدال المهملة عود تدخله المرأة في رأسها ليضم بعض شعرها إلى بعض ، وهو يشبه

(١) قال في « القاموس » : حك رأسه بالمِدرى ، وهو المشط والقرن ، كالمدراة ، والمِدرية . جمه : مدار ومدارى .

المسلّة . يقال : مدرت المرأة : إذا سرحت شعرها . وقيل : مشط له أسنان يسيرة . وقال الأصمعي ، وأبو عبيد : هو المشط . وقال الجوهري : أصل المدرى ، هو القرن . وقيل : هو عود أو جديدة كالخلال لها رأس محدد . وقيل : هو خشبة على شكل شبي . من أسنان المشط ، ولها ساعد ، جرت عادة الكبير أن يحك بها مالا تصل إليه يده من جسده .

وقد روي لهذا سبب آخر ، فأخرج أبو داود ، والطبراني ، من حديث سمع بن عبادة رضي الله عنه ، جاء رجل فقام على باب النبي ﷺ يستأذن مستقبل الباب ، فقال له : « هكذا عنك ، فأنما الاستئذان من أجل النظر » .

وأخرج أبو داود ، أيضاً بسند قوي ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : كان الناس ليس لبيوتهم ستور ، فأمرهم الله بالاستئذان ، ثم جاء الله بالخير ، فلم أر أحداً يميل بذلك .

قال ابن عبد البر : أظنهم اكتفوا بقرع الباب .

وأخرج أيضاً ، من حديث عبد الله بن بسر : كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، وذلك أن الدور لم يكن عليها ستور .

وفي « الآداب الكبرى » للإمام ابن مفلح : صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قيل له : كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا فيها بما أمرنا ، ولا يعمل بها أحد ؟ « ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ... إلى عليم حكيم » (١) قال : إن الله حكيم ، رحيم بالؤمنين ، يحب السر ، وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ، ولا حجاب ، فربما دخل الخادم ، أو الولد ، أو بتيمة الرجل ، والرجل على

(١) سورة النور ، الآية : ٥٨

أهله ، فأمرهم الله بالاستئذان في تلك المورات ، فجاءهم الله بالسور والخير ، فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد الحجال ، جمع حجلة بالتحريك بيت كالثبة يستر الثياب ، وله أزرار كبار .

قال الحافظ ابن الجوزي : أكثر المفسرين على أن هذه الآية محكمة ، وأنه أصح من قول من قال : هي منسوخة بقوله : « وإذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا » ^(١) لأن البالغ يستأذن في كل وقت ، والطفل والمملوك يستأذنان ^(٢) ، في المورات الثلاث . وذكر ابن الجوزي أيضاً : أن البيوت الخالية ، هل دخلت في آية الاستئذان ، ثم نسخ بقوله : « ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة » ^(٣) أم لم تدخل ، لأن الاذن لا يتصور من غير إذن ، فإذا بطل الاستئذان ؛ لم تكن البيوت الخالية داخلة في الأولى ؛ على قولين ، والثاني أصح .

وقال ابن الجوزي أيضاً : لا يجوز أن تدخل بيت غيرك إلا بالاستئذان ؛ لهذه الآية ، يعني قوله : « لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسئلوا على أهلها » ^(٤) ومعنى تستأنسوا : تستأذنوا . وفي الآية تقديم وتأخير .

تفهيان

الأول : ظاهر هذا الحديث أن من اطلع في بيت غيره من خلل الباب ، أو من حجر ، أو ثقب ؛ فلرب الدار أن يفتق عينه ، وتذهب هدرأ ، وهو مخصوص بمن تعمد النظر ، لا إذا وقع ذلك من رجل عن غير قصد ؛ لما في « صحيح

(١) سورة النور ، الآية : ٥٩ (٢) في الاصل . . يستأذن ، وهو خطأ

(٣) سورة النور ، الآية : ٢٩ (٤) سورة النور ، الآية : ٢٧

مسلم : أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن نظر الفجأة ، فقال : « اصرف بصرك »
وقال لملي رضي الله عنه : « لا تتبع النظرة النظرة ، فإن لك الأولى ، وليست
لك الثانية .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ
قال : « من اطلع في بيت قوم بغير إذنهم ؛ فقد حل لهم أن يفقهوا عينه » .
وفيها عنه أيضاً : أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن رجلاً اطلع عليك
بغير إذن فحذفته بحصاة فقأت عينه ؛ ما كان عليك من جناح » .

قال العلامة ابن مفلح في « الفروع » : ومن نظر في بيته من خصاص باب (١)
ولو لم يعتمد ، لكن ظنه متمداً ، وفي رواية صححها ابن حبان والبيهقي : فلا قود
ولا دية .

قال في « الترغيب » : أو صادف عورة من محارمه ، وأصر . وفي « المغني »
في هذه الصورة : ولو خلت من نساء ، فحذف عينه ، ونحو ذلك فتلفت ؛ فهدر
ولا تبعة . وقال ابن حامد : يدفعه بالأسهل ؛ فينذره أولاً ، كمن استرق السمع لم
يقصد إذنه بلا إنذار ، قاله في « الترغيب » .

وفي « الاقناع » وغيره من كتب فقه مذهبنا : أن من نظر من خصاص الباب
أو من ثقب في جدار ، أو من كوة ونحوه ، لا من باب مفتوح ، فرماه صاحب
الدار بحصاة أو نحوها ، أو طعنه بمود فقلع عينه ، فلا شيء عليه ، ولو أمكن
الدفع بدونه ، وسواء كان في الدار نساء ، أو كان الناظر محرماً ، أو نظر من
الطريق ، أو من ملكه ، أولاً ، فإن ترك الاطلاع ومضى لم يجز رمية ، فإن رماه
فقال المطلع : ما تعمدته ، أو لم أر شيئاً حين اطلعت ؛ لم يضمه ، وليس لصاحب
الدار رمية بما يقتله ابتداءً ، فإن لم يندفع برمية بالشيء اليسير ، جاز رمية بأكثر
منه ، حتى يأتي ذلك على نفسه . ولو تسمع الأعمى أو البصير على من في البيت ؛ لم
(١) أي من خرق باب .

يُحْزَنُ طَمَنُ أَذْنِهِ ، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ فِي هَدْرٍ عَيْنٍ مِنْ أَطْلَعٍ مِنْ نَحْوِ ثَقْبٍ ؛ كَذَهْبِنَا ،
لَكِنْ إِنْ كَانَ ، ثُمَّ لَهُ مُحَرَّمٌ غَيْرُ مُجَرَّدَةٍ ، أَوْ حَلِيلَةٍ ؛ فَلَا . وَعِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ : لَا يَهْدُرُ .
وَعَنْ مَالِكٍ وَرَوَاتَانِ : الضَّيَّانُ وَالْأَهْدَارُ .

الثاني : الاستئذان : طلب الاذن في الدخول لعل لا يملكه المستأذن .

وقد أخرج أبو داود ، وابن أبي شيبة بسند جيد ، عن ربيع بن خراش ،
حدثني رجل أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيته ، فقال : أألج ؟ فقال لخادمه :
أخرج إلى هذا فعلمه . فقال : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟ ... الحديث ، وصححه
الدارقطني .

وأخرج ابن أبي شيبة ، من طريق زيد بن أسلم قال : بمشني أبي إلى ابن
عمر رضي الله عنهما ، فقلت : أألج ؟ فقال : لا تقل كذا ، ولكن قل : السلام
عليكم ، فإذا رد عليك . فأدخل .

ومن طريق ابن ربيعة : استأذن رجل على رجل من الصحابة ، ثلاث مرات
يقول : أأدخل ؟ وهو ينظر إليه لا يأذن له . فقال : السلام عليكم ، أأدخل .
قال : نعم ، ثم قال : لو أقمْتُ إلى الليل ، ولم تقل ذلك ، ما أذنت لك .

قال ابن مفلح في « الآداب الكبرى » : وصفة الاستئذان : سلام عليكم .
زاد في « الرعاية الكبرى » ، والشيخ عبد القادر : أأدخل ؟ هو الذي ذكره ابن
الجوزي عن المفسرين للحديث المتقدم آنفاً . ورواه الامام أحمد ، وفيه : أخرج
إلى هذا فعلمه الاستئذان . فقال له : قل : السلام عليكم ، أأدخل ؟ فسمعه ، فقال :
السلام عليكم ، أأدخل ، فأذن النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل . فقد ظهر من
هذا : تقديم السلام على الاستئذان .

وذكر في « شرح مسلم » : أن استحباب الجمع بينها صرح به القرآن ، وقد
قال الامام أحمد : الاستئذان : السلام ، وذكر حديث عبد الله بن بسر الذي
تقدم ، وأن النبي ﷺ قال : السلام عليكم ، السلام عليكم ، والله أعلم .

الحديث الرابع والسبعون

١١٩ - حدثنا سهل ، عن حميد ، عن أنس ، أن النبي ﷺ شجَّ يوم أُحُد وكسرت رباعيته ؛ فجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يفتح قوم خضبوا وجهه نبيهم وهو يدعوم إلى ربهم ؟! فنزلت : ليس لك ... الآية^(١) .

قال رضي الله عنه . (حدثنا سهل) بن يوسف (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن النبي ﷺ شجَّ) أي جرح (يوم) وقعة (أحد) وكانت في شوال سنة ثلاث باتفاق الجمهور .

والشجة : الجراحة في الرأس ، أو الوجه خاصة . وكانت تلك الشجة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في جبهته ، كما مر في الحديث (وكسرت) - بضم الكاف وكسر السين المهملة مبيناً للمجهول - (رباعيته) - بتخفيف الراء - وزن ثمانية ، وهي السن التي تلي الناب من الأسنان .

قال في « المطالع » : الرباعية من الأسنان : هي السن التي بين الثنية والناب ، وهي أربعة ، محيطات بالثنايا : اثنتان من فوق ، واثنتان من أسفل ، والذي كسر رباعية رسول الله ﷺ هو عتبة بن أبي وقاص ؛ فانه رماه بأربعة أحجار ، فكسر حجر منها رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى . والذي شجَّ وجه الشريف ، عبد الله بن قتيبة - بفتح القاف ، وكسر الميم ، وبمدها همزة - فدخلت حلقتان من حلق المفتر في وجنته ﷺ ، كما تقدم شرح ذلك

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

في الحديث السابع عشر من حديث أنس ؛ فإنه أخرجه هناك ، عن هشيم ، عن حميد ، عن أنس . ولما شجّه ابن قنّة سال الدم على وجهه الشريف (فجعل) ﷺ (يمسح الدم عن وجهه) الشريف (ويقول : كيف يفلح قوم) من الفلاح ، وهو الفوز بالبقاء ، والخلود في النعيم المقيم . ويقال لكل صائب خيراً : مفلح (خضبوا) أي صبغوا (وجه نبيهم) بدمه . وأصل الخضب في الشعر : الصبغ . يقال : خضبه وخضبه ، بالتخفيف والتشديد (وهو يدعوهم الى) طاعة (ربهم) ودينه القويم ، وصراطه المستقيم ، ويخلصهم من طاعة الشيطان ، وعبادة الأوثان (فنزلت) هذه الآية (ليس لك الآية) أي تمامها ، وهي : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم أو يمدحهم فانهم ظالمون ، ^(١) .

وفي « المسند » و « صحيح مسلم » و « سنن الترمذي » : فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شيء » أو يتوب عليهم ، ^(١) الآية . وقد استوفينا الكلام على هذا المقام فيما تقدم .

الحديث الخامس والسبعون

١٢٠ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : أعوذُ بك من الكسل والبخل ، وعذاب القبر .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ كان يقول) في دعائه :

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٢٨

(أعوذ) أي اللهم إني أعوذ (بك) يا الله ، أي أستميد ، وأستجير ، وألجأ ؛ فالماذ والملاجأ واحد . يقال : عاذ به يعوذ عياداً وإعوذاً

قال ابن القيم في «بدائع الفوائد» : لفظ عاذ وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن والاتجاء . قال : وحقيقة معنى الاستعاذة : الهروب من شيء . تخافه الى من يمسكك منه ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً ، كما يسمى ملجأً وحرزاً . وفي الحديث : أن ابنة الجون لما دخلت على النبي ﷺ ، فوضع يده عليها . قالت : أعوذ بالله منك . فقال : لقد عذت بمعاذ ، الحق بأهلك . فمضى أعوذ : التجأ وأعتصم وأتمحز (من الكسل) بفتح الكاف والسين المهملة - التثاقل عن فعل الخير والفتور فيه . يقال : كسل ، كفرح ؛ فهو كسل وكسلان ، إذا ترك الشيء وتركه عنه . وإن كان يستطيعه . ومن هنا فارق المعجز - بسكون الجيم ، وأصله التأخر عن الشيء - مأخوذ من المعجز ، وهو مؤخر الشيء ، وللزوم الضعف والقصور عن الاتيان بالشيء . استعمل في مقابلة القدرة ، واشتهر فيها . فقيل : المعجز : هو عدم القدرة على الخير . وقيل : ترك ما يجب فعله والتشويق اليه . وقيل : هو ضد الاقدار . فقيل : هو ما لا يستطيعه الانسان .

قال التوربشتي : الكسل : التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه ، ويكون ذلك لعدم انبعاث النفس للخير مع ظهور الاستطاعة . ويقال : هو ضد النشاط . وقال الجلال السيوطي : هو عدم انبعاث النفس للخير ، وقلة الرغبة فيه مع إمكانه . انتهى .

ومن ثم قال ﷺ في الحديث الصحيح ، من حديث أنس ، كما في «المسند» و «الصحيحين» ، وغيرها : «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، والمعجز والكسل» . فقرن بينها ؛ لأن التواني عن فعل الخير ، إما أن يكون

لعدم الاستطاعة ؛ فهو المجتزأ ، أو مع الاستطاعة ؛ فهو الكسل ، والهم لخوف شر متوقع ، والحزن لفوات محبوب ، أو حصول مكروه في الماضي . فإن كان المكروه حاصلًا في الحالة الراهنة ؛ فهو الغم (والبخل) .

وفي « الصحيحين » و « المسند » وغيرها ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : والجبن — وهو بضم الجيم وسكون الموحدة ، وقد تضم — ضد الشجاعة . وقال بعضهم : هو الخور عن تماطي الحرب ونحوها ، خوفاً على المهجة . قال في « النهاية » : الخور : من خار يخور ، إذا ضعفت قوته وذهبت ، وأما البخل : فمنع المروف .

قال في « المصباح » : بخلّ بخلاً وبخلاً ، من باي تب وقرب ، والاسم البخل ؛ فهو بخيل ، والجمع بخلاء . ورجل باحل : أي ذو بخل ، والبخل في الشرع : منع الواجب . وعند العرب : منع السائل بما يفضل عنه . وقيل : هو ضد الكرم ، وتقدم الكلام عليه في شرح الحديث السادس عشر من « مسند جابر بن عبد الله » رضي الله عنها .

(و) أعوذ بك من (عذاب القبر) المذاب اسم للمقوبة ، والمصدر التعذيب ؛ فهو مضاف للفاعل على سبيل المجاز ، أو الازالة لرفية ، من إضافة المظروف الى ظرفه ؛ فهو على تقدير في ، أي أعوذ بك من عذاب في القبر ، وفيه إثبات عذاب القبر ، والإيمان به واجب .

قال العلماء : عذاب القبر ، المراد به عذاب البرزخ ، وإنما أضيف الى القبر لأنه الثابت ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ، يناله من المذاب ما أراد الله به ؛ قبر أم لم يقبر ، سواء صلب ، أو غرق في البحر ، أو أكلته السباع ، أو حرق فصار رماداً وزري في الهواء . ومحل المذاب : الروح والبدن باتفاق أهل السنة ، وكذا القول في النعم .

قال الامام ابن القيم : عذاب القبر قسمان : دائم وهو عذاب الكفار وبعض العصاة ، ومنقطع وهو عذاب من خفت جرائمهم من العصاة ، فانه يعذب بحسب جرائمه ، ثم يرفع عنه . وقد يرفع عنه بدعاء أو صدقة ، أو نحو ذلك .
وقال الياقيني في « روض الرياحين » : بلغنا أن الموتي لا يذبون ليلة الجمعة ، تنزيهاً لهذا الوقت . قال : ويحتمل اختصاص ذلك بعصاة المسلمين دون الكفار ، وعمم النسفي في بحر الكلام ، فقال : إن الكافر يرفع عنه المذاب يوم الجمعة وليلتها ، ثم لا يعود اليه الى يوم القيامة ، وإن مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يكون له المذاب ساعة واحدة ، وضطة القبر كذلك ، ثم ينقطع عنه المذاب ، ولا يعود اليه الى يوم القيامة ، كذا قال . وفي زعمه ذلك في الكفار بعد ، ويدل على أن عصاة المسلمين لا يذبون سوى جمعة واحدة أو دونها ، وأنهم إذا وصلوا الى يوم الجمعة انقطع عنهم المذاب ثم لا يعود ، وهذا عجيب يقتدر الى دليل ثابت ، وأنى به .

وقال الامام ابن القيم في « البدائع » : نقلت من خط القاضي أبي يعلى في « تاليفه » : لا بد من انقطاع عذاب القبر ، لأنه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها منقطع ؛ فلا بد أن يلحقه الفناء . قلت : ولفظه في « البدائع » : ومن خطه ، يعني القاضي أبا يعلى من « تاليفه » : عذاب القبر حق ، وقد قيل : لا بد من انقطاعه ؛ لانه من عذاب الدنيا ، والدنيا وما فيها فان منقطع ؛ فلا بد أن يلحقهم في وقت خروجهم من قبورهم يوم البعث ، ثم يكسوا الله المؤمن حلل الجنان ، ويحمل على الكافر والعصاة سراويل القطران .

قال بعض العلماء : ولا يعرف مقدار مدة الانقطاع . ويؤيد هذا ما أخرجه هناد بن السري في الزهد ، عن مجاهد قال : للكفار هجمة يمدون فيها طمأنينة حتى تقوم القيامة ، فإذا صبح بأهل القبور ، يقول الكافر : « يا ويلنا من

بعضنا من مرقدنا،^(١) فيقول المؤمن من جنبه : « هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، »^(٢) .

تنبيهان

الأول : ذكر الامام ابن القيم في كتابه « الروح الكبرى » : أن اسباب عذاب القبر : الجهل بالله ، وإضاعة أمره ، وارتكاب معاصيه ؛ فلا يعذب الله روحاً عرفته وأحبته ، وامثلت أمره ، واجتنبت نهيه ، ولا بدناً كانت فيه أبداً ، فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة ، أثر غضب الله وسخطه على عبده ، فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدارين لم يتب ، ومات على ذلك ، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه ؛ فمستقل ومستكثر ، ومصديق ومكذب . قال : وتقصيل ذلك أن النبي ﷺ أخبر عن الرجلين الذين رأهما يعذبان في قبورهما ، بأن أحدهما كان يمشي بالنميمة بين الناس ، وكان الآخر لا يستبرئ من البول ، فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب الموقع للمداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقاً ، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم المداوة بالكذب والزور والبهتان أعظم عذاباً ، كما أن في ترك الاستبراء من البول تنبيهاً على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض شروطها ؛ فهو أشد عذاباً . وفي حديث شعبة : أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس ؛ فهذا مقتاب ، وذاك نمام ؛ فعذاب القبر من معاصي القلب ، والمين ، والأذن ، والضم ، واللسان ، والبطن ، والفرج ، واليد ، والرجل ، والبدن كله ؛ فالكذاب ، والنمام ، والمقتاب ، وشاهد الزور ، وقاذف الحصن ، ومثير الفتن ، والداعي إلى البدع ، والقائل على رسول الله ﷺ مالا علم له به ، والمجازف في كلامه ، وآكل الربا وموكله وشاهداه وكتبه ، وآكل أموال اليتامى ، وآكل

(١) سورة يس ، الآية : ٥٢

السحت من الرشوة والبرطيل ونحوهما ، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق ، وكذا مال المأهـد ، وشارب المسكر ، وآكل لقمة الشجرة المملوءة ، والزاني ، واللوطي والسارق ، والخائن ، والقادر ، والخادع ، والمأكر ، والمحلل والمحلل له ، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ، ومؤذي المسلمين ، ومتبع عوراتهم ، والحاكم بغير ما أنزل الله ، والمفتي بخلاف ما شرعه الله ، والمعين على الإثم والدوان وقاتل النفس التي حرم الله ، والمحدث في حرم الله ، والمطل لحقائق أسماء الله وصفاته ، والمحدث فيها ، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ، والناتجة والمستمع إليها ، والمفتون الفناء الذي حرمه الله ورسوله ، والجبارون ، والمتكبرون ، والمراؤون ، والهمّازون ، والممّازون ، والطاعنون على السلف ، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والمرافين بسألونهم ويصدقونهم ، وأعدوان الظلمة الذين قد باعوا آخرتهم بدنيا غيرهم ، والذي إذا خوفته الله وذكرته به لم يرع ولم يزجر ، فإذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف عما هو فيه ، والذي يهدى بكلام الله ورسوله فلا يهتدي ، ولا يرفع به رأساً ، فإذا بلغه عمن يحسن به الظن ممن يصيب ويخطئ عض عليه بالنواجذ ، وذكر من نحو هذا أضراباً كمن يؤخر الصلاة عن وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً ، والذي لا يؤذي زكاة ماله طيبة بها نفسه ، ولا يحج مع قدرته ، ونحو ذلك .

الثاني : الأسباب المنجية من عذاب القبر بحسب تلك الأسباب التي تقضي عذاب القبر ، ومن أنفسها : أن يجلس عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه في يومه ، ثم يجدد له توبة نصوحاً بينه وبين الله تعالى ، فينام على تلك التوبة ، ويعزم على أن لا يماود الذنب إذا استيقظ ، ويفعل هذا كل ليلة ، فإن مات من أيلته مات على توبة ، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسروراً بتأخير أجله حتى يستقيل من ذنبه ، ويستدرك ما فات ، وليس للمبـد أنفع من

هذه التوبة ، ولا سيما إذا عَقِبَ ذلك بذكر الله ، واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم ؛ فمن أراد الله به خيراً أوقفه لذلك ، ولا قوة إلا بالله .

ومن الأسباب المنجية من عذاب القبر : الرباط ، ففي « مسلم » ، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « رباط يوم في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه ، وإن مات جرى ^(١) عليه عمله الذي كان يعملهُ ، وأجرى عليه رزقه ، وأمن الفتان » .

وفي « جامع الترمذي » ، من حديث فضالة رضي الله عنه مرفوعاً : « كل ميت يحتم على عمله ، إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله ، فإنه ينمى له ^(٢) عمله الى يوم القيامة ، ويأمن من فتنة القبر . قال الترمذي : حسن صحيح .

ومنها : الشهادة ؛ لما في « سنن النسائي » : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد ؟ قال : « كفى ببارقة السيوف فتنة » . وروى ابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح ، من حديث المقداد ابن معدي كرب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة من دمه ، ويرى مقعده من الجنة ، ويجار من عذاب القبر ، ويأمن من الفزع الأكبر ، ويوضع على رأسه تاج الوقار ، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ، ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ، ويشفع في سبعين من أقاربه .

ومنها : قراءة سورة تبارك الملك ، ففي « سنن الترمذي » ، وقال : حسن غريب ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : ضرب رجل من أصحاب

(١) في الاصل : أجرى ، والتصحيح من « صحيح مسلم » . والمراد بالفتان : فتان القبر .

(٢) في الاصل : يجري عليه ، والتصحيح من « سنن الترمذي » .

رسول الله ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها ، فأتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ! ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر ، فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها قال رسول الله ﷺ : « هي المانعة ، هي المنجية تنجيه من عذاب القبر » .

وفي « مسند عبد بن حميد » عن إبراهيم بن الحكم عن أبيه ، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال للرجل : ألا تحمفك بحديث تفرح به ؟ قال الرجل : بلى . قال : اقرأ : تبارك الذي بيده الملك ، احفظها وعلّمها أهلك ولداك وصبيان بيتك وجيرانك ، فإنها المنجية ، والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها . وتطلب له إلى ربها أن ينجيه من عذاب القبر . قال رسول الله ﷺ : « لوددت أنها في قلب كل إنسان من أمتي » .

قال أبو عمر ابن عبد البر : وصح عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له ، تبارك الذي بيده الملك » .

وفي « سنن ابن ماجه » من حديث أبي هريرة يرفعه : « من مات مرابطاً مات شهيداً ، ووفي فتنة القبر ، وغدي وريح عليه برزق من الجنة » .

وفي « سنن النسائي » عن جامع بن شداد قال : سمعت عبد الله بن يشكر يقول : كنت جالساً مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة ، فذكروا أن رجلاً مات بيطنه ؛ فإذا هما يشتهيان أن يكونا شهداء جنازته . فقال أحدهما للآخر : ألم يقل رسول الله ﷺ : « من يقتله بطنه لم يعذب في قبره » . فهذا أيضاً من الأسباب المنجية من عذاب القبر .

وقال ابن القيم في محل آخر من « الروح » : وقد ينقطع عنه ، أي الميت المذاب ، أي عذاب القبر بدعاء ، أو صدقة ، أو استغفار ، أو ثواب حج ، أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم . قال : وهذا كما يشفع الشافع في

المذهب في الدنيا فيخلص من المذاب بشفاعته ، لكن هذه شفاعته قد تكون بدون إذن المشفوع عنده ، والله جل شأنه لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه ؛ فهو الذي يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له . قال : ولا يفتر بغير هذا ؛ فإنه شرك « من ذا الذي يشفع عنده إلا بأذنه » ، (١) « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » ، (٢) « ما من شفيع إلا من بعد إذنه » ، (٣) « ولا تنفع الشفاعته عنده إلا لمن أذن له » ، (٤) « قل لله الشفاعات جميعاً له ملك السموات والأرض » ، (٥) .

وقد ذكر ابن أبي الدنيا : حدثني محمد بن موسى الصائغ ، ثنا عبد الله بن نافع ، قال : مات رجل من أهل المدينة ، فرآه رجل كأنه من أهل النار ، فاعتم لذلك ، ثم إنه بعد ساعة أو ثمانية رآه كأنه من أهل الجنة ، فقال : ألم تكن قلت : إنك من أهل النار ؟ قال : قد كان ذلك ؛ إلا أنه دفن معنا رجل من الصالحين ؛ فيشفع في أربعين من حيرانه ؛ فكنت أنا منهم . قال ابن أبي الدنيا : وحدثنا أحمد بن يحيى ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : مات أخي فرأيت في النوم ، فقلت : ما كان حالك حين وضعت في قبرك ؟ قال : أتاني آت بشهاب من نار ، فلولا أن داعياً دعا لي لرأيت أنه سيضربني به . وقال عمرو بن جرير : إذا دعا العبد لأخيه الميت ، أتاه بها ملك إلى قبره ، فقال : يا صاحب القبر الغريب ، هذه هدية من أخ شفيق عليك ، والله تعالى أعلم .

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٥ (٢) سورة الأنبياء ، الآية : ٢٨

(٣) سورة يونس ، الآية : ٣ (٤) سورة سبأ ، الآية : ٢٣

(٥) سورة الزمر ، الآية : ٤٤

الحديث السادس والسبعون

١٢١ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس ، عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة فرأيت قصرأ من ذهب . قلت : لمن هذا ؟ قالوا : لشاب من قريش ، فظننت أبي أنا هو ، قالوا : لعمر بن الخطاب .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد التمار (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (عن النبي ﷺ قال : دخلت الجنة) أي مناماً . كما في رواية : بينما أنا نائم رأيتني في الجنة (فرأيت) فيها (قصرأ) وهو المنزل ، أو كل بيت من حجر ، والحصن . وفي رواية : فرأيت فيها قصرأ أو دارأ (من ذهب) ولا يمارض هذا ، ما أخرجه ابن أبي الدنيا ، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً : « دخلت الجنة ، فإذا فيها قصر أبيض . قلت لجبريل : لمن هذا القصر ؟ ... الحديث ، لأن حديث كون القصر من ذهب صحيح متفق على صحته ، بخلاف كونه أبيض ؛ فانما أخرجه ابن أبي الدنيا . قال الامام ابن القيم في « حادي الأرواح » : « فإن كان محفوظاً فبباضه نوره وإشراقه وضيائه ، كما تقدم شرح ذلك في الحديث الثلاثين من « مسند جابر رضي الله عنه » .

قال رسول الله ﷺ : (قلت : لمن هذا) القصر الذي من ذهب ؟ (قالوا) أي جبريل ، ومن معه من الملائكة : (لشاب) أي فتى ، وجمعه شبان وشباب ، ووصفه بذلك ، إما لكون قوته قوة الشباب الذي لم يين فيه السن بعد ، أو باعتبار

دخوله الى الجنة، وإلا فمعر كهل أو شيخ (من قريش) وم من كان من ولد
 فهر بن مالك، وفهر جماع قريش، واسمه قريش، وفهر لقبه. وقيل: بالمكس
 وهو الأظهر؛ لقولهم: سمي قريشاً، لأنه كان يقرش، أي يفتش عن خلة
 الناس، أي حاجتهم فيسدها بماله. وقيل: إن جماع قريش النضر، واسمه قيس
 ابن كنانة، وهذا المعتمد، وإن كان الأول قول الأكثر. واختلف العلماء في
 سبب تسمية هذه القبيلة العظيمة قريشاً. فقيل: لتجمعهم بمد الفرقة. وقيل:
 لتكسبهم. وقيل: لأن جدم الأعلى جاء في ثوب واحد متجمعاً فيه. وقيل: من
 التقريش، وهو أخذ الشيء أولاً فثوباً. وقال المطرزي: سميت قريشاً بداية في البحر
 هي سيدة الدواب البحرية، وكذلك قريش سادة الناس.

وقريش: هي التي تسكن البحر، بها سميت قريش قريشاً، تأكل الفث
 والسمين، ولا تترك فيه لذي جناحين شيئاً.

قال الشاعر:

هكذا في البلاد حي قريش يأكلون البلاد أكلاً كيشاً^(١)
 ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهم والجوشا^(٢)

ومرء أن فهرأ سمي قريشاً، لأنه كان يفتش عن خلة الناس وحاجتهم ويسدها،
 والتقريش: هو التفتيش، وقد علمت أن الأصح المعتمد أن قريشاً هم ولد النضر بن
 كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان؛
 فمن لم يلبده النضر فليس بقريشي.

قال رسول الله ﷺ لما سأل عن القصر لمن هو؟ فقالوا: لشاب من
 قريش (فظننت أني أما هو) ذلك الشاب، لأنني سيد قريش، فقلت: لمن؟
 (قالوا: لعمر ابن الخطاب).

(١) أي أكلاً سريعاً. والرجل الكميش: السريع، العزوم. وجملة قال الشاعر: كانت
 في الأصل عند جملة. وكذلك قريش سادة الناس: فوضعتها مع البيتين.

(٢) يقال: حش القوم. ساقم بغضب. وأحش الحرب: أشعل نارها.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « بينا أنا نائم رأيتني في الجنة ، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر ، فقلت : لمن هذا ؟ قالوا : امرء ، فذكرت غيرته فوليت (١) مدبراً ، فبكى عمر رضي الله عنه ، وقال : عليك أغار يا رسول الله ؟ وفي رواية : قال أبو هريرة : فبكى عمر ونحن جميعاً في ذلك المجلس مع رسول الله ﷺ . قال عمر : بأبي أنت يا رسول الله ، أعلبك أغار ؟

وتقدم بأطول من هذا ، وأوفى في الثلاثين من «مسند جابر رضي الله عنه» .

الحديث السابع والسبعون

١٢٢ - ثنا يحيى بن سعيد ، عن حميد قال : سئل أنس عن كسب الحجّام فقال : احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حجه أبو طيبة ، وأمر له بصاعين من شعير وكلم مواله أن يخففوا عنه من ضريته وقال : أمثل ما تداويتم به الحجامة ، والقسط البحري .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى بن سعيد) القطنان (عن حميد) الطويل (قال : سئل) - بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنياً للمجهول (أنس) ابن مالك رضي الله عنه بالرفع نائب فاعل (عن كسب الحجّام) أي ما يحصل له بسبب حجّامته . والكسب : الطلب والسعي في طلب الرزق والمعيشة ، والحجّام : هو الذي يتعاطى لإخراج الدم .

(١) في الاصل : فوليت . والتصحيح من «الصحيحين» .

(فقال) أنس رضي الله عنه : (احتجم رسول الله ﷺ ، حججه أبو طيبة) - بفتح الطاء المهملة وسكون الياء التحتية وباء الواحدة - واسمه نافع الحجام ، مولى عبيصة بن مسعود الأنصاري ، معروف بكنيته . وعبيصة ، بضم الميم وفتح الحاء المهملة ، وكسر الياء التحتية مشددة فصاد مهلة (وأمر) ﷺ (له) أي لأبي طيبة (بصاعين من شمر) فاجاب أنس بعدم حرمة كسب الحجام ؛ لأنه لو كان حراماً لم يطمه النبي ﷺ ، وأما حديث : « كسب الحجام خبيث ، فلا يدل على الحرمة صريحاً عند أكثر السلف والخلف ، لا على الحر ولا على العبد ، وهذا مشهور مذهب الامام أحمد . وعنه رواية ؛ قال بها فقهاء المحدثين : يحرم على الحر دون العبد ، وعلى العبد حمل الجمهور أحاديث النهي على التنزيه ، والارتفاع عن دني . الاكتساب ، والحث على مكارم الاخلاق ومعاالي الامور ، ولو كان حراماً لم يفرق فيه بين الحر والعبد ؛ فانه لا يجوز لأشخاص أن يطعم عبده مالا يحل .

قال الامام ابن القيم في « الهدي » : حكم النبي ﷺ بنجث كسب الحجام ، وأمر صاحبه أن يملغه ناضحه أو رقيقة ، صح عنه ذلك ، وصح عنه أنه احتجم وأعطى الحجام أجرة ، فأشكل الجمع على كثير من الفقهاء ، ومنهم من ظن أن النهي عن كسبه منسوخ بإعطائه أجرة ، وسلك هذا المسلك الطحاوي .

قال ابن القيم : دعوى النسخ مجردة لادليل عليها ؛ فلا تقبل ، فانه عليه السلام لم يقل : إعطاء الحجام خبيث ، بل إعطاؤه ، إما واجب ، وإما مستحب ، وإما جائز ، ولكن هو خبيث بالنسبة الى الآخذ ، وخبيث بالنسبة الى آكله ، فهو خبيث الكسب ، ولا يلزم من ذلك تحريمه ، وقد سمى النبي ﷺ البصل والثوم خبيثين مع إباحة أكلهما ؛ فنجث أجرة الحجام من هذا القبيل ، وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الخامس من « مسند جابر رضي الله عنه » .

(وكلم) النبي ﷺ (مواله) أي موالى أبي طيبة (أن يخففوا عنه من ضريبته) أي المال الذي كانوا قد ضربوه عليه عن كل يوم ، أو عن كل جمعة ، أو عن كل شهر ، ففعلوا .

وفي « صحيح مسلم » ، من حديث ابن عباس رضي الله عنها : أن رسول الله ﷺ حججه عبد لبني يياضة ، فأعطاه النبي ﷺ أجره ، وكلم سيده فخفف عنه من ضريبته ، ولو كان سحتاً لم يقطه .

وفي « المسند » و « الصحيحين » وغيرهما من حديث حميد الطويل ، قال : سمعت أنساً رضي الله عنه يقول : دعا رسول الله ﷺ غلاماً لنا حججاً ، فحججه ، فأمر له بصاع أو صاعين ، أو بمقدار أو بمدين ، وكلم فيه فخفف من ضريبته .

وفي « الموطأ » ، وأبي داود ، من حديث أنس قال : حجج أبو طيبة رسول الله ﷺ ، فأمر له بصاع من تمر ، وأمر أهله أن يخففوا من خراجه . قال في « جامع الأصول » : الضريبة : الخراج الذي يقرر على العبد يؤديه في كل يوم ، أو شهر ، أو سنة .

وفي « النهاية » : الضريبة : ما يؤدي العبد إلى سيده من الخراج المقرر عليه ، وهي فعيلة ، بمعنى مفعولة ، وتجمع على ضرائب .

(وقال) رسول الله ﷺ : (أمثل ماتداوئيم به الحجامة) ، هو موصول بالاسناد المذكور ، وقد أخرجه النسائي مفرداً ، عن حميد ، عن أنس بلفظ : « خير ماتداوئيم به الحجامة » . وفي لفظ آخر : أفضل . قال أهل المرفقة : الخطاب بذلك لأهل الحجاز ، ومن في منام من أهل البلاد الحارة ، لأن دماء رقيقة ، وتميل إلى ظاهر الأبدان ، لجذب الحرارة الخارجة إلى سطح البدن . ويؤخذ من هذا أيضاً أن الخطاب لغير الشيوخ ، لقلة الحرارة في أبدانهم ،

وتقدم الكلام على هذا في شرح الحديث الرابع والعشرين من «مسند أنس»، ثم في الخامس من «مسند جابر رضي الله عنها»، فأغنى عن الاعداد هنا (والقسط البحري).

قال أبو بكر بن العربي: القسط نوعان: هندي وهو أسود. وبحري وهو أبيض، والهندي أشدهما حرارة. ويقال للقسط: الكست بالكاف والتاء مكان القاف والطاء، ويجوز مع القاف بالتاء المثناة، ومع الكاف بالطاء. قال البخاري: والقسط الهندي البحري، وهو الكست، مثل الكافور والقافور، ومثل كسشت وقسشت.

وفي «الصحيحين»، وغيرها، من حديث أم قيس بنت محصن قالت: دخلت بابن لي على رسول الله ﷺ، وقد أعلقت عليه من المذرة، فقال: علام تدغرن أولادك بهذا الملاق؟ عليكن^(١) بالمود الهندي؛ فإن فيه سبعة أشقية، منها ذات الجنب، يسقط به من المذرة، ويولد من ذات الجنب.

قال سفيان بن عيينة: فسمعت الزهري يبين لنا اثنتين ولم يبين لنا خمساً. وقال علي بن المديني: قلت لسفيان: إن معمراً يقول: أعلقت عليه. قال: لم يحفظ، إنما قال: أعلقت عنه، حفظته من في الزهري، ووصف سفيان الملاق، يحنك بالأصبع، وأدخل سفيان أصبعه في حنكه وقال: يعني رفع حنكه بأصبعه. وقال يونس: علق: غمزت، فهي تخاف أن تكون به عذرة. والمذرة - بضم الميم المهملة وسكون الذال المعجمة - وهو وجع الحلق، وهو الذي يسمى سقوط اللهاة - واللهاة بفتح اللام: اللحمة التي في أقصى الحلق. وقيل: هي قرحة تخرج بين الأذن والحلق - وسميت بذلك لأنها تخرج غالباً عند طلوع المذرة، وهي خمسة كواكب: تحت الشعري المبور، ويقال لها أيضاً: المذارى، وطلوعها يقع في وسط الحر - وهي تمرى الصبيان غالباً.

(١) في الأصل: عليكم، وهو خطأ. والنصح من «صحيح مسلم»

وفي « النهاية » : هي قرحة تخرج في الحرم الذي بين الأنف والحنك ،
تعرض للصبيان عند طلوع العذرة ؛ فتتمد المرأة الى خرقة فتفتلها فتلاً شديداً .
وتدخلها في أنفه ، فتظمن ذلك الموضع ، فينفجر منه دم أسود ، وربما أقرحه ،
وذلك الطمن يسمى الدغر . يقال عذرت المرأة الصبي إذا غمرت حلقه من العذرة
أو فعلت به ذلك ، وكانوا بعد ذلك يملقون عليه علماً كالعودة .

وروى الامام أحمد ، وأصحاب « السنن » من حديث جابر رضي الله عنه
مرفوعاً : أيما امرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في رأسه ، فلتأخذ قسطاً
هندياً فتحله بما ثم تسمطه إياه .

وفي حديث أنس ، هذا الذي نحن بصدد شرحه « إن أمثل ما تداو به
الحجامة والقسط البحري ، وهو محمول على أنه وصف لكل ما يلائمه ، فحيث
وصف الهندي كان الاحتياج إلى المألجة إلى داء شديد الحرارة ، وحيث وصف
البحري كان دون ذلك في الحرارة ، لأن الهندي كما قدمنا أشد حرارة من البحري
وقال ابن سينا : القسط حار في الثالثة ، يابس في الثانية . وقد ذكر الأطباء من
منافع القسط : أنه يدر الطمث^(١) والبول ، ويقتل ديدان الامعاء ، ويدفع السم ،
وحصى الربع ، والورد^(٢) ويسخن المعدة ، ويحرك شهوة الجماع ، ويذهب الكلف
طلاءاً ، فذكر أكثر من سبعة .

وأجاب بعض الشراح بأن السبعة علمت بالوحي ، وما زاد عليها بالتجربة ؛
فاقتصروا على ما هو بالوحي لتحقيقه . وقيل : ذكر ما يحتاج إليه دون غيره ، لأنه
ﷺ لم يمت بتفاصيل ذلك .

قال في « الفتح » : ويحتمل أن تكون السبعة ، يعني المذكورة في الحديث

(١) الطمث : الحيض .

(٢) أي حمى الورد .

أصول صفة التداوي بها ، لأنها إما طلاء ، أو شرب ، أو تكيد ، أو تنطيل ، أو تبخير ، أو سحوط ، أو لسود .

فالطلاء يدخل في المرام ، ويحل بالزيت ، ويلطخ . وكذا التكيد والشرب يسحق ويحل في عسل أو ماء أو غيرها ، وكذا التنطيل والسحوط يسحق في زيت ويقطر في الأنف ، وكذا الدهن والتبخير واضح ، وتحت كل واحد من السبعة منافع لأدواء مختلفة ، ولا يستغرب ذلك ممن أوتي جوامع الكلام .

وقد استشكل معالجة المذرة بالقسط مع كونه حاراً ، والمذرة إنما تمرض في زمن الحر بالصبيان ، وأمزجتهم حارة ، ولا سيما وقطر الحجاز حار . وأجيب : بأن مادة المذرة دم يطلب عليه البلغم ، وفي القسط تخفيف للرطوبة ، وقد يكون نفعه في هذا الدواء بالخاصية . وأيضاً فالأدوية الحارة قد تنفع في الأمراض الحارة بالمرض كثيراً ، وبالذات أيضاً ، وقد ذكر ابن سينا في معالجة سقوط اللهاة بالقسط مع الشب الياباني وغيره ، على أننا لو لم نجد شيئاً من التوجيهات لسكان من المعجزة خارجاً عن القواعد الطبية .

تنبيهه : قال في « النهاية » : القسط : ضرب من الطيب . وقيل : هو المود . قال : والقسط عقار معروف في الأدوية طيب الريح ، تبخر به النفساء والأطفال . قال : وهو أشبه بالحديث بإضافته إلى الأظفار في حديث : من قسط أظفار . انتهى .

وقال النووي : القسط والأظفار نوعان معروفان من البخور ، وليس من مقصود الطيب . انتهى .

وفي « القاموس » : القسط بالضم : عود هندي وعربي ، مدر ، نافع للكبد جداً ، وللنفس ، والدود ، وحمى الريح ، شرباً . ولزكام والتزلات والوباء بخوراً ، وللهن والكلف طلاءً . انتهى . والله تعالى الموفق .

الحديث الثامن والسبعون

١٢٣ - ثنا يحيى ، ثنا النيمي عن أنس قال : كنت قائماً على الحى أسقيهم من فضيخ تمر ، قال : فجاء رجل فقال : إن الحمر قد حرمت . قال : أكفيتها يا أنس ، فأكفأتها . قلت : ما كان شرابهم ؟ قال : البسر والرطب . قال أبو بكر بن أنس : كانت خمرهم يومئذٍ ، وأنس يسمع ولم ينكر : وقال بعض من من كان معنا : كان خمرهم يومئذٍ .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان قال : (ثنا) أبو مضر سليمان (التيمي) تقدمت ترجمته في أول الحديث الثاني من « مسند أنس » (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كنت قائماً على الحى) أصل الحى البطن من بطون قبائل العرب ، والمراد به هنا القوم (أسقيهم من فضيخ تمر) - بقاء مفتوحة وضاد وخاء معجمتين بينها مثناة تحتية - وزن عظيم ، اسم للبسر إذا شدخ ونبد - زاد في رواية في « الصحيحين » - : وهو ، مطوف على تمر ، وهو - بفتح الزاي ومكون الماء بعدها واو - : البسر الذي يحمره أو يصفره قبل أن يرطب . وقد يطلق الفضيخ على خليط البسر والرطب ، كما يطلق على فضيخ البسر والتمر ، وكما يطلق على البسر وحده ، وعلى التمر وحده .

ووقع عند مسلم ، من طريق قتادة ، عن أنس : أسقيهم من مزادة فيها

خليط بسر وعمر . ووقع في رواية ، عن حميد ، عن أنس ، عند الامام أحمد بعد قوله : أسقيهم : كاد الشراب يأخذ فيهم .

(قال : فجاء رجل) قال في « الفتح » : لم أقف على اسمه . وعند ابن مردويه : حتى أسرع فيهم . ولابن أبي عاصم : حتى مالت رؤوسهم ، فدخل داخل . وفي رواية عند البخاري : فأمر رسول الله ﷺ منادياً فنادى . ولمسلم : فإذا مناد ينادي : إن الحجر قد حرمت . وله من رواية سميد ، عن قتادة ، عن أنس نحوه . وزاد : فقال أبو طلحة : أخرج فانظر ما هذا الصوت . وفي طريق عبد العزيز بن صهيب في « الصحيح » عن أنس بلفظ : إذ جاء رجل فقال : هل بلكم الخبر ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : حرمت الحجر . وهذا الرجل يحتمل أن يكون هو المنادي ، ويحتمل أن يكون غيره . سمع المنادي ، فدخل إليهم فأخبرهم (فقال : إن الحجر قد حرمت) وفي رواية : إن الرجل وقف على الباب فذكر لهم تحريمها . وفي وجه آخر : أنا فلان من عند نبيتنا ، فقال : قد حرمت الحجر . قلنا : ما تقول ؟ قال : سمعته من النبي ﷺ الساعة ، ومن عنده أتيتكم .

(قال) أبو طلحة رضي الله عنه (أ كفيئها يا أنس) — بكسر الفاء . مهموز — بمعنى أرقها . من كفأت القدر ، إذا كبيتها لتفرغ ما فيها . يقال : كفأت الاناء ، وأكفأته ، إذا كبيتته ، وإذا أملت . وفي رواية في « الصحيحين » : فقال أبو طلحة : قم يا أنس ؛ فبرقها — بفتح الهاء وكسر الراء وسكون القاف — والأصل أرقها ، فأبدلت الهمزة هاء . قال أنس : (فأ كفأتها) وفي رواية : فأرقتها . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب : فقالوا : أرق هذه القلال يا أنس ، وهو محمول على أن المخاطب بذلك لأنس أبو طلحة ، ورضي الباقر بذلك ، فنسب الأمر بالاراقة إليهم جميعاً . وفي رواية في « الصحيح » عن مالك في هذا الحديث : قم إلى هذه الجرار فأكسرهما . قال أنس رضي الله عنه :

فقمث إلى مهراس لنا ، فضربتها بأسفله حتى انكسرت . وهذا لا يتنافى الروايات الأخرى ، بل يجمع بأنه أراقها وكسر أوانها ، أو أراق بعضها وكسر بعضاً . وقد ذكر ابن عبد البر أن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة تفرد عن أنس بذكر الكسر ، وأن ثابتاً وعبد العزيز بن صهيب وحميداً وعدة جماعة من الثقات ، رووا الحديث بتمامه عن أنس ، منهم من طوله ، ومنهم من اختصره ؛ فلم يذكر إلا إراقها ، والمهراس - بكسر الميم وسكون الهاء ، وآخره سين مهملة - إناء يتخذ من صخر وينقر . وقد يكون كبيراً كالخوض ، وقد يكون صغيراً بحيث يتأتى الكسر به ، وكأنه لم يحضر ما يكسر به غيره ، أو كسر بآلة المهراس التي يدق بها فيه ، كالهاون ، فأطلق اسمه عليها مجازاً .

ووقع في رواية حميد عن أنس ، عند الامام أحمد : فوالله ما قالوا حتى تنتظر ونسأل . وفي رواية عبد العزيز بن صهيب في التفسير من «صحيح البخاري» : فوالله ما سألوا عنها ، ولا راجسوها بعد خبر الرجل .

وفي «الصحيح» : فجرت في سكك المدينة ، أي طرقها ، وفيه إشارة إلى توارده من كانت عنده من المسلمين على إراقتهما حتى جرت في الأزقة من كثرتها ، وكأنها إنما ارتفعت في الطرق المنحدرة بحيث تنصب إلى الأودية ونحوها . ويؤيده ما أخرجه ابن مردويه ، من حديث جابر بسند جيد ، في قصة صب الحجر ، قال : فانصببت حتى استنقعت في بطن الوادي .

(قلت : ما كان شرابهم ؟) القائل هو سليمان التيمي والد ميمون (قال) أنس رضي الله عنه : (البسر والرطب) أي تصنع أو تتخذ منها .

(قال أبو بكر بن أنس) بن مالك الأنصاري : (كانت خمر يومئذ) يعني المتخذة من البسر والرطب (وأنس) رضي الله عنه (يسمع) قول أبي بكر ابنه أنها كانت خمر يومئذ (و) أقره على قوله (لم ينكر) عليه ذلك . قال سليمان التيمي : (وقال بعض من كان معنا) .

وفي « صحيح مسلم » عن مشر بن سليمان عن أبيه قال : حدثني بعض من كان معي (كان خمر يومئذ) فيحتمل أن يكون أنس حدث بها حينئذ فلم يسمه سليمان ، أو حدث بها في مجلس آخر فحفظها عنه الرجل الذي حدث بها سليمان ، وهذا الرجل المبهم يحتمل أن يكون هو بكر بن عبد الله المزني ؛ فإن روايته في « الصحيح » توميء إلى ذلك ، ويحتمل أن يكون قتادة ، فإنه روى في « الصحيح » من طريقه ، عن أنس . وإعنا نمدها يومئذ الخمر ؛ وهذا أقوى الحجج على أن الخمر ، اسم جنس لكل ما يسكر ، سواء كان من العنب ، أو من نقيع الزبيب ، أو التمر ، أو العسل ، أو غيرها .

وأما دعوى بعضهم أن الخمر حقيقة في العنب ، مجاز في غيره ، فغير مسلم ، وإن سلم في اللغة ؛ لزم من قال به جواز استعمال اللفظ الواحد في حقيقة ومجاز ، والكوفيون لا يقولون بذلك . وأما من حيث الشرع ؛ فالخمر حقيقة في الجميع ، لثبوت حديث : كل مسكر خمر . فمن زعم أنه جمع بين الحقيقة والمجاز في هذا اللفظ ؛ لزمه أن يميزه ، وهذا مما لا انفكاك لهم عنه ، كما في « الفتح » .

وفي « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين حرمت ، وعامة خمرنا البسر والتمر .

الحديث التاسع والسبعون

١٢٤ - ثنا يحيى ، عن حميد ، عن أنس قال : كنت أسقي أبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، وسهيل بن بيضاء ، وقرأ من أصحابه عند أبي طلحة ، وأنا ساقهم ، حتى إذا

كاد الشراب أن يأخذ منهم ؛ فأتى آتٍ من المسلمين فقال :
 أو ما شعرت أن الخمر قد حرمت ؛ قالوا : حتى ننظر ونسأل .
 قالوا : يا أنس أكفى ما بقي في إنائك . قال : فوالله ما عادوا
 وما هي إلا التمر والبسر ، وهي خمر يومئذ .

قال رضي الله عنه : (ثنا يحيى) بن سعيد القطان (عن حميد) الطويل
 (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كنت أسقي أبا عبيدة) عامر ابن
 عبد الله (بن الجراح) بن هلال بن أهيب - بضم الهززة وفتح الهاء وسكون
 التحتية فموحدة ابن ضبة - بفتح الضاد المعجمة وتشديد الموحدة - ابن
 الحارث بن فهر بن مالك ، أحد العشرة المبشرين بالجنة وأمين هذه الأمة ، تقدمت
 ترجمته في الحديث الأول من « مسند جابر رضي الله عنه » .

(وأبي بن كعب) هو أبو المنذر وأبو الطفيل ، أبي بن كعب بن المنذر ،
 وقيل : ابن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك ابن
 النجار ، واسم النجار تيم اللات ابن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج الأكبر الأنصاري
 الخزرجي المعاوي ، وبنو معاوية بن عمرو يعرفون ببني حديلة - بضم الحاء
 وفتح الدال المهملة وسكون الياء التحتية فلام - هي أمهم ينسبون إليها . شهد
 أبي العقبة الثانية ، وبايع النبي ﷺ بها فيمن بآبائه من سبأ الأنصار ، ثم شهد
 بدرًا ، وما بعدها من المشاهد ، وكان يكتب للنبي ﷺ الوحي ، وهو أحد
 الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، وأحد الفقهاء الذين كانوا
 يفتون على عهد رسول الله ﷺ ، وكان أقرأ الصحابة لكتاب الله عز وجل ،
 كثره النبي ﷺ أبو المنذر ، وكثره عمر بن الخطاب أبو الطفيل ، وسماه النبي ﷺ

سيد الأنصار ، وسماه عمر سيد المسلمين . وقد أمر رسول الله ﷺ أن يقرأ عليه : « لم يكن الذين كفروا » روي له عن رسول الله ﷺ مائة وأربعة وستون حديثاً ، اتفقا على ثلاثة ، وانفرد البخاري بثلاثة ، ومسلم بسبعة . توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة تسع عشرة ، وقيل : سنة عشرين ، وقيل : اثنتين وعشرين ، في خلافة عمر ، وقيل : في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين ، والأول أصح وأكثر . روى عنه ابنه الطفيل وعبادة بن الصامت وعبد الله بن عباس وأنس بن مالك رضي الله عنهم ، ومن التابعين عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبو عثمان النهدي وخلق .

(وسهيل) - بالنصب - معطوف على أبي عبيدة وأبي - مفعول أسقي (ابن يضاء) هو أبو موسى . وقيل : أبو أمية ، سهيل بن وهب بن ربيعة ابن هلال بن أهيب بن مالك بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وهو أخو سهل ، والبيضاء أمها ، واسمها دعد ، كان سهل ممن أظهر إسلامه بمكة ، وقيل : إنه كان يكتم إسلامه بمكة ، وخرج مع المشركين إلى بدر فأسر يومئذ ، فشهد له عبد الله ابن مسعود أنه رآه بمكة يصلي فخلى عنه . مات بالمدينة ، وصلى عليه النبي ﷺ في المسجد ، له ذكر في الصلاة على الجنائز . وأما سهيل - بالتصغير - فأسلم قديماً ، وهاجر إلى الحبشة المجرتين ، وشهد بدرأ والمشاهد كلها . روى عنه عبد الله بن أنيس وأنس بن مالك ، ومات في حياة النبي ﷺ بعد رجوعه من تبوك سنة تسع ، ولا عقب له رضي الله عنه . والذي في « الصحيحين » (كنت أسقي أبا عبيدة ابن الجراح وأبا طلحة وأبي بن كعب) فذكر أبا طلحة بدل سهيل بن يضاء . وأبو طلحة هو زيد بن سهل زوج أم سليم أم أنس ، فاقصر في هذه الرواية على هؤلاء الثلاثة . فأما أبو طلحة فلكون القصة كانت في منزله كما في « الصحيحين » عن عبد العزيز بن صهيب قال : « سألوا أنس بن مالك عن الفضيل . فقال : ما كانت لنا خمر غير فضيلكم هذا الذي تسمونه الفضيل ، إني لقاها - أي أبا طلحة ،

وأبا أيوب ، ورجالاً من أصحاب رسول الله ﷺ في بيتنا، إذ جاء رجل... الحديث، وفي لفظ عن أنس : كنت ساقى القوم في منزل أبي طلحة . وأما أبو عبيدة ، فلأن النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي طلحة ؛ كما أخرجه مسلم من وجه آخر عن أنس . وأما أبي بن كعب ، فكان كبير الأنصار وعالمهم . ووقع في رواية عبد العزيز ابن صهيب ، عن أنس عند البخاري : إني لقاؤم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانا ، كذا وقع بالإبهام . وسعى في رواية مسلم أبا أيوب ، وفي « مسلم » عن أنس : كنت أسقي أبا طلحة وأبا دجاجة وماذ بن جبل في رهط من الأنصار . وفي طريق أخرى : وسهيل بن بيضاء . ورواه البخاري أيضاً ، إلا أنه لم يذكر أبا أيوب ، ولا ذكر معاذ . وأبو دجاجة — بضم الميملة وتخفيف الحيم ، وبعد الألف نون — اسمه سمالك بن خرشة — بمجمتين بينهما راء مفتوحات ، وهذا معنى ما في هذه الرواية من قوله :

(ونفراً من أصحابه) أي أصحاب النبي ﷺ (عند أبي طلحة) رضي الله عنه وعنهم أجمعين (وأنا ساقهم) . وفي « الصحيحين » عن ثابت ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت ساقى القوم يوم حرمت الخمر في بيت أبي طلحة . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس في « الصحيحين » أيضاً : وأنا أصفرم سنأ . ووقع عند عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ثابت وقادة وغيرهما ، عن أنس رضي الله عنه : أن القوم كانوا أحد عشر رجلاً . وقد حصل مما ذكرنا تسمية سبعة منهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس ، وهي في « المسند والصحيحين » : كنت قائماً على الحى — أسقيهم — عمومي فقوله : عمومي في موضع خفض ، على البدل من قوله : الحى ، وأطلق عليهم عمومته لأنهم كانوا أسن منه ، ولأن أكثرهم من الأنصار .

ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في « تفسيره » من طريق عيسى ابن

طهان ، عن أنس : أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كانا فيهم . وهو منكر مع نظافة سنده . قال في « الفتح » : وما أظنه إلا غلطاً .

وقد أخرج أبو نعيم في « الحلية » في ترجمة شعبة ، من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : حرم أبو بكر الحجر على نفسه فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام . وعلى كون حديث حضور أبي بكر وعمر محفوظاً . فيجمل أن يكونا زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ، ولم يشربا معهم ، ثم ذكر في « الفتح » أن البزار روى من وجه آخر عن أنس قال : كنت ساقى القوم ، وكان في القوم رجل يقال له : أبو بكر ، فلما شرب قال :

تحيتي بالسلامة أم بسكر ... الأبيات .

فدخل علينا رجل من المسلمين فقال : قد نزل تحريم الحجر... الحديث . وأبو بكر هذا يقال له : ابن شعوب ، فظن بعضهم أنه أبو بكر الصديق ، وإيس كذلك ، لكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الخلط في وصف الصديق . وفي « كتاب مكة » للفاكهي من طريق مرسل ما يعضد ذلك ، فحصلنا على تسمية عشرة (حتى إذا كاد الشراب أن يأخذ منهم) أي أن يسكروا ، وتقدمت رواية : حتى مالت رؤوسهم . (فأتى آت من المسلمين فقال : أو ما شمعت) بالاستفهام الانكاري (أن الحجر قد حرمت ؟) وفي « الصحيح » من طريق عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس « إذ جاء رجل فقال : هل بلفكم الحجر ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : حرمت الحجر . كما تقدم آنفاً .

وأخرج ابن مردويه من طريق بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : لما حرمت الحجر وحلف على أناس من أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربتها برجلي وقلت : نزل تحريم الحجر . فيحتمل أن يكون أنس خرج فاستخبر . وتقدم أن الرجل قام على الباب ، فذكر لهم تحريمها ، فما (قالوا) يعني الصحابة الذين كانوا يشربونها في بيت أبي طلحة وتشد : لا ننهي عن شربها (حتى نقظر) في ذلك (ونسأل) عن

سبب التحريم ؛ بل بادروا الى الاقلاع عن ذلك و (قالوا) الفائل هو أبو طلحة
كما تقدم آنفاً ، ولما رضي الباقون بذلك ؛ نسب القول إليهم جميعاً : (يا أنس !
أ كفى . - بكسر الفاء مهموزاً - بمعنى أرق . وأصل الاكفاء الامالة (ما)
أي الذي (بقي في إنائك) أي وعائك الذي كانت الخمرة فيه منها (قال) أنس
رضي الله عنه : (فوالله ما عادوا) لشربها أبداً (وما هي) أي الخمر التي أراقوها
لحرمتها ، وانتهوا عن شربها ، ولم يعودوا إليها (إلا التمر والبسر) وفي رواية
عن أنس في « الصحيحين » ، وغيرها : نزل تحريم الخمر فأكفأناها يومئذ ، وإنها
تخلط البسر والتمر . وأخرجه الاسماعيلي من طريق روح بن عبادة ، عن سميد
ابن عبيد الله ، ولفظه عن أنس : نزل تحريم الخمر ، فدخلت على أنس من
أصحابي وهي بين أيديهم ، فضربت بها برجلي فقلت : انطلقوا فقد نزل تحريم الخمر ،
وشربهم يومئذ البسر والتمر . ووقع عند ابن أبي عاصم من وجه آخر عن أنس :
فأراقوا الشراب ، وتوضأ بعض ، واعتسل بعض ، وأصابوا من طيب أم سليم ،
وأتوا النبي ﷺ ، فاذا هو يقرأ : « إنما الخمر والميسر .. الآية » (١) قال أنس
رضي الله عنه : (وهي) أي الشراب المتخذ من التمر والبسر (خمرهم يومئذ)
وفي رواية : وإن ذلك كان عامة خمرهم يوم حرمت الخمر . رواه مسلم .

وفي « البخاري » ، عن أنس رضي الله عنه قال : حرمت علينا الخمر حين
حرمت ، وما نجد خمر آمن إلا عنباً إلا قليلاً ، وعامة خمرنا البسر والتمر ، أي التبيذ
الذي يصير خمرأً كان أكثر ما يتخذ من البسر والتمر . قال الكرماني في
« شرح البخاري » : قوله : البسر والتمر . مجاز عن الشراب الذي يصنع منها ، وهو
عكس « إني أراني أعصر خمرأً » (٢) وفيه حذف تقديره : عامة أصل خمرنا أو
مادته البسر والتمر .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة يوسف ، الآية : ٣٦

وقد أخرج النسائي ، وصححه الحاكم من رواية محارب ، عن جابر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الزبيب والتمر هو الخمر » وسنده صحيح ، وظاهره الحصر ؛ لكن المراد المبالغة ، وهو بالنسبة الى ما كان حينئذ بالمدينة موجود . أو قيل : مراد أنس رضي الله عنه بقوله : وما هي إلا التمر والبسر . الرد على من خص اسم الخمر بما يتخذ من العنب . وقيل : إن مراده أن التحريم لا يختص بالخمرة المتخذة من العنب ، بل يشر كها في التحريم كل شراب مسكر ، وهذا أظهر ، والله اعلم .

تنبيهات

الأول : اختلف في وقت تحريم الخمرة . قال في « الفتح » : زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة رضي الله عنه : إنما أنتم عبيد أبي . وحديث جابر يرد في الذين صحبوا الخمر ؛ ثم قتلوا بأحد ، وذلك قبل تحريمها . ويستفاد منه أنها كانت مباحة قبل التحريم . واستظهر في « الفتح » أن محريمها كان عام الفتح سنة ثمان ، لما روى الامام أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس رضي الله عنها عن بيع الخمر . فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف ، أودوس ، فلقبه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه ، فقال : يا فلان ! أما علمت أن الله حرمها ؟ فأقبل الرجل على غلامه فقال : بها ، فقال : إن الذي حرم شرابها حرم بيعها ، وأخرجه مسلم من وجه آخر عن ابن وعلة نحوه ؛ لكن ليس فيه تعيين الوقت . وروى الامام أحمد من طريق نافع بن كيسان الثقفي ، عن أبيه ، أنه كان يتجر في الخمر ، وأنه أقبل من الشام فقال : يا رسول الله ! إني جئت بك بشراب جيد ، فقال : يا كيسان ! إنها حُرِّمت بمذك . قال : فأبيعها ؟ قال : إنها حُرِّمت وحُرِّم ثمنها . وروى الامام أحمد أيضاً وأبو يعلى من حديث تميم الداري ، أنه كان

يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية خمر ، فلما كان عام حرّمت ، جاء براوية فقال : أشعرت أنها قد حرّمت بمدك ؟ قال : أفلا أبيعها وأنتفع بشمها ؟ فهما . ويستفاد من حديث كيسان تسمية المبهم في حديث ابن عباس ، ومن حديث تميم تأييد الوقت المذكور ، فإن إسلام تميم كان بعد الفتح . وجزم الدمياطي في سيرته ، بأن تحريم الخمر كان سنة الحديبية ، وهي كانت سنة ست ، وذكر ابن إسحاق أنه كان في وقعة بني النضير ، وهي بمد أحد ؛ وذلك سنة أربع على الراجح ، ونظر فيه في الفتح ، بأن أنسا كان الساقى يوم حرّمت ، وأنه لما سمع المنادي بتحريمها بادر فأراقها . قال - فلو كان ذلك سنة أربع لكان أنس يصفر عن ذلك . قلت : وفي تنظيره نظر : لأنه حينئذ ابن أربع عشرة سنة ، مع كيبسه وممارسته لخدمة النبي ﷺ وخبرته بمهمات أموره ، لا يكبر عليه صنع مثل هذا كما لا يخفى .

الثاني : في ذكر سبب تحريم الخمر . قيل : السبب قصة حمزة رضي الله عنه ، وهو ما أخرجه الشيخان وغيرهما ، عن ابن جريج ، عن ابن شهاب ، عن علي بن الحسين بن علي ، عن أبيه ، عن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه قال : أصبت شارفاً مع رسول الله ﷺ في مغنم يوم بدر ، وأعطاني رسول الله ﷺ شارفاً أخرى ، فأخفيتها يوماً عند باب رجل من الأنصار ، وأنا أريد أن أحمل عليها إذ خراً لأبيهم ، ومعي صائح من بني قينقاع ، فأستمعن به على وليمة فاطمة وحمزة بن عبد المطلب يشرب في ذلك البيت ، معه قينة تقنيه ، فقالت : ألا يا حمز للشرف النواء .

فسار إليهما حمزة بالسيف ، فجب أسنمتها وبقر خواصمهما ، ثم أخذ من أكبادهما - قال ابن جريج : قلت لابن شهاب : ومن السنم ؟ قال : قد جب أسنمتها فذهب بها - قال علي بن أبي طالب : فنظرت إلى منظر أفضل مني ، فأتيت إلى رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة ، فأخبرته الخبر ، فخرج ومعه

زيد، فانطلقت معه ، فدخل على حمزة ؛ فتفيظ عليه ، فرفع حمزة بصره فقال : هل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ فرجع رسول الله ﷺ يهقر حتى خرج عنهم . وفي لفظ : كانت لي شارف من نصبي من مغنم بدر . وكان رسول الله ﷺ أعطاني شارقاً من الخمس يومئذ ، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله ﷺ ، واعدت رجلاً صواغاً من بني قينقاع يرتحل معي ، فنأتي بأذخر ، أردت أن أئيمه من الصواغين ، فأستعين في وليمة عرسى ، فبينما أنا أجمع لشارفي متاعاً من الأقتاب والفرار والجلال ، وشارفاي مناخان الى جانب حجرة رجل من الأنصار ، وجمعت حتى جمعت ما جمعت ، فاذا شارفاي قد أجنبت أسنمتها ، وبقرت خواصرها ، وأخذ من أكبادهما ، فلم أملك عيني حين رأيت ذلك المنظر منهما ، فقلت : من فعل هذا ؟ قالوا : فعله حمزة بن عبد المطلب ، وهو في البيت في شرب من الأنصار ، غتته قينة وأصحابه ، فقالت في غنائها :

ألا يا حمز للشرف النواء	وهن معقات بالنساء
ضع السكين في اللبأت منها	وضر جن حمزة بالدماء
وعجل من أطايبها لشرب	طعاماً من قديد أو شواء
فأنت أبو عمارة والمرجئ	لكشف الضر عنا والبلاء

فقام حمزة بالسيف ، فاجتب أسنمتها وبقر خواصرها ، فأخذ من أكبادهما . قال علي : فانطلقت حتى أدخل على رسول الله ﷺ وعنده زيد بن حارثة - قال - فعرف رسول الله ﷺ في وجهي الذي لقيت ، فقال رسول الله ﷺ : مالك ؟ قلت : يا رسول الله ! مارأيت كالיום قط ؛ عدا حمزة على ناقتي فاجتب أسنمتها وبقر خواصرها ، وهاهو في بيت معه شرب - قال - فدعا رسول الله ﷺ بردائه فارتداه ، ثم انطلق عشي واتبعته أنا وزيد بن حارثة ، حتى جاء الباب الذي فيه حمزة ، فاستأذن فأذنوا له ، فاذا هم شرب ، فطلق رسول الله ﷺ يولم

حمزة فيما فعل ، وإذا حمزة محمزة عيناه ، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ ، ثم صعد النظر إلى ركبته ، ثم صعد النظر فنظر إلى سرته ، ثم صعد النظر فنظر إلى وجهه ، فقال حمزة : وهل أنتم إلا عبيد لأبي ؟ - قال - فعرف رسول الله ﷺ أنه نمل (١) ، فنكص رسول الله ﷺ على عقبه القهقري ، وخرج وخرجنا معه . زاد البخاري : وذلك قبل تحريم الخمر .

وروى أصحاب «السنن» من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت الآية التي في البقرة : « قل فيها إثم كبير » (٢) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً ، فنزلت التي في النساء : « لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » (٣) فقرئت عليه فقال : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فنزلت التي في المائدة : « فاجتنبوه ... إلى قوله : منتهون » (٤) . فقال عمر : انتهينا . وصححه علي بن المديني والترمذي ، وأخرج الامام أحمد نحوه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه دون قصة عمر ، لكن قال عند نزول آية البقرة : فقال الناس : ما حرّم علينا ، فكانوا يشربون ، حتى أم رجل أصحابه في المغرب فخلط في قراءته ، فنزلت التي في النساء ، فكانوا يشربون ، ولا يقرب الرجل الصلاة حتى يفيق ، ثم نزلت آية المائدة ، فقالوا : يا رسول الله ! ناس قتلوا في سبيل الله وماتوا على فراشهم ، وكانوا يشربونها . فأ نزل الله تعالى : « ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح » (٥) ... الآية . فقال النبي ﷺ : « لو حرم عليهم لتركوه كما تركتموه » . وفي مسند الطيالسي نحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وقال في الآية الأولى : قيل : حرمت الخمر ، فقالوا : دعنا يا رسول الله نتفع بها . وفي الثانية : فقيل : حرمت الخمر ، فقالوا : إنا لانشربها قرب الصلاة . وقال في الثالثة : فقال رسول الله ﷺ : حرمت الخمر .

(١) يقال نمل مثلاً : إذا أخذ فيه الشراب .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٢١٩٦ (٣) سورة النساء ، الآية ٤٣

(٤) سورة المائدة ، الآية ٩٠ (٥) سورة المائدة ، الآية ٩٣

وأخرج النسائي والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :
 إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من الأنصار شربوا ، فلما عمل القوم عبث بعضهم
 يعض ، فلما أن أصبحوا جمعل الرجل يرى في وجهه ورأسه الأثر فيقول :
 صنع هذا أخي فلان ، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن ، فيقول : والله لو كان
 لي رحيماً ما صنع بي هذا ، حتى وقعت في قلوبهم الضغائن ، فأزل الله عز وجل هذه
 الآية : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر .. إلى منتهون » (١) . قال : فقال ناس
 من المتكافئين : هي رجس ، وهي في بطن فلان ، وقد قتل يوم أحد ، فأزل الله :
 « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. إلى الحسنين » (٢) . ووقعت هذه
 الزيادة في حديث أنس في « صحيح البخاري » ، ووقعت أيضاً في حديث البراء
 عند الترمذي وصححه . ومن حديث ابن عباس عند الامام أحمد : لا حرمت
 الخمر قال ناس : يا رسول الله ! إن أصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها . وسنده
 صحيح . وعند البزار من حديث جابر : إن الذي سأل عن ذلك هم اليهود .
 قال أبو بكر الرازي في « احكام القرآن » : يستفاد تحريم الخمر من هذه
 الآية من تسميتها رجساً ، وقد سمي به ما أجمع على تحريمه وهو لحم الخنزير ، ومن
 قوله : « من عمل الشيطان » (١) لأن ما (٢) كان من عمل الشيطان حرم تناوله ، ومن
 الأمر بالاجتناب وهو للوجوب ، وماوجب اجتنابه حرم تناوله ، ومن القلاح المرتب
 على الاجتناب ، ومن كون الشرب سبباً للعداوة والبغضاء للمؤمنين ، وتماطي مايقع
 ذلك حرام ، ومن كونها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، ومن ختام الآية بقوله :
 « فهل أنتم منتهون » (١) فانه استفهام معناه الردع والزرع ، فلهذا قال عمر رضي
 الله عنه لما سمعها : انتهينا انتهينا . وأخرج الطبراني وابن مردويه ، وصححه الحاكم
 من طريق طلحة بن مصرف ، عن سميد بن جبير ، عن ابن عباس رضي الله عنهما

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة المائدة ، الآية : ٩٣ (٣) في الاصل : مها

قال : لما نزل تحريم الخمر مشى أصحاب رسول الله ﷺ بعضهم الى بعض ، فقالوا : حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك . قيل : يشير الى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر.. الآية »^(١) فإن الأنصاب والأزلام من عمل المشركين بتزيين الشيطان فنسب العمل اليه . وقال أبو الليث السمرقندي : المعنى أنه لما نزل فيها : « إنه رجس من عمل الشيطان »^(٢) وأمر باجتنابها ، عادت قوله : « فاجتنبوا الرجس من الأوثان »^(٣) وذكر أبو جعفر النحاس أن بعضهم استدل بتحريم الخمر بقوله تعالى : « إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق »^(٤) . وقد قال تعالى في الخمر والميسر : « فيها إثم كبير ومنافع للناس »^(٥) . فلما أخبر أن في الخمر إثمًا كبيراً ، ثم صرح بتحريم الخمر بذلك ، قال : وقول من قال : إن الخمر يسمى الاثم ، لم نجد له أصلاً في الحديث ، ولا في اللغة ، ولا دالة أيضاً في قول الشاعر :

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

فانه أطلق الاثم على الخمر مجازاً ، بمعنى أنه ينشأ عنها الاثم . واللغة الفصحى تأنيث الخمر ، وأثبت أبو حاتم السجستاني وابن قتيبة وغيرها جواز التذكير . ويقال لها : الخمرة ، أثبتت فيها جماعة من أهل اللغة ، منهم الجوهري ، وصاحب « القاموس » وغيرها ، وقال ابن مالك في « المثلث » : الخمرة هي الخمر في اللغة ، وهل سميت الخمر لأنها تغطي العقل ، أي تخامره ، أي تخاطله ، أو لأنها تخمر ، أي تغطي حتى تغلي ، أو لأنها تخمر ، أي تدرك ، كما يقال للمعجين : اخمر ؟ أقوال . وقد قال عمر رضي الله عنه : الخمر ما خمر العقل - أي غطاه - أو خاطله . والعقل هو آلة التمييز ، فلذلك حرم ما غطاه أو غييره ؛ لأن بذلك يزول الإدراك الذي طلبه الله من عباده ليقوموا بحقوقه .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٩٠ (٢) سورة الاعراف ، الآية : ٣٣

(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢١٩ (٤) سورة الحج ، الآية : ٣٠

الثالث : الخمر يكون من العنب وغيره . وقد ثبت عن النبي ﷺ من عدة طرق أنه قال : « كل مسكر حرام ، وكل شراب أسكر فهو حرام » . كما في « الصحيحين » ، وغيرها ، وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام ؛ ومن شرب الخمر في الدنيا مات وهو يدمنها لم يتب ؛ لم يشربها في الآخرة . وفيها من حديث ابن عمر رضي الله عنها أيضاً عن النبي ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام ، وقد نقل كون الخمر من العنب وغيره عن الجمهور ؛ منهم عمر بن الخطاب ، وعلي ابن أبي طالب ، وسعد بن أبي وقاص ، وابن عمر ، وأبو موسى ، وأبو هريرة ، وابن عباس ، وعائشة رضي الله عنهم ، ومن التابعين : ابن المسيب ، وعروة ، والحسن ، وسعيد ابن جبير ، وآخرون ، وهو قول مالك ، والأوزاعي ، والثوري وابن المبارك ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق ، وعامة أهل الحديث ، خلافاً للكوفيين في زعمهم أن الخمر اسم لما يتخذ من عصير العنب خاصة . وقد ثبت في « الصحيح » ، « السنن » ، « المسانيد » ، وغيرها عن النبي ﷺ : أن كل ما أسكر فهو خمر . وقال ﷺ : « والخمر من هاتين الشجرتين : النخلة والعنب » . ورواه مسلم قال البيهقي : ليس المراد الحصر فيها ، لأنه ثبت أن الخمر يتخذ من غيرها في حديث عمر وغيره ، وفي البخاري : « قام عمر على المنبر فقال : أما بعد ، نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : العنب والتمر والصل والحنطة والشعير . والخمر ما خامر العقل . وأخرج أصحاب « السنن » ، الأربعة ، وصححه ابن حبان ، عن الشعبي ، أن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الخمر من العصور والزبيب والتمر والحنطة والشعير والقررة » ، وإني أنهاكم عن كل مسكر » . ورواه الامام أحمد من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بسند صحيح قال : « الخمر من العنب والتمر والصل والحنطة والشعير والقررة » . قال صاحب « الهداية » من الحنفية : الخمر عندنا ما اعتصر من العنب إذا اشتد - قال -

وهو المعروف عند أهل اللغة وأهل العلم - قال - وقيل : هو اسم لكل مسكر ؛ لقوله ﷺ : « كل مسكر خمر ، وقوله : « الخمر من هاتين الشجرتين ، ولأنه من مخمرة العقل ، وذلك موجود في كل مسكر . وأجاب في « الفتح ، بأن غير المتخذ من العنب يسمى خمرأ عند بعض أهل اللغة . وقال الخطابي : زعم قوم أن العرب لا تعرف الخمر إلا من العنب ، فيقال لهم : إن الصحابة الذين سماوا غير المتخذ من العنب خمرأ عرب فصحاء ، فلو لم يكن هذا الاسم صحيحاً لما أطلقوه . وقال ابن عبد البر : قال الكوفيون : الخمر من العنب ؛ لقوله تعالى : « أعصر خمرأ » (١) قالوا : فدل على أن الخمر هو ما يتمصر لا ما ينبذ - قال - ولا دليل فيه على الحصر . وقال أهل المدينة ، وسائر الحجازيين وأهل الحديث كلهم : كل مسكر خمر ، وحكمه حكم ما اتخذ من العنب . ومن الحجة لهم أن القرآن لما نزل بتحريم الخمر ، فهم الصحابة - وهم أهل اللسان - أن كل شيء يسمى خمرأ يدخل في النهي ، فأراقوا المتخذ من الثمر والرطب ، ولم يخصصوا ذلك بالمتخذ من العنب . وعلى تقدير التسليم ؛ فإذا ثبت تسمية كل مسكر خمرأ من الشرع ؛ كان حقيقة شرعية ، وهي مقدمة على الحقيقة اللغوية .

قال ابن عبد البر ، بعد أن نقل عن العرب والصحابة والأحاديث : على أن كل ما خامر العقل يسمى خمرأ . وكذا القرطبي قال : إن الأحاديث الواردة عن أنس وغيره ، على صحتها وكثرتها تبطل مذهب الكوفيين القائلين : بأن الخمر لا يكون إلا من العنب ، وما كان من غيره لا يسمى خمرأ ، ولا يتناولوه اسم الخمر - قال القرطبي - وهو قول مخالف للغة العرب وللسنة الصحيحة والصحابة ؛ لأنهم لما نزل تحريم الخمر ، فهموا أن الأمر باجتناب الخمر تحريم كل مسكر ، ولم يفرقوا بين ما يتخذ من العنب ، وبين ما يتخذ من غيره ؛ بل سوا بينها ، وحرموا ما يسمى مسكر نوعه ، ولم يتوقفوا ولا استفصلوا ، ولم يشكل عليهم شيء .

(١) سورة يوسف ، الآية ٣٦

من ذلك ؛ بل بادروا الى إتلاف ما كان من غير عصير العنب ، وم أهل السائل ، وبلغتهم نزل القرآن ، فلو كان عندهم فيه تردد لتوقفوا عن الازالة حتى يستكشفوا ويستفصلوا ويتحققوا التحريم ، لما كان تقرر عندهم من النهي عن إضاعة المال ، فلما لم يفعلوا ذلك وبادروا إلى الإتلاف ؛ علمنا أنهم فهموا التحريم نصاً . فصار القائل بالتفريق سالكاً غير سبيلهم - قال - ثم انضاف إلى ذلك خطبة عمر بما يوافق ذلك ، وهو بمن جمل الله الحق على لسانه وقلبه ، وسمعه الصحابة وغيرهم ؛ فلم ينقل عن أحد منهم إنكار ذلك - قال - وإذا ثبت أن كل شيء أسكر يسمى خمرًا ؛ لزم تحريم قليله وكثيره ، وقد ثبتت الأحاديث الصحيحة في ذلك .

وأما ما تمسك به المخالف من الأحاديث عن بعض الصحابة ؛ فلا يصح منها شيء . على ما قاله عبد الله بن المبارك ، والامام أحمد وغيرهما . وعلى تقدير ثبوت شيء منها ، فمحمول على تقيح الزبيب أو التمر من قبل أن يدخل حديد الاسكار . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في « الفتاوى المصرية » : خمر العنب حرام باتفاق المسلمين قليله وكثيره ، فمن استحل شيئاً من ذلك يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل - قال - وأبو حنيفة يحرم نبيذ التمر والزبيب قليله وكثيره إذا كان مسكراً ، وكذلك المطبوخ من عصير العنب الذي لم يذهب ثلثاه ، فإنه يحرم عنده قليله وكثيره ، فهذه الأربعة يحرم عنده قليلها وكثيرها - قال - والذي عليه جماهير أئمة المسلمين : أن كل مسكر حرام ، وقد قال ﷺ ذلك ، واستفاضت الأحاديث بذلك . انتهى .

وقال المازري : أجمعوا على أن عصير العنب قبل أن يشتد حلال ، وعلى أنه إذا اشتد وغلى ، وقذف بالزبد ، حرم قليله وكثيره ، ثم لو تخلل بنفسه حل بالاجماع أيضاً ، فوقع النظر في تبدل هذه الأحكام عند هذه المتجددات ، فأشهر

ذلك بارتباط بعضها ببعض ، ودل على أن علة التحريم الاسكار ، فاقضى ذلك أن كل شراب وجد فيه الاسكار حرم تناول قليله وكثيره . انتهى .

وما ذكره استنباطاً ثبت التصريح به في بعض طرق الخبر ؛ فعند أبي داود والنسائي ، وصححه ابن حبان ، من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أسكر كثيراً فقليله حرام » ، والنسائي من حديث عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده مثله ، وسنده إلى عمرو صحيح ، ولأبي داود من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً : « كل مسكر حرام » ، وما أسكر منه الفرق في الكف^(١) منه حرام . وابن حبان والطحاوي من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ قال : « أنها كم عن قليل ما أسكر كثيراً » . وقد اعترف الحافظ الطحاوي بصحة هذه الأحاديث ؛ لكن قال : اختلفوا في تأويل الحديث ، فقال بعضهم : أراد به جنس ما يسكر ، وقال بعضهم : أراد به ما يقع السكر عنده ، ويؤيده أن القاتل لا يسمى قاتلاً حتى يقتل - قال - ويدل له حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه : « حرمت الخمر قليلها وكثيرها ، والسكر من كل شراب » . قال الحافظ بن حجر في « الفتح » : وهذا حديث أخرجه النسائي ورجاله ثقات ؛ إلا أنه اختلف في وصله وانقطاعه ، وفي رفعه ووقفه ، وعلى تقدير صحته ؛ فقد رجح الإمام أحمد وغيره أن الرواية فيه بلفظ : والمسكر - بضم الميم وسكون السين المهملة - لا السكر - بضم فسكون أو بفتحين - وعلى تقدير ثبوتها . فهو حديث فرد ، ولفظه محتمل ، فكيف يمرض عموم تلك الأحاديث مع صحتها وكثرتها . وجاء أيضاً عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند الدارقطني ، وعن ابن عمر عند إسحاق والطبراني ، وعن خوات بن جبير عند الدارقطني والحاكم والطبراني ، وعن زيد بن ثابت عند الطبراني ، وفي أسانيدھا مقال ؛ لكنها تزيد الأحاديث قبلها

(١) في الأصل : الكفة ، والتصحيح من « سنن أبي داود » . والفرق : نوع من أنواع المكابيل .

قوة وشهرة . قال في الفتح : قال أبو المظفر بن السمعاني قال - وكان حنفياً
فتحول شافئياً - : ثبتت الأخبار عن النبي ﷺ في تحريم المسكر ، ثم ساق
كثيراً منها ، ثم قال : والأخبار في ذلك كثيرة ، ولا مسأخ لأحد في المدول
عنها والقول بخلافها ؛ فإنها حجج قواطع - قال - وقد زل الكوفيون في هذا
الباب ، ورووا أخباراً معلولة لا تعارض هذه الأخبار بحال ، ومن ظن أن رسول
الله ﷺ شرب مسكراً ، فقد دخل في أمر عظيم ، وباء باثم كبير ، وإنما الذي
شربه كان حلواً ولم يكن مسكراً . وقد روى ثمامة بن حزن القشيري ، أنه
سأل عائشة عن النبيذ ، فدعت جارية حبشية فقالت : سل هذه ؛ فإنها كانت تنبذ
لرسول الله ﷺ ، فقات الحبشية : كنت أنبذ له في سقاء من الليل وأوكشه
وأعلقه ، فإذا أصبح شرب منه . أخرجه مسلم . وروى الحسن البصري ، عن
أمه ، عن عائشة نحوه ، ثم قال : فقياس النبيذ على الخمر بملة الاسكار والاطراب
من أجل الأقيسة وأوضاعها ، والمفاسد التي توجد في الخمر توجد في النبيذ ، ثم
قال ابن السمعاني : وعلى الجملة فالنصوص المصروفة بتحريم كل مسكر قد أو
كثر مغنية عن القياس . انتهى .

وقد قال عبد الله بن المبارك : لا يصح في حل النبيذ الذي يسكر
كثيره عن الصحابة شيء ، ولا عن التابعين ، إلا عن إبراهيم النخعي - قال -
وقد ثبت حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ، وقد أسند أبو جعفر
النحاس ، عن يحيى بن معين ، أن حديث عائشة : كل شراب أسكر فهو حرام ؛
أصح شيء في الباب ، وفي هذا تمقب على من نقل عن ابن معين أنه قال : لا أصل
له ، وقد ذكر الزيلعي في : «تخريج أحاديث الهداية» وهو من أكثر الحنفية
اطلاعاً : أنه لم يثبت في شيء من كتب الحديث ، نقل هذا عن ابن معين . انتهى .
قال في الفتح : وكيف يتأتى القول بتضمينه مع وجود مخارجه

الصحيحة ثم مع كثرة طرقه ؟ حتى قال الامام أحمد : إنها جاءت عن عشرين صحابياً ، وأورد الكثير منها في « كتاب الأشربة » المفرد ، فمأرواه فيه من حديث علي رضي الله عنه : اجتنبوا ما أسكر . رواه الامام أحمد ، وهو حديث حسن . وفي « الفتح » : أن الأحاديث الواردة في ذلك تزيد عن ثلاثين صحابياً ، وأكثرها عنهم جيداً ، ومضمونها : أن المسكر لا يحل تناوله ؛ بل يجب اجتنابه . ويأتي ما رواه الامام أحمد رضي الله عنه ، عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت المختار بن فلفل قال : سألت أنس بن مالك عن الشرب في الأوعية ، فقال : نهى رسول الله ﷺ عن المزفة وقال : كل مسكر حرام - قال - قلت له : صدقت ، السكر حرام ، فالشربة والشربين على طعمانا ؟ قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام . ويأتي شرحه إن شاء الله تعالى ، وسنده صحيح على شرط مسلم . فقد رد أنس الاحتمال الذي جنح إليه الطحاوي ، والصحابي أعرف بالمراد ممن تأخر بعده ، ولهذا قال عبد الله بن المبارك ما قال . وتقدم طرف من الكلام على التبيذ في شرح الحديث (١) الرابع من « مسند جابر رضي الله عنه » . وبالله التوفيق .

الحديث الثمانون

١٢٥ - ثنا وكيع ، ثنا يزيد بن أبي صالح - وكان دُبَّاغاً ، وكان حسن الهيئة ، عنده أربعة أحاديث - سمعت أنس ابن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس الجحيم ، حتى إذا كانوا حُمماً أخرجوا فأدخلوا الجنة ؛ فيقول أهل الجنة : هؤلاء الجنةيون .

(١) كلمة الحديث : سقطت من الاصل .

قال رضي الله عنه : (ثنا) أبو سفيان (وكيع) بن الجراح بن فليح
الدوسي الكوفي الحافظ .

قال الامام أحمد : ما رأيت أوعى للعلم منه ولا أحفظ ، ولا رأيت معه
كتاباً قط ولا رقعة . وقال ابن معين : ما رأيت أفضل منه ، كان يستقبل القبلة ،
ويحفظ حديثه ، ويقوم الليل ، ويسرد الصوم ، ويقي بقول أبي حنيفة . وقال
الامام أحمد لمباس الدوري : لو رأيت وكيعاً لملت أنك ما رأيت مثله . وقال
إبراهيم الحربي : سمعت الامام أحمد بن حنبل ، وذكر وكيعاً ، فقال : ما رأيت
عينا مثله قط . وقال يحيى ابن أكثم : صحبت وكيعاً في السفر والحضر ،
فكان يصوم الدهر ، ويحتم القرآن كل ليلة . وقال ابن جنادة : جالست وكيع
ابن الجراح سبع سنين ، فما رأيت بزرق ولا مس حصة ولا جلس مجلسه فتحرك ،
وما رأيت إلا مستقبل القبلة ، وما رأيت يحلف بالله . وقال وكيع : زكاة الفطر
لشهر رمضان كسجدة السهو للصلاة ، تحير نقصان الصوم كما يحير السجود
نقصان الصلاة . وأغلظ رجل لو كيع ، فدخل بيتاً فمقر وجهه في التراب ، ثم
خرج الى الرجل فقال : زد وكيعاً بذنبه ، فلولا ما سيط عليه .

قال بعض المؤرخين : وكيع من قيس عيلان . وقيل : إن أصله من قرية
من قرى نيسابور . سمع وكيع هشام بن عمر ، والأوزاعي وبقية وحماد بن سلمة
والسفيانين ، مالكا وخلفا . وروى عنه ابنه (١) : فليح وسفيان ، والامام أحمد بن حنبل
وإسحاق بن راهويه ويحيى بن معين . وروى عنه أيضاً عبد الله بن المبارك وعلي
ابن المديني والامام الشافعي ، وقال للشافعي : إني أرى الله قد أتى على قلبك نوراً ،
فلا تظلمه بظلمة المعصية . وقيل : إن الذي قال ذلك للشافعي الامام مالك ، لما
رأى من وفور فطنته وتوقد ذكائه وكال فهمه .

(١) في الاصل : بنوه ، وهو خطأ ، لانه ذكر اثنين .

وقال الشافعي رضي الله عنه :

شكوت الى وكيع سوء حفظي
وقال اعلم بأن العلم نور
فأرشدني إلى ترك المعاصي
ونور الله لا يؤتاه عاصي

مات وكيع رحمه الله ورضي عنه سنة ست وتسعين ومائة .

قال وكيع : (ثنا يزيد بن أبي صالح) قال الامام أحمد : (وكان) يزيد هذا (دباعاً ، وكان حسن الهيئة) أي الشكل والحالة . قال في « النهاية » : الهيئة صورة الشيء وشكله وحالته ، وقال في قوله وَاللَّهُ : « اقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود » : هم الذين لا يرفون بالشر ، فيزل أحدهم الزلة ، قال : ويريد به ذوي الهيئات الحسنة ، الذين يلزمون هيئة واحدة وسمناً واحداً ، ولا تختلف حالاتهم بالتنقل من هيئة إلى هيئة .

وقال ابن عقيل : المراد بهم الذين دامت طاعتهم وعداتهم ، فزلت في ريمض الأحابين أقدامهم بورطة . وقال ابن القيم الظاهر أنهم ذوي الأقدار من الناس ، من الجاه والشرف والسؤدد ، فإن الله تعالى خصهم بنوع تكريم وتفضل على أبناء جنسهم ، فمن كان منهم مستوراً مشهوراً بالخير حتى كبا به جواده ، ونبا غضب صبره ، وأديل عليه شيطانه ، فلا يتسارع إلى تأنيبه وعقوبته ؛ بل تقال عثرته ، ما لم يكن حداً من حدود الله ، فانه يتعين استيفاؤه من الشريف كما يتعين أخذه من الوضيع ، وأما أهل التقوى ؛ فما عبر عنهم النبي ﷺ بذوي الهيئات . انتهى ملخصاً ، والله أعلم . (عنده) أي عند يزيد هذا (أربعة أحاديث) هذا أحدها . قال : (سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : قال رسول الله ﷺ : يدخل ناس) من هذه الأمة (الجحيم) وهو اسم لطبقة من طبقات جهنم ، وباب من أبوابها . والمشهور أن عصاة هذه الأمة في الطبقة الأولى . وتسمى : جهنم ، وهي أهون عذاباً من غيرها ، وسميت بذلك ؛ لأنها تعجم في وجوه الرجال

والنساء ، فتأكل لحومهم ، والهاوية آخرها ، وهي أبدها قمرأ ، والجحيم النار
 الشديدة التاجج ، وكل نار بعضها فوق بعض كالجمحة ، ويضم ، وكل نار عظيمة
 في مهواة ، والمكان الشديد الحر (حتى إذا كانوا) أي صاروا بمد دخولهم
 النار فيها (حمأ) - يضم الحاء المهلة وفتح الميم - جمع حممة ، وهي الفحمة
 (أخرجوا) من النار بالشفاعة ، أو برحمة أرحم الراحمين (فأدخلوا الجنة) فقد أخرج
 هناد من طريق جوير ، عن الضحاك ، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما ،
 عن النبي ﷺ قال : « إن للجنة بايين ، أحدها يسمى الجوانية والآخر يسمى
 البرانية ، فأما الجوانية فإني لا يخرج منها أحد ، وأما البرانية فإني يمدب الله فيها
 أهل الذنوب من أهل الإيمان ما شاء الله أن يمدبهم ، ثم يأذن الله للملائكة
 والرسل والأنبياء ولمن شاء من عباده الصالحين ، فيشفعون فيخرجون منها وهم
 فحيم ، فيلقون على شاطئ نهر في الجنة يسمى نهر الحيوان ، فينضج عليهم ،
 فينبتون كما تنبت الحبة في الحبل ، فإذا استوت أجسادهم قيل : أدخلوا النهر .
 فيدخلون فيشربون منه ويقتلون فيخرجون ، فيقال لهم : أدخلوا الجنة (فيقول
 أهل الجنة : هؤلاء الجهنميون) ، لبقية أثر في أجسادهم .

فقد أخرج الطبراني في « الأوسط » عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه
 قال : قال ﷺ : « يخرج قوم من النار فيسمون في الجنة الجهنميين ، فيدعون
 الله أن يحول عنهم ذلك الاسم ، فيمحوه الله عنهم ، فأخرجوا من النار نبتوا
 كما ينبت الريش . »

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في مناشدة
 المؤمنين الله تعالى في إخوانهم المذنبين من المؤمنين إذا رأوا أنهم قد نجوا فيقولون :
 ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون ، فيقال لهم : أخرجوا من عرقم ، فتحرم
 صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، قد أخذت النار إلى نصف ساقه وإلى ركبته ،

ثم يقولون : ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به . فيقال : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ؛ ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً . وكان أبو سعيد يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم : « إن الله لا يظلم مثقال ذرة ، وإن تك حسنة يضاعفها ، ويؤت الله من لده أجرًا عظيمًا » (١) — فيقول الله عز وجل : شفعت الملائكة وشفع النبيون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار لم يعملوا خيراً قط ، قد عادوا حمماً ، فيلقهم في نهر ؛ في أفواه الجنة يقال له : نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ؟ ما تكون إلى الشمس أصفر وأخضر ، وما يكون منها إلى الظل ؛ يكون أبيض . فيخرجون كاللؤلؤ ، في رقابهم الخواتيم ، يمرهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله ؛ الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ، ولا خير قدموه ... الحديث » والمراد لم يعملوا خيراً قط من العمل ؛ إلا أنهم موحدون ، فأصل التوحيد في قلوبهم .

وفي « البخاري » من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قال ﷺ : « حق إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار ؛ أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله ، فيخرجونهم فيعرفونهم بآثار السجود ، وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود ، فيخرجون من النار ، وقد امتحشوا بضم التاء وكسر الحاء المهمله بعدها شين مججمة — أي احترقوا ، فيصب عليهم ماء الحياة ، فينبئون كما تنبت الحبة في حميل السيل ... الحديث » .

(١) سورة النساء ، الآية : ٤٠

وفي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في «الصحيحين» ، وغيرها ، في حديث الشفاعة الطويل ، وفيه فأقول : «يا رب ! أمي أمي» ، فيقول : انطلق ، فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شميرة من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأنتقل فأفعل ، ثم أجمع إلى ربي فأحمده بتلك الحامد ، ثم أخر له ساجداً . فيقال لي : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطيه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ! أمي أمي ، فيقال : انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه منها ، فأنتقل فأفعل ، ثم أعود إلى ربي . وفيه فيقال لي : انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان ؛ فأخرجه من النار ، فأنتقل فأفعل ، وفيه : قال الحسن البصري : قال أنس رضي الله عنه : قال النبي ﷺ : «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة ، وأحمده بتلك الحامد ، ثم أخر ساجداً ؛ فيقال : يا محمد ! ارفع رأسك ، وقل يسمع لك ، وسل تعطيه ، واشفع تشفع ، فأقول : يا رب ! أئذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله ، قال : ليس ذلك لك ، أو قال : ليس ذلك إليك ؛ ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال : لا إله إلا الله .»

وفي «البخاري» ، من حديثه مرفوعاً : «يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن برقة ، ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرّة ، وفي حديث جابر ابن عبد الله رضي الله عنها عند مسلم : «يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ؛ وكان في قلبه من الخير ما يزن شميرة ، فيجملون بقاء الجنة ، ويحمل أهل الجنة يرشون عليهم الماء ؛ حتى ينبتوا نبات الشبث في السيل ، ويذهب حرقه ، ثم يسأل حتى تجمل له الدنيا وعشرة أمثالها ، ورواه الترمذي ولفظه : قال : قال رسول الله

ﷺ : « يمدب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حمماً ، ثم تدركهم الرحمة فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة - قال - فيرش عليهم أهل الجنة الماء ، فينبثون كما ينبت القثاء في حمالة السيل ، ثم يدخلون الجنة » .
وفي « صحيح مسلم » من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :
قال رسول الله ﷺ : « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ؛ ولكن ناس أصابهم النار بذنوبهم ، أو قال : بخطاياهم ، فأماهم الله إمامة ، حتى إذا كانوا لحماً أذن في الشفاعة ، فجاء بهم ضبائر ضبائر بضاد معجمة فباء موحدة فألف بمدھا همزة فراء - أي جماعات في تفرقة ، جمع ضبارة ، مثل عمارة وعمائر ، وكل مجتمع ضبارة . فبثوا على أنهار الجنة ، ثم قيل : يا أهل الجنة ! أفيضوا عليهم ، فينبثون نبات الحبة في حميل السيل » .

وفي « صحيح مسلم » أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن قوماً يخرجون من النار يحترقون فيها ؛ إلا دارات وجوههم ، حتى يدخلون الجنة » والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

تنبيهان

الأول : اتفق أهل السنة والجماعة على أن النار لا يخلد فيها أحد من أهل الإيمان والتوحيد ، كما ثبت ذلك في الأحاديث ؛ أنه يخرج من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ونحوه ؛ لكن لا بد أن يدخل النار من أهل التوحيد طائفة بذنوبهم ، ويباقبون على مقدار ذنوبهم ، ثم يخرجون بشفاعة النبي ﷺ أو غيره ، أو برحمة أرحم الراحمين .

هذا قول أهل الحق ، فإذا ارتكب المؤمن كبيرة من الذنوب غير

مكفرة بلا استحلال ، ومات بلا توبة ؛ فهو في مشيئة الله تعالى ، فلا يقطع له بالمغو ولا بالعقاب ، وعلى تقدير وقوع المذاب عدلاً منه سبحانه ، يقطع له بعدم الخلود في النار ، بل لا بد وأن يخرج منها بمقتضى ما سبق من وعده الذي لا يخلفه .
وأما أهل البدع فلهم أقوال مضطربة باطلة ، وآراء مختلفة عاطلة ، فجهور المعتزلة والخوارج يقولون : من دخل النار يخلد فيها .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الايمان » : ينبغي أن يعرف أن القول الذي لم يوافق الخوارج والمعتزلة عليه أحد من أهل السنة ، هو القول بتخليد أهل الكبار في النار ، فإن هذا القول من البدع المشهورة — قال — وقد اتفق الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين على أنه لا يخلد في النار أحد ممن في قلبه مثقال ذرة من إيمان — قال — وحديث : لا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . هو نفى الدخول المطلق الذي توعد به القرآن توعداً مطلقاً ، وهو دخول الخلود فيها ؛ وأنه لا يخرج منها لا بشفاعاة ولا غيرها ، مثل قوله تعالى : « لا يصلاها إلا الأشقي » (١) . وقوله : « سيدخلون جهنم داخرين » (٢) . فمن في قلبه ذرة من إيمان يمنع من هذا الدخول المعروف ، لا أنه لا يصيبه شيء من عذاب النار ؛ لأنه يقول : أخرجوا من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . وكذا قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر » . ففي الدخول المطلق المعروف ، وهو دخول المؤمنين الذين أعدت لهم الجنة ، كقوله : « وسبق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً ... الآية » (٣) والمراد الدخول ابتداء من غير عذاب في النار ، بحيث لا يفهم من ذلك أنهم يمدبون ، فهذا الدخول لا يناله من في قلبه مثقال ذرة من كبر . فهذه الأحاديث

(٣) سورة الزمر ، الآية : ٧٣

(١) سورة الليل ، الآية : ١٥

(٢) سورة غافر ، الآية : ٦٠

مبين فيها سبب دخول الجنة من العمل الصالح ، وسبب دخول النار كالكبر ، فإن وجد من العبد أحد السبعين فقط فهو من أهله ، وإن وجداً معاً استحق الجنة والنار ، فالذي معه كبر وإيمان ؛ يستحق النار فيمذب حتى يزول الكبر من قلبه ، وحينئذ يدخل الجنة ، وكذا الوتاب منه أو عفا الله عنه ، فلا يقطع له بالعذاب ، وقالت المعتزلة : يقطع لكل مرتكب كبيرة من الذنوب إذا لم يتب بالعذاب الدائم والبقاء الخلد في النار ؛ لكنه يذب فيها عندهم عذاب الفساق لا عذاب الكفار ، بناء على قاعده مذهبهم : من أن الكبيرة تخرج العبد من الإيمان ولا تدخله في الكفر وهذا المراد عندهم بثبوت الميزة بين الميزتين ، فهو عندهم لا مؤمن ولا كافر ^(١) ، وأما الخوارج فالكبيرة عندهم تخرج العبد من الإيمان وتدخله الكفر ، فيمذب عذاب الكفار ، وكلا المذهبين باطل ، والحق ما عليه أهل السنة ، من أن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته ، فلا نسليه مطلق الإيمان كما لا تمنحه الإيمان المطلق ، بل إيمانه ناقص أفسقه ، فإن تاب قبل الموت قبلت توبته ، وإلا فأمره مفوض لربه ، فإن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . وبالله التوفيق .

فروع : رتب بعض العلماء على وجوب عذاب طائفة من عصاة هذه الأمة منع سؤال المغفرة لجميع المسلمين لمناقاته لذلك ، وهذا إنما يظهر إذا قصد التعميم لجميع الأمة ، وأن تكون مغفرة ^(٢) كل ذنب لكل واحد غفراناً أولاً ، من غير أن يمس أحداً عذاب ، وإلا فلا يظهر ، لجواز تخصيص المغفرة ببعض فرق الأمة ، أو شمولها لمن مسه العذاب ثم غفر له ، وهذا يبين ظاهره ، وقد أفتيت به على هذا المتوال . والله تعالى أعلم .

الثاني : شفاععة النبي ﷺ حق ، وكذا شفاععة غيره من النبيين والمرسلين والملائكة المقربين والعلماء العاملين وعباد الله الصالحين ، كل واحد على قدر

(٢) في الاصل : المغفرة ، وهو خطأ .

(١) في الاصل : كفار

منزلة ومحسب فضيلته ودرجته عنده ، وقد وردت بها الأخبار ، وصحت بها الآثار ، واستفاضت بها الأحاديث وانتشرت واشتهرت حتى بلغت التواتر ، وانمقد على ثبوتها للنبي ﷺ إجماع السلف الصالح قبل ظهور أهل البدع و فرق الضلال .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه « شرح الإيمان » : اتفق الصحابة والتابعون لهم بأحسان وسائر الانعمة المسلمين ، على أن نبينا ﷺ يشفع فيمن يأذن الله له بالشفاعة فيه من أهل الكبار من أمته ، في « الصحيحين » وغيرها ، من حديث أبي هريرة وأنس وغيرهما رضي الله عنهم ، أن النبي ﷺ قال : « لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته ، وخبات دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة . فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً » . وفي أبي داود والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « شفاعتي لأهل الكبار من أمتي » . قال الترمذي : حديث حسن صحيح . وفي « صحيح مسلم » عن زيد ابن صهيب قال : كنت قد شفعتني رأي من رأي الخوارج ، فخرجنا في عصابة ذوي عدد زيد الحج ، ثم نخرج على الناس . قال : فررنا على المدينة ، فاذا جابر بن عبد الله جالس على سارية يحدث عن رسول الله ﷺ ، فاذا هو قد ذكر الجهنميين ، فقلت : يا صاحب رسول الله ! ما هذا الذي تحدثوننا ؟ والله تعالى يقول : « إنك من تدخل النار فقد أخزيته » (١) و « كما أرادوا أن يخرجوا منها أعيديها » (٢) ، فما هذا الذي تقولون ؟ قال : أقرأ القرآن ؟ قلت : نعم . قال : فاقرا ما قبله ، إنه في الكفار . قال : فهل سمعت مقام محمد الذي يسمه الله فيه ؟ قلت : نعم . قال : فانه مقام محمد ﷺ الممود الذي يخرج الله به من يخرج ، ثم نمت وضع الصراط ومر الناس عليه . قال : وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك . قال : غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها . قال : يعني فيخرجون

(١) سورة آل عمران ، الآية : ١٩٢ (٢) سورة السجدة ، الآية : ٢٠

كانهم عيدان السهام قال - فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيقتلون فيه ، فيخرجون كأنهم القراطيس - قال - فرجعنا ، قلنا ، ويحكم آرون هذا الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ ؟ فرجعنا ، فلا والله ما خرج غير رجل واحد . قوله : كأنهم عيدان السهام ، هو جمع سمسم ، وعيدانه تراها إذا قلعت وتركته ليأخذ حبها سوداً راقاً كأنها محترقة . شبه هؤلاء الذين يخرجون من النار بها .

واعلم أن التي تنكرها المبتدعة من الخوارج والمعتزلة من شفاعته ﷺ إنما هي الشفاعة فيمن استحق النار من عصاة المؤمنين أن لا يدخلها ، وفيمن دخلها أن يخرج منها ، فهي التي تكذب بها المعتزلة والخوارج ، لا مطلق الشفاعة . وقد أخرج البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب فقال : إنه سيكون في هذه الأمة قوم يكذبون بالرجم والدجال ، ويكذبون بطلوع الشمس من مغربها ، ويكذبون بمذاب القبر ، ويكذبون بالشفاعة ، ويكذبون بقوم يخرجون من النار بعد ما امتحشوا .

وأخرج سعيد بن منصور والبيهقي وهناد ، عن أنس رضي الله عنه قال : من كذب بالشفاعة فلانصيب له فيها ، ومن كذب بالحوض فليس له فيه نصيب . وأخرج البيهقي عن أنس أيضاً : أنه قيل له : إن قوماً يكذبون بالشفاعة ، قال : لا تجالسوا أولئك . وأخرج عن أنس أيضاً قال : يخرج قوم من النار ، ولا تكذب بها كما يكذب بها أهل حروراء ، يعني الخوارج .

وأخرج البيهقي أيضاً ؛ عن شبيب بن أبي فضالة المكي قال : ذكروا عند عمران بن حصين رضي الله عنه الشفاعة فقال رجل : يا أبا نجيذ ! إنكم لتحدثونا أحاديث لم نجد لها أصلاً في القرآن ؛ فنضب عمران وقال للرجل : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : فهل وجدت صلاة العشاء أربعاً وصلاة المغرب ثلاثاً

والفداء ركعتين ، والظهر أربعاً ، والمصر أربعاً قال : لا . قال : فممن أخذتم هذا ؟ أستم عنا أخذتموه ، وأخذناه عن نبي الله ﷺ ؟ وفي كل أربعين درهماً درهم ، وفي كل كذا شاة ، وفي كل كذا بمير كذا ، أوجدتم في القرآن هذا ؟ قال : لا . قال : ووجدتم في القرآن : « واطوفوا بالبيت العتيق » ^(١) أوجدتم : طوفوا سبماً واركموا ركعتين خلف المقام ؟ أوجدتم هذا في القرآن ؟ ممن أخذتموه ؟ أستم أخذتموه عنا ، وأخذناه عن رسول الله ﷺ ؟ قالوا : بلى . قال : أوجدتم في القرآن : لا جلب ولا جنب ولا شغار في الاسلام ؟ قالوا : لا . قال : فان الله قال في كتابه : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » ^(٢) وإنّا قد أخذنا عن نبي الله ﷺ أشياء لم يكن لكم بها علم .

وأخرج مسلم عن ابن عمرو رضي الله عنهما : أن رسول الله ﷺ تلا قول إبراهيم « رب إنهن أضللن كثيراً من الناس ، فمن تبعني فإنه مني ، ومن عصاني فانك غفور رحيم » ^(٣) وقول عيسى : « إن تعذبهم فانهم عبادك ، وإن تنفرلهم فانك أنت العزيز الحكيم » ^(٤) فرفع يديه وقال : « أمي أمي ! ثم بكى ، فقال الله تعالى : يا جبريل ! اذهب الى محمد فقل له : إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك .

وفي البزار و « أوسط الطبراني » ، وأبي نعيم بسند حسن ، عن علي رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « أشفع لأمتي حتى ينادي ربي تبارك وتعالى : أَرْضِيت يا محمد ؟ فأقول : أي رب ! رضيت .

وأخرج الامام أحمد والطبراني والبيهقي بسند صحيح ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « خیرت بین الشفاعة و بین أن یدخل

(٣) سورة ابراهيم ، الاية : ٣٦

(١) سورة الحج ، الاية : ٢٩

(٤) سورة المائدة ، الاية : ١١٨

(٢) سورة الحشر ، الاية : ٧

نصف أمتي الجنة ، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفاً ، أو ترونها للمتقين ؟
ولكنها للذين الخطئين المتلوذين .»

وأخرج الامام أحمد والطبراني أيضاً ، بسند لا بأس به ، عن عبادة ابن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله قال : يا محمد ! إني لم أبعث نبياً ولا رسولاً إلا وقد سأني مسألة أعطيها ، فسل يا محمد تمط . فقلت : سألتني شفاعة لأمتي يوم القيامة . فقال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ! وما الشفاعة ؟ قال : أقول : يا رب ! شفاعتي التي اختبأت عندك ، فيقول الرب : نعم . فيخرج ربي بقية أمتي من النار فيدخلهم الجنة .»

وفي « الصحيحين » عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة فيدخلهم الجنة » ، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً ، فلا معنى لانكار الشفاعة إلا مجرد آراء خالة وشقاوة سابقة . نسأل الله تعالى العافية ، وأن يمن علينا بالتوفيق والهداية ، وأن يباهي من الخذلان والنباوة ، وأن يرزقنا شفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الحديث الحادي والثمانون

١٢٦ - ثنا وكيع ، ثنا مصعب بن سليم قال : سمعت أنس بن مالك يقول : « أهلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجة وعمرة .»

قال رضي الله عنه : (ثنا وكيع) بن الجراح قال : (ثنا مصعب) - بفتح الميم وسكون الصاد وفتح العين المهملتين - (ابن سليم) - بضم المهملة مصغراً - (قال : سمعت أنس بن مالك) رضي الله عنه (يقول : أهل رسول الله ﷺ) لما حج حجة الوداع (بحجة وعمرة) ممأ ، أي أحرم بها ، يعني قرن بين الحج والعمرة ، فأهل قارناً . ولفظ «الصحيحين» : عن بكر بن عبد الله ، عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يلبي بالحج والعمرة جميعاً ، قال بكر : فحدثت بذلك ابن عمر فقال : لبي بالحج وحده ، فلقيت أنسا فحدثته بقول ابن عمر ، فقال أنس : ما تمدونا إلا صبياناً ؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لبيك عمرة وحجاً » والاهلال : رفع الصوت بالتلبية ، يقال : أهل المحرم بالحج يهل إهلالاً ، إذا لبي ورفع صوته .

وفي «الصحيح» أن النبي ﷺ قرن . وروي أنه قال : « لبيك حجاً وعمرة » ، وقال ﷺ : « أنا في آت في وادي المقيم » قال : قل : عمرة في حجة ، قال الامام أحمد رضي الله عنه : لا أشك أن النبي ﷺ كان قارناً ، والتمتع أحب إلي . أي لمن يسق الهدى ، فإنه لا يختلف قوله رضي الله عنه : إن من جمع الحج والعمرة في سفرة واحدة ، وقدم في أشهر الحج ولم يسق الهدى ، إن هذا التمتع أفضل له ، بل هو المسنون ، لأمر النبي ﷺ أصحابه بذلك . وأما من ساق الهدى فالقران أفضل له ، وأما من أفردهما بسفرتين ، أو اعتمر قبل أشهر الحج وأقام إلى الحج ؛ فهذا أفضل من التمتع . والحاصل أن النبي ﷺ حج قارناً ؛ كما نص عليه الامام أحمد ، وهو قول إسحق بن راهويه وغيره من حذاق أئمة الحديث .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية في «مختصر الفتاوى المصرية» : وهو الصواب . وقيل : إنه أحرم ﷺ متمتاً ، بمعنى أنه أحرم بالعمرة ولم يحل لسوقه الهدى ،

وأحرم بالحج بعد أن طاف وسمى للممرة . وهي طريقة الامام الموفق وغيره من علمائنا ، وقد يسمون هذا قارناً .

وقال الشافعي رضي الله عنه : أحرم ﷺ مفرداً ، وقال تارة : إنه ﷺ تمتع ، وقال تارة أخرى : إنه أحرم مطلقاً ، وأخذ بقول من نوى الافراد كمائشة وجابر وابن عمر رضي الله عنهم . وقد أطلنا الكلام على ذلك في شرح لعمدة ، فراجعهم إن شئت .

تنبيهات

الاول : اختلف العلماء في القارن ؛ هل يطوف طوافين ويسمى سعيين ، أم يكفيه طواف واحد وسمي واحد ؟ فعند الثلاثة ليس عليه إلا طواف واحد وسمي واحد ، وعمل الممرة دخل في الحج كما يدخل الوضوء في الفسل ؛ لأن الأحاديث الصحيحة الصريحة تبين أنه ﷺ لم يطف ولم يسع إلا طوافاً واحداً وسعياً واحداً ، ومذهب أبي حنيفة : أنه يطوف ويسمى للممرة أولاً ، ثم يطوف ويسمى للحج ثانياً ، وإذا فعل محظوراً فمليه فديتان . وقد روي مثل هذا عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما . وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « دخلت الممرة في الحج الى يوم القيامة ، وإذا دخلت لم يحتج إلى عمل زائد ، وقد تقدم هذا .

الثاني : يلزم القارن دم نكاح إذا لم يكن من حاضري المسجد الحرام بطلوع فجر يوم النحر ، ولا يسقط بفساد نسكه كدم التمتع ، ولا بفواته .

الثالث : اعم أن الحاج مخير بين التمتع والافراد والقران وفقاً ، وقد ذكره جماعة إجماعاً . نعم استثنى أبو حنيفة المكي فقال : لا يصح في حقه التمتع والقران ، ويكره له فعلها ، فإن فعلها لزمه دم . انتهى .

وأفضل الثلاثة عند الامام أحمد التمتع ، فالافراد ، فالقران . قال الامام أحمد : نختار التمتع ؛ لأنه آخر ما أمر به النبي ﷺ ، وهو يعمل لكل واحد منها عملاً على حدة . وقال أبو داود : سمعت الامام أحمد يقول : التمتع أفضل . وقال الامام

أحمد : العمرة كانت آخر الأمرين من رسول الله ﷺ ، وقد ذكرنا أدلة رجحان ذلك في شرح المدة ، والله تعالى الموفق .

وقال أبو حنيفة : الأفضل القران للآفاقي ثم الافراد . وقال مالك والشافعي : الأفضل الافراد ثم التمتع .

الرابع : صفة التمتع : أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج من الميقات ، فإذا فرغ منها ولم يكن معه هدي أقام عكة -حلالاً- حتى يحرم بالحج من مكة يوم التروية من عامه ذلك . وصفة القيران : أن يحرم بالحج والعمرة معاً من الميقات ، أو يهل بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل الطواف ، ثم يقتصر على أفعال الحج ، وتندرج فيه أفعال العمرة عند الثلاثة . وأما أبو حنيفة فنده لا تتداخل أفعال العمرة في أفعال الحج ؛ بل يقدم العمرة ثم يتبها أفعال الحج .

وصفة الافراد أن يحرم بالحج ، فإذا فرغ منه خرج إلى أدنى الحل فأحرم بالعمرة وفعل أفعالها . والله أعلم .

الحديث الثاني والثانون

١٢٧ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، يزيد قال :

أبناؤه حميد المني ، عن أنس بن مالك قال : نودي بالصلاة فقام كل قريب الدار ، فأتى رسول الله ﷺ بمخضب من حجارة ، فصفر أن ييسط كفه فيه . قال : فضم أصابعه فيه . قال : فتوضأ بقيتهم . قال حميد : وسئل أنس : كم كانوا ؟ قال : ثمانين أو زيادة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل ، قال الامام أحمد : (و) حدثنا (يزيد) يعني ابن هارون (قال) يزيد (أنبأنا حميد) الطويل (المخني ، عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (قال : نودي بالصلاة) أي صلاة العصر كما في « الصحيحين » ، عن أنس قال : رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر (فقام كل قريب الدار) من الصحابة مبادراً لاجابة النداء ، فتوضأ في أهله ، وبقي قوم عند رسول الله ﷺ ، فأتي بضم الهنزة ، على البناء للمفعول (رسول الله ﷺ بمخضب) - بكر الميم ، وسكون الخاء وفتح الصاد المجتمعتين فوحدة ، مثل منبر - شبه الاجابة ، وهي القصيرية يفصل فيها الثياب ، قال أبو حاتم : وهو المكن (من حجارة ، فصر) - بفتح الصاد المهملة وضم النون المعجمة - أي صفر المخضب (أن يسط) النبي ﷺ (كفه) وفي لفظ : يده (فيه) لصره ، فدل على أن المخضب يطلق على الصغير والكبير ، كما جاء : وأجلسوني في مخضب . وبين في « الصحيحين » وغيرها أن ذلك كان بالزوراء ، وهو سوق المدينة . وفي « الصحيحين » من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ دعا بقاء فأتي بقدر حراح ، أي واسع ، وقيل : القريب القمر ، القصير الجوانب . وفي « الصحيحين » عنه أيضاً قال : رأيت النبي ﷺ وحانت صلاة العصر ، فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه ، فأتي رسول الله ﷺ بوضوء ، فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الاناء يده (قال) أنس رضي الله عنه : (فضم) رسول الله ﷺ (أصابعه) الشريفة (فيه) أي في ذلك المخضب لضيقه ، فلم يمس أصابع النبي ﷺ وهي مبسوطة لصره فضمها فيه ، قال أنس كما في « الصحيحين » وغيرها : فجعلت أنظر الماء ينبع من بين أصابعه ، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه . وفي لفظ : فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه . (قال : فتوضأ بقيتهم) أي بقية الناس ممن لم تكن دورهم قريبة ، فبقوا

عند النبي ﷺ — قال — فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم (قال حميد: وسئل أنس) رضي الله عنه : (كم كانوا ؟) يعني الذين توضؤوا من ذلك الخضب (قال :) كانوا (ثمانين) رجلاً (أو زيادة) على الثمانين . وفي رواية في « الصحيحين » فحزرت ما بين الستين الى الثمانين ، وفيها من حديث أنس رضي الله عنه : أن النبي ﷺ وأصحابه بالزوراء — قال — والزوراء بالمدينة عند السوق ، دعا بقدر فيه ماء فوضع كفه فيه ، فجعل ينبع بين أصابعه ، فتوضأ جميع أصحابه — قال — قلت : كم كانوا يا أبا حمزة ؟ قال : كانوا زهاء ثلاثمائة وفي لفظ : فأني بأما بماء لا يضر أصابعه ، أو قدر ما يضر أصابعه . وأما حديث جابر رضي الله عنه قال : « قد رأيتني مع النبي ﷺ ، وقد حضرت المصير ، وليس معنا ماء غير فضلة ، فجعل في إناء ، فأني النبي ﷺ به ، فأدخل يده فيه وفرج أصابعه ثم قال : حي على الوضوء لبركة من الله ، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه ، فتوضأ الناس وشربوا ، فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه ، فعلت أنه بركة .

قال أبو الجعد : قلت لجابر : كم كنتم يومئذ ؟ قال : ألفا وأربعمائة . وفي رواية : خمس عشرة مائة . فهذه كانت في السادسة في غزوة الحديبية ، فهي غير التي حدث عنها أنس ، وكذا قصة كون الصحابة ثلثمائة أو أكثر ، وكونهم ما بين الستين الى الثمانين ، الظاهر أنها قصتان ، ويحتمل كونها قصة واحدة ولا مفهوم للمدد .

وفي « صحيح البخاري » عن جابر رضي الله عنه قال : عطش الناس يوم الحديبية والنبي ﷺ بين يديه ركوة ، فتوضأ فغش الناس نحوه ، قال : ما لكم ؟ قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك ، فوضع يده في

الركوة ؛ فجعل الماء يثور من أصابعه كأمشال الميون ، فشربنا وتوضأنا . قال الراوي : قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جداً .

واعلم أن نبع الماء من بين أصابع خاتم النبيين وإمام المرسلين تكرر مراراً متعددة ، وورد بطرق متباينة صحيحة ، يفيد مجموعها علماً قطعياً من التواتر المعنوي . فروي من حديث أنس وجابر وسلمة بن الأكوع وابن عباس وابن مسعود وأبي قتادة وغيرهم رضي الله عنهم .

تفصيله : اختلف العلماء في الماء الذي نبع من بين أصابعه ؛ هل كان من بين اللحم والدم ، أم بركة حصلت من الله تعالى في الماء ؟ قال الامام الحق ابن القيم في « زاد المعاد في هدي خير المباد » هي بركة من الله حلت بوضعه ﷺ أصابعه الشريفة فيه ، فجعل بغور ويخرج من بين أصابعه ، لا أنه يخرج من نفس اللحم والدم كما ظنه بعض الجهال . انتهى .

وقال غيره : بل هو إجماد ممدوم ، وإنما نبع الماء من بين أصابعه حقيقة لا أنه تكثير موجود .

قال القرطبي : قصة نبع الماء من بين أصابعه قد تكررت منه ﷺ في عدة مواطن في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة ؛ يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي - قال - ولم يسمع بمثل هذه المعجزة من غير نبينا ﷺ ؛ حيث نبع الماء من بين عظمه ولحمه وعصبه ودمه . وربما فهم مثيل هذا من كلام الصرصري وغيره ، كابن الجوزي ، وهو المشهور على ألسنة الناس وبالله التوفيق .

الحديث الثالث والثمانون

١٢٨ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن
 بني سلمة أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم فيسكنوا قرب
 المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فكره أن تمرى المدينة
 فقال : يا بني سلمة ! ألا تحسبون آثاركم إلى المسجد ؟ قالوا :
 بلى فأقاموا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل
 (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن بني سلمة) - بكسر الهمزة - وهو
 بطن كبير من الأنصار ؛ ثم أخرج (أرادوا أن يتحولوا من مساكنهم) التي
 يسكنونها ويوتنهم التي اجتمعوا ؛ بعدها عن مسجد النبي ﷺ (فيسكنوا
 قرب المسجد) حرصاً منهم على المبادرة لأدراك الصلوات في مسجده ﷺ خلفه
 (فبلغ ذلك) أي إرادتهم التحول من مساكنهم ليسكنوا قرب المسجد
 (رسول الله ﷺ) بالنصب على المفعولية (فكره) عليه الصلاة والسلام (أن
 تمرى) بفتح المثناة وسكون العين المهملة (المدينة) أي تحلى ، يعني
 أن تترك جوانب المدينة خالية . يقال : أعراه إذا أخلاه ، والعراء :
 الأرض الخالية ، وقيل الواسعة ، وقيل : المكان الذي لا يستتر فيه
 بشيء ، وبه هذه الكراهة على السبب في منعهم من القرب من المسجد لتبقى
 جهات المدينة عامرة بساكنيها (فقال) ﷺ (يا بني سلمة ! ألا

تحتسبون) بأداة التحضيض ، أي ألا تمدّون (آثاركم) أي خطاكم عند مشيكم
(إلى المسجد ؛) فإن لكل خطوة ثواباً . والاحتساب وإن كان أصله المد ؛ لكنه
يستعمل غالباً في معنى طلب تحصيل الثواب بنية خالصة .

وفي « صحيح مسلم والبخاري » ، وغيرهما ، من حديث جابر بن عبد الله
رضي الله عنها قال : كانت ديارنا بعيدة عن المسجد ، فأردنا أن نبتاع بيوتنا
فنقرب من المسجد ، فنهانا رسول الله ﷺ وقال : « إن لكم بكل خطوة درجة »
وفي رواية من حديث جابر : أرادوا أن يقربوا من أجل الصلاة . وعند ابن
مردويه ، عن جابر رضي الله عنه قال : كانت منازلنا بسلع ، ولا يمارض هذا
ما في حديث الاستقاء : وما بيننا وبين سلع من دار ، لاحتمال أن تكون ديارهم
من وراء سلع . فلما قال النبي ﷺ لبني سلمة ذلك (قالوا : بلى) أي نحتسب
آثارنا إلى المسجد عند الله تعالى (فأقاموا) في مساكنهم ولم يتحولوا عنها . وفي
رواية أبي سعيد عند الترمذي : فلم ينتقلوا . وفي مسلم من حديث جابر
رضي الله عنه : قالوا : ما سرنا أنما كنا تحولنا أي لما رغبهم ﷺ وأخبرهم من
أن لهم بكل خطوة يحشونها إلى المسجد درجة .

وفي « الصحيحين » ، وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال
رسول الله ﷺ : « صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وسوقه خمساً
وعشرين درجة ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه
إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة ، فإذا صلى
لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاه : اللهم صل عليه ! اللهم ارحمه !
ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة » . وفي رواية : « اللهم اغفر له ! اللهم تب عليه !
ما لم يؤذ فيه ، ما لم يحدث فيه » . ولفظه عند مالك في « الموطأ » : « ثم خرج عامداً
إلى الصلاة ، فانه في صلاة ما كان يعمد إلى صلاة ، وإنه يكتب له بأحدى

خطوته حسنة ، ويمحى عنه بالأخرى سيئة ، فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع ؛
فإن أعظمكم أجراً أبسدم داراً . قالوا : لم يا أبا هريرة ؟ قال : من أجل كثرة
الخطا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو يعلى ، والطبراني في الكبير ، و « الأوسط » ،
وابن خزيمة في « صحيحه » ، وكذا ابن حبان ، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن
رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا تطهر الرجل ثم أتى المسجد يرعى الصلاة ، كتب
له كاتباه . أو كاتبه - بكل خطوة يخطوها إلى المسجد عشر حسنات ، والقاعد
يرعى الصلاة كالفات ، ويكتب من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع
إليه » . وأخرج الامام أحمد أيضاً بإسناد حسن ، والطبراني ، وابن حبان في
« صحيحه » ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنها قال : قال رسول الله ﷺ :
« من راح إلى مسجد الجماعة ؛ فخطوة تمحو سيئة ، وخطوة تكتب له حسنة
ذاهبا وراجما » .

وفي أبي داود عن سعيد بن المسيب قال : حضر رجلاً من الأنصار الموت ،
فقال : إني محدثكم حديثاً ما أحدثكموه إلا احتساباً ، سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إذا توضأ أحدكم فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى الصلاة ، لم يرفع قدمه
إلى كتف الله عز وجل له حسنة ، ولم يضع قدمه اليسرى إلا حط الله عنه
سيئة ، فليقرب أحدكم أو ليمد » . وفي « صحيح مسلم » وغيره ، من حديث جابر
ابن عبد الله رضي الله عنه قال : دخلت البقاع حول المسجد ، فرأيت بنو سلمة
أن ينتقلوا قرب المسجد ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال لهم : « بلغني أنكم تريدون
أن تنتقلوا قرب المسجد . قالوا : يا رسول الله ! قد أردنا ذلك . فقال : يا بني سلمة !
دياركم تكتب آثاركم ، دياركم تكتب آثاركم . فقالوا : ما يسرنا أنا كنا نحولنا » .
وأخرج ابن ماجه بإسناد جيد ، عن ابن عباس رضي الله عنها قال : « كانت

الانصار بعيدة منازلهم من المسجد ، فارادوا أن يقتربوا ، فزات : « ونكتب ما قدموا وآثارهم »^(١) فثبتوا .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، وابن ماجة والحاكم ، وقال : حديث صحيح ، مدني الاسناد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « الأبعد فالأبعد من المسجد أعظم أجراً » . وفي « الصحيحين » ، وغيرهما ، من حديث أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدهم إليها مثنى فأبعدهم » . وفي أبي داود والترمذي ، من حديث بريدة وابن ماجة ، من حديث أنس ، عن النبي ﷺ قال : « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة » . وروي مثل هذا عن عدة من الصحابة : بريدة ، وأنس ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وأبي أمامة ، وسهل بن سعد ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأبي سعيد الخدري ، وزيد بن حارثة ، وعائشة وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، وفي هذا^(٢) المعنى أحاديث كثيرة ، وفي هذا القدر كفاية . والله أعلم .

الحديث الرابع والثمانون

١٢٩ - ثنا ابن أبي عدي ، وسهل بن يوسف المعنى ، عن حميد ، عن أنس ، قال : أقيمت الصلاة ، فجاء رجل يسمى ، فأنهى وقد جفزه النفس ، أو ابتهر . فلما انتهى إلى الصف ، فقال : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته قال : أيكم المتكلم ؟ فسكت القوم .

(٢) كلمة هذا لم تكن في الاصل .

(١) سورة يسن الآية : ١٢

فقال : أيكم المتكلم ؛ فانه قال خيراً ، ولم يقل بأساً . قال :
 يا رسول الله ! أما أسرعت المشي ، فانتهيت إلى الصف فقلت
 الذي قلت . قال : لقد رأيت اثني عشر ملكاً يتدرونها أيهم
 يرفعها ، ثم قال : إذا جاء أحدكم إلى الصلاة ؛ فليمش على هيئته ؛
 فليصل ما أدرك ، وليقض ما سبقه .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي وسهل بن يوسف المعنى)
 يعني أن معنى حديثها واحد (عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله
 عنه (قال : أقيمت الصلاة ، فجاء رجل يسمى) قال الامام النووي في «مبهاة» :
 قال الخطيب : هو رفاعه بن رافع الأنصاري ، ذكر في « الفتح » عن بعض أهل
 العلم أن تلك الصلاة كانت صلاة المغرب ، قال : وقد روي أن رفاعه بن رافع
 حكى ذلك عن غيره ، لا أنه جرى له . انتهى . في « البخاري » عن رفاعه بن
 رافع الزرقي رضي الله عنه قال : كنا نصلي وراء النبي ﷺ ، فلما رفع رأسه
 من الركوع قال : سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمداً
 كثيراً .. الحديث .

وفي « السنن » ، عن رفاعه بن رافع أيضاً قال : صليت خلف رسول الله
 ﷺ ، فمطست فقلت : الحمد لله حمداً كثيراً .. الحديث . قال الترمذي : حديث
 حسن . قال في « الفتح » : لا تمارض بينها ؛ لأنه لا مانع من أن يكني عن نفسه
 لقصد إخفاء عمله ، أو كنى عنه بمض الرواة لنسيان اسمه ، وما يشعر بالاختلاف
 من غير ذلك ؛ فلمله باختصار بمض الرواة (فانه) الرجل الى المسجد (وقد
 حفزه) — بفتح الحاء المهملة والفاء والزاي — أي اشتد به (النفس) — بفتح

القاء - الهراء الذي يرد النفس الى الجوف، فيبرد من حرارته ويمد لها، فاذا تمب الانسان امتلاء جوفه منه لمجزه بالتعب عن ترده إلا يسيراً، فيمتلئ منه جوفه . والحفز : حثك الشيء من خلفه . قاله الهروي في «غريبه» : وفي «القاموس» : حفزه يحفزه : دفعه من خلفه ، وحفزه عن الأمر : أعجله وأزعجه ، واحتفز في مشيته : احتث واجتهد . انتهى ملخصاً . (أو ابتهر) أي انقطع نفسه من الاعياء .

قال في «القاموس» : البهر - بالضم - ما اتسع من الارض ، وشر الوادي وخيره ، كالهرة فيها ، والبلد ، وانقطاع النفس من الاعياء ، وقد ابتهر وبهر فهو مبهور وبهير . انتهى . (فلما انتهى) ذلك الرجل (إلى الصف) أي صف الصلاة التي أقيمت (فقال: الحمد لله حمداً) منصوب على أنه مفعول مطلق (كثيراً) أي زائداً في عدده ومدده (طيباً) أي طاهراً خالصاً من شائبة الرياء والشرك (مباركاً فيه) وفي لفظ عليه : زاد في رواية من حديث رفاعه : كما يحب ربنا ويرضى ، قيل : هو تأكيد لما قبله ، وقيل : الأول بمعنى الزيادة ، والثاني بمعنى البقاء .

وفي «المطلع» في قوله : وتبارك اسمك ، معناه : دام ودام خيره . وقال المزني في «غريب القرآن» : تبارك : تفاعل من البركة ، وهي الزيادة والنماء ، والكثرة والاتساع . ويقال : تبارك : تقدس ، والقدس : الطهارة (فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته) أي آتمها وفرغ منها (قال : أيكم) معشر المصلين معي (المتكلم ؟) .

وفي حديث رفاعه في «صحيح البخاري» : من المتكلم ؟ زاد في رواية : في الصلاة (فسكت القوم) فلم يتكلم أحد (فقال) ﷺ : (أيكم المتكلم ؟) فانه قال خيراً ولم يقل بأساً) وفي حديث رافع بن رفاعه أنه قال : من المتكلم ؟ فلم

يتكلم أحد ، ثم قالها الثانية فلم يتكلم أحد ، ثم قالها الثالثة (قال) الرجل :
(يا رسول الله ! أنا أمرعت المشي فأنهيت إلى الصف ، فقلت الذي قلت) من الذكر ،
وهو : الحمد لله حمداً كثيراً ... الخ (قال) عليه الصلاة والسلام : (لقد رأيت
اثني عشر ملكاً يتندرونها) أي الكلمات المذكورات (أيهم يرفها) وفي رواية :
أيهم يصعد بها .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : أيهم يرفها ، كحديث أنس ، وهو
في « صحيح مسلم » وغيره .

وفي حديث رفاعه بن رافع عند البخاري وغيره : لما كرر السؤال ﷺ
من المتكلم ؟ فقال رفاعه بن رافع : أنا . قال : كيف قلت ؟ فذكره . فقال ﷺ :
والذي نفسي بيده : لقد رأيت بضمة وملائين وفي لفظ : لقد ابتدرها بضمة
وملائون ملكاً : أيهم يكتبها أول .

قال في « الفتح » : ولا تمارض بين رواية يكتبها ، ويصعد بها ، وكذا
يرفها ، لأنه يحمل على أنهم يكتبونها ، ثم يصعدون بها .
والظاهر أن هؤلاء الملائكة غير الحفظة ، ويؤيده ما في « الصحيحين »
عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : « إن لله ملائكة بطوفون في الطرق
يلتمسون أهل الذكر ... الحديث .

واستدل به على أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة .

وقد استشكل تأخير رفاعه لإجابة النبي ﷺ حتى كرر سؤاله ثلاثاً ، مع
أن إجابته واجبة ، بل على كل من سمع رفاعه ؛ فإنه لم يسأل المتكلم وحده على ما في
حديث رفاعه عند البخاري ، وإن كان المخاطب المسؤول المتكلم وحده عند
الامام أحمد ومسلم من حديث أنس .

وأجيب : بأنه لم يبين واحداً بعينه ؛ فلم تمنع المبادرة بالجواب من المتكلم

ولا من واحد بينه ؛ فكانهم انظر بعضهم بعضاً ليجيب ، وحملهم على ذلك خشية أن يبدوا في حقه شيئاً ، ظناً منهم أنه أخطأ فيما فعل ، ورجوا أن يقع المغفر عنه . وكان عليه السلام لما رأى سكوتهم ، فهم ذلك ، فمرفهم أنه لم يقل بأساً . ويدل على ذلك أن في رواية عند ابن قانع . أن رفاعه قال : فوددت أني خرجت من مالي ، وأنني لم أشهد مع رسول الله ﷺ تلك الصلاة .

وفي رواية عند أبي داود : قال النبي ﷺ : من القائل الكلمة ؟ فانه لم يقل بأساً . فقال : أنا قلها ؛ فلم أرد بها إلا خيراً .

وعند الطبراني من حديث أبي أيوب : فسكت الرجل ، ورأي أنه قد هجم من رسول الله ﷺ على شيء كرهه . فقال : من هو ؟ فانه لم يقل إلا صواباً . ويحتمل أن يكون المصلون لم يعرفوا عين القائل ؛ لاقبالهم على صلاتهم ، أو لكونه آخر الصفوف . والمذرعته ما تقدم مع ما وجد من الهيبة ، واستمظام ما بدر منه من الكلام .

والحكمة في سؤاله ﷺ عما قال ؛ ليتعلم السامعون كلامه فيقولون مثله . واستدل به على إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور ؛ إذا كان غير مخالف للمأثور .

فائدة : قيل : الحكمة في اختصاص العدد المذكور من الملائكة بهذا الذكر ، على ما في حديث أنس ؛ فهو مطابق لعدد كلمات الذكر المذكور ، كما في بعض الروايات بزيادة : كما يحب ربنا ويرضى . فهي اثنتا عشرة كلمة .

وعلى ما في حديث رفاعه بن رافع ، كما في « البخاري » : أن عدد حروفه مطابق لعدد المذكور ؛ فإن البضع من الثلاث إلى التسع ، وعدد الذكر يوافق ذلك على ما في بعض الروايات .

وفي « مسند الإمام أحمد » عن وائل بن حجر ، قال : صليت مع النبي ﷺ

فقال رجل : الحمد لله كثيراً طيباً مباركاً فيه . فلما صلى رسول الله ﷺ قال :
بن القائل ؟ قال الرجل : « أنا يا رسول الله » ، وما أردت إلا خيراً . قال : « لقد
فتحت لها أبواب السماء » فلم ينهها شيء . دون العرش ، والذي يظهر أن المتبر في
عدد حروف الكلمات بالنسبة الزائد عن الذكر المتباد ، وهو من قوله : حمداً
كثيراً ، الى آخر : يحب ربنا ويرضى . وحينئذ فعدد ذلك بضعة وثلاثون ، وبنه
عليه في « الفتح » أيضاً ، وبالله التوفيق .

(ثم قال) ﷺ (إذا جاء أحدكم) معشر المسلمين (إلى الصلاة) ليصلها
مع الجماعة (فليمش على هينته) ولا يسرع في مشيته .
قال في « النهاية » : سار على هينته ، أي على عادته في السكون والرفق .
يقال : امش على هيتك ، أي على رسلك .

وفي « المسند » و « الصحيحين » و « السنن » من حديث أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « فلا تأتوها وأنتم تسعون ، وأتوها
وأنتم تمشون وعليكم السكينة » زاد مسلم : فإن أحدكم إذا كان يعمد الى الصلاة
فهو في صلاة .

(فليصل) الفاء في جواب شرط مقدر ، أي إذا فعلتم ما أمرتكم به من
المشي على الهينة ملاحظاً السكينة والوقار ؛ فليصل أحدكم (ما أدرك) مع الجماعة ؛
فإن الجماعة تدرك بتكبيرة الاحرام على المعتمد .

قال في « الفروع » : من كبر قبل سلام الامم ؛ أدرك الجماعة ، وفاقاً
للشافعي . وزاد بعضهم : إن جلس . وقيل : أو قبل التسليمة الثانية . وعنه : أو
سجود سهو بعد السلام ، وفاقاً لأبي حنيفة .

قال في « البحر المحيط » للحنفية : يترك سنة الفجر من أدركه في التشهد .
وفي « المرغيباني » : يشغل بالسنة عند أبي حنيفة وأبي يوسف ، لأنه كإدراك

أول الصلاة عندهما . وعند محمد ، وظاهر كلام ابن أبي موسى من علمائنا : أن الجماعة لا تدرك إلا بأدراك ركعة ، وفقاً لما لك . وذكره شيخ الاسلام بن تيمية رواية عن الامام أحمد ، واختارها ، وقال : اختاره جماعة .

قال الامام المجد : معنى دروك الجماعة ، أنه أدرك أصل فضل الجماعة ، لا حصولها . فيما سبق به ؛ فانه فيه منفرد حساً وحكماً إجماعاً . انتهى .

قال الامام النووي وغيره : في الحديث النصب إلى إتيان الصلاة بسكينة ووقار .

قال القاضي عياض : السكينة : التأني في الحركات ، واجتناب البسبب ، والوقار في الهيئة ، كخفض البصر ، وخفض الصوت ، وعدم الالتفات ، وسواء في ذلك صلاة الجمعة وغيرها ؛ خاف فوت تكبيرة الاحرام أم لا .

وأما قوله تعالى : « فاسموا إلى ذكر الله » (١) فالمراد به الذهاب . يقال : سميت في كذا ، وإلى كذا : إذا ذهبت إليه وعملت فيه : ومنه قوله تعالى : « وأن ليس للانسان إلا ما سعى » (٢) .

قال العلماء : الحكمة في إتيان الصلاة بسكينة ، والنهي عن السعي : أن الذهاب إلى الصلاة فهو في صلاة ، لأنه عامل في تحصيلها ، ومتوصل إليها ؛ فينبغي أن يكون متأدياً بأدائها على أكمل الأحوال ، وهذا معنى رواية مسلم : فان أحدكم إذا كان يصد إلى الصلاة فهو في صلاة .

قال في « الفتح » : فينبغي له اعتماد ما ينبغي للمصلي اعتاده ، واجتناب ما ينبغي للمصلي اجتنابه . انتهى .

(١) سورة الجمعة ، الآية : ٩

(٢) سورة النجم ، الآية : ٣٩

قال في « الفروع » : يقارب خطاه ، ولا يشبك أصابه ، وإن سمع الإقامة لم يسمع إليها . ذكره - عن الامام أحمد - ابن المنذر .
قال صاحب « الفروع » : ونصه ، يعني الامام أحمد رضي الله عنه : لا بأس به ، أي السعي يسيراً ، إن رجا التكبيرة الأولى ، واحتج بأنه جاء عن الصحابة ، وهم مختلفون . انتهى .

ومستند المذهب : ما في « الاقناع » وغيره : أنه إن سمع الإقامة لم يسمع ، فإن طمع في إدراك التكبيرة الأولى ، وهو أن يدرك الصلاة قبل تكبيرة الاحرام ، يعني يدرك موقعه للصلاة قبل ذلك ؛ ليكون خلف الامام إذا كبر للافتتاح ؛ فلا بأس أن يسرع شيئاً ، ما لم تكن عجلة بقبح ، وإن خشي فوات الجماعة أو الجمعة بالكلية ؛ فلا ينبغي أن يكره الاسراع ؛ لأن ذلك لا ينجبر إذا فات . هذا معنى كلام شيخ الاسلام ان تيمية في « شرح العمدة » . (وليقض) بعد سلام إمامه (ما سبقه) به .

وفي حديث أبي هريرة مرفوعاً ، من رواية ابن سيرين عند مسلم وغيره : صل ما أدركت ، واقض ما سبقك .

وقد ورد في عدة أحاديث ، بلفظ : اقضوا . وفي عدة أحاديث : آموا . فاختلف العلماء لاختلاف اللفظين ؛ فاحتج الامام أحمد رضي الله عنه ، وكذا أبو حنيفة ، ومالك رضي الله عنهم ؛ بأن ما يدركه المسبوق مع الامام آخر صلاته ، وما يقضيه أولها . في ظاهر المذهب : فيستفتح فيما يقضيه ، ويتوعد ، ويقرأ سورة ، ويخبر في الجهر في صلاة الجهر بعد مفارقة إمامه ، ويتورك مع إمامه ، كما يتورك فيما يقضيه .

وعن الامام أحمد رواية ثانية ، عكس ما تقدم . وحجة هذا القول مع ما تقدم من مقتضى ظاهر الأحاديث التي جاءت بلفظ : فآموا ، قول علي رضي

الله عنه : ما أدركت مع الإمام فهو أول صلاتك ، واقض ما سبقك به من القرآن .
رواه البيهقي وحجة متعمد المذهب : ما في « الصحيحين » وغيرهما ، من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما أدركتم فصلوا ، وما
فانكم فاقضوا » . وكذا روى أبو ذر وأنس عن رسول الله ﷺ بلفظ :
واقضوا . وروى : وما فانكم فاتموا .

قال الحافظ ابن عبد الهادي في « تنقيح التحقيق » : قال ابن الجوزي : وما ذهبنا
إليه أكثر وأقوى ، ثم نحمله على أن يكون المعنى : فاتموا قضاءً واعترض ابن
عبد الهادي على ابن الجوزي ، فقال : الذين قالوا : فاتموا أكثر وأحفظ ، وألزم
لأبي هريرة ، فهو أولى .

وأخرج أبو داود ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : « اثموا الصلاة
وعليكم السكينة ، فصلوا ما أدركتم ، واقضوا ما سبقكم » . قال أبو داود : وكذا
قال ابن سيرين ، عن أبي هريرة : ويقضي ، وكذا قال ابن رافع ، عن أبي هريرة
وأبو ذر رضي الله عنه : فاتموا . وروى عنه : فاقضوا .

قال ابن عبد الهادي : والتحقيق أنه ليس بين اللفظين فرق ، فإن القضاء
هو الاتمام في عرف الشارع . قال الله تعالى : « فاذا قضيت مناسككم » (١) وقال
تعالى : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » (٢) انتهى .

واستدل بظاهر الحديث ، على أن من أدرك الإمام راکعاً ، لم تحسب له
تلك الركعة ؛ للأمر باتمام ما فاتته ، لأن القدي فاته الوقوف والقراءة فيه ، وهو
قول أبي هريرة رضي الله عنه وجماعة ، بل حكاه البخاري في القراءة (٣) خلف

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٠٠

(٢) سورة الجمعة ، الآية : ١٠

(٣) في الأصل : القرآن ، وهو خطأ .

الامام عن كل من رأى وجوب القراءة خلف الامام ، واختاره ابن خزيمة والضبي ، وغيرهما من محدثي الشافعية ، وأحرم الشيخ تقي الدين السبكي من متأخريهم كما في « الفتح » .

وحجة الجمهور من الائمة الأربعة وغيرهم ، حديث أبي بكرة ، حيث ركع دون الصف . فقال له النبي ﷺ : « زادك الله حرصاً ولا تمد » . ولم يأمره بإعادة تلك الركعة ، فمتد مذهبنا كالحنفية والشافعية . أن من أدرك الامام راكعاً ، فركع معه ، أدرك الركعة . وقيل : إن أدرك معه الطمأنينة . وهو مذهب الامام مالك ، لكن شرط علمناؤنا أن يدركه راكعاً ثم يطمئن ، ولو كانت الطمأنينة بعد رفع الامام ، ولا بد أن يكون غير شاك في الادراك ، فان شك في إدراكه راكعاً ، لم يدرك الركعة ، خلافاً للشافعي . قال : لأن الأصل بقاء ركوعه . وأما إن رفع الامام قبل ركوع المسبوق ؛ لم يدرك ، ولو أحرم قبل رفعه اتفاقاً ، ولو أدرك ركوع المأمومين ، والله أعلم .

الحديث الخامس والثمانون

١٣٠ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :

قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة فسمعت بين يدي خشفة ، فإذا أنا بالغيصاء بنت ملحان .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : دخلت الجنة) أي رأيت في المنام أي دخلت الجنة ، كما تقدم في الحديث الثلاثين من « مسند

جابر « وفي السادس عشر من « مسند أنس » رضي الله عنها بلفظه : وإنما قائدة ذكره هنا ، أن شيخ الامام هناك هشيم ، وهنا ابن أبي عدي .

(فسمعت بين يدي خشفة) بفتح الخاء وسكون الشين المجتمعين ففاء ، وتحرك الشين أيضاً — ، كما في « القاموس » : هو صوت حركة ليس بالشديد . وقال الفراء : هو الصوت . والخشفة : صوت ديب الحيات . ولفظ الحديث الذي تقدم ؛ تقديم الخشفة على بين يدي (فاذا أنا بالتميصاء) ولفظه فيما تقدم : فاذا هي التميماء — بضم الفين المعجمة وفتح الميم وبالصاد المعجمة والمد — (بنت) ولفظ الذي تقدم : ابنة (ملحان) — بكسر الميم وسكون اللام وبالحاء المعجمة — ، وتقدم الخلاف في اسمها ، وذكر نسبها . زاد في الحديث الذي تقدم : أم أنس بن مالك ، وتقدمت ترجمتها هناك ، مع فوائد يظفر بها من راجعه .

الحديث السادس والثمانون

١٣١ — ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله . قالوا : وكيف يستعمله ؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أراد الله بعبد) من عباده (خيراً) الخير : الأجر والثواب ، وضد الشر . ويطلق

على المال الكثير ، والمراد به هنا الفوز والسعادة في الدنيا والآخرة (استعمله . قالوا) أي قال من كان في حضرة النبي ﷺ لما قال ما قال : (وكيف يستعمله) يا رسول الله ؟ لأن لفظه : استعمله بجملة : تحتمل أن يكون استعمله في أي نوع من العبادات والطاعات وأهله ، ووقفه لأي باب من القربات والثوبات (قال) ﷺ مجيباً لمن سأله : (يوقفه) .

قال الامام ابن القيم في كتابه « شرح منازل السائرين » : أجمع العارفون بالله ، أن التوفيق ، أن لا يكلك الله إلى نفسك ، وضده : الخذلان ، وهو أن يخلي بينك وبينها ؛ فالعبيد متقبلون بين توفيقه وخذلانه ، بل العبد في الساعة الواحدة ؛ ينال نصيبه من هذا وهذا ؛ فيطعمه ويرضيه ، ويذكره ويشكره بتوفيقه ، ويعصيه ويخالفه ، ويسخطه ويفعل عنه بخذلانه له ؛ فهو دائر بين توفيقه وخذلانه . فان وقفه بفضله ورحمته ، وإن خذله ؛ فبمدله وحكته ، وهو سبحانه المحمود في هذا وهذا ، له أتم حمدٍ وأكمله ؛ فانه لم يمنع العبد شيئاً هو له ، وإنما مجرد فضله وعطائه ، وهو أعلم حيث يضعه وأين يحمله .

قال : وفترت الجبرية التوفيق : بأنه خالق الطاعة . والخذلان : خلق المعصية ؛ فبنوا ذلك على أصولهم الفاسدة ، من إنكار الأسباب والحكم ، وردوا الأمر الى محض المشيئة من غير سبب ولا حكمة ، وقابلهم القدريّة النفاة ؛ ففسروا التوفيق بالبيان العام ، والهدى العام ، والتمكن من الطاعة ، والاقتدار عليها ، وتهيئة أسبابها ؛ وهذا حاصل لكل كافر ومشرّك بلقته الحجة ، وتمكن من الإيمان ؛ فالتوفيق عندهم أمر مشترك بين الكفار والمؤمنين ، إذ الاقتدار والتمكن والدلالة والبيان قد عمّ به الفريقين ، ولو انفرد المؤمنون عندهم بتوفيق ، وقع به الإيمان منهم ، والكفار بخذلان امتنع به الإيمان منهم ؛ لكان عندهم محاباة وظلم . والتمزوا لهذا الأصل لوازم قامت بها عليهم سوء الشناعة بين العقلاء ،

ولم يجدوا بداً من التزامها ؛ فظهر فساد مذهبهم ، وتناقضه لمن أحاط به علماً ،
وتصوره حق تصوره ، وعلم أنه من أبطل مذهب في العالم وأرداه ، وهدى الله
الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه ، والله يهدي من يشاء إلى صراط
مستقيم ؛ فلم يرضوا بطريق الجبرية ، ولا بطريق القدرية ، وشهدوا انحراف الطريقين
عن الصراط المستقيم ؛ فأثبتوا القضاء والقدر ، وعموم مشيئة الله للكائنات ،
وأثبتوا الأسباب والحكم ، والنايات والمصالح . ونزهوا الله تعالى أن يكون في
ملكه ما لا يشاء ، وأن يقدر خلقه على ما لا يدخل تحت قدرته ومشيئته ، ونزهوه
عن البعث ، وأن يخلق شيئاً سدى . فالتوفيق إرادة الله من نفسه أن يفعل ببسده
ما يصلح به العبد ، بأن يجعله قادراً على فعل ما يرضيه ، مريداً له ، محباً له ، مؤثراً
له على غيره ، وينفض إليه ما يسخطه ، ويكرهه ، وهذا مجرد فعل الله تعالى ،
والعبد محل له . قال الله تعالى : « ولكن الله حبيب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم ،
وكره اليكم الكفر والفسوق والمعيان ، أولئك هم الراشدون ، فضلاً من الله
ونعمة ، والله عليم حكيم » (١) .

فإذا أراد الله سبحانه وتعالى ببسده خيراً وفقه (لعمل صالح) وزينه في
قلبه ؛ وكرهه إليه ضده ، فتنهض نفسه لذلك العمل ، وتسمو همته إليه ، فيبادر
الى عمله ، وتسمح نفسه بالاشتغال به ، والدأب والاجتهاد فيه (قبل موته) زاد
الامام أحمد في رواية ، وكذا الترمذي ، والحاكم وصححه ، وابن حبان في
« صحيحه » : ثم يقبضه عليه ، أي على ذلك العمل ، أي وهو متلبس بذلك العمل
الصالح ، ومن مات على شيء بعثه الله عليه ، كما في الحديث .

وأخرج الامام أحمد ، والحاكم أيضاً ، من حديث عمرو بن الحنف الخراشي
الصحابي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله ببسده خيراً

استعمله . قيل : يا رسول الله ! وما استعمله ؟ قال : يفتح له عملاً صالحاً بين يدي موته حتى يتوب ويرضى عنه من حوله ، أي من أهله وجيرانه ومعارفه ، فيبرئون ذمته ، ويثنون عليه خيراً ، فيجيز الرب شهادتهم ، ويكون الله سبحانه قد ختم أعماله بما يرضيه عنه ، والأشور بخواتيمها .

وفي كبر الطبراني ، من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده خيراً طهره قبل موته . قالوا : وما طهره البعد ؟ قال : عمل صالح يلهمه إياه حتى يقبضه عليه .

وروى الامام أحمد في « المسند » والطبراني في « الكبير » من حديث أبي عتبة - بكسر العين وفتح النون - الخولاني الصحابي ، واسمه عبد الله ، أو عبارة رضي الله عنه ، وإسناد حديثه ، حين قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله بعبده خيراً غسله . قيل : وما غسله ؟ قال يفتح له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه . قوله : غسله - بفتح العين والسين المهملتين ، مخففاً ومشدداً - أي طيب ثناءه بين الناس . يقال : غسل الطعام يغسله ، إذا غسل فيه المسل ، شبه مارزقه الله من العمل الصالح الذي طاب ذكره بين الناس ، بالمسل الذي يحمل بالطعام ليحلوه به ويطيب .

تنبيه : لا كان الظاهر علينا والبادي لنا حساً ومشاهدة الخاتمة ؛ أسند الناس الأمور إليها ، وجعلوا أن المعتبر والمعوّل عليها ، وإن كان المعوّل عليه في نفس الأمر ، والمعتبر إنما هو السابقة ، لكنها لا كانت من عالم الغيب ، وكانت الخاتمة من عالم الشهادة ؛ أسندوا التمويل على الخاتمة دون السابقة ، وإن كان الذي يظهر في الخاتمة ، هو عين ما كن في السابقة .

قال في « شرح منازل السائرين » : ما يظهر في الأبد : هو عين ما كان معلوماً في الأزل ، وإنما تجددت أحواله ، وهي أوقات ظهوره ؛ فقد ظهرت إشارات

الأزل ، وهي ما يشير اليه العقل بالأزلية من المقدرات العلمية على أحيين الأبد ؛
فالأزل ما تملق بأسمائه تعالى وصفاته ، وتقدم علمه بالأشياء ووقعها في الأبد ،
مطابقة لعلمه الأزلي . انتهى ملخصاً .

والحاصل أن الداواوين ثلاثة :

الأول : كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق المذكورة في قوله تعالى :
« ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن
نبرأها » (١) .

وفي « صحيح مسلم » من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن
النبي ﷺ قال : « إن الله قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
بخمسين ألف سنة » .

وفي حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « أول
ما خلق الله القلم . قال له : اكتب ؛ فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة » .
وقد تكررت النصوص بذكر الكتاب السابق بالسعادة والشقاوة . وفي
« الصحيحين » من حديث علي رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « ما من
نفس منفوسة إلا وقد كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة
فقال رجل : يا رسول الله ؛ أفلا نمكث على كتابنا ، وندع العمل ؛ فقال : اعملوا
فكل ميسر لما خلق له ؛ أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما
أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة » ، ثم قرأ : « فأما من أعطى
واتقى » (٢) الآيات .

(١) سورة الحديد ، الآية : ٢٢

(٢) سورة الليل ، الآيات : ٥ - ١٠ والآيات بتامها : « فأما من أعطى واتقى ،

وصدق بالحنى ، فنسيره للبسرى ، وأما من بخل واستغنى ، وكذب بالحنى ، فنسيره
للعسرى » .

الدبوات الثاني : كتابة الملك للجنين في بطن أمه كافي للصحيحين ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ، وفيه : ثم يرسل الله الملك ، فيفنج فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وعمله ، وأجله ، وشقي أو سعيد ، ثم قال : فوالذي لا إله غيره : إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ؛ فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها . فذكر في هذا الحديث أن السعادة والشقاوة بحسب خواتم الأعمال .

وفي « صحيح البخاري » عن سهل بن سعد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : « إنما الأعمال بالخواتم ، ومثله في « صحيح ابن حبان » من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعاً . وفي « صحيح ابن حبان » أيضاً ، من حديث معاوية رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنما الأعمال بخواتمها ، كالوعاء ، فإذا طاب أعلاه طاب أسفله ، وإذا خبث أعلاه خبث أسفله » .

وأخرج الامام أحمد ، من حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « لا عليكم أن تعجبوا بأحد ، حتى تنظروا بما يختم له ؛ فإن العامل يعمل زماناً من عمره ، أو برهة من دهره بعمل صالح ، لو مات عليه دخل الجنة ، ثم يتحول فيعمل عملاً سيئاً . وإن العبد ليعمل البرهة من دهره بعمل سيئ ، لو مات عليه دخل النار ، ثم يتحول فيعمل عملاً صالحاً » .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، من حديث عائشة ، عن النبي ﷺ قال : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة ، وهو مكتوب في الكتاب من أهل النار ، فإذا فإذا كان قبل موته تحول ؛ فعمل بعمل أهل النار ؛ فمات فدخل النار . وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار ، وإنه لمكتوب في الكتاب من أهل الجنة ، فإذا

كان قبل موته ، تحول فعمل بعمل أهل الجنة ؛ فمات فدخلها .
وأخرج الامام أحمد أيضاً ، والترمذي ، والنسائي ، من حديث عبد الله
ابن عمرو رضي الله عنها ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان .
فقال : « أتدرون ما هذان الكتابان ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، إلا أن تخبرنا .
فقال الذي في يده اليمنى : هذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل الجنة ،
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجعل على آخرهم ، فلا يزداد فيهم ، ولا ينقص منهم
أبداً ، ثم قال الذي في شماله : وهذا كتاب من رب العالمين ، فيه أسماء أهل النار ،
وأسماء آبائهم ، وقبائلهم ، ثم أجعل على آخرهم ؛ فلا يزداد فيهم ، ولا ينقص منهم
أبداً . فقال أصحابه : نفيم العمل يا رسول الله إن كان أمراً قد فرغ منه ؟ فقال :
سدّدوا وقاربوا ؛ فإن صاحب الجنة يحتم له بعمل أهل الجنة ، وإن عمل أي عمل ،
وإن صاحب النار يحتم له بعمل أهل النار ، وإن عمل أي عمل ، ثم قال ﷺ :
ييده فنبذهما ، ثم قال : فرغ ربكم من المباد : فريق في الجنة ، وفريق في
السمير . وقد روي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ من وجوه متعددة ،
وخرجه الطبراني من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً ، وزاد فيه : صاحب
الجنة مختوم له بعمل أهل الجنة ، وصاحب النار مختوم له بعمل أهل النار ، وإن
عمل أي عمل .

وقد يسلك بأهل السعادة طريق أهل الشقاء ، حتى يقال : ما أشبههم بهم ؟ بل هم
منهم ، وتدرّكهم السعادة فتستقدم .

وقد يسلك بأهل الشقاء طريق أهل السعادة ، حتى يقال : ما أشبههم بهم :
بل هم منهم ، ويدركهم الشقاء ، من كتبه الله سعيدهم في أم الكتاب لم يخرجهم من
الدنيا حتى يستعمله بعمل يسعده قبل موته ، ولو بوقاف ناقة ، ثم قال : والأعمال
بخواتيمها ، الأعمال بخواتيمها . وخرجه البزار في مسنده ، بهذا المعنى أيضاً ،
من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ .

الثالث : ديوان عمل الشهادة ، وهو الواقع ما بين السابعة والخاتمة ، وعلى كل حال : المعتبر في نفس الأمر السابقة بلا محال .

وفي « الصحيحين » من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة ، زاد البخاري في رواية له : إنما الأعمال بالخواتيم فقوله : فيما يبدو للناس : إشارة الى أن باطن الأمر يكون بخلاف ذلك ، وأن خاتمة السوء تكون بسبب دسيسة باطنية للمبد لا يطلع عليها الناس ، إما من جهة عمل سيء لا يطلع عليه ، أو من جهة اعتقاد سيء ، ونحو ذلك ؛ فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت . قاله الحافظ ابن رجب ، ثم قال : وفي الجملة ؛ فالخواتيم ميراث السوابق ، وكل ذلك سبق في الكتاب السابق . قال : ومن هنا كان يشتد خوف السلف من سوء الخواتيم ، ومنهم من كان يقلق من ذكر السوابق .

وقد قيل : إن قلوب الأبرار معلقة بالخواتيم . يقولون : بماذا ينجم لنا ، وقلوب المقرئين معلقة بالسوابق . يقولون : ماذا سبق لنا .

قال بمض السلف : ما أبكى الميؤن ؛ ما أبكاها الكتاب السابق . وكان سفيان الثوري رحمه الله يشتد قلقه من السوابق والخواتيم ، فكان يبكي ويقول : أخاف أن أكون في أم الكتاب شقياً ، ويبكي ويقول : أخاف أن أسلب الإيمان عند الموت .

وقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » فقيل له : يا رسول الله ! آمناً بك ، وبما جئت به ، فهل يخاف علينا ؟ فقال : « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله عز وجل يقلبها كيف شاء » رواه الامام أحمد ، والترمذي ، من حديث أنس رضي الله عنه . ورواه الامام

أحمد أيضاً ، من حديث أم سلمة رضي الله عنها مرفوعاً : فنسأل الله تعالى أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة ، إنه هو الوهاب ، وبالله التوفيق .

الحديث السابع والثمانون

١٣٢ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : قال رسول الله ﷺ : رؤيا) الشخص (المؤمن) من ذكر أو أنثى . وتقدم الكلام على معنى الرؤيا . وفي الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه مرفوعاً : رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام . رواه الطبراني ، والضياء ، وكذا الحكيم الترمذي في « نوارد الأصول » (جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) وقد روي هذا الحديث عن جماعة من الصحابة بألفاظ مختلفة ، فروى حديث أنس هذا الشيخان . وروى الامام أحمد والشيخان مثله سواء ، عن عبادة بن الصامت ، وكذلك أبو داود ، والترمذي ، ورواه الامام أحمد والشيخان ، وابن ماجه من حديث أبي هريرة . ولمسلم : من خمسة وأربعين جزءاً . وله : من سبعين . والطبراني : من ستة وسبعين . وابن عبد البر : من ستة وعشرين . والامام أحمد : من خمسين .

والترمذي : من أربعين . والطبري من : تسعة وأربعين . والقرطبي : سبعة بتقديم
السين . والطبري أيضاً : من أربعة وأربعين .

قال في « الفتح » : فنلخص من هذه الروايات عشرة أوجه ، أقلها جزء من
سنة وعشرين ، وأكثرها : من ستة وسبعين ، وبين ذلك أربعون ، وأربعة
وأربعون ، وخمسة وأربعون ، وستة وأربعون ، وسبعة وأربعون ، وتسعة
وأربعون ، وخمسون ، ، وسبعون ، وأصحبها مطلقاً ستة وأربعون . وجمع بعضهم ،
بأن ذلك بحسب مراتب الأشخاص .

قال القرطبي : المسلم الصادق الصالح ، يناسب حاله حال الأنبياء ، وهو
الاطلاع على الغيب ، بخلاف الكافر والفاسق والمخلط .

قال غيره : ومعنى كونها جزءاً من أجزاء النبوة على سبيل المجاز ، وهو
أنها تحمي على موافقة النبوة ؛ لأنها جزء من النبوة ، لأن النبوة انقطعت بموته
ﷺ . وقيل : المعنى أنها جزء من علمها ، لأنها وإن انقطعت فعلمها باق . وقيل :
المعنى ، لأنها تشابهها في صدق الاخبار عن الغيب .

وأما تخصيص عدد الأجزاء وتفصيلها ؛ فلا مطلع لنا عليه ، ولا يعلم حقيقته
إلا نبي أو ملك . وقيل : إن مدة الوحي كانت ثلاثة وعشرين سنة ، منها
سنة أشهر منام ، لأنه ﷺ أول ما بدى به من الوحي الرؤيا الصادقة ، فكان
لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح ، وذلك جزء من ستة وأربعين .

قال الجلال السيوطي : وهذا عندي من الأحاديث المتشابهة التي تؤمن بها
ونكل منهاها المراد إلى قائله ﷺ ، ولا نخوض في تفسير هذا الجزء من هذا
العدد ولا في حكمته ؛ خصوصاً وقد اختلفت الروايات في كمية العدد كما تقدم ،
فأله أعلم بالمراد المقصود من ذلك ، وتقدم الكلام على الرؤيا وآدابها بما فيه غنية
في شرح الحديث الثامن من « مسند جابر رضي الله عنه » .

الحديث الثامن والثمانون

١٣٣ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادى بين ابنيه . قال : ما هذا ؟ قالوا : نذر أن يمشي . قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لغني أن يعذب هذا نفسه ، فأمره فركب

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (ابن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يهادى بين ابنيه) أي يمشي بينهما ، معتمداً عليها من ضعفه وتمايله ، من تهادت المرأة في مشيتها ، إذا تمايلت ، وكل من فعل ذلك بأحد فهو يهاديه وقد تكرر في الحديث .

قال ابن البلقيني في «مبهاته» : الرجل هو أبو إسرائيل . قال : كذا رأيت بخط مغلطاي ، نقلاً عن الخطيب ما يدل عليه .

وذكر الامام النووي ان اسمه قيصر . وقيل : قيس .

وفي «مختصر الاستيعاب» : أن اسمه يسير . وقيل : قيس .

وفي «تهذيب الاسماء واللقبات» أنصاري مدني . قال الخطيب في «مبهاته» :

هو عامري . قال : قيل : إن اسمه قيس . قال : ولا أعرف أن في الصحابة من كنيته أبو إسرائيل ، ولا من اسمه قيس غيره .

قال ابن البلقيني : ثم راجعت «مبهات الخطيب» فلم أجد فيها ما مغلطاي عنه ؛ فالمعدة عليه . انتهى .

قلت : الذي ذكره الخطيب ، أنه أبو إسرائيل ، وكذا ابن الاثير ، هو ما في « الصحيحين » من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنها ، قال : كان رسول الله ﷺ في سفر ، أي من أسفاره ، وهو غزوة الفتح ، كما في الترمذي ، أو غزوة تبوك ، كما رواه الشافعي .

قال جابر : فرأى رسول الله ﷺ زحماً ورجلاً قد ظلل عليه . فقال : ما هذا ؟ فقالوا : صائم . فقال : ليس من البر الصوم في السفر .

قال الخطيب وابن الاثير : هو أبو إسرائيل العامري ، واسمه قيس ، كما في « القسطلاني في شرح البخاري » .

وقال البرماوي : في « شرح الزهر » : قال بعضهم : هذا أبو إسرائيل ، رجل من الأنصار . قال الخطيب وابن الاثير : قيل اسم أبي إسرائيل يسير - بضم التحتية وفتح السين المهملة فتحته وآخره راء - وقال الحافظ عبد الغني ابن سميد : وليس في الصحابة من شاركه في اسمه ولا كنيته .

قال البرماوي : كأن من فسر الرجل هنا بأبي إسرائيل . أخذه مما ذكره في حديث : أن رجلاً نذر أن لا يتكلم ، وأن يقف للشمس ، وأن لا يستظل ، من أن هذا الرجل هو أبو إسرائيل ، كما قاله الخطيب ، وابن عبد البر ، وابن الأثير ، وغيرهم هناك .

وقال ابن بشكوال : هو أبو إسرائيل الفهري ، واسمه يسير ، كذا في « المقفى لابن الجارور » . وقال أبو عمر : اسمه أسير ، ولا شك أن الأحاديث متفارة . وقال ابن البلقيني في « المباهات » في حديث أنس رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « إن الله غني عن تمذيب هذا نفسه » ورآه يعشي بين ابنيه ، تقدم أنه أبو إسرائيل فيما نقله منطلي بوساق نحو ما تقدم أيضاً ، والحديث في « الصحيحين » وغيرهما من حديث أنس ، وفي مسلم أيضاً . ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه ،

أيضاً ، ولفظه : أن النبي ﷺ أدرك شيخاً يمشي بين ابنيه يتوكأ عليهما (قال : ما هذا ؟) وفي لفظ : ما بال هذا ؟ (قالوا : نذر أن يمشي) ولفظ حديث أبي هريرة : فقال النبي ﷺ : ما شأن هذا ؟ قال ابتاه : يا رسول الله ! كان عليه نذر (قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل لعني أن يعذب هذا نفسه) أي بالمشي الذي لا طاقة له به . وفي لفظ : إن الله عز وجل عن تعذيب هذا نفسه لعني (فأمره) عليه الصلاة والسلام بالركوب (فركب) وفي لفظ : فأمره أن يركب . وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه : فقال النبي ﷺ : أركب أيها الشيخ ، فإن الله غني عنك وعن نذرك .

تنبيهات

الاول : من نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام ، أو إلى الكعبة ، أو مكة ، وأطلق ، أو قال : غير حاج ولا معتمر ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة من مكان نذره ، لا إحرام قبل ميقاته ، ما لم ينو مكاناً بعينه ، أو ينوي إتيانه ، لا حقيقة المشي ؛ فيلزمه الاتيان ، ويخير بين المشي والركوب ؛ لحصوله بكل منها ، وأما إن نذر المشي إلى موضع خارج الحرم ، كعرفة ، ومواقيت الاحرام ؛ لم يلزمه ، ويخير بين فعله والكفارة .

وفي حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : نذرت أختي أم حبان بنت عامر الأنصارية أن تمشي إلى بيت الله الحرام حافية ، فأمرتني أن أستقي لها رسول الله ﷺ ، فاستفتيته . فقال : « لتمش ولتركب » . متفق عليه .
قال علماؤنا : لتمش إن نذرت على المشي ، ولتركب حيث عجزت عن المشي وأرهقها التعب ، فإذا عجزت عن المشي وركبت ؛ ففعلها كفارة يمين .

قال في «شرح الكافي» : فإن ترك المشي من نذر أن يمشي إلى بيت الله الحرام لمجز أو غيره ؛ فعليه كفارة يمين ، وهو المذهب .

قال ابن منجا في «شرح المقنع» : هذا المذهب ، وهو أصح ، وجزم به في «الوجيز» ، وقدمه في «المختار» و«المحرر» و«التلخيص» و«الفروع» و«الهداية» و«المذهب» و«المستوعب» ، وغيرها .

وعن الامام أحمد رضي الله عنه : عليه دم ، ووجوب كفارة اليمين من مفردات المذهب .

قال ناعلمها :

لمكة ناذر مشي ركبا مع عجزه التكفير أيضاً وجبا
قال شارحها ، يعني : إذا نذر المشي لمكة المشرفة ، أو بيت الله الحرام ، أو موضع من الحرم ؛ لزمه المشي في حج أو عمرة ، لأنه المشي المشروع إليه ، فإن عجز عن المشي فركب ؛ فعليه كفارة يمين .

وقال أبو حنيفة : عليه هدي ، وأقله شاة ، سواء عجز عن المشي أو قدر عليه .

وقال الشافعي : يلزمه دم ، وأفق به عطاء ، لا روى ابن عباس رضي الله عنه ، أن أخت عقبة بن عامر نذرت المشي إلى بيت الله الحرام ، فأمر النبي ﷺ أن تترك وتهدى هدياً . رواه أبو داود ، وفيه ضعف .

وقال مالك : يحج من قابل ، ويركب مامشي ، ويمشي ماركب ، ويهدي . ولنا قول النبي ﷺ : «كفار النذر كفارة اليمين» . ولأن المشي مالا يوجبه الأحرام ، فلم يجب الهدى بتركه ، كما لو نذر صلاة ركعتين فتركها . وفي «الفروع» عن شيخ الإسلام ابن تيمية : القادر على فعل المنذور

يلزمه ، وإلا فله أن يكفر ؛ أقوله عليه السلام : « كفارة النذر كفارة البين » ،
ولأمره عليه السلام لأخت عقبة بن عامر أن تمشي وتكفر . انتهى .

وافظ هذا الحديث : إن أخت عقبة بن عامر نذرت أن تمشي حافية غير
مختنرة . قال : فسأت النبي عليه السلام . فقال : « إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئاً .
مرها فلتختمر ، ولتركب ، ولتصم ثلاثة أيام » . رواه الامام أحمد ، وأصحاب
« السنن » الأربعة .

وفي رواية للامام أحمد ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما
قال : جاءت امرأة الى النبي عليه السلام ، فذكره ، وفيه : « لتخرج راكبة ، وتكفر
بيمينها » .

الثاني : ينتهي وجوب المشي فيما إذا نذر أن يحج ماشياً إذا رمى الجرة .
قال الامام أحمد رضي الله عنه : إذا رمى الجرة فقد فرغ ، وقال أيضاً :
يركب في الحج إذا رمى ، وفي العمرة إذا سعى .

وقال في « الترغيب » : لا يركب حتى يأتي بالتحللين ، على الأصح ، كما في
« الفروع » ، و « شرح الكافي » ، وغيرها ، وكذا قال الشافعية . ولو أفسد الحج
المندور ماشياً لزم القضاء ماشياً .

الثالث : يلزم من نذر المشي الى مسجد المدينة النبوية على صاحبها الصلاة
والسلام ، أو نذر المشي الى المسجد الأقصى ؛ ذلك ، ويلزمه أن يصلي فيه
ركعتين ، إذ اتصد بالنذر القرية والطاعة ، وإنما يحصل ذلك بالصلاة ، فتضمن
ذلك نذرها كنذر المشي الى بيت الله الحرام ، حيث وجب به أحد النسكين ،
وهذا مذهبنا كالمالكية ، وأحد قولي الشافعي .

وقال أبو حنيفة : لا يلزمه ذلك ، ولا ينعقد نذره . وكذا قال فيما إذا نذر
أن يصلي في المسجد الحرام ؛ أنه يجزئه أن يصلي حيث شاء من المساجد .

وقال الثلاثة : يلزمه أن يصلي فيه ، ولا يحزئه الصلاة في غيره . وإن عين
 بنذره مسجداً غير الثلاثة ؛ لم يتمين ، فيخير بين فعله والتكفير ، فإن جاء لزمه
 عند وصوله ركعتان ، فإن عين أحد الثلاثة تمين ، ويجزئه إن عين مسجد
 الأقصى فيه وفي أيها صلى ، وإن عين مسجد النبي ﷺ أجزاء فيه وفي المسجد
 الحرام وإن عين المسجد الحرام لم يحزئه في غيره . والله تعالى أعلم .
 إذا علمت ذلك ؛ فالظاهر أن هذا الرجل لم يكن نذره المشي لبيت الله
 الحرام ، والظاهر أنه أمر بالكفاره لما تقدم ، ولما في « صحيح مسلم » : كفارة النذر
 كفارة اليمين .

وفي « صحيح البخاري » ، وأبي داود ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما :
 بينما رسول الله ﷺ يخطب ، إذا هو برجل قام فسأل عنه . فقالوا : أبو إسرائيل
 نذر أن يقوم في الشمس ولا يقعد ، ويصوم ولا يفطر ، ولا يستظل ، ولا يتكلم .
 فقال رسول الله ﷺ : « مروه فليستظل ، وليقعد ، وليتكلم ، ولتيم صومه » .
 فقصة أبي إسرائيل هذا ، الظاهر أنها كانت في الحضر ؛ بدليل قوله : وهو قائم
 يخطب ، إذ لا خطبة في السفر . لا يقال : إن النبي ﷺ كان يخطب لكل أمرهم
 في أي وقت كان ؛ فيحتمل أن يكون ذلك من هذا القبيل ؛ لا ما تقول : هذا
 بعيد ، ولأنه (١) أمره باتمام الصوم ، مع قوله في الحديث الآخر : « ليس من البر
 الصوم في السفر » . والله أعلم .

(١) وعلى هامش الأصل بخط المؤلف ما نصه : « قوله : ولأنه التح. الحاصل : أنه ذكر ليكون
 ذلك وقع حضراً دليلين : أحدهما بعد الخطبة سفرأ . والثاني : أنه صلى الله عليه وسلم أمره
 باتمام الصوم . فلو كان سفرأ لا أمره به . لأنه قال : « ليس من البر الصوم في السفر » المؤلف

الحديث التاسع والثمانون

١٣٤ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس ، قال :
كان رجل يسوق بأمهات المؤمنين يقال له - أنجشة ، فاشتد
بهن في السياقة : فقال له رسول الله ﷺ : يا أنجشة ! رويدك ،
سوفك بالقوارير .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن
أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : كان رجل) من أصحاب رسول الله ﷺ
(يسوق بأمهات المؤمنين) أي يحمدوهن (يقال له) أي لذلك الرجل الحادي :
(أنجشة) - بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الجيم والشين المعجمة - . قال
ابن الأثير : هو أنجشة العبد الأسود الحادي ، حادي رسول الله ﷺ ، وكان
حسن الحدي . روى عنه أبو طلحة الأنصاري ، وأنس بن مالك رضي الله عنهم .
وفي «النسائي» وغيره : وكان معهم سائق وحادي . ولأبي داود الطيالسي ،
عن حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس رضي الله عنه : كان أنجشة يحمدو بالنساء ،
وكان البراء بن مالك يحمدو بالرجال . وفي رواية وهيب : وأنجشة غلام النبي ﷺ ،
يسوق بهن (فاشتد بهن في السياقة) ، وعند أبي عروة : وكان حسن الصوت .
وفي «الصحيحين» : وممن ، أي مع أمهات المؤمنين أم سليم . وفي رواية :
وكان يحمدو بأمهات المؤمنين ونسائهم . وفي رواية سليمان التيمي ، عن أنس عند
مسلم : كانت أم سليم مع نساء النبي ﷺ (فقال رسول الله ﷺ :) ويحك

(بأنجشة) وفي رواية حماد : كان النبي ﷺ في سفر له ، وكان غلام يحذو بهن . يقال له : أنجشة . وفي رواية مسلم : كان في بعض أسفاره ، وغلام أسود . وفي رواية للنسائي : وغلام له يقال له : أنجشة . قال البلاذري : وأنجشة حبشي ، يكنى أبا مارية .

وأخرج الطبراني ، من حديث واثلة : أنه كان ممن نقام النبي ﷺ من الخنثين (رويدك) كذا لاكثر ، وهو كذلك في الصحيحين ، وغيرها . وفي رواية سليمان التيمي : رويداً وفي رواية شعبة : ارفق . وفي رواية لحيد : رويدك ارفق ، جمع بينهما . ورويدك — منصوب على الاغراء ، ومفعول بفعل مضمر — أي الزم رفقك أو على المصدر ، أي أرود رويدك .

وقال الراغب : رويداً من أرود يرود ، كأهل يعمل وزنه ومعناه ، وهو من الرود — بفتح أوله وسكون ثانيه — وهو التردد في طلب الشيء برفق والرائد : طالب الكلاء ، ورادت المرأة تريد ، إذا مشت على هينتها . وقال الرازي : رويداً — تصغير رود ، وهو مصدر فعل الرائد — وهو المبعوث في طلب الشيء ، ولم يستعمل في معنى المهلة إلا مضراً .

وقال السبيلي : قوله : رويداً . جاء بلفظ التصغير ، لأن المراد التقليل ، أي ارفق قليلاً ، وقد يكون من تصغير المرخم ، وهو أن يصغر الاسم بعد حذف الزوائد ، كما قالوا في أسود : سويد ، فكذا في أرود : رويد (سوقك) كذا لاكثر . وفي رواية لحيد ، عن أنس : سيرك — وهو بالنصب على نزع الخافض — أي ارفق في سوقك ، أو سقن ، كسوقك . وقال القرطبي في «المفهم» : رويداً : أي ارفق . وسوقك مفعول به . ووقع في رواية مسلم : سوقاً ، وهو منصوب على الاغراء بقوله : ارفق سوقاً ، أو على المصدر ، أي : سق سوقاً ، والمراد به حدودك ، إطلاقاً لاسم المسبب على السبب .

وقال ابن مالك : رويدك ، اسم فعل ، بمعنى أرود ، أي أمهل ، والكاف المتصلة به حرف خطاب ، وفتحة داله بنائية ، ولك أن تجعل رويدك مصدراً مضافاً الى الكاف ، ناصبها سوقك ، وفتحة داله على هذا إعرابية (بالقوارير) في رواية هشام ، عن قتادة ، عن أنس : رويدك سوقك ، ولا تكسر القوارير . قال أبو قلابة : يعني النساء . وقال قتادة : يعني ضعفه النساء . والقوارير ، جمع قارورة ، وهي الزجاجة ، سميت بذلك ، لاستقرار الشراب فيها . وقال الراهمري : كنى عن النساء بالقوارير لرقتهن وضعفهن عن الحركة ، والنساء يشبهن بالقوارير في الرقة واللطافة وضعف البنية . وقيل : المعنى سقهن كسوقك القوارير لو كانت محمولة على الابل . وقال بعضهم : شبهن بالقوارير ، لسرعة انقلابهن عن الرضى ، وقلة دوامهن على الوفاء ، كالقوارير يسرع اليها الكسر ، ولا تقبل الجبر . وقد استعمل الشعراء ذلك . قال بشار :

أرفق بعمرى إذا حركت نسبته فأنه عربي من قوارير
قال أبو قلابة : فتكلم النبي ﷺ بكلمة ، لو تكلم بها بعضكم لبتموها
ليه ، وهي قوله : سوقك بالقوارير .
قال الداودي : هذا قاله أبو قلابة لأهل المراق ، لما كان عندهم من
التكلف ، ومعارضة الحق بالباطل .

وقال الكرمانى في « شرح البخاري » : لعله نظر الى أن شرط الاستمارة أن يكون وجه الشبه جلياً ، وليس بين القارورة والمرأة وجه الشبه ظاهراً ، لكن الحق أنه كلام في غاية الحسن والسلامة عن العيب ، ولا يلزم في الاستمارة أن يكون جلاء وجه التشبيه من حيث ذاتها ، بل يكفي الجلاء الحاصل من القوارير الحاصلة ، وهو كذلك هنا . قال : ويحتمل أن يكون قصد أبي قلابة أن هذه الاستمارة من مثل رسول الله ﷺ في البلاغة ، ولو صدرت من غيره

من لا بلاغة له لمبتوم ، قال : وهذا هو اللائق من منصب أبي قلابه . انتهى .
قال في « الفتح » : وليس ما قاله الداودي بعيداً ، ولكن المراد من كان
يتنطع في العبارة ويتجنب الالفاظ التي تشتمل على شيء من الهزل ، وقريب من
ذلك قول شداد بن أوس الصحابي لثلامه : اثقتا بسفرة لبت بها ، فأنكرت عليه .
أخرجه الامام أحمد ، والطبراني .

قال الخطابي : قيل : كان أنجشة أسود ، وكان في سوقه عنف ، فأمره
أن يرفق بالمطايا . وقيل : كان حسن الصوت بالحداء ، فكره أن يسمع النساء
الحداء ؛ فإن حسن الصوت يحرك من النفوس ؛ فشبه ضعف عزائمهن وسرعة
تأثير الصوت فيهن بالقوارير ، في سرعة الكسر اليها . وجزم ابن بطل بالاول .
فقال : القوارير : كناية عن النساء اللائي كنَّ على الابل التي تساق حينئذ ،
فأمر الحادي بالرفق في الحداء ، لأنه يبحث الابل حتى تسرع ، فإذا أسرعت لم
يؤمن على النساء السقوط ، وإذا مشت رويداً أمن على النساء السقوط . قال :
وهذا من الاستعارة البديعة ، لأن القوارير أسرع شيء تكسراً ، فأقادت
الكناية من الخوض على الرفق بالنساء في السير ، ما لم تفده الحقيقة ، لو قال :
ارفق بالنساء .

وقال الطيبي : هي استعارة ، لأن المشبه به غير مذكور ، والقرينة حالية
لا مقالية . ولفظ الكسر ترشيح لها ، وجزم أبو عبيد الهروي بالثاني ، فقال :
شبه النساء بالقوارير لضعف عزائمهن ، والقوارير يسرع اليها الكسر ، فخشى
من سماعهن النشيد الذي يحدو به أن يقع بقلوبهن منه ، فأمره بالكف ، فشبه
عزائمهن وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في إسراع الكسر اليها ، ورجح
عياض هذا الثاني فقال : هذا أشبه بمساق الكلام ، وهو الذي يدل عليه كلام
أبي قلابه ، وإلا فلو عبر عن السقوط بالكسر لم يعبه أحد ، وجوز القرطبي في

« المفهم » الأُمَريْن ، فقال : شبهن بالقوارير لسرعة تأثيرهن ، وعدم تجلدهن : فخاف عليهن من حث السير لسرعة السقوط ، أو التألم من كثرة الحركة والاضطراب الناشئ عن السرعة ، أو خاف عليهن الفتنة من سماع النشيد . انتهى .
وقد جرت عادة الابل أنها تسرع السير إذا حدي بها .

وقد أخرج ابن سعد بسند صحيح ، عن طاووس مرسلاً . وأورده البزار موصولاً ، عن ابن عباس ، دخل حديث بعضهم في بعض أن أول من حدا الابل عبد لمضر بن زرار بن معد بن عدنان ، كان في إبل لمضر ، فقَصَّرَ ، فضر به مضر على يده فأوجعه ، فقال : يا يداه ، يا يداه . وكانت حسن الصوت ، فأسرعت الابل لما سمعته في السير ، فكان ذلك مبدأ الحداء . ونقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء .

وفي كلام بعض علمائنا ما يشعر بنقل الخلاف فيه ، ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة ، ويلتحق بالحداء غناء الحبيج المشتغل على التشوق الى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد .

وقد أكثر منه ابن الجوزي في « مثير العزم الساكن » . ونظيره ما يحرض على الجهاد ، ويحث على قتال الكفار . ومنه غناء المرأة لتسكين الولد في المهد .
وفي « كتاب النهي عن سماع الأغاني » للإمام العلامة محمد بن أبي بكر الطرطوشي المالكي ، قال في ذم سماع الغناء : بأنه صنو الخمر ، ورضيعه ، وحليفه ، ونائبه ، وهو جاسوس القلوب ، وسارق المروءة والعقول ، يتغلغل في مساكين القلوب ، ويطلع على سرائر الأقدسة ، ويدب الى التخيل فيثير ما غرز فيها من الهوى والشهوة والرعونة ، فيستحسن ما كان قبل السماع يستقبحه . . . إلى أن قال : وهكذا تفعل الخمر إذا مالت بشرابها .

قال . وعلى هذا المعنى نبه النبي ﷺ لما حدا أنجشة حادي النبي ﷺ

بأزواجه ، فأعنى الابل . فقال ﷺ : يا أنجشة ! رويدك سوقاً بالقوارير ، وكان
حسن الصوت . قال : فتشبه النبي ﷺ النساء لسرعة ميلهن ، بالقوارير لسرعة
تكسرهن . وقيل : المراد به الرفق بالابل ، فانه حيوان سريع الانفة .
قال : وقد شبه السباع بعض الشعراء بالخر ، وأخبر عن تأثيره في
النفوس ، قال :

أذكر ليلة وقد اجتمعنا	على طيب السباح الى الصباح
ودارت بيننا كأس الاغاني	فأسكرت النفوس بغير راح
فلم ترَ فيهم إلا نشاوى	سروراً والسرور هناك صاح
إذا لبي أخو اللذات فيه	ينادي اللهو حي على السباح
ولم نملك سوى المهجات شيئاً	أرقناها لألحاظ ملاح

قال الطرطوشي : دل هذا على أن القناء يضر العقل كالخر ، وقد بالغ في
الرد ، والله تعالى الموفق .

الحديث التسعون

١٣٥ - ثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس قال :
أسلم ناس من عريثة ، فاجتووا المدينة . فقال لهم رسول الله
ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا فشربتم من ألبانها . قال حميد :
وقال قتادة ، عن أنس : وأبوا لها ؛ ففعلوا ، فلما صحوا كفروا
بعد إسلامهم ، وقتلوا راعي رسول الله ﷺ ، مؤمناً ، أو مسلماً ،

وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين . فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم ، فأخذوا ، فقطّع أيديهم وأرجلهم وسمّهم ، وتركهم في الحرّة حتى ماتوا .

قال رضي الله عنه : (ثنا) محمد (بن أبي عدي ، عن حميد) الطويل (عن أنس) بن مالك رضي الله عنه (قال : أسلم ناس من عرينة) -- بضم العين المهملة وفتح الراء -- بطن من بحيلة . وفي رواية عن أنس في « الصحيحين » : من عكل ، أو عرينة .

وعكل - بضم العين المهملة وسكون الكاف - هو في الأصل اسم امرأة حصيب ، ولد عوف بن أيامين ، غلب اسمها على القبيلة من ولدها . وكان عدتهم ثمانية ، كما في « الصحيحين » : أربعة كانوا من عكل ، وثلاثة من عرينة ، والرابع كان تاباً لهم . وفي لفظ لسم : أن ناساً من عرينة ، كما في هذا الحديث . وفي آخر : من عكل وعرينة . وفي رواية للإمام أحمد والبخاري وأبي داود : قال قتادة : فحدثني ابن سيرين ، أن ذلك كان قبل أن تنزل الحدود .

قال البرماوي : وكانت هذه القضية في شوال سنة ست من الهجرة (فاجتوا المدينة النبوية) - وهو بالجيم الساكنة ، وفتح التاء المثناة الفوقية ، وفتح الواو الأولى وسكون الثانية - أي أصابهم الجواء ، وهو المرض ، وداء الجوف إذا تطاول ، أي استولوا المدينة واستوخوها . وقد جاء ذلك مفسراً ، في لفظي « الصحيح » : فقالوا : يا رسول الله ! إنا كنا أهل ضرع ، ولم نكن أهل ريف . خرج البخاري في الطب والمنازي من « صحيحه » . ولفظه : قالوا : يا رسول الله ! آوينا وأطمعنا ، فلما صحوا قالوا : إن المدينة وخمة ، وكان بهم سقم من الهزال

الشديد ، والجهد من الجوع ؛ فعند أبي عوانة : كان بهم هزال شديد . وعنده من رواية ابن سمد عنه : مصفرة ألوانهم .

وأما الوخم الذي شكوا منه بعد أن صحت أجسامهم ، فهو من حمى المدينة ؛ فعند أبي عوانة ، عن أنس : فمظمت بطونهم (فقال لهم رسول الله ﷺ : لو خرجتم إلى ذود لنا) . ذكر ابن سمد أن عدد الذود كان خمس عشرة . وفي رواية بهز بن أسد : أن الذود كان مع الراعي بجانب الحرة . قال في «المطالع» : الذود من الثلاث إلى التسع في الابل ، وإن ذلك يختص بالاناث ، قاله أبو عبيد .

وقال الاصمعي : ما بين الثلاث إلى العشر . وقال غيره : واحد . وفي «القاموس» : الذود ثلاثة أبصرة إلى عشرة ، أو خمس عشرة ، أو عشرين ، أو ثلاثين ، أو ما بين الثنتين والتسع ، مؤنث ولا يكون إلا من الاناث ، وهو واحد وجمع ، أو جمع لا واحد له ، أو واحد ، جمع : أذاود . وقولهم : الذود إلى الذود إبل يدل على أنها في موضع اثنتين ، لأن الثنتين إلى الثنتين جمع . انتهى . وفي لفظ في «الصحيحين» ، وغيرهما : فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح . قال في «الفتح» : اللقاح باللام المكسورة والقاف وآخره حاء مهملة النوق ذوات الألبان ، واحدها : لقحة — بكسر اللام وإسكان القاف . قال أبو عمر : يقال لها ذلك إلى ثلاثة أشهر ، أي من ولادتها ، ثم هي لبون . واللقاح — جمع لقوح ، كصبور — وهي الناقة القرية المهذ بالنجاج . يقال : ناقة لقوح ، إذا كانت غزيرة اللبن ، ولاقح إذا كانت حاملاً . ونوق لواقح . واللقاح : ذوات الألبان .

وعند أبي عوانة ، من حديث أنس في هذه القصة : فمظمت بطونهم ، فأمرهم بلقاح ، أي أمرهم أن يلحقوا بها . وفي رواية عند البخاري وغيره :

فأمرهم أن يلحقوا برأعيه . وفي رواية : أنه وقع في المدينة الموم أي بضم الميم وسكون الواو . وقال : وهو البرسام ، أي بكسر الموحدة ، سرياني معرب ، يطلق على اختلال العقل ، وعلى ورم الرأس ، وعلى ورم الصدر ، والمراد هنا الأخير . فقالوا : يا رسول الله ! قد وقع هذا الوجع ، فلو أذنت لنا فخرجنا الى الابل . وفي رواية عند البخاري : انهم قالوا : يا رسول الله ! ابغنا رسلاً ، أي أي اطلب لنا لبناً . قال : ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود . وظاهر ما ذكرنا أن اللقاح كانت للنبي ﷺ . وقد صرح في البخاري في « حد الحارين » ، بذلك ، فقال : إلا أن تلحقوا بابل الرسول ﷺ . وفي رواية : إلا أن تأتوا إبل الصدقة . والجمع بينها أن إبل الصدقة كانت ترعى خارج المدينة ، وصادف بث النبي ﷺ بلقاحه الى المرعى ؛ طلب هؤلاء النفر الخروج الى الصحراء لشرب ألبان الابل ، فأمرهم أن يخرجوا مع راعيه ، فخرجوا معه الى الابل ، ففعلوا ما فعلوا ؛ فظهر بذلك مصداق قول النبي ﷺ : « إن المدينة تنفي خبثها » (فشرتهم) جواب لو (من ألبانها) .

وفي لفظ في « الصحيحين » : فأمرهم بلقاح ، وأن يشربوا . وفي أخرى : فأخرجوا فاشربوا من ألبانها . وفي رواية شعبة عن قتادة : فرخص لهم أن يأتوا إبل الصدقة ، فيشربوا . أما شربهم من ألبان الصدقة ، فلاهم من أبناء السبيل ، وأما شربهم من لبن لقاح النبي ﷺ ، فبإذنه (قال حميد) الطويل (وقال قتادة) بن دثامة بن قتادة السدوسي أبو الخطاب البصري الأكمه ، أحد الأعلام . روى عن أنس ، وعبدالله بن سرجس ، وأبي الطفيل ، وابن المسيب ، والحسن ، وابن سيرين ، وخلق . وعنه أبو حنيفة ، وشعبة ، ومسلم ، والأوزاعي ، وحماد ابن سلمة ، وخلق .

قال سميد بن المسيب : ما أتاني عراقي أحفظ من قتادة . وقال الامام أحمد

كان قتادة أحفظ أهل البصرة ، لم يسمع شيئاً إلا حفظه . وقرئت عليه صحيفة جابر مرة واحدة ؛ فحفظها . وكان من العلماء . وقال قتادة : ما سمعت أذنابي شيئاً قط إلا وعاء قلبي . وقال بعضهم : إنه كان يتهم بالقدر . ولد سنة ستين ومات سنة سبع عشرة ومائة . ومن جملة من روى عنه حميد ؛ فيكون هذا الحديث بالنسبة لهذه الزيادة رباعياً ؛ فإن الامام أحمد رواها عن ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن قتاده (عن أنس) رضي الله عنه (وأبوها) عطف على ألبانها ، وهذه الزيادة في « الصحيحين » ، وغيرها (ففعلوا) أي شربوا من ألبان الأبل وأبوالها ، وبه احتج من قال بطهارته من الأبل ومن كل مأكول ، أما من الأبل ، فهذا الحديث ؛ وأما من كل مأكول ؛ فبالقياس عليه ، وهذا مذهب الاماميين أحمد ومالك ، وطائفة من السلف ، ووافقهم من محدثي الشافعية ابن خزيمة ، وابن المنذر ، وابن جبان ، والاصطخري ، والرويانى . وذهب الشافعي والحنفي وجماعة إلى القول بنجاسة الأبوال والأرواث كلها ، من مأكول اللحم وغيره ، واحتج ابن المنذر لطهارته ، بأن الأشياء على الطهارة حتى تثبت النجاسة . قال : ومن زعم أن هذا خاص بأوثاك الأقوام ، فلم يصب ، إذ الخصائص لا تثبت إلا بدليل . قال . وفي ترك أهل العلم بيع الناس أبقار النعم في أسواقهم ، واستعمال أبوال الأبل في أدويتهم قديماً وحديثاً من غير تكثير دليل على طهارتها .

وقال ابن العربي : تعلق بهذا الحديث من قال بطهارة أبوال الأبل ، وعورضوا بأنه أذن لهم في شربها للتداوي . ورد بأن التداوي ليس حال ضرورة بدليل أنه لا يجب ، فكيف يباح الحرام لما لا يجب ، وأجيب بمنع كونه ليس حال ضرورة ، بل هو حال ضرورة إذا أخبره بذلك من يعتمد على خبره ، وما أبيع للضرورة لا يسمى حراماً وقت تناوله ، لقوله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه » (١) .

(١) سورة الانعام ، الآية : ١١٩

ولنا قوله ﷺ : « إن الله لم يجعل شفاء أمي فيما حرّم عليها » رواه أبو داود من حديث أم سلمة : وروي من طريق في « البخاري » وغيره أيضاً : والنجس حرام ؛ فلا يتداوى به ، لأنه لا شفاء فيه . وقد قال ﷺ في جواب من سأله عن التداوي بالحجر : « إنها ليست بدواء إنما داء » رواه مسلم . وفي حديث عن ابن عباس مرفوعاً : « إن في أبوال الأبل شفاء للدربة . رواه ابن المنذر .

والدربة : فساد المدة ؛ فلولا أن أبوال الأبل طاهرة ؛ لما ثبت أن فيها دواء ؛ بدليل قوله ﷺ في الحديث الصحيح : « إن الله لم يجعل شفاء أمي فيما حرّم عليها » وقد أطلق ﷺ الاذن في شرب أبوال الأبل لقوم حديثي عهد بالاسلام ، جاهلين بالاحكام ، ولم يأمرهم بفصل أفواههم وما يصيبهم منها لأجل صلاة ولا غيرها ، مع اعتيادهم شربها ؛ فدل ذلك لمذهب القائلين بالطهارة . وأيضاً ثبت عنه ﷺ أنه قال : « صلوا في مرائب الغنم ، فأطلق الاذن ، ولم يشترط حائلاً بقي من الأبوال والأبرة ؛ فأشعر بطهارتها (فلما صحوا) من مرضهم الذي كان بهم ، وسمنوا ، ورجعت إليهم ألوانهم ، كما في رواية (كفروا بعد إسلامهم) الذي أظهروه ونطقوا به (وقتلوا راعي) لقاح (رسول الله ﷺ) وفي رواية عند مسلم : ثم مالوا على الرعاء فقتلوه ، وارتدوا عن الاسلام . وكان لقاح رسول الله ﷺ (مؤمناً) بالله ورسوله (أو) قال الراوي : (مسلماً) بدل مؤمن ، وهو يسار - بفتح التحيّة فسین مهملة فألف فراء - مولى النبي ﷺ ، وكان يرعى إبله ﷺ ؛ فلما قتلوه حمل إلى قباء ميتاً ، ودفن بها .

وذكر ابن سعد : أنه نوبى أصابه النبي ﷺ في غزوة محارب ، فرآه ﷺ يحسن الصلاة ، فأعقته (وساقوا ذود رسول الله ﷺ ، وهربوا محاربين) فجاء الخبر .

وفي رواية : فبلغ ذلك النبي ﷺ .

وفي أخرى : جاء الصريح - بالخاء المعجمة ، وهو فمیل بمعنى فاعل أي المصرخ بالاعلام بما وقع منهم ، وهذا الصارخ ، هو أحد الراعيين ، كما في « صحيح ابن عوامة » من رواية معاوية بن قرة ، عن أنس .

وأخرج مسلم إسناده ، ولفظه : فقتلوا أحد الراعيين ، وجاء الآخر قد جزع . فقال : قد قتلوا صاحبي ، وذهبوا بالابل ، ولم أر من سمى الراعي الآتي بالخبر .

وأظاهر أنه راعي إبل الصدقة ، ولم تختلف روايات البخاري في أن المقتول راعي النبي ﷺ . ولا في ذكره بالأفراد ، وكذا في مسلم . نعم عند مسلم ، من رواية عبد العزيز بن صهيب ، عن أنس : ثم مالوا على الرعاة فقتلوا بصيفة الجمع . ونحوه لابن حبان ، من رواية يحيى بن سعد ، عن أنس ؛ فيحتمل أن إبل الصدقة كان لها رعاة ، فقتل بعضهم مع راعي رسول الله ﷺ ، فاقصر بعض الرواة على ذكر راعي لقاح النبي ﷺ ، ذكر بعضهم معه غيره ، ويحتمل أن يكون بعض الرواة ذكره بالمعنى ؛ فتجاوز بالأتان بصيفة الجمع . ورجح في « الفتح » الثاني ؛ لأن أهل المغازي لم يذكر أحد منهم أنهم قتلوا غير يسار .

(فأرسل رسول الله ﷺ في آثارهم) وكان جاءه الخبر في أول النهار . وفي رواية سلمة بن الأكوع : فبث في آثارهم خيلاً من المسلمين ، أميرهم كرز ابن جابر الفهري ، وكذا ذكره ابن إسحاق ، « والأكثر » ، وهو بضم الكاف وسكون الراء بعدها زاي .

وللنسائي من رواية الأوزاعي : فبث في طلبهم قافة ، جمع قائف . ولمسلم من رواية معاوية بن قرة ، عن أنس : أنهم شباب من الأنصار ، قريب من عشرين رجلاً ، وبث معهم قائفاً يقتص آثارهم .

قال في « الفتح » : ولم أقف على اسم هذا القائف ، ولا على اسم واحد من

المشربين رجلاً ، لكن في «مغازي الواقدي» : أن السرية كانت عشرين رجلاً ، ولم يقل من الأنصار ، بل سمي منهم جماعة من المهاجرين ، منهم : بريدة بن الحصيب وسلمة بن الأكرع الأسلمي ، وجندب ورافع ابنا مكيث جهنيان ، وأبو ذر وأبو رهم القفاريان ، وبلال بن الحارث وعبد الله بن عمرو بن عوف المزنيان ، وغيرهم ، وأمير هذه السرية سعد بن زيد الأشهلي .

وفي «البرماوي» : سعد بن زيد بن عمرو بن نفيل . وقيل : جرير ابن عبد الله البجلي ، لكن المعروف تأخر إسلام جرير عن ذلك بمدة ، والله أعلم . (فآخذوا) أي أخذتهم السرية بعد أن أدركوهم ، فلما ارتفع النهار ؛ جاؤوا بهم إلى رسول الله ﷺ (فقتلهم) رسول الله ﷺ (أيديهم وأرجلهم) .

قال الداودي : يعني قطع يدي كل واحد منهم ، وزجليه ، أي أمر بذلك ، لكن يرد ما قاله الداودي ، رواية الترمذي : من خلاف ؛ فانها تقتضي عدم استئصال أيديهم وأرجلهم ، بل تقتضي قطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ، أو عكسه ، ولم يحسمهم بزيت مغلي ليقطع الدم ، بل تركه ينزف (وسمّر أعينهم) بفتح السين المهملة وتشديد الميم - وفي رواية : بتخفيفها ، ولم تختلف رواية البخاري أنه بالراء .

ووقع لسلم من رواية عبد العزيز : وسمل - بالتخفيف واللام - قال الخطابي : السمل : فقاء العين بأي شيء . كان . قال أبو ذؤيب الهذلي :

والعين بدمم كأن حداقها سملت بشوك فهي عور تدمع
قال : والسمر لعله لقة في السمل . ومخرجها متقارب ، وقد يكون من السمر ، يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت .
وقد وقع التصريح بذلك عند البخاري ، من رواية أبي قلابة ، ولفظه :

ثم أمر بمسامير فأحميت ، فكحلهم بها ؛ فهذا يوضح رواية : ويسر أعينهم ، ولا يخالف رواية السمل ؛ لأنه ققاء العين بأي شيء . كان ، كما مر آنفاً (و تركهم) أي ألقوا (في الحرة) وهي ذات حجارة سود ، معروفة بالمدينة ، وإنما ألقوا فيها ، لأنها قرب المكان الذي فعلوا فيه ما فعلوا ، سميت بالحرة لشدة الحر بها ، ووهج الشمس فيها ، وجمعها حرار (١) ، وأحرار ؛ فصلوا ويتزاحفون فيها يستسقون فلا يسقون (حتى ماتوا) وفي رواية : ثم نكسهم في الشمس حتى ماتوا . وفي رواية شعبة ، عن قتادة : يعضون الحجارة . وفي رواية ثابت ، قال أنس رضي الله عنه : فرأيت الرجل منهم يكدم الأرض بلسانه حتى يموت . ولا يبي عوانة من هذا الوجه : يعض الأرض ليجد ردها بما يجرد من الحر والشدة . وفي رواية : ما يجرد من النهم والوجع . وزعم الواقدي أنهم صلبوا .

والروايات الصحيحة رده . وعند أبي عوانة ، عن ابن عقيل ، عن أنس : فصلب اثنين ، وقطع اثنين ، وسمل اثنين .

قال في « الفتح » : كذا ذكر سنة فقط ، فإن كان غفواً فمقوتهم كانت موزعة . قال جماعة ، منهم الحافظ ابن الجوزي : إلا أن ذلك وقع عليهم على سبيل القصاص ؛ ففي مسلم من حديث أنس إنما سمل النبي ﷺ أعينهم ، لأنهم سملوا أعين الرعاة ، وقصر من اقتصر . وتعبه ابن دقيق العيد ، بأن المثلة في حقهم وقعت من جهات ، وليس في الحديث إلا السمل ، فيحتاج إلى ثبوت البقية . انتهى .

وفي « المغازي » ، و « سبل الهدى » : فلما صحوا ورجعت إليهم أبدانهم ، وانطوت بطونهم ؛ كفروا بعد إسلامهم ، وعدوا على القحاح فاستاقوها ، فأدركهم مولى رسول الله ﷺ يسار ومعه نفر ، فقاتلهم ، فأخذوه ، فقطعوا يديه ورجليه ، وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات ؛ فهذا إن ثبت يدل على أنه إنما مثل

(١) في الأصل : حرا ، والتصحيح من « القاموس »

بهم ، كما مثلوا يسار ؛ فهو صريح فيما قال ابن الجوزي ومن وافقه ، وكان رسول الله ﷺ لما بث في آثارهم قال : « اللهم اعم عليهم الطريق ، واجعله عليهم أضيق من مسك حمل (١) » ؛ فمعنى الله عليهم السبل ؛ فأدركوا في ذلك اليوم ، كما تقدم آنفاً .

وقال الواقدي : خرج كرز وأصحابه في طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرّة ، ثم أصبحوا ولا يدرون أين سلکوا ؛ فاذا بامرأة تحمل كتف بغير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا ؟ قالت : مررت بقوم قد نحروا بغيراً ، فأعطوني هذه الكتف . فقالوا : أين ؟ فقالت : بتلك الحرّة ، القفارة من الحرّة ، إذا وفيت عليها رأيتم دخانهم ، فساروا حتى أتوا بهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم ، فسألوه أن يستأسروا ؛ فاستأسروا بأجمعهم ، لم يفلت منهم إنسان ، فربطوهم وأردفهم على الخيل حتى قدموا المدينة ؛ فوجدوا رسول الله ﷺ بالرغبة - بكسر الراء وبالنون المعجمة والموحدة - أرض متصلة بالجرف ، بضم الجيم والراء ، كما قاله أبو عبيد البكري ، فخرجوا بهم نحو رسول الله ﷺ ، قال أنس رضي الله عنه : خرجت أسمى في آثارهم مع الفلّان ، حتى لقي بهم رسول الله ﷺ ؛ فأمر بمسامير فأحميت ، فكعّطهم بها .

قال أنس ، كما عند مسلم : لسمّهم عين الرعاة ، وقطع أيديهم وأرجلهم ، ونبذهم بالحرّة بمضون الحجارة يستسقون فلا يسقون ، حتى ماتوا على حالهم ، ولم يحسمهم .

قال ابن سيرين : كانت هذه القصة المرنيين قبل أن تنزل الحدود ، فأنزل الله تعالى : « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسمون في الأرض فساداً أن يقتلوا ، أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض » (٢) فلم يسمّل رسول الله ﷺ بعد ذلك عيناً ، ولم يقطع لساناً ، ولم يزد على قطع

(١) أي جلد خروف . (٢) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

اليد والرجل ، وما بث رسول الله ﷺ بعد ذلك بشأ إلا نهام عن المثلة ، فكان بعد ذلك بحث على الصدقة ، ونهى عن المثلة .

وعن أبي الزناد : أن رسول الله ﷺ لما قطع الذين سرقوا لقاحه ، وسمل أعينهم بالنار ؛ عاتبه الله في ذلك ، فأزل ، وإنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، (١) الآية رواه أبو داود ، والنسائي .

قال ابن شاهين - عقب حديث عمران بن حصين الذي رواه الحاكم ، وحديث ابن عمر ، والمغيرة الذي رواه الطبراني في « الكبير » ، أنه ﷺ نهى عن المثلة ، وهي - بضم الميم وسكون المثلة - قطع أطراف الحيوان أو بمضها وهو حي ، أو التشويه به : هذا الحديث ينسخ كل مثلة ، وتمتبه ابن الجوزي ، بأن ادعاء الشيخ يحتاج إلى تاريخ .

ويدل لما قال ابن شاهين ، حديث أبي هريرة في النهي عن التعذيب بالنار بعد الاذن فيه ، وقصة المرنيين قبل إسلام أبي هريرة ، وقد حضر الاذن ثم النهي .

وقد ذكر ابن اسحاق أن قدوم المرنيين كان بعد غزوة ذي قرد ، وكانت في جمادى الآخرة سنة ست ، وذكرها البخاري بعد الحديث ، وكانت في ذي القعدة منها .

وذكر الواقدي : أنها كانت في شوال منها ، وتبعه ابن سعد ، وابن حبان ، وغيرهما .

واستشكل القاضي عياض عدم سقيهم الماء ؛ للاجماع على أن من وجب عليه القتل فاستسقى ، لا يمنع ، وأجاب بأن ذلك لم يقع عن أمر النبي ﷺ ، ولا وقع منه نهى عن سقيهم . انتهى .

(١) سورة المائدة ، الآية : ٣٣

وضعف الحافظ ابن حجر في « الفتح » ، هذا الجواب ، لأنه عليه السلام اطلع على ذلك ، وسكوته كافٍ في ثبوت الحكم .

وأجاب النووي بأن المحارب المرتد لا حرمة له في سقي الماء ولا غيره .
ويدل عليه أن من ليس معه إلا ماء لطهارته ؛ ليس له أن يسقيه للمرتد ويتميم ، بل يستعمله ولو مات عطشاً . وقيل : الحكمة في تمطيشهم ؛ لكونهم كفروا نعمة سقي ألبان الابل ، التي حصل لهم بها الشفاء من الجوع والوخم ، ولأنه عليه السلام دعا بالمطش على من عطش آل بيته في قصة رواها النسائي ؛ فيحتمل أن يكونوا في تلك الليلة منموا لإرسال ما جرت به العادة من اللبن الذي كان يراح به إلى آل النبي عليه السلام كل ليلة ، كما ذكر ذلك ابن سعد .

وفي « صحيح البخاري » ، قال سلام - بتشديد اللام - بن مسكين الأزدي ؛ فبلغني أن الحجاج ، أي ابن يوسف الثقفي ، الأمير المشهور بالاسراف في الدماء والشقاوة . قال لأنس بن مالك رضي الله عنه : حدثني بأشد عقوبة عاقب النبي عليه السلام . وفي لفظ : عاقبها ؛ فحدثه بهذا ، فبلغ ذلك الحسن البصري . فقال : وددت أنه ، أي أنس بن مالك لم يحدثه ، أي الحجاج بن يوسف ، يعني بهذا الحديث . وفي رواية أنس : فذكر ذلك قوم للحجاج ، فبعث إليّ فقال : هذا خاتمي فليكن بيدك ، أي يصير خزاناً له . فقال أنس رضي الله عنه ، إني أعجز عن ذلك . قال : فحدثني بأشد عقوبة عاقبها النبي عليه السلام . . . الحديث . وفي رواية بهز : فوالله ما انتهى الحجاج حتى قام بها على المنبر ، فقال : حدثنا أنس . فذكره . وقال : قطع النبي عليه السلام الأيدي والأرجل ، وسمر الأعين في معصية الله ، أفلا نفعل نحن ذلك في معصية الله .

وذكر الاسماعيلي من وجه عن ثابت ، حدثني أنس ، قال : ما ندمت على شيء ما ندمت على حديث حدثت به الحجاج ، فذكره .

ولأنما يندم أنس على ذلك ؛ لأن الحجاج كان مسرفاً في العقوبة ، وكان يملق بأدنى شبهة ، ولا حجة للحجاج في قصة المرنيين ، لأنه وقع التصريح بأنهم ارتدوا ، وكان ذلك أيضاً قبل أن تنزل الحدود كما مر ، وقبل النهي عن المثلة كما تقدم ، والله أعلم .

تفنيه : القتل المشروع : هو ضرب الرقبة بالسيف ونحوه ؛ لأن ذلك أوحى (١) أنواع القتل ، ولذلك شرع قتل ما يباح قتله من الآدميين والبهائم إذا قدر عليه على هذا الوجه . قال النبي ﷺ : « إن الله كتب الاحسان على كل شيء » ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته ، . رواه مسلم من حديث شداد بن أوس .

وقد حكى ابن حزم الاجماع على وجوب الاحسان في الذبحة ، وأسهل وجوه قتل الآدمي ضربه بالسيف على العنق . قال تعالى : « فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ، (٢) وقال : « سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ، فاضربوا فوق الاعناق ، (٣) وقد قيل : إنه عين الموضع الذي يكون الضرب فيه أسهل على المقتول ، وهو فوق العظام ، ودون الدماغ .

وكان النبي ﷺ إذا بث سرية تغزو في سبيل الله ، قال لهم : لا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، .

وأخرج أبو داود وابن ماجه ، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « أعف الناس قتلة أهل الايمان » .

وأخرج الامام أحمد ، وأبو داود ، من حديث عمران بن حصين ، وميمون بن جندب رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ كان ينهى عن المثلة .

(٢) سورة محمد ، الآية : ٤

(١) أي أسرع أنواع القتل

(٣) سورة الانفال ، الآية : ١٢

وخرجه البخاري ، من حديث عبد الله بن يزيد رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ أنه نهى عن المثلة ، وتقدم .

وخرجه الامام أحمد ، من حديث يعلى بن مرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال الله تعالى : « لا تمثلوا بعبادي » .

وأخرج الامام أحمد أيضاً ، عن رجل من الصحابة ، عن النبي ﷺ قال : « من مثل بذى روح ، ثم لم يتب ؛ مثل الله به يوم القيامة .

إذا علمت هذا ؛ فاعلم أن القتل المباح يقع على وجهين : أحدهما : أن يكون قصاصاً ؛ فلا يجوز التمثيل فيه بالمقتص منه ، بل يقتل كما قتل . فإن كان قد مثل بالمقتول ؛ فهل يمثل به كما فعل ، أم لا يقتل إلا بالسيف ؟ فيه قولان مشهوران للعلماء :

أحدهما : أنه يفعل به كما فعل ، وهو قول الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد رضي الله عنهم في المشهور .

وقد رضح رسول الله ﷺ رأس الذي رضح رأس الجارية ، كما في الصحيحين ، وغيرها .

والقول الثاني : لا قود إلا بالسيف ، وهو قول الثوري ، وأبي حنيفة ، ورواية عن الامام أحمد .

وعن الامام أحمد رواية ثالثة : يفعل به كما فعل ، إلا أن يكون حرقه بالنار ، أو مثل به ؛ فيقتل بالسيف ؛ للنهي عن المثلة ، وعن التحريق بالنار ، قلها عنه الاثرم .

وقد خرج ابن ماجة باسناد ضعيف ، عن النبي ﷺ أنه قال : « لا قود إلا بالسيف » .

قال الامام أحمد : يروى : لا قود إلا بالسيف ، وليس إسناده بمجيد .

وحديث أنس ، يعني في قتل اليهودي الذي قتل الجارية أسند منه وأجود .
قال شيخ الاسلام ابن تيمية في « السياسة الشرعية » : التمثيل في القتل
لا يجوز إلا على وجه القصاص .

الوجه الثاني : أن يكون القتل للكفر ، إما لكفر أصلي ، أو لردة عن
الاسلام ، فأكثر العلماء على كراهة المثلة فيه أيضاً ، وأنه يقتل فيه بالسيف .
وقد روي عن طائفة من السلف جواز التمثيل فيه ، بالتحريق بالنار
وغير ذلك ، كما فعله خالد بن الوليد وغيره .

وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه حرق الفجاءة بالنار .
وروي أن أم قرفة الفزارية ارتدت في عهد أبي بكر رضي الله عنه ، فأمر بها
فشدت ذؤابتها في أذنان قلوصين أو فرسين ، ثم صبح بها ، فتقطعت المرأة ،
وأسانيد هذه القصة منقطعة .

وقد ذكر ابن سعد في « طبقاته » بغير إسناد : أن زيد بن حارثة قتلها هذه
القتلة على عهد النبي ﷺ ، وأخبر النبي ﷺ بذلك .

قال في « السيرة » : واسم أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت
عند حذيفة بن بدر بن حذيفة عجوز كبيرة ، وكانت في شرف من قومها ،
وكانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة ، لأنها كانت يطلق في بيتها
خمسون سيفاً ، كلهم لها ذو محرم . وكان لها اثنا (١) عشر ولداً ، وابنها قرفة الذي
تكنى به قتل النبي ﷺ ، وسائر بناتها قتلوا مع طليحة في الردة ؛ فلا خير فيها
ولا في بناتها .

قال في « سبل الهدى » : فأمر زيد بن حارثة بقتل أم قرفة لسبها رسول
الله ﷺ ، فقتلت قتلاً عنيفاً . انتهى .

قال ابن سيد الناس في « عيون الاثر » : ربط رجلها في جبلين ، ثم

(١) في الاصل : اثني ، وهو خطأ

ربطاً إلى بديرين. وروى: إلى فرسين ، وزجرهما حتى شققاها. ورأيتني قد كتبت في « شرح نونية الصرصري مارج الأنوار » في الجواب عن صنيع زيد في قتل أم قرفة ، مع نهيه ﷺ عن المثلة ، وأمره بحسن القتلة ، ولم يبلغنا أنه ﷺ عاتب زيداً على ذلك ؛ فكان ذلك لعظم جنايتها ؛ فانها كانت تسب النبي ﷺ .

وجاء أنها جهزت ثلاثين راكباً من ولدها وولد ولدها ، وقالت : اغزوا المدينة ، واقتلوا محمداً . ولكن هذا خبر منكر ، على أن الواقدي ذكر أن أم قرفة قتلت يوم بزاخة .

قال في « السيون » : إنما المقتول يوم بزاخة بنوها التسمية . قال الدولابي : إنما قتلها زيد .

قال في « القاموس » : بزاخة - بالضم - موضع ، وبه وقعة لأبي بكر رضي الله عنه . انتهى . وهو ، بضم الموحدة فزاي مفتوحة فضاء ممجمة مفتوحة فتاء تأنيث .

قال في « المطالع » : موضع بالبحرين . وقال الأصمعي : هو ماء لطبي . وقال الشيباني : ماء لبني أسد . وحكى البكري فيه : بزوخة . انتهى . وإضافة الوقعة للصديق ؛ لأنها في خلافته ، يعني قتال أهل الردة مع طليحة ، وإنما الأمير الذي باشر القتال خالد بن الوليد رضي الله عنه . وقد عاد طليحة إلى الاسلام في خلافة عمر الفاروق رضي الله عنهم ، والله الحمد .

وصح عن علي رضي الله عنه أنه حرق المرتدين ، وأنكر ذلك ابن عباس عليه . وقيل : إنه لم يحرقهم ، وإنما دخن عليهم حتى ماتوا . وقيل : إنه قتلهم ثم حرقهم . والذي صح أنه حرقهم ، وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناراً ودعوت قنبراً

أي عبده قنبر ليقربهم إليه ويضمهم في النار المؤججة . وروي أنه جيء بمرتد ، فأمر به فوطئ بالأرجل حتى مات .

واختار الامام ابن عقيل من علمائنا جواز القتل بالتمثيل للكفر ، لا سيما
إذا تغلظ ، وحمل النهي عن المثلة على القتل بالقصاص .

واستدل من أجاز ذلك بقصة المرتين . وقد قال بعض العلماء : من فعل
مثل فعلهم بأن ارتد ، وحارب ، وأخذ المال ؛ صنع به كما صنع هؤلاء ، روي
هذا عن طائفة من السلف ، منهم أبو قلابة ، وهذا رواية عن الامام أحمد .
ومنهم من قال : بل هذا يدل على جواز التمثيل لمن تغلظت جرائمه في الجملة ،
إلما نهى عن التمثيل في القصاص ، وهو قول ابن عقيل . ومنهم من قال : بل
يجب ما فعل بالمرتين بالنهي عن المثلة ، وهذا قول الجمهور ، وبالله التوفيق .

انتهى بحمد الله

المجزء الأول

وبالله

المجزء الثاني

وأوله الحديث الحادي والتسعون من مسند سيدنا أنس بن مالك
رضي الله عنه

الفهرس

الموضوع	صفحة
خطبة الكتاب	٣
ترجمة الامام أحمد بن حنبل	٦
شيوخه وتلامذته	٩
كراماته	١١
من منثور كلامه	١٢
من شعره	١٢
زواجه وابناؤه	١٤
مولده ونشأته	١٥
اشتغاله بالعلم	١٦
وفاته	١٨
بعض ما قيل في رثائه	١٨
ترجمة الامام إسماعيل بن عمر المقدسي	٢٢
ترجمة الامام الضياء محمد بن عبد الواحد المقدسي	٢٣
خاتمة المقدمة :	٢٧
تعريف الحديث الثلاثي	٢٧
فضل القرون الثلاثة	٢٧

الموضوع	صفحة
فضل الصحابة والتابعين	٢٨
تعديل الصحابة	٢٩
أصول مذهب الامام أحمد	٣٢
﴿مسند ابن عمر﴾	٣٩
الحديث الاول : النهي عن بيع الولاء وهبته	٣٩
ترجمة سفيان	٣٩
ترجمة ابن عمر	٤٣
مطلب في النهي : صيفته ودلالته	٤٦
بيع الولاء وهبته	٤٨
الحديث الثاني : دخول مساكن الذين عذبوا	٥٠
مطلب في الكلام على ثمود	٥١
حكم ماء آبار ثمود	٥٢
ملك ديار ثمود	٥٣
الحديث الثالث : حكم أكل الضب	٥٤
الحديث الرابع : حكم ود السلام على اليهود	٥٨
الحديث الخامس : تناجي الاثنين دون الثالث	٦٣
الحكم اذا كانوا أربعة	٦٦
تناجي الجماعة دون الواحد	٦٦
د د د الجماعة	٦٧
الدخول بين المتناجين	٦٧
الثمانية المستحقون للصفع (شعر)	٦٨

الموضوع	صفحة
وجوب كتم السر	٦٨
الحديث السادس : في البيعة على السمع والطاعة	٦٩
الحديث السابع : البيعات بالخيار	٧٣
من ترك العمل به	٧٤
جواز خيار الشرط	٧٨
خيار المجلس	٧٩
تلف المبيع في مدة الخيار	٧٩
الحديث الثامن : من جرد إزاره خيلاء	٨٠
ترجمة زيد بن أسلم	٨٠
استثناء ثوب المرأة	٨٦
الحديث التاسع : التسليم بالاشارة	٨٧
ترجمة صهيب	٩٠
السلام على الأصم	٩٣
ابتداء السلام سنة	٩٣
رد السلام فرض	٩٤
ابتداء السلام أفضل من رده	٩٤
الحديث العاشر : مواقيت الحج	٩٥
احرام أهل الشام من ذي الحليفة	٩٨
يلحم لليمن	٩٦
ذات عرق للمراق	١٠٢
مبقات أهل المدينة	١٠٣

الموضوع	صفحة
لزوم الاحرام من الميقات	١٠٣
ميقات المكي	١٠٥
الحديث الحادي عشر : المخابرة	١٠٥
ترجمة عمرو بن دينار	١٠٦
المزارة بجزء مشاع	١١٢
حكم المساقاة	١١٢
كراء الارض	١١٢
الحديث الثاني عشر : ما يحل للمعتق قبل السمي	١١٣
مقام ابراهيم	١١٤
حكم ركعتي الطواف	١١٦
السمي بين الصفا والمروة	١١٧
أركان الحج وواجباته	١١٩
الحديث الثالث عشر : في غسل الجمعة	١٢٠
منبره صلى الله عليه وسلم	١٢٠
صانع منبره	١٢١
اشتقاق كلمة الجمعة	١٢١
وقت غسل الجمعة	١٢٢
حكم غسل الجمعة	١٢٣
الاحاديث الواردة في غسل الجمعة	١٢٤
الحديث الرابع عشر : النهي عن بيع الثاو قبل بدو صلاحها	١٢٥
معنى بدو صلاحها	١٢٦

الموضوع	صفحة
هل يعتبر صلاح بعض ثمر الشجر صلاحاً للجميع	١٢٧
الجانحة في الثار	١٢٨
الحديث الخامس عشر : اقتناء الكلب	١٢٩
حكم اقتناء كلب الماشية والقنص	١٢٩
نقصان أجره إذا اقتناه بغير عذر	١٣٠
﴿مسند جابر﴾	١٣٦
ترجمة جابر رضي الله عنه	١٣٦
الحديث الأول : أكل الحوت الذي قذفه البحر	١٣٧
ترجمة هشيم بن القاسم	١٣٨
ترجمة أبي الزبير محمد بن مسلم	١٣٩
ترجمة أبي عبيدة بن الجراح	١٣٩
الكلام على سرية أبي عبيدة	١٤٠
ترجمة يحيى بن سليم	١٤٤
حل أكل ميتة البحر	١٤٤
هل يؤكل اللحم إذا أنقن	١٤٥
بعض ما يمنع أكله من حيوان الماء	١٤٦
متى كانت هذه السرية	١٤٧
القتال في الأشهر الحرم	١٤٧
الحديث الثاني : الكذب على الرسول ﷺ	١٤٨
ذكر سبب الحديث وتواتره	١٤٩
الحديث الثالث : لعن آكل الربوا وموكله وشاهده	١٥١

الموضوع	صفحة
ربا الفضل	١٥١
ربا النسبة	١٥٢
هل يجوز لمن معين	١٥٥
الحديث الرابع : النبذ في سقاء	١٥٥
شروط النبذ الحلال	١٥٦
الحديث الخامس : كسب الحجام	١٥٨
الحديث السادس : النهي عن بيع الحاضر للبادي	١٦١
الحديث السابع : الشفعة	١٦٣
شفعة الشريك	١٦٣
شفعة الجار	١٦٦
اشتراط المطالبة بالشفعة	١٦٧
تحريم الاحتيال لاسقاط حق الشفع	١٦٨
سقوط الشفعة	١٦٨
الحديث الثامن : النهي عن التحديث بالمنام	١٦٩
الرؤيا الصالحة	١٧١
حقيقة الرؤيا	١٧٢
آداب الرؤيا الصالحة	١٧٤
الحديث التاسع : سخاء رسول الله ﷺ	١٧٨
ترجمة محمد بن المنكدر	١٧٨
شرح الحديث	١٧٩

الموضوع	صفحة
السخاء والجود وتمريفها والنصوص الواردة في ذلك	١٨١
الحديث العاشر : كشف وجه الميت والبكاء عنده	١٨٤
تعيين مكان جبل أحد	١٨٤
جواز البكاء على الميت	١٨٦
الحديث الحادي عشر : التكنية بأبي القاسم	١٨٩
الاسم واللقب والكنية	١٩٣
اختلاف العلماء في التكني بأبي القاسم	١٩٣
سبب كراهة التسمي بالقاسم	١٩٦
التسمية بمحمد وأحمد وأسماء الأنبياء	١٩٧
الحديث الثاني عشر : انتداب الناس يوم الخندق	١٩٩
موضع الخندق وحفره	٢٠٠
انتداب الزبير	٢٠٠
ترجمة الزبير ومناقبه	٢٠٠
الحديث الثالث عشر : في نزول آية الميراث	٢٠٣
صنع الأداء في الحديث	٢٠٤
ترجمة أبي بكر الصديق	٢٠٤
مناقبه	٢٠٤
عيادة المريض وفضلها	٢٠٥
حكم عيادة المريض الكافر	٢٠٦
حكم عيادة المريض المسلم	٢٠٧

الموضوع	صفحة
الاحاديث الواردة في عيادة المريض	٢٠٧
عيادة المغمى عليه	٢١٠
صب وضوء رسول الله ﷺ على جابر وهو مغمى عليه	٢١٠
طهارة الماء المستعمل في رفع الحدث	٢١٠
تبرك الصحابة بفضل وضوئه ﷺ	٢١١
سؤال جابر رسول الله ﷺ عن تركه	٢١١
زول آية الميراث جواباً لسؤال جابر	٢١٢
آداب عيادة المريض	٢١٣
الدعاء للمريض وماورد فيه	٢١٥
الحديث الرابع عشر : عدم الوضوء من أكل اللحم المشوي	٢١٦
الوضوء مما مسته النار	٢١٧
مذهب السلف حول الوضوء مما مسته النار	٢١٨
ققض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢١٩
الاحاديث الواردة في ققض الوضوء بأكل لحم الجزور	٢٢٠
الحديث الخامس عشر : نفي المدينة لخبث من الناس	٢٢١
مبايعة الرسول ﷺ على الهجرة	٢٢٢
مضى الاقالة والمراد منها	٢٢٣
نفي المدينة شرار الناس	٢٢٤
الاحاديث الواردة في فضل المدينة	٢٢٥
فضل الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ	٢٢٧

الموضوع	صفحة
الحديث السادس عشر : وفاء أبي بكر بوعد رسول الله ﷺ	٢٢٨
تعيين مكان البحرين	٢٢٩
وعد رسول الله ﷺ باعطاء جابر من مال البحرين	٢٣٢
حكم إنجاز الوعد وأقوال الملاء فيه	٢٣٢
التحذير من البخل والتنفير منه	٢٣٥
التمييز بين الشح والبخل	٢٣٥
الاحاديث الواردة في ذم الشح والبخل	٢٣٦
الحديث السابع عشر : الحظ على الزوج بالبكر	٢٣٩
سبب عدول جابر عن الزواج بالبكر	٢٤١
تعريف الثيب والبكر من النساء	٢٤٢
دلالة الحديث على فضيلة الزوج بالبكر	٢٤٢
تقديم أم المصلحين إذا تزامنا	٢٤٢
الحديث الثامن عشر : حكم إطالة الصلاة	٢٤٣
ترجمة معاذ بن جبل	٢٤٤
حكم مفارقة المأموم للإمام لمذر	٢٤٨
تعريف النفاق	٢٤٩
حكم اقتداء المفترض بالتنفل	٢٥١
أقوال الأئمة في اقتداء المفترض بالتنفل	٢٥٢
استحباب تخفيف الصلاة	٢٥٥

الموضوع	صفحة
أقوال الأئمة في حكم صلاة الجماعة .	٢٥٥
الحديث التاسع عشر : الخدعة في الحرب	٢٥٦
تعريف الخدعة وحكمها	٢٥٧
الكلام على الكذب والمعارض وحكمها	٢٥٨
الحديث العشرون : تحية المسجد يوم الجمعة والامام يخطب	٢٦١
أقوال الأئمة في ذلك	٢٦٢
الكلام يوم الجمعة حال الخطبة .	٢٦٣
الحديث الحادي والعشرون : دخول المسجد بالسلاح	٢٦٤
تعريف السهام	٢٦٤
جواز إدخال السلاح الى المسجد	٢٦٥
الحديث الثاني والعشرون : بيع المدبر	٢٦٥
تعريف المدبر	٢٦٦
ترجمة عبد الله الزبير	٢٦٧
أقوال الأئمة في بيع المدبر	٢٧٠
الحديث الثالث والعشرون : آخر من يدخل الجنة	٢٧١
الخروج من النار بالشفاعة	٢٧٢
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان	٢٧٣
الحديث الرابع والعشرون : أصحاب الحديبية ومدحهم	٢٧٤
ضبط كلمة الحديبية وتعيين مكانها	٢٧٤
عدد أصحاب الحديبية	٢٧٥

الموضوع	صفحة
أول من بايع النبي ﷺ يوم الحديبية	٢٧٦
الحديث الخامس والعشرون : معاودة الأصحاب للاستشهاد	٢٧٨
يوم أحد	
تميعن مكان أحد	٢٧٩
الخلاف في مقتل عمير بن الحمام	٢٧٩
مصير من قتل في سبيل الله	٢٨١
خصال الشهيد في سبيل الله	٢٨٢
الحديث السادس والعشرون : في أكل الحوت في مربة العنبر	٢٨٢
السحكة وتمريفها	٢٨٣
منافع العنبر من الطيب	٢٨٤
أكل الصحابة من الحوت	٢٨٦
الحديث السابع والعشرون : استعاذة رسول الله ﷺ عند نزول بعض الآيات	٢٨٨
وقوع الخسف والرجم في الأمة	٢٨٩
سؤال رسول الله ﷺ ربه أشياء لأئمة	٢٩٢
الحديث الثامن والعشرون : الطواف لمن أهل بعمره	٢٩٣
حكم السمي بين الصفا والمروة لمن أهل في الحج بعمره	٢٩٤
الحديث التاسع والعشرون : العزل عن المرأة	٢٩٤
عزل الصحابة	٢٩٥
الاحاديث الواردة في العزل	٢٩٦

الموضوع	صفحة
اختلاف السلف في المنزل	٢٩٦
أقوال الأئمة الأربعة في المنزل	٢٩٧
المنزل في دار الحرب	٢٩٧
حق المرأة من الوطاء	٢٩٨
الاختلاف في علة النهي	٣٠١
الحديث الثلاثون : رؤية رسول الله ﷺ قصر عمر في الجنة	٣٠٢
غيره رسول الله ﷺ	٣٠٥
غيره عمر بن الخطاب	٣٠٥
ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٣٠٦
من مناقب عمر بن الخطاب	٣٠٧
تولي عمر الخلافة	٣١٠
مقتل عمر رضي الله عنه ووفاته	٣١١
رواية عمر للحديث	٣١١
دلالة الحديث على وجود الجنة والحدود المين الآن	٣١٢
إنكار المعتزلة والقدرية وجود الجنة الآن	٣٢
أقوال السلف في وجود النار	٣١٣
مسند أنس بن مالك	٣١٦
ترجمة أنس بن مالك	٣١٦
ترجمة أم سليم أم أنس	٣١٧
رواية أنس للحديث	٣١٧

الموضوع	صفحة
وفاة أنس بن مالك	٣١٨
الحديث الاول : مدحه ﷺ للأَنْصار	٣١٨
ترجمة ابن علية	٣١٨
شرح كلمة اللهم ومعناها	٣٢٠
الأحاديث الدالة على فضل الأنصار	٣٢١
الحديث الثاني : تسميت العاطس	٣٢٥
ترجمة سليمان التيمي	٣٢٥
الكلام على التسميت والتسميت : بالشين والسين	٣٢٧
تسميت من حمد الله	٣٢٩
الأحاديث الواردة في تسميت العاطس الذي حمد الله	٣٣٠
ألفاظ التسميت	٣٣٣
حكم إجابة المشمت	٣٣٤
من لا يجب تسميتهم	٣٣٥
الحديث الثالث : تواضع رسول الله ﷺ	٣٣٧
ترجمة حميد الطويل	٣٣٧
تواضع رسول الله ﷺ وحسن خلقه	٣٣٨
رجحان عقل رسول الله ﷺ	٣٣٩
خلقته ﷺ	٣٣٩
ما يدخل في حسن الخلق	٣٤٠
الحديث الرابع : الكذب على رسول الله ﷺ	٣٤٠
جزاء الكاذب على رسول الله ﷺ	٣٤١

الموضوع	صفحة
الحديث الخامس : وليمة رسول الله ﷺ في العرس	٣٤١
ترجمة زينب بنت جحش	٣٤١
الكلام على وليمة العرس والاطعام فيها	٣٤٢
حكم وليمة العرس والنصوص فيها	٣٤٣
ما يجزىء في الوليمة	٣٤٤
وقت وليمة العرس	٣٤٥
حكم الاجابة الى وليمة العرس	٣٤٥
حكم اجابة الوليمة اذا تكررت	٣٤٦
الحديث السادس : صلاة الرسول ﷺ في برد حبرة	٣٤٧
الصلاة في الثوب الواحد	٣٤٨
وجوب ستر المورة في الصلاة	٣٤٩
حلة رسول الله ﷺ	٣٥٠
أقوال السلف في لبس الثوب الأحمر	٣٥١
الحديث السابع : طوافه ﷺ على نسائه بفعل واحد	٣٥٣
عدد نساء رسول الله ﷺ	٣٥٤
قوته ﷺ في الجماع	٣٥٥
فضل رسول الله ﷺ على الناس بأربعة أشياء	٣٥٦
حكم القسم بين النساء في حق رسول الله ﷺ	٣٥٧
الحديث الثامن : ما يقال عند دخول الغلاء	٣٥٨
معنى العياذ بالله	٣٥٩

الموضوع	صفحة
آداب دخول الخلاء	٣٦٠
ضبط لفظي : الخبث والخبائث في الحديث	٣٦١
آداب الخروج من الخلاء	٣٦٢
الحديث التاسع : ردّ السلام على أهل الكتاب	٣٦٢
كيفية ردّ السلام على أهل الكتاب .	٣٦٣
الحديث العاشر : نصر المسلم ظالماً أو مظلوماً	٣٦٣
ترجمة يونس البصري	٣٦٤
ترجمة الحسن البصري	٣٦٤
إنكار سماع الحسن البصري من علي بن أبي طالب	٣٦٥
أحاديث الحسن عن علي بن أبي طالب	٣٦٧
مناقب الحسن البصري	٣٦٧
الظلم وأنواعه	٣٧٠
الحديث الحادي عشر : البحث على السحور	٣٧٦
السحور وفضله	٣٧٧
وقت السحور	٣٧٧
ما يحصل به السحور ، وحكمه	٣٧٧
تأخير السحور	٣٧٧
تمجيل النطر	٣٧٨
الحديث الثاني عشر : خاتم النبي ﷺ	٣٧٩
من أي المادن يكون الخاتم ؟	٣٨١

الموضوع	صفحة
يحرم خاتم الذهب على الذكور	٣٨٣
التختم بالمقيق	٣٨٤
الحديث الثالث عشر : الاقامة عند الثيب ثلاثاً	٣٨٥
الحديث الرابع عشر : جعل عتق الأمة صداقها	٣٨٨
الصداق : مشروعيته ومقداره	٣٩١
الحديث الخامس عشر : ولية رسول الله ﷺ	٣٩٥
الحديث السادس عشر : الفيصاء أم أنس في الجنة	٣٩٨
الحديث السابع عشر : كسر رباعية النبي ﷺ وشجّ جبهته :	٤٠٠
سبب غزوة أحد	٤٠٦
عدة من ثبت معه	٤٠٨
دور طلحة في أحد	٤٠٩
صراخ الشيطان في أحد	٤١١
عدد شهداء أحد	٤١٤
الحديث الثامن عشر : التلبية بالهج والمرة جميعاً	٤١٥
حكم التلبية	٤١٧
التمتع	٤١٨
طواف القارن وسعيه	٤١٩
الحديث التاسع عشر : وكوب البدنة	٤٢٠
ترجة ثابت البناني	٤٢٠
البدنة : ضبطها واختلاف العلماء في جوارز ركوبها	٤٢٢

الموضوع	صفحة
الحديث العشرون : تسميت العاطس إذا حمد الله	٤٢٥
ترجمة معتمر بن سليمان	٢٤٥
الحديث الحادي والعشرون : من الذي ينبغي أن يلي الامام	٤٢٦
تقديم الرجال فالعبيد ، ثم الصبيان . . .	٤٢٩
إقامة الصف	٤٣٠
الحض على الصف الأول	٤٣٠
تسوية الصف من تمام الصلاة	٤٣١
الحديث الثاني والعشرون : خضب الشيب	٤٣٢
فوائد الخضب	٤٣٥
هل خضب رسول الله ﷺ ؟	٤٣٧
هل يُسن الخضاب	٤٤٠
التفريق في سنّة الخضاب بين النساء والرجال	٤٤٢
الحديث الثالث والعشرون : الأمر بتناول القيمة الساقطة بعد	٤٤٣
مسح ما بها من الأذى	
الحكمة في ذلك	٤٤٣
الحديث الرابع والعشرون : إعطاء الحاجم أجرته	٤٤٦
التداوي بالحجامة	٤٤٧
متى تكون الحجامة ؟	٤٥٠
موضع الحجامة من البدن	٤٥١
الحديث الخامس والعشرون : تخفيف الصلاة مع إتمامها	٤٥٣

الموضوع	صفحة
الحديث السادس والعشرون : الصلاة في النعال	٤٥٦
ترجمة عباد بن عباد الأزدي	٤٥٦
هل كسّن الصلاة في النعال ؟	٤٥٨
الاستكثار من النعال	٤٥٩
الاسترجاع عند انقطاع السمع	٤٦٠
الحديث السابع والعشرون : إنكار أنس لما صنع الناس	٤٦١
بعد النبي ﷺ	
إنكار أنس على الحجاج تأخير الصلاة	٤٦٣
النهي عن تأخير الصلاة	٤٦٤
بعض ماثر عمر بن عبد العزيز وشيخه من ترجمته	٤٦٥
الحديث الثامن والعشرون : النهي عن تمشي الموت	٤٦٧
حكمة النهي	٤٦٨
الحديث التاسع والعشرون : النهي عن النزغفر للرجل	٤٧٥
الحديث الثلاثون : العزم في الدعاء	٤٧٩
الحديث الواحد والثلاثون : أكثر دعوة كان يدعوها النبي ﷺ	٤٨١
ترجمة قتادة	٤٨١
شرح الحديث	٤٨٢
الحديث الثاني والثلاثون : التطويل في الصلاة	٤٨٤
الحديث الثالث والثلاثون : ما يقال عند دخول الغلاء	٤٨٦
الحديث الرابع والثلاثون : الأضحية بكبشين	٤٨٨

الموضوع	صفحة
وقت الأضحية	٤٨٩
ما يصح تضحيته	٤٨٩
حكم الأضحية	٤٩٠
ما يؤكل منها ولا يوزع	٤٩٠
هل يذبح المضحي بيد أم يوكل	٤٩١
الحديث الخامس والثلاثون : لبس الحرير	٤٩٢
الحديث السادس والثلاثون : الاقتصاد في العبادة	٤٩٥
الحديث السابع والثلاثون : مناجاة بين النبي ﷺ ورجل بعد إقامة الصلاة	٥٠٢
الحديث الثامن والثلاثون : معاملة النبي ﷺ لخدمته	٥٠٣
ترجمة أبي طلحة	٥٠٣
شرح الحديث	٥٠٥
الحديث التاسع والثلاثون : خاتمة رسول الله ﷺ	٥٠٨
الحديث الأربعون : إيجاز الرسول لصلاته مع إكمالها	٥١٢
الحديث الواحد والأربعون : زواج الرسول من صفية بنت حبي	٥١٣
وقت صلاة الفجر	٥١٥
فتح خير	٥١٨
الحديث الثاني والأربعون : درع الرسول مرهونة عند يهودي	٥٢٧
ترجمة محمد بن فضيل	٥٢٨
ترجمة الأعمش	٥٢٨
شرح الحديث	٥٣٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثالث والاربعون : الكوثر الموعود به ﷺ	٥٣١
تعريف الكوثر والأحاديث الواردة فيه .	٥٣٢
الحديث الرابع والاربعون : نزول سورة الكوثر	٥٣٣
معنى الاغفاء	٥٣٣
أحاديث عن الكوثر	٥٣٤
اختلاج المبتدعين بعد رسول الله ﷺ عن الكوثر	٥٣٦
ثبوت وجود الحوض والكوثر بالنص والاجماع	٥٣٧
سعة حوضه ﷺ	٥٣٧
الأحاديث الواردة في الحوض .	٥٤٠
الحديث الخامس والاربعون : التساؤل في خلق الله	٥٤٢
أقسام السؤال في الشريعة الاسلامية .	٥٤٣
القلب وعوارضه .	٥٤٤
السؤال عن خلق الله .	٥٤٧
وساوس الشيطان للانسان .	٥٤٩
كراهة كثرة السؤال فيما لا فائدة فيه .	٥٥٣
النهى عن أغلوطات المسائل .	٥٥٥
ذم التفكير في ذات الله .	٥٥٦
التفكير والتذكر وثمرتهما .	٥٥٧
الحديث السادس والاربعون : عدم مسابقة الامام في الركوع	٥٥٨
والسجود	
الأحاديث الواردة في ذلك	٥٦٠

الموضوع	صفحة
التسليم في الفرض والنفل	٥٦٤
حكم متابعة الامام	٥٦٥
اختلاف العلماء في رؤية النبي ﷺ من خلفه	٥٦٥
بعض ألفاظ القسم	٥٦٧
حلف المقتي على ثبوت الحكم عنده	٥٦٧
المواضع التي أقسم فيها رسول الله ﷺ	٥٦٨
حلف الصحابة على الفتاوى والرواية	٥٦٨
حلف أحمد بن حنبل في مسائله	٥٦٨
حلف الشافعي والاعمة	٥٦٨
تخويف رسول الله ﷺ للصحابة من عذاب الله	٥٦٨
الحديث السابع والأربعون : عدم خروج رسول الله ﷺ	٥٧٣
الى المسجد خشية فرضية قيام الليل	
ترجمة بن عدي البصري	٥٧٣
ترك رسول الله ﷺ الجماعة في قيام رمضان خشية فرضيتها	٥٧٤
جمع عمر بن الخطاب الناس في قيام رمضان	٥٧٥
تأكيد قيام أوتار ليالي الشر الأخير من رمضان	٥٧٦
مشروعية صلاة التراويح واستجابها	٥٧٦
حكم صلاة التراويح وعدد ركعاتها	٥٧٦
مغنى قول عمر : نعمت البدعة هذه	٥٧٧

الموضوع	صفحة
الحديث الثامن والاربعون : إبطال الرسول ﷺ لأعياد الجاهلية	٥٧٨
الوقت الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة	٥٧٨
أول من اتخذ النيروز والمهرجان	٥٧٩
سبب تسمية العيد	٥٧٩
أعياد المسلمين	٥٨٠
الحديث التاسع والاربعون : سماع رسول الله ﷺ عذاب القبر	٥٨٢
ترجمة بني النجار	٥٨٢
شرح قول رسول الله ﷺ : لولا أن لا تدافنوا للدعوت الله أن يسمعكم عذاب القبر	٥٨٣
الاحاديث الواردة في عذاب القبر	٥٨٣
إثبات أهل السنة والجماعة لعذاب القبر خلافاً للخوارج وغيرهم	٥٨٤
قول ابن القيم في الروح بعد مفارقة الجسد	٥٨٤
اتفاق أهل السنة والجماعة على ثبوت النعيم والعذاب على النفس والبدن	٥٨٥
كلام ابن تيمية وابن القيم في البرزخ والروح	٥٨٦
المراد من قوله ﷺ لولا أن لا تدافنوا . . . الخ	٥٨٨
عذاب أهل الجاهلية في قبورهم والخلاف فيه	٥٨٨
عدم اختصاص عذاب القبر وسؤال الملوك بهذه الامة	٥٨٨

الموضوع	صفحة
الحديث الخمسون : رؤية رسول الله ﷺ لنهر الكوثر	٥٨٩
صفات نهر الكوثر	٥٨٩
الحديث الحادي والخمسون : تخلف المسلمين عن غزوة تبوك لعذر	٥٩٠
المتخلف لعذر شريك للساثر في الأجر	٥٩١
استمرار الثواب على العمل للمريض أو المسافر إذا كان	٥٩٢
يعمله مقبلاً صحيحاً	
الحديث الثاني والخمسون : وضع الشيء بعد رفعه	٥٩٢
الكلام على ناقة رسول الله ﷺ	٥٩٤
صفة المضياء والتقصواء	٥٩٤
الكلام على القمود	٥٩٥
حكم المسابقة في الأشياء بموض وغير عوض	٥٩٧
أقوال الأئمة في المسابقة	٥٩٧
شروط أخذ الموض والرهان	٥٩٨
زيادة أبو البخترى في حديث المسابقة	٥٩٩
الكلام على واضع حديث الحمام	٦٠٠
الحديث الثالث والخمسون : إقامة الصلاة وتراس الصفوف فيها	٦٠١
الأحاديث الواردة في فضل تسوية الصفوف وتراسها	٦٠٢
الحديث الرابع والخمسون : نوم رسول الله ﷺ وصلاته	٦٠٣
بالليل وصومه وفطره	
دلالة الحديث على قيام رسول الله ﷺ وتهجده بالليل	٦٠٤
تعريف التهجد	٦٠٥

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في فضل قيام الليل	٦٠٥
افتتاح التهجد بركعتين خفيفتين	٦٠٥
فضل الذكر والوضوء والصلاة عند القيام من النوم	٦٠٥
أحب القيام والصيام الى الله تعالى	٦٠٦
حكم قيام الليل بالنسبة لرسول الله ﷺ	٦٠٨
وصية رسول الله ﷺ لابني هريرة	٦١١
فضل الصيام وترك الرفث والصخب فيه	٦١١
الكلام على خلوف فم الصائم	١١١
الحديث الخامس والخمسون : كون المرء مع من أحب	٦١٣
سؤال الأعرابي رسول الله ﷺ عن قيام الساعة	٦١٤
شروط محبة الله ورسوله	٦١٥
اللغات الواردة في كلمة المرء	٦١٥
قول رسول الله ﷺ : المرء مع من أحب	٦١٥
فرح المسلمين بقول : المرء مع من أحب	٦١٦
إطاعة الحب للمحبوب	٦١٧
درجات محبة الله سبحانه وتعالى	٦١٧
درجات محبة رسول الله ﷺ	٦٢٠
دلالة الحديث على انفراد علم الله بمجيبه الساعة	٦٢١
الآيات والأحاديث الواردة في انفراد علم الله بالساعة	٦٢٢
حكم مدعي علم الغيب	٦٢٣

الموضوع	صفحة
الأحاديث الواردة في تحديد مدة الدنيا لا أصل لها	٦٢٣
قول ابن القيم في العلامات التي تعرف بها الأحاديث الموضوعة	٦٢٤
الحديث السادس والخمسون : اختلاف نساء الرسول ﷺ	٦٢٤
مع بعضهن	
تعريف الصخب والسخب	٦٢٦
معنى الخثر واللغات الواردة في كلتي القم والتراب	٦٢٧
إقامة الصلاة والامام في منزله إذا كان يسميها	٦٢٨
عدد أزواج رسول الله ﷺ	٦٢٨
الحديث السابع والخمسون : عدم تقي الموت لضرب أصابه	٦٢٩
الحديث الثامن والخمسون : مداومة أبي طلحة على الصوم في	٦٣٠
عهد النبي ﷺ وبعده	
الأحاديث الواردة في فضل الصيام	٦٣١
من سرد الصوم من الصحابة والسلف	٦٣٢
الحديث التاسع والخمسون : اعتكافه ﷺ في العشر الأواخر	٦٣٢
من ومضان	
معنى الاعتكاف لغة وشرعاً	٦٣٣
فوائد الاعتكاف	٦٣٣
شروط الاعتكاف	٦٣٣
تأخير الاعتكاف لسفر	٦٣٤
حكم الاعتكاف	٦٣٦

الموضوع	صفحة
جواز الاعتكاف بغير صوم	٦٣٦
شروط صحة الاعتكاف	٦٣٧
قضاء السنن إذا فاتت	٦٣٧
الحديث الستون : لا يلقى الحبيب حبيبه في النوا	٦٣٨
تعريف القوم	٦٣٩
معنى محبة الله	٦٤٠
أول من أنكر المحبة في الاسلام	٦٤٠
إيذان الله بالحرب لمن عادى أولياءه	٦٤١
التقرب الى الله بأداء الواجبات والبعد عن المحرمات	٦٤١
دلالة الحديث على سعة رحمة الله عز وجل	٦٤٤
الحديث الحادي والستون : استسقاء رسول الله ﷺ بالدعاء	٦٤٨
استعمال كلمة اليد حقيقة ومجازاً	٦٤٩
استسقاء رسول الله ﷺ يوم الجمعة وهو على المنبر	٦٥١
رفع اليدين في دعاء الاستسقاء	٦٥٢
مراقب الدعاء	٦٥٣
مواطن رفع اليدين في الدعاء	٦٥٤
كراهة رفع اليدين بالدعاء في خطبة الجمعة	٦٥٤
مسح الوجه باليدين بعد الدعاء	٦٥٥
كيفية رفع اليدين في الدعاء	٦٥٥
دعاء رسول الله ﷺ بتحول المطر عن البيوت	٦٥٧
تبسم رسول الله ﷺ من سرعة ملائكة ابن آدم	٦٥٨
مشروعية الاستسقاء وأنواعه	٦٦٠

الموضوع	صفحة
الحديث الثاني والستون : نداء قتلى بدو	٦٦٣
مقتل أبي جهل	٦٦٤
الحديث الثالث والستون : المنة لله ورسوله على الأنصار	٦٧١
أقسام الهداية	٦٧٩
الحديث الرابع والستون : استشارة النبي ﷺ للأنصار في	٦٧٩
القتال خارج المدينة	
خروج الرسول إلى بدر	٦٨٠
معنى « وشاورم في الأمر »	٦٨١
إشكال في « صحيح مسلم »	٦٨٦
الحديث الخامس والستون : بدء الحجاب	٦٨٧
دفاع المسلمين عن رسول الله ﷺ	٦٩١
الحديث السابع والستون : خير دور الأنصار	٦٩٤
الحديث الثامن والستون : قدوم الأشعرين	٦٩٧
رقة القلب	٦٩٨
ترجمة أبي موسى الأشعري	٦٩٩
الحديث التاسع والستون : الأشعريون	٧٠١
ترجمة يزيد بن هارون	٧٠٢
الحديث السبعون : غيرة النساء	٧٠٥
الحديث الحادي والسبعون : حديث أبي طلحة وزوجته	٧١٠
تحنيك الطفل	٧١٩
الحديث الثاني والسبعون : أعياد المسلمين	٧٢٢
الحديث الثالث والسبعون : منع الناظر إلى بيوت الناس	٧٢٣
الاستئذان من أجل البصر	٧٢٥
تفسير آية الاستئذان	٧٢٥

الموضوع	صفحة
لصاحب البيت فقاً عين الناظر من الثقب	٧٢٦
كيفية الاستئذان	٧٢٨
الحديث الرابع والسبعون : شج النبي ﷺ يوم أحد	٧٢٩
الحديث الخامس والسبعون : الاستعاذة من الكسل والبخل	٧٣٠
وعذاب القبر	
عذاب القبر هو عذاب البرزخ	٧٣٢
عذاب القبر قيمان	٧٣٣
أسباب عذاب القبر	٧٣٤
الأسباب المنجية من عذاب القبر	٧٣٨
الحديث السادس والسبعون : قصر سيدنا عمر بن الخطاب في الجنة	٧٣٩
سبب تسمية قريش	٧٤٠
الحديث السابع والسبعون : الاحتجام	٧٤١
احتجام الرسول ﷺ	٧٤٢
كسب الحجام	٧٤٢
القسط البحري	٧٤٤
الحديث الثامن والسبعون : تحويم الخمر	٧٤٧
الخمر كل ما يسكر	٧٤٧
الحديث التاسع والسبعون : تحويم الخمر	٧٥٠
ترجمة أبي بن كعب الأنصاري	٧٥١
ترجمة سهيل بن وهب	٧٥٢
الاختلاف في وقت تحريم الخمر	٧٥٦
ذكر سبب تحريم الخمر	٧٥٧
مواقفات عمر في تحريم الخمر ونزول الآيات فيه	٧٥٩
سبب تسمية الخمر خمرأ	٧٦١
ما يتخذ منه الخمر	٧٦٢
الحديث الثانون : خروج الجهنميين من الجحيم	٧٦٧

الموضوع	صفحة
ترجمة وكيع بن الجراح	٧٦٨
روايته الحديث	٧٦٨
وفاته	٧٦٩
ترجمة يزيد بن أبي صالح	٧٦٩
تسمية الجحيم	٧٦٩
الخروج من النار لمن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان	٧٧١
اتفاق أهل السنة والجماعة على عدم خلود أهل الإيمان في النار	٧٧٣
شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والصالحين	٧٧٥
اتفاق الصحابة والتابعين وسائر الأئمة في شفاعته النبي ﷺ في أهل الكبائر	٧٧٦
نوع الشفاعته التي أنكرها المعتزلة والخوارج	٧٧٧
الحديث الحادي والثمانون: إهلال رسول الله ﷺ بالحج والعمره	٧٧٩
تعريف الإهلال بالحج	٧٨٠
أنواع الحج	٧٨٠
اختلاف العلماء في القارن	٧٨١
لزوم دم النسك للقارن	٧٨١
تخيير الحاج بين التمتع والافراد والقران	٧٨١
كلام الأئمة في أنواع الحج	٧٨١
صفة التمتع	٧٨٢
الحديث الثاني والثمانون : زيادة الماء ببركة رسول الله ﷺ	٧٨٢
معجزة رسول الله ﷺ في زيادة الماء	٧٨٣
اختلاف العلماء في الماء الذي ينبع من بين أصابع النبي ﷺ	٧٨٥
الحديث الثالث والثمانون : الثواب على كثرة الخطا الى المسجد	٧٨٥
فضل الخطوات الى المساجد	٧٨٧
فضل الصلاة مع الجماعة	٧٨٧

الموضوع	صفحة
فضل المني الى المساجد	٧٨٨
الحديث الرابع والثمانون : المشي الى الصلاة بالسكينة والوقار	٧٨٩
فضل قول : الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً	٧٩٢
بم تدرك صلاة الجماعة	٧٩٤
الحديث الخامس والثمانون : سماعه <small>رضي الله عنه</small> خشفة الفميصاء في الجنة	٧٩٨
الحديث السادس والثمانون : توفيق الله العبد للعمل الصالح	٧٩٩
معنى التوفيق	٨٠٠
تفسير الجبرية والقدرية للتوفيق	٨٠٠
معنى استعماله وعمله في الحديث	٨٠٢
الكلام على الخاتمة	٨٠٢
كتابة المقادير السابقة لخلق الخلائق	٨٠٣
كتابة الملك للجنين في بطن أمه	٨٠٤
العمل بين السابقة والخاتمة	٨٠٦
الخوف من السابقة والخاتمة	٨٠٦
الحديث السابع والثمانون : رؤيا المؤمن جزء من سنة	٨٠٧
وأربعين جزءاً من النبوة	
اختلاف الروايات في عدد الأجزاء	٨٠٨
الحديث الثامن والثمانون : غنى الله عن تعذيب الانسان نفسه	٨٠٩
النذر بالمني الى بيت الله الحرام	٨١١
كفار النذر الذي لا يطاق كفارة يمين	٨١٢
اختلاف الائمة فيمن نذر أن يحج ماشياً	٨١٢
نذر المني الى مسجد المدينة	٨١٣
الحديث التاسع والثمانون : الرفق بسياسة النساء	٨١٥
سوق أنجشة لأمهات المؤمنين	٨١٥
تفسير حديث : رويذك سوقك بالقوارير	٨١٦